تاريخ

الصحافة العربية

تاريخ
الصحافة العربية

يحتوي على اخبار كل جريدة ومجلّة عربية ظهرت في العالم
شرقاً وغرباً مع رسوم اصحابها والمحرّرين
فيها وتراجم مشاهيرهم

بقلم

(الفيكونت فيليب دي طرازي)

— عُني عنه —

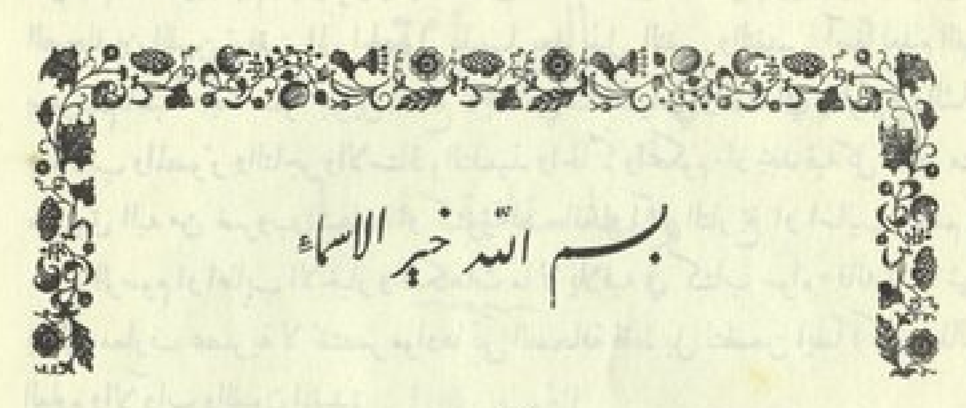
الجزء الاول

بيروت المطبعة الادبية سنة ١٩١٣



فيليب دي طرّازي

يا معشرَ الصحبِ ذا رسمٌ بهِ اقترنت   رسومكم وبها قد صارَ مزدانا
فتلكَ آثارنا اضحت تضمُّ معاً   رغماً عن الدهرِ في ذا السِفرِ إخوانا



المقدمة

امَّا بعد فيقول الفقير اليه تعالى فيليب بن نصرالله بن انطون بن نصرالله بن الياس بن بطرس دي طرازي انني منذ سنتين أذعتُ نشرةً معلناً فيها عزمي على تأليف كتاب شامل لتاريخ الصحافة العربية في مشارق الارض ومغاربها. فصادف مشروعي ارتياحاً لدى روّام المسائل التاريخية الذين اتحفوني برسائل التنشيط واستحثوني عَلَى إبراز هذا الفكر الى حيز العمل. ولا يخفى ما يحول دون ذلك من المصاعب الكثيرة التي تستلزم درساً طويلاً وجهداً متواصلاً لقلة ما كُتب في هذا الموضوع حتى الآن. ولما كان قدماءُ الصحافيين قد طواهم الزمان وكادت آثارهم تنقرض بمرور الايام اضطررت الى التفتيش عن صحفهم بكل وسيلة فعّالة فضلاً عن مفاوضة الشيوخ من معاصريهم لبلوغ الضالة المنشودة. فكأنَّ خدمة الأدب والادباء ذلّلت امامي كلَّ الصعاب ومهدت لي سبيل الوصول الى الغاية المقصودة بعد البحث المدقق. ولكي يحيط العموم علماً باهمية هذا المشروع اكتفي بايراد عبارة شهيرة قالها احد افاضل الكتّاب وهي تستحق ان تُكتب بماء الذهب: « البلاد التي لا صحافة فيها لا صحة فيها »

فأقدمتُ عَلَى تحقيق هذه الامنية تعزيزاً لمقام صحافتنا الشريفة وإعلاءً لمنارها امام الغربيين الذين برّزوا في هذا الفن الجليل وجاهدوا في جادّته الجهاد الحسن. وهكذا تيسر لي بعد العناء الشديد ان اسدَّ هذه الثلمة في لغتنا العربية وأزفَّ عملي لكلّ ناطق

بالضاد . وهو يحتوي عَلَى اخبار الصحف أفراداً واجمالاً مع اميال اصحابها واسماء محرّريها وتراجم المشاهير منهم بعبارةٍ يفهمها الخاصّ والعام . وتخليداً لذكرهم زيّنت الكتاب برسوم الصحافيين الذين توفقت الى الحصول عليها بعد بذل النفس والنفيس آسفاً لعدم الفوز برسومهم قاطبةً . فجاء سفراً جزيل المنافع لا يستغني عنهُ السياسي والصحافي والمؤرّخ والشاعر والاديب والمصوّر والتاجر والاستاذ والتلميذ والحاكم والمحكوم . اذ يجد فيه كل واحد منهم ما يتوق اليه من ضروب السياسة او كنوز الصحافة او آثار التاريخ او اساليب النظم او بدائع الرسوم او اطايب الاخبار والفكاهات ما لا يلاقيه في كتاب سواه . فانه اشبه شيء بدائرة معارف عصرية لا تقتصر موادها عَلَى الصحافة فقط بل تتضمن ايضاً اكثر مطالب العلوم والآداب والفنون المفيدة

وقد انتقدت كل جريدة او مجلة او نشرة او رسالة موقوتة بما تستحقه من المدح والذم بقطع النظر عن مذاهب اربابها واحوالهم الشخصية وذلك بنية صادقة وقصد سليم واستندت في ما رويتهُ الى اوثق المصادر حرصاً عَلَى الحقيقة وعملاً بحرفة التاريخ . وقسمت الكتاب الى اربعة اقسام او حُقب بحيث تتناول كل حقبة قسماً من اخبار الصحافة . ثمّ صدّرته بتوطئةٍ ذات ثمانية فصول في تعريف الصحافة وآدابها واسماء مؤرّخيها وغير ذلك مما تهمّ معرفته إتماماً للفائدة . وختمتهُ بجدول عام يشتمل على اسماء الصحف بلا استثناء شيء منها على قدر ما يستطيعهُ باحث محقق في بلاد الشرق . وقد رتبتها بحسب البلدان والممالك التي ظهرت فيها متتبعاً في تاريخ صدورها نظام الأقدم فالأقدم . وجعلتُ بجانب كلٍ منها اسم صاحبها وبيان خطتها ويوم نشأتها ليكون العمل وافياً بكل اطرافهِ . ومع اقراري الصريح باني لستُ من فرسان هذا الميدان فانني واثق بشهامة القرّاء الكرام وحَمَلة الاقلام وسائر ارباب النهضة الادبية انهم سيتلقون كتابي بسرور ويطالعونه بلذة ينسياني شيئاً من التعب الذي عانيتهُ في المراجعة والمقابلة والمراسلة والبحث والتنقيب . وحسْبي الله ونعم الوكيل

التوطئة

وفيها ثمانية فصول

الفصل الاول

تحديد الصحافة وأشهر مسمّياتها ومواضيعها المختلفة

الصحافة صناعة الصحف . والصحف جمع صحيفة وهي قرطاس مكتوب . والصحافيون القوم ينتسبون اليها ويشتغلون فيها . والمراد الآن بالصحف اوراق مطبوعة تنشر الانباء والعلوم على اختلاف مواضيعها بين الناس في اوقات معينة . فانّ فيها من تواريخ الأُول واخبار الدول وفكاهات الروايات وغرائب الاكتشافات واسعار التجارة وفنون الصناعة وضروب الانتقاد وشؤون الاقتصاد واخلاق الغرباء وعوائد البعداء ما يغني عن التوجه الى بلادهم ومخالطة شعوبهم والوقوف على احوالهم . ولذلك عوّل الفضلاء على انشاء الصحف بحيث اصبح سكان اقاصي المشرق يصل اليهم خبر اقاصي المغرب باقرب حين بعد ان كانت الأنباء تتجاوز الايام العديدة للوصول من مكان لمكان آخر مجاور لهُ . فتأتي مختلفًا فيها لا يكاد الباحث عنها يعلم الحقيقة

واوّل مَن استعمل لفظة « الصحافة » بمعناها الحالي كان الشيخ نجيب الحدّاد[1] منشئ جريدة « لسان العرب » في الاسكندرية وحفيد الشيخ ناصيف اليازجي . واليه يرجع الفضل في اختيارها فقلّدهُ سائر الصحافيين من بعده . وكانت تسمى الصحف في اول عهدها

«١» مجلة سركيس : عدد اول : سنة ثانية

« الوقائع » ومنها جريدة « الوقائع المصرية » كما دعاها به رفاعة بك الطهطاوي ٠ وسُميت ايضاً « غزتة » نسبةً الى قطعة من النقود بهذا الاسم كانت تُباع الصحيفة بها فعُرفت



السيدة لبيبه هاشم
صاحبة مجلة « فتاة الشرق » في القاهرة (١)

كذلك ٠ وقيل ايضاً انَّ اول صحيفة ظهرت في البندقية سنة ١٥٦٦ كانت تسمى « غزتة » فشملت هذه التسمية كل صحيفة بلا استثناء ٠ ولما نشأت الصحافة العربية اُطلقت عليها لفظة غزتة لانَّ هذه الصناعة كانت حديثة العهد عند الناطقين بالضاد ولا اثر لها لدى كتابهم الاقدمين

«١» نشرنا في خلال فصول « التوطئة » رسوم بعض السيدات المحصنات ورجال الفضل الذين مدُّوا لنا يد المساعدة الادبية في مشروعنا هذا كما نوهنا بذلك في الفصلين السادس والسابع من الباب المذكور

ولما انشأ خليل الخوري سنة ١٨٥٨ جريدة «حديقة الاخبار» في بيروت اطلق عليها لفظة «جرنال» وهو كلمة فرنسية معناها «يومي» اي المنسوب الى اليوم للدلالة على الصحف اليومية بينما كانت جريدته اسبوعية . واليك ما كتبه اديب المحقق في نبذة له عنوانها «مباحث في الجرائد» قال :

«ولا مناسبة بين الجرنال وبين الجريدة الا ان يقال انه أُطلق اولاً عَلَى الصحائف اليومية من قبيل تسمية الشيء بما هو عليه . ثمَّ عممه الاصطلاح فعُرِفت به الجرائد يومية كانت او غير يومية»

ثمَّ رأى الكونت رُشَيْد الدحداح اللبناني صاحب جريدة «برجيس باريس» الباريسية سدَّ هذه الثلمة فاختار لفظة «صحيفة» وجرى مجراه اكثر ارباب الصحف في ذاك العهد و بعده . فما كان من احمد فارس الشدياق اللبناني صاحب «الجوائب» في القسطنطينية ومُناظر الكونت رُشَيْد الدحداح في بعض المسائل اللغوية الا انه عقد العزيمة عَلَى استعمال لفظة «جريدة» وهي «الصحف المكتوبة» كما ورد في معجمات اللغة . ومن ذاك الوقت شاع اسم الجريدة لدى جميع الصحافيين بمعناها العصري

ومنهم مَن استعمل غير ذلك من المسميَات كالقس لويس صابونجي السرياني صاحب «النحلة» الذي اتخذ لفظة «نشرة» بمعنى جريدة او مجلة . وهكذا صنع المرسلون الاميركيون اصحاب «النشرة الشهرية» و «النشرة الاسبوعية» في بيروت وغيرهم . ومن تلك المسميات ايضاً «الورقة الخبرية» او «الرسالة الخبرية» وقد استعملتهما جريدة «المبشر» مع اكثر الصحف الدورية في بلاد الجزائر المغربية التابعة لحكومة فرنسا في شمال افريقيا . ومنها «اوراق الحوادث» وهو الاسم الذي اطلقهُ للدلالة عَلَى صحف الاخبار نجيب نادر صوايا منشئ مجلة «كوكب العلم» في القسطنطينية

وكان الصحفيون لا يفرقون اولاً بين الجريدة (Journal) و بين المجلة (revue) في الاستعمال . ومن المعلوم ان الافرنج اطلقوا اسم المجلة (revue) على الصحف الدورية التي تصدر عَلَى شكل الكراسة

فلما تولى الشيخ ابرهيم اليازجي ادارة مجلة «الطبيب» البيروتية سنة ١٨٨٤ بالاشتراك مع الدكتورين بشاره زلزل وخليل بك سعاده اشار باستعمال لفظة «مجلة»[1] وهي صحيفة

«١» «صحيفة فيها الحكمة» كما ورد في القاموس

علمية او دينية او ادبية او انتقادية او تاريخية او ما شاكل تصدر تباعاً في اوقات معينة . فاثبتها بمعناها العصري وتابعته في هذا الاصطلاح جميع المجلات التي صدرت بعدها والتي كانت قبلها . ثم شاعت في جميع الاقطار العربية شيوعاً اجهز على المعنى الاصلي حتى صار مهجوراً بالمرَّة . فلا يتبادر الان الى ذهن المطالع لدى عثوره على لفظة « مجلة » الا الصحيفة الدورية دون سواها . ولا يطلق احد من كتاب العصر هذه التسمية على « صحيفة فيها الحكمة » الاَّ اذا كانت تصدر تباعاً في آونةٍ معينة . ومع ذلك اذا طالعت المعاجم العصرية لا ترى فيها للفظة المذكورة معناها الحالي الشائع بل القديم المهجور[1] . هكذا توفق العرب المولدون الى وضع اسماء لمسميات الصحافة الحديثة . وهو مطلب غير بعيد على اهل هذه اللغة طلبوه باسبابه ودخلوه من ابوابه

وتختلف مواضيع الصحف باختلاف غايات اصحابها ونزعاتهم ومشاربهم . فتارةً تكون دينية وطوراً سياسية وحيناً ادبية . وقس عليها العلمية والفنية والانتقادية والروائية والهزلية والتهذيبية والاخبارية والعمرانية والقضائية والاخلاقية والتاريخية وغيرها . ولكل من هذه التقاسيم الكبرى فروع بل فروع فروع يطول بنا شرحها لكثرتها فنضرب عنها صفحاً . وقد اصاب الدكتور شبلي شميل فيما كتبه بهذا المعنى قال[2] : « الصحف انواع بقدر المواضيع التي تتناولها معارف البشر . وربما قصروها على فرع من علم بل على مبحث من فرع استيفاء للبحث . وساعدهم على ذلك كثرة خاصتهم وحب عامتهم لرفع شأن العلم . . . . بحيث لم تنقصهم في سبيلها النفقات التي هي لحياة الصحف كالغذاء لحياة الابدان . فتكاثر عددها عندهم جداً حتى صارت فوائد العلم بها قريبة المنال عامة العرفان في كل مكان . اذ ليس للعلم وطن يؤثره على وطن »

ولما كانت الصحف تصدر في آجال معلومة فقد سماها الافرنج « الصحف الدورية » او « الصحف الموقوتة » اعني (Presse périodique) لانها تُنشر شهرية او اسبوعية او يومية . بل منها ايضاً ما يصدر مرَّتين في الشهر او الاسبوع او اليوم او غير ذلك من المواعيد

«١» قاموس سعاده : المقدمة «٢» مجلة « الشفا » : المقدّمة : للدكتور شبلي شميل في القاهرة

الفصل الثاني

تعريف الصحافة من اقوال مشاهير الملوك والكتّاب والصحافيين

تحت هذا العنوان نورد ماقاله اعاظم مشاهير الارض وافاضل حملة الاقلام عند اكثر القبائل العربية وغيرها في تعريف الصحافة · وهي مجموعة نفيسة من الاقوال السامية الدالة عَلَى شرف هذه المهنة التي تُحسب بلا مراء اعظم قوة في دولة القلم · فيرى القارىء مرآةً تنعكس فيها افكار ارباب الدين والشرع والسيف والسياسة والعلم والادب بمظهر حسن ترتاح اليه القلوب وتهتدي بنبراسه عقول الكتّاب · وقد اقتطفناها من مصادرها المختلفة بعد البحث الطويل لاننا رأيناها جامعةً بين اللذة والفائدة بل جديرةً بان تدوَّن في بطون التاريخ · فعسى ان يتخذها الصحافيون الصادقون قاعدةً لمصلحتهم التي تعلو على كل مصلحة ويبتروا لسان المتطفلين عَلَى هذه المهنة الجليلة صونًا لكرامتها وخدمةً للحق · وقد سردنا اولاً اقوال مشاهير الارض ثم الحقناها باقوال حملة الاقلام مرتبةً على حروف الهجاء لاسماء اصحابها :

قال البابا لاون الثالث عشر : « الصحف رسالة خالدة »

وقال الامبراطور نابليون الاول : « الصحافة ركن من اعظم الاركان التي تشيد عليها دعائم الحضارة والعمران »

وقال روزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة في اميركا : « ليس المجرم الحقيقي هو من يعتمد القتل او ارتكاب اعظم المعاصي بل هو الذي يملك شيئًا لايكون من اهله بالغش والخداع كالصحافي المقلّد او السياسي المنافق · لان الواجبات الاولية في الصحافي او السياسي هو ان يكونا حاصلين على ثقة الشعب بمجرد القدوة الصالحة في الاعمال والاقوال »

وقال الامير حسين كامل باشا نجل اسمعيل خديو مصر : « ان كل امة متمدنة يجب عليها ان تحترم الصحافة · ونود ان تكون معها يداً في يد لتتعلم منها وتستفيد مما ينشر فيها من الفوائد · الجرائد اكثر من ان تكون مهنة لتعيش اصحابها بل هي اشرف من ذلك ولها فوائد عامة عديدة »

وقال اللرد رزبيري : « يجب ان تكون قاعدة الصحف : كن صادقًا ولا تخف »

وقال تولستوي الفيلسوف الرومي الطائر الصيت : « الجرائد نفير السلام وصوت الامة

وسيف الحق القاطع ومجيرة المظلومين وشكيمة الظالم · فهي تهز عروش القياصرة وتدك معالم الظالمين »

وقال اللورد ملنر احد كبار الساسة الانكليز : « ان الصحافة اجل واعظم حرفة في العالم · وربما استثني من ذلك منصب الوزارة »

وقال فولتير الكاتب الفرنسي الشهير : « الصحافة هي آلة يستحيل كسرها · وستعمل على هدم العالم القديم حتى يتسنى لها ان تنشئ عالماً جديداً »

وقال تشارلس دانا : «ان الذريعة الوحيدة لتعلم الصحافة ان تفترش الصحف وتقتات الحبر»

وقال هنري وترسون : « ان اساس النجاح في الصحافة هو العادات الجيدة والعقل الحاذق والشواعر الصادقة والتهذيب الكامل وبالتالي الثبات»

وقال الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب مجلة « الضياء » في القاهرة : « الجرائد عند كل قوم تُتخذ عنواناً على منزلتهم من العلوم والآداب والاخلاق والعادات · لانها المرآة التي تتجلى فيها صور هذه المعاني كلها وتُمثل بها درجة الكاتب والقارىء جميعاً · لان الكاتب انما يكتب على مكانة علمه وذوقه · وانما يختار من المباحث ما يعلم انه يقع من قارئه موقعاً مقبولاً · والا سقطت جريدته من نفسها فقضي عليها بالاهمال »

وقال الشيخ ابرهيم اليازجي والدكتور بشاره زلزل منشئا مجلة « البيان » في القاهرة : « فهي جليس العالم واستاذ المريد · والموعد الذي يتلاقى فيه المفيد والمستفيد · بل هي خطيب العلم في كل ندوة · وبريده الى كل خلوة · والمشكاة التي تستصبح بها بصائر أولي الالباب · والمنار الذي تأتم به المدارك اذا اشتبهت عليها شواكل الصواب »

وقال احمد الازهري ومصطفى الدمياطي صاحبا مجلة « المنتقد » في القاهرة : « ان نعمة الجرائد على البلدان لا تقلُّ عما تشرَّف به الانسان من نعمة البيان · وان كلَّ بلادٍ توفر حظها من هاته النعمة تكون اسمى وارقى من التي لم تنلْ حظاً بدرك هذه النعمة »

وقال الشيخ احمد حسن طباره منشئ جريدة « الاتحاد العثماني » في بيروت : « الصحافة قوة معنوية عظيمة عرف العالم المتمدن حقيقتها · فأكرم منزلتها ورفع مكانتها وجعلها والوزارة في مرتبة واحدة · فبينما ترى فلاناً صحافياً اذا هو متربع في دست الوزارة او وزيراً اذا هو جالس وراء منضدة الصحافة · وهذا المستر روزفلت رئيس جمهورية اميركا لم يكد يتخلى عن كرسي الرئاسة حتى عين رئيساً لتحرير احدى الجرائد الاميركية ·

على ان هذه القوة هي كسائر القوى التي اودعها الله في هذا المعترك الحيوي . فان وجهتها الى الخير والاصلاح افادت فائدة كلية . وان استعملتها في وجوه الاغراض والشهوات اضرّت ضرراً كبيراً »

وقال احمد نديم صاحب جريدة « النصيحة » بالقاهرة : « الصحافة اليوم تعدُّ القوة الوطنية الكبرى بل هي الجند الباسل الذي يهاجم ويدافع ... غير انه جند سلام لا جند حسام »

وقال ادوار جدي صاحب مجلة « الثريا » في القاهرة : « لا شيء يدلُّ على اخلاق الامة ومكانتها من الهيئة الاجتماعية مثل الجرائد . فهي المنظار الاكبر الذي ترقب فيه حركاتها وسكناتها . بل الصفحة البيضاء التي تُكتب فيه حسناتها وسيئاتها . بل هي رائد الاصلاح ومهب ريح التقدم والفلاح . بل هي كواكب الهدى السيارة . ومطلع شمس التمدن والحضارة . رآها الناس آيةً فهاموا بها وعظموا شانها ورفعوا مقامها . فاصبحت من اعظم اسباب حياتهم الادبية بل من اعظم ما يحتاجون اليه في هذه الحياة »

وقال اديب بك اسحق صاحب جريدة « مصر » في القاهرة : « الجريدة لفظ أُطلق اصطلاحاً على الصحيفة المفردة او الصحائف المصحفة تطبع في اوقات معينة مشتملة على انباء وآراء ومباحث من السياسة او الادب او العلم او منهن جمعاء »

وقال اسعد خالد ونعوم لبكي صاحبا جريدة « الرقيب » في ريودي جانيرو : « والذي يُقال عن اليراع من حيث هو خادم العقل وممثل تصوُّراته بجزئيات الامثلة ومجسم اوهامه اجسام الحقيقة يُقال عن الصحافة تزيعته بالفائدة وشقيقته بحميد العاقبة . فهي المعرض تتعارض به نفيسات نفثاته فمؤثره حميد ومنبوذه احمد . والساحة تعترك فيها صوارم الاقلام فقتيلها راضٍ والقاتل بريء »

وقال الخوري اقتيميوس عفيش وحافظ عبد الملك منشئا « جريدة العالمين » في منتريال باميركا : « يحسب بعضهم ان الصحافة مهنة للاستعطاء . ويعدُّها آخرون من اشرف المهن . انها كالماء يتلوّن بلون الاناء . هي للاستعطاء اذا كان صاحبها مستجدياً . وهي شريفة اذا كان صاحبها شريفاً ... هي كالخطابة الا ان صوتها يرمي الى اقصى . تسيطر على الناس بشيء محسوس ولكنهُ غير محدد ولا معروف ... قد تزول دولة السيف والمدفع

وتلاشى قوة الكهرباء. واما ذلك الفوز وتلك القوة المنبثقان من سماء الفكر والمتجليان على طور الصحافة فلن يزولا »

وقال الآباء اليسوعيون اصحاب جريدة « البشير » في بيروت : « الصحف انما جُعلت لسد منافذ الرذيلة وفتح ابواب الفضيلة »

وقالت الاميرة الكسندرة ملتيادي افيرينوه صاحبة مجلة « انيس الجليس » في الاسكندرية : « الصحافة انما هي مدرسة جوّالة ترود مابين الافهام لتصلحها وتجول مابين المدارك لتهذبها. وان كل منشيء لها انما هو استاذ لكل هوءلاء الناس الذين يقرأونها . وحسبك بهذا تعريفاً لمنزلة العليا التي وصلت اليها والمكان الرفيع الذي بلغتهُ دون سواها من فنون الآداب التي تقدمتها »

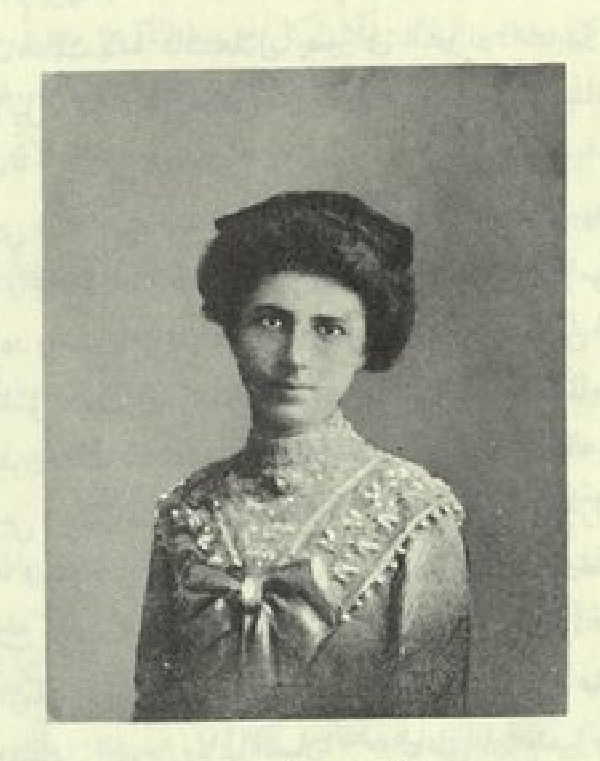
وقال الشيخ اسكندر العازار صاحب امتياز جريدة " صدى البرق " في بيروت : « الجرائد لسان الامة . وهي كالحمامة تجوب البلاد وتحمل الاخبار الى كل قطر »

وقال الياس زياده صاحب جريدة « المحروسة » في القاهرة : « الصحافة دليل ارتقاء الامة فهي عنوان نشاطها و برهان تقدمها. فكما كانت جرائد امة ما راقيةً كانت تلك الامة راقية ايضاً. ومن الثابت الذي لايحتاج الى دليل ان الصحف الساقطة لا يتسنى لها ان تعيش في وسط مرتق وان الجرائد المرتقية لايمكنها ان تحيى وتنشأ في دائرة منحطة »

وقال الاب انستاس الكرملي منشيء مجلة « لغة العرب » في بغداد : « الصحافة هي نتاج العقل والعقل العامل . وحيث لاعقل عامل لاصحافة . نعم قد يكون اصحاب البلد الواحد عقلاء وعلماء واذكياء بدون نشر الصحف والمجلات بين ظهرانيهم . لكن يقال عن هولاء الفضلاء النجباء الالباء ان عقولهم راكدة جامدة هامدة لانشاط فيها بل لاحراك فيها بل ولا حياة فيها . وانما طائر الموت قد نشر جناحيه عليها فاسكت نامتهم واخمد ناشئتهم . والعكس بالعكس اي اذا رأيت امةً عاملة نشيطةً رافعةً علَم العِلم ولواء العمران يخفق عليها حكمت بالضرورة انها ذات صحافة راقية وان اهلها من ابعد الناس امعاناً في الحضارة . وكما ان العاقل العامل قد يكون عاملاً للخير وعاملاً للشر تكون الصحافة ايضاً عاملةً للخير وعاملةً للشر. فهي اذاً من اقوى الوسائل لبث الصلاح بين الامة كما هي من اعمل العوامل لنشر المفاسد بين الصلحاء انفسهم »

وقال انطون الجميل منشىء مجلة « الزهور » في القاهرة :« كان حامل القلم كحامل السيف

في يمين كليهما سلاح ماض ٠٠٠ واصبح حامل القلم في العصر الحديث كالقابض عَلَى الصولجان كلاهما نافذ الكلمة مرعي الجانب · ولكن لا يتم ذلك للكاتب الا اذا فهم حقيقة مهمته



السيدة جان ديريو

المعروفة ايضاً باسم « جمانة رياض » او « فاطمة الزهراء »
منشئة مجلة « الإحياء » في مدينة الجزائر بشمال افريقيا

وادرك شرف مهنته · فاذا لم يكن كل من هزَّ الحسام بضارب فكذلك ليس كل من هزَّ اليراع بكاتب · وابعد حملة الاقلام نفوذاً الان هم الصحافيون بفضل انتشار الصحف واقبال الكبير والصغير عليها · وعليهِ يجب ان تكون الصحافة — كما قال احد كبار المفكرين — شجرة الحقيقة يغرد على افنانها الكتّاب الصادقون »

وقال بشاره عبدالله الخوري منشىء جريدة « البرق » في بيروت : « الصحافة من الامة

آلة الحياة . وامة بدون صحافة لاعين لها فتبصر ولا قلب لها فتشعر .... وعنوان كل امة صحافتها . فانك لتعرف بها قسط كل شعب من الرقي ومبلغه من المدنية . فحيث كانت الصحافة راقية بمادتها فاحكم برقي تلك الامة مادةً وادباً . وحيث كانت الصحافة ضعيفة في الادب والمادة فقل : ان هنالك لامةً ذات هلالٍ يصير الى البدر او ذات بدر يصير الى الهلال »

وقال جبرائيل دلأل الحلبي منشىء جريدة « السلام » في الاستانة : « الجرائد هي مرآة الكائنات »

وقال جرجي باز صاحب مجلة « الحسناء » في بيروت : « الصحافة مهنة كالتجارة والصناعة تتناول الجرائد والمجلات انشاء وتحريراً وادارةً ومراسلةً . وهي فن موءثر في الناس تاثيراً عظيماً . وله قواعد واصول . وقد انشأوا له في اوروبا واميركا مدارس لتعليم طالبيه قواعده واصوله . وهو شاق متعب يجهد العقل ويذيب حبات القلب . ولطالما رجع عنه المقدمون عليه بصفقة المغبون بالنظر لما يقتضيه من وفرة القوى الادبية والمادية »

وقال جرجي زيدان منشىء مجلة « الهلال » في القاهرة : « الجرائد عنوان الحضارة ودليل المدنية . فاذا رسخت قدم جماعة في المدنية كثرت جرائدهم وتعددت مواضيعها »

وقال حبيب كرم صاحب مجلة « الاقباط الكاثوليك » بالقاهرة : « ان عنوان كل امة راقية في هذا الزمان وميزان رقيها هو صحافتها . فللصحافة اذاً شأن عظيم في تقويم الآراء وارشاد الامم وتهذيب النفوس . لانها اللسان الفصيح الناطق باوضح تعبير واعذب مورد واسهل اسلوب وانصع بيان »

وقال حسن لبيب البري صاحب جريدة « سيف العدالة » بالقاهرة : « الصحافة الحقيقية يُراد بها تقويم المعوج واصلاح الفاسد وعلاج المعتل »

وقال خليل البدوي صاحب جريدة « الاحوال » في بيروت : « الجرائد على ما قيل اقلام الحق ولكن اذا صحت مبادئها . والسنة الصدق ولكن ان استقامت غايتها واخلصت للوطن خدمتها . بل هي والحالة هذه لسان الامة ومرآة احوالها ودواء ادوائها ومهماز تمدنها ودليل تقدمها وعماد آدابها . فضلاً عن كونها للمستوحش سميراً انيساً وللاسيف معزّياً وللجاهل استاذاً وللعالم تذكرةً »

وقال داود مجاعص منشئ جريدة « الحرية » في بيروت : « الصحافة حزب للحق تنصره حيث كان . وتنظر الى ما يُقال وما يُفعل لا الى مَن يقول ومن يفعل »

— وقال المحامي داود نقاش في بيروت: « الصحافة للناس كالهواء النقي . فعلى الشعب ان يسعى للانتفاع بها وعلى الحكومة ان تحافظ على كيانها كمحافظتها على الصحة العمومية »

وقال الشيخ سعيد الشرتوني منشىء قاموس « اقرب الموارد » في بيروت: « الجرائد خطباء منبثة في كل وجه من البلاد . فكأن كل جريدة قائمة على منبر في مشهد عام غاص بالخواص والعوام . وليس فيهم الا الصاغي المشتاق الى سماع مائقول ... فالجريدة تسطو على الافكار بقوتين: قوة البرهان وقوة حسن التعبير . فلا سطوة لجريدة لا تجرد سيف الدليل القاطع ولا تظهر بثوب البلاغة الجميل الرائع »

وقال سليم عقاد محرر جريدة « الاحوال » سابقاً في بيروت : « الصحافة مرآة تنعكس فيها آداب كتابها ومبادئهم وكل اناء بما فيه ينضح »

وقال سليم عنحوري مؤسس جريدة « مرآة الشرق » في القاهرة : « الجرائد هي مرآة ابكار افكار . ومجموعات طرف واخبار . ومعارض تحف وآثار . وصحائف تواريخ وقصص الاجيال الغابرة . ومشخصة احوال رجال كل بادية وحاضرة

« أمُّ التمدُّن بنت كل مزيةٍ حسنى ربيَّة كل اصمع فاضلِ

« جرثومة العمران اصل سعادة الا نسانِ مصدرُ كلِّ خيرٍ حاصلِ

« كيف لا وهي لسان حال الامة . ونقَّادة احوال الحكومة . وشكيمة جماح كل ظالم غاشم . ومطلق عنان كل مظلوم عادم . وعصا تأديب كل آمرٍ عسوف . ومأمور بسوء الادارة موصوف . وممهدة اعمال الزراعة والصناعة . ومبينة احوال التجارة والامارة . ورائد الوطن ودليله . وحاديه ورسوله . تجوب السهولَ والاوعار . وتمخر في الانهار والابحار . وتدخل قصور الملوك . وبيوت الصعاليك . وتسترق السمعَ من كل مَن شبَّ . في الشرق والغرب . خائضةً مطامع الحرْب والحرَب . خارقةً صفوفَ ارباب المآدب والطرَب . جائلةً بين طوائف العجمِ وقبائل العرَب »

وقال سليم النقاش صاحب جريدة « العصر الجديد » في الاسكندرية : « المرشد الحرّ الصادق في خدمة الانسانية هو الجرائد وصحف الاخبار اليومية والاسبوعية والشهرية . فهي الآن بين يدي سكان الكرة كالاستاذ تأتي بكل غريبة وتحدث عن كل عجيبة . وهي وان كانت متعددة المنشأ متنوعة الانشاء مختلفة الالسن فلا تخلو واحدة منها من الثمرات والفوائد الجمة »

وقال شبل دموس اللبناني صاحب جريدة « الاصلاح » في نيويورك : « الجريدة مدرسة العالم الكبرى . ومن الواجب ان تُلقي عَلَى طلاّبها العلم الصحيح لينتفعوا به . فان كانت جاهلة أضلّتهم وان كانت عَلَى هدىً قادتهم في منهج الرقي . لذلك يتوجب عَلَى الجريدة ان لا تنشر بين اعمدتها الا كل ما هو محّص بالبرهان السديد »

وقال شكري جرجس انطون صاحب جريدة « العدل » في ريو دي جانيرو : « الصحافة في العالم الراقي موقرة معتبرة وهي قائدة الرأي العام . . . الصحافة في العالم المتمدن قوة تخشاها جنود البر ومدافع البحر . الصحافة في العالم الراقي هي الحاكم وهي المراقب وهي الامة . . . روزفلت بعد ان وصل الى اكبر وظيفة في العالم اي رئاسة جمهورية اميركا الشمالية البلاد الغنية بالمال والرجال والعلم والمعارف لم يرَ احسن من الصحافة مهنةً . اختار روزفلت الصحافة لانها منبر حرّ . اختارها لانها مراقبة على اعمال كبار الارض »

وقال السيد عبد الرحمن الكواكبي صاحب جريدة « الاعتدال » في حلب : « ان موضوع الجرائد هو مطلق خدمة الانسانية من حيث تهذيب الاخلاق وتأليف الافكار ورذل النقائص واحترام الكمالات والمحافظة عَلَى العدالة والمحاماة عن الحقوق . الى غير ذلك من الوظائف العمومية الجليلة التي تجعل الانسان ان يعتبر الجرائد بمقام خادم عمومي ساعٍ بالخير »

وقال عبد الحميد زكي صاحب جريدة « السياسة المصورة » بالقاهرة « الجرائد مدرسة العامة »

وقال السيد عبد القادر الاسكندراني صاحب مجلة « الحقائق » بدمشق : « وُضعت الصحف لتعرف الانسان بما له وما عليه من الواجبات . . . . ونرى انها الدالة على حضارة قومها وترقي آلها . وانها يد البائس وعضد المسكين ولسان الخائف وساعد المظلوم . وانها تاريخ عام للمحسن والمسيء تنتقد للاصلاح وتسير على نهج الفلاح . تصدع بالحق ولو آلمها وتجهر بالصدق ولو جرحها »

وقال عبد القادر حمزه صاحب جريدة « الاهالي » في الاسكندرية : « اذا حوسب كل امرىء على عمله كان حسابه مجملاً لامفصلاً . واذا حوسب الكاتب الصحافي على ما يرقش ويسطر كان حسابه عَلَى كل كلمة من كلماته وتعبير من تعبيراتهِ . لان الكاتب الصحافي

مرشد ومؤرخ وقيم وناصح ومعلم · وبمقدار هذه الصفات الجليلة يحاسبه الجمهور عليها حساباً كبيراً »

وقال السيد علي باش حانبه صاحب جريدة « التونسي » في تونس: « لا مراء ولا فرية في ان الصحف في هذا العهد هي : اعضاد الحكومات · وسواعد الامم · ومطايا الاحزاب · ورسل الأفكار · ونوادي الآراء · ومنابر الانباء · وملتقى القرائح · ومحك النباغة · واسفار التهذيب · ولسان الدفاع · وصدى صوت المظلوم · ونفير الاجتماع · ومدرسة التقدم · ونذير الحروب · وداعية السلام »

وقال فارس دبغي صاحب جريدة « الامازون » في سان باولو : « الصحافة عمل شريف وشرفها صادر عن سمو الغاية · فهي قوام العلم والفضيلة والادب والسياسة · تطرد الضلال وترد الى الهدى · تحوي الحديث العذب المورد · وتنقل الخبر الرائق المجتنى الجزيل النفع · تضرب عَلَى ايدي الطغاة لتقدس حقوق الامة · وتظهر للفرد واجباته نحو وطنه · وتفرض على الشعب المطلب الرفيع وتستنهض الهمم لنشد المجد فتقيلها من ادوار الانحطاط والعسف »

وقال قيصر المعلوف صاحب جريدة « البرازيل » في سان باولو :

« ترى ما الذي ترجو الصحافة خيرهُ   اذا لم يكن ما ترتأيهِ له صدى »
« فهل نفعت خيلٌ بدون فوارسٍ   وهل دفعت سمرُ القنا وحدها العدى »

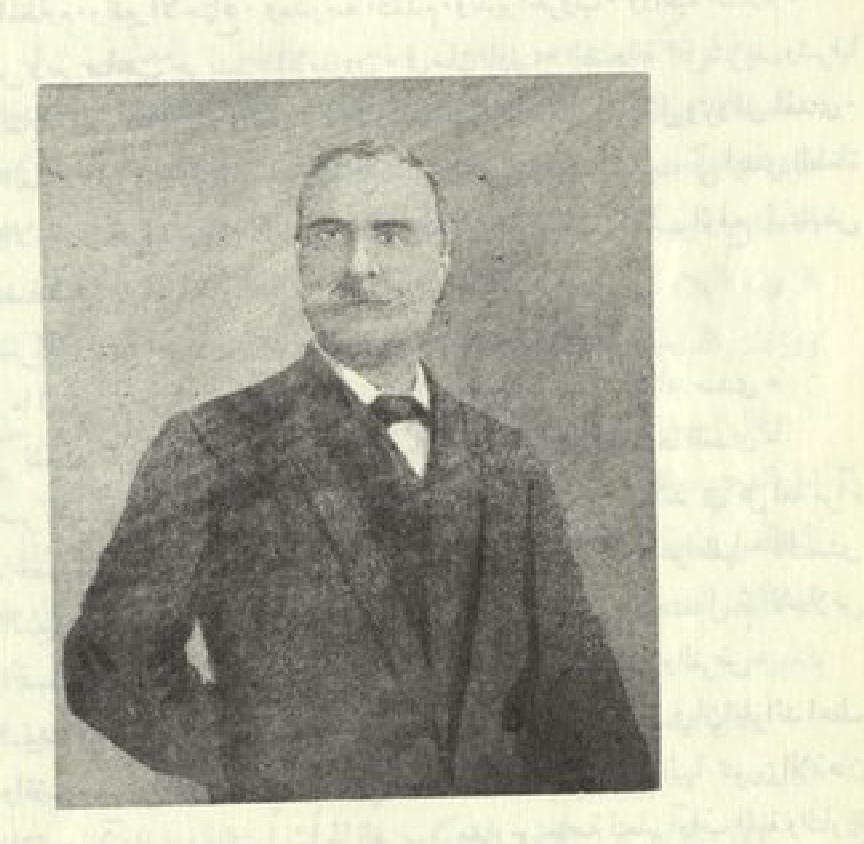
وقال قيصر باشا كرم صاحب جريدة « تركيا » في القاهرة : « الجرائد في كل امة مرآة تمدنها وعنوان حضارتها والوسيط الوحيد بينها وبين الهيئة الحاكمة وترجمان عواطفها · فالتصدر لانشائها وعر السبيل صعب المنال وعَلَى صاحبه فروض كثيرة: اولها الصدق والاعتدال ثم الاخلاص في النصيحة والتمسك بالوطنية التامة مع ميل عن كل ماتشتم منهُ رائحة التمليق والغرض »

وقالت السيدة لبيبه هاشم صاحبة مجلة « فتاة الشرق » بالقاهرة : « لا ريب في ان الجرائد اعظم مهذب للامة وافضل مقياس لدرجة ارتقائها · فهي المدرسة الثانية التي يوكل اليها تنوير الاذهان واصلاح الاخلاق والآداب · ولذلك انشأ لها الغربيون مدارس خاصة لتعليم آداب اللغة والتاريخ والفلسفة الى غير ذلك مما يلزم الصحافي لترويج بضاعتهِ وافادة قرائهِ · فارتقى بذلك شان الصحافة وسمت منزلة اصحابها ادبياً ومادياً »

وقال لطفي بك عيروط صاحب جريدة « المنعم » في القاهرة : « الجرائد هي مدرسة الشعب الكبرى التي تعلمهُ شرف المبدا والاخلاق الحسنة والعوائد القويمة والآداب الاجتماعية · وتوقفه على مجريات احوال الامم النائية من سعادة وشقاء وارتقاء وهبوط · ويقرأ الانسان فيها مايطرأ من الحوادث المهمة في داخلية البلاد وخارجيتها ليكون عَلَى بينة من امره وقومه · ليتمكن ان يهيء لنفسه المقام الاول من الثروة والسؤدد والملك والتقدم في العلوم والصنائع »

وقال الاب لويس شيخو اليسوعي صاحب مجلة « المشرق » في بيروت : « انها لشريفة مهنة

الصحافة ورتبة الكتابة في الهيئة الاجتماعية · اذ يجرد الكاتب قلمه لخدمة كل مشروع صالح وكل مسعى حميد من شانه ترقية الخير العام ورفع شان الوطن · غير ان هذا القلم اشبه بسيف ذي حدين اذا وقع في ايدي الجهال ولعبت بنصله الاغرار · فربما كان آفةً وبيلةً وآلةً مشئومة يجرح بها اللاعب نفسه ويضر بغيره »



هنري غليلردو

واضع اساس تاريخ الصحافة العربية

وقال السيد محمد الجعايبي منشئ جريدة « الصواب » في تونس : « للصحافة مقام رفيع بين الام الراقية · لانها تعتبرها ترجمان افكارها ورائد مقاصدها والمنبه الوحيد للحكومات اذا زلّت اقدام ساستها او تنكبوا عن طريق العدالة والمساواة · فهي كما قال بعضهم: صديق لا يراوغ ونصوح لا يبخل باسداء النصيحة ومعاتب لا يملّ العتاب · ولئن كانت لها سيئات فلها من حسناتها الف شفيع كما قال مسيو كبون سفير فرنسا بلندره »

وقال محمد سامي صادق صاحب جريدة « الوجدان » في طرابلس الشام : « الصحافة عامل قويٌّ في تهذيب الامة والنهوض بهـا من قرارة الفساد والجهل . ولكن بشرط ان يكتبوا باقلام لا يحاولون فيها اتجاراً بوطن وشعب . بل الغاية التي يرمون اليها هي الخدمة الصادقة التي ينجم عنها إحتقار المصلحة الخاصة حيال الصالح العام »

وقال محمد الشريف ابن الشيخ المنوبي التجاني صاحب جريدة « خطيب العالم » في تونس : « الصحافة هي العمل الذي تهابه السلاطين ويخضع له كل جبار في العالمين »

وقال السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني منشىء مجلة « العلم » في النجف : « أليست هي (الصحافة) للامة عيناً مراقباً ولساناً ناطقاً وخطيباً صادقاً ودرعاً واقياً ومعلماً هادياً ومؤدباً ناصحاً وصراطاً واضحاً ؟ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . لا تحمي في الباطل حمياً ولا تهضم في الحق خصياً . وكل صحيفة اخطأت هذا الصراط فعلى الامة تاديبها ولو بالسياط »

وقال محمد غانم بالقاهرة : « الصحف هي ملك للجمهور . فصاحب الجريدة لا يملك منها سوى الحبر والورق وما يحصله من قيمة الاشتراك . وهذه اشياء لا تتعلق بجوهر الصحافة التي ما وجدت الا لتؤدي وظيفة الخدمة العامة للامة »

وقال محمود بك حسيب صاحب « مجلة المجلات العربية » في القاهرة : « الصحافة كما لا يخفى هي لسان حال الامة وترجمانها لدى حكومتها . والمشكاة التي تبدد ظلمات الجهل بنور الآداب . والمورد العذب الذي يرتشف منه الادباء ماء العلوم على اهون سبيل . بل هي المربي الذي يثقف عقول ابناء الوطن ويرشدهم الى سبل المجد ورفعة الشان . والجنة الدانية القطوف فيجني الناس منها ثمار الآداب وفواكه العرفان »

وقال محمود الشاذلي منشىء مجلة « الصيحة » في طنطا : « الجرائد في كل الامم هي القائدة الى مواطن الحكم . وهي المرشدة الى الصواب . المنبهة باجتناب ما يُعاب . وهي الناقلة لاخبار من مضى والممثلة لاعمال من حضر . الداعية الى ما يجلب الخير الناهية عن جانب الضرر . الناطقة بثناء العادلين . الخافضة بمقام الظالمين . وما من امة كثرت فيها الجرائد وراج سوقها الا وكان لها القدح المعلى في المدنية والقسط الاوفى من الآداب والنصيب الاعظم من العلم والعرفان »

وقال محمود كامل كاشف صاحب مجلة « الاخاء » في طوخ قليوبية بمصر : « الصحافة في الغرب حكومة عاملة في قلب حكومة عاملة »

وقال مصطفى راغب توكل صاحب جريدة « الاصلاح الحجازي » في جده : « الجرائد وُجدت لتهذيب الشعب ومساعدته في حياته الاجتماعية والعمرانية .... ان مهنة الصحافي من اشرف

المهن · وعليه ان يكون صبوراً حكيماً متحملاً لكل انواع الصعوبات التي تقوم في وجهه ومخلصاً نحو قرائه وساعياً لخيرهم من كل الوجوه »

وقال الامير نسيب محمود شهاب احد اصحاب مجلة « العريس » في حمص : « الجرائد هي قادة الافكار وترجمان الامة والمثقفة الحكيمة · تكرس ايامها لفائدة قرائها وتعرض ذاتها لانتقام بعض الناس رغبةً في الاصلاح · تبشُّ تارةً وتعبس أُخرى · تضرب طوراً بمنديل من حرير وطوراً بعصاً من حديد حسب مقتضى الحال والزمان · بواسطتها تُعرف اخلاق البلاد وعادات السكان ودرجة رقيهم الصحيح ومركزهم الحقيقي من التمدن والآداب · فمتى ارتقت الجرائد في دولة فبشّر الانسان بارتقاء تلك الامة »

وقال نسيم ملول صاحب جريدة « السلام » في القاهرة : « الجرائد هي عامل من عوامل الاصلاح والرقي وقوة لا يُستهان بها · تجمع ما بين القلوب المتنافرة وتصلح معوج الامة · وهي اس النجاح واليد القوية في احياء الشعوب »

وقال نعيم صوايا صاحب مجلة « الحقيقة » في الاسكندرية : « الصحافة مجلى عمران الامة · ومجرى سوابق افكارها ومرآة اخلاقها وعاداتها · فهي طائرها الغرد ومرشدها الحكيم ودليلها الامين · بل هي من الامة بمثابة المرضع من الطفل تغذوه بلبانها وترأمه بحنانها وتغذيه بروحها · ولا تدع سبيلاً لمرضاته الا نهجته مسوقة اليهِ بحادي الحب والحنو · وهما منها في الغاية القصوى والذروة التي لا يبلغها متناول »

وقال ولي الدين بك يكن مولف كتاب « المعلوم والمجهول » في القاهرة : « الجرائد هي السن العقلاء تنطقها الحكمة ولا يستميلها الهوى · وان الواجب عليها ان تقود لا ان تُقاد »

الفصل الثالث

مؤرّخو الصحافة العربية

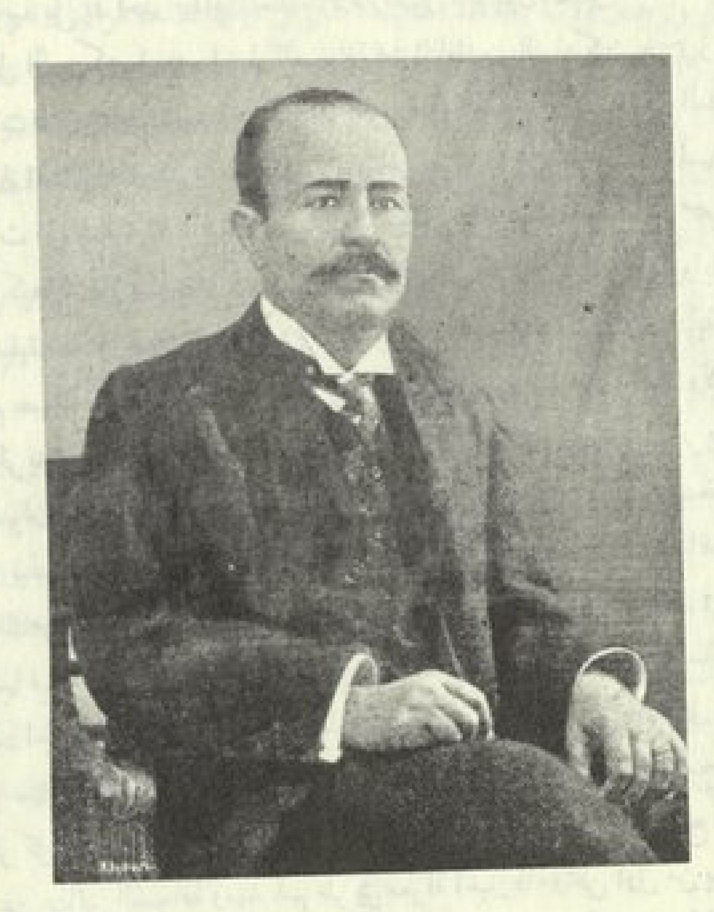
(١) لما كانت الصحافة العربية حديثة العهد لم يقم احد بين الكتبة بتحري البحث عن تاريخها سوى في الآونة المتاخرة · واول مَن شمّر عن ساعد الجد لطرق هذا الباب كان هنري غليارد و قنصل فرنسا سابقًا في حيفا ونزيل بيروت حالاً · فانه اثناء وجوده في منصب ترجمان لقنصلية دولته في القاهرة سنة ١٨٨٤ وضع تقريراً مسهباً في اللغة الفرنسية يتضمن تاريخ الصحف العربية التي كانت تُنشر حينئذ في وادي النيل · ثم اضاف الى اخبار كل جريدة ترجمة صاحبها وامياله السياسية

واغراضهُ الذاتية . ولهذا التقرير نسختان مخطوطتان احداهما في خزائن الوزارة الخارجية في باريز والثانية في الوكالة الافرنسية بعاصمة الخديوية المصرية . هكذا أُتيح لامة الفرنسيس ان يكون السبق لاحد ابنائها في وضع زاوية البنيان لتاريخ الصحافة العربية . كما أُتيح لها ان يكون تاسيس باكورة الصحف العربية عَلَى يد احد ابطالها العظام الامبراطور نابوليون الكبير

(٢) اما اول الذين كتبوا بعده اخبار الصحافة من الناطقين بالضاد كان جرجي زيدان الذي انشأ مقالة ذات ثماني صفحات سماها « الجرائد العربية في العالم » ثم نشرها في العدد الاول للسنة الاولى من مجلة الهلال . وبعد ما تكلم باختصار عن هذا الموضوع سرد اسماء الجرائد والمجلات التي ظهرت الى سنة ١٨٩٢ فبلغ مجموعها على روايتهِ مائةً وسبعاً واربعين صحيفة . ولولا حرصه عَلَى احياء ذكرها لدخل كثيرٌ منها في خبر كان وطمس عليها الزمان وباتت في زوايا النسيان . غير انه مع شدة تدقيقه فاتته اسماء صحف شتى اما سهواً واما لعدم وقوفه عليها لقلة عناية الشرقيين قبله وعدم اهتمامهم بصيانة آثار الاقدمين . وذكر بعض جرائد لم نعرف لها اسماً ولا رسماً بين الصحف العربية كجريدة « تلمسان » في مدينة تلمسان من اعمال الجزائر . وانما توجد جريدة فرنسية لا عربية بهذا العنوان كما افادنا اكثر من واحد من علماء تلمسان الخبيرين ولدينا نسخة منها . ثم الّف سنة ١٩١٠ نبذةً اخرى اوسع من الاولى عنوانها « تاريخ النهضة الصحافية في اللغة العربية » وطبعها في الجزء الثامن للسنة الثامنة عشرة من مجلتهِ المذكورة . وهنا اسهب الكاتب في البحث عن هذا الموضوع لاسيما فيما يتعلق بالصحافة المصرية التي نالت المقام الاعلى بين رصيفاتها في سائر الاقطار . وقد روى ان عدد الجرائد العربيـة التي صدرت في العالم من اول عهد الصحافة الى ظهور المقالة المذكورة بلغ نحو ستمائة صحيفة . والحال انها تبلغ اكثر من ضعفي هذا العدد كما يتضح من جدول الصحف في آخر كل جزء من هذا الكتاب . فكفى منشئ الهلال فخراً انـه فتح السبيل لغيره لاجل التفتيش عن عتائق الصحافة ومهّد لهم طريق معرفة اخبارها . ونحن اول من يعترف بفضله الواسع ويثني على حماستهِ العظيمة لاعلاء شان الادب وخدمة لسان العرب كما سنبينهُ في المجلد الثاني من هذا الكتاب

(٣) وفي ١٣ ادار ١٨٩٣ نشر محمد كامل البحيري في العدد الاول من جريدته « طرابلس » نبذة ذات ثلاثة اعمدة ونيف سرد فيها تاريخ نشأة الجرائد وفوائدها وعددها في العالم . فلما اتى عَلَى ذكر الصحف العربية منها جعل « حديقة الاخبار » في بيروت وجريدة « الرائد التونسي » في تونس اقدمهما عهداً . مع ان الاولى تُحسب ثامنة الجرائد والاخرى تعد الثانية عشرة بالنسبة الى عدد الصحف التي انشئت قبل كليهما وهي : اولاً « الحوادث اليومية » — ثانياً « الوقائع المصرية » — ثالثاً « المبشر » — رابعاً « مجموع فوائد » — خامساً « اعمال الجمعية السورية » — سادساً « مرآة

الاحوال » — سابعاً « السلطنة » — ثامناً « حديقة الاخبار » — تاسعاً « عطارد » — عاشراً « برجيس باريس » — حادي عشر « الجوائب » — ثاني عشر « الرائد التونسي » ٠ ثم روى ان



جرجي زيدان

اوَّل من كتب في تاريخ الصحافة العربية بين الناطقين بالضاد

عدد الجرائد العربية التي صدرت الى التاريخ المذكور يقارب الاربعين ٠ والحال انه اكثر من ذلك باضعاف بحيث كان يناهز المائتين بكل تأكيد

(٤) ونشر عبد الله الانصاري استاذ اللغة العربية في دار العلوم الخديوية بالقاهرة سنة ١٣١٢ هجرية (١٨٩٣) كتاب « جامع التصانيف المصرية الحديثة من سنة ١٣٠١ الى سنة ١٣١٠ هجرية » في ٧٦ صفحة ٠ فخصص منها تسع صفحات للصحف العربية التي نشأت في المدة المذكورة

كما اورد المستعرب مرتين هرتمان في كتابه « The Arabic Press of Egypt » الذي سيأتي ذكره · غير اننا لم نطلع على كتاب الانصاري لنبدي راينا فيه

(٥) وفي فاتحة سنة ١٨٩٥ اصدر نجيب غرغور في الاسكندرية مجلة « العام الجديد » مستتراً تحت اسم « حاجب فضلي » وضمنها تاريخ اهم الجرائد المصرية مع تراجم اصحابها ورسومهم في احدى عشرة صفحة · فجاء عمله المفيد فريداً بل مبتكراً في بابه · ثم كتب في ٢ كانون الثاني ١٩١٠ مقالةً ذات اثني عشرة عموداً عنوانها « الصحافة في ثلاثين عاماً » ونشرها على صفحات جريدة « الاتحاد المصري » بمناسبة دخولها في السنة الثلاثين من عمرها · وقد اورد فيها اخبار اهم الصحف التي برزت في مدينة الاسكندرية في الحقبة المذكورة · ثم ختمها بسرد اسماء الصحف التي انشاها باسمه او باسم مستعار او بالاشتراك مع غيره · وقد بلغ عددها تسع صحف بين جريدة ومجلة

(٦) وفي السنة ذاتها عوَّل دِمتري نقولا الدمشقي صاحب مجلة « الفكاهة » سابقاً في القاهرة على وضع تاريخ الصحافة · فاعتنى اولاً بجمع آثار الصحف العربية التي صدرت منذ نشأتها الى ذاك التاريخ تمهيداً للمشروع المذكور · فتوفق باجتهاده للحصول على اكثر الصحف القديمة والحديثة من اطراف الشرق والغرب · وما كاد يباشر العمل حتى اضطر الى تركه لموانع خاصة · فكان ذلك داعياً لاسف الادباء الذين يعهدون بالعالم المشار اليه مقدرةً وكفاءةً لمثل هذا العمل الخطير

(٧) وفي السنة التابعة ظهر اعلان بتوقيع حكمت شريف باشكاتب المجلس البلدي في طرابلس الشام سابقاً ومنشئ جريدة « الرغائب » حالاً ينبئ بانهُ باشر تاليف كتاب « الخرائد في الجرائد » خدمةً للآداب العربية وللهيئة الاجتماعية · وكان في نيته ان يجمع اسماء الصحف العربية والتركية والفارسية على ترتيب حروف المعجم · وقد كتب لنا انه ضرب صفحاً عن متابعة العمل لما كان يحول دون ذلك من المصاعب الجمة في عهد الاستبداد الحميدي

(٨) وسنة ١٨٩٩ نشر الدكتور مرتين هرتمان استاذ اللغات الشرقية والآداب الاسلامية في برلين كتاباً سماه « The Arabic Press of Egypt » في اللغة الانكليزية · وضمنهُ تاريخ الصحافة المصرية حتى السنة المذكورة في ٩٤ صفحة بدقة يُشكر عليها · فبلغ عدد الصحف التي وصفها ١٦٨ بين جريدة ومجلة قد استند في اكثرها الى ما وقف عليه من المجاميع المحفوظة في دار الكتب الخديوية · ولذلك فانهُ ذكر جانب كبير من الصحف التي لا اثر لها في المكتبة المشار اليها كما هو معلوم ولا في غيرها · وهذا النقص لا يقلل شيئاً من قدر الكتاب ولا يحط من منزلة مؤلفه · وقد انتقدهُ جرجي زيدان في مجلة « الهلال » مبيناً ما فيه من الحسنات والسيئات بما لا يوصف من العدل

(٩) وبتاريخ ٢٦ حزيران ١٨٩٧ نشر ميخائيل بن انطون صقال الحلبي في مجلة « الاجيال » بالقاهرة مقالةً ذات اربع صفحات ضمنها وصف « الصحافة في القطر المصري » لذاك العهد بكل

اختصار . ثم الحقها بجدول يحتوي عَلَى اسماء الجرائد والمجلات وقسمها بحسب مواضيعها فبلغ عددها ٤٩ صحيفة . ورغماً من كثرة اجتهاده فقد فاته ذكر بعض الجرائد إما سهواً واما لعدم وقوفهِ عليها . واخطأ في تاريخ ظهور بعض الصحف كجريدة « الرائد المصري » التي جعل تاسيسها سنة ١٨٩٧ بدلاً من سنة ١٨٩٦ والمؤيد سنة ١٨٩٠ بدلاً من ١٨٨٩ والوطن سنة ١٨٧٨ بدلاً من ١٨٧٧ والمحروسة سنة ١٨٧٧ بدلاً من ١٨٨٠ والمقتطف سنة ١٨٧٧ بدلاً من ١٨٧٦ والفلاح سنة ١٨٨٨ بدلاً من ١٨٨٥ والفردوس سنة ١٨٩٨ بدلاً من ١٨٩٦ والتوفيق سنة ١٨٩٦ بدلاً من ١٨٩٧

(١٠) وقام بعده المستشرق الفرنسي اكليمنت هوار (Clément Huart) ونشر سنة ١٩٠٢ كتاباً سماه « Littérature Arabe » واودعه فصلاً عن تاريخ الصحافة العربية عموماً في سبع صفحات . فاصاب المرمى في جميع مباحثه كرجل عاش بيننا واختبر احوالنا ووقف عَلَى اسرار لغتنا وآدابنا

(١١) وفي السنة ذاتها ظهر في مدينة سان باولو من اعمال البرازيل كتاب « التحفة العامية » بقلم شكري الخوري صاحب جريدة ابو الهول المستتر تحت اسم (زيد) كما يتضح من الكتابة المطبوعة في اسفل رسم المولف . وفي آخره نبذة عنوانها (جرائدنا في البرازيل) تتضمن اخبار الصحف التي ظهرت في هذه البلاد من عام ١٨٩٦ مع اسماء اصحابها ومحرريها ورسومهم . وهي عبارة عن اثني عشرة صفحة بقطع صغير

(١٢) وللمستعرب الفرنسي السيد ميرنت (Mirante) مدير جريدة (المبشر) الجزائرية نبذة عنوانها (La Presse Périodique Arabe) نشرها سنة ١٩٠٥ في الجزء الثالث من كتاب « Actes du XIVe Congrès International des Orientalistes » . الا اننا لم نتوفق للوقوف عليهِ

(١٣) وللاب لويس شيخو اليسوعي منشئ مجلة « المشرق » كلام مفيد عن الصحافة وعن تاريخ اشهر الصحافيين في كتابه المسمى « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » حيث روى اموراً متفرقة لم يروِها الذين سبقوه في هذا المضمار . غير ان مباحثه لا تتناول موضوع الصحافة بوجهٍ خاص بل تشمل الكلام عن الآداب والادباء بين الناطقين بالضاد في جميع البلاد

(١٤) وفي ١٠ كانون الثاني ١٩٠٧ كتب محمد صادق المحمودي في جريدته « المعارف » الصادرة بتونس لمعةً ذات ستة اعمدة عنوانها « تاريخ الجرائد » تتضمن مختصر اخبار الصحافة لا سيما التونسية منها . فجاءت روايتهُ طبق المرام الا في بعض امور تافهة كنسبته جريدة « المقطم » الى القبط مع ان اصحابها سوريون . ومنها ايضاً قوله ان الشيخ سليمان الحرائري اصدر جريدة

« برجيس باريس » بينا ان مؤسسها كان الكونت رشيد الدحداح اللبناني الذي تركها للشيخ سليان وغير ذلك من الاغلاط

(١٥) ونشر L. Bouvat سنة ١٩٠٧ في مجلة (Revue du Monde Musulman) المطبوعة في باريز مقالةً عنوانها « الصحافة العربية التونسية » في ست صفحات . فاتى فيها على وصف الجرائد التي صدرت في امارة تونس وتاريخها وبيان خطتها . غير انهُ اهمل ذكر جانب كبير منها كجريدة « المنتظر » و« سبيل الرشاد » و«لسان الحق » و « القلم » و« حبيب الامة » و « ترويح النفوس »

(١٦) ثم نشر (L. Mercier) في المجلة ذاتها بتاريخ شهر ادار ١٩٠٨ مقالة فرنسية عن « الصحافة الاسلامية في مراكش » في ١٢ صفحة . فذكر انها كانت حديثة العهد في السلطنة المشار اليها جاعلاً جريدة « لسان المغرب » لمنشئها فرج الله نمور سنة ١٩٠٧ باكورة الصحف العربية في تلك البلاد . ومن المعلوم انه ظهر في مراكش قبل العهد المذكور اكثر من جريدة واشهرها « المغرب » عام ١٨٨٨ لصاحبيها عيسى فرح وسليم كسباني اللبنانيين ثم « الاستقصا في المغرب الاقصى » سنة ١٩٠٠ لمحررها ابرهيم يزبك اللبناني ايضاً . ومنها جريدة « السعادة » سنة ١٩٠٥ وجريدة « الصباح » عام ١٩٠٦ لمحررها وديع كرم اللبناني

(١٧) وفي ٣٠ حزيران ١٩٠٩ أنشأ جرجي باز مقالةً عنوانها « المجلات النسائية العربية » نُشرت في مجلته « الحسناء » في ثلاث صفحات ونيف . فذكر منها اربع عشرة مجلة طبعت باسرها في القاهرة والاسكندرية ما عدا مجلته المذكورة التي ظهرت في بيروت . لكن فاته التنويه ببعض مجلات نذكر منها : اولاً « الفردوس » لصاحبتها لويزا حبالين في القاهرة . والثانية « البرنسيس » لمنشئتها قطنت هانم في المنصورة . والثالثة « الزهرة » لصاحبتها مريم سعد في الاسكندرية . والرابعة « مجلة ترقية المرأة » لمنشئتها فاطمة راشد في القاهرة . والخامسة « المودة » لسليم خليل فرح بالاسكندرية . ولجرجي باز مقالة أُخرى ذات ثماني صفحات عنوانها « الصحف والصحافيون » نشرها بتاريخ ٤ كانون الثاني ١٩٠٤ في مجلة « المحبة » البيروتية . وقد أُلمع فيها الى آداب الصحافة وتاريخها في العالم بعبارة شائقة تدل على ذكاء منشئها ودقة مباحثه ورسوخ قدمه في صناعة التحرير . غير انهُ جعل صدور « الوقائع المصرية » عام ١٨٣٠ بدلاً من ١٨٢٨ ومثلها « حديقة الاخبار » عام ١٨٥٧ بدلاً من ١٨٥٨

(١٨) ومنذ ٣١ ادار ١٩١٠ اخذ عيسى اسكندر المعلوف ينشر في مجلة « النعمة » التي تصدرها بطريركية الروم الارثوذكس في دمشق مقالات متتابعة عن « الصحافة العربية » على الاطلاق . ومن مميزات مباحثه انه بين ما كانت عليه الصحافة في دورها الاول من الركاكة في التعبير وما آلت اليه الآن من بلاغة الكلام والمعاني . ثم اورد على ذلك امثلة شتى و براهين دامغة تشير

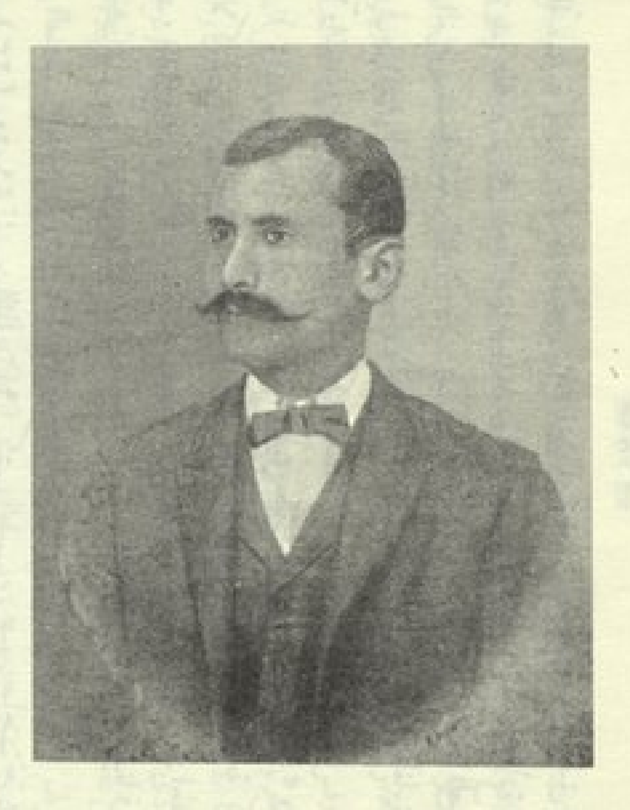
الى ما عاناه من شدة التنقيب في مباحثه الصحافية . وقد اجاد غاية الاجادة فيما كتبه عن الدورين الاول والثاني بحيث انه اسهب في هذا الموضوع اكثر من جميع المؤرخين الذين سبقوه . ولما كان البحث في تاريخ الصحافة العربية من اصعب المباحث لخلوها من المصادر الموثوق بها فلا عجب اذا فات صديقنا عيسى افندي بعض حقائق نستأذنه بالاشارة اليها . وربك فوق كل ذي علم عليم

فلقد راينا في ابحاثهِ المفيدة انه اهمل ذكر كثير من الصحف كجريدة « المبشر » المطبوعة في الجزائر وهي ثالثة الجرائد العربية في قدمة العهد . ونسب جريدة « ابو الهول » في باريز سنة ١٨٨١ للدكتور لويس صابونجي وهي ليست له كما افادنا الدكتور المشار اليهِ . ثم جعل جريدتي « المخبر » و « البستان » بين صحف الجزائر بدلاً من تونس ولم يُشِر الى انهما كانتا تُطبعان بالحرف العبراني . ولما تشرفنا بزيارته سنة ١٩١١ في منزله بمدينة زحلة ألفتنا نظره الى هذا السهو لاجل اصلاحه في طبعة اخرى . واحصى « العَلَم المصري » و « المنتقد » و « اليانصيب » و « الارغول » وغيرها بين الجرائد المصرية في الدور الثالث مع انها مجلات . واخطأ في تاريخ ظهور صحف شتى بحيث انه قدّم او أخّر بعضها على بعض كما يتضح بالمقابلة بين الجداول التي نشرها وبين الجداول التي نشرناها في هذا المجلد او سننشرها في الاجزاء التالية . انما كل ذلك لا يشوه على الاطلاق ما بذله من الدقة في التفتيش عن تاريخ الصحافة التي خدمها بكل امانة قولاً وعملاً . ولعيسى افندي مقالة نشرها في مجلة « الزهور » المطبوعة في القاهرة (سنة ١ عدد ٩ صفحة ٣٧٦) وذكر فيها ان عدد الجرائد العربية بلغ ثمانمائة صحيفة . مع انها كانت في ذلك العهد (اي سنة ١٩١١) لاتقل عن الف وار بعمائة صحيفة اكثرها موجود عندنا وتحت يدنا

(١٩) وبتاريخ ٢٥ و ٢٧ تشرين الاول ١٩١٠ نشرت جريدة « العَلَم » في القاهرة خطبةً عنوانها « مركز الصحافة في مصر والادوار التي تعاقبت عليها في عهد الاحتلال الانكليزي » في اثني عشر عموداً . وهذه الخطبة القاها المحامي عبد الرحمن الرافعي في احدى جلسات المؤتمر الوطني الذي عقده احرار مصر سنة ١٩١٠ في مدينة بروكسل . وتتناول هذه الخطبة اخبار الصحافة المصرية بعد الاحتلال المذكور مع كل ماطرأ عليها من التقييد او الحرية باسلوب حسن واسهاب كامل . لكنَّ لهجته لاتخلو من المغالاة في ذم المحتلين

(٢٠) وفي شهر كانون الثاني ١٩١١ نشر السيد البشير الفورتي صاحب جريدة « التقدم » في تونس مقالة عن « تاريخ الصحافة التونسية » على صفحات جريدة « الهدى » النيويوركية . وهي ضافية الذيول كثيرة الفوائد كما افادنا السيد محمد الجعايبي التونسي . ولكننا لم نقف عليها لنقوم بوصفها رغماً مما بذلناه من السعي في هذا السبيل

(٢١) **وفي غرة شباط ١٩١١ نشر الاب انسطاس الكرملي في مجلة « المسرة » اللبنانية**



رزوق عيسى

منشئ مجلة «العلوم» في بغداد



ديمتري نقولا

صاحب مجلة «الفكاهة» سابقاً في القاهرة

مقالةً مسهبةً تقع في ٣٨ صفحة عن « صحافة بغداد » فوصفها وصفاً صحيحاً لم تبق بعده زيادة لمستزيد . فانه ذكر كل واحدة منها مبيناً ما فيها من الحسنات والسيئات بعين نقادة ونفس مجرَّدة عن الغرض خدمةً للغة والتاريخ . ولا ريب في ان ادباء الزوراء يشكرون له هذا الصنيع . ويسعون في رقي جرائدهم التي اكثرها لا يعود بالافتخار عَلَى مدينتهم التي كانت في القرون الغابرة مهداً للمعارف والآداب العربية على عهد الخلفاء العباسيين

(٢٢) وفي ٧ شباط للسنة ذاتها وضع توفيق حبيب صاحب مجلة « فرعون » ومنشىء جريدة « الاكسبرس » في القاهرة مقالة عنوانها « الصحافة القبطية » تقع في ١٤ صفحة كبرى مخطوطة باليد . فاجاد وافاد في ما كتبه عن صحف طائفته بلا محاباة ولا تحيز . لانه اورد الحقيقة على علاتها مستهجناً ما رآه في الصحف مما يستحق الذم ومستحسناً منها ما يوافق المدح . وقد اعتمدنا في اكثر ما قلناه عن الصحف القبطية عَلَى رواية هذا الكاتب المنصف المدقق

(٢٣) وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٢ كتب الطيب بن عيسى صاحب جريدة « المشير » بتونس نبذة في « تاريخ الصحافة التونسية » اجابةً لطلبنا . وهي ذات تسع صفحات تتضمن اخبار الصحف التي ظهرت في القطر المذكور باختصار وصدق ونزاهة وتدقيق . وقد ذكرها قاطبةً وما فاته منها سوى الجرائد العربية المطبوعة بحرف عبراني

هذا ما امكننا الاطلاع عليه من الكتابات المتعلقة باخبار صحافتنا سواء كانت من قلم ابناء اللسان العربي او الاجانب . وقد حملنا داعي البحث عَلَى ابداء رأينا الضعيف في كل من الكتابات المذكورة توصلاً لتحقيقة لا تنكيتاً باصحابها الاجلاء الذين سبقونا في هذا الميدان الوعر . وحاشا لنا ان نقصد في هذا العمل مسَّ حاساتهم او الخفض من قدرهم لاننا نعتقد فيهم صلاح النية والتجرد عن كل غاية في خدمة هذا الفن الشريف . وليس من منكر ما لهم من المساعي المشكورة في سبيل تعزيز شان الصحافة التي تُحدِث بفضلهم وترفع لواء الثناء عَلَى منزلتهم الرفيعة في عالم الآداب

الفصل الرابع

وجوه تسمية الصحف الدورية لدى العرب

لما ظهرت الصحافة العربية كان اكثر اسمائها مبتكراً لان الكتَّاب تبعوا فيها اصطلاحات اللغة وذوق اهل العصر . فلقبوا الصحف باسماء تطيب معانيها وتروق الفاظها كقولهم : حديقة الاخبار ومرآة الاحوال ونزهة الافكار وغيرها . ثم توسعوا شيئاً فشيئاً بحيث حذوا حذو الغربيين في مسميات

الجرائد والمجلات فعرّبوها واطلقوها على صحفنا . هكذا درج عندنا كما درج عند الافرنج اسماء الزمان والوقت والصباح والفجر والايام والحضارة والمدنيـة والعمران والترقي والتقدم والنجاح والتمدن والنهضة والاصلاح . وتبعوهم ايضاً في اسماء المدن كالقاهرة والاسكندرية وطنطا وحلوان والفيوم والخرطوم والقدس وبيروت ودمشق وحمص وطرابلس واللاذقية والموصل وبغداد والبصرة وباريس ودير القمر . وقس عليها اسماء الدول كتركيا ومصر وتونس وزنجبار والبرازيل وصدى المكسيك . او اسماء الاقاليم والولايات كسورية والحجاز وفلسطين وبين النهرين والسودان وطرابلس الغرب

ومن هذا القبيل اسماء البحار والانهار والينابيع كالمحيط والكوثر والفرات والامازون والنيل والبردوني وبردى ونهر العاصي والشاغور . ومثلها اسماء الجبال كلبنان والكرمل وصهيون وعرفات والمقطم وجبل عامل . او اسماء الجهات كالشرق والمشرق والمغرب وصدى الجنوب . تليها اسماء القارات كقولهم : كوكب اميركا وكوكب افريقيا والعالم الجديد وجريدة العالمين

وقلّد صحافيونا كتّاب الافرنج في استعمال اسماء الكواكب والسيارات فدعوا بها بعض صحفهم وهي : الشمس والزهرة والهلال والقمر والمشتري والشهاب والثريا ونجم المشرق . واتخذوا مثلهم ثلاث كلمات الدستور : الحرية والمساواة والاخاء . ومن ذلك اسماء الفضائل كالعدالة والاستقامة والحق والصدق والحكمة والثبات والوفاء والاخلاص والسلام والايمان والرجاء والامل والمحبة . ومنها الاسماء الدالة على النور كالمصباح والفانوس والنبراس . او على فصول السنة كمجلة الشتاء ومجلة الربيع . او على الآفات كالطاعون . ثم اقتفوا آثارهم ايضاً في اسماء العلوم والصنائع والفنون كالزراعة والتجارة ومجلة المساحة والاقتصاد والحقوق والشرع والقضاء والبيان والبلاغة والآداب . وجروا مجراهم في الاسماء الهزلية كقولهم : المسخرة وعبواظ وكراكوز وحط بالخرج وضاعت الطاسة والخلي بإهلاله والحشاش والمكنسة وابو نظاره وابو صفّاره وابو زمّارة والجاسوس وحمارة منيتي وحمارة بلدنا والعصا وظهرك بالك

وعمد بعض الصحافيين الى استعمال الاسماء الدينية او الواردة في كتب الدين فاطلقوها على صحفهم تبركاً كالصليب والكلمة والنعمة والمسرة والصخرة والحرمين والخلافة والكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الارثوذكسية والمجمع الفاتيكاني ومظلة داود واخبار عن انتشار الانجيل . ورغب بعضهم في الفاظ التحبب كالفتى والفتاة والعريس والعروس والنديم والحسناء وانيس الجليس وفتاة الشرق واللطائف والظرائف والتودد والشبيبة . وعوّل بعضهم على اسماء تشير الى النبات وما له علاقة بالطبيعة كالحديقة والبستان والريحانة والروضة والرياض والجنان والجنة والجنينة والمرج والفردوس والثمرة والثمرات والزهور . كذلك قلْ عن اسماء الحيوان كالنحلة والغزالة والطاووس والاسد الاسلامي والاسد المرقسي والفيل الابيض ويعسوب الطب والحمارة . وقس عليها الاسماء الدالة على الصوت

وآلات الطرب كالنفير ونفير سوريا ونفير الحرب والصدى ورجع الصدى وصدى الاهرام وصدى بابل ولسان الحال ولسان العرب ولسان الشرق ولسان المغرب والصيحة والارغول · ومن هذا القبيل ما استعملوه من الاسماء الدالة عَلَى الجولان كالجوائب والبريد والطواف والطائف والسيار والسفير ورائد النيل والرائد التونسي والرائد المصري



محمد عثمان

مدير مجلة «الصدق العثماني» في القاهرة

ولبعض الصحف اسماء تدل على المهن كالطبيب والرسّام والاستاذ والمهندس والمحامي والخطيب والمبشر والمرشد · وغيرها يشير الى العظمة والافتخار كالسلطنة واللواء والعلم والبيرق والمنار والطغراء والمنبر والمفتخر والممتاز والعجائب والمستقل والاستقلال ودار الخلافة وطوالع الملوك والكائنات وضياء الخافقين والدنيا في باريس · وبعضها يتناول الآثار العتيقة والمدن المندرسة كالاهرام وابي الهول والارز والفسطاط ونينوى ومنفيس والكنانة · ومنها ما هو منسوب الى المعاهد العلمية الكبرى او الجمعيات الشهيرة كالازهر والكلية والشرقية والجمعية العلمية السورية واعمال شركة مار منصور

والعروة الوثقى والتوفيق ومجلة الملاجىء العباسية · وغيرها يعبر عن اسماء الشعوب او الطوائف او القبائل كجريدة آل سام ونهضة العرب والاتحاد العربي والاتحاد العثماني والائتلاف العثماني والاخاء العثماني والعالم الاسلامي والاتحاد المصري والمارونية الفتاة والاقباط الكاثوليك وجراب الكردي

وتفرد صحافيو العرب في استعمال اسماء لجرائدهم لم يُنسج على منوالها لدى سائر الامم الا ما ندر · فمنهم من اعطاها اسمه كبيركيس والحافي والصادق والشدياق والرسائل الغانمية · وبعضهم اطلق عليها نعوت البلدان كالشهباء والفيحاء والزوراء والمحروسة · وغيرهم اتخذ اسماء مشاهير الرجال او النساء كالاصمعي وابي نواس وابي الهدى وجهينة وحذام · وقسمٌ منهم تيمن باسماء السلاطين والملوك والخلفاء والامراء كالرشيد والمأمون والرشاد والمعتصم والظاهر وفرعون والعباس والمنعم · ولجأ بعضهم بلا ضرورة الى الاسماء الاجنبية فاستعملوها كقولهم : الاكسبرس والبورصة والبوستة والتلغرافات الجديدة وتلغراف الريف · ونختتم هذا الفصل بعبارة نشرتها مجلة الزهور(عدده: سنة اولى) في القاهرة وهي :

« ومن الجرائد ما لا ينطبق اسمها عَلَى حقيقتها · فالاكسبرس مثلاً جريدة ادبية لطيفة الاسلوب تصدر مرةً في الاسبوع مع ان اسمها يفيد معنى جريدة سياسية تتلقى الاخبار قبل سواها وتصدر عَلَى الاقل مرتين في النهار واُخرى في الليل · وكذلك قل عن البرق البيروتية »

الفصل الخامس

فوائد تاريخية وشذرات اثرية عن الصحافة عموماً والعربية منها بنوع خاص

نذكر في هذا الفصل فوائد شتى اقتطفناها بعد البحث الطويل من مصادر متفرقة وموارد كثيرة · وهي جامعة بين الفكاهة والعلم والاختصار لما فيها من الشؤون التاريخية التي تتعلق بالصحافة عموماً والعربية منها خصوصاً · ولهذه المعلومات اعتبار كبير لدى عشاق التاريخ والباحثين عن الآثار العتيقة · لانهُ لم يسبق نشرها كلها في كتاب او جريدة او مجلة عَلَى الاطلاق · فاحببنا ان ننشرها عَلَى صفحات هذا الكتاب ليطلع عليها الناطقون بالضاد وهي :

(١) اول جريدة اُنشئت في العالم « كين بان » سنة ٩١١ قبل المسيح وهي الصحيفة الرسمية لحكومة الصين · ولم تزل حتى الآن بحيث انها تُنشر ثلاث مرات في اليوم : صباحاً بلون اصفر وظهراً بلون ابيض ومساء بلون احمر

(٢) واول جريدة ظهرت في اوروبا « الاعمال اليومية » في رومـة على عهد الامبراطور يوليوس قيصر في اواسط القرن الاول للمسيح

(٣) واول جريدة مطبوعة اسمها « كنبو » ظهرت محفورة على الخشب في بكين عاصمة الصين منذ اربعة قرون تقريباً ولم تزل حية حتى الآن

(٤) واول جريدة برزت بعد انتشار فن الطباعة الحديثة كانت تسمى « غزته » عام ١٥٦٦ في مدينة البندقية بايطاليا

(٥) واول مجلة علمية « مجلة العلماء » الفرنسية صدرت عام ١٦٦٥

(٦) واول جريدة يومية « الدايلي كوران » الانكليزية ظهرت في ١١ ادار ١٧٠٢

(٧) واول جريدة ظهرت في العالم الجديد « بوسطن نيولستر » سنة ١٧٠٤ في مدينة بوسطن بالولايات المتحدة

(٨) واول جريدة عربية هي التي أنشأها نابوليون الاول سنة ١٧٩٩ في القاهرة عندما كان قائداً للحملة الفرنسية في وادي النيل . واسمه حينئذٍ الجنرال بونابرت

(٩) واول صحيفة ظهرت في السلطنة العثمانية جريدة « بريد ازمير » الفرنسية سنة ١٨٢٥

(١٠) واول جريدة تركية « تقويمي وقائع » ظهرت في القسطنطينية سنة ١٨٣٢ بعناية مصطفى رشيد باشا في عهد السلطان محمود

(١١) واول من اعتنى بجمع الجرائد في العالم كان اندراوس ورزي في نواحي سنة ١٨٣٥

(١٢) واول من كتب عن الصحافة كان اندراوس ورزي المشار اليه . فانه الف تاريخاً يتضمن في نحو ٣٠٠ صفحة اخبار جرائد بلجيكا من سنة ١٦٠٥ الى سنة ١٨٤٤

(١٣) واول جريدة عربية انشأها رجلٌ عربي هي « مرآة الاحوال » في الاستانة سنة ١٨٥٤ لرزق الله حسون الحلبي

(١٤) واول جريدة عربية مصورة « اخبار عن انتشار الانجيل في اماكن مختلفة » سنة ١٨٦٣ للمرسلين الاميركيين في بيروت

(١٥) واول مجلة عربية مصورة بكل معنى من معاني الكلمة « النحلة » انشأها القس لويس صابونجي السرياني بتاريخ ١٥ حزيران ١٨٧٧ في لندن

(١٦) واول من كتب عن الصحافة العربية هنري غلياردو قنصل فرنسا سابقاً في حيفا عندما كان موظفاً في قنصلية القاهرة سنة ١٨٨٤

(١٧) واول صحيفة عربية مرسومة بالوان جريدة « ابو نظاره » في باريس للشيخ يعقوب صنوع المصري بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ١٨٨٧

(١٨) واقدم جريدة عربية لم تزل منتشرة حتى اليوم «الوقائع المصرية» المؤسسة في ٢٠ تشرين الثاني ١٨٢٨ في القاهرة

(١٩) واول ناد تأسس للولعين بجمع الصحف كان سنة ١٨٩٠ في مدينة بروكسل عاصمة بلجيكا



يوحنا غوتنبرج وفاوست

وهما أوّل من اخترع فن الطباعة الحديثة في العالم

(٢٠) واول جريدة عربية ظهرت في العالم الجديد «كوكب اميركا» بتاريخ ١٥ نيسان ١٨٩٢

(٢١) واول معرض للجرائد كان سنة ١٨٩٣ في بروكسل

(٢٢) واول مؤتمر للصحافة أنشيء سنة ١٨٩٤ في مدينة انفرس اثناء معرضها العام

(٢٣) واول صحافي عربي حضر بصفة رسمية مؤتمراً عاماً للصحافة كان الامير امين ارسلان اللبناني سنة ١٨٩٧ في استوكهلم عاصمة اسوج

(٢٤) واول مدرسة للصحافة انشئت عام ١٨٩٩ في باريس

(٢٥) واوّل مؤتمر للصحافة العربية التأم سنة ١٩٠٠ بهمة اصحاب جرائدنا في المهجر في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة

(٢٦) واجمل نسخة صدرت بين جميع الصحف العربية قديماً وحديثاً عدد جريدة «البشير» المنشور في ٢٢ شباط ١٩٠٢ في فرصة اليوبيل الحبري الفضي للبابا لاون الثالث عشر

(٢٧) واوّل متحف للصحافة تأسس في بروكسل عام ١٩٠٧ وهو يحتوي على اوسع مجموعة للجرائد والمجلات في العالم كله

(٢٨) واول من اخترع آلة لصف حروف الطباعة العربية وآلة لتوزيع الحروف تسهيلاً لسرعة انتشار الجرائد كان رشيد افندي الخوري صاحب جريدة «الرموز» سابقاً في بونس ايرس سنة ١٩٠٨

(٢٩) واول جريدة عربية اقامت احتفالاً رسمياً لمرور خمسين سنة على عهد ظهورها «حديقة الاخبار» البيروتية في ١٣ كانون الاول سنة ١٩٠٨

(٣٠) واشهر مجموعة للجرائد والمجلات خاصة بالافراد خلا الجاميع العمومية يملكها البرت دي فوشت . ويبلغ عددها نحو ٥٥ الف صحيفة مختلفة الاسماء واللغات

(٣١) واوسع مجموعة للصحف العربية وحدها يملكها فيليب دي طرازي كاتب هذه السطور . وهي تبلغ نحو ١٢٠٠ جريدة ومجلة مختلفة ما عدا التقلبات والتغييرات التي طرات على كل منها . ولدى كاتب هذه السطور ايضاً مجموعة نفيسة من الصحف التي ظهرت في اللغات الشرقية كالسريانية والتركية والارمنية والفارسية والعبرانية والتترية والاردوية واليابانية والصينية والملاوية والجاوية وغيرها من ألسنة الشعوب البعيدة

(٣٢) واوّل مرّة في تاريخ الصحافة الاميركية لم تصدر الصحف كان ذلك في عيد الميلاد سنة ١٩١٢

الفصل السادس

عطا بك حسني

لا يجهل احدٌ ما لهذا الرجل الوجيه من المآثر الطيبة فانه بلامراء من ابناء مصر الذين وقفوا حياتهم في سبيل خدمة الادب والوطن والملة · ولذلك قرظته الصحف الوطنية والاجنبية ونشرت رسمه مع ترجمته إقراراً بفضله · فمن الجرائد العربية والتركية نذكر : « ثروت فنون » في الاستانة ثم « الوطن » و « الرقيب » و « المفتاح و « المحيط » و « الجريدة المصورة » و « المعرض » و « العمران » و « الراية العثمانية » وغيرها من الصحف المصرية · اما الصحف الاجنبية فنذكر منها: The Near East في لندن ومجلة Magazine Illustré في باريس ومجلة La Donna في رومة وجريدة Le Bosphore ومجلة The Sphinx في القاهرة وغيرها · فانها اجمعت قاطبةً على امتداح سعادته بعبارات التعظيم والتوقير واشارت الى مساعيه الحميدة في جانب المنافع العمومية والاعمال المبرورة نحو كلّ النحل والملل

وما كاد يبلغ خبرُ عزمي عَلَى تأليف كتاب « تاريخ الصحافة العربية » مسمعَي هذا الشهم الجليل حتى ابدى ارتياحه لهذا العمل واطراهُ · وشدَّد عزائمي على إخراجه من حيز القوَّة الى دائرة الوجود · فبادر كرماً منه وأتحفني بمجموعة نفيسة من الجرائد والمجلات العربية التي يبلغ عددها نيفاً وثلاثمائة صحيفة مختلفة لاستعين بها في مشروعي المذكور · واليك نصَّ الرسالة التي بعث لي بها في هذا الشأن :

« جناب الفيكونت المفضال الكريم الخلال

« اسأل خاطر جنابكم الخطير بالاكرام الجزيل والاعتبار الوفير · والمعروض انه قد اطلعني المحب المخلص صديقنا الكاتب الاديب ديمتري افندي نقولا على خطابكم الكريم الذي نوَّهتم فيه بي · ورغبتم في الاطلاع على مجموعة الجرائد العربية الموجودة عندي · ولما كانت عنايتكم بامر العلوم والآداب موجبةً لمزيد الاعجاب والثناء المستطاب · فانني بادرت بمزيد الارتياح الى تقديم هذه المجموعة هديةً لمكتبة جنابكم الحاوية نوادر الاخبار ونفائس الآثار راجياً تكرمكم لقبولها عنوان ولاء وتذكار وفاء مع المجلد الاول من « حلى الايام في خلفاء الاسلام » وتشريفي بكما يعرض لجنابكم من الامور والمهام · فانني اتمنى توثيق عرى التعارف الثمين وتوطيد دعائم الولاء المتين بفضل



عطا بك حسني

مناقبكم العالية ومظاهر وجاهتكم السامية .... مكرراً لذاتكم الكريمة اعتباري الصميم واحتراماتي العظيمة ودامت معاليكم افندم»

صديقكم المخلص

اول ذي القعدة سنة ١٣٢٨

عطا حسني

فمن صميم القلب ارفع لسعادته عبارات الشكران . وعواطف الامتنان والاحسان . متوسلاً

الى العزة الصمدانية · ان تكلأهُ بعين عنايتها الربانية · وتجعل مقامه مرفوعاً عَلَى منارة الادب · بين العجم والترك والعرب · وقد رأيت تخليداً لذكره الميمون · ان اسرد خلاصة ترجمة حياته لتبقى آثاره محفوظةً عَلَى ممرّ القرون · وافردت لها فصلاً مخصوصاً قبل تراجم مشاهير الكتّاب · الذين سيأتي الكلام عنهم في اجزاء هذا الكتاب :

هو عطا بك ابن حسن حسني بك امير الحج ابن صالح بن حسن بك من اشراف مدينة ديار بكر · وُلد في شهر ذي الحجة ١٢٩٨ (١٨٨١ ميلادية) في مدينة القاهرة · و يتسلسل اجداده من احدى العشائر المشهورة بين الاكراد في بلاد الاناضول · ومنذ نعومةِ اظفاره دخل المدارس العالية فانصب عَلَى تحصيل العلوم واللغات حتى نال منها النصيب الاوفر · و بعد خروجه من المدرسة اخذ يتردد عَلَى صفوة العلماء ونخبة الاساتذة · فازداد تعمقاً في درس التاريخ الاجتماعي وسائر المعارف العصرية · وكان يراقب سير الترقيات الحديثة بعين يقظى وفطنة وقادة حتى صار عالماً اخلاقياً وسياسياً محنكاً ومؤرخاً شرقياً بكل معنى من معاني الكلمة · وقد قال احدهم عنه انه « الرجل المصري المثري الوحيد الذي شغف بالعلوم و بذل نفسه لاجل خدمة وطنه وملته · وانفق جزءا كبيراً من ماله في سبيل المصلحة العامة »

واستهل عطا بك اعماله بتأليف كتابه المسمى « خواطر في الاسلام » ثم ترجمه بقلمهِ الى اللسان التركي باسم « خاطرات اسلام » فنال شهرةً واسعة حتى أُعيد طبع النسخة العربية التي كثر إقبال القراء عَلَى مطالعتها · وألف ايضاً كتاب « حلى الايام في خلفاء الاسلام » وهو يتضمن تاريخ الامة المحمدية من عهد الهجرة الى الآن · وله كتاب « السياحة العثمانية » وهو مزين بصور مشاهير الدولة العلية ورسوم المشاهد المهمة والآثار القديمة · أنجزه مؤلفه بعد ان ساح مراراً في اقطار السلطنة العثمانية وامتزج بسكانها على اختلاف عناصرهم · فشرح فيه حال السلطنة قبل اعلان الدستور و بعده · واتى على وصف مشاهد اوروبا وعواصمها التي جال فيها كلها · وهذا الكتاب تحت الطبع مع كتاب آخر دعاه « صيانة الاسلام في وجود دولة آل عثمان » شرح فيه أدواء الدولة العثمانيه · فجاء سفراً حاوياً سديد الآراء و بعد النظر في غور السياسية الشرقية

وظهرت مآثره ظهوراً جلياً في جريدة « الجوائب المصرية » اليومية التي جدّد صدورها في القاهرة وانشأ لها مطبعة كبيرة · فاودع فيها من نفثات قلمه حتى صارت الصحيفة الشرقية التي أُنشئت لخدمة المصلحة القومية · فدافع عن حقوق الاستقلال العثماني بمقالات اجتماعية واصلاحية تعود بالخير والاسعاد على الشرق والشرقيين

ونظراً لشهرتهِ في عالم الادب عينته الجمعية العلمية في باريس عضواً عاملاً لها · ثم انتدبتهُ الجمعية الجغرافية للخطابة في حفلتها السنوية في مدينة رِمس (Reims) فلبي الطلب والقى خطبةً

نفيسةً دافع بها عن العثمانيين خاصةً والشرقيين عامة · ونُشرت هذه الخطبة في الكتاب الذهبي للمؤتمر المذكور

واتصف صاحب الترجمة بدماثة الاخلاق ومحبة عمل الخير وكرم اليد والابتعاد عن التعصب الذميم لوطنه ودينه · ولنا على صحة هذا القول براهين كثيرة تشهد بشهامة نفسه ونزاهة مبادئه · فمن ذلك انه تبرع لمنكوبي اطنه من الارمن بمساعدة مالية وافرة سلّمها لمطران هذه الطائفة في القاهرة · وتبرع ايضاً بمبلغ آخر من المال مساعدةً لبناء كنيسة الطائفة المارونية في الخرطوم · وقد رفعت البطريركية المارونية تقريراً بهذا الشان الى قداسة الحبر الاعظم فكان ذلك داعياً لسرور الدوائر الفاتيكانية وامتنانها · ولما عرّج على رومة سائحاً حظي بمقابلة البابا بيوس العاشر في مقابلة خصوصية مدة عشرين دقيقة كان فيها موضوع التفات قداسته · وقد عامله الحبر الاعظم كما يعامل الامراء الاجانب · وامر باطلاعه على متاحف الكرسي الرسولي وخزائن الكتب وسائر الآثار القديمة · ثمَّ تلطف واهداه « وسام القديس غريغوريوس الكبير » طبقته الأُولى

وتشرف اثناء وجوده في باريس بمقابلة مظفر الدين شاه ايران سابقاً · فشكر له الشاه على صدق امانته الملية واظهر اعجابه به · ثم منحه وسام « شير خورشيد » الثاني وعلّقه بيده على صدر الممنوح له مع « وسام المعارف » الذهبي · ونال ايضاً بعض علامات الشرف كوسام « مرتيب » الاول من دولة ايران ووسام « المجيدي الثاني » ثم « مدالية الحجاز الذهبية » والرتبة الاولى من الصنف الثاني من الدولة العثمانية · واحرز وسام « نجمة الصباح » الاول من سلطان لحج ووسام « فخر عمان » الاول من سلطان مسقط وعمان وغيرها

وفي رحلته الى الاستانة سنة ١٩١٠ قابل في زيارة خاصة الامير يوسف عز الدين ولي عهد السلطنة العثمانية · فلقي لدى سموه من الحفاوة ما لم ينله مصري سواه قبل الآن · وقد اهداه الامير المشار اليه رسمه متوجاً باسمه الكريم ومكتوباً بخط يده · وما عدا ذلك فان عطا بك فاز بمقابلة كثير من الملوك والامراء شرقاً وغرباً فاهدوه رسومهم وشملوه بانعطافهم · ومما لا يسعنا السكوت عنه في هذا المقام ان داره العامرة اصبحت بلطفه وكرمه محطاً لعظماء الرجال وكبار السياح والعلماء الاعلام وغيرهم الذين يزورون وادي النيل

نسأل الله سبحانه ان يكلل بالنجاح جميع مساعيه العائدة لعمل الخير وتعزيز كلمة الوطن وتوسيع نطاق المعارف · وان يمنح سعادته عمراً طويلاً مقروناً بالعز والهناء والعافية · ويصون انجاله المحروسين بعين عنايته الصمدانية انه اكرم الاكرمين وخير المسئولين

الفصل السابع

معرفة الجميل

لما كان بعض الادباء والاديبات قد مدُّوا لي يد المساعدة في ارسال ما لديهم من الصحف القديمة والحديثة تعزيزاً لمشروعي وخدمةً للصحافة تحتم عليَّ هنا ان ارفع الوية الثناء عَلَى حماستهم العربية ونخوتهم الادبية · واني بكل افتخار انشر رسومهم عَلَى صفحات «التوطئة» في صدر هذا الكتاب تنويهاً بكرمهم واقراراً بصنيعهم · فبلسان الناطقين بالضاد قاطبةً اقدّم لحضراتهم عبارات معرفة الجميل ليبقى فضلهم فضلاً ما توالت الاعوام وتحدث بعلو هممهم افواه الشعراء وحملة الاقلام · وها انني اسرد اسماءهم مرتبةً عَلَى حروف الهجاء :

(١) في مقدّمة الجميع اذكر حضرة المحامي الشهير والشهم الكريم ابرهيم افندي جمال صاحب جريدة «الحقوق» في القاهرة · فانهُ اهداني مجموعةً كبيرة من الجرائد والمجلاَّت النادرة الوجود قد عني بالتقاطها منذ خمس عشرة سنة ليزين بها خزائن كتبه ويستفيد من مطالعتها · وتشتمل المجموعة عَلَى جانب كبير من الصحف العربية النفيسة التي ظهرت قديماً وحديثاً في العالم كله · وترى رسمهُ منشوراً في محل آخر من هذا الكتاب

(٢) الشيخ يعقوب صنوع المصري الملقب بابي نظارة وصاحب الجريدة الهزلية المعروفة باسمه في باريز · فانهُ ارسل لي المجموعة الوحيدة الموجودة لديهِ من كل جرائده الكثيرة مع غيرها من الصحف · وقد نشرتُ رسمهُ في غير هذا المكان

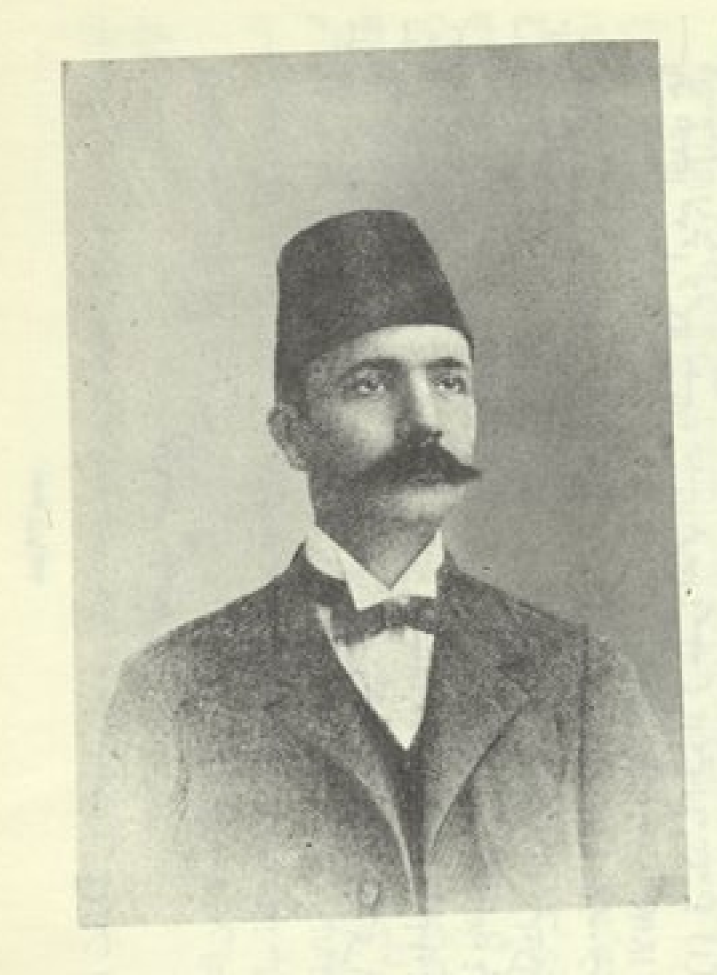
(٣) حضرة الكاتب الاجتماعي الطيب بن عيسى صاحب جريدة «المشير» في تونس الخضراء · فانه اتحفني باول عدد من نحو ثلاثين صحيفةٍ مختلفة برزت في الامارة التونسية منذ عهد بعيد الى الآن

(٤) حضرة الكاتبة المستعربة السيدة جان ديريو منشئة مجلة «الاحياء» في مدينة الجزائر بشمال افريقيا · فقد جمعت لي اكثر الصحف المطبوعة في انحاء عديدة من البلاد الجزائرية الفرنسية والسلطنة المراكشية وروسيا وغيرها · وتُعرف هذه السيدة عند الجزائريين الاصليين باسم «جمانة رياض» او «فاطمة الزهراء»

(٥) حضرة العالم المفضال ديمتري افندي نقولا منشئ مجلة «الفكاهة» سابقاً في القاهرة · فانهُ كان اكبر عضدٍ لي في الحصول عَلَى اهم الجرائد والمجلات العتيقة والحديثة التي لم يتيسر لي



السيد هبة الدين الشهرستاني
صاحب مجلة « العلم » في النجف



يوسف صفير
صاحب مكتبة « المدارس » في بيروت

الوصول اليها بواسطة غيره من الادباء · وقد زاد على فضله فضلاً انهُ افادني بمباحثهِ الصحافية وتنقيبهِ عن امور شتى تتعلق بهذا الكتاب

(٦) حضرة السيدة الجليلة روزا بسول ارملة المرحوم نجيب بن ميخائيل مدور في بيروت · فانها تكرمت عليَّ بصحف نادرة الوجود موروثة من قديم الزمان عن أُسرة زوجها المشهورة بالنهضة العلمية والآثار الادبية

(٧) حضرة الكاتب الالمعي عيسى افندي رزوق منشىء مجلة « العلوم » في بغداد · فانهُ عانى تعباً وافراً في التقاط جانب كبير من الصحف التي صدرت في انحاء العراق واتحفني بها

(٨) حضرة الكاتبة البليغة والخطاطة البارعة السيدة لبيبه هاشم منشئة مجلة « فتاة الشرق » وصاحبة المحاضرات الشهيرة في « الجامعة المصرية » بالقاهرة · فانها بعثت لي بعدد وافر من الصحف المصرية الحديثة العهد

(٩) حضرة العلامة الخطير الاب لويس شيخو اليسوعي صاحب امتياز مجلة « المشرق » في بيروت · فقد اهداني كل ما عثر عليهِ من الصحف المفيدة في سبيل مشروعي · ثم سهل لي السبل لمطالعة ما كنت محتاجاً اليه في « المكتبة الشرقية » المؤسسة بعنايته في كلية القديس يوسف · ونظراً لاتضاعه لم يشأ ان ننشر صورتهُ هنا · وسنبذل الجهد للحصول عليها ونشرها لدى الكلام عن مجلة « المشرق »

(١٠) حضرة الشهم الكريم محمد افندي عثمان مدير مجلة « الصدق العثماني » في القاهرة · فانهُ بعث لي بنيف وثلاثين مجلة وجريدة قديمة العهد اكثرها من القطر المصري

(١١) حضرة العالم الكبير السيد هبة الدين الشهرستاني منشىء مجلة « العلم » في النجف · فانه اتحفني بعدد وافر من الجرائد والمجلات الصادرة في العراق والهند والفرس وغيرها

(١٢) حضرة الكاتب الاديب يوسف افندي صفير صاحب مكتبة « المدارس » في بيروت ومؤسس الجمعية الخيرية لابناء عرامون ومزارعها في كسروان · فانه اتحفني بالعدد الوافر من الصحف التي صدرت في انحاء مختلفة من العالمين القديم والجديد وكانت محفوظة في مكتبتهِ العامرة

ثم أُضيف الى من سبق ذكرهم بعض الاعيان والافاضل الذين فتحوا لي خزائن كتبهم المعتبرة وتكرموا عليَّ بما تيسر لديهم من منشورات الصحف · وهذه اسماؤُهم على ترتيب حروف الهجاء ايضاً مع حفظ الالقاب : ابراهيم حنا العورا والشيخ اسكندر العازار وجرجي ديمتري سرسق وجرجي نقولا باز وسليم ايوب ثابت والخوري فضل الله فاضل الماروني والاب لويس معلوف اليسوعي مدير جريدة « البشير » في بيروت · وعيسى اسكندر المعلوف في زحله · ونجيب ميخائيل ساعاتي

في القدس الشريف · ومحمد فهمي بشير في الاسكندرية · والخورفسقفوس عبد الاحد جرجي السرياني في بغداد · والقس باسيل ايوب السرياني في حلب

وفي الختام أُسدي الشكر الجزيل لسائر الذين أعاروني رسوم بعض الصحافيين التي زينت بها هذا الكتاب وهم : صاحب العزة خليل افندي سركيس مؤسس « المطبعة الادبية » وجريدة لسان الحال» الغراء في بيروت · وعزتلو جرجي بك زيدان صاحب مجلة « الهلال » الشهيرة في القاهرة · ثمَّ الكاولير يوسف بن خطار غانم مؤلف كتاب « برنامج اخوية القديس مارون » في بيروت · وسليم سركيس صاحب المجلة المعروفة باسمه في القاهرة · وانطون افندي الجميّل وامين افندي تقي الدين صاحبا مجلة « الزهور » المعتبرة في عاصمة وادي النيل وغيرهم · لا زالت الآداب العربية باسمة الثغر مرفوعة الشان بفضل مَن تقدَّم ذكرهم والله وليُّ التوفيق

الفصل الثامن

الصحافة واعاظم الرجال

تناقلت بعض الجرائد العربية كلمات مأثورة عن اعاظم رجال العصر الحاضر تتعلق بالصحافة. فرأينا ان نثبتها هنا لما فيها من الحكمة السامية والعبرة الفائقة والفائدة التاريخية · ثم اضفنا اليها اقوالاً أُخرى منسوبة لغيرهم من الملوك ومشاهير الارض اتماماً للغرض المقصود وهي بالحرف الواحد:

قال السلطان عبد الحميد الثاني بعد خلعه من عرش السلطنة العثمانية : « لو عدتُ الى يلدز لوضعتُ محرري الجرائد كلهم في اتون كبريت »

وقال نابوليون الاول : « انني أُوجس خوفاً من ثلاث جرائد اكثر مما أُوجس من مائة الف جندي »

وقال نقولا الثاني قيصر روسيا: « جميل انت ايها القلم ولكنك اقبح من الشيطان في مملكتي»

وقال عمانوئيل ملك البرتوغال للصحافيين بعد سقوطه من عرش المملكة : « انتم سبب سقوطي ولا تزالون تطلبون رأيي بالحكومة الجديدة »

وقال غيليوم الثاني امبراطور المانيا لشقيقه الامير هنري عند ذهابه الى الولايات المتحدة الاميركية : « انك ستجتمع بكثير من الصحافيين فيها · فاعلم ان لهم هناك من المنزلة مثل ما لقوادي في الجيش»



يوسف خطار غانم

هاك رسمي يبقى مدى الدهر ذكراً　　لشهيد البرنامج المشهورِ

قمتُ اسعى في جمع آثار قومٍ　　قاصداً حفظ رسمهم للدهور

كان كلُّ الجزاء أن انفق العمر　　أسيفاً في موتِ مسعىً خطير

وقال السنيور كسترو رئيس حكومة فنزويلا سابقاً: « لا أخاف بوابة جهنم اذا فُتحت بوجهي ولكني ارتعش من صرير قلم محرر الجريدة »

وقال مظفر الدين شاه ايران سابقاً: « انها لقضية صعبة عند ما تقابل صحافياً »

وقال دياز رئيس جمهورية المكسيك: « اودُّ ان اكون صاحب معامل الورق والحبر لاحرقها »

وقال روزفلت رئيس حكومة الولايات المتحدة الاميركية: « يجب ان يكون كاتب بين كل عشرة انفار من هذه البلاد »

وقالت ماري خريستين ملكة اسبانيا: « بين الحشرات تجد الصحافي »

وقال الفونس الثالث عشر ملك اسبانيا: « ويعرف الصحافي خفايا قصرنا كذلك »

وقال مولاي يوسف سلطان مراكش لمكاتب جريدة « Le Temps » في مدينة طنجة: « نعم انني اعلم ذلك . فالصحافيون مع كونهم اعظم الذين لايستطيعون كتمان السر فانهم عين الأمم وروحها وفكرها . فمن واجباتنا ان نرحب بهم ونلاطفهم لان الحكم علينا في المستقبل يستند الى ما يكتبون »

وبعث دي بلويتز مكاتب « التيمس » الباريسي الى جريدته بصورة معاهدة مؤتمر برلين قبل ان وقّع عليها معتمدو الدول . فلما اجتمعوا في اليوم الثاني من مؤتمرهم رفع البرنس بسمرك غطاء المنضدة المسترسل . فقيل له: لماذا ؟ فاجاب بسمرك: « لأرى اذا كان دي بلويتز مختبئاً تحتها ليستطلع اسرارنا »

وقال وليم ستيد صاحب « مجلة المجلات الانكليزية » الذي غرق في حادثة الباخرة « تيتانيك » سنة ١٩١٢: « الكاتب السامي يرتعش من منظره رئيس مجمع الشياطين »

وقال ارثر برسيان الكاتب الاميركي الشهير: « اموت لاجلها ... ولكني افضل العذاب في سبيل القلم »

وقال باكس: « في جنة عدن كان الصحافي »

وقال روكفلر بالكونت تولستوي: « أمعهُ مالٌ بقدر ما يحوي عَلَيّ افكار ؟ »

وقال احد كبار رجال السياسة الانكليزية: « انشئوا الجرائد لان بها حياة الامة »

وقال المسيو كمبون سفير فرنسا في لندن: « ولئن كانت للصحافة سيئات فلها من حسناتها الف شفيع »

الحقبة الاولى

تمتدُّ منذ تكوُّن الصحافة الى تاريخ افتتاح ترعة السويس

١٧٩٩ - ١٨٦٩

الباب الاول

يشتمل على اخبار كل الجرائد والمجلات التي ظهرت في هذه الحقبة مع وصفها و بيان احوالها

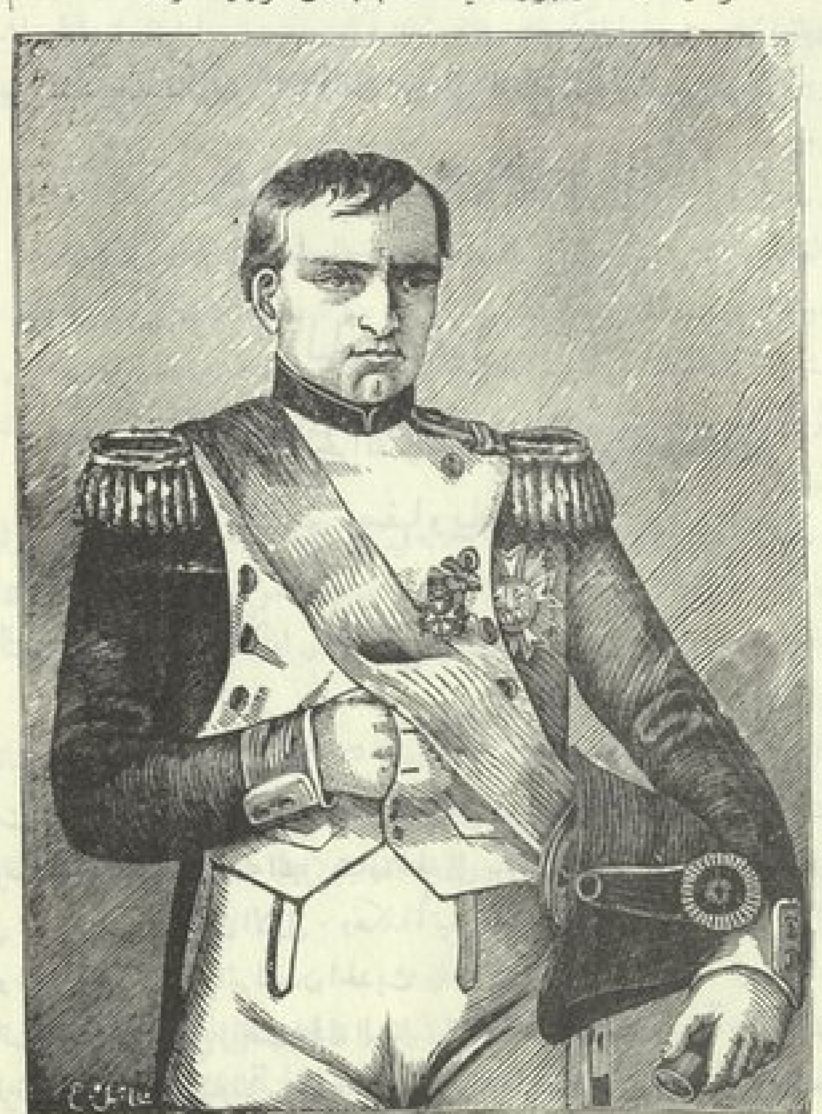
الفصل الاول

تكوّن الصحافة العربية

بزغت شمس الصحافة العربية في ختام القرن الثامن عشر بمدينة القاهرة · وكان ذلك عَلَى يد الحملة الفرنسية التي جاءت وادي النيل بقيادة الجنرال بونابرت الذي ارتقى بعد ذلك الى العرش القيصري في فرنسا باسم نابليون الاول · وهكذا أُتيح لامةٍ غربية ان تدخل هذا الفن الشريف الى البلاد العربية مع سائر جرائيم التمدن الحديث

وكانت البعثة العلمية التي رافقت الحملة البونابرتية قد أحضرت معها مطبعةً من باريس يديرها رجلان فرنسيان : احدهما عالم والآخر عامل بسيط · اما العالم فهو المستشرق يوحنا يوسف مرسال · واما العامل فهو مرك اوريل وقد تدومي هذا الرجل ثم أحيت ذكره الايام · واول عمل باشرتهُ هذه البعثة العلمية انها نشرت ثلاث جرائد في المطبعة المذكورة : إحداها « الحوادث اليومية » كان يحررها اسمعيل بن سعد الخشاب وهي جدَّة الصحف في لغة الناطقين بالضاد · والثانية « Décade Egyptienne » والثالثة « Courrier d'Egypte » وهما باللسان الفرنسي · وقد انقرضت هذه الصحف برجوع تلك الحملة الى بلادها سنة ١٨٠١

وبقيت اللغة العربية محرومة من فوائد الصحافة حتى قيض الله لها بعد ٢٧ سنة عصراً جديداً من الفلاح بفضل محمد علي باشا الكبير راس العترة الخديوية الذي انشأ « الوقائع المصرية » لحكومته . ثم رأت الدولة الفرنسية ان تصدر جريدة في املا كها بشمال افريقيا تكون واسطة للتفاهم بينها وبين



نابوليون الاول امبراطور الفرنساويين

واضع اساس الصحافة العربية

انشأت بكرَ صحائفٍ عربيةٍ   فرفعتَ شانَ لساننا بين الورى
شهدَت لك الدنيا بانك فردها   ولذاك أحرزتَ الفخار بلا مِرا

السكان الوطنيين . فانشأت « المبشر » عام ١٨٤٧ في مدينة الجزائر عاصمة المغرب الاوسط

اما اوَّل رجل عربي الاصل اصدر باسمهِ صحيفة عربية واستحق دون سواه هذه الكرامة الجليلة فهو رزق الله حسون الحلبي منشىء « مرآة الاحوال » سنة ١٨٥٥ في عاصمة آل عثمان . ولاجل ذلك يمكننا بكل صواب ان نسميهِ امام النهضة الصحافية عندنا بلا مراء بل جدَّ الصحافيين وزعيمهم علَى الاطلاق . فاقتفى اثره بعضُ ارباب العلم والفضل من ابناء سوريا المسيحيين الذين برَّزوا في هذه المهنة وخلدوا آثاراً تذكر فتشكر وهم : اسكندر شلهوب صاحب جريدة « السلطنة » عام ١٨٥٧ في الاستانة . وخليل الخوري موسس « حديقة الاخبار » سنة ١٨٥٨ في بيروت . والكونت رشيد الدحداح منشيء « برجيس باريس » ١٨٥٨ في عاصمة فرنسا . واحمد فارس الشدياق [١] صاحب « الجوائب » ١٨٦٠ في الاستانة . والمعلم بطرس البستاني منشىء « نفير سورية » ١٨٦٠ و يوسف الشلفون ناشر « الشركة الشهرية » ١٨٦٦ في بيروت . وفي سنة ١٨٥٨ نشر المستشرق الفرنسي منصور كرلتي جريدة « عطارد » في مرسيليا

ثم تنبه المسلمون المصريون الى هذا الامر الجلل فنشروا في آخر الحقبة الاولى ثلاث صحف في القاهرة : احداها « يعسوب الطب » سنة ١٨٦٥ لمحمد علي باشا البقلي . والثانية « وادي النيل » ١٨٦٦ لعبدالله ابي السعود . والثالثة « نزهة الافكار » ١٨٦٩ لابرهيم المويلحي ومحمد عثمان جلال . ونضيف الى ذلك جريدة « نتائج الاخبار » التي صدرت بتونس في نواحي سنة ١٨٦٣ لمنشئها حسين المقدم

وهناك صحف أُخرى منها رسمية أُنشئت في بعض الولايات العثمانية او التابعة لسيادة الباب العالي وهي : « الرائد التونسي » ١٨٦١ في تونس . ثم « سوريا » ١٨٦٥ في دمشق . وكذلك « لبنان » ١٨٦٧ في بيت الدين قاعدة جبل لبنان . و « الفرات » ١٨٦٧ في حلب واخيراً « الزوراء » ١٨٦٩ في بغداد . ومنها علمية ظهرت كلها في بيروت وهي : « مجموع فوائد » سنة ١٨٥١ ومجلة « اعمال الجمعية السورية » ١٨٥٢ ومجلة « مجموع العلوم » سنة ١٨٦٨ للجمعية العلمية السورية . ومنها دينية صدرت قاطبةً في بيروت وهي : « اخبار عن انتشار الانجيل » ١٨٦٣ ومجلة « النشرة الشهرية » ١٨٦٦ للمرسلين الاميركان . وثالثتها « اعمال شركة مار منصور دي بول » ١٨٦٨ للجمعية المعروفة بهذا الاسم . ومنها جدلية كمجلة « رجوم وغساق » ١٨٦٨ لرزق الله حسون في لندن

يتضح مما سبق بيانهُ انه ظهر في الحقبة الاولى سبع وعشرون صحيفة لم يزل ربعها حياً وهي : الوقائع المصرية والمبشر والرائد التونسي وسوريا ولبنان والفرات والزوراء . ويمكننا ان نضيف اليها صحيفة ثامنة وهي « النشرة الاسبوعية » التي قامت علَى انقاض « النشرة الشهرية »

«١» كان مسيحياً من جبل لبنان ثمَّ دخل في دين الاسلام

واذا راعينا نسبة عدد تلك الصحف الى الممالك التي ظهرت فيها فيكون السبق في هذا المضمار للدولة العثمانية . فانه صدر فيها وحدها ١٦ صحيفة . اما الباقي فيتوزع كما يأتي : خمس في مصر واثنتان في تونس وواحدة في الجزائر واثنتان في فرنسا وواحدة في انكلترا . ومن الغريب انّ بواكير هذه الصحف اي « الحوادث اليومية » و « الوقائع المصرية » و « المبشر » ظهرت للوجود في البقعة الافريقية دون سواها

الفصل الثاني

اخبار الصحف من اوّل نشأتها الى سنة ١٨٥٠

﴿ الحوادث اليومية ﴾

صحيفة يومية رسمية أنشأها نابليون الاوّل سنة ١٧٩٩ عند ما كان قائداً للجيوش الفرنسية في وادي النيل لنشر اخبار مصر واذاعة اوامر حكومته بين سكان القطر المذكور . وعهد بكتابتها الى إمام زمانه في العلوم الادبية السيد اسمعيل بن سعد الخشّاب كاتب « سلسلة التاريخ » في ديوان الحكومة المصرية . فقام بهذه المهمة احسن قيام كما روى معاصره العلاّمة عبدالله بن حسن الجبرتي في تاريخه (٤ : ٢٣٨) بالحرف الواحد :

« انّ الفرنساوية عينوه في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيه كلّ يوم . لانّ القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم واماكن احكامهم . ثمّ يجمعون المتفرق في ملخص يُرفع في سجلهم بعد ان يطبعوا منهُ نسخاً عديدة يوزّعونها في جميع الجيش حتى لمن يكون منهم في غير المصر من قرى الارياف . فتجد اخبار الامس معلومة للجليل والحقير منهم . فلما رتبوا ذلك الديوان كما ذُكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر في المجلس من أمر أو نهي او خطاب او جواب او خطأ او صواب . وقرّروا لهُ في كل شهر سبعة آلاف نصف فضة . فلم يزل متقيداً في تلك الوظيفة مدة ولاية عبدالله جاك منو (Menou) حتى ارتحلوا من الاقليم »

اما اسم الجريدة فلم نحققهُ على رغم ما بذلناه من البحث والتنقيب والاجتهاد . فعسى يتوفق غيرنا الى معرفته خدمةً للتاريخ وتقريراً للحقيقة . ومن المعلوم انّ الجبرتي روى عن اسمعيل الخشاب انهُ كان يعتني بضبط « الحوادث اليومية » ويطبع منها نسخاً ويوزعها على جميع الجيش . فاستناداً الى رواية هذا المؤرّخ الجليل ترجح لدينا انّ « الحوادث اليومية » هو اسم الجريدة . فعوّلنا على استعماله سيما انه يطابق على اوصاف هذه الصحيفة التي كانت تُنشر يومياً كما رأيت . فلم يبقَ ريب

بعد ذلك في ان هذه النشرة التي تأسست بعناية حكومة فرنسا تُعدُّ أُمَّ الجرائد العربية وباكورتهنَّ. وقد انطفأ سراجها لدى انسحاب العساكر الفرنسية من مصر في ١٤ تشرين الاوَّل ١٨٠١ وانكسارهم امام جيوش تركيا وانكلترا في الاسكندرية. وقد ورد ذكر هذه الصحيفة في مقالة عن صحافة الشرق بقلم الشيخ صالح اليافي منشئ جريدة "الرشيد" البيروتية (عد ١ سنة أُولى) حيث قال: "ولما دخل الفرنساويون مصر اتخذوا لهم وُرَيقة ولكنها لم تدم"

وكان اسمعيل بن سعد الخشاب محرر هذه الجريدة كاتباً بليغاً وشاعراً اديباً بشهادة علماء عصره. وقد ترك ديوان شعر صغير الحجم جُمع بعد وفاته بعناية صديقهِ العلاَّمة الشيخ حسن العطار. وكانت وفاتهُ في ٢ ذي الحجة سنة ١٢٣٠ الموافقة لسنة ١٨١٥ مسيحية

❊ الوقائع المصرية ❊

بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر بقيت اللغة العربية محرومةً من فوائد الصحافة حتى قيض الله لها سنداً قوياً في شخص محمد علي باشا الكبير رأس العترة الخديوية. فما كادت قدم هذا المصلح العظيم ترسخ في وادي النيل بعد حروبهِ مع الانكليز والوهابيين والسودانيين واليونان وغيرهم حتى صرف همته الى توسيع نطاق المعارف بين سكان القطر المصري. فاشترى مطبعة يوحنا يوسف مرسال المذكورة وحسَّنها وزاد عليها. وهكذا اسَّس سنة ١٨٢٢ مطبعة بولاق الشهيرة التي ادت خدماً وافرةً وجزيلةً لجميع الناطقين بالضاد. وكان الياس مسابكي الدمشقي من جملة العمال الذين اصطنعوا قاعدة الحروف البولاقية وخدموا فن الطباعة في مصر. ثم رأى محمد علي باشا ان الحاجة ماسة الى ايجاد جريدة تقوم بنشر اوامر الحكومة واذاعة اعلاناتها وسائر الحوادث الرسمية. فانشأ في ٢٠ تشرين الثاني ١٨٢٨ بعناية الدكتور كلوت بك موسس مدرسة "قصر العيني" الطبية جريدة "الوقائع المصرية" التي جعلها لسان حال الحكومة الخديوية ولا تزال حيةً الى الآن. وقد فوَّض ادارتها وتحريرها الى العالم الكبير رفاعة بك ابن رافع الطهطاوي بعد عودته من باريس حيث تلقى الدروس الكاملة على نفقة الحكومة المصرية. وكان رفاعة بك موسساً وناظراً لمدرسة الالسن فنبغ من تلاميذه عدد وافر نهضوا بمصر نهضة تنطق بفضل الرجل وعظيم شأنهِ

ظهرت الوقائع المصرية في اول عهدها في اللسان التركي فقط. ثم برزت في اللغتين العربية والتركية. ثم عادت تركية محضة ثم عربية خالصة ولم تزل. وهي تصدر الآن ثلاث مرات في الاسبوع في اثني عشرة صفحة متوسطة الحجم. وكانت قبل ولاية الخديو اسمعيل تصدر غير منتظمة فرتَّب احوالها وجعل لها ادارةً خاصةً بها

وقد تولى تحريرها بعد الطهطاوي كثير من ارباب الشهرة الواسعة في العلم وهم: احمد فارس

الشدياق اللبناني · وحسن العطار · والسيد شهاب الدين محمد بن اسمعيل المكي · والشيخ احمد عبد الرحيم · والشيخ مصطفى سلامه · وصالح مجدي بك · والشيخ محمد عبده · وعبد الكريم سلمان · والشيخ سليمان العبد وسواهم · اما ادارتها ومطبعتها فمنوطتان برجل انكليزي كسائر المصالح المصرية



محمد علي باشا خديوي مصر

منشئ جريدة « الوقائع المصرية » في القاهرة

هذا العليُّ محمد البطلُ الذي دهشت لهُ الدنيا وعزَّت مصرهُ
صدقَ المؤرّخ اذ روى في حقهِ تفنى الدهورُ وليس يفنى ذكرهُ

﴿ المبشّر ﴾

صحيفة رسمية انشأتها حكومة فرنسا في ١٥ ايلول سنة ١٨٤٧ باللغتين العربية والفرنسية لعموم ولاية الجزائر في المغرب الاوسط . وكان ذلك في عهد الملك لويس فيليب الذي غزا بجيوشهِ البلاد المذكورة التي كانت خاضعة للامير عبد القادر الجزائري الشهير . فشاء هذا الملك ان تكون لاهلها صحيفة خاصة بهم ترشدهم الى سبيل العلم والحضارة والزراعة والتجارة والصناعة اسوةً بسائر الدول الاسلامية سيما السلطنة العثمانية والخديوية المصرية . ثمَّ صدر امرهُ الملكي باخراج هذا الفكر الى دائرة العمل . فكانت تصدر مرتين في الشهر بحجم صغير في ثلاث صفحات وفي كل صفحة اربعة اعمدة . وهي من حيث قدمة العهد ثالثة الجرائد العربية في العالم كله . ولهذه الجريدة مجموعتان احداها محفوظة في مكتب الادارة والاخرى في خزائن المكتبة العمومية في عاصمة الولاية . وللمبشر ثلاثة ادوار اولها من يوم نشأته الى سنة ١٨٨٤ والثاني الى سنة ١٩٠٥ والثالث الى الزمان الحاضر . وكانت عبارتهُ ركيكةً في بادي الامر ثم اخذت بالتحسين تدريجاً حتى صارت صحيحة الانشاء . وكانت تُستعمل فيهِ اولاً لفظتا « الرسائل الخبرية » بمعنى الجريدة . وبعد ذلك درج بدلاً منهما استعمال « الورقة الخبرية » بالمعنى المذكور

واول الذين تولوا ادارتهُ كان السيد ارنو « Arnaud » مدة ثلاثين سنة . وخلفهُ المستعرب الشهير ميرنت « Mirante » ثم « Labouthière » ثم ميرنت للمرة الثانية وهو المدير الحالي . اما الذين تولوا كتابة القسم العربي في هذه الجريدة منذ البداية حتى الآن فهذه اسماؤهم مرتبة بحسب التاريخ واحداً بعد الاخر : احمد البدوي الى سنة ١٨٨٦ وهو اقدمهم عهداً . ثم علي بن عمر . وعلي بن سماية . ومحمود وليد الشيخ علي . وقدور باحوم . وعلي ولد الفكاي . والحفناوي بن الشيخ . ومحمد بن مصطفى . ومصطفى بن احمد الشرشالي . ومحمد بوزار . ومحمد بن بلقاسم . ونورد هنا نصَّ المقدمة التي نشرها « المبشر » في صدر عدده الاول ليقف القراء على ما كان عليهِ انشاء الصحف في عهد تكوُّنها :

ورود الأخبار من جميع الأقطار

٥ شوال سنة ١٢٦٣ | ١ | ١٥ شتنبر سنة ١٨٤٧

مقصود المبشر

« اعلموا يا مسلمين أرشدكم الله ان المنظم سلطان افرانصه نصره الله اتفق له برايه وقوع هذا مختصر لفايدتكم وخيركم وتواتر النعمة عليكم . والشاهد لكم في ذلك كل ما يدل على نعمتكم ومسراتكم هو بفؤاده . ويرضى لكم ما يرضى لنفسه . ولا سيما انكم بمسكن قلبه كعزيز الرعية عنده .

واعلموا ان سلاطين اجناس النصارى مهمي ارادوا يعرّفون الرعية بالامور الواقعة يبعثون لهم رسايل خبرية كما هو معروف عند جميع الدول كسلطان اصطنبول وصاحب مصر ٠ وها كذه مراد سلطان افرانصه نصره الله الإعلام لكم بكل امر صادر من البايلك اي من ارباب دولته من تصرفات الجزاير وساير عمالتها لتحققوا بسبب وقوع هذه الامور ٠ وباطلاعكم وفهمكم لما ذكر يظهر لكم من فعل هذه الدوله المنصورة العدل والانصاف والسيرة عَلَى الطريقة المستقيمة ٠ فلاجل ذلك



لويس فيليب الاول ملك الفرنسيس

مؤسس جريدة « المبشر »

امر الامير بورود هذا المبشر عليكم مرتين فيَ كل شهر ٠ و بهِ يعرفون الولات والاعيان السيرة مع الرعية ٠ وكذا الرعية تعرف السيرة مع الاعيان والولات ٠ وبهذا الاعلام يتضح لكم مراد هذا الدولة منكم ٠ واعيانكم يجدون سهولة في التصرفات عليكم ٠وانتم تعرفون حدود احكامهم عنكم بحيث لاتخشون من تعديتهم وجواز الحدود التي بيّنها السلطان الاعظم كما بمراده ٠ ومع ذالك ان هذه الرسالة التي اسمها المبشر تطلق عَلَى اخبار وفوايد شتى ٠ واعلموا ان جميع العلوم والصنايع انواع لا يدر كها الانسان ٠ و يزداد في تعليها الا بعد معرفته بانواعها ٠ ولذالك اردنا ان نخبركم بجميعها لكي تزدادوا معرفة وطاً بها مهمي تبدلت ٠ ولانكم تختارون ما اردتم منها عَلَى حسب بلدتكم ٠ ليسهل عنكم تعليمها وتكثر لديكم فوايدها مع قلة خدمتها وتعبها ٠ وكل ما يدل على ذالك بارضكم من تجارة وفلاحة نعرفكم بهِ ٠ ونخبركم ايضاً عن جميع ارزاق ثمار اشجاركم وجميع نبات زرع ارضكم ومعادنها وكذالك غلة اموالكم اي من مواشيكم الرقيقة والغليظة ٠ وجميع ماتستخرجونه من الكسوة بصناعة ايديكم يجوز بيعه باسواقنا ٠ كذالك نخبركم بما ينتج من ارزاق ارضنا يجوز بيعهُ ببخس الثمن في اسواقكم لتحصل الالفة و يجري بدل البيع والشراء بيننا و بينكم ٠ وايضاً الاخبار التي تعلمكم بها

لبست عَلَى اقليم الجزائر فقط بل على جميع الاقاليم · وسعادة سلطان افرانصة له معرفة ومحبة بالغة مع سلاطين الاسلام وهم: صاحب اصطنبول وصاحب العجم وصاحب الهند وصاحب مصر وصاحب الغرب وصاحب تونس · وثبوت المحبة بينه وبين هؤلاء الدول العظام معرفتهم باحسانه وعظيم سطوته وقوته مدة مديدة · وسنخبركم بجميع ما يقع في هذه الدول المذكورة · ولا سيما بلغكم من الحجاج الذين يسافرون بتذكرة من عندنا لجميع القوانصة وهم وكلاء سعادة سلطان افرانصة الذين ببر مصر وبر الحجاز وجميع بر الشام · وان تلك التذكرة المذكورة هي حمايتهم وبها يعتزون وفي ذالك فايدة عظيمة · وهذا يشهد لكم عن عظيم هذه الدولة الفرانصوية التي انتم تحت حمايتها · معظمة عند جميع الدول وعلو رايتها مساوي مع اخر الدول — وايضاً لنا معرفة وتحقق بالمؤلفين والعلماء من سالف الزمان اكثرهم من عندكم · وعلماؤكم الاوايل هم الذين الفوا علم التاريخ وعلم السير والادب وعلم الشعر وعلم الفلك والفقه وعلم الديانة وساير العلوم · والان في هذه الاخبار التي انشأناها نذكركم ببعض مسائل كتبكم المذكورة التي هي الان بعضها عندكم مفقودة — وايضاً اخر فوائد هذا المبشر الذي انعمنا عليكم بانشائه هو لما تعلموا بمقصودنا وجميع ما يجب عليكم من اجراء الحكم والتصرفات وتطلعون عَلَى هذا الاخبار يقصي عنكم بسبب ذالك كلام الوشات اهل الشيطنة دمرهم الله الذين يسعون لكم في الهلاك وجر البلاء اليكم منا سابقاً لتخليطهم وكذبهم · ونبين لكم طريق الشرع بالعدل التي نسيروا نحن بها · كما نعلمكم بالفوائد التي تحصل لكم بها الالفة معنا · فهذا غرضنا ومقصودنا والله هو المعين في امورنا »

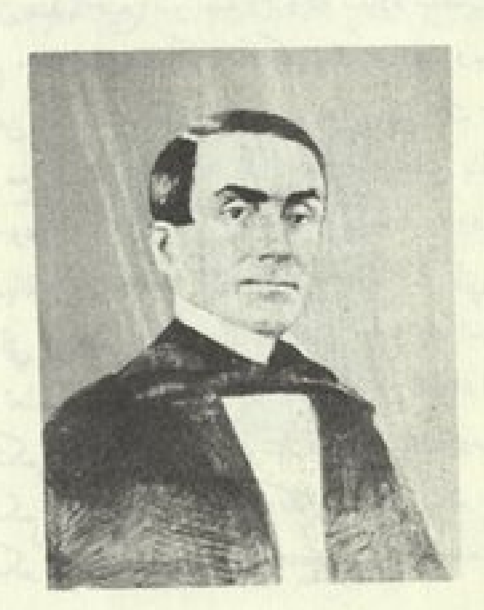
الفصل الثالث

اخبار الصحف من منتصف القرن التاسع عشر الى فتنة برّ الشام سنة ١٨٦٠

﴿ مجموع فوائد ﴾

مجلة سنوية انشأها المرسلون الاميركان ببيروت في غرة عام ١٨٥١ ونشروها في مطبعتهم الشهيرة عَلَى يد زعيمهم القس عالي سميث · وهي باكورة كل المجلات التي ظهرت باللسان العربي واقدمها عهداً على الاطلاق · فكانت مصدرةً بتقويم الشهور الشمسية والقمرية · ومباحثها تدور عَلَى الشؤون الدينية والعلمية والتاريخية والجغرافية وسواها من المواضيع المفيدة · وعام ١٨٥٥ ظهر منها ثلاثة اجزاء ثم احتجبت فبلغ مجموع عدد صفحاتها ١٤٤ صفحة · وكان عالي سميث رجل اجتهاد وعلم وفضل · فانهُ رتب احوال المرسلين الاميركيين في سوريا وانشأ لهم المدارس العديدة

وجهز مطبعتهم في بيروت بكل ادوات فن الطباعة الحديثة . و باشر مع الشيخ ناصيف اليازجي سنة ١٨٤٩ ترجمة الكتاب المقدس الذي انجزه من بعدهِ الدكتور كرنيليوس ڤان ديك . ولما حلت وفاتهُ في ١١ كانون الثاني ١٨٥٧ رثاهُ خليل الخوري صاحب «حديقة الاخبار» بقصيدة نورد منها هذين البيتين المنشورين تحت هذا الرسم :



الدكتور عالي سميث

مؤسس مجلة « مجموع فوائد »

يا رئيساً قد غادر الحزن ينمو … في صميم القلوب والاكبادِ
أنتَ عالٍ قصدتَ دارَ الاعالي … حسبما يقتضيهِ رأيُ السدادِ

※ اعمال الجمعية السورية ※

أُنشئت الجمعية السورية عام ١٨٤٧ في بيروت لنشر العلوم وتنشيط الفنون بين الناطقين بالضاد . وكان اعضاؤُها من خيرة العلماء الوطنيين والاجانب الذين يُشار اليهم بالبنان . فمن الوطنيين نذكر : الشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني والدكتور ميخائيل مشاقه وميخائيل مدوَّر وشكرالله بن نعمةالله خوري وسليم دي نوفل وميخائيل فرج الله ونعمه ثابت وانطونيوس الاميوني . ومن الاجانب نخصّ بالذكر : القس عالي سميث والدكتور كرنيليوس ڤان ديك والقس وليم طمسن والمستشرق منصور كرلتي والدكتور يوحنا ورتبات و يوسف كنفاغو وتشرشل بك . وفي ٦

كانون الثاني ١٨٥٢ انشأت هذه الجمعية مجلة باسمها وعهدت بكتابة مقالاتها الى المعلم بطرس البستاني . وكانت مباحثها تشتمل على جميع المواد العلمية والفنية والتاريخية والتجارية والادبية والفلكية والشرائع والاكتشافات والاختراعات العصرية وغير ذلك . وكان اكثر اعضاء الجمعية يساعدون المعلم بطرس في تحرير المجلة ويدوّن كلٌّ منهم ما يكتبهُ بتوقيعهِ كالشيخ ناصيف اليازجي أحد مؤسسيها وغيره

مرآة الاحوال

جريدة اسبوعية سياسية أصدرها رزق الله حسون الحلبي سنة ١٨٥٥ اثناء حرب القرم بين الدولة العثمانية وروسيا . وهي اول صحيفة عربية نشأت في عاصمة السلطنة وعاشت نيفاً وسنة . فكانت تنشر وقائع الحرب المذكورة واشياء اخرى عن احوال بلادنا السورية لاسيما لبنان وبعلبك وحاصبيا وغيرها . وقد تضمنت فصولاً لا تخلو من تقبيح الاتراك والتنديد باعمال الحكومة العثمانية . لانَّ حسون كان حرَّ الافكار طويل الباع في الانشاء مرَّ الهجو في الشعر كالفرزدق . فصمم الباب العالي على إلقاء القبض عليهِ ففرَّ هارباً الى الروسية . فحكم عليهِ الاتراك حكماً غيابياً بالاعدام . وقد نظم حينئذٍ بعض ابيات في الفخر خاطبَ بها دولة الاتراك ونحن نورد منها هذين البيتين اللذين رواها لنا محمد باشا المخزومي :

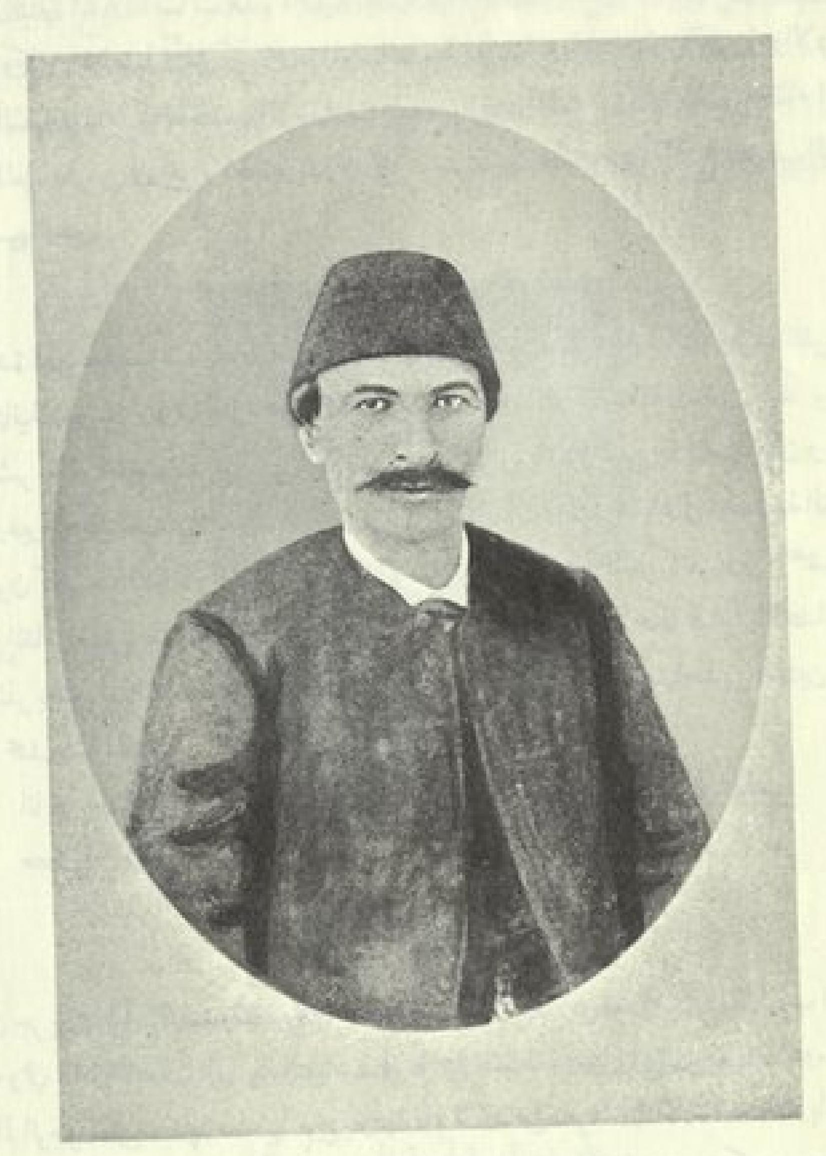
انا ابن حسون رزقُ الله اشهرُ من ... نارٍ على علمٍ والكلُّ بي علموا
كرّاً وبلغهمُ عني مغلغلةً ... يا امةً ضحكت من جهلها الاممُ

السلطنة

عنوان جريدة سياسية صدرت عام ١٨٥٧ في الاستانة لمنشئها المرحوم اسكندر شلهوب السوري الاصل . وهي ثانية الصحف العربية السياسية في عاصمة السلطنة وسائر الممالك العثمانية . وما كادت تظهر لعالم الوجود حتى عطلها صاحبها قبل بلوغها تمام السنة من عمرها كما افادنا احد الادباء من آل شلهوب . ومن غرائب الاتفاق انه في ٢٠ ايار ١٨٩٧ ظهرت صحيفة مصورة كبرى في مدينة القاهرة عنوانها « السلطنة » واسم صاحبها « اسكندر شلهوب » ايضاً . وقد اراد الثاني بذلك اعادة مجد تلك الصحيفة القديمة واحياء ذكر مؤسسها الذي كان لهُ نسيباً ومن اخص رجال الفضل

حديقة الاخبار

صحيفة اسبوعية سياسية علمية تجارية تاريخية برزت في غرَّة كانون الثاني ١٨٥٨ على يد مؤسسها خليل الخوري اللبناني . وهي اول جريدة سياسية أُنشئت في البلاد العثمانية خارجاً عن عاصمة



خليل الخوري

موءسس جريدة « حديقة الاخبار » وصاحب امتيازها الاول

صحي لكم مني التحيةُ والثنا   فانا لكم طولَ الزمان خليلُ

السلطنة • وكان خليل الخوري قبل انشاء « حديقة الاخبار » عازماً عَلَى تسمية جريدته « الفجر المنير » وعرضها للاشتراك عَلَى اعيان بلادنا وادبائها • وعلمنا ذلك من وثيقة محفوظة في بيت ميخائيل مدور ومذيلة باسماء الذين بادروا الى الاشتراك في الفجر المنير • انما نجهل السبب الذي حمل خليل الخوري

على تبديل هذا الاسم بحديقة الاخبار · واليك نص الوثيقة المذكورة بالحرف الواحد :

« انه سيطبع في مدينة بيروت بمطبعة خصوصية مجموع حوادث عربي العبارة يحتوي عَلَى حوادث هذه البلاد وعَلَى الحوادث الخارجية مؤلفة ومترجمة من احسن واعظم جرنالات الاوربا · وعلى فوائد علمية عامة واحوال متجرية ليكون نافعاً سائر طبقات الناس · وذلك بهمة جمعية مولفة من احذق وانبه رجال البلاد المولفين والمترجمين والمصححين الذين ستشهر اسماؤهم فيما بعد لاسيما جناب عمر افندي الانسي الحسيني وجناب الشيخ ناصيف اليازجي · وابتداء العمل يكون حين ورود الفرمان العالي بعد اخذ الاسماء اللازمة لهذه العملية · فنلتمس من كل مهذَّب يرغب نفع البلاد ان يشرفنا بوضع اسمهِ في هذه القائمة · وثمن هذا المجموع مائة وعشرون غرشاً بالعام تُدفع عند استلام اول عدد · وهو يطبع في كل اسبوع تحت ادارة كاتبه خليل الخوري واسمهُ الفجر المنير »

وكانت حديقة الاخبار المظهر الوحيد للرسائل العمومية والانباء المفيدة وتنشيط الناس عَلَى اقامة المدارس وتعميم الزراعة وترويج الصناعة وتحسين التربية والاخلاق والعادات · وقد حافظت في جميع ادوار حياتها عَلَى مبدأ الاستقامة والعدل وحب النفع العام · ولذلك قرظها الامراء والوزراء والعلماء شرقاً وغرباً بما تستحقهُ من المدح كامير الامراء السيد حسين التونسي والصدر الاعظم خير الدين باشا الشهير · ونذكر منهم السيد رينو احد اعضاء المحفل العلمي الفرنسي ورئيس « الجمعية الاسيوية » واستاذ اللسان العربي في باريس وحافظ المخطوطات الشرقية في مكتبة الدولة الفرنسية · فانهُ تلا تقريراً مطبوعاً امام الجمعية المذكورة في ٢٩ حزيران ١٨٥٨ وخصصهُ بوصف « حديقة الاخبار » مشبهاً اياها باعظم الجرائد الاوربية · ثم ذكر ما كابده منشئها من العناء في تعريب الاوضاع المستحدثة في اوروبا وايجاد الفاظ عربية تقابلها وتؤدي معناها الحقيقي بكل امانة · ومنهم السيد فليشر احد اركان « الجمعية الشرقية الالمانية » واستاذ اللغات الشرقية في كلية ليبسيك · فانهُ تلا خطابين سنة ١٨٥٨ وسنة ١٨٥٩ عَلَى محفل هذه الجمعيـة ونشرها باللغة الالمانية · وهما يتضمنان الثناء عَلَى اسلوب انشاء حديقة الاخبار التي مثلها بلسان حال التمدن السوري

وكان اكبر عضد في انشاء هذه الصحيفة القديمة العهد رجلُ الفضل والشهامة ميخائيل بن يوسف مدور من اعيان بيروت وترجمان قنصلية فرنسا فيها · ولذلك قرَّظه خليل الخوري في العدد الخامس بما يأتي: «قد جعل بمساعدته حديقة الاخبار ان تزهر برياض الشام وتجري من ثغر بيروت زلالاً ترتشفهُ ابناء الوطن · وهي تكون مشروعاً يؤمل بواسطته تقدم ونجاح المعارف والتهذيب في هذه البلاد · » ولا غرو فان ميخائيل مدوَّر من اعاظم نصراء الادب

ولما حضر فوءاد باشا الى سوريا سنة ١٨٦٠ خصص حديقة الاخبار بخدمة الحكومة واتخذها

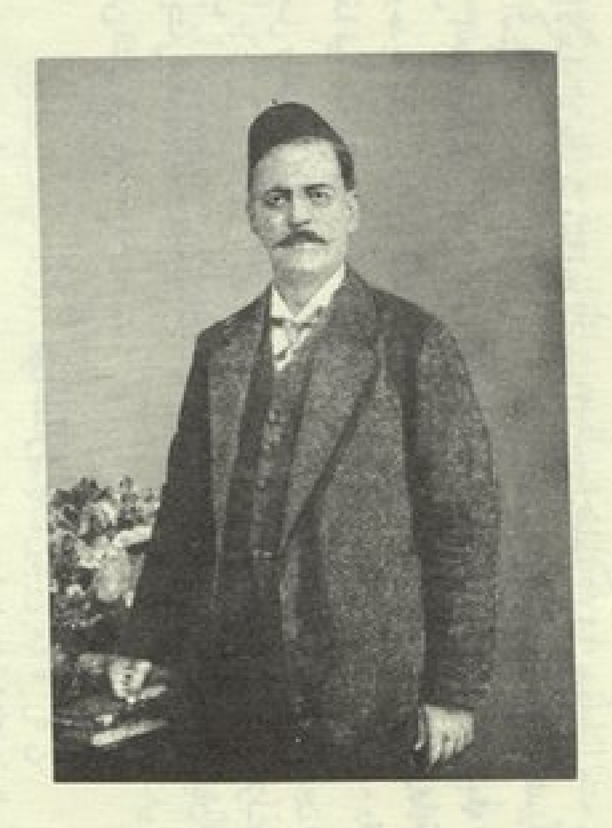
بمثابة جريدة نصف رسمية · وقد عين لصاحبها بارادة سنية راتب شهري قدره عشرون ليرة عثمانية اعانةً على نشرها حتى ظهرت جريدة « سورية » الرسمية · وفي ١٣ آب ١٨٦٨ صدرت باللغتين العربية والفرنسية لان فرنقو باشا حاكم جبل لبنان جعلها الصحيفة الرسمية لحكومته بدلاً من جريدة « لبنان » الملغاة · وبمقابلة ذلك نال منشئها ثلاثين ليرة عثمانية راتباً شهرياً · وكان يساعده في تحريرها اخوه سليم الخوري مع سليم بن ميخائيل شحاده وغيرهما من الادباء · وبعد ان قطعت حكومة الجبل عن حديقة الاخبار راتبها الشهري استمر خليل الخوري على نشرها لحسابه الى آخر ايامهِ وعهد بتحريرها الى اخيه وديع

وعلى اثر وفاته في ٢٦ تشرين الاول ١٩٠٧ تحول امتياز الحديقة الى اخيه المشار اليه · وقد أُتيح لصاحب الامتياز الثاني ان يحتفل بيوبيلها الذهبي في ١٣ كانون الاول ١٩٠٨ بحضور اركان الحكومة واعيان المدينة ومشاهير حملة الاقلام فيها · وهو اول احتفال رسمي قامت به جريدة عربية تذكاراً لمرور خمسين سنة عَلَى تأسيسها · فتليت الخطب البليغة والقصائد الشائقة التي نورد منها الابيات الآتية لناظم عقدها داود بك نقاش :

هذي الحديقةُ طالما	ارجت بها غرُّ الازاهرْ
بعثت الى الأُدباء تنشر	مَن لها قد كان ناشرْ
هي أُمُّ كلِّ جريدةٍ	عربيةٍ وبها نفاخرْ
فالحرُّ كل الحرِّ مَن	في مدحها ابداً يجاهرْ
واخو الكمال فتى عليه	مذ بكت شُقَّت مرائرْ
والصدق في تاريخهِ	لحديقةِ الاخبارِ شاكرْ

١٩٠٨

وكانت حديقة الاخبار قد احتجبت عاماً كاملاً قبل وفاة مؤسسها لاعتلال صحته · فبقيت كذلك حتى اعاد نشرها صاحب الامتياز الثاني ومحررها بالاشتراك مع اخيه حنا الخوري · فاصدراها يوميةً في ١٨ كانون الاول ١٩٠٨ تيمناً بافتتاح مجلس النواب للمرة الاولى بعد اعلان الدستور في السلطنة العثمانية · وقد ضمّناها مقالات شائقة في السياسة والاخلاق وفصولاً مفيدة في تأثير النساء وتهذيب البنات · وهي مأخوذة من كتاب مطول لصاحب الامتياز الثاني عنوانه « المرأة زهرة الآداب » لم يُطبع للآن · وفي ١٧ حزيران ١٩٠٩ توقف اصدار الحديقة لاختلال طرأ فجأةً عَلَى آلة طباعتها · ثم عادت الى الظهور من ١٥ تشرين الثاني ١٩١٠ الى ٢٠ نيسان ١٩١١ ولم تزل محتجبةً حتى اليوم · اما الذين تولوا تحرير « حديقة الاخبار » مع صاحبي الامتياز فهم : ميخائيل مدور ونقولا منسى وسليم بن جبرائيل الخوري وسليم شحاده وسليم بن عباس الشلفون · وقد بلغ



حنا الخوري

مدير شؤون جريدة « حديقة الاخبار »

وديع الخوري

صاحب الامتياز الثاني لجريدة « حديقة الاخبار »

مجموع الاعداد التي صدرت منها منذ تأسيسها الى حين احتجابها ٢٩٧٣ عدداً

وقد انعم السلطان محمد الخامس على وديع الخوري بخاتم مرصع بالحجارة الكريمة تقديراً لمساعيه في سبيل الصحافة والوطن . ومن مآثره الادبية ايضاً ديوان شعر طُبع قسمٌ من قصائده في جريدتي التقدم وحديقة الاخبار ومجلتي الجنان والمقتطف . ومنذ بضعة اعوام شرع في تعريب رواية «تلياك» نظماً محتذياً فيها حذو سليمان البستاني في تعريب « الالياذة » للشاعر اليوناني هوميرس . وقد راعى فيه الاصل والمعنى كل المراعاة حتى جاءت ترجمته من احسن ما يُلقى بين ايدي المتأدبين وطلاب المدارس . ثم نظم تاريخاً شعرياً مفصلاً عن الحرب العثمانية الايطالية في طرابلس الغرب وقد جعله قسمين: ينتهي اولها بفاجعة بيروت في ٢٤ شباط سنة ١٩١٢ عند ما اطلق عليها الايطاليان قنابلهم . ويتضمن الثاني بقية حوادث الحرب

﴿ عطارد ﴾

صحيفة سياسية أُنشئت عام ١٨٥٨ في مدينة مرسيليا بفرنسا وهي تاسعة الصحف العربية . وقد اسسها المستعرب الشهير منصور كرلتي « Carletti » الذي درس اللغة العربية في بيروت وكان عضواً في الجمعية السورية العلمية السابقة الذكر . وما عتمت ان توقفت عن النشر في سنتها الاولى . ثم ذهب صاحبها بعد ذلك الى تونس حيث كلّفه الباي محمد الصادق باشا بانشاء جريدة « الرائد التونسي » كما سترى

﴿ برجيس باريس ﴾

جريدة سياسية نصف شهرية ظهرت بتاريخ ٢٤ حزيران ١٨٥٨ في مدينة باريس لمحررها الكونت رشيد الدحداح اللبناني ومديرها الاب فرنسيس بورغاد رئيس مدرسة القديس لويس . وكان رسم النسر الامبراطوري الفرنسي يعلو عنوان هذه الجريدة التي تعد باكورة الصحف العربية بكبر حجمها وجودة حروفها واتقان طبعها واتساع مواضيعها . وقد ذاعت شهرتها في الخافقين واقبل الادباء على الاشتراك فيها من كل الاقطار العربية كما يتضح من اسماء وكلائها واماكن بيعها المنشورة في صدرها الى جانبي العنوان . فكانت عبارتها فصيحة ومباحثها مفيدة تتناول كل فن ومطلب . وقد قرّظها بعض العلماء والشعراء الذين نذكر منهم الشيخ محمود قبادو التونسي اذ قال :

أيا مجرياً في البحر شمَّ بوارجٍ ... ويا منضياً في البيد قبَّ الركائبِ
عليكَ ببرجيسَ الرشيد فانه ... كفيلٌ بما تعنى لهُ من عجائبِ
فما هي الا لمحةٌ من سطوره ... وقد دارت الاخبارُ من كل جانبِ
فتروي لك الدنيا بعرض صحيفةٍ ... وتشهدُ من انبائها كل غائبِ

وفي سنتها الرابعة عرضت للكونت رشيد الدحداح اشغال مهمة مع باي تونس محمد الصادق باشا الجأته الى تسليم الجريدة للشيخ سليمان بن علي الحرائري الحسني التونسي من مشاهير كتّاب ذاك العصر · فتولى هذا تحريرها حتى احتجبت في السنة الخامسة من عمرها · وقد نشر فيها كتاب « قلائد العقيان للفتح بن خاقان » ثم « سيرة عنترة » وطبعهما على حدة

﴿ الجوائب ﴾

صحيفة اسبوعية سياسية برزت في الاستانة بتاريخ شهر تموز ١٨٦٠ لمنشئها احمد فارس الشدياق اللبناني الذي كان ينشرها في المطبعة السلطانية · وقد أرخ الحاج حسين بيهم البيروتي صدورها بهذه الابيات :

ان الجوائب بالاخبار قد شهدت　　بالسبق في كل ميدان لمعربها
من كلّ فاكهةٍ زوجين قد جمعت　　فطاب واردها من طيب مشربها
تجوب دوماً جهات الارض جالبةً　　اخبارَ مشرقها ارّخْ لمغربها

سنة ١٢٧٨ هجرية

ومنذ السنة العاشرة انشأ احمد فارس مطبعة خاصةً بها وجهزها بكل ادوات فن الطباعة حتى صارت تُعد من اشهر المطابع في السلطنة العثمانية · وقد انتشرت الجوائب انتشاراً عظيماً في الشرق والغرب ونالت شهرةً واسعةً لم تنلها جريدة سواها منذ ظهور الصحافة العربية حتى ذاك العهد · فكان يقرأها سلاطين العرب وملوكهم وامراؤهم وعلماؤهم في تركيا ومصر ومراكش والجزائر وتونس وزنجبار وجاوا والهند وغيرها · وقد ساعد السلطان عبد العزيز على توسيع نطاق هذه الجريدة لبثّ فكر الخلافة النبوية بين المسلمين المنتشرين خارجاً عن الدولة العثمانية · وكان احمد فارس يقبض كل سنةٍ خمسمائة ليرة عثمانية من السلطان المشار اليه لهذه الغاية · وكان كل من اسمعيل باشا خديو مصر ومحمد الصادق باشا باي تونس ينفحهُ بمثل المبلغ المذكور لاجل خدمة افكارهما وترويج مصالح بلادهما

وفي شهر تموز ١٨٧٩ صدر الامر بتعطيل الجوائب مدة ستة شهور لامتناع مديرها من نشر مقالةٍ ادرجتها جريدة « ترجمان حقيقت » التركية طعناً في اسمعيل باشا الخديو ومقابلته تلك المقالة بمقالة اخرى عنوانها « سفاهة الحقيقة » دفاعاً عن امير مصر · وكانت الجوائب محقةً بدعواها اذ ليس من قانون يجبرها على نشر مقالةٍ لم تُعطَ لها بصورةٍ رسمية · وللحاج حسين بيهم في تعطيل الجوائب حينذاك واعادة نشرها بيتان نوردها بالحرف الواحد :

لئن حجبت شمسُ « الجوائب » برهةً　　فذاك لسرٍّ قد بدا خيرهُ فينا

حكت قمراً حين احتجاب وقد بدت كبدرٍ بانواع المعارف يهدينا

و بهذه المناسبة ايضاً نظم كثيرٌ من الشعراء قصائد التهنئة لاحمد فارس باعادة نشر جريدته . ونقتصر منها على ذكر الابيات الثلاثة التي ختم بها حنا بك صعب قصيدته مخاطباً صاحب الجوائب :

وأرجعتَ للدنيا جوائب فارسٍ فسرّت بها الاقطارُ من كلّ جانبِ
وفي عودها قد قلتُ فالعودُ احمدٌ فاهلاً وسهلاً ذرّ بدرُ الثواقبِ
وها قد تلا الصعبيُّ حنا أبنُ اسعدٍ لأحمدها حمداً بقلبٍ وقالبِ

وسنة ١٨٨٢ قبض احمد فارس من سفارة انكلترا في الاستانة مبلغ الف ليرة انكليزية حتى يطبع صورة المنشور الذي صدر من الباب العالي باعلان عصيان عرابي باشا لإثارته نار الفتنة في وادي النيل . فكان ذلك سبباً لانكسار عرابي وسقوط اعتباره من عيون المسلمين عامةً والمصريين خاصة

وكانت الجوائب لا تخلو من المناظرات العلمية او السياسية بين صاحبها و بين اكبر علماء ذلك العهد كالشيخ ابرهيم اليازجي والكونت رشيد الدحداح والشيخ ابرهيم الاحدب والدكتور لويس صابونجي والشيخ سعيد الشرتوني والمعلم بطرس البستاني ورزق الله حسون ويوسف باخوس وسواهم من اساطين الجهابذة . ومما يعاب على احمد فارس خلطهُ المناظرة العلمية بالمقاذعة ثمّ العدول عن البرهان الى الطعن والذم والشتم الى ما شاكل ذلك مما يغض من مقام العالم ويحط من قدر الكاتب . واقدم تلك المناظرات واشهرها هي المناظرة اللغوية التي جرت بين جريدتي الجوائب وبرجيس باريس . فاستفحل الامر بهذا المقدار حتى توسط بينهما الشيخ العلاّمة عبد الهادي نجا الابياري . فانهُ ابدى حكمه في كراسة عنوانها « النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجوائب » وكان كلامه فصل الخطاب . وعلى اثر ذلك نظم احمد فارس قصيدتهُ الدالية التي يقول فيها :

أبدى لنا في مصر نجماً ثاقباً لكن سناه بكل مصرٍ هادِ
فيهِ الفوائد والفرائد فُصّلت موصولة البرهان بالاسنادِ
ان قال لم يترك لقوّالٍ مدى او صال هال وطال كل معادِ
هو فيصلٌ في الحكم يرضي فصله مَن كان لم يقنع من الاشهادِ
لولاهُ لم يقطع لسانُ المفتري عني ولم يفصل جدال جلادِ
فلذاك كان على الجوائب مدحه حقاً وايجاباً مدى الآبادِ

ولما مات الشيخ ناصيف اليازجي سنة ١٨٧١ رثاه احمد فارس على صفحات الجوائب وانتقد

في معرض التأبين . وكان موضوع الانتقاد لفظة « فطحل » كأنها وردت في مقامات كتاب « مجمع البحرين » ساكنة الثاني وقد يكون ذلك غلط مطبعي . فانتصر الشيخ ابرهيم اليازجي لابيهِ عَلَى صفحات مجلة « الجنان » لبطرس البستاني . فحمل عليهِ احمد فارس وقابله بكلام جارح . فقام الشيخ ابرهيم وردَّ عليه ردًّا طويلاً بليغاً وضمَّنهُ بيتين دلاَّ عَلَى ادبه الجم ونفسه الكبيرة :

لبس الوقيعة من شأني فان عَرَضَت — اعرضتُ عنها بوجهٍ بالحياء ندي
اني اضنُّ بعرضي ان يلمَّ بهِ — غيري فهل اتولى خرقهُ بيدي[1]

ومن تلك المناظرات ايضاً ان الشيخ سعيد الشرتوني انتقد كتاباً لاحمد فارس يسمى « غنية الطالب ومنية الراغب » في الصرف والنحو وحروف المعاني . ثم جمع هذه الانتقادات في كتاب سماه « السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب » وطبعه سنة ١٨٧٤ في بيروت . وقد كبر هذا الامر على صاحب الجوائب فاستنجد الشيخين يوسف الاسير وابرهيم الاحدب . فألَّف كلٌّ منهما رداً عَلَى الكتاب المشار اليه . ومع شدَّة ميلهما الى المستنجد لم يسعهما ان يقرا في كثير من المواضع من الاقرار بصوابية الانتقاد . وقد وقفنا على قصيدة شائقة رثى بها الشيخ سعيد الشرتوني مناظرهُ احمد فارس نورد منها الابيات الآتية:

انَّ المنية انشبت بالكاتبِ — اظفارها فغدا صريعَ معاطبِ
قد كان يلعبُ بالعقول بيانهُ — لعبَ المدامة بالنزيف الشاربِ
ليس الجدالُ بمانعي عن حقه — واري رثاهُ اليوم ضربة لازبِ
ابقى الجوائبَ شاهداً من بعده — يقضي له بالفضل غير موارب
كانت عليها كالعيال جرائدٌ — ترجو لقاها كالحبيب الغائبِ
كنا نودُّ معادهُ ويودُّهُ — فأتى الحمام فحالَ دونَ رغائبِ
ارجو له عفوَ الالهِ وصفحهُ — والله اعلم بالجزاء الواجبِ

وبعد ما لعبت الجوائب دوراً مهماً في سياسة الشرق نُقلت ادارتها سنة ١٨٨٣ الى عاصمة القطر المصري بحيث خلفتها جريدة « القاهرة » ثم جريدة « القاهرة الحرَّة » اللتان سيأتي ذكرهما . وكان احتجاب الجوائب قبل وفاة منشئها باربعة اعوام . وقد جمع سليم بن احمد فارس انفس ما نشرته هذه الجريدة من منثور ومنظوم . ثم طبعه في سبعة مجلدات سماها « كنز الرغائب في منتخبات الجوائب » وكان سليم فارس الروح العاملة في هذه الجريدة الطائرة الصيت . وله اليد

«١» كتاب « حوادث وخواطر » للدكتور شبلي شميل (مجلة « فتاة الشرق » في القاهرة : عدد ٣ : ١٥ كانون الثاني ١٩١٣)

الطولى في تدبير شؤونها وادارة سياستها وتشغيل مطبعتها · وكانت المقالات الافتتاحية مدبجة بيراعه ومشتملة عَلَى اهم حوادث الكون

﴿ نفير سوريا ﴾

هو اسم جريدة صغيرة ذات صفحتين اذاعها المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٦٠ بعد الحرب الاهلية في برّ الشام · وقد جعلها عَلَى شكل رسائل وطنية تتضمن نصائح مفيدة لشد عرى الالفة بين السكان عَلَى اختلاف مذاهبهم كالاسرائيليين والنصارى والمسلمين والدروز · ثم اوقف نشرها بعد استتباب الراحة في هذه البلاد وخلود الناس الى السكينة · وظهر من هذه النشرة ثلاثة عشر عدداً موسومة بالنفير الاول والنفير الثاني حتى الاخير بدلاً من العدد الاول والعدد الثاني الخ كما جرت العادة · وقد اتحفنا خليل سركيس صاحب جريدة « لسان الحال » بفقرة منقولة عن « نفير سوريا » فاثبتناها هنا بالحرف الواحد :

« يا ابناء الوطن !

« ان الفظائع والمنكرات التي ارتكبها اشقياؤنا هذه السنة كسرت القلوب واسالت الدموع · وعكرت صفاء الالفة واضاعت حق الجوار · أما تمالح الجاران ؟ أما شربتم ماء واحداً ؟ أما تنشقتم هواء واحداً ؟ اما رأيتم العقلاء ساعين في تشييد اركان الالفة ورفع منار العلم رغبةً منهم في ارتقاء البلاد وسعادة العباد ؟ إعلموا انكم بعملكم المنكر قد ارجعتم الوطن الى الوراء نصف قرن الخ الخ · هدانا الله واياكم الى سواء السبيل »

الفصل الرابع

اخبار الصحف من فتنة برّ الشام سنة ١٨٦٠ الى سنة ١٨٦٩

﴿ الرائد التونسي ﴾

صحيفة رسمية اسبوعية تاسست في غرّة محرم ١٢٧٨ (٩ تموز ١٨٦١) على يد محمد الصادق باشا الباي الثالث عشر للدولة التونسية · وهي باكورة الصحف الدورية التي ظهرت في القطر المذكور · رأى هذا الامير ان الصحافة من اقوى دعائم العمران للممالك · اذ ثبت لديه بالاختبار ما نتج من الفوائد العظيمة بواسطة انتشار صحيفة « الوقائع المصرية » في وادي النيل وجريدة « المبشر » في الجزائر · فأراد ان يقتفي آثار هاتين الحكومتين المجاورتين لبلاده ويفتتح عهد حكمه بمأثرة جليلة تعزيزاً لشأن العلم وتمهيداً لاسباب الحضارة في الامارة التونسية · فانشأ جريدة « الرائد التونسي »



محمد الصادق باشا

الباي الثالث عشر على المملكة التونسية ومؤسس جريدة « الرائد التونسي »

الصادق العلم الحسيني الذي   به تونس حيطت باعظم سور
اذ انه الملك الذي أحيا لها   ربع المعارف بعد محض دثور

على مثال الجريدتين المذكورتين لتكون لسان حال الامارة · وقد صدرها بهذه الآية « حب الوطن من الايمان فمن يسع في عمران بلاده انما يسعى في اعزاز دينه » التي جعلها شعاراً لها · وتوصلاً للغاية المقصودة استدعى لديه رجلاً فرنسياً من مشاهير المستعربين يسمى منصور كرلتي صاحب جريدة « عطارد » سابقاً في مرسيليا · ثم كلفه باخراج هذا المشروع من حيز القوة الى حيز الفعل · فقام منصور بمهمته احسن قيام اذ هيأ المطبعة ونظم ادواتها وعلم العملة ترتيب الحروف · وكان يحرر بذاته اكثر فصول الجريدة ويساعد العمال في طبعها · وبعد استقالته من هذه الوظيفة خلفه الشيخ محمد السنوسي ثم السيد محمد بيرم الخامس والحاج حسن لازغلي وسواهم في كتابة هذه الجريدة القديمة وادارتها · فقضى الرائد التونسي ادواراً مهمة نفقت فيها آداب الكتبة وتخرجت فيها

جماعة من حملة الاقلام لا تزال آثارهم تشهد لهم بكمال الاقتدار والبراعة · ومن جملة اولئك الكتاب خير الدين باشا التونسي الصدر الاعظم الشهير الذي نشر على صفحات الرائد « فصولاً سياسية تسترق الالباب ليست مذيلة باسمه » كما روى محمد الجعايبي صاحب مجلة خير الدين · و بعد ما بسطت الحكومة الفرنسوية حمايتها عَلَى تونس خصصت هذه الجريدة بالشؤون الرسمية والاعلانات الشرعية . ثمَّ جعلتها نصف اسبوعية وزادت عدد صفحاتها التي لا تقل الآن عن اثنتي عشرة صفحة · وللرائد قسم فرنسي اسبوعي يطبع منفرداً عن النسخة العربية

وقد روى جرجي زيدان في ترجمة احمد فارس الشدياق المطبوعة في كتابه « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » ان احمد فارس حرَّر في جريدة الرائد التونسي · والحال ان المشار اليهِ زار تونس قبل سنة ١٨٥٧ ولم يعد اليها مرة ثانية · وكان ذلك قبل تاسيس الرائد التونسي باربع سنين في عهد الباي احمد باشا · وروى مثل ذلك الاب لويس شيخو في كتابه « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » فاقتضى التنويه · لانه لما صدر « الرائد التونسي » كان احمد فارس يحرر جريدة « الجوائب » في الاستانة التي لم يزابلها الى اواخر ايامه

❋ اخبار عن انتشار الانجيل في اماكن مختلفة ❋

هي نشرة شهرية دينية مصورة يرتقي عهد أقدم اعدادها الى غرَّة اذار ١٨٦٣ انشأها الدكتور كرنيليوس فان دَيك الشهير من رؤساء المبشرين الاميركيين في سوريا · وهي تُعدُّ باكورة الصحف الدينية والمصوَّرة معاً في لسان العرب وسائر الالسنة الشرقية · وغرضها إذاعة اخبار المرسلين البروتستنت في اقطار العالم وتعميم انتشار الانجيل بين القبائل المختلفة في الشرق الادنى · فكانت تُطبع اولاً في صفحتين صغيرتين بقطع ربع · ثم نُشرت في اربع صفحات حتى احتجبت في ختام سنة ١٨٦٥ وأُنشئت مجلة « النشرة الشهرية » بدلاً منها · وكانت رسومها مطبوعة بغاية الاتقان ويؤتى بقوالبها محفورة في اميركا

❋ نتائج الاخبار ❋

عنوان لجريدة اسبوعية سياسية انشأها السيد حسين المقدم في عاصمة الامارة التونسية · وهي باكورة الصحف السياسية التي ظهرت في شمال افريقيا من وادي النيل الى المغرب الاقصى · فكانت تُطبع بحجم صغير عَلَى مطبعة حجرية وتنشر اهمَّ اخبار العالم شرقاً وغرباً · وروى لنا السيد الطيب بن عيسى صاحب جريدة « المشير » المعتبرة في تونس ان « نتائج الاخبار » ظهرت في نواحي سنة ١٨٦٣ ولم يصدر منها سوى اعداد قليلة

﴿ يعسوب الطب ﴾

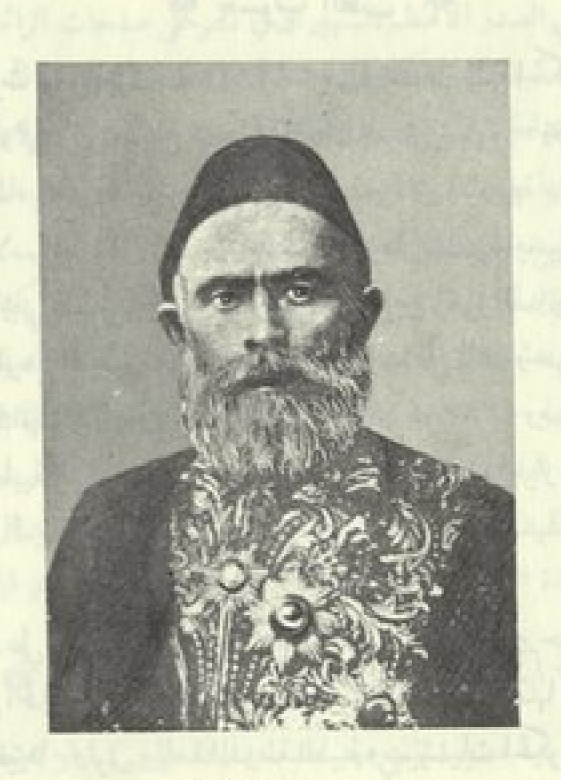
مجلة طبية ظهرت في القاهرة سنة ١٨٦٥ لصاحبيها محمد علي باشا الحكيم رئيس الاطباء بمصر وابرهيم الدسوقي · وهي اول مجلة من نوعها في اللسان العربي شعارها « يخرج من بطونها شراب مختلف الوانهُ فيه شفاء للناس » وكانت تُطبع في مطبعة بولاق الاميرية بنفقة الحكومة المصرية · وقد دُعيت بهذا الاسم اشارةً الى انها تجني لمطالعيها من ازهار الطب ما يغنيهم عن مراجعة مطولات الكتب والمجلات كما يجني اليعسوب (امير النحل) مواد العسل من زهور البساتين · ومنذ العدد السادس والعشرين انسحب ابرهيم الدسوقي من ادارتها فتولاها محمد علي باشا وحده · ثم انضمَّ اليه محمد اسمعيل منذ العدد الثاني والاربعين الصادر في ٢٤ ربيع الآخر ١٢٨٧ وصارت تصدر باسم كليهما. وما عدا المقالات الطبية التي كان ينشرها المديرون المشار اليهم فقد حرَّر في هذه المجلة كثير من الكتّاب والكاتبات الذين نذكر منهم : احمد ندا وخليل حنفي وحسن عبد الرحمن والقابلة الشهيرة جليله تمرهان

وقد توفي محمد علي باشا في الحبشة سنة ١٨٧٧ عند ما رافق الامير حسن باشا ابن الخديو اسمعيل باشا رئيس الحملة المصرية هناك · وترك بعض تآليف مفيدة منها كتاب « غاية الفلاح في اعمال الجرّاح » وغيرها · وتولى رئاسة المدرسة الطبية ومستشفيات الحكومة وتخرَّج عَلى يده كثير من مشاهير الاطباء المصريين · واشتهر بين ابنائه الدكتور احمد باشا حمدي

﴿ سورية ﴾

جريدة اسبوعية رسمية صدرت في ١٩ تشرين الثاني ١٨٦٥ بعناية راشد باشا والي ولاية سورية · وهي تظهر في اربع صفحات كبيرة نصفها تركي يُكتب بقلم مكتوبي الولاية · والنصف الآخر عربي يقوم بتحريره احد الكتبة الدمشقيين الذين نعرف منهم اديب نظمي صاحب جريدة « الكائنات » حالاً ومحمد كرد علي صاحب مجلة « المقتبس » وجريدة « المقتبس » ايضاً · وليس لهذه الجريدة « سورية » شأن في عالم الانشاء والآداب والسياسة لانها مختصة بنشر اوامر الحكومة ونظاماتها والحوادث الرسمية في الولاية من عزل ونصب مع اعلانات دوائر الحكومة · وهي ما برحت حتى اليوم بادارة مدير تحريرات الولاية

واول من رتب احوالها ونظم مطبعتها كان خليل الخوري اللبناني منشئ جريدة « حديقة الاخبار » البيروتية · فلما انتظمت شؤُونها تركها بعد ما تخرَّج على يده بعض العمال الماهرين · وآخر الذين تولوا ادارتها مصطفى واصف صاحب امتياز جريدتي « الشام » و « السكة الحجازية » سابقاً



احمد جودت باشا

مؤسس جريدة «فرات» في حلب

﴿ الشركة الشهرية ﴾

مجلة شهرية أنشأها يوسف بن فارس الشلفون في غرة كانون الثاني ١٨٦٦ بقطع صغير ونشرها في المطبعة العمومية . وكان كلّ جزء منها تبعاً لرتبته العددية يُعرف بالشهر الاول والشهر الثاني والشهر الثالث بدلاً من الجزء الاول والجزء الثاني والجزء الثالث الخ . فعاشت هذه المجلة ثمانية شهور ثم احتجبت لقلة مباحثها وعدم إقبال القوم على مطالعتها. لان منشئها اقتصر على ان ينشر فيها نبذاً من كتب الاقدمين او قصصاً مترجمة عن كتبة الافرنج المحدثين . فاجزاؤها الثلاثة الاولى تضمنت نبذةً من تاريخ « يوسيفوس بن كربون » اليهودي . ونشرت في الرابع والخامس قصة « منتو كريستو » لاسكندر دوماس مترجمة بقلم سليم صعب . وحوى السادس نبذةً في « تهذيب الاخلاق » لابي زكريا بن عدي . وطبع في السابع ديوان السلطان خليل الاشرف . وظهرت في الجزء الثامن والاخير « لامية العجم » للطغرائي

﴿ النشرة الشهرية ﴾

هو اسم لجريدة شهرية دينية مصورة ذات ثماني صفحات صغيرة انشأها الدكتور كرنيليوس ڤان ديك · وقد ظهر عددها الاول في غرّة كانون الثاني ١٨٦٦ عَلَى انقاض الصحيفة المسماة «اخبار عن انتشار الانجيل في اماكن مختلفة » المار ذكرها · وكانت الغاية من إصدارها بث تعاليم المذهب البروتستنتي مع اذاعة اخبار المبشرين بهِ واعمالهم بين الشعوب الناطقة بالضاد · فكان يحرر فيها قسوس الطائفة الانجيلية وابناؤها كالدكتور المشار اليهِ والمعلم شاهين سركيس واخيه المعلم ابرهيم سركيس والاستاذ رزق الله برباري وسواهم · وبعد ما عاشت خمس سنين كاملة خلفتها عام ١٨٧١ جريدة « النشرة الاسبوعية » التي لم تزل حية الى الآن · وفي العام الاخير من عمرها جرى بينها وبين مجلة « المجمع الفاتيكاني » الخاصة بالآباء اليسوعيين جدال يتناول بعض المسائل المختلف عليها بين الكاثوليك والبروتستنت · وكانت هذه الجريدة مكتوبة بعبارة بسيطة ملائمة لاهل ذلك العصر خاصتهم وعامتهم

﴿ وادي النيل ﴾

هو عنوان مجلة سياسية علمية ادبية انشأها سنة ١٨٦٦ عبد الله ابو السعود ناظر المدرسة الكلية التي اسسها محمد علي باشا الكبير في القاهرة · وهي اول صحيفة عربية تناولت هذه المباحث في القطر المصري · وكانت تصدر مرّتين في الاسبوع مكتوبة بعبارة صحيحة وافكار راقية وذوق سليم · ولا غرو فان ابا السعود اشتهر بين علماء زمانه بفنون الانشاء شعراً ونثراً · وعاشت جريدة « وادي النيل » اثنتي عشرة سنة حتى تعطلت عام ١٨٧٨ بوفاة صاحبها · وكان الخديو اسمعيل من اكبر المساعدين لها لانها كانت تخدم افكاره باخلاص تام واعتدال المشرب من دون ان تتعرض في جميع مباحثها للشؤون الدينية

﴿ فرات ﴾

صحيفة اسبوعية رسمية اسّسها الوزير الخطير والمؤرخ التركي الشهير جودت باشا والي حلب سنة ١٨٦٧ (١٢٨٤ هجرية) وخصصها بنشر اخبار الولاية المذكورة واوامر الحكومة واعلاناتها · وكانت تُطبع اولاً في اللسانين العربي والتركي · ثمَّ أُضيف اليهما في السنة الثانية قسم ثالث باللغة الارمنية فدام سنةً ونصف سنة · وهي الآن تُنشر فقط باللغتين الاوليين اي العربية والتركية · وبعد اعلان الدستور في السلطنة العثمانية سنة ١٩٠٨ اتسع نطاق مباحثها وتحسنت عبارتها واخذت تنشر المقالات المفيدة سياسياً واجتماعياً وزراعياً واقتصادياً لمنفعة قرائها · وبعد ان كان لا يطالعها سوى ارباب المصالح ورجال الحكومة صارت كسائر الجرائد السيارة يقرأها التاجر والكاتب والصانع

والزارع والكبير والصغير · واول من تولى كتابة قسمها العربي كان احمد مصطفى زاده · وقد خلفهُ السيد عبد الرحمن الكواكبي الشهير مدة خمس سنين · ثم تولاها الشيخ كامل الغزي وغيرهم حتى انتهت اليوم كتابة القسم المذكور الى حنفي افندي · اما ادارتها وشؤون مطبعتها فمتعلقة بجبرائيل برغود منذ سنين عديدة



فرنسيس مرّاش

منشئ المقالات الشائقة في « الجوائب » و « المشتري » و « المجمع الفاتيكاني » و « البشير » و « النحلة » و « الزهرة » و « الجنان » و « الجنة » و « مرآة الاحوال » و « النشرة الاسبوعية »

انا لا ارى في الارض شيئاً يروقني لذلك نور العمر عندي نارهُ
أيطربني هذا الزمان وكله عراكٌ على الدنيا يثور غبارهُ

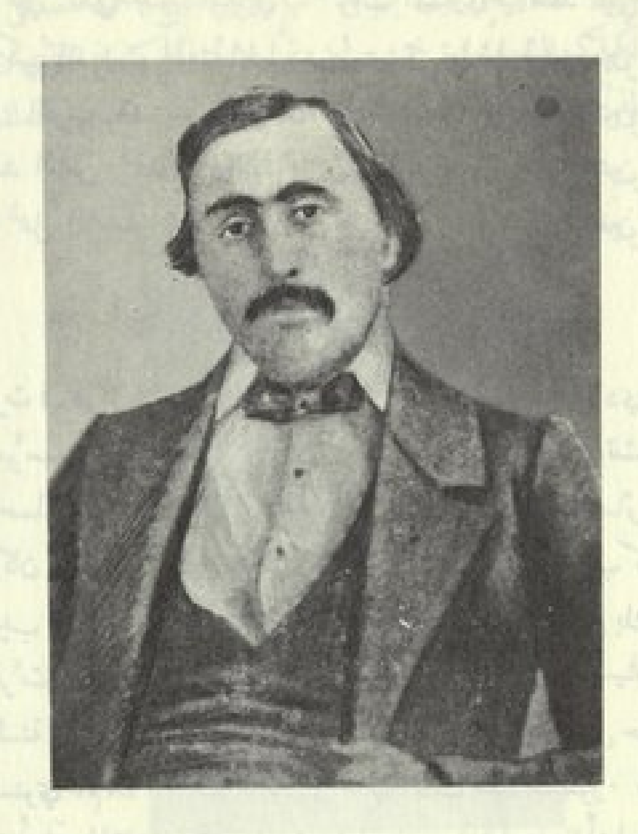
المشتري

هو عنوان لجريدة سياسية كانت تُنشر في باريس اثناء معرضها العام سنة ١٨٦٧ في عهد نابليون الثالث امبراطور الفرنسيس · واسم صاحبها مجهول لدينا على رغم ما بذلناه من التنقيب لمعرفته · وانما يترجح عندنا ان منشئها كان الكنت رُشيد الدحداح اللبناني الذي كان مقيماً حينئذٍ في عاصمة فرنسا · ولا شك انها كانت على جانب عظيم من الفائدة والمكانة لان الشاعر الحلبي الكبير فرنسيس بن فتح الله مراش اطراها وقد وصفها بهذه الابيات :

ليَ عينٌ تظلُّ جنحَ الدياجي	ترقبُ المشتري فيا سعدَ عيني
كوكبٌ قد غدت اشعتهُ اخبا	رُ صدقٍ ما شابها من مَينِ
فمن الغرب قد بدا وللقيا	هُ غدا الشرقُ باسط الراحتينِ
يرشد الناس للتمدُّن والتهذ	يب فهو الآتي من النوعينِ
فيه شملُ الاخبار يحكي الثريّا	فاليه يشارُ بالكفينِ

اعمال شركة مار منصور دي بول

مجلة شهرية ظهرت في غرَّة حزيران ١٨٦٧ بعناية شركة القديس منصور دي بول في بيروت. وتولى ادارتها احد موٴسسيها الطيّب الاثر ميخائيل بن نقولا فرج الله ٠ فكانت تنشر اخبار الشركة المذكورة وميزانية حسابها السنوي وخلاصة وقائع جلساتها العمومية مع انباء سائر فروعها الممتدة في انحاء المعمور٠ وكان يحرّر فصولها كرَماً منهم نخبة من آل الفضل والادب كالخوري يوسف البستاني والشيخ حبيب ابن الشيخ ناصيف اليازجي وانطون عبد الصبّاغ وسليم بك نقلا ودرويش تيان وسواهم٠ واستمرَّت هذه المجلة عَلَى خطتها الشهرية حتى كثرت الصحف في بيروت فصارت تصدر منذ مطلع السنة ١٨٧٤ مرَّة كل ثلاثة شهور٠ ثمَّ أبطلت بعد زمن قليل حتى قيِّض للشركة ان تنشر برنامجها السنوي عام ١٨٩٨ عند ما تولى رئاستها كاتب هذه السطور٠ فاقترح على مجلس شورى الشركة ان يوضَع لها تاريخ يتضمن شتات اخبارها وحوادثها منذ نشأتها حتى ذاك العهد٠ فاستحسن المجلس هذا الرأي وعين بتاريخ ١١ كانون الثاني ١٨٩٨ لجنة موٴلفة من فيليب دي طرازي رئيس الشركة وانطون شحيبر نائب الرئاسة ونقولا قماطي وخليل بارد وشكري غلابيني والمرحوم نجيب حبيقه للقيام بهذا العمل٠ ولما كان يستحيل عَلَى اعضاء اللجنة الاجتماع بنظام لكثرة اشغالهم فوَّضوا الى الرئيس المشار اليه ان يضع تاريخاً جامعاً لاخبار الشركة٠ فلبى الطلب بكل ارتياح وكانت اللجنة تصدّق عَلَى كتاباته بعد تدقيق النظر في محتوياتها حتى أنجز العمل الذي جاء وافياً بالغاية المقصودة والضالة المنشودة٠ هكذا انتشر تاريخ جمعية مار منصور الذي أحيا آثار اعضائها والمحسنين اليها ووفاهم نصيبهم من الثناء بمكيال الحق والعدالة٠ ولبث الرئيس بعد ذلك معتنياً بكتابة برنامج الشركة سنةً فسنةً مدة ثمانية اعوام متوالية حتى تنازل برضاه واختياره عن الرئاسة٠ وعند ما احتفلت الشركة سنة ١٩١٠ بيوبيلها الذهبي عينت لجنةً لطبع برنامج هذه السنة وكان نقولا قماطي احد اعضائها٠ فاستقلَّ وحده بالعمل ونسب لنفسه دون سواه وخلافاً للحقيقة تأليف التاريخ المذكور آنفاً٠ ثمَّ ضرب صفحاً عن ايراد مآثر كثير من ذوي الفضل الذين سطرت لهم الشركة اعمالاً تذكر فتشكر بحيث جاهدوا في جادتها الجهاد الحسن٠ فدفعاً للالتباس وجب الإلماع الى ذلك



ميخائيل فرج الله

مدير مجلة « اعمال شركة مار منصور » وأحد مؤسسيها

على سبيل اظهار الحقيقة. وهنا نورد نصّ الرسالة الرسمية التي وجهتها الشركة للرئيس المشار اليه بعد استقالته. وحسبنا بها برهاناً قاطعاً لفصل الخطاب في هذه القضية وهاك نصها بالحرف الواحد:

« جناب الفاضل الهمام الفيكونت فيليب دي طرازي الافخم رئيس شركة مار منصور دي پول سابقاً

« ايها الاخ المحترم

« ان استقالتكم من رئاسة شورى شركة القديس منصور دي بول في بيروت كان لها تأثير محزن ومؤثر للغاية في نفوس جميع اخوانكم أبناء هذه الشركة المحبوبة لا سيما اعضاء شوراها . فانهم يذكرون بالشكر والافتخار ما لكم في سبيلها من الايادي البيضاء من يوم انضوائكم تحت لوائها وخصوصاً اثناء رئاستكم العامة عليها مدة ثماني سنين متوالية. نعم ايها الاخ المحترم لقد أحييتم رسوم مؤسسي

الشركة وجمعتم آثار الاولين من اعضائها الذين اتوا في جادتها ونهضتها كل اثر يذكر فيشكر . ثم سعيتم في تجديد برنامجها السنوي وعنيتم باوقافها ومدارسها وجمعياتها واحتفالاتها وسائر مصالحها الخيرية قائمين بكل استحقاق بالمهمة السامية التي تقلدها اسلافكم الرؤساء الافاضل الذين طابوا اثراً وذكراً وهم : يوسف برطالس الشريف نسباً و بطرس ديشان الملتهب غيرةً و بشاره خوري المتدفق كرماً . فأحرزتم جميع هذه الصفات المعتبرة كما انكم توفقتم الى استدرار البركات الروحية والامدادات الزمنية من لدن الاحبار الاعظمين ورؤساء الطوائف الكاثوليكية وسراة القوم . فضلاً عن التبرعات السخية والخدم الجليلة التي بذلتموها حباً بالشركة التي تذكر لكم ايضاً ما امتزتم به من علو الهمة وشهامة النفس ونبل المقاصد وسائر المناقب الفريدة . وفي الحقيقة انكم جاهدتم في سبيل نجاحها جهاداً حسناً حتى انكم نلتم ثناء الجميع وصارت الشركة في عهد رئاستكم تتفاخر وتتباهى بين سائر الجمعيات الخيرية بانتظام احوالها ونمو وارداتها واتساع دائرة اعمالها المبرورة

و بناء عليه فمجلس الشورى في جلستهِ المنعقدة في مساء اليوم الرابع من شهر تموز الغابر قد أقرَّ على كتابة هذا الرقيم معلناً شكره الحميم لجنابكم ومعرباً عن اسفه الشديد لاستقالتكم من منصب الرئاسة . و برهاناً على ما سبق ذكره رأينا ان تزين قاعة الاجتماعات برسمكم الكريم الذى سيبقى اثراً خالداً يذكرنا بمساعيكم المحمودة وغيرتكم الوقادة . وفي الختام نتوسل الى الله سبحانهُ ان يوفق اموركم و يوليكم مع أسرتكم العزيزة سوابغ النعم وقرائن القسم . وان يمد بحياتكم الثمينة ويجعل التوفيق لكم اليفاً والسعد حليفاً والهناء ملازماً والزمان خادماً بمن الله سبحانه و كرمه »

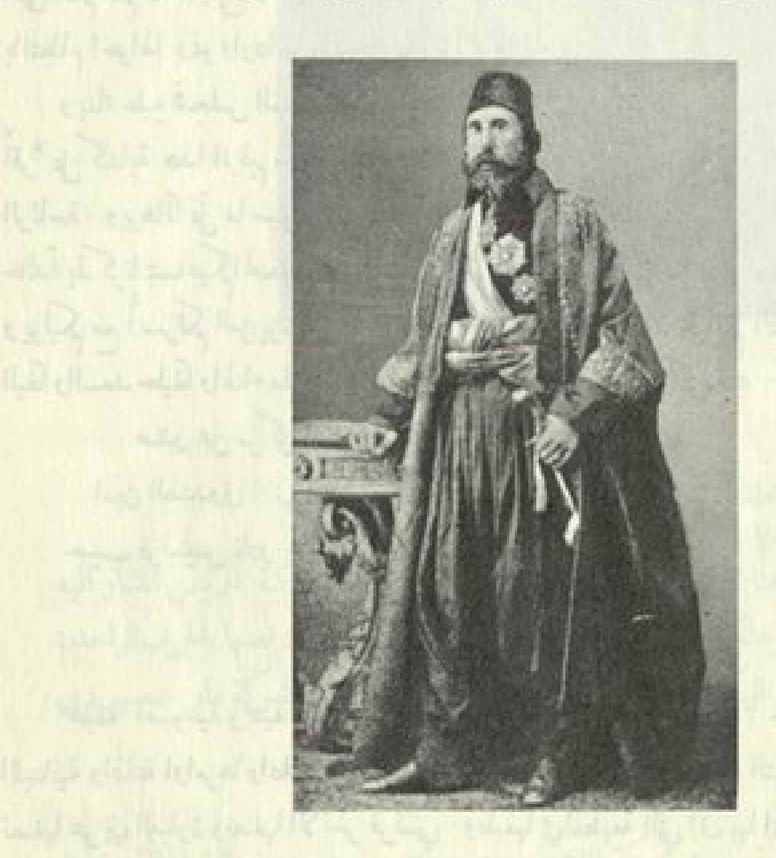
صدر عن مركز الشركة ببيروت في ٣ آب ١٩٠٦ (مكان الختم)

امين الصندوق	كاتب الوقائع	الرئيس
حبيب فرنسيس نادر	شكري غلاييني	انطون شحيبر

لبنان

صحيفة اسبوعية رسمية أنشأها داود باشا حاكم جبل لبنان سنة ١٨٦٧ لخدمة مصالح الحكومة اللبنانية واذاعة اوامرها واعلاناتها . وقد نشرها في اربع صفحات حسنة التبويب لطيفة الحروف نصفها عربي العبارة ونصفها الآخر فرنسي . وطبعها في المطبعة التي اتى بها الى " بيت الدين " مركز الحكومة الصيفي وانتدب لتنظيمها رجلاً بيروتياً ذا همة كبيرة يدعى يوسف الشلفون . فرتب داود باشا الجريدة مكتباً مخصوصاً وادارة منتظمة على نسق الجرائد الكبرى في الدول المتمدنة وجعل لها مراسلين في جميع الجهات . وكان كل عدد منها يتضمن خلاصة سياسية بوجه الاجمال ثم انباء الحوادث الخارجية والاخبار الداخلية وغيرها . وقد تولى كتابة قسمها العربي اولاً صاحب السيف

والقلم حنا بك صعب . ثمَّ خلفه حبيب خالد الحلو ثم الاستاذ الشهير الياس بك حبالين الذي صار فيها بعد رئيس قلم الترجمة في مجلس نظار مصر. اما قسمها الفرنسي فكان يحرره فرنسيس دياب رئيس القلم الاجنبي في الحكومة اللبنانية. وكانت هذه الجريدة متقنة الطبع فصيحة العبارة كبيرة الحجم تعدُّ من اهم صحف ذاك العهد. وبعد ما عاشت عامين كاملين عطلها فرنقو باشا حباً للاقتصاد واتخذ جريدة « حديقة الاخبار » البيروتية بدلاً منها. لكنها بعد اربعين سنة عادت الى الظهور في ٢٥ كانون الثاني ١٩٠٩ بعناية يوسف باشا المتصرف السابع عَلَى جبل لبنان ونجل فرنقو باشا المشار اليه . وقد تعين بولس زين محرراً فيها ومديراً لشؤونها. وهي الآن مكتوبة باللغة العربية فقط وتُطبع في « بعبدا » ولا تنشر سوى الاعلانات الرسمية واوامر الحكومة. وقد نظم حنا بك صعب قصيدة في مدح داود باشا لدى انشاء مطبعة « بيت الدين » جاء في مطلعها :



داود باشا

مؤسس جريدة « لبنان » الرسمية

في عصر داودَ مولانا المشير لقد — جادت سواجعنا في كل تغريدِ

مولىً لهُ الراية البيضاء في ملاءٍ — عيثٌ وغوثٌ لظمآنٍ ومنكودِ

وقال في آخرها

كانت جوانبنا بالحزن منبئة ... والآن تنبي بسر كل تمجيد
لذاك فرض علينا الدهر ننشدها ... في حمد مولى سليم القلب داود
انباه شكر على امجاد مطبعة ... في طود لبنان لا زالت بتجديد
إن تتل مدحاً بتاريخ ترق جمل ... راج لداود تأييداً بتأييد

١٨٦٧

﴿ مجموعة العلوم ﴾

مجلة تشتمل على اعمال « الجمعية العلمية السورية » في بيروت وعلى مباحث عمومية كالزراعة والصناعة والتجارة والتاريخ والشعر وسائر المواضيع العلمية · نشأت في ١٥ كانون الثاني ١٨٦٨ بعناية الجمعية المذكورة · وكان صدورها مرة في الشهر يختلف باختلاف اوقات التئام الاعضاء · فظهرت منها في السنة الاولى عشرة اعداد وفي السنة الثانية سبعة اعداد آخرها في ٢٥ ايار ١٨٦٩ ثم احتجبت · وقد قرظها سليم رمضان مؤرخاً افتتاحها بهذين البيتين :

قلت للدهر والنجاح تبدى ... قمر في بلادنا السوريه
اي يوم يتم ذا قال أرخ ... يوم فتح الجمعية العلميه

سنة ١٢٨٤ هجرية

وغرض هذه الجمعية تنشيط المعارف وتعزيز شان الآداب وزيادة انتشار المدارس لتنوير اذهان الشعب وارتقاء الامة في معارج الفلاح · وكانت عمدتها مؤلفة من الادباء والاعيان الآتي ذكرهم : ﴿ الرئيس ﴾ الامير محمد ابن الامير امين ارسلان · ﴿ المميزون ﴾ الحاج حسين بيهم وسليم البستاني وحنين الخوري · ﴿ امين الصندوق ﴾ رزق الله خضرا · ﴿ المصححان ﴾ المركيز موسى دي فريج وسليم رمضان ﴿ الكاتبان ﴾ عبد الرحيم بدران وسليم شحاده ﴿ مدير الاشغال ﴾ حبيب جلخ ﴿ امين المكتبة ﴾ يوسف الشلفون · وفي ٢٠ كانون الثاني ١٨٦٩ انتخبت الجمعية عمدة جديدة فاصابت الرئاسة الحاج حسين بيهم وعين سليم البستاني لنيابة الرئاسة · وانضوى تحت لواء هذه الجمعية كثير من الوزراء والاعيان وحملة الاقلام في بيروت والاستانة ودمشق وحمص وحماه ولبنان وطرابلس واللاذقية وبعلبك وصيدا وصور وعكا وحيفا ويافا والقدس وحلب والقاهرة والاسكندرية وغيرها من المدن الشرقية · واليك اسماء البعض منهم :

فؤاد باشا الصدر الاعظم سابقاً · يوسف كامل باشا رئيس المجلس العالي · كامل باشا الصدر الاعظم سابقاً · مصطفى فاضل باشا · محمد رشدي باشا وزير المالية · صفوت باشا وزير المعارف ·



المركيز موسى دي فريج

أحد مؤسسي مجلة «مجموعة العلوم» الخاصة بالجمعية العلمية السورية

فرنقو باشا حاكم جبل لبنان · جميل باشا سر قرناء الحضرة السلطانية · راوف باشا باش ياور حرب الحضرة السلطانية · امين بك رئيس كتاب السلطان عبد العزيز · مرزا حسين خان سفير ايران . البارون قراندل سفير بلجيكا في الاستانة · اسكندر كاتسفليس قنصل روسيا وانطونيوس يني قنصل الولايات المتحدة في طرابلس · الدكتور شبلي ايلا قنصل اميركا في صيدا · الدكتور ميخائيل مشاقة قنصل اميركا في دمشق · المطران مكاريوس حدّاد . الكونت نصرالله دي طرّازي . حبيب باشا مطران · احمد باشا اباظه · الامير سعد شهاب · الامير مصطفى ارسلان · الارشيمندريت غبريل جباره · خليل الخوري · خليل غانم · الشيخ ابرهيم اليازجي واخوه الشيخ

حبيب · سليم بك نقلا · حبيب بسترس · المعلم جرجس زوين · الشيخ خطار الدحداح · عبد القادر الدنا · الياس بك حبالين · جبور بك رزق الله · اسكندر بك التويني · السيد نصري كيلاني · نقولا بك مدور · حنا بك ابكاريوس · الدكتور يوحنا ورتبات · سعيد بك تلحوق · الدكتور ملحم فارس · الدكتور سليم فريج ابرهيم فخري بك · خليل ايوب · اسبر شقير · ابرهيم يعقوب ثابت · بشاره زينيه · الياس صالح · خطار البستاني · جرجس مرزا · جرجس نحاس · قيصر بك نوفل · اسعد خلاط · قيصر كاتسفليس · سليم طراد · ايوب ثابت · سليم ابو حمد · جبرائيل اسبر · ديمتري شلهوب · نقولا بحري · انطون الشامي · جبور نمور · علي بك حماده · عبد النجيب الايوبي · المعلم الياس كركبي · يوسف الجلخ · حبيب نوفل · يوسف باخوس · جرجس الجاهل · شاكر شقير · سليم الخوري · ضاهر خيرالله وغيرهم

وخلفت لنا هذه الجمعية المعتبرة آثاراً جليلة تشهد لاعضائها بطول الباع في العلوم الحديثة والقديمة · وفي هذا المقام نورد شيئاً من مآثرهم تخليداً لذكرهم الحسن وعبرةً لسواهم : « ارجوزة على افتتاح الجمعية » نظمها حسين بيهم وهي تتضمن ١٥١ بيتاً · خطبة في « فوائد العلم » للامير محمد ارسلان · مقالة في « احتياجات العقل » وتاريخ « حياة سقراط » وخطبة في « الزراعة » ومقالة في « تاريخ التمدن الاوروبي » لحنين الخوري · وقصيدة في « الحث على التقدم » وخطبة موضوعها « الطب القديم » بقلم الشيخ ابرهيم اليازجي · وخطبة في « التجارة » ومقالة موضوعها « التمدن » انشأها المركيز موسى دي فريج · ونبذة مدارها « علم الطبيعيات وتصوير الشمس » بقلم يوسف الجلخ · وخطبة في « معرفة اعضاء جسم الانسان ووظائفها » للدكتور ملحم فارس · ومقالة في « الموسيقى » لسليم رمضان · ونبذة عن « حالة العلم » لسليم شحاده · وخطبة في « الاحتياج الى التمدن » القاها ابرهيم يعقوب ثابت · ومقالة في « الدم ودورته » كتبها سليم دياب · وقصيدة في « الحث على الاجتهاد » نظمها المعلم ضاهر خيرالله · وخطبة في « تاريخ سوريا » انشأها المعلم جرجس زوين · ومقالة في تاريخ « هرون الرشيد » لعبد الرحيم بدران · ومنها « رسالات سينكا الفيلسوف الروماني » بقلم سليم شحاده · وخطبة موضوعها « الخرافات اليونانية » ليوسف الشلفون

رجوم وغساق

« الى فارس الشدياق »

هو عنوان لمجلة جدلية صغيرة صدرت عام ١٨٦٨ في لندن لمنشئها رزق الله حسون الحلبي مؤسس جريدة « مرآة الاحوال » في الاستانة · غرضها الرد على احمد فارس الشدياق صاحب جريدة « الجوائب » لاطالة لسانه وتحريك قلمه بالسفاهة في حق رزق الله حسون · فاشتد الجدال

بهذا المقدار حتى انتقلت المناظرة بينهما الى المشاتمة والمهاترة . وكانت كتابات كليهما وردود الواحد عَلَى الآخر مشحونة بالهجو المرّ والطعن الموجع . ولذلك يسوءنا ان نسطر اخباراً كهذه عَلَى صفحات التاريخ عن رجلين كبيرين يفتخر اللسان العربي بآثارها الصحافية . وقد احتجبت هذه المجلة بعد صدور عدديها الاوّلين

﴿ الزوراء ﴾

صحيفة رسمية انشأها سنة ١٨٦٨ مدحت باشا عند ما كان والياً عَلَى بغداد . وقد جعلها لسان حال الولاية المذكورة لنشر الاخبار والاوامر والاعلانات في اللغتين العربية والتركية . وهي اول جريدة ظهرت في العراق بمساعي زعيم الاحرار العثمانيين . اما الذين حرروا قسمها العربي فمعارفهم متباينة جداً . لانّ عبارتها بلغت تارةً مناط العيوق في الفصاحة والبلاغة وطوراً انحطت الى الحضيض في الركاكة والسخافة . وهذا اجلى دليل عَلَى تباين طبقات محرريها في صناعة الانشاء . ولما كانت القيود القديمة لهذه الجريدة قد احترقت فلم نعثر الاَّ عَلَى اسماء الذين تولوا ادارتها وكتابة فصولها من سنة ١٨٧٧ وهي : حسن ازوم (١٢٩٤ — ١٢٩٩ هـ) زهيد افندي (١٢٩٩ — ١٣١٣ هـ) اسمعيل افندي (١٣١٣ — ١٣١٧ هـ) احمد فهمي (١٣١٧ — ١٣١٩ هـ) فهمي افندي (١٣١٩ — ١٣٢١ هـ) عباس حمدي (١٣٢١ — ١٣٢٣ هـ) فهمي افندي (١٣٢٣ — ١٣٢٦ هـ) عبد الوهاب افندي (١٣٢٦)

﴿ نزهة الافكار ﴾

صحيفة سياسية اسبوعية ظهرت في القاهرة سنة ١٨٦٩ لصاحبيها ومحرريها ابرهيم بك المويلحي ومحمد عثمان بك جلال . فما كاد هذان الشريكان الفاضلان يتفقان عَلَى اصدارها حتى تعطلت بعد ظهور العدد الثاني منها ودخلت في خبر كان . ويعزى السبب في ذلك الى شاهين باشا الذي ابدى للخديو تخوفهُ من انها تهيج الخواطر وتبعث عَلَى الفتن . فصدر امر اسمعيل باشا بالغائها

وقد ترك محمد عثمان جلال بعض تآليف نذكر منها « السياحة الخديوية » التي كتبها عند ما رافق الخديو توفيق الاول في رحلته الى جهات القطر المصري . ثمَّ نقل من اللسان الفرنسي رواية « بول وفرجيني » الى اللسان العربي . ونظم بالشعر العربي امثال لافونتين الشاعر الفرنسي وجمعها في كتاب سماه « العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ » ثمَّ طبعهُ . ومات في ١٦ كانون الثاني ١٨٩٨ بالغاً السبعين من العمر . اما ابرهيم بك المويلحي فسننشر ترجمته في محل آخر

الفصل الخامس

احوال الصحافة العربية في الحقبة الاولى وامثلة من كتاباتها

الى هنا انتهى الدور الاوّل من تاريخ الصحافة التي رافقناها من مهد الولادة عَلَى ضفاف النيل الى عهد الطفولة عَلَى ساحل البوسفور · ثمّ اخذت بالنموّ تدريجاً عَلَى سنة الارتقاء الطبيعي حتى عمّ انتشارها في اهم العواصم والبلدان شرقاً وغرباً · واذا قابلنا حالة صحفنا مع مثيلاتها في سائر الممالك الراقية في دورهنّ الاول نرى بين الفريقين بوناً كبيراً · لانهُ رغماً من قلة العارفين بالقراءة في لغتنا العربية نشأت لدينا ٢٧ صحيفة في مدة سبعين عاماً · وهو عدد لم تسبقنا اليهِ دولة عند تكوُّن صحافتها بين سائر الدول المشهورة بتقدم العلوم وميل الناس فيها الى مطالعة الصحف · والذي يقضي بالعجب العجاب هو انهُ بين جميع الجرائد والمجلات التي ذكرنا اخبارها لم تنشأ منها صحيفة واحدة في البلاد العربية الصميمة · بل صدرت باسرها إما في الممالك الاجنبية وإما في الاقطار التي افتتحها العرب بعد ظهور الاسلام

وكانت صحافتنا في بداية امرها ضعيفة الافكار ركيكة التعابير سقيمة الطبع خاليةً من تبويب ابحاثها بوجه الاجمال الاَّ ما ندر · ولا غرابة في ذلك لان هذا الفن كان مجهولاً وسوق العلوم كاسدةً وآثار الحضارة مندرسةً في اكثر انحاء الشرق · ومن المعلوم ان صحف الاخبار تشمل كلَّ ما تهمُّ معرفتهُ الانسان عن احوال السياسة والتجارة والعلم والتاريخ والاكتشافات والاختراعات وما يتعلق بالشؤُون الاقتصادية والبيتية والاجتماعية والاخلاقية والانتقادية وغيرها · ولكل من هذه الفروع اصطلاحات خاصة عند الغربيين في اساليب التعبير كان يجهلها صحافيو العرب الذين عانوا مشقات جسيمة في هذا المسلك الوعر · لان اكثر نشرياتهم كان معرَّباً عن اللغات الاجنبية · غير ان تلك الالفاظ الركيكة او التعبيرات السقيمة التي كان يستعملها ارباب الجرائد اولاً في كتاباتهم قد بطلت شيئاً فشيئاً باختمار الصحافة وارتقاء الافكار وانتشار العمران وانصباب الناس على اكتساب المعارف · ومن اعظم دواعي ترقيها اقبال ادباء بلادنا عَلَى الاسفار الشاسعة ومخالطة الغربيين ومجاراتهم في كثير من الامور

واول من تنبَّه من الصحافيين الى هذا الامر المهم بل جاهد في سبيله جهاداً عظيماً كان الكونت رُشيد الدحداح · فانهُ عزَّز كرامة ابناء جنسه بما نشره من كنوز اللغة على صفحات برجيس بريس وغيرها من المطبوعات النفيسة · ولم يكن اقل جهاداً منه في هذا السبيل احمد فارس الشدياق صاحب

« الجوائب » لمعرفته التامة باللغة العربية وخبرته الواسعة بشؤون الغربيين الذين سبر غورسياستهم ووقف بذاته على احوال بلادهم . فانهُ سدَّ هذه الثلمة باتخاذ الاوضاع العربية لأكثر المعرَّبات الافرنجية كقوله « المؤتمر » بمعنى « congrès » عند الفرنسيس ثم الاسطول بمعنى « Escadre » والباخرة بمعنى « bateau à vapeur » والبريد بمعنى « poste » والمنطاد « ballon » والحافلة بمعنى « omnibus » والازمة المالية بمعنى « crise » والسند بمعنى « Traite » عند الفرنسيس او عند الايطليان « Cambiale » والسلك البرقي بمعنى « télégraphe » وغير ذلك من الاوضاع التي يطول شرحها . ولذلك كانت جريدته ارقى جميع جرائدنا بافكارها وسياستها ومباحثها . وكان صحافيو الغرب يعوّلون عليها في معرفة اخبار الشرق . وتتمةً لفائدة التاريخ نسرد بعض امثلةٍ من كتابات جرائدنا الاولى ليقف القارىء على احوالها السالفة ويحكم بما آلت اليهِ الآن من الرقي بفضل انتشار العلوم وتهذيب الاخلاق واتساع دائرة التمدُّن . وقد سبق لنا نشر مقدمة جريدة « المبشر » والآن نشفعها بامثلةٍ من بعض الجرائد القديمة وهي :

قالت جريدة « حديقة الاخبار » في مفتتح العدد الاول لسنتها الاولى بتاريخ غرة كانون الثاني ١٨٥٨ ما نصهُ بالحرف الواحد :

(جرنال عربي)

« قد تعلَّقت الارادة السنية الملوكية باعطاء الرخصة بطبعهِ في مدينة بيروت رغبةً في اشهار المعارف والفنون وتقدم تهذيب عبيدها الذين رشفوا كؤوس الراحة والامان تحت ظلها الظليل . فبناء على الاوامر التي تشرفنا بورودها سنطبع هذا الجرنال في كل اسبوع مرةً مشتملاً على كل ما يتعلق بالفوائد الانسانية . قسم منهُ يحتوي على اخبار بلادنا السورية مع الحوادث الاجنبية مترجمة من احسن واعظم الجرنالات . وقسم يشتمل على نبذٍ مختلفة وفوائد علمية . وقسم يتضمن ملاحظات واموراً متجرية . والقسم الاخير يبتدىء بتاريخ مفيد يطبع بالتتابع بذيل كل آخر صحيفة من الجرنال كي تقطع تلك الاوراق الاخيرة في آخر كل عام ويجتمع منها كتاب تاريخ . وثمن هذا الجرنال بالعام مائة وعشرون غرشاً في بيروت وتوابعها . ويضاف عليهِ اجرة توصيله الى الجهات فيكون ثمنهُ الى كل مكان خالص المصاريف مائة واربعة واربعين غرشاً . فرجو من كل ذي عناية يرغب تقدم البلاد ومن كل ذي ذوق سليم يميل الى التهذيب ان يبادر بكتابة اسمهِ الى المدير »

وقالت جريدة « برجيس باريس » بتاريخ ٢٤ نيسان ١٨٦٢ ما نصهُ :

« قيل ان السلطان المعظم سافر الى بروسة ليقيم فيها اسبوعاً . وقبل سفره استدعى منشىء الصحيفة التركية المسماة (ترجمان الاحوال) وسأَلهُ : لمَ لا تتكلم مياومةً على السياسة؟ فاجاب بانهُ لم يتكلم على ذلك خشيةَ ان يلحقهُ لوم واحترازاً من وقوع صحيفته في الخطر . فقال له : تكلم على السياسة

والامور العامة بما ظهر لك من الواقع ونفس الامر ولا تخشَ شيئاً · فان ثبت هذا فجزى الله السلطان خيراً عَلَى انصافه واباحتهِ لرعيته ان تذب عن حقوقها · وهذا يشهد له بالفضل والفخر · وهو في الحقيقة تحصل منهُ مصلحة الجانبين اذ تستمرُّ به الموافقة بين الدولة والرعايا · وفي محكم التنزيل : وشاورهم في الامر »

وقالت جريدة « اخبار عن انتشار الانجيل » بتاريخ غرة تشرين الاول ١٨٦٣ تحت العنوان الآتي :

افريقية الغربية

« انهُ في سيرَّاليون وليبيريا وراس بالماس وكاميا وكوريسكو من ايالات افريقية الغربية يوجد الآن اكثر من ستين الف نفس من المسيحيين المؤمنين الذين كان اصلهم وثنيين وانتظمت كنايس كثيرة وابتنت مدارس مختلفة وكراخين · ومنهم ذهب عدد ليس بقليل ليبشروا بالانجيل بين جيرانهم الوثنيين · ولكن الامر المحزن هو ان ملك داهومي لم يزل يمارس طقوسهُ الدموية في تقديم الوف من الشعب ذبيحةً في جنائز الاغنياء والولاة · وقيل ان سوقاً واحداً من اسواق مدينة كومامي قد تسمى «سوق لا ينشف دمه» لكثرة المساكين الذين يُذبحون فيهِ يومياً · وعلى جانبي ذلك السوق يتكوّم رؤوس المقتولين منظراً للاهالي الذين ينظرون اليها بالضحك والهزو لكي يرضوا بذلك ملكهم · لان الذي لا يفرح بذلك المنظر يُقتل ويُطرح راسه عبرةً للآخرين · فكيف يمكننا ان نستريح واخوتنا من الجنس البشري في هذه الحالة · وكيف لا نصلي بلجاجة ومواظبة الى رب الحصاد ليرسل فعلة الى حصاده »

ولما تعين ناشد باشا والياً عَلَى حلب في شهر ايار ١٨٦٨ نشرت جريدة « الفرات » ما نصه :

« لقد اجتمع يوم الاثنين الماضي في دائرة الولاية كل من اعتاد الحضور من الذوات الكرام · وصفت العساكر النظامية واخذت الموسيقة في الترنم · وقد فتح الامر العالي المتضمن مأمورية صاحب الدولة والاجلال ناشد باشا والي الولاية وقرىء بصفات التعظيم والتكريم · ثم بعد ختام التلاوة ابتدا بالدعوات الخيرية لدوام سلطنة الذات العلية الملوكية · وأمن كل من حضر عَلَى ذاك الدعاء باصوات حسنة عنَّ عنانها للسماء »

الباب الثاني

تراجم مشاهير الصحافيين في الحقبة الأُولى

كان بودّنا ان ننشر تراجم جميع ارباب الصحافة والمحررين فيها لا سيما القدماء منهم · ولكن حال دون رغبتنا كثرة عددهم او عدم وقوفنا عَلَى اخبار البعض منهم · فاقتصرنا في ذلك عَلَى المشاهير منهم والذين قضوا شطراً كبيراً في خدمة الصحافة · ثمّ راعينا في سرد التراجم المذكورة زمان صدور الصحف لا الزمان الذي اشتهر فيهِ اربابها او عاش فيه كَتَبَتُها · ولذلك يتفق ان ننشر ترجمة الواحد منهم في الحقبة الثانية تبعاً لزمن تأسيس الجريدة مع انهُ تولى كتابتها في الحقبة الثالثة او الرابعة · نضرب على ذلك مثلاً الاستاذ رشيد الشرتوني الذي خدم الصحافة في الحقبة الثالثة · فاننا نشرنا ترجمته في الحقبة الثانية لانّ جريدة « البشير » التي حرّر فيها أُنشئت في هذه الحقبة · وقس عليهِ غيره من حملة الاقلام في المدّات المتاخرة

— « ١ » —

✻ الشيخ ناصيف اليازجي ✻

هو ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي اللبناني المولد الحمصي الاصل هاجر جدّهُ سعد المذكور من حمص مع جماعةٍ من ذويه نحو سنة ١٦٩٠ لحيفٍ وقع عليهم في تلك الديار · فتوطن اناسٌ منهم في ساحل لبنان في الجهة المعروفة بالغرب وآخرون في وادي التيم من اعمال دمشق وتفرق بعضهم في مواضع اخرى · ولا تزال بقية اسرتهم في حمص ونواحيها وهم عشيرة كبيرة من ذوي الوجاهة واليسار · واكثرهم من طائفة الروم الارثوذكس أمّا فرع الشيخ ناصيف فانهُ ينتمي الى الروم الكاثوليك · وقد اقتطفنا بعض اخبار صاحب الترجمة مما كتبهُ حفيدهُ الشيخ امين الحداد

كان مولدهُ في قرية كفرشيما من قرى الساحل المذكور في ٢٥ اذار سنة ١٨٠٠ وتلقى مبادئ القراءة عَلَى راهبٍ من بيت شباب يقال له القس متى · وكان والده عبدالله من الاطباء المشهورين في وقتهِ على مذهب ابن سيناء · وكان مع ذلك اديباً شاعراً الاّ انه كان قلما يتعاطى النظم لقلة الدواعي اليه اذ ذاك · ومن شعره ابياتٌ قرّظ بها ديوان الخوري حنانيا المنيّر احد شعراء ذلك العصر لم يحفظ منها الاّ بيتان رواهما الشيخ ابرهيم اليازجي وهما قوله :

يا مَن عنيتَ بنظم ذا الديوانِ عِش بالمنا والخير والرضوانِ
اني لقد طالعتهُ فوجدته نظماً فريداً ما لهُ من ثانِ

فنشأ ولده ناصيف على الميل الى الشعر · وأقبل على الدرس والمطالعة بنفسه، وتصفح ما تصل اليه يده من كتب النحو واللغة ودواوين الشعراء · ونظم الشعر وهو في العاشرة من عمره· غير انه لما لم تكن الكتب لذلك العهد ميسورةً لقلة المطبوع منها اذ لم يكن في البلاد السورية ولا المصرية الا مطابع نادرة قلما كانت تشتغل بطبع الكتب العلمية كان جل معتمده على كتب يستعيرها من بعض



الشيخ ناصيف اليازجي

أمضي وتبقى صورتي فتعجبوا تمضي الحقائق والرسومُ تُقيمُ
والموتُ تجلبةُ الحياةُ فلو حوى روحاً لماتَ الهيكلُ المرسومُ

الاديار والمكاتب القديمة · فمنها مايقرأها مرة فيحفظ ز بدتها ومنها ماينسخها بخطه · ولا يزال كثير من تلك الكتب باقياً الى اليوم محفوظاً عند اسرته · وهي جميلة الخط على القاعدة الفارسية و بعضها يبلغ عدة مئات من الصفحات

وقد بلغ من كل علم لبابهُ ودرس اشهر مصنفاته · وله في جميعها تآليف مشهورة بين مختصر ومطوّل هي اليوم عمدة التدريس في اكثر المدارس السورية و بعض المدارس المصرية لما هي عليه من الوضوح وحسن الترتيب · اشهرها « فصل الخطاب في اصول لغة الاعراب » وهو من أفضل المتون في الصرف والنحو وعليه شرح بقلمه · وكتاب « الجوهر الفرد » في موجز الصرف وقد علق عليه الشروح ولدهُ الشيخ ابرهيم في كتاب سماه « مَطالع السعد في مُطالع الجوهر الفرد » وطبعه · وله « طوق الحمامة » في مبادىء النحو · ثم أرجوزة « لمحة الطرف في أصول الصرف » وأرجوزة « الباب في اصول الإعراب » في النحو · ومنها « الجمانة في شرح الخزانة » وهو مطول في الصرف · ثم « نار القرى في شرح جوف الفرا » وهي ارجوزة مطولة وقد اختصرها ولده الشيخ ابرهيم · ومنها « عمود الصبح » وهي رسالة في التوجيهات النحوية انتهى بها الى المفعول فيهِ فقط ولم تطبع · وكتاب « عقد الجمان في المعاني والبيان » ثم « الطراز المعلم » وهو ارجوزة مختصرة في البيان مشروحة بقلمه · و « نقطة الدائرة » في العروض والقافية · ومنها « اللامعة في شرح الجامعة » وهي ارجوزة مطولة مشروحة بقلم ولده الشيخ حبيب · وكذلك « قطب الصناعة » وارجوزة سماها « التذكرة » في اصول المنطق · ثم « القطوف الدانية » وهو شرح مطول على بديعيته · وكتاب « مجموع الادب في فنون العرب » وهي مجموعة في المعاني والبيان والبديع والعروض · وارجوزة مختصرة سماها « الحجر الكريم في الطب القديم » نُشرت في مجلة الطبيب · ومعجم سماه « جمع الشتات في الاسماء والصفات » لم ينشر بالطبع وهو يبحث في اعضاء الانسان والصفات التي عَلَى افعل · وساعد المرسلين الاميركيين في ترجمة الكتاب المقدس ونظم لهم المزامير و بعض الاغاني الدينية · وكان قد شرع في وضع شرح لديوان المتنبي لم يستوفه · وكان يعلق عليه الحين بعد الحين ما يعنّ له من تفسير بعض الابيات الغامضة · فاتمهُ بعده ولده الشيخ ابرهيم وسماه « العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب » واضاف اليه ما يُروى للمتنبي من الشعر الذي لم يثبته في ديوانه · وذيله بنقد مطول عَلَى شعر المتنبي وكلام شراحه · واشهر تآليفه واعظمها مقاماته المعروفة باسم « مجمع البحرين » التي عارض فيها مقامات الحريري · وهي ستون مقامة ضمنها من بلاغة الانشاء والفوائد اللغوية والعلمية وتواريخ العرب وأمثالهم ما دل عَلَى غزارة محفوظه وقوة عارضته في النظم والنثر · واودعها من الفنون البديعية الصعبة المرتقى في بعض منظوماته كالجناسات الخطية وجناس ما لا يستحيل بالانعكاس وغيرها ما لا يضطلع به الا عن مقدرة فائقة

وقد تفنن في صناعة التاريخ الشعري تفنناً غريباً يقضي له بالسبق في هذا المضمار على الشعراء قاطبةً . ومن ابدع ما نظمه في هذا الباب بيتان قالها سنة ١٢٤٨ هجرية في فتح مدينة عكا قد اقترحهما عليهِ الامير بشير الشهابي الكبير . وهما يتضمنان ثمانية وعشرين تاريخاً بحساب الجمل . وذلك يحصل من كل شطر منهما ومن مهمل كل بيت منهما ومن معجمه ومن مهمل كل شطر مع معجم كل شطر فيهما وبالعكس صدراً لصدر وعجزاً لعجز وبالخلاف سوى التاريخ الناطق لفظاً وهما :

في فتح عكا يرْدُ نارِ معاطبٍ　　دارِ الخليلِ وللدبارِ به البكا
رأسَ الثمانِ وار بعين بطيبهِ　　مثنان معْ الفرِ فباركْ وربّكا

ونظم من هذا القبيل ايضاً بيتين سنة ١٢٨٣ في مدح السلطان عبد العزيز . وله في مدح كل من ابرهيم باشا المصري والسلطان المشار اليه قصيدة جعل كل شطر منها تاريخاً وصدرها ببيتين قد ضمن كل شطر منهما تاريخين . ثم وزّع حروف البيت الاول على اوائل ابيات الغزل من القصيدة ووزع حروف البيت الثاني على اوائل ابيات المدبح منها . ومن مبتكراتهِ في فن النظم بيتا المديح اللذان اذا عُكِسَت قرآتهما انعكسا هجاء ثم البيتان اللذان طردها مديح وعكسهما هجاء . ومن مخترعاته في هذا الباب « عاطل العاطل » وهو ان تكون حروف الكلمة خالية من النقط كتابةً وهجاء . وذلك لان الحروف المعروفة بعاطل العاطل ثمانية فقط وهي : الحاء والدال والراء والصاد والطاء واللام والهاء والواو . فلا يسع المتكلم ان يركب منها كلاماً كثيراً . وقد نظم من هذا النوع اربعة ابيات لا يُعرف سواها في لسان العرب وهي :

حَوْلَ دُرٍّ حَلَّ وِرْدُهْ　　هل لهُ لحرِّ وِرْدُ
لِحصورٍ حلوٍ وَصلٍ　　وِرْدُهُ للصحوِ طَرْدُ
ولهُ صَوْلٌ وطَوْلٌ　　ولهُ صَدٌّ ورَدُّ
دَهْرُهُ حرٌّ صدورٌ　　هل لهُ للهِ حدُّ

وكان يصحح مطبوعات المطبعة المخلصية في بيروت . ووقف على طبع كتاب « مواعظ القديس يوحنا فم الذهب » بعد ان اصلح عبارتهُ وهذَّبها . وله الفضل بتأسيس « الجمعية العلمية السورية » التي اشتهر امرها وأُنشئت لها مجلة باسمها . وقد قرّظ الشعراء كتاب « مجمع البحرين » بما يستحقه من الثناء والاجلال . فنظموا القصائد الرنانة التي نورد منها ابياتاً للسيد شهاب الدين العلوي الموصلي :

هذا المصنَّف فوق الفضل قد رُفعت　　فضلاً مقاماتهُ والفضلَ قد جمعت
ففي البلاد اذا دارت فلا عجبٌ　　لكل طالب علمٍ انها وَسعت
اشعارها الاصمعيْ لو كان ينشدُها　　بمثلها قال أُذنُ الدهر ما سمعت

ثم الحريريُّ أحرى لو يقاومها ... بان يقول مقاماتي قد اتضعتْ
يتيمةٌ ربِّ متِّعنا بوالدها ... عن غيرها فطمَ الالباب ما رَضعتْ
تمت كمالاً وقد جاءت منزهةً ... عنها النقائصُ تهذيباً قد اخترعتْ
عَلَى الكمالات طبعُ اللطف أرخها ... لطفاً مقامات ناصيف التي طُبعتْ

وترك ثلاثة دواوين شعرية تُعدُّ من عيون الشعر كثير منهـا محفوظ على الالسنة ولا سيما الابيات الحكمية منها · وهي في شعره اكثر من ان تحصى · ويسمى اقدم دواوينه « النبذة الاولى » والثاني « نفحة الريحان » وآخرها « ثالث القمرين » وقد تجدد طبعها في السنين الاخيرة · ونظم التواريخ الكثيرة التي نُقشت عَلَى القبور او علقها عَلَى الكنائس والقصور والآثار البنائية · وله خلا ما نظمه في عهد الصبا مما لم يثبته في دواوينه المطبوعة · وهو شيء كثير لو جُمع بامره لزاد على المشهور منه · ومع انه لا يبلغ طبقة المشهور من شعره فان الاجادة ظاهرة فيهِ مما يدل عَلَى انه رحمه الله كان مطبوعاً على الشعر · فلم يكن يتكلفهُ ولا يتعمل لاجله ولا تجد فيه حشواً ولا تعقيداً · وذلك مع حسن اختياره للالفاظ الجامعة بين الجزالة والرقة واتساع تصرفهِ في اساليب الكلام مما كان بهِ نادرة وقته · واذا ضممتَ هذا الى ما لهُ من التآليف العلمية وإحكام وضعها وحسن تنسيقها ثم الى ما في مقاماته من الابداع وجريها كلها على سَنَنٍ واحد من علو الطبقة مما دل به على قوة ملكته في الصناعة اللسانية وانطباعه على الفصاحة العربية علمتَ انهُ قد انفرد بامور لا تجدها مجموعة في غيره

وكان في اوائل امره قد ذاع صيت علمه بين الخاص والعام · فانتدبهُ السيد اغناطيوس الخامس بطريرك الروم الكاثوليك سنة ١٨١٦ ليكون كاتباً عنده في « دير القرقفة » المشيد في قمة كفرشيما · فلبث ناصيف بهذه الوظيفة مدة سنتين حتى نقل البطريرك اقامتهُ الى الزوق · ثم اتصل بالامير بشير الشهابي الشهير فقرَّبهُ اليه وجعله كاتب يده · ومع انهُ لبث في خدمته نحواً من اثني عشرة سنة اي الى سنة ١٨٤٠ وهي السنة التي خرج فيها الامير بشير من البلاد الشامية فلم اجد له فيهِ الاَّ مدائح قليلة · ولعلَّ ذلك لان شاعره الخاص كان الشاعر الكبير المعلم بطرس كرامه فلم يشأ ان يزاحمهُ · وبعد ما ارتحل الامير بشير انتقل رحمهُ الله باهل بيته الى مدينة بيروت واقام بها منقطعاً للمطالعة والتأليف والتدريس في « المدرسة البطريركية » للروم الكاثوليك ثم « المدرسة الوطنية » للبستاني وكذلك « المدرسة الكلية » للاميركان · فاشتهر ذكره في جميع البلاد العربية وراسلته اكابر الشعراء من العراق ومصر وغيرها · وقد طُبع ما دار بينهُ وبينهم في ديوان مخصوص عنوانهُ « فاكهة الندماء في مراسلات الادباء » وهو فريد في بابه · ولا تدري احداً بين حملة الاقلام في الشرق اجمعت العلماء والادباء عَلَى مدحه كصاحب الترجمة · وللشيخ عبد الهادي نجا الابياري قصيدة قرَّظ بها « النبذة الاولى » من ديوان اليازجي جاء فيها :

هو قاضي البلاغة الفاضل الند ب الذي ظل في المعارف أوحد
ملكُ القول من بقسهُ بقس فهو لا شكَّ في القياس مفند
ما سمعنا بمثله عيسوياً يتحدى بمثل معجز أحمد
ألمعيٌّ لكنهُ عيسويٌّ كان أولى بفضل دين محمد

فلما اطلع مارون النقاش على هذه القصيدة لم يتمالك من الرد عليها ظاناً ان فيها اهانة لصاحب الترجمة ومساساً لكرامته . فنظم قصيدةً على نفس الوزن والقافية بلا علم من الشيخ ناصيف وارسلها للشيخ عبد الهادي قال فيها :

ايها السيد الخطيب لماذا قمتَ تبدي ما لم يكن فيك يُعهَد
ورأينا من بحرك الشعر يهدى فهو درٌّ من غلفهِ لو تجرَّد
مفحمٌ مبكمٌ فريدٌ مزيدٌ انما زادَ بالحدِّ حتى تزبد
عربيٌّ لكنهُ جاهليٌّ آهُ لو كان عيسوياً فينشد
لم يكن فنُّ الشعر إرثاً ولكن مَن يخض بحرهُ استطال اذا جد
لا ولا الفخرُ بالمذاهب الاَّ يومَ تصفو فيهِ الوجوهُ وتكمد
فعلى م انزلقت في غير وقت تتعدَّى لفتح باب مسدَّد
نحن في عصرٍ والمودَّة تسمو والتداني بين الفريقين يوجد
إن أردتَ الشقاقَ والبعدَ عنا جاور البيت انهُ لك اجود

اما صفاتهُ الشخصية فكان معتدل القامة فوق الربعة ممتلىء الاعضاء اسمر اللون حنطيهُ اسود الشعر أجشَّ الصوت . وكان مهيباً وقوراً شهماً كاملاً متواضعاً متأنياً في حديثهِ وحركاتهِ قليل الضحك عفيف اللسان لم تُسمع له كلمة بذيّة قط لا في حديثه ولا في كتاباته . ولم يهجُ احداً ولا هجاه احدٌ في زمانه . ويُروى انَّ له بيتين قالهما ارتجالاً في رجل يوصف بالبخل كان يدعى الامير علي شهاب من كفرشيما مسقط راس الشيخ ناصيف . والبيتان اقرب الى المداعبة والمباسطة منهما الى الهجو الحقيقي وهما هذان :

قد قال قومٌ ان خبزك حامضٌ والبعض اثبت بالحلاوة حكمهُ
كذب الجميع بزعمهم في طعمهِ مَن ذاقهُ يوماً ليعرف طعمهُ

وكان ودوداً مخلصاً رقيق القلب حسن التدين مبالغاً في اجتناب السحت لا يعطي مالاً ولا يأخذ مالاً بالربى ولا يكتب صكاً فيهِ ربى . وكان واسع المحفوظ كثير النكات والنوادر وكان يروي القصة بتواريخها واسماء اصحابها واسماء بلدانهم . ومن غريب ذاكرتهِ انهُ كان اذا نظم الشعر لا يكتبه بيتاً بيتاً ولكنه كان ينظم الابيات ثم يكتبها . حتى انه في مدة اعتلاله الاخير أملى ثمانية

عشر بيتاً دفعةً واحدة٠ وقد الف احدى مقاماته وهي المقامة اليامية على ظهر الفرس وكان مسافراً باهل بيته من بيروت الى بحمدون سنة ١٨٥٣ بقصد الاصطياف ٠ فلما انتهى اليها اخذ قرطاساً فعلّقها٠ فكان يحفظ القرآن بتمامه و يعي من الشعر شيئاً كثيراً ولاسيما شعر المتنبي لشدة اعجابه به٠ وكان يقول «كان المتنبي يمشي في الجو وسائر الشعراء يمشون على الارض»

وهو من المحافظين عَلَى لهجة قومه وتقاليد اهل بلاده في الطعام واللباس والجلوس وسائر العادات كما كانوا في عصورهم القديمة٠ فكان لا يطيب له الآن ان يتغنى بما تغنوا به وان يحذو حذوهم في كل شيء ٠ وكان يلبس العمامة في راسه والجبة والقفطان عَلَى بدنه و يضع الدواة تحت منطقته ٠ وروى تلميذه وابن وطنه الدكتور شبلي شميل انه سمعه مرةً يقول عَلَى سبيل المزاح :« لو فُقد الشاش لاعتممتُ بالقطوعة » وهي في لغةٍ عامة سوريا قطعة من الحصير القديم ٠ ومن عادته ان يكتب عَلَى ركبته متربعاً فوق منبذة مطروحة على الحضيض وامامه منضدة صغيرة لوضع القلم والحبر والقرطاس٠ واشتهر بصناعة الخط الذي اتقنه كثيراً٠ و يقال انه لو جُمع ما كتبه في حياته بخط يده لكان ذلك لا يقل عن محمول جملين٠ وله ولع شديد باستعمال التبغ فكان يدخن بالغليون و يكثر من تناول القهوة٠ و يروى من جملة نوادره انه زار المعلم ابرهيم سركيس في منزله ٠ فلما قُدمت له القهوة انشده ابرهيم هذا البيت :

قهوةُ البنّ حرامٌ قد نهى الناهون عنها

فاجابهُ الشيخ ناصيف اليازجي من فوره قائلاً :

كيف تدعوها حراماً وانا اشربُ منها

وفي عام ١٨٦٩ أصيب بمرض عضال فانفلج فالجاً نصفياً عطل نصفه الايسر٠ ثم اصابته سكتة دماغية فتوفي فجأة بتاريخ ٨ شباط ١٨٧١ في منزله الكائن في زقاق البلاط بالقرب من« المدرسة الوطنية » البستانية سابقاً في بيروت ٠ فجرى لمشهده احتفال عظيم جداً اشترك فيه العلماء و الكبراء والتجار وتلامذة المدارس وجم غفير من الناس مما لم يسبق له مثيل٠ فكان ذلك اوضح دليل عَلَى سمو منزلته لدى جميع طبقات الشعب من النصارى والمسلمين واليهود ٠ و بعد الصلاة عن روحه نقلت جثته بين تصاعد الزفرات وسكب العبرات وتوالي الحسرات الى مقبرة الروم الكاثوليك في الزيتونة. وهناك دفن في ضريح خاص نُقشت فوقهُ هذه الابيات :

هذا مقامُ اليازجيّ فقفْ به وقل السلامُ عليك ياعلَم الهدى

حَرمٌ تحجُّ اليه اربابُ الحجى ابداً وتدعو بالمراحم سرمدا

هو مغرب الشمس التي كم اطلعت في شرق آفاق البلاغة فرقدا

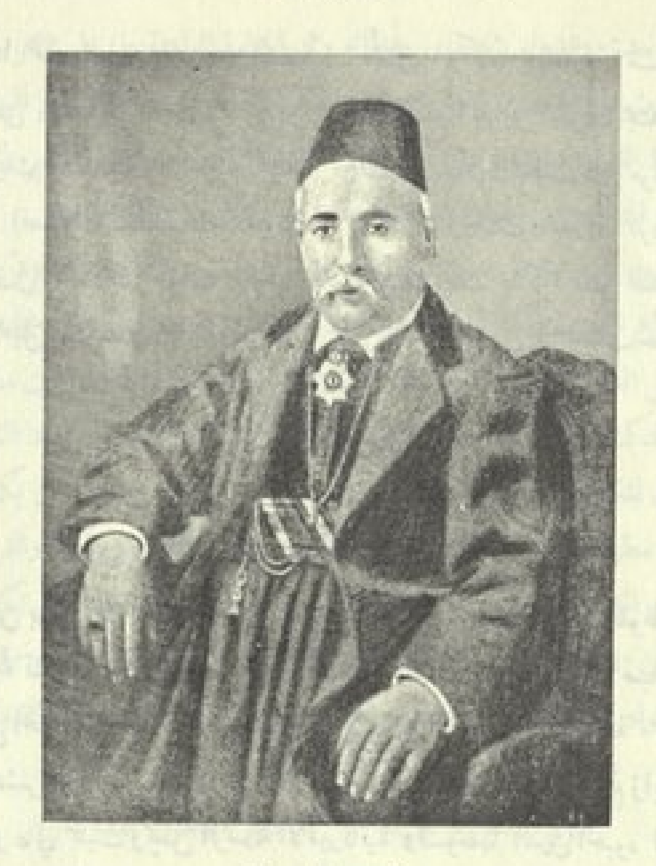
فخر النصارى صاحب الغرر التي ضربت عَلَى ذكرى البديع واحمدا

هذا عماد العلم مال به القضا | فأمال ركناً للعلوم مشيدا
امسى تجاه البحر جانب تربةٍ | في مجمع البحرين اشرف مجتدى
فعليك يا ناصيف خير تحيةٍ | طابت بذكرك حيث فاح مردَّدا
لو انصفتك النائبات لغيرت | عاداتها ووقتك حادثة الردى
تتنزّل الاملاك حولك بالرضي | ويجود فوقك باكرًا قطر الندى
وجميل حظك في الاعالي رحمةٌ | ارخْ وذكرٌ في الصحائف خُلِّدا

— ٢ —

بطرس البستاني

هو بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن محفوظ بن ابي شديد بن ابي محفوظ البستاني وُلِد في تشرين الثاني ١٨١٩ في « الدبية » بلبنان · ودخل منذ صباه مدرسة « عين ورقة » حيث تلقى اصول اللغات العربية والسريانية والايطالية واللاتينية · فاتفق هناك بين تعلم وتعليم مدة عشر سنين حتى أحرز كل العلوم التي تعلمها تلك المدرسة · ثم زايلها وجاء بيروت فتعرَّف بالدكتور عالي سميث رئيس الرسالة الاميركانية وقسوسها الذين احبوه لنجابته وشملوه بعنايتهم · فقرأ عليهم اللغات اليونانية والعبرانية والانكليزية مع بعض العلوم العصرية وتبع مذهبهم البروتستنتي · واذ آنسوا منه براعةً في المعارف جعلوه سنة ١٨٤٦ استاذاً في مدرسة عبيه حيث تخرَّج عليهِ كثير من شبان سوريا ولبنان · وبعد سنتين عين ترجماناً لقنصلية اميركا في بيروت واتخذه المرسلون الاميركان معاوناً لهم في ادارة شؤون مطبعتهم فساعدهم في تآليف كثيرة لا سيما ترجمة التوراة من العبرانية الى العربية · والف حينئذٍ كتاب « مصباح الطالب في بحث المطالب » وكتاب « مفتاح المصباح » في الصرف والنحو وكتاب « كشف الحجاب في علم الحساب » ثمَّ « روضة التاجر في مسك الدفاتر » وكتاب « باكورة سوريا » في تاريخ اسعد الشدياق · وتولى رئاسة « مدرسة الاحد » خمس عشرة سنة · وترجم نفعاً لها عدة رسائل دينية وادبية وتهذيبية فضلاً عن الرسائل التي انشأها داعياً فيها الى تربية الاولاد والامساك عن شرب المسكرات · وله الفضل في وضع قانون الكنيسة الانجيلية في بيروت وقانون « المدرسة الداودية الدرزية » في عبيه · واشتهر في فن الخطابة وله في هذا المعنى آثار مشكورة · واهمها خطاب عنوانهُ « تعليم النساء » وكان المعلم بطرس اول من طرق هذا الباب من خطباء الشرق وغيرها · ثم وضع في مجلدين كبيرين معجماً مطولاً للغة العربية سماه « محيط المحيط » واختصره في « قطر المحيط » فكافأه السلطان عبد العزيز



بطرس البستاني

بانيِ المدارسِ للأحداثِ مُرشدُهم إلى الصفاتِ التي طابت مزاياها
أعمالُهُ في جبين الدهرِ قد كتبتْ محبةُ الوطنِ الايمانُ مبداها

بجائزة مالية تبلغ ٢٥٠ ليرة مجيدية ومنحه الوسام المجيدي الثالث . ثم وضع كتاب « بلوغ الارب في نحو العرب » ولا يزال غير مطبوع . ونقل الى اللسان العربي كتباً شتى نذكر منها : « سياحة المسيحي » ثم « تاريخ الاصلاح » ثم « تاريخ الفداء » ورواية « روبنصن كروزي » . ونقح وطبع كتاب « اخبار الاعيان في جبل لبنان » لمؤلفهِ الشيخ طنوس الشدياق . وسنة ١٨٦٣ احدث « المدرسة الوطنية » التي اقبل اليها التلامذة من كل المذاهب وهي اقدم المدارس الكبرى في بيروت . فتكللت مساعيه بالنجاح ونبغ كثير من تلامذة مدرسته الذين شرفوا البلاد الشرقية بمعارفهم الواسعة ومآثرهم الجليلة . وكان هو بنفسه يلقي عليهم الدروس مع اشتغاله في التأليف والمطالعة . وله الفضل في انشاء كتاب « دائرة المعارف » الذي جارى فيه علماء الافرنج وضمنهُ المباحث المفيدة والعديدة في كل فن ومطلب . وهو مشروع مبتكر لم يقدم عليه احدٌ من علماء العربية قبله و بعده . فاحرز ثناء

الاعارب والاعاجم وابتاع سلعة افتخار تخلد ذكره مدى الاجيال · فابرز في حياته من هذا الاثر النفيس سبعة مجلدات تاركاً انجاز العمل لهمة انجاله من بعده · واليك ما ورد في وصف هذا المشروع نقلاً عن ترجمة حال المعلم بطرس في كتاب دائرة المعارف :

« هذا واننا لا نغالي فيما اذا قلنا انهُ ابدى من العزيمة الماضية والهمة السامية في تأليف الكتاب وطبعه ما لا يتوقع من رجل واحد ولاسيما في ديار الشرق · ولكنه الفى هو وولده الفاضل سليم افندي من مواطنيه وكل اهل المطالعة والادب عموماً ومن الحكومة المصرية خصوصاً يداً بالندى ندية · اما الحكومة المصرية فارتاحت ايما ارتياح الى اقتناء هذا الكتاب شداً لازر صاحبه اولاً وجلباً للنفع الى مدارسها ومكاتبها ومحافلها العلمية ثانياً · لاجرم انهُ لا أولى بالثناء ممن اشترك في المساعدة والمعاونة · ثم ان الذي يعلم من تاريخ الانسكلوبيذيات الابتدائية الاوربية انها لم تكن في منشإ امرها على ربع ما هي عليه « دائرة المعارف » من إحكام التأليف وغزارة المادة والضبط وحسن الطبع والورق والتجليد والصور مع قلة في الثمن لا اقل منهُ الا اثمان الكتب العادية · فحق اذاً لابناء اللغة التباهي والتفاخر بذلك الرجل الذي وصفه احد فلاسفة العصر « بالجبار » في اعماله لما انهُ لم يبال قط بالمنايا في ميدان الكفاح العلمي · ولا امتنع عن الكر والفر وان علت الاسوار وعمقت الخنادق · ولو لم يكن غير هذا المشروع لكفاه · فكيف وقد تقدمتهُ تاليفات عديدة وترجمات كثيرة ؟ تسبقها وتعقبها الوف من الخطب والعظات ارتجالية كانت او غير ارتجالية »

وكان المعلم بطرس رئيساً للجمعية الخيرية البروتستانية وعضواً في عمدة الكنيسة الانجيلية في بيروت · وتعين عضواً فخرياً في المجمع الديني الاعلى في الولايات المتحدة · وسمي عضواً في « الجمعية العلمية السورية » سنة ١٨٥٢ فاعتنى بتنظيم اشغالها · ثم صار عضواً في « المجمع العلمي الشرقي » آخذاً على عاتقه مراسلة كثيرين شرقاً وغرباً في شؤون علمية

اما مآثره الصحافية فهي اشهر من نار على علم لانه انشأ منفرداً ومتحداً مع نجله البكر سليم البستاني اربع صحف شهيرة يغني ذكرها عن وصفها وهي : نفير سوريا والجنان والجنة والجنينة · وخلاصة القول انه كان من اعظم اركان النهضة العلمية في القرن التاسع عشر · بل انه رفع شأن الآداب العربية بما تركهُ من الآثار الخالدة التي ضفرت على رأسهِ اكليل الافتخار · وكان وديعاً لطيف المحاضرة واسع الاطلاع مقداماً على المشاريع الكبيرة التي لم يُقدم على مثلها غيرهُ من ابناء الشرق على اختلاف ألسنتهم ومذاهبهم · وحلت وفاتهُ بين المحابر والاقلام في غرة ايار ١٨٨٣ بالغاً السنة الرابعة والستين من عمر قضاه في التعليم والتاليف وخدمة الوطن · فأبنهُ الخطباء وناح عليه الشعراء ورثته الجرائد باقوال تدل على سمو منزلتهِ العلمية · وقد لفتت نظرنا قصيدةٌ رنانة للشيخ

خليل اليازجي انشدها بلسان « المدرسة الكلية الاميركانية » نقتطف منها الابيات الآتية التي نجعلها مسك الختام لترجمة هذا الرجل المفضال :

يا قطر دائرة المعارف والحجى	ومحيط فضل فاضَ في امداده
تبكي العلوم عليك واللغة التي	بقريضها ترثيك في انشاده
فاذا المحيط بكاك لم يكُ دمعهُ	دون المحيط يزيد في ازباده
يبكي الحساب عليك متخذاً لهُ	دمعاً يسيل عليك من اعداده
تبكي المدارس والجرائد حسرةً	والشرق بين بلاده وعباده
خدم البلاد وليس اشرف عنده	من ان يُسمى خادماً لبلاده

—« ٣ »—

رفاعة بك الطهطاوي

هو السيد رفاعة بك بن بدوي بن علي بن محمد بن علي بن رافع ويلحقون نسبهم بمحمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن فاطمة الزهراء

ولد في طهطا بمديرية جرجا من صعيد مصر سنة ١٢١٦ هجرية (١٨٠١ ميلادية) ويؤخذ مما كتبهُ عن نفسه في رحلتهِ التي سيأتي ذكرها ان اجداده كانوا من ذوي اليسار واخنى الدهر عليهم وقعد بهم كما هو شأنه في بني الزمان . فلما ولد المترجم كانت عائلتهُ في عسر فسار بهِ والده الى منشاة النيدة بالقرب من مدينة جرجا . واقام بين قوم كرام يقال لهم بيت ابي قطنة من اهل اليسار والمجد . فاقاما هناك مدة ثم نزحا الى قنا ولبثا بها حتى ترعرع الغلام فاخذ يقرأ القرآن . ثم نقل الى فرشوط واخيراً عاد الى طهطا وكان قد حفظ القرآن . وقرأ كثيراً من المتون المتداولة على اخواله وفيهم جماعة كبيرة من العلماء الافاضل كالشيخ عبد الصمد الانصاري والشيخ ابي الحسن الانصاري والشيخ فراج الانصاري وغيرهم

ثم توفي والده فجاء رفاعة الى القاهرة وانتظم في سلك الطلبة بالجامع الازهر سنة ١٢٢٣ هـ وجاهد في المطالعة والدرس جهاداً حسناً حتى نال من العلم شيئاً كثيراً . ولم تمض عليه بضع سنين حتى صار من طبقة العلماء الاعلام في الفقه واللغة والحديث وسائر علوم المعقول . وكان في جملة مَن تلقى العلم عليهم من العلماء الشيخ حسن العطار المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ شيخ الجامع الازهر . فأحب صاحبَ الترجمة وميزه عن سائر اقرانه التلامذة وخصهُ بالتقرب منه لما آنس فيهِ من الذكاء والاجتهاد فكان يتردد الى منزل الشيخ يأخذ عنهُ بعض العلوم او يستشيره في امر او ما شاكل ذلك . وقضى

صاحب الترجمة بمجاورة الازهر زهاء ثماني سنوات . وكان كما قدمنا في عسر وكانت والدته تنفق عليه بما تبيعهُ من بقايا حليها ومصاغها . فلما اتم دروسه تعين سنة ١٢٤٠ هـ إماماً في بعض آلايات الجند براتب يساعده على القيام بأود حياته



رفاعة بك الطهطاوي

وكان ذلك العصر زاهياً بالمغفور له محمد علي باشا موءسس العائلة الخديوية الكريمة . وكان رحمهُ الله آخذاً في مشروعاته تعزيزاً لشأن هذا القطر السعيد وفي جملتها نشر العلوم . فاحب ارسال جماعة من شبان هذا القطر الى اوربا لتلقي العلوم الحديثة ليكونوا له اعواناً في فتح المدارس وبث تلك العلوم في ابناء البلاد . فامر بتعيين صاحب الترجمة اماماً لهم للوعظ والصلاة . فسارت الارسالية المشار اليها من مصر سنة ١٢٤١ وهي اول ارسالية مصرية الى فرنسا . فتاقت نفس المترجَم الى علوم المغرب فعكف على درس اللغة الفرنساوية من تلقاء نفسهِ رغبةً منه في تحصيل العلوم بها او نقلها منها الى العربية لعله يتخلص من مهنة الامامة . وكان معظم درسه اللغة بنفسه فلم يتقن التلفظ بها ولكنهُ تمكن من فهم معانيها فهماً جيداً . واخذ يطالع العلوم الحديثة كالفن التاريخ والجغرافيا وعلوماً اخرى . وكان ميالاً الى التأليف والترجمة فترجم وهو في باريس كتاباً سماه "قلائد المفاخر في غرائب عوائد الاوائل والاواخر " وغيره . فبلغ المغفور له محمد علي باشا ما اظهره السيد رفاعة من النباهة والرغبة في العلم من تلقاء نفسه فسرَّ بهِ سروراً عظيماً واستبشر بطالعه

وفي سنة ١٢٤٧ هـ عاد رحمه الله الى الديار المصرية بعد ان نال الشهادات الناطقة بدرجته

من العلم والفضل · فولاه محمد علي منصب الترجمة في المدرسة الطبية التي كان انشأها سنة ١٢٤٢ في قرية « ابي زعبل » قرب القاهرة برئاسة كلوت بك الشهير · وكان متواليًا رئاسة الترجمة بها قبله المرحوم يوحنا عنحوري من ابناء سوريا وله فيها خدمات جليلة وشهد لصاحب الترجمة بقصب السبق فولّوه الترجمة · وعمل عَلَى خدمة البلاد لا سيما وان عارفي اللغات الاجنبية اذ ذاك كانوا يعدُّون عَلَى الاصابع · ومما يُعدُّ له فضلاً جزيلاً انه اول من باشر انشاء جريدة عربية في سائر المشرق وهي « الوقائع المصرية » فانها أُنشئت بمساعيه ومساعدته سنة ١٢٤٨ ولا تزال الى الآن وهي الجريدة الرسمية المصرية

وفي سنة ١٢٤٩ انتقل من مدرسة « ابي زعبل » الى مدرسة الطوبجية في « طرا » لترجمة الكتب الهندسية والفنون العسكرية · وفي سنة ١٢٥١ افتتح المغفور له عزيز مصر مدرسة للالسن الاجنبية وعهد بادراتها الى صاحب الترجمة وسميت عند فتحها مدرسة الترجمة · فقام الشيخ رفاعة اذ ذاك حق القيام بادارة هذه المدرسة واختار لها التلامذة من مدارس الارياف بسائر جهات القطر · فبلغ عدد تلامذتها في اول الامر خمسين تلميذاً ثم زاد حتى صار ٢٥٠ تلميذاً · وكان في ابي زعبل مدرسة تجهيزية للطب فنقلت الى جهات الازبكية · فعهدت ادارتها اليه فضلاً عن مدرسة الالسن ومدارس اخرى فرعية منها مدرسة للفقه والشريعة واخرى للمحاسبة واخرى للادارة والاحكام الافرنجية · وفي سنة ١٢٥٨ تشكل قلم الترجمة من اول فرقة خرجت من مدرسة الالسن · و بعد سنة ونصف من تشكيله نال رتبة قائمقام وكان قد نال ماتقدمها من الرتب تدريجًا في اوقات متتابعة · وفي سنة ١٢٦٢ نال رتبة امير آلاي فصار يدعى رفاعة بك بدلا من الشيخ رفاعة

وما زال رفاعة بك ناظرًا لمدرسة الالسن حتى أُقفلت على عهد المغفور له عباس باشا الاول فامر بارساله الى السودان لنظارة مدرسة الخرطوم · وما زال هناك حتى توفي عباس باشا المشار اليه سنة ١٢٧٠ هـ وتولى المرحوم سعيد باشا · فعاد يشكر الله على نجاته من تلك الاقطار · فمثل بين يدي سعيد باشا فعهد اليهِ سنة ١٢٨١ وكالة مدرسة الحربية بجهات الصليبية تحت رئاسة المرحوم سليمان باشا الفرنسوي · و بعد قليل أُنشئت مدرسة الحربية بالقلعة فاحيلت اليه نظارتها مع نظارة قلم الترجمة ومدرسة المحاسبة والهندسة الملكية والتفتيش والمعارجية · وعند ذلك نال الرتبة المايزة

وفي سنة ١٢٧٧ الغيت كل هذه المدارس فبقي رفاعة بك بغير منصب الى سنة ١٢٨٠ فأُعيد الى نظارة قلم الترجمة · وتعين عضواً من قومسيون المدارس وتولى ادارة جريدة « روضة المدارس » مع مثابرته عَلَى التاليف · وما زال قائمًا بهذه المهام حتى توفاه الله سنة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ ميلادية) بداء النزلة المثانية وله من العمر ٧٥ سنة · وقد ملأ الديار المصرية من المترجمين والاساتذة والمهندسين وغيرهم ممن استفادوا من مؤلفاته وتعاليمه · وقد اطلعنا عَلَى كتاب خطي اسمهُ « حلية

الزمن بمناقب خادم الوطن » تأليف صالح بك مجدي عدَّد فيهِ مناقب صاحب الترجمة وعنه اخذنا معظم ما ذكرناه هنا · وقد ذكر فيهِ ايضاً عدداً كبيراً من الذين اخذوا العلم عنهُ ونبغوا واشتهروا وذكر مناصبهم ووظائفهم واعمالهم مما لا محل لذكره هنا

وكان رحمهُ الله قصير القامة واسع الجبين متناسب الاعضاء اسمر اللون حازماً مقداماً على ذكاء وحدَّة · وهذا ما نهض به من حضيض العسر الى مراتب المجد والفخر حتى اصبح ممن يشار اليهم البنان ويقتدي باعمالهم بنو الانسان · وكان في اوائل حياته الى ان عاد من الديار الافرنجية يلبس اللباس العربي الخاص من الجبة والعمامة والقفطان كما ترى رسمه في هذه المقالة ثم بدله باللباس الافرنجي المشهور · ونختم ترجمة حاله بذكر مؤلفاته الواحد بعد الآخر مع وصفها بقدر الامكان : (١) «خلاصة الابريز والديوان النفيس» وهو رحلته الى فرنسا ذكر فيهِ ما شاهده من العادات والاخلاق والازياء وآثار التمدن الحديث وكل ما يتعلق بذلك · ثم امر بطبعها وتفريقها في الدواوين وبين الوجهاء والاعيان · (٢) «التعريبات الشافية لمريد الجغرافية» وهو مجلد ضخم ترجمهُ من الفرنساوية الى العربية لتدريس الجغرافية في المدارس المصرية · وقد طُبع غير مرة في مجلد كبير · (٣) «جغرافية ملطبرون» وهو كتاب مؤلف من عدة مجلدات كبيرة يبحث في الجغرافية بحثاً تاريخياً مطوَّلاً · ترجم منه المؤلف اربعة مجلدات كبيرة طبعت في مطبعة بولاق ويظهر من مطالعتها انه ترجمها على عجل · والواقع يؤيد ذلك لاننا علمنا انه ترجم مجلداً منها في ستين يوماً سنة ١٢٦٥ هجرية · (٤) كتاب «قلائد المفاخر في غريب عوائد الاوائل والاواخر» ترجمهُ في باريس وقد تقدم ذكره · (٥) كتاب «المرشد الامين في تربية البنات والبنين» وهو مجلد واحد الفهُ للتعليم في مدرسة البنات · (٦) كتاب «التحفة المكتبية» في النحو · الفهُ لتعليم قواعد النحو في المدارس الابتدائية مطبوع طبع حجر · (٧) «مواقع الافلاك في اخبار تلماك» وهو تعريب وقائع تلماك الفرنساوية ترجمه يوم كان في الخرطوم مع بعض التصرف وهو مطبوع في بيروت (٨) «مباهج الالباب المصرية في مناهج الالباب العصرية» وهو بحث عن آداب العصر وسياسته وصنائعه وعلومه وفنونه ومطبوع بمطبعة بولاق الاميرية · (٩) «مختصر معاهد التنصيص» وهو اختصار المعاهد مع بعض الزيادات الى الاصل ولم يطبع · (١٠) «المذاهب الاربعة» وهو بحث في المذاهب الاربعة الفهُ اثناء رئاسته لمدرسة الالسن · (١١) «شرح لامية العرب» · (١٢) «القانون المدني الافرنجي» مطبوع · (١٣) كتاب «توفيق الجليل وتوثيق بني اسماعيل» وهو تاريخ لمصر طبع ونُشر · (١٤) كتاب «هندسة ساسير» ترجمهُ من الفرنساوية الى العربية وقد طبع ببولاق · (١٥) «رسالة في الطب» لم تطبع · (١٦) «جمال الاجرومية» وهو منظومة

مهلة في الاجرومية (مطبوعة) ٠ (١٧) « نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز » وهو آخر مؤلفاته طبع في روضة المدارس بمطبعة المدارس الملكية

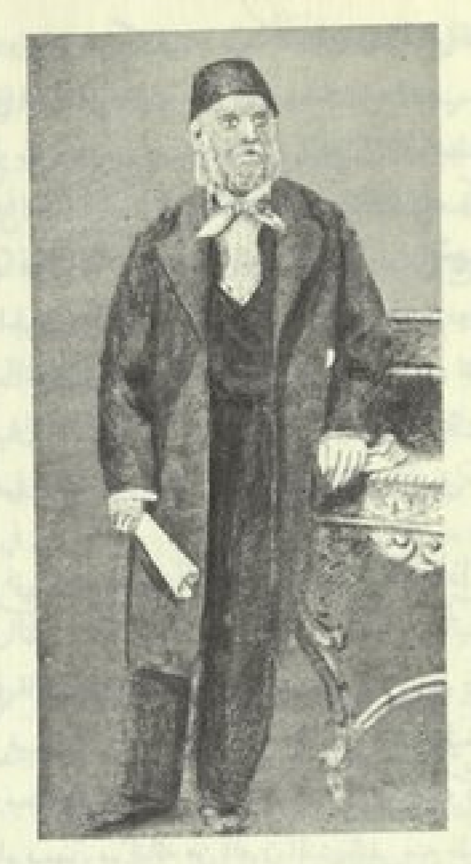
وله رحمه الله غير ماتقدم ذكره من المآثر العلمية بين منظومات ورسائل ومقالات شيء كثير لم يطبع وقد وقفنا على بعضه ٠ واما خدماته في التعليم والتهذيب فغنية عن البيان ٠ و يقال بالاجمال ان رفاعة بك رافع خدم خدمة كبرى في نشر العلوم الحديثة بنقلها الى اللغة العربية وتسهيل تناول اللغات الاجنبية بمدرسة الالسن وقلم الترجمة وغيرهما (جرجي زيدان)

احمد فارس الشدياق

هو فارس بن يوسف بن منصور بن جعفر بن فهد الشدياق من سلالة المقدم رعد ابن المقدم خاطر الحصروني الذي تولى جبل كسروان سبعاً وثلاثين سنة في اوائل القرن السابع عشر

وُلد سنة ١٨٠٤ في عشقوت بلبنان من أُسرة مارونية تتسلسل منها فروع عيال شهيرة اتحفتنا برجال عظماء خدموا العلم والوطن ٠ وحسبنا ان نذكر منهم السيد يوسف سمعان السمعاني صاحب « المكتبة الشرقية » وسائر العلماء السمعانيين ٠ ومنهم المطران جرمانس فرحات الحلبي الطائر الشهرة ثمّ البطاركة الموارنة يعقوب عوّاد وسمعان عوّاد و بولس مسعد و يوحنا الحاج وغيرهم من المطارنة والكتبة ٠ ومن عائلته اشتهر اخوه اسعد واخوه الآخر طنوس مؤلف كتاب « اخبار الاعيان في جبل لبنان » واخيراً سليم فارس الشدياق ابن صاحب الترجمة

لما بلغ فارس من العمر اشدَّهُ تلقى الآداب العربية والسريانية في مدرسة « عين ورقة » فنال قصب السبق عَلَى اقرانه ٠ و بعد ذلك سافر الى القطر المصري فكتب في جريدة « الوقائع المصرية » واكبَّ على اتقان اللغة العربية حتى صار من اكبر جهابذة عصره فيها ٠ ثم دعاه المرسلون الاميركان سنة ١٨٣٤ الى جزيرة مالطة حيث عهدوا اليه ادارة مطبعتهم وتصحيح مطبوعاتها ٠ فاقام عندهم ١٤ سنة وعلم في مدارسهم ثم تبع مذهبهم البروتستنتي ٠ وطبع هناك كتباً شتى من تآليفه وهي : « الواسطة في معرفة مالطة » ثم كتاب « اللفيف في كل معنى طريف » ثم « الباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية » واخيراً « المحاورة الانسية في اللغتين العربية والانكليزية » ثم جال مدة عشر سنين في اوروبا وهو محافظ عَلَى لباسه الوطني ولم يغير منه شيئاً ٠ وعرَّب حينئذٍ « ترجمة التوراة » وصنف كتابين احدهما « كشف المخبا عن فنون اوروبا » والاخر « الساق على الساق في ما هو الفارياق » طبع في باريز ٠ والفارياق لفظ مقتطع من اسمه فارس الشدياق ٠ و بعد ذلك كلفهُ باي تونس الى



احمد فارس الشدياق

(هو فارس الشدياق عينُ زمانهِ مَن كان في نكتِ البلاغةِ أوحدا)
(جابت «جوائبه» البلاد بأسرها وغدت لها غُررُ المعاني سُجَّدا)
(عرفَ الجميعُ علوَّ رتبةِ علمهِ وبفضلهِ اعترفَ الأحبةُ والعِدى)

خدمة مملكته وارسل له سفينة مخصوصة لنقلهِ الى بلاده . فلبى الدعوة وهناك ترك مذهب البروتستنت وتبع دين الاسلام وصار يُعرف بالشيخ احمد فارس الشدياق

وفي السنة ١٨٥٧ اتخذ الاستانة محلاً لسكناه فانشأ فيها بعد ثلاث سنين جريدة «الجوائب» التي سبق وصفها. ثمَّ الف كتباً شتى مبتكرة في بابها نذكر منها: كتاب «سر الليال في القلب والإبدال» في مجلدين وهو يحتوي على تبيين معاني الالفاظ واتساق وضعها. ثم كتاب «الجاسوس عَلَى القاموس» الذي انتقد فيهِ قاموس الفيروزابادي . وكتاب «المرآة في عكس التوراة» لم يزل غير مطبوع وهو يشتمل عَلَى اكثر من سبعمائة صفحة كبيرة . وكتاب «لا تأويل في الانجيل» لم يزل غير مطبوع ايضاً . وكتاب «الاجرومية» وكتاب «النفائس في انشاء احمد فارس» وكتاب

« الروض الناضر في ابيات ونوادر » وكتاب « غنية الطالب ومنية الراغب» في الصرف والنحو. وكتاب « السند الراوي في النحو الفرنساوي » وكتاب «منتهى العجب في خصائص لغة الغرب » اتلفه الحريق قبل ان يُطبع . وله ديوان شعر كبير الحجم بحيث انهُ اعظم من كتاب الجاسوس . وكتاب « السلطان بخشيش » مع ترجمته لمسيو ارنو الترجمان الاصلي . وكتاب « التقنيع في علم البديع » وغيرها . وله ايضاً عدة رسائل ادبية وردود عَلَى انتقادات الشيخ ابرهيم اليازجي اللغوية . وبهمتهِ برزت من مطبعة الجوائب كتب شتى قديمة في التاريخ والشعر والادب والمنطق والفقه استخرجها من مكاتب الاستانة وغيرها . ولا غرابة في ذلك فانهُ كان اشهر من نارٍ على علَم بمآثره العلمية التي تنطق بافصح بيان عما اتصف به من سمو المدارك وسعة المعارف ومضاء العزيمة في احياء اللغة العربية . وقد وردَ وصف قلمه في كتاب « تراجم مشاهير الشرق» فنقلنا عنه الفقرة الآتية:

« امتاز المترجم باتقان فني النظم والنثر والاجادة في كليهما . فتراه اذا نظم او نثر انما يفعل ذلك عن سعة وارتياح كأنهُ وعى الفاظ اللغة في صدره واخذ عليها عهداً ان تأتيه صاغرة حالما يحتاج اليها . فاذا خطر له معنى سبكهُ في قالب من اللفظ لائق بهِ بغير ان يتكلف في ذلك مشقة او تردداً . فترى كتاباته طلية طبيعية ليس فيها شيء من التكلف او التقعر عَلَى كونها بليغة فصيحة . والسبب في ذلك حدة ذهنه وقوة ذاكرته وسعة اطلاعه وكثرة محفوظهِ مع حرية قلمهِ . وكان يطلق لقلمه العنان غير محاذر واظنه السبب فيما نراه ببعض مؤلفاتهِ من المجون الذي تنفر منه طباعنا وتمجه اذواقنا . عَلَى ان المجون اذا لم يتجاوز حده كان احماضاً او هو بمثابة الملح للطعام . وذلك كثير في كتابات المترجم مما يرغب المطالع في المطالعة فلا يملّ منها وان طالت . ومن خصائص كتابة الشيخ احمد فارس السلاسة وارتباط المعاني بعضها ببعض واتساقها مع التوسع في التعبير وتتبع الموضوع الى جزئياتهِ مع مراعاة الموضوع الاصلي والعود اليه . وترى ذلك واضحاً في كتابه « كشف المخبا» فاذا اراد وصف عادة من عادات اهل باريس مثلاً فانهُ يتطرق منها الى ما يماثلها من عادات العرب او الاتراك . فيذكر وجه الخطإ هنا او هناك وما هو سبب هذه العادة . وربما جاء بتاريخها ومَن جاء بها حتى يخال لك انهُ خرج عن الموضوع ثم لا تشعر الاَّ وقد عاد بك اليهِ بغير تكلف . وكل ذلك بغاية السلاسة والطلاوة مع البلاغة . وترى في مؤلفاتهِ كثيراً من الالفاظ العربية جاء بها للتعبير عن معانٍ حديثة افرنجية لم تكن عند العرب وهي في الغالب تدل عَلَى حسن اختياره . ومن الادلة عَلَى اقتداره في التعبير انهُ مغالٍ فاذا مدح بلغ بممدوحه عنان السماء واذا هجا انزل مهجوه دركات الجحيم . وترى كتاباته عَلَى بلاغتها وحسن سبكها تتجلى فيها البساطة والسهولة كأن كاتبها كان يكتب كل ما يمر بذهنهِ على غير تكلف او مراعاة لخطة الكتّاب قبله وهو استقلال في الرأي واعتماد على النفس »

ولم يفتر عن معاناة العلوم والمطالعة والتأليف حتى ضعف بصره وأثقلت الشيخوخة كاهله. فأوقف الجريدة وهبط مصر سنة ١٨٨٥ حيث اكرم الوزراء والعلماء وفادته. واثناء اقامته هناك نال شرف المثول لدى الخديو توفيق الاول الذي اثنى على خدمهِ الطويلة في سبيل إعلاء شان اللغة العربية. ثمّ عاد الى القسطنطينية ولم يفارقها حتى حلّ به القضاء المحتوم في ٢٠ ايلول ١٨٨٧ وهو في السنة الرابعة والثمانين من عمرهِ. فاذاعت شركة روتر التلغرافية نبأ وفاته في اطراف المعمور ورثتهُ جرائد الشرق والغرب بما يستحقهُ من الثناء. وبعد تسعة ايام شُيعت جثتهُ من الاستانة لتنقل الى جبل لبنان مسقط راسهِ. فجرى له مشهد فخيم اشترك فيهِ وزراء السلطنة وسفراء الدول الاجنبية والامراء والعلماء والاطباء والتجار والاعيان وارباب الجرائد. وقد دُفنت جثتهُ في الحازمية بغاية التعظيم والتكريم الى جانب قبور المتوفين من حكام جبل لبنان. وقد جمع يوسف آصاف في كتاب عنوانه «هو الباقي» ترجمة الفقيد مع بعض ما ورد في رثائهِ من اقوال الجرائد وقصائد الشعراء التي اجمعت بأسرها على إكبار الخطب بفقدهِ. فمن ذلك ما كتبته جريدة «الوطن» في القاهرة:

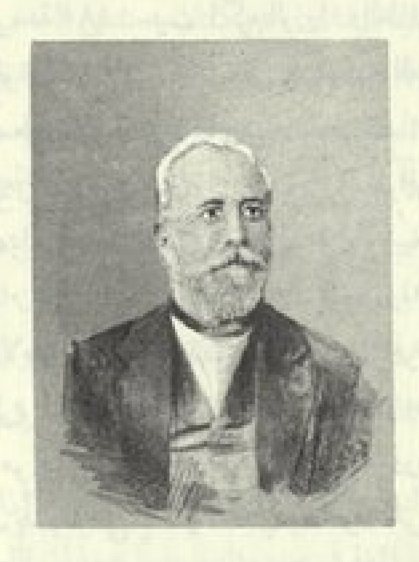
«فالجرائد العربية بهديهِ اهتدت وبمثاله اقتدت.... فكان كالبحر الزاخر الذي لا اوّل لهُ ولا آخر. بل كان آيةً من آيات الله الكبرى في نثره ونظمهِ وتآليفهِ وتصانيفه»

واليك فقرةً من جريدة «الاجيبسيان غازت» في القاهرة ايضاً:

«وللفقيد جملة رحلات في اوروبا وتونس والجزائر مع عدة تآليف غرّاء فريدة في بابها. وكان عزيزاً بين قومه محبوباً لدى العظماء مقرّباً من الملوك والامراء. فكانوا يقدمون لها انفس الهدايا واسمى النياشين الافتخارية. وقد انشأ الجوائب في الاستانة العلية متولياً تحريرها فنال اعظم شهرة في حسن التعبير والتحبير وبلاغة الانشاء وفصاحة العبارة. واحرزت الجريدة بذلك اهميةً ما نالتها قط جريدة عربية لا قبلها ولا بعدها. ولاشك اننا بفقد هذا العلاّمة العظيم فقدنا اعظم ركن للادب»

وكان لاحمد فارس مراسلات مع عظماء العالم وملوكهم. وقد وجدوا بين اوراقهِ بعد وفاته مئات من هذه الرسائل التي تدل على علوّ منزلتهِ وسعة معارفهِ واشتهار صيته. ومما يؤخذ عليهِ إطالة لسانه وقلمه في حق الذين ناظروه من جهابذة العلماء اثناء مجادلاتهِ معهم كما اثبتنا ذلك عند ما ذكرنا اخبار جريدة «الجوائب»

— « ٥ » —



﴿ الكونت رُشَيد الدحداح ﴾

(فتاهت ارضُ باريسَ افتخاراً   وعزَّت اذ حوت شهماً هماما)
(غدا في تربها كنزاً دفيناً   وجاور في الثرى قوماً تحاما)
(فقلتُ مؤرخاً ذكراهُ تو١٣   الى باريسَ إحملْ لي سلاما)

لأُسرة الدحداح شهرة بعيدة في جبل لبنان ويرتقي اصلها الى جدّها الاعلى الشيخ جرجس الذي كان مقترنًا بابنة غزال القيسي الماروني مقدم العاقورة في الربع الثالث من القرن الرابع عشر . والى هذه الاسرة ينتمي صاحب الترجمة الذي نذكر هنا اخباره باختصار فنقول :

هو الشيخ رُشيد ابن الشيخ غالب ابن الشيخ ملوم ابن الشيخ موسى ابن الشيخ يوسف ابن الخوري جرجس ابن الخوري يوسف ابن الخوري ميخائيل ابن الشيخ جرجس الدحداح وُلد سنة ١٨١٣ في عرامون احدى قرى كسروان من جبل لبنان . ثم ارسله ابواه الى مدرسة « عين ورقة » حيث أتقن اصول اللغة العربية وفروعها ودرس اللغتين السريانية والايطالية وسائر العلوم . وبعد ذلك دخل مدرسة بزمار للارمن الكاثوليك فاشتغل في تحصيل اللغة التركية وبرع فيها

وسنة ١٨٣٨ عينه الامير بشير الكبير حاكم لبنان كاتباً لاسراره فلبث في هذه الوظيفة حتى خُلع الامير ونُفي من الجبل . وسنة ١٨٤٣ ذهب الى صيدا فانصبَّ على درس الشريعة الاسلامية الى اواخر عام ١٨٤٥ بحيث سافر الى مرسيليا وتعاطى فيها التجارة اثني عشرة سنة . ثم رحل مع عائلته الى باريز واقفاً نفسهُ على خدمة الآداب العربية التي برَّز فيها علماً وعملاً فنال فيها القدح المعلى

ومن مآثره الادبية انه نشر بالطبع شرح ديوان الشيخ عمر ابن الفارض في نحو ستمائة صفحة . ثم انشأ في اللغتين العربية والفرنسية جريدة « برجيس باريس انيس الجليس » التي شحنها بالمقالات الرنانة في السياسة والتاريخ واللغة والادب فذاعت شهرتها شرقًا وغربًا . وعرَّب رسالةً عنوانها « كتاب التمثال السيامي » بقلم المسيو دي لا كيرونيار احد وزراء فرنسا في عهد نابليون الثالث . وطبع كتاب « طرب المسامع في الكلام الجامع » الذي جمع فيهِ اشعاراً لاشهر شعراء العرب . ونشر في مرسيليا بمعاونة الشيخ سمعان ابن عمه معجماً عربياً للمطران جرمانس فرحات بعد ان هذبه ورتَّبهُ واصلحا فيهِ من الاغلاط . فاطنب في مديحهِ المجمع العلمي الفرنسي «L'Académie Française» واحسن صلته . ثم الف كتاب « قمطرة طوامير » الذي طبع اولاً في فينا وثانياً في باريز وقد ضمنه مقالات لغوية وفوائد ادبية . ونشر كتاب « فقه اللغة » في باريس لابي منصور الثعالبي . والف كرَّاسةً في فن المناظرات سماها « ترويح البال في القلم والمال » لم تُنشر بالطبع . ومن مؤلفاتهِ التي لم تزل مخطوطة ديوان شعر وكتاب « السيَّار المشرق في بوار المشرق » وهو تاريخ كبير في مجلدات شتى . وله غير ذلك من المناظرات الادبية والمقالات اللغوية والمراسلات نثراً وشعراً التي جرت بينه وبين فطاحل اللغة العربية كالامير عبدالقادر الحسيني الجزائري والشيخ ناصيف اليازجي واحمد فارس الشدياق والشيخ محمود قبادو التونسي وغيرهم

وفي خلال سنة ١٨٦٢ — ١٨٦٤ حضر باي تونس الى فرنسا فتقرَّب اليهِ صاحب الترجمة وساعده على قرض مالي بشروط موافقةٍ جداً لم يكن ليرجو الباي الحصول عَلَى بعضها . سيما وانَّ الثقة بمالية المملكة التونسية وادارتها كانت مفقودةً في ذاك العهد . فسرَّ الباي من مساعي الشيخ رُشيد وكافأه بمبلغ عظيم على سبيل الهدية تقديراً لصدق خدمتهِ . وقد مدح المترجَم باي تونس بقصيدة لامية ذات ٨٣ بيتاً عارض فيها معلقة كعب بن زُهير وهذا مطلعها :

بانت سعاداتنا والفتحُ مكفولُ   باسم المليك فلا تلهيك عطبولُ

وفي سنة ١٨٦٧ منحه البابا بيوس التاسع لقب « كونت » يتسلسل في ابكار انجاله الذكور من بعده . ثم شملت هذه النعمة جميع ابناء الكونت رُشيد وسلالتهم من بعدهم . وسنة ١٨٧٥ ابتاع عَلَى ساحل بحر المانش في شمال فرنسا قريةً صغيرة تدعى دينار (Dinar) مع الاراضي المجاورة لها فانشأ فيها بلدةً تعدُّ من انظم البلدان واحسنها موقعاً واجودها مناخاً . وهي الآن احدى المرافىء المعدودة في فرنسا بحيث اتصلت بها السكة الحديدية وصارت مصيفاً لاغنياء الانكليز وسواهم الذين يقصدونها لقضاء فصل الحر . ثم شيَّد فيها قصراً فخماً دعاه « قصر الضفتين » وفي اللغة الفرنسية «château des deux rives» واقام فيهِ عَلَى سعة العيش مع اولاده واحفاده . وتصرَّم حبل حياتهِ في ٥ ايار ١٨٨٩ بالغاً السنة السادسة والسبعين من عمرهِ قضاه في مزاولة العلم والمساعي المبرورة والاعمال المشكورة

— ٦ —

﴿ خليل الخوري ﴾

هو خليل بن جبرائيل بن يوحنا بن ميخائيل بن عبده الخوري أبصر النور في ٢٨ تشرين الاول ١٨٣٦ في الشويفات من اعمال جبل لبنان ٠ و بعد زمن قليل انتقل والده الى بيروت فتلقى المترجم اصول اللغة العربية في مدرسة الروم الارثوذكس وزاولها حتى اتقنها ٠ ثم تعلم اللغتين التركية والفرنسية على اساتذة مخصوصين فاجاد فيهما ٠ وفي غرّة كانون الثاني ١٨٥٨ انشأ صحيفة « حديقة الاخبار » فكانت اول جريدة عربية صدرت برخصة رسمية من طرف الحكومة العثمانية خارجاً عن عاصمة السلطنة ٠ ولهذا كان خليل الخوري من اخص رجال النهضة الادبية في سوريا في القرن التاسع عشر بما وضعهُ من التآليف او نشره على صفحات جريدته من النبذ المفيدة والمباحث المختلفة ٠ وقد نظم الشعر منذ حداثتهِ فنبغ في هذا الفن كما شهد له بذلك الشيخ ناصيف اليازجي في قصيدة مدحه بها وختمها بالبيتين المنشورين تحت رسم صاحب الترجمة وهما هذان :



يا هلالاً قد أرانا في الدُجى وجهاً جميلا
سوف تلقى منك بدراً كاملاً يُدعى خليلا

وخلّف صاحب الترجمة ستة دواوين شعرية في مواضيع مختلفة بلغ مجموع ابياتها ١٠٨٧٤ بيتاً وهي : اولها « زهر الربى في شعر الصبا » وثانيها « العصر الجديد » وثالثها « السمير الامين » ورابعها « الشاديات » وخامسها « النفحات » وسادسها « الخليل » والاخير وحده لم يُطبع · وهنا ننقل عن « مجلة النور [1] » المطبوعة في الاسكندرية ما كتبهُ جرجي بن نقولا باز صاحب مجلة « الحسناء » في وصف شعر المترجم قال :

« نظم الخليل الشعر في اربعة ادوار حياته فتىً وشاباً وكهلاً وشيخاً · وشعرهُ طبيعي منسجم في غاية الرقة والطلاوة والسلاسة حتى جازت تسميته بالسهل الممتنع · وجلُّ ما تناوله من المواضيع الغزل والمديح والتهنئة والرثاء وغيره · وله تواريخ ابجدية عديدة ضمّ بعضها الى ما طبع من منظوماته · وامتاز بمدح جلالة السلاطين العظام ووصف رجال الدولة وبيان عظمة السلطنة حتى دُعي بحقٍ « شاعر الدولة » · وبمناسبة بعض قصائده نال الوسام المجيدي وبلغ المحظوظية السلطانية بارادة سنية عدّة مرات · وقد ترجم بعض اشعاره الى اللغة الفرنسية المسيو ربنو رئيس « الجمعية الاسيوية » في باريز ونشرها في مجلة الجمعية ونشر بعضها في جريدة « الدبيا » وغيرها من صحف الفرنسيس المعتبرة · وكتبت عنهُ جريدة الدبيا وقرّظت بعض قصائده كالعنّاب والرمّان وغيرهما · وتُرجمت قصيدته « الزيارة القدسية » التي قدمها الى امبراطور النمسا حينما زار القدس الى اللغة النمسوية ونشرت في جريدة « فينيرا باندا بوسط » · وكتب عنه لامرتين الشاعر الافرنسي مقالات اذاعت فضله في اوروبا · ويقال انه نظم له بعض قصائده المترجمة ونشرها وكان بينهما صداقة ومراسلة · ومثلها كان لشاعرنا مع كثير من شعراء الترك والفرس والعرب · وكتبت مرةً عن شعره وسيرتهِ جريدة « المورنن بوست » الانكليزية · وقد كان بالاجمال شاعراً مطبوعاً سيال القريحة واسع الخيال لطيف المعاني رقيق الغزل مكثراً من النسيب وايضاح خفايا الحب ووصف وقائع المحبين حتى سمي « قيس زمانه وجميل عصره » وعُدَّ من مشاهير شعراء العرب الممتازين بالوصف الغرامي · وما خلا شعرهُ من لمحات فلسفية وردت في بعض قصائده · وقد عزّز الشعر بعدم استخدامهِ اياه وسيلةً للاستجداء وجني المال · ومما يروى عنهُ انهُ عند ما زار سوريا سعيد باشا خديو مصر في سنة ١٨٥٩ مدحه عدة شعراء فاجازهم بجوائز مالية بين العشرة والخمسة عشر جنيه · اما الخليل فلم يقبل الجائزة عَلَى قصيدته « السعادة » بل كتب في حديقتهِ انهُ نظمها اظهاراً لاحساساتهِ لا طمعاً بالمال · لعلمهِ انهُ جاء الوقت الذي يجب فيهِ ان لاتكون كلمة « شاعر » مرادفاً لكلمة « متسول » واقتدى بهِ وقتئذ الشاعر اسعد طراد · ولذلك اشترك الخديو بخمسين نسخة من الحديقة بكل سرور واعجاب »

وله غير ذلك كثير من الآثار الادبية التي نورد منهـا : (١) « النعمان وحنظلة » وهي رواية

«١» سنة ٣ : عدد ١٨ — ١٩ لمديرها فارس مشرق ومحرّرها داود مجاعص

تمثيلية.(٢) « وَيْ إِذَنْ لستُ بافرنجي » هو كتاب اخلاقي وضعهُ على اسلوب القصة وضمنهُ انتقادا دقيقاً على الاخلاق والعادات مع ملاحظات لطيفة على المتنبي والفنس دي لامرتين.(٣)« خرابات سوريا » خطاب القاهُ في ١٥ ادار ١٨٥٩ في الجمعية العلمية ببيروت.(٤)« تاريخ مصر » وضعهُ بايعاز من سعيد باشا خديو مصر وهو غير مطبوع . فأتمه سنة ١٨٦٤ وقدَّمه للخديو اسمعيل الذي اجازه عليهِ بالفي جنيه.(٥) « النشائد الفوءادية » يتضمن ترجمة فوءاد باشا الصدر الاعظم مع القصائد التي نظمها له المؤلف.(٦) « تكملة العبر » عرَّبه عن كتاب تاريخي وضعه في اللغة التركية صبحي باشا والي سوريا سابقاً. وهو تتمة لتاريخ ابن خلدون ويتضمن اقتسام قواد الاسكندر الكبير ممالكه بعد وفاته.(٧) « الدولة العثمانية في الماضي والحال والاستقبال » هو خطاب فرنسي لمدحت باشا نقلهُ صاحب الترجمة الى اللغة العربية.(٨) « الدستور » تولى بموجب ارادة سلطانية ادارة ترجمته من التركية الى العربية بقلم نوفل بن نعمة الله نوفل الطرابلسي.(٩) « الكواكب العثمانية في تاريخ الدولة العلية »تاريخ شعري منقطع النظير يتضمن منشأ سلاطين آل عثمان وعلو شان دولتهم . وقد انتهى بهِ الى اواخر عهد السلطان محمود الثاني ،وهو من بحر واحد وقافية واحدة وفيهِ ما يزيد علَى ٣١٠٠ بيت .(١٠) مقتطف تاريخي من كتاب « روضة الاوائل والاواخر » لابن الشحنة

وانفرد بعدم الاستجداء بشعره عن سائر شعراء عصره كما سبق القول. ولكنه نال عدة جوائز مهمة اتحفه بها الملوك والعظماء وهي : خاتم من الماس انعم بهِ عليهِ اسكندر الثاني قيصر روسيا. وخاتم آخر من الماس اهداه اياه الغراندوق قسطنطين شقيق القيصر المشار اليهِ. وخاتم من الفيروز اكرمه به ملك انكلترا ادوار السابع. وعلبة من الذهب الابريز يعلوها اكليل مرصع بثلاثة وعشرين حجر الماس نالها من صادق باشا باي تونس. ومسبحة من المرجان اتحفه بها الصدر الاعظم خير الدين باشا التونسي. وخاتم من الزمرد دائرهُ مرصع بالماس أُهدي له من الغراندوق نقولا . وما خلا ذلك فانه نال شرف المثول لدى بعض الملوك والامراء وراسله كثير من رجال الدولة العثمانية ومشاهير ادباء العصر

وبعد فتنة سوريا سنة ١٨٦٠ عينه فوءاد باشا مأموراً بمعيتهِ. وسنة ١٨٦٥ فوّضت اليهِ ولاية سوريا ادارة مطبعتها وجريدتها الرسمية بارادة سلطانية. وسنة ١٨٧٠ تعين مفتشاً للمكاتب غير الاسلامية ومديراً للمطبوعات في ولاية سوريا ومفتشاً فخرياً لمدارس جبل لبنان ومطبوعاتهِ. وسنة ١٨٨٠ صار مديراً للامور الاجنبية في الولاية المذكورة. ومن مآثره المبرورة انه انشأ الجمعية الخيرية الارثوذكسية في بيروت

وسنة ١٨٨٧ سافر الى لندن حيث اقترن في ٤ آب بالسيدة ظافر بنت حبيب نوفل وحفيدة

موسى بسترس. وقد جرى لزفافهما احتفال شائق شهده أكابر القوم ثم جاء العروسان الى بيروت.
وبعد مائة يوم من تاريخ القران المذكور أصيب الخليل بفقد زوجته التي قصفتها يد المنون في السنة الخامسة والعشرين من عمرها. وفي ٢٦ تشرين الاول ١٩٠٧ فاضت روحه فأقيم له مأتم عظيم وابنه مطران الابرشية وبعض الادباء والشعراء. وهي السنة التي أتمَّ فيها السنة الخمسين من تاسيس «حديقة الاخبار» القديمة العهد. اما الرتب والنياشين التي احرزها في حياته فهذه اسماؤُها:

(١)	الرتبة الاولى	من الدولة العثمانية
(٢)	الوسام العثماني الثاني	
(٣)	الوسام المجيدي الثاني	
(٤)	وسام ايزابلا الكاثوليكية	« اسبانيا
(٥)	« القديسة حنة	« روسيا
(٦)	« تاج بروسيا	« بروسيا
(٧)	« شير خورشيد	« ايران
(٨)	« فرنسيس يوسف	« النمسا والمجر
(٩)	« تاج ايطاليا	« ايطاليا
(١٠)	« موريس ولازار	« «
(١١)	« المخلص	« اليونان
(١٢)	« النسر الاحمر	« المانيا

=«٧»=

رزق الله حسون

نشأت أسرة حسون الارمنية في بلاد العجم وقيل في ديار بكر. وقد اشار المترجَم الى هذا في قوله من قصيدة:

دبارُ كرجٍ وارمنٍ وطني   قبل انتقال ابي الى أُخرى

فجاء جدُّها الاعلى وسكن حلب وولد اولاداً ذهب احدهم الى مدينة ازمير. فبقي اسم اولاده اولاً بني حسون ثم عُرفوا بني حلب اوغلي (اي اولاد حلب) وهم فيها بهذا الاسم الاخير الى عهدنا. وذهب احدهم الى الاستانة قبل تغيير اسمهم «حسون» وبقيت سلالته فيها باسم بني حسون الى عهدنا. ومنهم نشأ البطريرك حسونيان (وزيادة الياء والالف والنون من اصطلاحات اللغة الارمنية)

وكان من رجال الفضل والعلم ولا تزال بقية اسرتهِ في الاستانة الى يومنا · وذهب احد اولاد حسون الجد الاعلى المذكور الى القطر المصري · امّا ولده الاخر فبقي في حلب ومن اسرته وُلد المترجم نحو سنة ١٨٢٥ فتعلم فيها مبادىء القراءة واتقن الخط على الشيخ سعيد الاسود الحلبي الشهير بجودة خطه · وما ترعرع حتى انتقل الى دير بزمار وهو دير لرهبنة الارمن الكاثوليك الانطونية وفيه مقر الرئيس العام وموقعه في ساحل كسروان من اعمال لبنان · فدرس العلوم اللاهوتية واللغات الفرنسية والتركية والارمنية والعربية والعلوم الرياضية · وكان نابغة في جودة حفظه وذكائه حتى انه نظم الشعر وهو تلميذ · وذلك انه لما استُقدم المطران باسيليوس عيواظ الى دير بزمار ليسام فيها اسقفاً عَلَى الارمن في حلب وتمت سيامته في ٤ فبراير (شباط) سنة ١٨٣٨ أنشده رزق الله قصيدة من نظمه وهو في الثالثة عشرة من عمره

ولما اتمّ دروسه في بزمار عاد الى مسقط راسه حلب وكان يمارس التجارة لان والده كان غنياً · وكثيراً ما كان يختلف الى دار قنصلية النمسا في حلب حيث كان والده ترجماناً فيها فيتمرن عَلَى اعمال الترجمة في القنصلية · ثمّ نزعت نفسه الى طلب العلى فذهب الى اوربا وطاف في لندن وباريس وجاء مصر واستنسخ كتباً كثيرة · لانه كان ولوعاً بالمطالعة كثير الميل الى صناعة الخط التي عرف يتهم بها كما اشار الى ذلك بقوله من قصيد :

لا خاملاً لا دنيًّا منشإي حلبٌ   فسلْ وهاك بفضلي يشهد القلمُ

ثم عاد الى الاستانة وتقرب من رجالها ونال منزلة عندهم واتخذه الحاج ابو بكر آغا القباقبي من كبار اغنيائها وتجارها واعيانها مديرًا لشؤُونهِ ومؤتمنًا عَلَى امواله وبواسطتهِ استخدم في الحكومة · وقد اتصل بالمرحوم يوسف چلبي الحجار وتزوج السيدة متيلدة ابنتهُ سنة ١٨٤٨ وارخ ذلك بطرس كرامه بقوله من ابيات :

فلا زلتما طول الزمان بصحبة   وعيش رغيد برده الامنُ والرفدُ
زفافٌ سعيدٌ والهناء مؤرخٌ   موافٍ لرزق الله بالخير ماتلدُ

وقد كان بينهُ و بين ادباء عصره في سوريا ومصر والاستانة مراسلات ومساجلات ولا سيا وطنيهِ الشاعر نصرالله الطرابلسي المشهور واحمد فارس الشدياق و بطرس كرامه وغيرهم ممن جاء بعدهم مثل فرنسيس مراش وشقيقه عبدالله وجبرائيل الدلال وشقيقه نصرالله من مواطنيهِ والقس لويس الصابونجي وديمتري شحاده الدمشقي والمطران اغابيوس صلوبا الارثوذكسي وخليل الخوري وغيرهم · ولقد عرف رؤساء الاساقفة بعهده ومدحهم · من ذلك ابيات موجودة بخطه في دار بطريركية الروم الكاثوليك بدمشق مدح بها الطيب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم الحلبي الشهير سنة ١٨٤٢ (١٢٥٢ هـ) · مطلعها :

صرَفت كربة من ناجاك مبتهلاً ولم ترد صرف من يتحوك ذا به

وقال من قصيدة مدح بها الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد الماروني الشهير:

إمامٌ عَلَى سرّ الالهِ امينُ اضاءت بنورٍ من سناهُ دجونُ
بدا علماً في اوج لبنان للهدى ولبنان للدين القويم عرينُ
سميُّ الاناء المصطفى نعته الصفا عَلَى نسج اسلافٍ طوتهُ قرونُ
هوالبطريرك الندب بولس ذوالحجى وكعبة فضلٍ للزمان جبينُ

وختمها بقوله:

ودونكمُ نظم ابن حسون فائقاً بمعنى والفاظٍ لهنَّ رنينُ

ومن ذلك مابعث به الى صديقه بطرس كرامه شاعر الامير بشير الشهير من قصيدة ذكرت في ديوانه صفحة ٣٨٥ منها:

خدين المعالي وابن بجدتها الفردُ بقيتَ بقاء الدهر يخدمك السعدُ
وزادك ربُّ العرش اسنى كرامةٍ قرينٌ بها الاقبال والفخر والمجدُ
ولا زلتَ في امنٍ وموفور نعمةٍ ويمن اياد كسبها الشكر والحمدُ
وبعدُ فقد طال البعاد ومهجتي يكاد من الاشواق يضرمها الوجدُ
فأبغي للاطمئنان منكم الوكة اذا لم يكن منكم قدومٌ هو القصدُ

فاجابهُ بطرس كرامه بابيات تجدها في ديوانهِ ومنها قوله:

فلا تحسبوا بُعدي بعاداً وانما ودادي لكم قرباً وبعداً هو الودُّ
واني لارجو كل يوم لقاكمُ ولكن دهري شأنه المنع والصدُّ
فلا زلتَ رزق الله خدن كرامةٍ ويصحبك التوفيق والعزُّ والسعدُ

ولما انتشبت حرب القرم بين روسيا والدولة العلية وتداخلت فيها الدول المتعاهدة منحازة الى دولتنا سنة ١٨٥٤ انشأ المترجم جريدة «مرآة الاحوال» في دار السعادة. فكانت اول جريدة عربية فيها وكان يصف فيها حرب القرم ومواقعها ويكتب الفصول السياسية الدالة على حنكته. ويتطرق الى وصف احوال بلادنا ولا سيا بعلبك ولبنان وحاصبيا وما كان يجري فيه اذ ذاك من الفتن الاهلية. فذاعت جريدته شهرةً وزادت نجاحاً بعد ذلك الى ان عطلها

ولما نشبت حوادث سنة ١٨٦٠ في سوريا وسُفكت الدماء وتفاقم الخطب وجاء فؤاد باشا لاصلاح ذات البين كان صاحب الترجمة من رجاله اتخذهُ لتعريب المناشير والاوامر التي يصدرها للشعب. وكان قد نال لديه حظوة ايام كان وزيراً للخارجية في اثناء حرب القرم ومدحه في جريدته «المرآة» واثنى عَلَى بسالته حينما كان قيماً عَلَى الجند بقيادة عمر باشا النمساوي في حرب القرم

واتصل وهو في دمشق بالامير عبد القادر الجزائري الشهير وله فيه مدائح نشر بعضها في كتابه « النفثات » الذي قدمهُ له . وتبادل المودة مع ادباء بيروت ودمشق ولبنان

وعثر وهو في دمشق عَلَى كثير من الكتب المخطوطة القديمة واحرزها . ومن جملتها انجيل عربي وجده في قرية « عين التينه » قرب معلولا في جبل القلمون نُسخ سنة ٧٠٤٥ لآدم و ٩٤٧ هـ (١٥٤٠ م) . فاهداها الى المرحوم متري شحاده الدمشقي لما كان في القسطنطينية سنة ١٨٦٣ وهو الآن في المكتبة البطريركية الارثوذكسية في دمشق (عدد ١٠٠٦) وخطه كنسي جميل . وقد تفقد مكاتب دمشق القديمة ووقف عَلَى نوادر مخطوطاتها ونسخ بعض تعاليق مفيدة عنها كان يفيد بها المستشرقين بعد ذهابه الى اوربا

ولما عاد فؤاد باشا الى الاستانة نائلاً منصب الصدارة العظمى سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) نال المترجم حظوة لديه فكان من خاصته . ولم يلبث فؤاد باشا ان صار عضواً في مجلس الاحكام العدلية في السنة الثانية من صدارته وذهب الى معرض مدينة لندن معتمداً عثمانياً سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) فاخذ المترجم معه . ولما عاد الى الاستانة اعاده معه فرقاه الى نظارة جمارك الدخان . فكثر حساده ومناوئوه واشتد الامر بينه و بينهم . فوشي به انه رمي بالغلول في مال الجمارك هو و بعض المستخدمين فسجن معهم . ثم فرَّ الى روسيا وهناك اطلق لسانه بالانتقاد عَلَى الحكومة والف رسالة بعنوان « قول من رزق الله حسون يبرىء نفسه من الغلول » وذكر البعض انه انشأ جريدة في فرنسا لهذه الغاية . وذلك غير ثابت الا اذا كان قد اعاد نشر جريدة مرآة الاحوال . ثم توسط في امره فقبلت الحكومة ان ترسل اليه اسرته اي زوجته واولاده فلم يقبل الا بجميع مطاليبه منها فاوغر صدر السلطان عبد العزيز عليه . فطلب من الحكومة ان تمنعه عن التنديد بالدولة فلم يصغ لها سمعاً بل غادرها وحلَّ لندن . واصدر فيها جريدتهُ « مرآة الاحوال » وخصها بالشكوى من اعمال بعض موظفي الحكومة لعهده . وقد رأيت منها العدد السادس عشر بتاريخ ١٨ كانون الثاني سنة ١٨٧٧ مكتوباً بخطه الجميل مطبوعاً على الحجر وفيه مقالات سياسية بليغة . وكان يكتب فيها كثير من ادباء عصره ومواطنيه ولا سيما المرحومان جبرائيل الدلال وعبد الله المراش شقيق الشاعر الشهير فرنسيس مراش . وكان قد اصدر مجلة عربية عنوانها « رجوم وغساق الى فارس الشدياق » نشر منها عددين في لندن : الاول في ٤ ايار سنة ١٨٦٨ في ١٤ صفحة صغيرة والثاني في ٥ ايار سنة ١٨٦٨ . وذلك رداً عَلَى المرحوم احمد فارس الشدياق صاحب « الجوائب » عَلَى اثر ما حدث بينهما من الخصام الشديد . وكانا يتناظران مناظرات موجعة شديدة اللهجة . وكان يبيع من « مرآة الاحوال » في سنتها الاولى في لندن ٤٥٠ نسخة

ثم عطل مرآة الاحوال ونشر مجلة عربية طبعت في لندن سنة ١٨٧٩ كانت تصدر كل خمسة

عشر يوماً مرة عنوانها « حلّ المسألتين الشرقية والمصرية » وهي اول مجلة عربية شعرية لانها كانت قصائد تبحث في هذه المواضيع . فاجتمع منها مجلد بقطع ربع في اكثر من ثلاث مائة صفحة

ثم انقطع بعد ذلك الى النسخ والاشتغال بتصحيح حروف الطباعة العربية في اوربا ومساعدة كثير من المستشرقين حتى بلغ ما استنسخه من نفائس الكتب اكثر من عشرين . اهمها « ديوان الاخطل » و « ديوان ذي الرمة » و « نقائض جرير » و « الفرزدق » و « صبح الاعشى في صناعة الانشا » للقلقشندي و « المتمم » لابن درستوية و « الاناجيل المقدسة » ترجمة ابي الغيث الدبسي الحلبي و « ديوان حاتم الطائي » وهذا طبعه كما سيجيء . ولا تزال بعض مخطوطاته في مكاتب روسيا وفرنسا وانكلترا حيث كان يتردد بين هذه الممالك . وجاء حلب قبل وفاته بسبع سنوات متنكراً فتفقد مكاتبها واستنسخ منها بعض الآثار النادرة . ثم عاد الى انكلترا التي اتخذ معظم سكناه فيها ولا سيما قرية وندسورث حيث تفرَّغ لوضع كتبه وطبعها

وعلى الجملة فان رزق الله حسون كان سياسياً حرّاً يرغب في اصلاح الدولة العثمانية ويذهب مذهب كبار احرارها كمدحت باشا واعوانه . ولما ذهب مدحت باشا الى لندن قابله فيها وسرَّ بهِ ولا صحة لما شاع من انه سعى في قتله

اما منزلته الادبية فان نثره من النمط العالي المتين وسجعه كثير يحو فيهِ نحو الاقدمين . وشعره يدلُّ كثير منه على طبيعتهِ ولكنهُ كان قليل التدقيق في الاوزان ومراعاة الاصول الصرفية والنحوية . فيشبع الحروف التي لم يرد مسوّغ لاشباعها ويسكن ويحرّك ويختار القوافي الصعبة . وهذا التكلف ظاهر في كتابه « اشعر الشعر » . ومع هذا فان بين قصائده فرائد بليغة المعنى فصيحة اللفظ متينة القوافي تعدُّ من الطبقة العليا في الشعر . وقد خرج في بعض القصائد عن الطرق المألوفة فلم يتقيد بقافية كما ترى في كتابه « اشعر الشعر » وكثيراً ما يميل الى الالفاظ المهجورة . وبقي بين المحابر والاقلام الى ان توفي فجأة في مدينة لندن . وقيل انه توفي مسموماً وذلك نحو سنة ١٨٨٠ غريباً عن اسرتهِ التي بقيت في الاستانة . وولده البير الوحيد حيٌّ الى اليوم فيها . ولما شعر رزق الله بدنو اجلهِ نظم احتضاره (على اصح الروايات التي محصتها) بهذين البيتين :

قد قضى الله ان اموت غريباً　　في بلاد أُساق كرهاً اليها

وبقلبي مخدرات معانٍ　　نزلت آية الحجاب عليها

وقد اتقن فوق اللغات التي تلقنها في بزمار وبرع بها اللغة الانكليزية وألمَّ بالروسية . واهم ما وصلت اليهِ يد البحث من مؤلفاتهِ ومطبوعاتهِ هو :

(١) « النفثات » وهو قسمان اولها في تعريب قصص كريلوف شاعر الصقالبة التي وضعها على طريقة بيدبا الهندي في كليلة ودمنة ولافونتين الفرنسي في خرافاته ولقمان في حكاياته وما شاكل .

عرَّبها نظماً في ٤١ قصة تقع في ٦٩ صفحة بقطع ربع والحق بها نخبة من منظوماتهِ من تواريخ واوصاف ومدائح وشكوى · وبينها قطعة عرَّض فيها بالشيخ احمد فارس الشدياق حتى ان الشدياق لما انتهت اليهِ قال فيها عبارتهُ الشهيرة « كان حسون لصاً وله سرقات فاصبح صلاً وله النفثات » وجميع هذا الكتاب يقع في ٨٤ صفحة وقدمهُ للمرحوم الامير عبد القادر الجزائري نزيل دمشق وطبعهُ في لندن سنة ١٨٦٧

(٢) «اشعر الشعر » وهو نظم سفر ايوب الصديق في٧٤ صفحة بقطع ربع فرغ منه في ٢٩ نيسان سنة ١٨٦٩ م وهو في وندسورث (انكلترا)· ثم نشيد موسى النبي · ثم سفر الجامعةونشيد الانشاد لسليمان الحكيم ومراثي ارميا النبي ·وهذه بدأ بنظمها في ٢٨ نيسان سنة ١٨٦٩ واتمها في ٣ ايار · والكتاب يقع جميعه في ١٣٦ صفحة وهو مطبوع في المطبعة الاميركية ببيروت سنة ١٨٧٠ ووضع في اوله مقدمة قال فيها ان ايوب وهوميروس وشكسبير اشعر الخلق · واشار الى نظمه سفر ايوب في ايام اعتقاله وانهُ نظم الفصل الثامن عشر منهُ على اسلوب الشعر القديم بلا قافية · وقد كتب بعض الفصل نثرًا بليغًا وربما ابقى بين مانظمه في بعضها فقرات نثرية ·وفي «اشعر الشعر» من الركاكة والجوازات الشعرية مايدل على اضطراب بال المؤلف حين نظمه وسرعة إعداد بعض الاسفار الاخرى · فلم تمسه يد النقد ولا جال فيهِ خاطر التهذيب

(٣) « السيرة السيدية» وهو عبارة عن مزج الاناجيل الاربعة المعروفة بالبشائر · طبع بمطبعة الاميركان في بيروت في ١٩٠ صفحة

(٤) رسالة مختصرة في « الطباعة العربية » والاقتصاد فيها ماديًا ووقتاً · وقد وجدت منها نسخة بخطهِ الجميل في مكتبة اسقفية الارثوذكس بحلب فاستنسختها سأنشرها قريباً لفوائدها

(٥) « ديوان حاتم الطائي »المشهور بكرمه استنسخه عن نسخة قديمة وطبعهُ في لندن سنة ١٨٧٢ في ٣٣ صفحة

(٦) كتاب « المثمرات » طبع في سانباولو من اعمال البرازيل · سعت بطبعه ادارة جريدة «المناظر »منذ بضع سنوات

(٧) «حسر اللثام» وهو كتاب جدلي تمَّ تاليفه سنة ١٨٥٩ ولا اظنه طُبع

ولقد ذكر المترجَم كثيرٌ من المستشرقين وآخرهم ثناءً عليهِ المسيو كليمان هوار الفرنسي في كتابهِ « تاريخ آداب اللغة العربية» وقد اقتصر على ذكر كتابهِ « النفثات» وجريدتهِ « مرآة الاحوال» في لندن ولم يذكر نشأتها في الاستانة

(عيسى اسكندر المعلوف)

٨



ميخائيل مدوّر

(لك الفعل الجميلُ وانت عِقدٌ جيد الدهرِ والدنيا يزينُ)
(عليكَ وفاه حقِ العلمِ دَينٌ وفيكَ محبةُ الاوطانِ دِينُ)
(وأنتَ بذي الديارِ عمادُ مجدٍ وركنٌ في اعاليها متينُ)
(وإن كان المدوّرُ ليس قطباً لدوْرِ المكرماتِ فمَن يكونُ)

هو ميخائيل بن يوسف مدوّر وُلد في بيروت بتاريخ ٣٠ تموز سنة ١٨٢٢ ودرس اللغتين الفرنسية والايطالية في مدرسة عين طورا · وقرأ قواعد اللغة العربية وفقهها بدون استاذ فأصاب منها سهماً وافراً · وتعاطى التجارة مع اخوتهِ الى سنة ١٨٥٢ وفيها اقترن بتاريخ ٣ شباط بالسيدة روزا بنت نقولا صالحاني · وكانت سيدة فاضلة قرّظتها ورده اليازجي بابياتٍ جاء فيها :

تنبهتِ العيونُ النرجسيةُ على نغمِ البلابل في العشيةْ
ولكن غارتِ الأقمارُ لما تجلى وجهُ روزا الصالحيةْ
زهتْ باللطفِ في خَلقٍ وخُلقٍ واوصافٍ حسانٍ عنبريةْ
اديبةُ عصرها من خيرِ قومٍ لهم شرفٌ وأنسابٌ سنيةْ
بها افتخرت نساء العصر لما رأت اخلاقها الحسنى الرضيةْ

ثمَّ صار ميخائيل ترجماناً في قنصلية فرنسا ولبث في هذا المنصب الى آخر ايامه . وانكبَّ عَلَى العلم ولا سيما عَلَى التاريخ وشعر العرب واخبارهم حتى عُدَّ من فصحاء الكَتَبة في اللغتين العربية والفرنسية . ولذلك نال بكل استحقاق ان يكون عضواً في « الجمعية العلمية الاسوية » في باريس وعضواً في « الجمعية العلمية السورية » في بيروت . وكان صديقاً حميماً للغوي المشهور الشيخ ناصيف اليازجي فطبع له مقامات « مجمع البحرين » على نفقتهِ سنة ١٨٥٤ بعد ان طبع مقامات الحريري . فأنشده الشيخ ناصيف قصيدة نفيسة نورد منها الابيات الآتية :

ملكتَ الفضلَ في شرعٍ وعُرْفٍ ... فليس عَلَى كمالك بعض خُلْفِ
اذا عُدَّت رجالُ العصر يوماً ... فـانكَ واحدٌ بمقام ألفِ [(١)]
يسوغُ لك المديحُ بكل لفظٍ ... وليس يسوغُ ان تُهجى بحرفِ
غلبتَ الشعرَ في الاوصافِ يا مَن ... غلبتَ الناسَ في أدبٍ وظَرْفِ
فلا يسعُ التأملَ فيك فكري ... ولا تسعُ الثناءَ عليكَ صحفي

والتقارير الرسمية التي كان يرسلها ميخائيل مدوَّر للوزارة الخارجية في فرنسا شهدت له بالبراعة والحذق وجودة الآراء فضلاً عما كان له من المراسلات مع اعاظم علماء بلادهِ وعلماء الفرنسيس كالشاعر لامرتين وسواه . ثمَّ سعى مع رؤساء طائفة الروم الكاثوليك في ادخال الحساب الغريغوري بدلاً من الحساب اليولي عند الملة المذكورة . وكان اكبر عضد لخليل الخوري في تأسيس جريدة « حديقة الاخبار » القديمة العهد . فانه ساعدهُ ماديًا وادبيًا على انشائها وكتب فيها الفصول المفيدة والمقالات الاصلاحية . ولذلك قرَّظهُ خليل الخوري في العدد الخامس منها بما نصهُ : « قد جعل بمساعدته حديقة الاخبار ان تزهر برياض الشام وتجري من ثغر بيروت زلالاً ترتشفه ابناء الوطن . وهي تكون مشروعاً يؤمل بواسطته تقدم ونجاح المعارف والتهذيب في هذه البلاد »

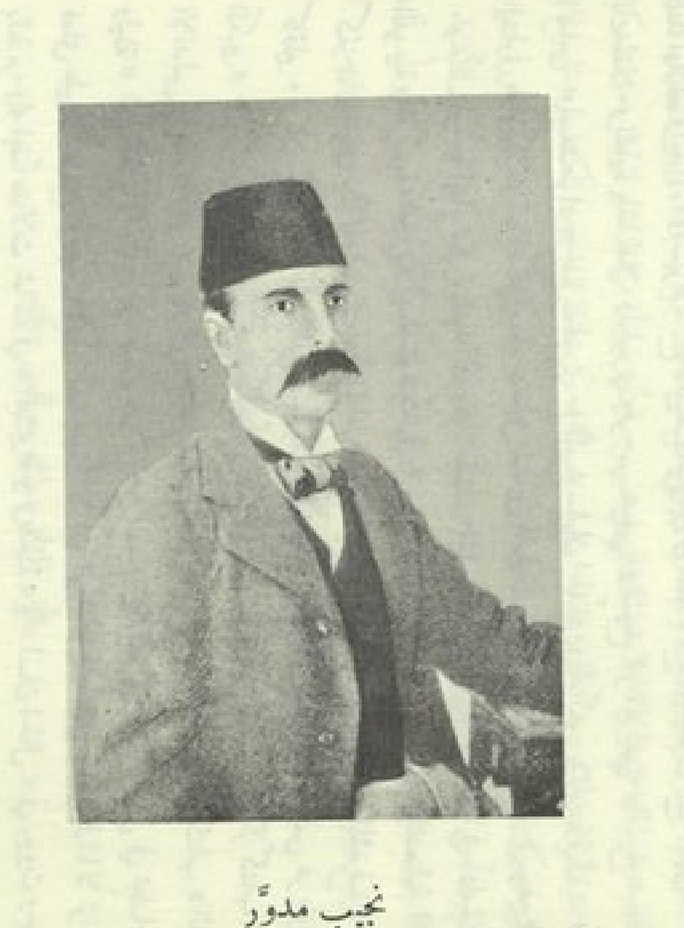
وقد سعى سنة ١٨٥٨ مع الكنت دي برتوي بطلب امتياز طريق العربات من بيروت الى دمشق . وخدم الدولة العثمانية اثناء فتنة الشام سنة ١٨٦٠ خدمة جُلَّى جلب له لاجلها فؤاد باشا الوسام المجيدي . وزار اوربا بعد ذلك فقابل البابا بيوس التاسع في رومة ونال منه علامة شرف . وقابل نابليون الثالث ورجال دولته في باريس ثمَّ تجوَّل في انكلترا وسويسرا والمانيا والنمسا . وبعد عودتهِ تملك عدَّة اراضٍ في البقاع العزيز وجهات عكا وصار عضواً فخريًا في مجلس بلدية بيروت . وقد اجتهد في جمع اعانة لجرحى العساكر الفرنسية في حرب سنة ١٨٧٠ من اعيان سوريا

---

(١) كان فريق من مريدي الشيخ ناصيف قد اتفقوا على جمع نفقات طبع « مجمع البحرين » من اهل الادب . فمرَّ زمن ولم ينجزوا وعدهم . فاستفزَّت الاريحية الادبية همة ميخائيل مدوَّر فتبرع بالنفقات كلها

جميل مدوَّر

المحرر في جريدة «المؤيَّد» المصرية سابقاً



نجيب مدوَّر

كاتب المقالات الشائقة في الصحف العربية والفرنسية

ولبنان ٠وفي سنة ١٨٧٢ شيَّد في قرية ثعلبايا سبيلاً لماء فنظم فيه سليم بك تقلا هذه الابيات مؤرخاً :

جزاء الخير نحلتُنا المدوَّرْ	جَزا الإحسانِ إحسانٌ فيُوْلى
أقامَ بناءُ بالجهدِ المكرَّرْ	بظلِّ الشاهِ سلطانٍ عزيزٍ
سقى وُرَّادهُ ذَوَبان سكَّرْ	يبذلِ الدرهمِ الوضّاحِ منهُ
رِدُوني وارشفوا سلسالَ كوثرْ	وعنه قيلَ تاريخٌ وفيهِ

سنة ١٨٧٢

وسعى في جلب مياه نهر الكلب الى بيروت مع المسيو تفنن ٠ثمَّ زاول التجارة الى عام ١٨٨٢ وبعد ذلك اعتنى باصلاح املاكه ٠وفي عام ١٨٨٤ زار مصر وقابل خديويها توفيق الاول واعاظم رجال وادي النيل ٠وفي آخر ايامهِ مال الى العزلة والانفراد حتى توفاه الله في ١٢ آب ١٨٨٩ بينما كان يتفقد اراضيه في عكا ٠فنُقلت جثته الى بيروت عَلَى باخرة مخصوصة ودُفن في تربة اجداده بالتكريم ٠ وقد أفاضت الجرائد العربية في تأبينهِ لانهُ كان عضداً كبيراً لتعزيز المعارف والمشاريع الوطنية ٠ وكان منزلهُ حافلاً بالعلماء والادباء والشعراء الذين نظموا فيهِ القصائد الرنّانة التي لا تزال محفوظة عند اولاده واحفاده ٠ واشهرهم الشيخ ناصيف اليازجي وولداهُ الشيخ ابرهيم والشيخ خليل ٠ وسليم بك تقلا ٠ وبشاره باشا تقلا ٠ والخوري جرجس عيسى ٠ والشيخ عمر الانسي ٠ والشيخ عبد الرحمن النحاس ٠ واسعد طراد ٠ وخليل الخوري ٠ والشيخ سليمان الحدّاد ٠ والدكتور بشاره زلزل ٠ وشاكر البتلوني ٠ واسكندر آغا ابكاريوس ٠ وخليل شاهين المعلوف ٠ والسيدة ورده اليازجي وغيرهم

وخلّف اربعة ابناء توفي منهم اثنان وهما نجيب وجميل اللذان اشتهرا كأبيهما في آداب اللغتين العربية والفرنسية ٠ اما الاوَّل فحلّت منيّته في ١٧ شباط ١٩٠٧ بعد ما خدم القنصلية الفرنسية كترجمان فخري نيفاً وعشرين سنة بنشاط وامانة استحقَّ عليهما وسام « جوقة الشرف » من رتبة كافلير ٠ وكان حائزاً ايضاً على « الوسام المجيديّ » طبقته الثالثة ووسام « القديس غريغوريوس الكبير » من رتبة كومندور ٠ ثمَّ ترك كثيراً من الآثار الادبية نخصُّ منها بالذكر كتاب « بلاد الاندلس واهلها » وهو بحث تاريخي مدقق لم يزل غير مطبوع ٠ وانتقد ترجمة كتاب « الف ليلة وليلة » التي نقلها الدكتور يوسف مردروس من اللسان العربي الى الفرنسي في مجلدات شتى فعلق عليها الشروح الوافية والآراء السديدة ٠ الاَّ انَّ الوفاة عاجلتهُ قبل نشر هذا الاثر النفيس بالطبع ٠ وله ايضاً مقالات شائقة في « البشير » و « الجنة » و « لسان الحال » في بيروت وجريدتَي « الاهرام » و « الوقت » في الاسكندرية ٠ وقد ارَّخ الشيخ ناصيف اليازجي ولادته بهذين البيتين:

قد قيلَ هذا الشبلُ من ذاكَ الأسدْ	يا حبذا النجلُ الذي بورودهِ

فكتبتُ والتاريخُ كانَ مبشراً هذا نجيبٌ من نجيبٍ قد وَرَدْ
سنة ١٨٥٤

ونشر نجيب مدوَّر المقالات الضافية في اعظم الصحف الفرنسية شهرةً وهي : اولاً « Journal Asiatiqne » وثانياً « Revue des deux Mondes » وثالثاً « Les Debats » وغيرها .
وسافر ثلاث مرَّات سائحاً في بعض انحاء اوروبا : اولاً سنة ١٨٧٨ فقابل البابا لاون الثالث عشر في مواجهة خاصة . وثانياً عام ١٨٨٩ أثناء معرض باريس العام . وثالثاً سنة ١٩٠٣ لمشاهدة آثار التمدن الاوروبي الحديث . وكان حريصاً على جمع الكتب ومطالعة تآليف الاقدمين ونظم في صباه شيئاً من الشعر . وقد وقفنا له على قصيدةٍ مدحَ بها احد العلماء مطلعها :

رَقَصت بلابلنا على الاغصانِ وتغرَّدت في اطيب الالحانِ

ثمَّ قال في الممدوح :

هذا الذي نبعُ العلومِ بصدرهِ يسقي البعيدَ ويستزيدُ الداني

ولأخيه جميل الذي وُلد سنة ١٨٦٢ آثار جديرة بالذكر خدم بها اللغة والتاريخ والصحافة . فمنها كتاب « حضارة الاسلام في دار السلام » الذي يغني ذكر اسمهِ عن وصفه . وقد قدَّر هذا الكتاب قدره وأنزله منزلة رفيعة كما يستحق كل من احمد جودت باشا وزير المعارف العثمانية واحمد مختار باشا الغازي المعتمد السلطاني في مصر سابقاً وغيرهما من مشاهير الرجال . وقد كافأهُ عليه حينئذٍ السلطان عبد الحميد بجائزة مالية تنشيطاً له على خدمة العلم . ومنها كتاب « تاريخ بابل واشور » وكتاب « التاريخ القديم » ورواية « أتلا » وغيرها . وفي آخر حياته تولى تحرير جريدة « المؤيد » في القاهرة فأظهر من المقدرة الصحافية ما يشهد له بطول الباع في اساليب الانشاء بين أدباء زمانهِ . وقد ادركته المنيَّة في ٢٤ كانون الثاني ١٩٠٧ بعيداً عن وطنه وذويه ومأسوفاً عليه من الرفيع والوضيع . وللشيخ ناصيف المشار اليه بيتان نظمهما مؤرخاً ولادته وهما هذان :

لنخلةَ قد أتى نجلٌ جميلٌ كما سُمِّيَ فسرَّ أباً وأُمّا
دعوتُ فقلتُ بالتاريخ ينشو غلامٌ طابقَ الاسمَ المسمّى
سنة ١٨٦٢

— ٩ —

✻ الياس بك حبالين ✻

المحرر في جريدة « لبنان » الرسمية

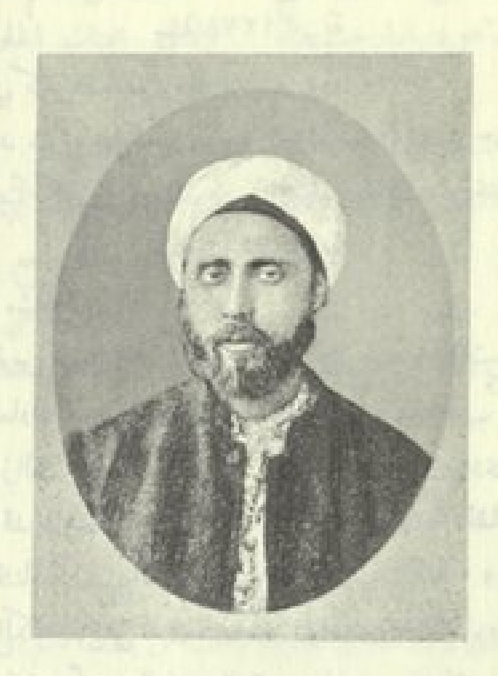
هو الياس بن يوسف بن طنوس بن يوسف حبالين وُلد في ٥ تشرين الاول ١٨٣٩ في قرية

الزوق بجبل لبنان . وتعمد في ٢٦ شباط سنة ١٨٤٠ بيد المطران يوسف الخازن الذي ارتقى بعد ذلك الى السدّة البطريركية على الموارنة . ولما ترعرع أدخله والده مدرسة الآباء اللعازريين في عين طورا فأحرز نصيباً وافراً من العلوم العقلية والنقلية واتقن آداب اللسانين العربي والفرنسي . ونظراً لبراعته الفائقة تعين استاذاً في أشهر مدارس بيروت حيث تخرّج على يده كثير من التلامذة الذين ترقوا الى أعلى المناصب وخدموا الوطن بالصحافة والتجارة وسائر الاعمال النافعة . وكان في اللغة الفرنسية بنوع خاص كاتباً نحريراً وخطيباً مصقعاً حتى كان رجال الفرنسيس يعجبون بفصاحة لسانه و بلاغة يراعه . وفي سنة ١٨٦٨ تولى تحرير جريدة «لبنان» الرسمية الى حين احتجابها . وفي الوقت ذاته صار عضواً في «الجمعية العلمية السورية» التي قام فيها خطيباً مرّات شتى وخدمها قولاً وعملاً . فكافأه السلطان عبد العزيز بالوسام المجيدي الرابع ونفحهُ بخاتم مرصع بالحجارة الكريمة . وجرى لذلك احتفال كبير في «مدرسة ثلاثة أقمار» شهده ارباب الحكومة واعيان المدينة . وفي طليعة الجميع كان والي سوريا محمد رشدي باشا شرواني الذي قدّم الهدية لصاحب الترجمة باسم الحضرة السلطانية . وقد قرّظته جريدة «حديقة الاخبار» على هذه المنحة السنية بهذين البيتين :

ولاك سلطاننا السامي اجلّ علىً | بخاتمٍ نورهُ كالنجم في الفلكِ
يومي بانك في علم اللغات بما | أبداهُ جدُّك تحكي عزة الملكِ

ثمَّ جعلته الحكومة الفرنسية ترجماناً اول لقنصليتها في بيروت حتى سافر سنة ١٨٧٥ الى وادي النيل . فأخذ يتقلب في وظائف الحكومة المصرية الى ان فوّضت اليهِ رئاسة قلم الترجمة في مجلس النظار . فنال ثقة اولياء الامور واحترامهم باجتهاده وشهامة نفسهِ وكافأهُ الخديو توفيق باشا بالرتبة الثانية والوسام المجيدي الثالث . ولنا على ذلك شهادة صريحة بما قاله عنهُ رياض باشا رئيس الوزارة المصرية حينئذٍ في مجلس حافل باعاظم القوم وهي : «انَّ الياس بك حبالين يستحق كل ثناء لانهُ كفوء ليعيض عن عشرة رجال من ذوي الهمة والاقدام» . وكان في طائفته من ذوي الغيرة الوافرة ومن الذين انشأوا لها «جمعية المساعي الخيرية» في القاهرة . وعلى يده عُرفت هذه الجمعية رسمياً من الحكومة المصرية وصودق على قانونها . وقد فاجأتهُ المنية في ٨ تشرين الثاني ١٨٨٩ وجرى لتشييع جثتهِ مشهد حافل . وابَّنهُ فوق ضريحهِ كل من يوسف دياب وعزيز بك زند صاحب جريدة «المحروسة» سابقاً . وكان سمين الجسم طويل القامة اسمر اللون اجشّ الصوت طاهر الوجدان رقيق المعاشرة لا يملُّ جليسهُ من حديثه ولا يسع ناظره لدى رؤيتهِ الاَّ ان يقف لهُ متهيباً . وكان سخياً يبذل الدراهم نسبةً لحالتهِ باكثر من اقرانه

—« ١٠ »—



الحاج حسين بيهم

رئيس « الجمعية العلمية السورية » وأحد مؤسسي مجلة « مجموع العلوم »

(إنْ غابَ شخصُ أحبتي عن ناظري   فهمُ بقلبي والشمائل صورتي)
(او غبتُ عنهم فالرجا من ودّهم   ان ينظروا عند التشوّق صورتي)

هو الحاج حسين بن السيد عمر بن السيد الحسين بيهم العيتاني الشافعي وُلد سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٣ ميلادية) في بيروت . وينتمي الى عائلة جمعت كرم المحتد الى الوجاهة والثروة وحب الاعمال الخيرية . وكان منذ حداثته كلفًا بتحصيل المعارف والاجتماع باهل الادب والفضل . فقرأ على جهابذة زمانهِ كالشيخ عبدالله خالد والشيخ محمد الحوت . وبعد ان زاول التجارة حينًا يسيراً نزع الى العلم فبرع بفنون الانشاء على اختلافها . ثم نظم الشعر فصارت له به ملكة راسخة بحيث كان يقوله ارتجالاً في محافل الوزراء والكبراء والادباء . فيأتي بالنادرة الغريبة التي كانت تسير سير المثل وكان يصح له نظم التواريخ الشعرية بما يطرب و يعجب . فمن ذلك ما نظمهُ لما اتى فؤاد باشا الى سوريا سنة ١٨٦٠ (١٢٧٧ هجرية) وكان ناظر الخارجية . فوجهت عليه رئاسة الاحكام العدلية ثم أُعيدت اليهِ في السنة التابعة نظارة الخارجية وهو في بيروت . فقال صاحب الترجمة في ذلك مؤرخًا :

ان الفؤاد لهُ في الملكِ معرفةٌ　　فالخارجية لم تترك نظارتهُ
لذاك سلطاننا المنصور ردَّ لهُ　　مع حسن انظارو ارّخ بضاعتهُ

سنة ١٢٧٨ هجرية

ومن شعره ما قالهُ في كاس فضة مؤرخاً :

يا من يريد شراباً حلَّ موردهُ　　او شرب ماء ليطفي حرَّ غصته
إشرب هنيئاً بكاسٍ راق منظرهُ　　يحكي صفاتك أرّخنا بفضته

سنة ١٢٨٢ هجرية

وقال هذه الابيات مشطراً :

الدهر يفترس الرجال فلا تكن　　ذا غفلةٍ عنهُ بحالات الطرب
واحذر معاداة الرجال وان ترى　　ممن تطيشه المناصبُ والرتبْ
كم نعمةٍ زالت بأيسر نقمةٍ　　أردت بصاحبها الى اردى العطبْ
أنستهُ ما قد طاب من اوقاته　　ولكل شيءٍ في تقلبه سببْ

وكان حريصاً على اقتناء الكتب النادرة حتى جمع مكتبة عظيمة . وهو لا يمنع طالباً من اعارة ما يريده منها بحيث كان الكتاب يبقى لدى المستعير اعواماً وربما تناساه . وكان حاضر الجواب عالي الفكر عالماً باصول السياسة محبوباً عند الرفيع والوضيع . واشتهر بالصلاح ومناصرة العلماء واغاثة المحتاجين من ايّ مذهب كانوا . وتقلد مأموريات شتى في خدمة الحكومة والوطن . فانه تعين عضواً في « مجلس ايالة صيدا الكبير » ثم في « قوميسيون فوق العادة » ثم في « محكمة استئناف التجارة » ثم في « المجلس البلدي » ثم في « مجلس الادارة » وغيرها . وتولى سنة ١٨٦٩ رئاسة « الجمعية العلمية السورية » وانشأ لها مجلتها التي سبق وصفها . وظهر اقتداره خصوصاً لما انتدبهُ سكان وطنهِ ليمثلهم سنة ١٨٧٨ في مجلس النواب العثماني للمرّة الاولى . فذهب الى الاستانة ونال حفاوةً كبرى لدى وزراء السلطنة واعاظم رجالها . وبعد عودته الى بيروت اعتزل المأموريات منقطعاً الى الآداب والمطالعة وعمل الخير . وقد كافأته الدولة على ذلك بان منحتهُ رتبة « بابة ازمير » الرفيعة . وكان وديعاً متوقد الذهن شريف المبادىء طاهر السيرة والسريرة مقداماً على المشاريع العمومية . ومن مآثره انه أدّى لجمعية « المقاصد الخيرية » في بيروت خدماً تُذكر فتشكر وكان من مؤسسيها الافاضل . وحلت وفاته في ٢٤ صفر ١٢٩٨ (٢٤ كانون الثاني ١٨٨١) ثم دفن في اليوم التابع بمشهد حافل يشهد بفضله وعلو مكانته وكثرة عوارفه . وقد رثاه الشعراء بقصائد رنانة ضاعفت الاسف عليهِ والبكاء على خسارتهِ . وقد أُدرج جثمانهُ في ضريح والدهِ ونقشت عليهِ هذه الابيات من نظم الشيخ ابرهيم الاحدب :

وفيه ثوى من بعد ذلك نجلهُ حسينٌ فوفاهُ الكريم مناهُ
على انّ هذا الفرع بالفضل والتقى وكسبِ العلى والعلم فاق سواهُ
لقد كفَّ عن دنياه ارختُ حبهُ ولاقى بجنات الخلود اباهُ

سنة ١٢٩٨ هجرية

ومما رُثي به الحاج حسين بيهم قول السيد محمد طاهر الاتاسي :

ايا حاملينَ النعشَ كيف حملتمُ من الفضل طوداً لايوازنهُ العصرُ
ويا غاسليهِ ما دعاكم لغسلهِ ابغسلهُ بالماء مع انه بحرُ
وما دفنوهُ عند حدِّ مقامه فانّ الثريا تشتهي انها القبرُ
كأنَّ بطون الارض من ظلماتها شكت فاتاها من منازلهِ البدرُ

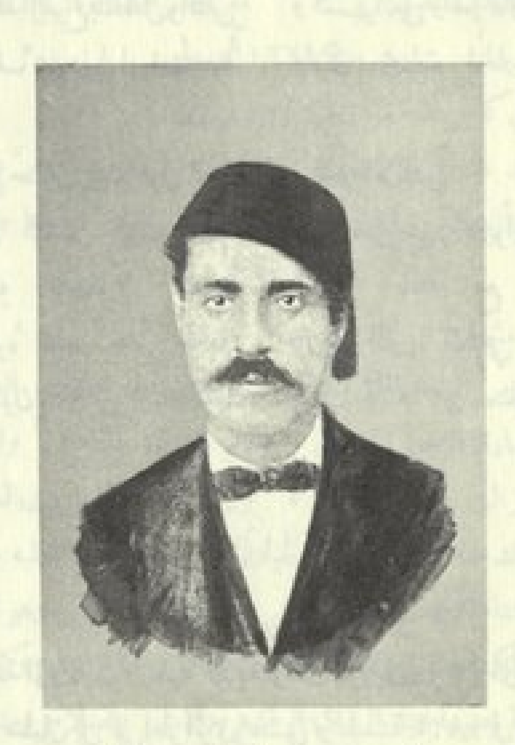
— ١١ —

❊ سليمان الحرائري ❊

محرر جريدة « برجيس باريس »

ينتمي صاحب الترجمة الى عائلة فارسية قديمة نزحت من بلاد العجم الى شمال افريقيا الاوسط. واسمهُ ابو الربيع عبده سليمان بن علي الحرائري الحسني وُلد سنة ١٨٢٤ في مدينة تونس. فقرأ العلوم الدينية اوَّلاً عَلَى علماء وطنه ثمَّ اكبَّ عَلَى درس الطبّ والطبيعيات والرياضيات واللغة الفرنسية حتى اتقنها. وسنة ١٨٤٠ ولاه باي تونس رئاسة الكتّاب في مملكتهِ. وبعد ست سنين من ذلك العهد رحل الى باريس حيث عينتهُ حكومتها استاذاً للغة العربية في مدرسة الألسن الشرقية. واثناء وجوده في عاصمة الفرنسيس استلم تحرير جريدة « برجيس باريس » التي كان انشأها الكنت رُشيد الدحداح. فنشر فيها قسماً من « سيرة عنترة » وكتاب « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان ثمَّ طبعهما عَلَى حدة. وعرَّب بعض الكتب الاوربية في العلوم المستحدثة والاختراعات الجديدة. فكانت تعريباته دليلاً عَلَى سعة اللسان العربي وكفايته لمعارف العصرية. فنهج المعرّبون بعد ذلك منهجه لا سيما المرسلون الاميركيون في بيروت. ومن مآثره العلمية « رسالة في حوادث الجو» طبعها سنة ١٨٦٢ في باريس وضمنها خلاصة العلوم الطبيعية والظواهر الجويَّة. وألَّف سنة ١٨٦٧ كتاب « عرض البضائع العام » الذي وصف فيه معرض باريس. ونقل الى اللغة العربية كتاب « الاصول النحوية » بقلم موّلفه لومون. ووضع رسالة في القهوة سماها « القول المحقّق في تحريم البن المحرَّق » وغير ذلك. ونشر بالطبع كتاب « مقامات الشيخ احمد بن محمد الشهير بابن المعظَّم » احد ادباء القرن الثالث عشر للمسيح. وتوفي بالغاً نحو السنة الخمسين من عمره

— « ١٢ » —



يوسف الشلفون

منشئ صحف « الشركة الشهرية » و« الزهرة » و « النجاح » و « التقدم »

هو يوسف بن فارس بن يوسف الخوري الشلفون وُلد سنة ١٨٣٩ وتُعدُّ عائلته من اقدم العائلات المارونية في بيروت · وكان جدُّه حاكماً على ساحل لبنان بامر الامير بشير الثالث الشهابي الكبير · فدرس صاحب الترجمة اصول اللغة العربية وبعض اللغات الاجنبية في مدارس وطنه · ثمَّ اتخذهُ خليل الخوري مرتباً للحروف في « المطبعة السورية » التي انشأها سنة ١٨٥٧ لنشر جريدة حديقة الاخبار · فتعلم حينئذٍ فن الطباعة وأتقنهُ حتى صار من الماهرين في هذه الصناعة التي زاولها اكثر ايام حياته · ولما جاء فؤاد باشا اثناء الفتنة الشهيرة عام ١٨٦٠ استدعاه لترتيب المحرَّرات الرسمية التي كانت تُطبع في اللغتين التركية والفرنسية وتُرسل الى سفراء الدول في القسطنطينية ومعتمديها في بيروت · وفي السنة التابعة انشأ « المطبعة العمومية » التي نشر فيها اكثر من ستين كتاباً بين دينية وفلسفية وجدلية وشعرية وتاريخية وعلمية وادبية وفقهية وسواها · وسنة ١٨٦٧ استدعاهُ داود باشا لترتيب مطبعة الحكومة اللبنانية في « بيت الدين » فقام المندوب بهذه المهمة القيام الحسن · ولما تأسست « الجمعية العلمية السورية » عام ١٨٦٨ كان من اقدم اعضائها

وتعين حارساً لمكتبتها . وقد القى في جلساتها خطباً وقصائد شتى نورد منها القصيدة التي انشدها لدى افتتاح الجمعية قال في مطلعها :

بشرى لنا اليوم نورُ العلم قد لمعا ... في افقنا وضيا التهذيب قد سطعا
وفي بروج ربى بيروت بلدتنا ... بدرُ المعارف بالآداب قد طلعا
وقطرنا نال من حظ التمدن ما ... قد كان في نيلهِ بالامس ممتنعا

وقال في الختام مؤرخاً :

وما بدا عام تاريخ بهِ طلعت ... بشرى لنا اليوم نورُ العلم قد لمعا

اما الصحف التي انشأها فهي : اولاً « الشركة الشهرية » سنة ١٨٦٦ وقد مرَّ ذكرها — ثانياً « الزهرة » سنة ١٨٧٠ — ثالثاً « النجاح » سنة ١٨٧١ بالشركة مع القس لويس صابونجي السرياني الذي تركها له بعد حين — رابعاً « التقدم » عام ٨٧٤ — وسنروي اخبار الصحف الثلاث الاخيرة في الجزء الثاني من هذا الكتاب . وسنة ١٨٧١ عقد شركة مع رزق الله خضرا لنشر الكتب على شرط ان يقتسما نفقات المطبعة وارباحها . فبقيت شركتهما سنتين ثم تنازل صاحب الترجمة لشريكه رزق الله خضرا عن امتياز جريدة « النجاح » والمطبعة . وسنة ١٨٧٤ طلب رخصة من وزارة المعارف لانشاء « المطبعة الكلية » وجريدة « التقدم » التي عاشت ١٥ عاماً . وخلَّف يوسف الشلفون بعض آثار علمية نذكر منها : « ترجمان المكاتبات » وكتاب « تسلية الخواطر في لطائف النوادر » ورواية « حفظ الوداد » وديوان « انيس الجليس » . وفي سنة ١٨٧٥ اذاع نشرة في ١٤ صفحة صغيرة يعلن فيها عزمه على طبع كتاب « عقود الدرر في اخبار مشاهير الجيل التاسع عشر » وافتتحها بهذين البيتين :

اليك كتاباً بهِ تُرجمت ... فضائل من بالبلاد اشتهرْ
وفيهِ فرائدهم نُظمت ... لذلك سميْ عقود الدررْ

غير ان هذا المشروع طوى عليه الزمان ولم يخرج الى دائرة الوجود . ويقال انهُ نسب لنفسه بعض القصائد المتضمنة في ديوانه وهي ليست من نظمه . بل ان ناظميها الحقيقيين كان القس لويس صابونجي والشيخ فضل القصار واديب اسحق وسليم نقاش ومصباح رمضان والله اعلم . وقد اضرَّ به تقلبهُ في الاشغال والمبادىء وتوفي خاملاً سنة ١٨٩٦ كما روى الاب لويس شيخو[1] . ويروى لأديب اسحق بيتان قالها على سبيل المداعبة في صاحب الترجمة وهما :

سألتُ فتاةَ العُرْبِ أنّى اغتيالها ... من العُجْمِ قالت انهم شلفوني
فاشكوكَ فاشكوني لأهلي فانني ... فتاة سباني يوسف الشلفونِ

---

(١) كتاب « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » : جزء ٢ صفحة ١٣٥ — ١٣٦

— ١٣ —



ابراهيم سركيس

المحرر في «النشرة الشهرية» و«النشرة الاسبوعية» و«كوكب الصبح المنير»

(وانْ نُقِضَ البيتُ الذي انا ساكنٌ   فلي في السما بيتٌ من الله قد بني)
(ونفسيَ تحيا عند فاديَّ دائماً   وان يكن الجسمُ الترابي قد فني)

وُلد ابرهيم بن خطار سركيس عام ١٨٣٤ في عبيه من اعمال جبل لبنان . وتلقى العلوم في مدرسة القرية المذكورة عند ما كانت برئاسة الدكتور كرنيليوس فان ديك . وقد توفي والده سنة ١٨٤٧ فنظم الشيخ ناصيف اليازجي بيتين يتضمنان تاريخاً لينقش على قبره وهما هذان :

خطارُ سركيس في هذا الضريح ثوى   لكنْ لهُ في مقاصيرَ العلى دارُ
يقول في طيِّ تاريخٍ أُعِدَّ لهُ   أنا الى جنّةِ الفردوس خطارُ

وبعد ان انهى دروسه انتقل الى بيروت وسكن فيها . فكلفه المرسلون الاميركيون بتبييض النسخة الاولى من الكتاب المقدَّس والإشراف على تصحيح مسوداتها التي كان يترجمها الدكتور عالي سميث من لغاتها الاصلية الى اللسان العربي . ثمَّ عين مديراً للطبعة الاميركية ومصححاً لمطبوعاتها

فقام بهذه الوظيفة خيرَ قيام الى ان توفاه الله في ١٠ نيسان ١٨٨٥ في بيروت · وكان كاتباً ضليعاً أطرف « النشرة الشهرية » ثم « النشرة الاسبوعية » وجريدة « كوكب الصبح المنير » بالفصول العلمية والادبية · ونظم كثيراً من الاشعار في مواضيع دينية يترنم بها ابناء الطائفة الانجيلية في معابدهم · وعددها يزيد عن سبعين ترنيمة مطبوعة في كتاب « الترانيم والتسابيح » الصادر من المطبعة المشار اليها · وشعره لطيف الاسلوب قريب للافهام خالٍ من التعقيد كالبيتين المنشورين في اسفل رسمه · وله تقريظ حسن لكتاب « مجمع البحرين » وهو :

بنى اليازجيُّ الفردُ قطبُ زمانهِ ... مقاماتِ درٍّ زانَها النظمُ والنثرُ
فلا تعجبوا للدرِّ فيها لانهُ ... الى مجمعِ البحرَينِ ينتسبُ الدرُّ

والف مع اخيهِ شاهين كتاب « تحفة الاخوين الى طلبة اللغتين » في الانكليزية والعربية · ثم وضع كتاب « الاجوبة الوافية في علم الجغرافية » وكتاب « الدرّ النظيم في التاريخ القديم » وكتاب « الدرّة اليتيمة في الامثال القديمة » و « صوت النفير في اعمال اسكندر الكبير » و« اوضح الاقوال في متلف الصحة والصيت والمال » وكتاب « الاجوبة الوفية في العلوم الصرفية » وكتاب « الحساب العقلي » وغير ذلك من التآليف العلمية والحسابية والفلكية والخطب والمقالات التي لم تشهر بالطبع · وكتب في مجلة « الجنان » فصولاً شتى تدلُّ على طول باعه في المعارف · وكان فاضلاً اديباً بشوشاً يذكره بالخير جميع المرسلين الاميركيين في هذه الديار لانه افادهم كثيراً وادَّى لمشاريعهم خدماً وافرة · وقد نُقشت على قبرهِ الابيات الآتية :

لحدُ لابرهيم سركيس الذي ... أسفاً عليه كلُّ دمعٍ قد جرى
أبكى المعارف والحجى فقدانهُ ... والبرَّ والتقوى كما أبكى الورى
هذا خليلُ الله والناسِ الذي ... ناداهُ ربُّ العرش من اعلى الذُّرى
دفنوه في طيّ التراب فلم يزلْ ... كالسيف في التاريخ يغمد في الثرى

سنة ١٨٨٥

وكان لابرهيم ثلاثة اخوة : احدهم خليل سركيس منشىء « المطبعة الادبية » وجريدة « لسان الحال » الذي سيأتي ذكره · وثانيهم امين سركيس الذي توفي في ٢٦ كانون الثاني ١٨٩٦ بعد ما تعاطى التجارة بكل استقامة · ثم ثالثهم وكبيرهم شاهين سركيس الذي وُلد سنة ١٨٣٠ في عبيه وهو والد الصحافي الشهير سليم سركيس · وكان شاهين خطيباً مصقعاً وكاتباً بارعاً في اللغتين العربية والانكليزية اللتين تلقاهما في مدرسة عبيه · وفي سنة ١٨٤٨ أسس المرسلون الاميركيون مدرسة في بيروت وعينوه رئيساً لها · فكانت الوحيدة في بابها ونبغ فيها عدد من الشبان على اختلاف المذاهب · ثم تنحى عن خدمة العلم الى خدمة التجارة زمناً قصيراً · وكتب في « النشرة الشهرية »

مع اخيهِ ابرهيم وله فيها المقالات العديدة . وعام ١٨٦٥ انتدبته الرسالة الاسكتلندية الى انشاء مدرسة يتولى ادارتها فلبى الدعوة وانشأ مدرسة جمعت نخبة الشبان واحرزت نجاحاً باهراً . ثم علّم مدةً في « المدرسة الوطنية » لمنشئها العلاَّمة بطرس البستاني . ولبث في هذه الوظيفة حتى وافاه الاجل المحتوم في ٢٣ ايار ١٨٧٠ مذكوراً بالثناء والرحمة . فرثاه الشيخ ناصيف اليازجي بقصيدة وردت فيها الابيات المثبورة تحت هذا الرسم :



❋ شاهين سركيس ❋

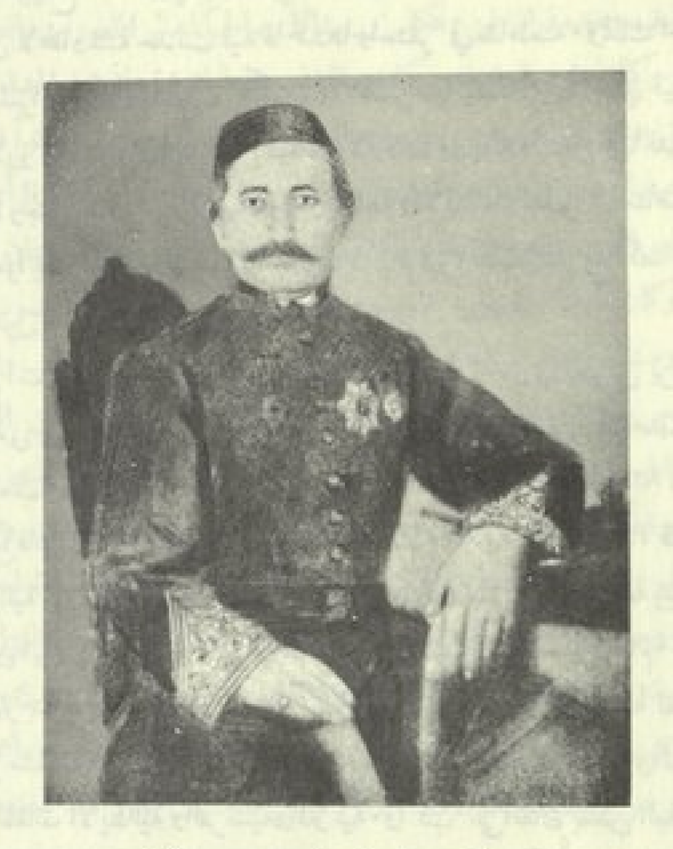
المحرر في صحيفة « النشرة الشهرية »

قلْ للمدارس بعد شاهين اندبي ... اسفاً عليهِ وقد يُقال لك اخربي

يربي الغـلام موَدبا في حجرهِ ... اضعاف ما في حجر والدهِ ربي

كانت له الخطبُ التي يلقي بها اا ... جم الغفير ولبس بالمتهيبِ

— ١٤ —



﴿ حنا بك ابو صعب ﴾

المحرر في جريدة « لبنان » الرسمية

(لحنا قد أقرَّ العُرْبُ طرًّا   بفوزٍ بالسباقِ لدى الرِّهانِ)
(لهُ شهدَ اليراعُ بحسن خطٍ   كما سجدَ السيوفُ معَ السِّنانِ)

يتصل نسب المشايخ الصعبيين الموارنة بأبي صعب الاوَّل المشهور الذي ولاَّه جبة بشراي عمر باشا والي طرابلس سنة ١٦٤٩ وجعله شيخًا عليها · وبعد موته أقرَّ حسن باشا عليّ ابن الصجال على الجبة فتفرَّق الصعبيون وجاء احدهم المسمى ابا جودة بلاد المتن وسكنها · واليهِ تُنسب عائلة ابي جودة المشهورة في قضاء المتن · وفي سنة ١٦٨٠ تملك خالد احد احفاده تولا البترون وانتقل اليها ودُعيت سلالته فيها بعائلة الزغبي · وفي سنة ١٧٠٩ رحل منها حفيده يونان الى المتين وسكنها وتسمت سلالته فيها بعائلة ابي سليمان · ونبغ منها جرجس ابن الخوري بطرس وتقرَّب من الامير يوسف

الشهابي . فكان من خواصه ورافقهُ في حروبهِ فاظهر شجاعة وحكمة ودهاء . فاحبهُ الامير وولاّه مقاطعة القويطع في شمالي لبنان وشيّخه عليها ودعاه بابي صعب وهي كنية جدّه الاعلى . وسيره الى الشمال لاخماد فتنة حدثت فيه فاخمدها واستقرَّ في مقاطعته . وتملك احدى عشرة قرية واقعة بين جبة بشراي وبلاد البترون والكورة واستحسن منها بقعة جميلة يجري فيها نهر « العصفور » وتظللها اشجار الارز والصنوبر . فشيد بها ابنية له ولاولاده ورجاله فانتقل اليها فدعيت باسمه . ونبغ من هذه الاسرة رجال كبار تفوقوا في الغيرة والنزاهة والاقدام وتقلبوا في مناصب الحكومة في مدة قرنين وخدموا بلادهم خدمات صادقة خلدت ذكرهم في صفحات التاريخ كصاحب الترجمة الذي نورد اخباره فنقول :

هو حنا بن اسعد بن جرجس (المكنى بابي صعب) ابن الخوري بطرس بن فاضل بن بطرس بن يونان بن موسى بن خالد بن ضاهر بن فارس (المكنى بابي جوده) بن ابي صعب وُلد سنة ١٨٢٠ في قرية « ابي صعب » وكان والدهُ رئيساً اول للعساكر اللبنانية . وفي سنة ١٨٢٣ توفي ابوه وقيل انهُ قُتل مسموماً فاعتنت امهُ بتربيته . ومنذ حداثته ظهرت عليه علائم الذكاء . فتلقى أصول اللغتين العربية والسريانية على اشهر اساتذة ذلك العصر . وما كاد يبلغ السنة الرابعة عشرة من عمره حتى جعله الامير امين ابن الامير بشير الشهابي الكبير رئيس كتبته مدة ستة اعوام . واثناء اقامته هناك كان صاحب الترجمة يتردد على المعلم بطرس كرامه الشاعر المشهور فتعلم منهُ نظم الشعر حتى اتقنه كثيراً . ثم سافر سنة ١٨٤٠ مع الامير المشار اليهِ في رحلتهِ الى جزيرة مالطا والقسطنطينية . فانتهز الفرصة لدرس اللغات الايطالية والفرنسية والتركية . واكبَّ على اتقان بعض العلوم كالفقه والمنطق والمعاني والبيان والرياضيات والحساب والفلك وغيرها . وتعلم ايضاً صناعة الخط بقواعده واوزانهِ اعني الثلث والنسخي والجلي والتعليق والديواني والرقعي حتى صار يضرب فيهِ المثل بجودة الخط . وعنهُ اخذ الخطاط المشهور علاّم بن يوحنا علاّم هذه الصناعة وانشأ لها القواعد المتداولة الآن بين ايدي تلامذة المدارس في كل البلاد العربية . ولبث صاحب الترجمة في القسطنطينية حتى سنة ١٨٤٩ اي قبل وفاة الامير بشير التي حلت في ٢٩ كانون الاول ١٨٥٠

فعاد الى وطنه مشمولاً بتعطفات السلطان عبد المجيد الذي منحهُ أوسمة الشرف . وقد تعين حينئذٍ كاتباً لمصطفى باشا الشكودري في بيروت . فلبث لديهِ سنة ثمَّ صار ترجماناً لخلفهِ وامق باشا الذي أنعم عليه سنة ١٨٥٥ بلقب البكوية . وهو اول من نال لقب « بك » بين نصارى جبل لبنان وبلاد الشام قاطبةً . ثمَّ سكن في « بيت الدين » مركز الحكومة اللبنانية وانشأ فيها سنة ١٨٥٢ مطبعة حجرية نشرت فيها بعض الكتب . واهمها كتاب « شرح المعلقات » للزوزني فانهُ اصلحهُ وكتبهُ بخط يده وطبعه في المطبعة المذكورة . وبعد ذلك صار « كتخدا » الامير بشير احمد اللمعي

قائمقام نصارى لبنان · ولما تشكلت الحكومة اللبنانية بعد فتنة سنة ١٨٦٠ أقامهُ داود باشا رئيساً للقلم العربي فلبث في هذه الوظيفة الى ان توفاه الله في ١٧ ايلول ١٨٩٧ بالغاً السنة الثامنة والسبعين من عمر قضاه في التاليف وخدمة الوطن · فكان مثالاً صالحاً لسائر المامورين بالنزاهة وعفة النفس واخلاص الخدمة . وكان يمقت الرشوة و يكشف النقاب عن الحقيقة ولا يقبل الهدايا فاستعبد القلوب بهذه الصفات التي يندر ان تجتمع في مامور لبناني برماننا الحاضر · وكفاه فخراً انه خدم الحكومة وتقلب في مناصبها نيفاً وخمسين سنة بطهارة الذيل وحرية الضمير وسداد الرأي مما يشهد له بهِ الخاص والعام · وهو الذي وضع طريقة المكاتبات الرسمية في مجالس حكومة لبنان التي لم تزل جارية عليها الى الآن · وكان فارساً مشهوراً يُضرب المثل ببراعتهِ في هذا الفن كما يضرب المثل بنبوغه في اساليب الانشاء وصناعة الخط · ولذلك سماه القوم بكل حق « صاحب السيف والقلم »

ولما أُنشئت جريدة « لبنان » الرسمية سنة ١٨٦٧ تولى كتابتها مدةً من الزمان ونشر على صفحاتها الفصول الطويلة والمقالات المفيدة · وكتب بخطهِ عنوان الجريدة الذي لم يزل مستعملاً فيها حتى الآن · وخلَّف مؤلفات شتى غير مطبوعة في النحو والمنطق والفلك وطبائع الحيوان · وله ديوان كبير يقع في ٤٧٤ صفحة برز مطبوعاً سنة ١٨٩١ من المطبعة الكاثوليكية في اللغتين العربية والتركية · وهو يحتوي على ما نظمهُ من الشعر في التهنئة والرثاء والمدح والغزل والحكم والحماسة والاستغاثة والتوبة والالغاز والمراسلات والتواريخ الشعرية وغيرها · وبلغ مجموع ابيات ديوانه ٨٢٣٦ منها ٧٧٧٧ بيتاً في القسم العربي و ٤٥٩ بيتاً في القسم التركي · وشعره بالعموم متين القوافي رشيق المعاني خالٍ من التعقيد والتكلف · وعلى سبيل المثال نورد منه بعض الامثلة · ومما أنشده في الحماسة :

مَن يبتغي طولَ الحياةِ بذلةٍ ... ميتٌ عن الدنيا بحال حياةِ
ويخال في حالِ الحياة وجودهُ ... مع انهُ حيٌّ بحالِ مماتِ
فالشهم مَن يأبى الحياة بهونها ... ويعيض عن طول البقا بوفاةِ

وقال ارتجالاً هذين البيتين لرجل يسمى « شمعه » ليطبعهما على ورق السكاير باسم نصرالله فرنقو باشا المتصرف الثاني على جبل لبنان :

ياسائلاً ورقاً للتبغ مرَّ على ... حانوت شمعه وخذ من احسن التحفِ
واشرب هنيئاً بنصرالله معتصماً ... وزير لبنان سامي القدر والشرفِ

واذ ذهب يوماً ومعهُ بعض احبابهِ لزيارة الشيخ ناصيف اليازجي ولم يجدوه فنظم له صاحب الترجمة هذه الابيات وتركها له في بيته وذهب :

أيا مفتي الهوى افتيتَ ظلماً ... أجاز بشرعكم قطع الزيارهْ

قطعتَ بذا النوى اوصال وصلي ❊ وكاد القلبُ ان يبدي نفارَهْ
لما ذا الجورُ يا كُبْار قوم ❊ أليس الشرُّ ينتج عن شرارَهْ
انا وأبيك كنتُ نويتُ صرماً ❊ ولا ابغي اللقاء ولا اذّكارَهْ
وكم حاورتُ قلبي عن قدوم ❊ الى علياك ياشيخ الحضارَهْ
ولكن جرَّني قلب مشوقٌ ❊ كقَوْد الحر شطر بني الامارَهْ
متى الانصاف صاحِ وكن نصيفي ❊ وخير الناس من قد زار جارَهْ

وقال هذين البيتين وارسلهما للدكتور كرنيليوس ڤانديك مع بعض قواعد من خطه الى تلامذة المدرسة الاميركية وبها يعتذر عن عدم حسن الحبر بها :

ڤانديكُ يا ذا الفيلسوفُ الا اقبلْ ❊ عذري لانكَ انتَ اوَّلُ عاذرِ
ما الحبرُ يا حبرَ العلومِ بنافعٍ ❊ فلذاك خطي لم يرُقْ للناظرِ

وقال مهنئاً نصارى سوريا ولبنان بقدوم فوَّاد باشا ونجاتهم من غدر الاشقياء الثائرين عليهم في فتنة سنة ١٨٦٠ من ابيات قصيدة طويلة :

سلامُ الله اقبل ياعبادُ ❊ فزال الجور وانقشع العنادُ
وصبحُ الامن شقَّ ظلام ظلمٍ ❊ وضاءت من سنا العدل البلادُ
واومض برق سيف الحق نصراً ❊ عَلَى الباغين فانفصم الفسادُ
بوفد منيب ملْكٍ قد تسامت ❊ بهِ العليا وخصَّ به الرشادُ
فوَّادٌ فيه روح الملك حلَّت ❊ وراق لعينها مثوًى وزادُ
ومذ ثارت ببر الشام قومٌ ❊ بغاةٌ عن سبيل الله حادوا
تحرَّك همةً بيمين حزمٍ ❊ وعزمٍ منهُ تندكُّ الطوادُ
ولما في سما لبنان ذرَّت ❊ شوارقهُ لقد خلع الحدادُ
افاض مراحماً عمَّ عبابًا ❊ بصيبها على الدنيا امتدادُ

—«١٥»—

❊ حسن العطّار ❊

كان اهله من المغرب فانتقلوا الى مصر وولد حسن في القاهرة سنة ١١٨٠ هـ (١٧٦٦ م) وكان ابوه عطاراً استخدم ابنه اولاً في شوُّونهِ ثم رأى منه رغبةً في العلوم فساعده عَلَى تحصيلها. فاجتهد الولد في احراز المعارف واخذ عن كبار مشايخ الازهر كالشيخ الامير والشيخ الصبّان وغيرهما حتى نال منها قسماً كبيراً . وفي ايامه جاء الفرنسويون الى مصر فاتصل باناس منهم فاستفاد منهم

الفنون الشائعة في بلادهم وافادهم اللغة العربية . ثم ارتحل الى الشام واقام مدة في دمشق . ومما نظمهُ حينئذٍ قوله في منتزهات دمشق :

بوادي دمشق الشام جزْ بي أخا البسطِ ... وعرّجْ عَلَى باب السلام ولا تخطِ
ولا تبكِ ما يبكي امرءُ القيس حوملاً ... ولا منزلاً اودى بمنعرَج السقطِ
فانّ على باب السلام من البها ... ملابسَ حسنٍ قد حُفظنَ من العطِ
هنالك تلقى ما يروقك منظراً ... ويسلي عن الاخدان والصحب والرهطِ
عرائس اشجارٍ اذا الريح هزّها ... تميلُ سكارى وهي تخطر في مرطِ
كساها الحيا اثواب خطر فدُثرت ... بنور شعاع الشمس والزهر كالقرطِ

وتجوّل هذا الشيخ حسن في بلاد كثيرة يفيد ويستفيد حتى كرَّ راجعاً الى مصر فاقرَّ لهُ علماؤها بالسبق . فتولى التدريس في الازهر وقُلد رئاسة هذه المدرسة بعد الشيخ محمد العروسي سنة ١٢٤٦ فدبرها احسن تدبير الى سنة وفاته في آخر سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٥ م) . وكان محمد علي باشا خديو مصر يجله ويكرمه . وقد خلّف عدّة تآليف في الاصول والنحو والبيان والمنطق والطب . وله كتاب في الانشاء والمراسلات تكرّر طبعه في مصر . وكان هذا الشيخ عالماً بالفلكيات لهُ في ذلك رسالة في كيفية العمل بالاسطرلاب والرُّبعين المقنطر والمجيَّب والبسائط . وكان يحسن عمل المزاول الليلية والنهارية . وقد اشتهر ايضاً الشيخ العطار بفنون الادب والشعر . ومما يروى عنه انه لما عاد من سياحتهِ في بلاد الشرق رافق إمام زمانهِ في العلوم الادبية السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب . فكانا يبيتان معاً ويتنادمان ويتجاذبان اطراف الكلام فيجولان في كل فن من الفنون الادبية والتواريخ والمحاضرات . واستمرت صحبتهما وتزايدت عَلَى طول الايام مودتهما الى ان توفي الخشاب . فاشتغل الشيخ العطار بالتأليف الى موته وله شعر رائق جمع في ديوانه . فمن ذلك ما رواه لهُ الجبرتي (٤ : ٢٣٣) في تاريخهِ يرثي الشيخ محمد الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م) :

احاديث دهرٍ قد المَّ فاوجعا ... وحلَّ بنادي جمعنا فتصدَّعا
فقد حال فينا البين اعظم صولةٍ ... فلم يخلِ من وقع المصيبة موعبا
وجاءت خطوب الدهر تترى فكلما ... مضى حادث يعقبهُ آخرُ مسرعا

وهي طويلة قال في ختامها :

سعى في اكتساب الحمد طول حياتهِ ... ولم ترهُ في غير ذلك قد سعى
ولم تلههِ الدنيا بزخرف صورةٍ ... عن العلم كيما ان تغرَّ وتخدعا
لقد صرف الاوقات في العلم والتقى ... فما أن لها يا صاح امس مضيعا
فقدناه لكن نفعه الدهرَ دائمٌ ... وما مات من أبقى علوماً لمن وعى

فجوزيَ بالحسنى وتُوّج بالرضا   وقوبل بالاكرام ممن له دعا

وممن مدحوا الشيخ حسن العطار المعلم بطرس كرامة اللبناني فقال فيهِ لما قابله في مصر:

قد كنتُ اسمعُ عنكم كل نادرةٍ   حتى رأيتك يا سؤلي ويا أربي

والله ما سمعت اذني بما نظرت   لديك عيناي من فضلٍ ومن ادبِ

-« ١٦ »-

﴿ عبدالله ابو السعود ﴾

منشئ جريدة « وادي النيل » في القاهرة

وُلد عبدالله ابو السعود المصري سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨) في دهشور قرب الجيزة. ودرس في المدرسة الكلية التي انشأها محمد علي باشا في القاهرة فبرع بين اقرانه. ثم ندبتهُ الحكومة الى نظارة اعمالها فكان في وقت الفراغ يواصل دروسه و يعكف عَلَى التأليف شعرًا ونثرًا . وحرَّر في جريدة وادي النيل وكاتب ادباء زمانه. ونقل بعض كتب الفرنج الى العربية. ومن تآليفه كتاب «منحة اهل العصر بمنتقى تاريخ مصر» نظم فيهِ مجمل حوادث تاريخ مصر للجبرتي. ووضع تاريخاً لفرنسة ألحقهُ بتاريخ ولاة مصر من اوَّل الاسلام دعاه بنظم اللآلي . وباشر بترجمة تاريخ عام مطوَّل وسمهُ «بالدرس التام في التاريخ العام» طبع منهُ قسمٌ سنة ١٢٨٩ . وكان ابو السعود شاعرًا مجيداً له ديوان طُبع في القاهرة أودعه كثيرًا من فنون الشعر كالمديح والمراثي والفراقيات. ونبغ في المنظومات المولَّدة كالمواليا والموشحات. وله ارجوزة نظم فيها سيرة محمد علي باشا كثيرة الفوائد بينة المقاصد تبلغ عشرة آلاف بيت. ولهُ غير ذلك مما تفنن فيه وسبق آل عصره. توفي ابو السعود افندي في ربيع الاول سنة ١٢٩٥ (١٨٧٨). وقد رثاه احد شعراء وطنهِ بقصيدةٍ قال في مطلعها :

خُلق الهبوط مع الصعودْ   ومع القيام بدا القعودْ

الى ان قال :

ليس البكاء لغادةٍ   ابدت لمغرمها الصدودْ

لكنهُ لما قضى   ربُّ القريض ابو السعودْ

مَن لم يجبهُ بدمعهِ   فكأنما نقضَ العهودْ

فهو الحريُّ بان تذو   بَ عليهِ بالاسفِ الكبودْ

بحرٌ تدفق ماؤُه   لكنهُ عذبُ الورودْ

بقريحةٍ سالت عَلَى   ارجائها سُبلَ العهودْ

كم انتجت نخباً له ُ فكأنها الامُ الولود
ابداً توقدُ بالذكا ء فليس يعروها خمودْ
تثبت مخالبها المنيـ ـةُ فيه وهو من الاسودْ
لاغروَ ان صعد السما بين الملائكة السجودْ
فبناتُ نعشٍ قد حملنَ سريرهُ لمن الشهودْ

(لويس شيخو)

— « ١٧ » —

❊ سليم الخوري ❊

المحرر في جريدة « حديقة الاخبار »

هو سليم بن جبرائيل بن حنا بن ميخائيل بن عبده الخوري وُلد سنة ١٨٤٣ في بيروت . وقرأ أُصول اللغة العربية وآدابها على الشيخ ناصيف اليازجي فاقتبس منهُ الميل الى صناعة الشعر . فنظم القصائد الشائقة منذ صباه وترك ديوان شعر نفيس سيبرز قريباً الى عالم الوجود . وكان ذا ذوق سليم في الفنون والصنائع . وتعمق خصوصاً في فن الموسيقى حتى بلغ به اجتهاده الى ان يحسن التوقيع على اكثر آلات الطرب . وقصد ان يضبط الالحان العربيـة على الروابط الافرنجية فوضع مقدمة لتأليف مخصوص في هذا الفن ولكنَّ الاجل لم يفسح له باتمامه . ثمَّ شرع بوضع « تاريخ سوريا » شعراً فنظم منه ابياتاً شتى وتركهُ ايضاً . وسنة ١٨٦٨ انتظم في سلك « الجمعية العلمية السورية » وله فيها آثار مشكورة . وساعد اخاهُ خليل الخوري في تحرير جريدة « حديقة الاخبار » في قسميها العربي والفرنسي مدة خمس عشرة سنة . وألف رواية « الشاب الجاهل والوصيّ الغافل » وهي ادبية . وله رواية « نكبة البرامكة » ورواية « انطيوخوس بن سلفقوس » وهما مأساتان تاريخيتان . وانشأ رواية « امراء لبنان » مع سميّه سليم بن ميخائيل شحاده ترجمان قنصلية روسيا

وفي سنة ١٨٧٣ سافر الى وادي النيل حيث قدَّم للخديو اسمعيل كتاباً يتضمن قصائد التهنئة التي نظمها بمناسبة زفاف انجالهِ الامراء توفيق الاول الخديو السابق وحسين كامل باشا وحسن باشا . فسرَّ بهِ اسمعيل باشا واجازهُ على ذلك بعطيةٍ مالية . ثم سافر الى القسطنطينية ونال حظوةً لدى اعاظم رجال السلطنة العثمانية الذين امتدحهم بالقصائد الشائقة

وبعد إيابهِ الى وطنـه اتفق مع سليم شحاده على وضع كتاب « آثار الادهار » وهو المعجم التاريخي الجغرافي الذي كان صدور الجزء الاول منه في بداية سنة ١٨٧٥ مرتباً على الحروف

الهجائية • ولما رفعاهُ الى السلطان عبد العزيز كافأَها عليهِ بمائتين وخمسين ليرة عثمانية لانه اوَّل معجم من نوعه في لسان العرب وسائر الالسنة الشرقية • وقد اقتدى بهما المعلم بطرس البستاني في كتاب « دائرة المعارف » الشهيرة • الاَّ انَّ المنية انشبت اظفارها بصاحب الترجمة بعد صدور الجزء الاوَّل من « آثار الادهار » فمات في ١٠ آب ١٨٧٥ في قرية « سوق الغرب » مصاباً بالهواء الاصفر • ولكنَّ سليم شحاده استأْنف العمل وحدهُ فطبع باسمهِ واسم زميلهِ ستة اجزاء أُخرى من هذا الكتاب بلغت صفحاتها نيفاً وأَلف صفحة بحجم كبير ولم تجاوز حرف الباء • وقد ابقى السلمان حسرات في القلوب لعدم نجاز هذا المشروع العظيم الذي كان يُرجى من ورائهِ نفع كبير لأَبناء اللغة العربية

وكان المترجَم ممتلئ الجسم طويل القامة حنطيَّ اللون شديد الذكاء • وكان كاتباً بليغاً وشاعراً مطبوعاً ومؤرخاً مدققاً • ومن شعرهِ قصيدة عنوانها « العَوْد الحسن » رفعها للسلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٧ لدى رجوعهِ من معرض باريز العام مطلعها :

قد سارتِ الركبُ لا نوقٌ ولا هجنُ　　　　وانما البحرُ تسري فوقهُ القننُ

سارَ العزيزُ منيرُ الشرقِ مالكنا　　　　للغربِ والنورُ يحيي مَن بهِ قطنوا

شقَّ البحارَ بأَطيارِ البخارِ فقلْ　　　　أَينَ الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ

وله قصيدة نظمها في تهنئة نصرالله فرنقو باشا عند تعيينه حاكماً على جبل لبنان نذكر منها هذه الابيات :

بنصرِ اللهِ والفتحِ القريبِ　　　　لقد فاض السرور على القلوبِ

ولاح عَلَى علا لبنانَ فجرٌ　　　　تبدَّى من ضيا الملك المهيبِ

فمدَّ بأَرزهِ كفاً لشكرٍ　　　　يردّدهُ بافواهِ اللهيبِ

وخطَّ على عمامته سطوراً　　　　باقلامٍ من النورِ العجيبِ

ورثاهُ بعد وفاتهِ عددٌ من العظماء والشعراء منهم محمد راشد باشا وزير الخارجية العثمانية حينئذٍ فانهُ ارسل الى اخيه خليل الخوري ابياتاً تركية رقيقة المعنى • ومنهم جرجس بن اسحق طراد الذي قال :

مَن لم نقمْ ابداً بحق ثنائهِ　　　　ولَّى فهل من قائمٍ برثائهِ

أَبكى العيونَ دماً واودعَ جمرةً　　　　في كلِّ قلبٍ كانَ من تبعائهِ

هذا السليم سليمُ قلبٍ قد مضى　　　　فمضى سليم العهدِ من نظرائهِ

— « ١٨ » —



سليم شحاده

المحرر في جريدة « حديقة الاخبار » ومنشئ مجلة « ديوان الفكاهة »

هو سليم بن ميخائيل شحاده ولد في بيروت يوم الثلثا في ١٤ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٨٤٨ م في بيت عُرف بالفضل والعلم · فدرس في المدرسة الارثوذكسية الكبرى المعروفة بالثلاثة اقمار (التي أُسست اولاً في سوق الغرب نحو سنة ١٨٥٢ م) عَلَى اشهر اساتذة عهده ولا سيما الياس حبالين · فاتقن عليه الفرنسية والعربية وعَلَى بعض الاساتذة ثم درس الانكليزية والعلوم على بعض المرسلين · وتعمق في التاريخ والجغرافية وانقطع الى مكتبته الغنية بالمؤلفات المطبوعة والمخطوطة (مجلة

المشرق ١٠: ٩٦١) وتبحر في المعارف وتبسط في التاريخ تبسطاً كافياً. وكان يتمرن بمساعدة والده ميخائيل شحاده في القنصلية الروسية التي دخلها في سنة ١٨٦٦ وعُرف بأصالة رأيه وحصافة عقله ومقدرته في اللغتين العربية والفرنسية . وله مع والده اليد الطولى في تأسيس الجمعية الخيرية الارثوذكسية في مدينة بيروت. فترأسها نحو سبع عشرة سنة وتولى ادارة شؤون مدرستها نحو عشر سنوات فنجحت وازهرت. وفي اثناء ذلك تجددت «الجمعية السورية العلمية» سنة ١٨٦٨ م بعد المغفور لهما راشد ناشد باشا والي سورية وكامل باشا متصرف لواء بيروت فانتظم المترجم في سلك اعضائها العاملين. ونحو سنة ١٨٨٠ م تجدَّد انتظامها ثالثًا باسم المجمع العلمي الشرقي وكان من اهم اعضائها مَن نذكرهم بحسب الحروف الهجائية: ابراهيم الحوراني. ابراهيم اليازجي. اسبر شقير. الدكتور اسكندر بك البارودي. بطرس البستاني. جرجس همام. جرجي زيدان. جرجي يني. سليم البستاني. سليم شحاده. سليم نوفل. الدكتور فارس نمر. الدكتور كرنيليوس ڤان ديك. مراد بك البارودي. نعمه يافث. الدكتور يعقوب صرُّوف. الدكتور يوحنا ورتبات وغيرهم. فألقى المترجم مثل كثير من زملائه الاعضاء خطباً شائقة منها رسالات سنيكا الفيلسوف الروماني الى لوسيليوس نشرت في المجموعتين الثامنة والتاسعة لاعمالها

ولما نُشرت جريدة «حديقة الاخبار» لصديقه المرحوم خليل افندي الخوري باللغتين الفرنسية والعربية سنة ١٨٧٠ م حسب طلب المغفور له فرنكو باشا ثاني متصرفي لبنان كان المترجم ينشئ القسم الفرنسي مع زميله المرحوم سليم شقيق صاحب الحديقة. وله فيها مقالات تشهد بطول باعه في السياسة والانشاء. وعلى منضدة مكتب تلك الجريدة اتفق السليمان على وضع «آثار الادهار» في التاريخ والجغرافية وساعدهما في بعض ابوابه المرحوم اديب اسحق الكاتب الشهير. فطبعا الجزء الاول من القسم الجغرافي في اوائل سنة ١٨٧٥ م بالمطبعة السورية في ١٩٢ صفحة. ثم على اثر ذلك حصرت المنية زميل المترجم بالهواء الاصفر فبقي هو مثابراً وحده على العمل. وطبع الجزء الثاني في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥م والثالث في ١٣ مارس سنة ١٨٧٦ م ثم الجزئين الرابع والخامس. وجميعها الآن في مجلد واحد لم تجاوز حرف الباء وصفحاتها ٩٨٠ صفحة بقطع كبير في عمودين بحرف من الجنس الثاني ونهاية مباحثه بعض تاريخ بلجكا. ومن فوائده انهُ ذكر فيه جميع قرى ومدن سورية واوربا واميركا الخ القديمة والحديثة وما تقلب عليها وتاريخ نشأتها ومميزاتها. ومن إنصاف المترجم انه ابقى جميع الاجزاء باسمه واسم زميله الذي عاجلتهُ المنية على اثر انجاز الجزء الاول. اما القسم التاريخي فطبع الجزء الاول منهُ سنة ١٨٧٧ م في ٣٨٤ صفحة وحفظ فيه اسم زميله بعد ان مضى على وفاته سنتان وفاءً بحقوق الاخاء. ورفع الكتاب بتسميه خدمة للاعتاب السلطانية. وصدر القسم التاريخي بمقدمة في فلسفة العمران صدرها بالبحث عن الانسان

وشؤونه . ثم استرسل الى علم التاريخ واحواله ومنشاه ونتائجه وتقسيمه في ١٤ صفحة بقطع الكتاب وحرفه وجاء بما لم يجيء به الاكابر علماء العمران

وعلى الجملة فان «آثار الادهار» هو اوَّل دائرة للمعارف التاريخية والجغرافية في اللغة العربية مرتبة على الحروف الهجائية وافية المباحث المفيدة . وعلى انقاضه قامت «دائرة المعارف» العربية التي أسسها المرحومان بطرس البستاني وولده سليم . ولقد ذكر الآثارَ كثيرون من المستشرقين . ولما انشأ الصحافي الشهير خليل افندي سركيس اللبناني مجلة «المشكاة» انشأ المترجم فيها مقالات هامة في تاريخ الاندلس وتراجم اهله ونوادرهم . ونشر في «المقتطف» مقالة ضافية في الجغرافية وجغرافيي الاسلام . وانشأ سنة ١٨٨٥ مجلة «ديوان الفكاهة» الروائية بشركة سليم طراد

وكان رفيع المنزلة بين اصدقائه وجيهاً في قومه تولى الترجمة في القنصلية الروسية اعواماً عديدة . فانعم عليه القيصر بوسام القديسة حنة الثالث سنة ١٩٠٢ وقضى حياته يخدم السياسة والعلم واشتغل في اواخر ايامه بوضع تاريخ مطوَّل للكنيسة لم يتمه . وتوالت عليه المحن في اواخر عمره بوفاة معظم اخوته ووالديه فاثر به الحزن فأصيب بعلة قلبية ذهبت بحياته في ١٥ اكتوبر ١٩٠٧

(تراجم مشاهير الشرق)

— ١٩ —

الشيخ يوسف الاسير

احد محرّري جريدة «لبنان» الرسمية و«ثمرات الفنون» و«لسان الحال»

وُلد الشيخ يوسف بن السيد عبد القادر الاسير في ذي القعدة سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٥ م) في صيدا . ومال منذ حداثته الى تحصيل المعارف فقرأ شيئاً منها على الشيخ احمد الشرمباني . ثم ذهب الى دمشق حيث تعلم في «المدرسة المرادية» مدة سنة . واثناء اقامته فيها نُعي اليه والده فرجع الى مسقط راسهِ لتدبير احوال عائلته . ونظراً لاجتهاده احبَّ زيادة التعمق في العلوم فسافر الى القاهرة وهناك انتظم في سلك تلامذة الجامع الازهر الذي كان برئاسة الشيخ حسن العطار . ولما توفي حسن العطار تقلد مشيخة الازهر سميُّهُ حسن القويسني فقال فيه احد الشعراء معترفاً بفضل الحسنين :

ولئن مضى حسنُ العلوم لربهِ   فلقد أتى حسنٌ واحسَنُ من حسنْ
انتَ المقدَّمُ رتبةً ورئاسةً   وديانةً مَن ذا الذي ساواكَ مَنْ

ولبث الشيخ يوسف الاسير سبع سنين في الازهر حتى نبغ في جميع العلوم كالفقه واللغة والحديث والتوحيد والتفسير والشعر والمنطق وصار إماماً يُرجع بها اليه . ثم عاد الى صيدا فلم يطل الاقامة

رسم يمثل عمدة «المدرسة الوطنية» لمنشئها بطرس البستاني في بيروت سنة ١٨٦٦



الواقفون = سعيد شقير · ابرهيم الباحوط · سعدالله البستاني · عبدالله البستاني · شاهين سركيس · الشيخ خطار الدحداح · سليم البستاني
الجالسون = خليل ربيز · عبدالله شبلي · فضل‌الله غرزوزي · الشيخ يوسف الاسير · بطرس البستاني

فيها بعد ما درّس وهذّب الطلبة الذين كانوا يتهافتون من كل صوب اليه . فسافر الى طرابلس الشام وهناك قضى ثلاثة اعوام فاخذ عنهُ العلم كثيرٌ من فضلاء سكانها وغيرهم . نخص منهم بالذكر السيد يوحنا الحاج بطريرك الموارنة ويوحنا الحبيب موءسس جمعية المرسلين المارونية . وكانت بيروت في ذاك الحين اخذت تزهو بالمدارس والمطابع فاختار الاقامة فيها . وتولى في اثناء ذلك رئاسة كتّاب محكمتها الشرعية وكلفهُ المرسلون الاميركان بتصحيح عبارة الكتاب المقدس الذي ترجموه من لغاتها الاصلية الى اللسان العربي . وعلّم بعضهم اللغة العربية كالدكتور عالي سميث والدكتور كرنيليوس ڤان ديك . ونظم لهم كثيراً من الترانيم المستمدّة مواضيعها من المزامير والكتاب المقدس وهي مطبوعة باسرها ومستعملة في الكنائس الانجيلية . ثم تولى منصب الفتوى في عكا وتعين مدعياً عمومياً مدة اربع سنين في جبل لبنان على عهد متصرفهِ الاول داود باشا . وقد كتب حينئذٍ مقالات في جريدة « لبنان » الرسمية التي اشار اليها في هذه الابيات :

ترى لبنانَ اهلاً للتهاني … فقد نالَ الامانَ مع الاماني

واضحى جنةً من حلَّ فيهِ … قرير العينِ مسرور الجنانِ

وجدّت للعلوم بهِ دروسٌ … وكانت في الدروس وفي التواني

وللاخبار قد وُجدت سلوكٌ … كذلك طبع ذي الصحف الحسانِ

ثم انتقل الى الاستانة حيث تعين استاذاً للسان العربي في دار المعلمين الكبرى وتولى رئاسة التصحيح في نظارة المعارف وكتب في جريدة « الجوائب » لمنشئها احمد فارس . واثناء اقامته في العاصمة العثمانية اخذ العلم عنه من اعاظم رجالها كالصدر الاعظم رشدي باشا شرواني واحمد جودت باشا وزير المعارف ووصفي افندي رئيس كتاب شورى الدولة وذهني افندي رئيس مجلس المعارف والمسيو بوره سفير فرنسا وغيرهم

ولما ثقلت عليه وطأة البرد في الاستانة زايلها عائداً الى بيروت . فاخذ يعلم في مدارسها الكبرى كالمدرسة الوطنية للبستاني ومدرسة الحكمة للمطران يوسف الدبس والكلية الاميركانية ومدرسة « ثلاثة الاقمار » للروم الارثوذكس وغيرها . واكبّ على التأليف فوضع كتاباً في الفقهِ سماه « شرح رائض الفرائض » وشرحَ كتاب « اطواق الذهب » للزمخشري . والف رواية تمثيلية سماها « سيف النصر » وارصد ريعها لمشترى ادوات لجريدة « ثمرات الفنون » عند اوّل نشأتها . وطبع كتاب « رد الشهم السهم » جواباً على كتاب « السهم الصائب » الذي انتقد فيهِ الشيخ سعيد الشرتوني كتاب « غنية الطالب » لاحمد فارس الشدياق . وله قصائد وموشحات وابيات حكمية جُمعت في ديوانه « الروض الاريض » المطبوع في بيروت . غير انَّ هذا الديوان لا يحتوي الاَّ على النزر اليسير من اشعار صاحب الترجمة لانَّ كتاباته واكثر موءلفاته احترقت فذهبت فريسة النار .

وللشيخ ناصيف اليازجي قصيدة نفيسة مدح بها صاحب الترجمة وقرَّظ فيها الديوان المذكور نقتطف منها هذه الابيات :

أميرُ الحق في حكمٍ تساوى ... فما يُدرى الحبيبُ من البغيضِ
يقلّبُ في المسائل كلَّ طرفٍ ... ويلقى الناسَ بالطرفِ الغضيضِ
إمامُ الشعر يبتدعُ القوافي ... ويأمن دونها حولَ القريضِ
يقلُّ لهُ الثناء ولو اخذنا ... قوافيه من الروضِ الاريضِ

وتولى رئاسة تحرير جريدتي « ثمرات الفنون » و« لسان الحال » مدة من الزمان . وقد توفاه الله في ٢٨ تشرين الثاني ١٨٨٩ (١٣٠٧ هـ) مشكوراً بكل لسان لرقة اخلاقهِ وزهده في حطام الدنيا وحبه لنشر المعارف . ومن الذين درسوا عليهِ في آخر حياتهِ غريغوريوس الرابع البطريرك الانطاكي للروم الارثوذكس والدكتور مرتين هرتمان استاذ اللغة العربية في مدرسة الالسن الشرقية في برلين . ورثاه كثير من الشعراء وارباب الصحف في الاستانة وسوريا ومصر معددين فضائله . فاعتنى بجمعها الشيخ قاسم الكستي ونشرها بالطبع في كتاب مخصوص . ومن التراتيم النفيسة التي نظمها للمرسلين الاميركيين ترنيمة تتضمن « وصايا الله العشر » وهي :

غيري إلهٌ لا يكنْ ... لا تسجدنْ للصنمْ
لاتأخذِ اسمي باطلاً ... ولا تهنهُ بالقسمْ

والسبتَ فاحفظ واصنعنْ ... لوالديكَ المكرُمهْ
والقتلَ فاحذرْ والخنى ... في عملٍ او كلمهْ

لاتختلس شيئاً ولا ... تكذِبْ وقلْ قولَ التقى
ولا تكنْ مشتهياً ... ما للقريبِ مطلقا

وكلُّ هذي جُمعت ... وصيةُ الفادي الحبيبْ
أحِبْ بجهدٍ ربَّنا ... وأحببْ كنفسكَ القريبْ

ومن المراثي التي تُليت بعد الصلاة عليهِ في الجامع العمري الكبير قصيدة للشيخ سليم الجارودي مطلعها :

من الدنيا لقد سارَ الأميرُ ... الى الأخرى فيا نِعمَ المسيرُ
إمامٌ كان للافضالِ قطباً ... عليهِ مدارها ابداً يدورُ
مصابٌ هدَّ ركنَ العلمِ حزناً ... عليهِ وأظلمَ الفلكُ الأثيرُ

— ٢٠ —

✻ محمد بيرم الخامس ✻

المحرر في « الرائد التونسي » ومنشئ جريدة « الاعلام » في القاهرة

هو من علماء تونس ووجهائها ومن اكثر المسلمين تفانياً في نصرة الاسلام وُلد في تونس سنة ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) . ويتصل نسبهُ ببيرم احد قوّاد الجند العثماني الذي جاء تونس بقيادة سنان باشا سنة ٩٨١ هـ تفقه في جامع الزيتونة ونشأ حرّ الضمير يكره الاستبداد . فسرّه انشاء مجلس الشورى في تونس عَلَى عهد الصادق باشا وكان من اكبر نصرائهِ وتولى رئاسة المجلس الوزير خير الدين باشا وتعين بيرم سنة ١٢٨٧ هـ مدرّساً في الجامع المذكور وبعد سنتين توفي والده عن ثروة طائلة . وظهرت في اثناء ذلك فتنة عمومية في الايالة التونسية على اثر انحلال مجلس الشورى فشقّ ذلك عليهِ وتمكنت علائقه مع خير الدين باشا من ذلك الحين لاتفاقهما في النقمة على الحكومة

وفي سنة ١٢٩٠هـ عاد خير الدين باشا الى الوزارة الكبرى في تونس . فجاهر بيرم بنصرته وصرّح بآرائه السياسية عَلَى صفحات الجرائد وهو اوّل من تجاسر على ذلك هناك . وأعجب الوزير بنشاطه وتعقله فعهد اليه ادارة الاوقاف سنة ١٢٩١ هـ فاحسن ادارتها ونظمها . وأصيب في السنة التالية بانحراف حملهُ عَلَى السفر الى اوربا للاستشفاء ولقي في باريس المارشال مكماهون فاكرمهُ . وحضر المعرض العام وشاهد كثيراً من ثمار قرائح اهل هذا التمدن . فلما عاد الى تونس اخذ في تنظيم مستشفاها على نحو ما رآه في مستشفيات اوربا

ووقع في اثناء ذلك بين قنصل فرنسا الكونت دوسانسي والحكومة التونسية نزاع على بقعة ارض كانت الحكومة منحتهُ اياها لتربية الخيل على شروط اخلّ بها . فارادت استرجاعها فأبى وبينما هي تنازعه وتجادله عليها ذهب الوزير وهو يومئذٍ مصطفى بك اسماعيل الى تلك الارض ودخلها عنوةً في زمرة من اعوانه . فاغتنم القنصل هذا التعدي لتمكين سيادة دولته في تونس . فرفع امره اليها وطلب عزل الوزير فخاف هذا واسرع الى الترضية فعينوا لجنة تحكيم كان بيرم احد اعضائها . فاخذ جانب الدفاع عن الحكومة بكل قواه وكان نحيف البنية مصاباً بمرض في الاعصاب الموصلة بين المعدة والقلب مع ضعف شديد في الدم يستخدم المورفين لتسكين آلامه . فاثر ذلك في صحته واضطر ان يشخص الى باريس للاستشفاء . واما اللجنة فصدر حكمها لمصلحة القنصل

ونهض التونسيون عَلَى اثر ذلك يطلبون الجنوح من الحكم الاستبدادي الى الشورى . وسعوا في ذلك سعياً حثيثاً لم يأت بنتيجة لان امير البلاد يومئذ لم يعضد مطالبهم . ويقال ان ذلك كان بتحريض فرنسا لانها تعتقد ان الحكومة الدستورية تخالف مصلحتها هناك . واما بيرم فقد كان في

مقدمة الراغبين في الشورى وعاتبهُ الامير عَلَى تعضيده الاهالي في مطالبهم . فاجابهُ بجرية لم يُعهد مثلها وبين له خطأهُ

وتوجه تلك السنة الى باريس كالعادة واغتنم وجوده هناك ورفع الى حكومتنا تقريراً مسهباً يشكو فيه سوء تصرف القنصل ووقوفه في سبيل كل مشروع نافع للبلاد . وبلغ خبر ذلك الى القنصل فزاد غضباً ونقمة . واتفق في اثناء طلب التونسيين الشورى ان الدول كانت مشغولة بخلع اسمعيل باشا خديوي مصر وكان الصدر الاعظم في الاستانة يومئذ خير الدين باشا . ونظراً لما يعلمونه من علائق بيرم بخير الدين استنتج الفرنسويون ان مطالب التونسيين لم يكن الغرض منها الا فتح السبيل لمداخلة الباب العالي واتهموا صاحب الترجمة انه الواسطة بذلك . ولما بلغهُ الخبر استعفى من منصبه في تونس وعزم على البقاء بعيداً عنها لكنه عاد اليها بعد الحاح اصدقائه . وكان قد فهم وهو في باريس رغبة فرنسا في ضم تونس الى املاكها ضماً كلياً وانها اغرت الوزير مصطفى فمالأها طمعاً بالترقي . فذهبت آمال صاحب الترجمة بانقاذ بلاده فعزم عَلَى الخروج منها فلم تأذن الحكومة بسفره . فاحتال بطلب الرخصة للحج فأذن له فخرج سنة ١٢٩٦ وجاء مصر وسافر منها الى الحرمين . ثم يمم سوريا فالقسطنطينية فاحسنت الدولة وفادتهُ . ولكن الوزير التونسي كتب الى الباب العالي بارجاع الشيخ بيرم لانهُ لم يقدم حساباً عن ادارة الاوقاف التي كانت في عهدته فنصره خير الدين ولم يسلمه .

ولما تم لفرنسا ضم تونس الى املاكها سنة ١٢٩٨ عزلت الوزير مصطفى وعاملته معاملة الخائن

واشتغل الشيخ محمد بيرم في اثناء اقامتهِ في الاستانة بالكتابة والتحرير . ووراعى صحتهُ فتحسنت كثيراً وقلَّ استعماله للمورفين . وكانت وجهتهُ النظر في ما آل اليهِ حال البلاد الاسلامية من طمع الاجانب ووصفَ الادوية لملافاة ذلك ولم يجدِ الكلام نفعاً

ولما تحقق رسوخ قدم فرنسا بتونس يئس من العودة اليها . فاراد ان يكون قريباً من اهله فانتقل الى مصر بعد الحوادث العرابية سنة ١٨٨٤ وقد باع املاكه في تونس ونقل عائلته منها . وانشأ في مصر جريدة سياسية اسمها « الاعلام » تصدر ثلاث مرات في الاسبوع ثم صارت اسبوعية . وكانت خطتها محاسنة الانجليز والاستفادة منهم . فانتقد بعضهم عليه هذه الخطة لانها تخالف ما كان عليه في تونس وانهُ انما هجرها فراراً من الحكم الاجنبي فكيف يكلف المصريين عكس ذلك ؟ ولكن الذين يرون رأيه كانوا يعتذرون بانه انما حث على محاسنة الانكليز والاستفادة منهم لان معاكستهم وامر البلاد في ايديهم لا يجدي نفعاً . وان مجافاة الفرنساويين اوجدت اسباباً ساعدتهم على ضم تونس الى بلادهم . وقد الجأه الى انتهاج هذا المسلك ايضاً ما قاساه من ظلم الحكم الاستبدادي في تونس وما آنسه من العوامل المحركة في مصر باغراء بعض الاجانب الذين يغرون صدور الناس على حكامهم مما يعود بالضرر

واضطر بعد اقامته سنتين بمصر ان يعود الى اوربا فتمم سياحاتهُ فيها. وعاد الى مصر فعينتهُ الحكومة سنة ١٨٨٩ قاضياً في محكمة مصر الابتدائية. وكثيراً ما كلفته الوزارة كتابة ملاحظاته على القضاء الشرعي لانهُ كان واسع الاطلاع فيهِ. وما زال عاملاً مجتهداً رغم ما يعتوره من المرض حتى توفي سنة ١٣٠٧ (١٨٨٩)

وقد خلف آثاراً كتابية اكبرها كتاب «صفوة الاعتبار بمستودع الامصار» طبع بمصر في خمسة اجزاء. وهو عبارة عن رحلة عامة في اوربا ومصر والشام والحجاز وغيرها. وذكر فيها كثيراً من الحقائق التاريخية والاجتماعية عن بلاد العرب وتونس والجزائر لاتجدها في كتاب آخر. واكثرها شاهدهُ بنفسهِ او كان داخلاً فيهِ ولا سيما تاريخ تونس والجزائر

وله ما خلا ذلك رسالة «تحفة الخواص في حل صيد بندق الرصاص» ومختصر في فن العروض. ورسالة في «التحقيق في شان الرقيق» بحث فيها عن كيفية معاملة الرق عند المسيحية وان منع الحكومات الاسلامية لتجارة الرقيق شرعي. وكتاب «تجريد الاسنان للرد على الخطيب رينان» رد فيهِ على ما كتبهُ رينان في الاسلام والعلم. ورسالة في جواز ابتياع أوراق الديون التي تصدرها الممالك الاسلامية حتى تبقى اموال المسلمين في بلادهم ولا يحجبهم عنها اشتباه الربا وهو لا ينطبق في هذه الحالة عليها. والف كتاباً مسهباً في شان التعليم بمصر ذهب فيهِ الى وجوب انتشاره باللغة العربية لسهولة تناوله وتعميمه بين طبقات الناس. وله كتابات اخرى لم نقف على اسمائها. ويؤخذ من مجملها ان صاحب الترجمة كان من محبي الاصلاح وتقريب المسلمين الى عوامل التمدن الحديث وازالة ما قد يعترضهم من اشباه الموانع الدينية على نحو ما كان يفعله الشيخ محمد عبده رحمهما الله

(جرجي زيدان)

— «٢١» —

❋ فرنسيس مرّاش ❋

كانت منزلة آل مرّاش بين نصارى حلب بنهضتهم الادبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كمنزلة آل اليازجي وآل البستاني في لبنان والديار الشامية. فانهم أيقظوا روح المعارف في ابناء وطنهم وخدموا العلوم بالتأليف والصحافة. واشتهروا منذ القرن الثامن عشر بالوجاهة وطيب الارومة والصيت الحسن. ومنهم قام الشاب بطرس بن نصر الله مراش الذي استشهد في سبيل دينهِ في ١٦ نيسان ١٨١٨ على يد خورشيد باشا والي حلب مع عشرة شبان آخرين [1]. وقد رثاه

(١) راجع تفاصيل هذه الحادثة في كتابنا «السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية» المطبوع سنة ١٩١٠ صفحة ٢٣٥

حينئذٍ الشاعر الكبير نقولا الترك بقصيدة طويلة نورد منها بعض ابيات وهي :

كم يشتكي قلبي الموجع كلما ‍ ‍ ‍ قد مضهُ الهمُّ الذي قد كلّما

ما حسرة الثكلاء ما الخنساء مذ ‍ ‍ ‍ كانت تئن توجعاً وتألّما

تبكي نعم لكن عَلَى صخرِ الفلا ‍ ‍ ‍ وانا على صخر العلى ابكي دما

شُلّت يد الباغي الذي قد اهرقت ‍ ‍ ‍ دمه الزكيَّ وحلّلت ما حرّما

لله فجعة بطرس كم فتتت ‍ ‍ ‍ كبدي والقت في فوآدي اسهما

وافى الى سفك الدما بشهامةٍ ‍ ‍ ‍ وغشي المنايا مسرعاً متقحماً

وانضمَّ منحازاً مع الشهداء في ‍ ‍ ‍ جنات خلدٍ بالسماء منعّما

فلذاك قلتُ صلوهُ تمجيداً بتا ‍ ‍ ‍ ريخي ففي دمهِ الزكي ورث السما

ثم اشتهر فتح الله مرّاش وكان ذا إلمام وافر باللغة العربية وآدابها وترك منها اثاراً مخطوطة . وسنة ١٨٥٠ سافر الى فرنسا لضرورة دعت الى ذلك فمكث فيها ثلاث سنين . وقد استصحب معه في هذه الرحلة بكر انجاله فرنسيس الذي خلفهُ في آدابهِ بل فاق عليهِ بالذكاء والمعارف وفنون الانشاء شعراً ونثراً . واليك ما ورد في كتاب « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » عن اخباره باختصار :

وُلد فرنسيس بن فتح الله بن نصر الله مرّاش في ٢٩ حزيران سنة ١٨٣٦ ثم تلقن العلوم اللسانية وآداب الشعر . وانكبَّ عَلَى دراسة الطب اربع سنوات تحت نظارة طبيب انكليزي كان في الشهباء . واراد ان يتم دروسه في عاصمة الفرنسيس فسافر اليها في خريف سنة ١٨٦٦ وقد وصف سفره اليها في كتاب « رحلة باريس » الذي طبعه سنة ١٨٦٧ في بيروت . ولم يسعده الدهر في غربتهِ فكرَّ راجعاً الى وطنهِ وتفرّغ للتصنيف رغماً عمّا اصابه من ضعف البصر وانحطاط القوى حتى افل نجم حياتهِ فمات سنة ١٨٧٣ في مقتبل الكهولة . وكان فرنسيس صادق الايمان كثير التدين وقد الف كتاباً بناه على مبادئ العلوم الطبيعية والعقلية بياناً لوجود الخالق واثباتاً لحقيقة الوحي سماه « شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة » اعرب فيهِ عن دقة نظر ومعرفة باحوال الطبيعة والعلوم العصرية . ومن مصنفاتهِ التي جمع فيها بين الفلسفة والآداب فاودعها آراءهُ السياسية والاجتماعية على صورة مبتكرة كتاب « غابة الحق » الذي طُبع في حلب سنة ١٨٦٥ ثم كرر طبعه في بيروت ومصر . ومثله كتاب « مشهد الاحوال » المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٣ على اسلوب لطيف ونسق حديث . وفي بيروت طُبعت له رواية حسنة دعاها « درّ الصدف في غرائب الصدف » . ومما طبعهُ قبلها في حلب كتاب « المرآة الصفية في المبادئ الطبيعية » (١٨٦١) لخص فيهِ اصول علم الطبيعة . ثم خطبة في « تعزية المكروب وراحة المتعوب » (١٨٦٤) وكتاب « الكنوز الغنية في الرموز الميمونية »

(١٨٧٠)وهي قصيدة رائية في نحو خمسمائة بيت ضمنها رموزاً خفية على صورة رواية شعرية · ومن نظمهِ ايضاً « ديوان مرآة الحسناء » طبعه له محمد وهبه سنة ١٨٧٣ في بيروت

وكان فرنسيس المراش يحبُّ في كلامهِ الترفع عن الاساليب المبتذلة فيطلب في نثره ونظمهِ المعاني المبتكرة والتصورات الفلسفية فلا يبالي بانسجام الكلام وسلاسته · فتجد لذلك في اقواله شيئاً من التعقد والخشونة مع الاغضاء عن قواعد اللغة · فمن شعره ما قاله يشكو الدهر :

رَمَت قلبي نبالُ الدهر حتى	رأيتُ دمي يسيل من العيونِ
فلو كان الزمان يُصاغُ جسماً	لكنتُ أُذيقه كاس المنونِ

ومن اشعارهِ الحكمية قولهُ :

صدقوني كلُّ الانام سواءٌ	من ملوكٍ الى رُعاةِ البهائمْ
كلُّ نفسٍ لها سرورٌ وحزنٌ	لا تني في ولائمٍ او مآتمْ
كم اميرٍ في دستهِ بات يشقى	بالأَسى والاسير في القيدِ ناعمْ
اصغرُ الخلق مثل اكبرها جزْ	ماً لهذا وذا مزايا تلائمْ
والخلايا للنحل اعجبُ صنعاً	من قصور الملوك ذات الدعائمْ

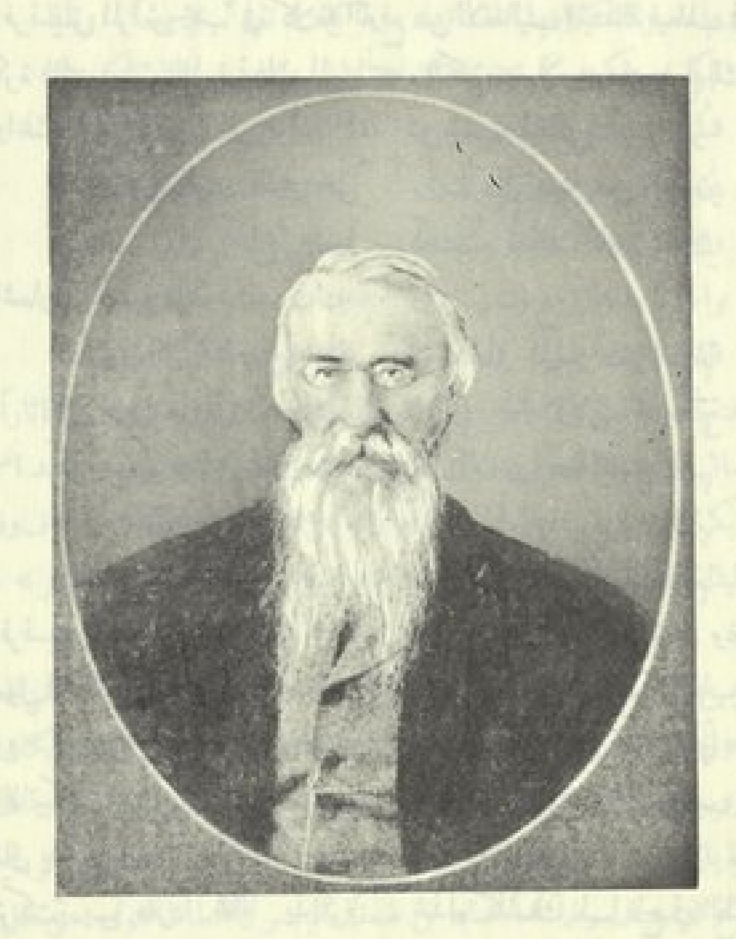
وكان فرنسيس المرّاش يراسل اهل الفضل في زمانهِ كالشيخ ناصيف اليازجي وغيره · وله مآثر عديدة وفصول انشائية وقصائد واراجيز نشرها ارباب الجرائد في عهده كاصحاب « الجوائب » و « النحلة » و « الزهرة » و « الجنان » و « النشرة الاسبوعية » و « المشتري » و « البشير » و « المجمع الفاتيكاني » و « مرآة الاحوال » و « الجنة » وغيرها · وقد رثاه الأديب المرحوم بشاره الشدياق فقال يذكر تآليفهُ :

تركتَ يا مفرداً شأناً يذكرنا	شذاه كالمسك لما فاح في الطللِ
من مشهد قد جلا الاحوال بان لنا	منهُ عجائب افعالٍ بلا خللِ
ومن غرائب ما شاهدت من صدفٍ	ابهى من الدر او اشهى من العسلِ
ورحلةٍ سرتَ فيها قد حوت حكماً	صيغت من الدر من قولٍ ومن عملِ

ونقشت اخته مريانا الشاعرة الشهيرة على نعش اخيها فرنسيس بعد وفاته هذين البيتين :

ويلاه من جور دهر قد أحلَّ بنا	مصائباً شأنها ان تصدع الحجرا
يشتت الشمل منها حيثما نزلت	تفني الجميع ولا تبقي له اثرا

— ٢٢ —



﴿ الدكتور كرنيليوس ڤانديك ﴾

(قال علم الطبِّ لمّا قد قضى ذاكَ الهمامُ)
(مات ڤنديك النطاسي فعلى الطبِّ السلامُ)

وُلد الدكتور كرنيليوس ڤان ديك في ١٣ اغسطس (آب) سنة ١٨١٨ في قرية كندرهوك من اعمال ولاية نيويورك باميركا ووالداهُ هولانديان هاجرا الى الولايات المتحدة باميركا وولدا غيره سبعة هو اصغرهم . وكان في صغره يتعلم في مدرسة في قريته فامتاز بالاجتهاد والثبات وبرع في اليونانية واللاتينية حتى حاز قصب السبق على رفقائه وكانوا كلهم اكبر منه سناً وكان ابوه طبيباً فجعل يدرس الطب في صباه عليهِ وكان يخدم في صيدليته فاتقن فن الصيدلة فيها

علماً وعملاً · ولما حصل ما تيسر له الحصول عليه عند ابيهِ جعل يتلقى الدروس الطبية في سبرنكفيلد · ثم اتمّ دروسه في مدرسة جفرسن الطبية بمدينة فيلادلفيا من مدن الولايات المتحدة حيث نال الدبلوما والرتبة الدكتورية في الطب · وكان تعلمهُ في هذه المدرسة عَلَى نفقة ذويهِ فكانت مساعدتهم هذه له اساساً للاعمال العظيمة التي عملها في سورية وسائر البلدان العربية من التعليم والتهذيب والتأليف وخدمة الصحافة وانشاء المدارس

وفي الحادية والعشرين من عمره فارق الخلان والاوطان واتى سورية مرسلاً من قبل مجمع المرسلين الاميركيين · وكان قد سبقهُ طبيب آخر اميركي وهو الدكتور آسادوج الذي توفي في القدس سنة ١٨٣٥ بعد اقامته فيها نحو سنتين · وكان وصول الحكيم ڤانديك بعد نحو ٥ سنوات لوفاته · وحل في بيروت في ٢ ابريل (نيسان) سنة ١٨٤٠ ولكن لم تطل اقامته فيها حتى قام منها بايعاز المجمع المذكور · واتى القدس طبيباً لعيال المرسلين الذين كانوا فيها ايام فتوح ابرهيم باشا في بلاد الشام · فاقام فيها تسعة اشهر ثم قفل راجعاً الى بيروت حيث شرع في درس العربية · وحينئذٍ تعرّف بالمرحوم بطرس البستاني وكانا كلاهما عزبين · فسكنا معاً في بيت واحد وارتبطا من ذلك العهد برباط المودة والصداقة وبقيا عَلَى ذلك طول الايام حتى صار يُضرب المثل بصداقتهما · ولما توفي البستاني كان اشد الناس حزناً عَلَى فقده حتى انه لما طُلب منه تابينهُ خنقته العبرات وتلعثم لسانهُ عن الكلام · وبقي برهة يردد قوله « ياصديق صباي » حتى لم تعد ترى بين الحاضرين الا عيناً تدمع وقلباً يتوجع

وجعل يدرس العربية عَلَى الشيخ ناصيف اليازجي ثم عَلَى الشيخ يوسف الاسير الازهري وغيرهما من علماء اللغة · و بذل الجهد في درسها والاخذ بجذافيرها حتى صار من المعدودين في معرفتها وحفظ اشعارها وامثالها وشواهدها ومفرداتها واستقصاء اخبار اهلها وعلمائها وتاريخها وتاريخهم · فهو بلا ريب اول افرنجي أتقن معرفة العربية والنطق بها والبيان والتأليف فيها حتى لم يعد يمتاز عن اولادها · وبقي على ذلك الى خريف سنة ١٨٤٢ ثم انتقل الى عيتات وهي قرية بلبنان · واقترن هناك بالسيدة جوليا بنت مستر آبت قنصل انكلترا في بيروت المشهورة بفضلها وحسن اخلاقها · ثم انتقل من عيتات الى قرية عبيه وهناك انشأ مع صديقه بطرس البستاني مدرسة عبيه الشهيرة · وشرع من يومهِ في تاليف الكتب اللازمة للتدريس في تلك المدرسة · فالف كتاباً في الجغرافية وآخر في الجبر والمقابلة وآخر في الهندسة وآخر في اللوغارثمات وفي المثلثات البسيطة والكروية وفي سلك الابحر والطبيعيات وقد طبع بعضها و بعضها لم يُطبع · و بعد ان قضى في عبيه اربع سنوات عَلَى ما ذكرنا في التدريس والتاليف دعاه مجمع المرسلين الى صيدا فلبث فيها سبع سنين وسافر سنة ١٨٥٣ الى مسقط راسه · وفي تموز سنة ١٨٥٤ رجع الى سورية وعند وفاة الدكتور سميث سنة ١٨٥٧ تعين من المرسلين في سورية بتصديق المجمع الاميركي وجمعية الكتب المقدسة لترجمة كتابه تعالى · فشمر عن ساعد العزم

واخذ يعاني المشاق بتجشم المصاعب بتطبيق كل كلمة على اصلها حتى تم له ذلك . وكان في هذا الاثناء متوليًا ادارة المطبعة الاميركية المشهورة وحسَّن فيها وزاد الشكل على الحروف حتى صارت من احسن مطابع المشرق واشهرها . واتم الترجمة سنة ١٨٦٤ وبعثه مجمع المرسلين الى الولايات المتحدة سنة ١٨٦٥ ليتولى امر طبعها وعمل الصفائح بالكهربائية لها هناك . فاقام في الولايات المتحدة سنتين حتى اتم ذلك وعاد الى سورية سنة ١٨٦٧

وفي تلك الاثناء تم امر انشاء « المدرسة الكلية السورية » في بيروت على نفقة جماعة من اهل الخير في الولايات المتحدة باميركا . فعرضت عليه عمدتها الكبرى في اميركا ان يكون استاذاً فيها فاجابها الى ذلك . ثم طلبت اليه ان يعين راتبهُ السنوي بنفسه فكتب ٨٠٠ ريال مع ان راتب اصغر استاذ فيها لا يقل عن ١٥٠٠ ريال وقد فعل ذلك حبًا بخير البلاد ونفع اهلها

ولما وصل الى بيروت باشر ترتيب المدرسة الكلية الطبية مع صديقهِ الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات . ووضعا نظامًا لدروسها وشرعا في التعليم من ساعتهما لا يحاسبان على اتعاب ولا ينتظران من احد تبجيلاً لقدرها ومدحًا لاسميهما . بل ان الدكتور ڤان ديك لما رأى ان المدرسة تفتقر الى استاذ يدرّس الكيمياء فيها اقبل من فوره على تدريسها حال كونه معينًا استاذاً لعلم الباثولوجيا وحده . ولم يكن في المدرسة حينئذ من كل ادوات الكيمياء الا قضيب من زجاج وقنينة عتيقة فأنفق من ماله مئتي ليرة انكليزية على ما يلزم من الادوات . ولم يكن في يد التلامذة كتاب يطالعون فيه فجعل يلقي العلم عليهم خطبًا مبتدئًا بالتجارب الكيماوية ومستطرداً من الجزئيات الى الكليات على اسلوب يقرّب هذا العلم من الافهام ويرسخ حقائقهُ في الاذهان . والف حينئذ كتابًا مختصراً في مبادىء الكيمياء ثم توسع فيه وطبعهُ على نفقتهِ وهو يعلم انه لا يسترجع نفقات طبعهِ قبل مماتهِ . وبقي يدرّس هذا الفن ست سنوات متواليات وينفق على لوازم التدريس من جيبهِ . وجاء استاذ الكيمياء وبقي سنتين من الزمان يدرس العربية والدكتور ڤان ديك يدرّس مكانهُ مجانًا حبًا بصالح المدرسة وخير ابناء البلاد . ولما تولج استاذ الكيمياء اشغاله اعتزل الدكتور ڤان ديك عنها وترك للمدرسة كل ما انفق عليها ولم يأخذ مقابله الا مئة ليرة انكليزية

ولم يقتصر على هذا التبرع بل انه تولج منصب استاذ ثالث وهو استاذ علم الفلك . وذلك ان المدرسة لم يكن عندها مال يقوم بنفقة استاذ لهذا العلم . فتبرَّع بتدريسه مجانًا والف له كتابًا مسهبًا وطبعهُ على نفقته ايضًا كما طبع كتاب الانساب والمثلثات والمساحة والقطوع المخروطية وسلك الابحر . ولم يكن في المدرسة آلات فلكية يُعتدُّ بها فما لبث ان شرعت في بناء مرصدها حتى ابتاع له آلات بسبعمائة ليرة انكليزية من ماله الخاص واثث وفرش فيه على نفقتهِ . وكان اسلوبه في تعليم الكيمياء

والباثولوجيا مبنياً على العمل والمشاهدة حتى يجد الطالب فيهِ لذةً قلما يجدها في درس العلوم العويصة كهذا العلم

وانشأ للمرصد اسماً كبيراً حتى صار معروفاً في المشارق والمغارب مقصوداً من القريبين والبعيدين مراسلاً لاشهر مراصد الارض. ولما خلفه الدكتور فارس نمر في تدريس علم الفلك الوصفي الف كتاباً في الفلك العملي وجعل يعلم بهِ الطلبة على الآلات. وكان مع تدريسه علم الباثولوجيا وعلم الكيمياء وعلم الفلك يتولى ادارة المطبعة الاميركية فينقح ما يطبع فيها من الكتب ويهتم بتأليف جريدة «اخبار عن انتشار الانجيل» وجريدة «النشرة الشهرية» وجريدة «كوكب الصبح المنير» ثمَّ «النشرة الاسبوعية» ويطبب في مستشفى ماري يوحنا حيث كان يتقاطر اليه المرضى افواجاً افواجاً حتى يبلغ عددهم الالوف في السنة. وما بقي من الوقت الذي يخصصه البعض بالنزهة والرياضة والراحة والنوم كان يقضيه في تاليف الكتب العلمية والطبية والدرس والمطالعة والتجارب العلمية وحضور الجمعيات النافعة ومراسلة العلماء في سائر اقطار الارض. حتى كان اهل بيته لا يرون منه اكثر مما يرى منه الغريب وكل ذلك قياماً بالواجبات التي يعجز جماعة من الرجال عن القيام بها

ومن مزاياه انهُ لم يكن يؤخر الى الغد عملاً يقدر ان يعمله اليوم. ولذلك كنت تراهُ معدًّا كل مايطلب منهُ قبل زمان طلبه. وكان كلما طلب منهُ اهل بيته ايام اشتغاله في المدرسة الكلية ان يستريح بين عمل وآخر و يؤخر الاشغال الى اوقاتها حرصاً على صحتهِ يجيبهم: «اخاف ان يفاجئني مرض او يعارضني معارض فاكون سبب خسارةٍ لكل من تتعلق اشغالهم ومصالحهم بي. فالواجب عليَّ ان اكون سابقاً في انجاز اشغالي حذراً من ذلك». ولكثرة اهتمامه باشغال المدرسة واشتغاله بمصالحها عن غيرها كان اصحابهُ يكلمونه في ذلك فلا يسمع لهم حتى صار من الاقوال الشائعة بين معارفهِ انك اذا رمتَ ان تكون على رضى مع ڤان ديك فاياك ان تشغله بشاغل عن المدرسة الكلية. واذا اردت ان تسر قلبه فكلمهُ عن المدرسة والتلامذة والمرصد والتاليف. وقد الف اثناء وجوده في المدرسة الكلية كتابهُ في الباثولوجيا وهو مجلد ضخم وكتباً في التشخيص الطبيعي وفي الكيمياء وفي الفلك الوصفي وفي المثلثات والمساحة والقطوع المخروطية وكلها مطبوع. والف كتاباً في الفلك العملي وآخر في امراض العينين وآخر في تخطيط السماء وقد طُبع حديثاً

وكان تعليمه متين التحقيق متأنياً في التقرير. حسن الفكرة. حافظاً للمسائل. صحيح النقل. جامعاً بين العلوم القديمة والحديثة. ذاكراً التجارب الماضية. مطلعاً وراوياً الاكتشافات الحاضرة. كثير الاحسان للطلبة معلماً ناصحاً وأباً صالحاً. يشجع الاقوياء ويرق للضعفاء ويشفق على البلداء. وقد تخرَّج على يده في الكلية السورية سبعون طبيباً وسبعون بكلوروسياً وسبعة صيادلة كلهم اخذوا الشهادات وتشرفوا بمصادقته عليها بخط يدهِ. واكثرهم عنهُ حبَّ العلم اخذوا . ومن مآثره

انه تخرَّج على يدهِ كثيرٌ من مشاهير ارباب الصحف العربية والمحررين فيها كالدكتور يعقوب صرُّوف والدكتور فارس نمر والدكتور شبلي شميل والدكتور بشاره زلزل والدكتور اسكندر بارودي والدكتور نقولا نمر والدكتور خليل سعاده والصيدلي مراد بارودي وجرجي زيدان والدكتور فارس صهيون والدكتور لويس الخازن

وكان وهو اعجمي اللغة عربي المنطق · وله في محاسن اللغة و بدائع منثورها ومنظومها القول الصحيح والرأي الرجيح حتى كان يُحسب آية ظاهرة في آدابها واقوالها · واعجوبة باهرة في نكاتها وامثالها · لانهُ كان قوي البادرة كثير المحفوظات لذيذ العشرة لطيف المنظر جيد المخبر · وهو يجري معها الى طبع سليم وخلق دمث ومحاورة سارَّة

وفيما هو لاهٍ باشغال التأليف والتدريس والرصد والمراسلات العلمية عما سواها من مطامع البشر نُكبت المدرسة الكلية بحادث أُبعد عنها اكثر اساتذتها · فتركها محتملاً آلام فراقها محافظةً عَلَى مبادئه · وبقي يطبب في مستشفى ماري يوحنا عَلَى جاري عادته الى ان اضطر ان يتركهُ عَلَى غير رضى منهُ · لكنهُ انما تركهُ ليحيي في الوجود مستشفى طائفة الروم الارثوذكسيين الذي صار لهُ فيهِ ايادٍ تذكر في الرحمة بالمسكين ومعالجة المرضى والبائسين

وقد تقدَّم المستشفى بعنايته وفضله تقدماً عجيباً فازدادت اهميته حتى صار من اعظم المستشفيات في الشرق · ولما ان توفاه الله في ١٣ تشرين الثاني ١٨٩٦ كان المرحوم نخله بن حبيب بسترس رئيساً لعمدة المستشفى · فتبرَّع من جيبهِ الخاص بدفع مبلغ كبير لاقامة تمثال لفانديك في ساحة المستشفى الكبرى · ثم عرض على سائر اعضاء العمدة ان يشتركوا في هذا المشروع فاظهر الجميع رغبتهم في الإقبال عليهِ · وقرَّروا وجوب إقامة أثر خالد للرجل الذي اجتمعت القلوب عَلَى حبه واعترفت الألسن بفضله · وفي ٢٦ شباط ١٨٩٩ جرى الاحتفال بنصب الاثر فاذا هو تمثال من المرمر الابيض الناصع يمثل صاحب الترجمة وقد كُتب عليهِ بحروف واضحة :

✻ اثر حميد الخير فقيد نُصب إقراراً بفضل عَلَم العلماء والحكماء المرحوم ✻

✻ كرنيليوس فانديك عُفي عنهُ — ١٨٩٥ ✻

ولما اخترمته المنية بالتاريخ المذكور جرى لمشهده احتفال عظيم ثم دُفن في المقبرة المحاذية للكنيسة الانجيلية · وبناء عَلَى ماشاع بانهُ اوصى الأ بنين توقف الادباء والشعراء عن تأبينه وفي قلوبهم جمرات من التحسر عليه · وقد اهتمَّ فريق من اصدقائه وتلامذته باقامة نصبٍ عَلَى ضريحهِ · فجمعوا بادارة احدهم الصيدلي القانوني مراد البارودي مبلغاً كافياً · واستحضروا من اوربا قطعتين

بديعتي الصنع احداها من الرخام وضعوها مسطحة على القبر والأُخرى من الحجر الاعبل قائمة عليهِ. وقد نُقشت عليهِ هذه العبارة باللغتين العربية والانكليزية :

« هذا الضريح شاده ُ بعض من خلانهِ وتلامذتهِ السوريين ذكراً لِما أتاه »

« من فضلٍ وبرٍّ في خمس وخمسين سنة من عمره بين »

« ابناء اللغة العربية »

وفي ٢ نيسان (افريل) سنة ١٨٩٠ احتفل أهل سوريا بمرور خمسين عاماً على اقامته بينهم. فاقاموا له يوبيلا شاركهم فيهِ افاضل المشارقة في مصر والعراق وغيرها بالاكتتاب. وتقاطرت عليهِ الرسائل والقصائد وكتب التهنئة من وجهاء سوريا وامرائها وجمعياتها وبطاركتها واساقفتها ومجامعها عَلَى اختلاف المذاهب والنحل. وملأَت جرائد القطرَين السوري والمصري اعمدتها بذكر مآثره وافضاله واعماله ولولا ضيق المقام لجئنا ببعض ما قيل فيهِ. ولكن ذلك مجموع في كتاب عنوانهُ « حياة ڤانديك » مطبوع عَلَى حدة بعناية تلميذه الدكتور اسكندر بارودي صاحب امتياز مجلة « الطبيب » البيروتية

وكان ڤنديك يجتزيء باليسير من الغذاء والملبس غير عاكف علي شيء من الملاذ الدنيوية بل همهُ الامور الجوهرية يؤْثر العزلة عَلَى الاجتماع والاجتماع مع مَن احتاجه عَلَى العزلة. ويصرف في مكتبته ما فضل من اوقاتهِ عن الواجبات بين مطالعة جرائد وتاليف كتب وتصحيح مسودات. وكنت تراه وهو مرتدٍ بالعباءة الشرقية كأن لسان حاله يقول :

ولبس عباءة وتقرُّ عيني ... احبُّ اليَّ من لبس الشفوفِ
وبث معارفٍ في دور علمٍ ... احبُّ اليَّ من كسب الالوفِ

اما مؤلفاتهُ فتشمل اهمَّ العلوم القديمة والحديثة. وهو اوَّل من الف في تلك العلوم ونشرها باللسان العربي في الديار الشامية فاجاد وأفاد وهي :

(١) « الباثولوجية الداخلية الخاصة » وتبحث في مبادىء الطب البشري النظري والعملي في مجلد ضخم (٢) « محيط الدائرة » في العروض والقوافي (٣) « المرآة الوضية في الكرة الارضية » طُبعت غير مرة (٤) « الروضة الزهرية في الاصول الجبرية » (٥) « الاصول الهندسية » (٦) « التشخيص الطبيعي » (٧) « الانساب والمثلثات المستوية والكروية ومساحة السطوح والاجسام والاراضي وسلك الابحر » (٨) « اصول الكيمياء » (٩) « رسالة الجدري والحصبة » للرازي مع ملحق بقلم الدكتور. (١٠) « اصول علم الهيئة » في الفلك (١١) « إِرواء الظماء من محاسن القبة

الزرقاء » (١٢) « النقش في الحجر » في ثمانية مجلدات صغيرة كل منها يبحث في علم من العلوم الحديثة كالفلسفة الطبيعية والكيمياء والجغرافية الطبيعية والنبات والفلك والجيولوجيا وغيرها — يراد بهـا تعليم هذه العلوم في المدارس العالية او نشرها بين الذين شبوا وتعاطوا التجارة او الصناعة ولم يدرسوا شيئاً منها (١٣) « النفائس لتلامذة المدارس » (١٤) « قصة شونبرج وبركا » وهما دينيان. (١٥) « اصول الايمان المسيحي » (١٦) « ترجمة العهد الجديد » (١٧) « النشرة الشهرية » (١٨) « النشرة الاسبوعية » في اول نشأتها. (١٩) جريدة « كوكب الصبح المنير » في اول عهدها. (٢٠) رسالة « الافتخار بالصليب » (٢١) « أخبار عن انتشار الانجيل » (٢٢) ترجمة « تاريخ الاصلاح » في القرن السادس عشر في مجلدين. (٢٣) « السهم الطيار والفخ الغرار » لتوقية الكروم من الثعالب الصغار. (٢٤) كتاب « كشف الاباطيل في عبادة الصور والتماثيل » (٢٥) كتاب « بزوغ النور عَلَى ابن حور » (٢٦) كتاب « طب العين » (٢٧) كتاب « الباثولوجية المرضية » لم يُطبع منه سوى بعض مقالات في مجلة « الطبيب » البيروتية. (٢٨) كتاب « الباثولوجية العامة » وهو غير مطبوع. (٢٩) كتاب « تاريخ الاطباء » نشرت مقالات منه في مجلة « المقتطف » في سنيها الاولى. وهو الذي اوعز الى الدكتور يعقوب صروف ان ينقل كتاب « سر النجاح » الى اللغة العربية فكان سبباً كبيراً في إنهاض الذين قرأوه من شبان بلادنا الى الاقتداء باعاظم رجال العلم والعمل مع النسج عَلَى منوالهم

ونختتم هذه الترجمة بالابيات التي نظمها الياس حنيكاتي عند نصب تمثال الدكتور ڤانديك في باحة المستشفى الارثوذكسي وهي :

لڤنديك في شرق البلاد وغربها	مآثر لاتخفى عَلَى احدٍ منا
تجلت كنور الشمس قبل وفاتهِ	وتبقى الى ما شاء ربك لا تفنى
همامٌ بنى في ساحة الفضل منزلاً	وهذا لعمر الحق من خير ما يُبنى
ألا حسبهُ وصفاً لهُ حسن شهرةٍ	يضوع شذاها كلما طائرٌ غنى
إمامٌ قضى في الشرق معظم عمرهِ	فعظم اهل الشرق يبكونهُ حزنا
ولا سيما جمعية شد ازرها	بتعزيز مستشفى تعول بهِ المضنى
ففي عامها العشرين جدد ذكره	وارخ بدا تدشين تمثالهِ الاسنى

فهرس

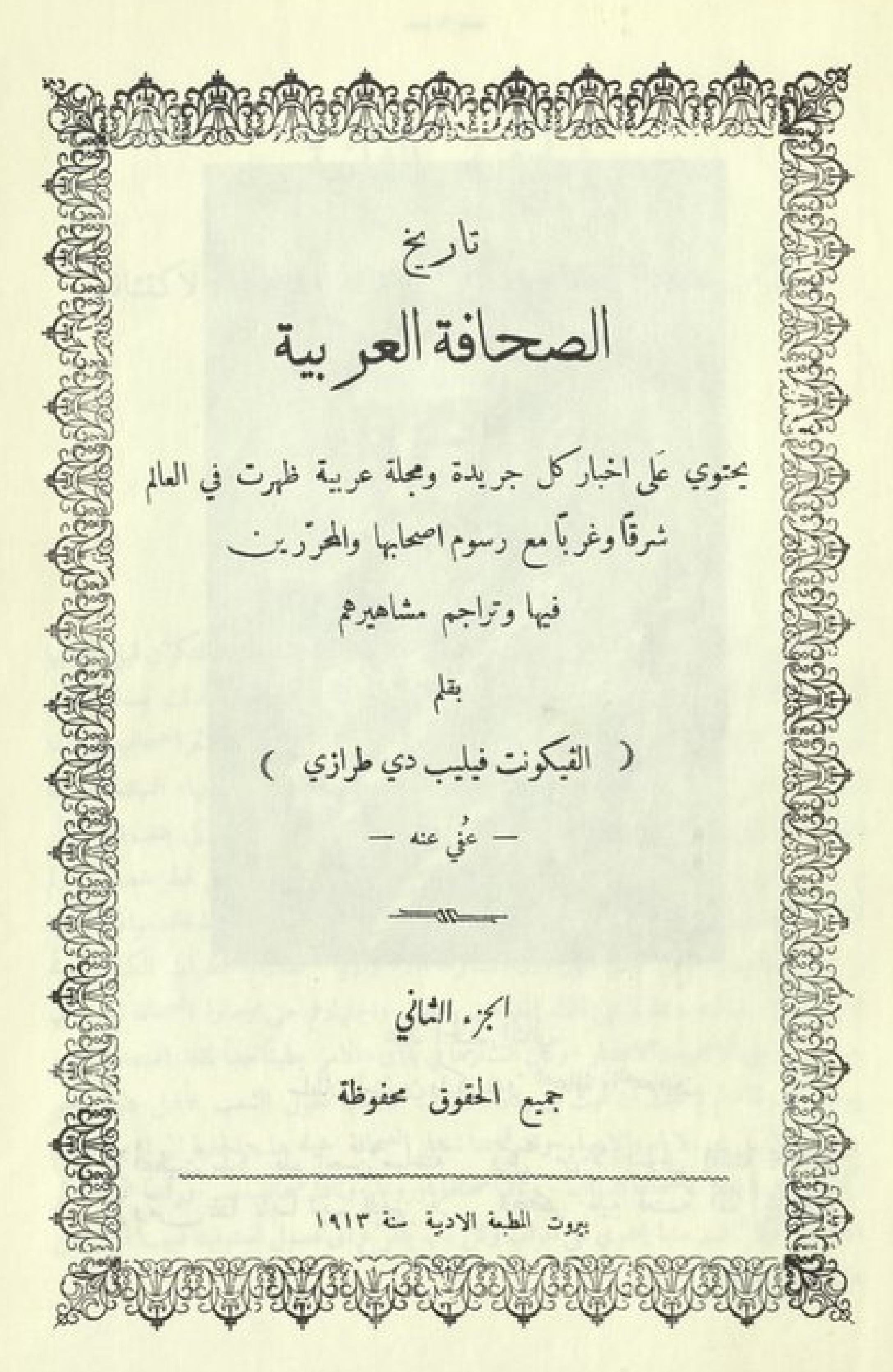
الجزء الاول من تاريخ الصحافة العربية

صفحة

فهرس عام

لجميع موادّ الجزء الاوّل من تاريخ الصحافة العربية

علَى ترتيب الحروف الهجائية



تاريخ

الصحافة العربية

يحتوي على اخبار كل جريدة ومجلة عربية ظهرت في العالم
شرقاً وغرباً مع رسوم اصحابها والمحرّرين
فيها وتراجم مشاهيرهم

بقلم

(الفيكونت فيليب دي طرازي)

— عُني عنه —

الجزء الثاني

بيروت المطبعة الادبية سنة ١٩١٣



عبد الحميد الثاني

سلطان العثمانيين واكبر عدوٍ للصحافة والصحافيين

(أعطيتُ ملكاً فلم أحسِنْ سياستَهُ   وكلُّ مَن لا يسوسُ الملكَ يخلعهُ)

(ومَن غدا لابساً ثوبَ النعيمِ بلا   شكرٍ عليهِ فعنهُ اللهُ ينزِعهُ)

الحقبة الثانية

تمتدُّ من تاريخ افتتاح قناة السويس الى التذكار المئوي الرابع لاكتشاف العالم الجديد

١٨٦٩ - ١٨٩٢

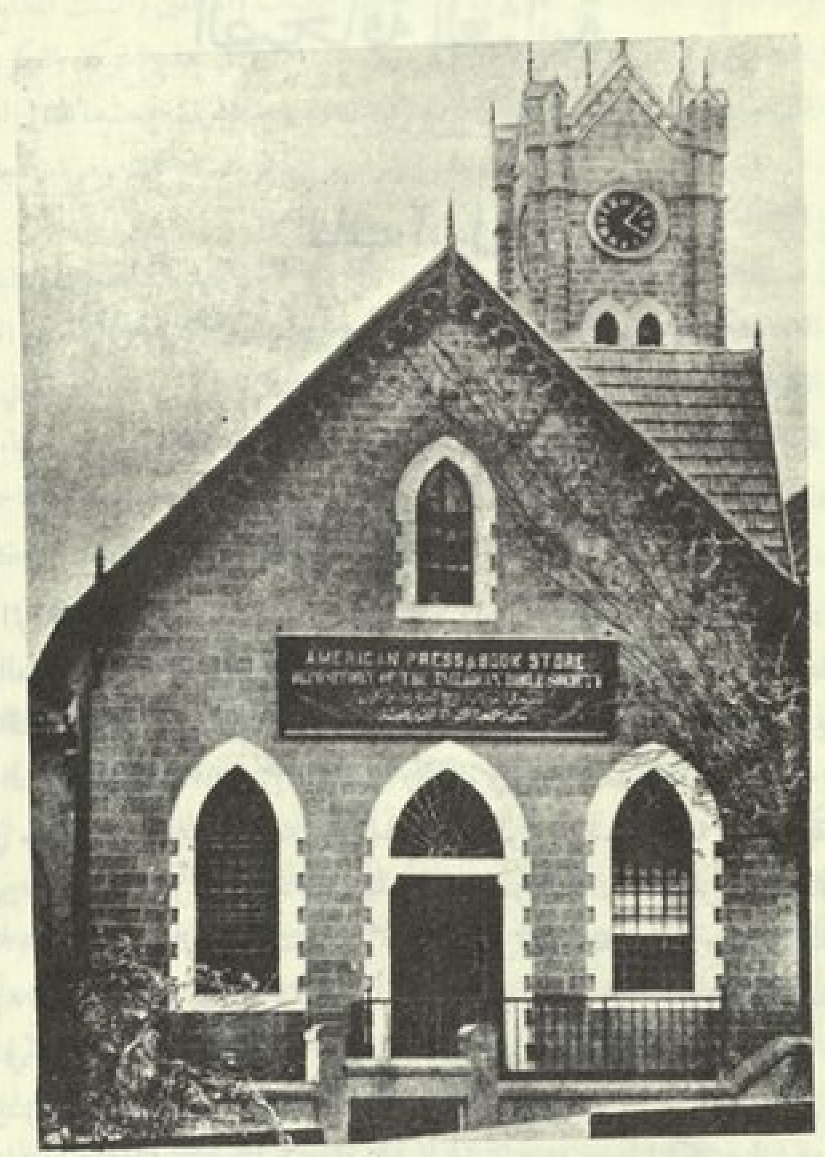
المقدمة

كانت الصحافة في الحقبة الاولى شبيهةً بالجنين اذ قضي عليها بالتخلق والتكوُّن قبل تخطيها الى دور الانتشار الذي تحرَّينا البحث عنه في هذه الحقبة الثانية. وتسهيلاً لذلك نبسط الكلام عن صحافة كل مملكة او كل قطر على حدةٍ مبتدئين بالدولة العثمانية. لان اكثر الصحافيين في هذا الدور كانوا من العثمانيين لاسيما ابناء سوريا الذين يرجع اليهم الفضل في احياء النهضة العربية والحركة الفكرية شرقًا وغربًا. وسنتبع هذا الاسلوب في الادوار اللاحقة كي يقف القراء عَلَى سُنَّة التدريج الطبيعي الذي رافق تاريخ الصحافة العربية في العالم عمومًا وفي كل قطر خصوصًا. ولم يكن للصحافة في سنة ١٨٧٠ شأن يذكر حتى قيَّض الله لها رجالاً من ذوي النشاط فاقدموا عَلَى انشائها وهم عالمون بالصعوبة التي كانت تحول دون انتشارها ماديًا وادبيًا. فصادفوا العقبات الكثيرة في اول عهدها. ولكنهم تغلبوا على تلك المصاعب بثباتهم واجتهادهم حتى اوصلوا الصحافة الى ما هي عليه الآن من الاهمية والاعتبار. وكان انتشارها في بادىء الامر بطيئًا جدًا لقلة استعداد القوم يومئذٍ لقبولها. ثم لم تلبث ان هبَّت من رقادها واثارت بنبراسها عقول الشعب فأقبل عليها وهو يزيد إقبالاً عَلَى ممر الايام والاعوام. وقد قسمنا اخبار الصحافة في هذه الحقبة الى اربعة اقسام كبرى وهي: اولاً الصحافة العثمانية. وثانيًا صحافة اوروبا. وثالثًا صحافة مصر. ورابعًا صحافة سائر الاقطار. وكلُّ قسم منها يحتوي على ابواب وكل باب يتفرَّع الى فصول استوفينا فيها البحث عن هذا الموضوع الجلل

ومن الامور الجديرة بالذكر هو انه بين الجرائد والمجلات التي ظهرت في الحقبتين الاولى والثانية أُتيح لاكثر من ثلاثين صحيفة ان تعيش شوطاً بعيداً من العمر · ولما كان ثلاثة ارباعها لم يزل حيّاً حتى الآن فقد جعلنا نجمة صغيرة بجانب الصحف التي احتجبت تمييزاً لها عن سواها وهي : اولها واقدمها عهداً « الوقائع المصرية » المؤسسة عام ١٨٢٨ في القاهرة بلغت اليوبيل الالماسي · واربع منها تجاوزت عيدها الذهبي اي خمسين سنة وهي : المبشر (١٨٤٧) في مدينة الجزائر بشمال افريقيا · ثم حديقة الاخبار * (١٨٥٨) في بيروت · والرائد التونسي (١٨٦١) في تونس · وسوريا (١٨٦٥) في دمشق · ويمكن ان يضاف اليها جريدة « النشرة الاسبوعية » التي قامت على انقاض جريدتي « النشرة الشهرية » المؤسسة عام ١٨٦٦ و « اخبار عن انتشار الانجيل » التي صدرت عام ١٨٦٣ في بيروت

واليك اسماء بقية الصحف التي بلغت خمساً وعشرين سنة فما فوق على ترتيب اعوام ظهورها وهي: الجوائب * (١٨٦٠) في القسطنطينية · لبنان (١٨٦٧) في لبنان · فرات (١٨٦٨) في حلب · اعمال شركة مار منصور (١٨٦٨) في بيروت · الزوراء (١٨٦٨) في بغداد · النحلة * (١٨٧٠) في بيروت ولندن والقاهرة · البشير (١٨٧٠) في بيروت · طرابلس الغرب * (١٨٧٠) في طرابلس الغرب · ثمرات الفنون * (١٨٧٥) في بيروت · المقتطف (١٨٧٦) في بيروت والقاهرة · الاهرام (١٨٧٦) في الاسكندرية والقاهرة · الطبيب (١٨٧٧) في بيروت · ابو نظاره * (١٨٧٧) في القاهرة وباريس · الوطن (١٨٧٧) في القاهرة · لسان الحال (١٨٧٧) في بيروت · صنعا (١٨٧٩) في اليمن · المصباح * (١٨٨٠) في بيروت · المحروسة (١٨٨٠) في الاسكندرية والقاهرة · الاتحاد المصري (١٨٨١) في الاسكندرية · الموصل (١٨٨٥) في الموصل · الصفا (١٨٨٦) في بيروت ولبنان · اللطائف * (١٨٨٦) في القاهرة · بيروت الرسمية (١٨٨٦) في بيروت · الحقوق (١٨٨٦) في القاهرة · الحاضرة * (١٨٨٧) في تونس · الزهرة (١٨٨٩) في تونس · المقطم (١٨٨٩) في القاهرة · المؤيد (١٨٨٩) في القاهرة

فيتضح مما سبق بيانه انّ اطول الصحف العربية عمراً بلغ عددها اربعاً وثلاثين جريدة ومجلة منذ ظهور الصحافة الى الآن · منها تسع صحف احتجبت ودخلت في خبر كان · وخمس وعشرون لم تزل منتشرة في الوقت الحاضر · ولا يستثنى منها سوى مجلة « اعمال شركة مار منصور » التي تحوّلت الى برنامج سنوي · وبهذه الصفة يمكن اعتبارها صحيفة دَوْرية كما لا يخفى · نسأل الله سبحانه ان يوفقنا لخدمة الادب واعلاء منار لسان العرب · وهو وليّ التوفيق والاحسان انه الكريم المنان



رسم المطبعة الأميركية

المؤسسة في بيروت سنة ١٨٣٤ بعناية الدكتور عالي سميث

الصحافة العثمانية

الباب الاول

يشتمل على اخبار كل الجرائد والمجلاَّت في مدينة بيروت

الفصل الاول

اخبار جرائد بيروت في سنة ١٨٧٠

عَلَى اثر المذابح الفظيعة التي جرت في سوريا سنة ١٨٦٠ ولطخت وجه الانسانية بمداد العار حضرت العساكر الفرنسوية الى بيروت لمساعدة الدولة العثمانية على تأييد الراحة والاقتصاص من الثائرين الذين عاثوا في البلاد شراً. و بعد انسحاب العساكر المذكورة اخذت الحركة الفكرية تنتعش في روح السوريين فانشأُوا المدارس الابتدائية والعالية في بيروت لتعليم الناشئة الحديثة. ولم يكن حينئذٍ في سوريا كلها مدرسة كبرى سوى مدرسة عينطورا المؤسسة عام ١٨٣٤ بعناية الآباء اللعازريين. واول من شمَّر عن ساعد الهمة لهذه الغاية الشريفة كان المعلم بطرس البستاني الذي انشأ سنة ١٨٦٣ «المدرسة الوطنية» الشهيرة. ثم غريغوريوس الاول بطريرك الروم الكاثوليك الذي اسس عام ١٨٦٥ «المدرسة البطريركية». ثم المرسلون الاميركان الذين نقلوا سنة ١٨٦٦ مدرستهم المؤسسة في عبيه عام ١٨٤٦ الى بيروت وسموها «المدرسة الكلية السورية الانجيلية». فاقتدى الآباء اليسوعيون بمثلهم وافتتحوا سنة ١٨٧٥ «كلية القديس يوسف» التي شيدوها في بيروت عَلَى انقاض مدرستهم القديمة في غزير. وفي تلك السنة قامت «مدرسة الحكمة» لمطران يوسف الدبس الماروني ثم «المدرسة الاسرائيلية» على يد الحاخام زاكي كوهين. وظهر ايضاً غيرها من المدارس الثانوية التي نضرب عنها صفحاً لكثرتها كمدرسة «ثلاثة الاقمار» للروم الارثوذكس سنة ١٨٦٢ ثم «المدرسة السريانية» بادارة الدكتور لويس صابونجي سنة ١٨٦٤

وكانت الحكومة الفرنسية تمدُّ بالمال المدارس الكاثوليكية منها كما ان الجمعيات البروتستانية كانت تجود على المدارس الانجيلية بسخاء وافر. وكان التلامذة يؤمون هذه المعاهد العلمية من بيروت

ولبنان وسائر جهات بلاد سوريا ومصر وقبرص وارمينيا والاستانة وما بين النهرين والعراق وسواها.
هكذا تفجرت ينابيع المعارف وفي وقت قصير كثر عدد الكتّاب والمؤلفين وأنشئت المطابع ودخلت البلاد في عصر جديد من الرقي والفلاح . وكان النصيب الاوفر في هذه الحركة الفكرية للصحافة البيروتية التي جابت البلاد طولاً وعرضاً واثارت الشعب بمصباح المعارف . وحسبنا القول ان عدد الصحف التي ظهرت عام ١٨٧٠ في بيروت وحدها بلغ سبعاً بين جريدة او مجلة . وهو امرٌ جدير بالذكر في تاريخ الصحافة العربية

كان السلطان عبد العزيز اكبر عامل عَلَى تنشيط الآداب لاسيما بعد ما شاهد بعينهِ واختبر بذاتهِ حضارة الغربيين اثناء رحلتهِ المشهورة عام ١٨٦٧ الى معرض باريز بدعوة مخصوصة من الامبراطور نابليون الثالث . وكان خديو مصر اسمعيل باشا الموصوف بالكرم الحاتمي شديد الرغبة في الاقتداء بالخلفاء العباسيين الذين كانوا يقرّبون اليهم العلماء والشعراء . فاخذ يقتفي آثارهم لاحياء الآداب العربية ويجود بالعطايا عَلَى ائمة الصحافة لاسيما عَلَى بطرس البستاني عميدهم في بيروت واحمد فارس الشدياق زعيمهم في الاستانة . وكانت مصر قبل تقدم صحافتها تلجأ الى صحف تركيا لمعرفة الاخبار

فلما اعتلى عبد الحميد الثاني اريكة الدولة العثمانية كانت الصحافة مطلقة الحرية تنشر الانباء على علاّتها زيناً كان او شيناً . وتنتقد اعمال الحكومة ومأموريها حتى انها لم تشفق على السلطان نفسه . وناهيك انّ جريدة الجوائب في الاستانة وصحف الجنان والجنة والبشير والتقدم وثمرات الفنون في بيروت كانت بلا ادنى خوف تنشر المقالات الضافية الذيل عن مواقع الخلل في تركيا . بل انها كتبت صريحاً عن مقتل الوزراء في دار الخلافة وذكرت خلع السلطانين عبد العزيز ومراد الخامس عن سرير الملك واذاعت خبر انتصار الروس سنة ١٨٧٧ عَلَى العساكر العثمانية . غير ان السلطان عبد الحميد الذي لم يكن يهمهُ من كل امور السلطنة الا صيانة حياته خشي سوء العاقبة من دولة الجرائد وصولة كتّابها . فاصدر امراً بتقييد حريتها وضيق عليها المراقبة حتى صارت جسماً بلا روح . فما كانت تنشر سوى ما يطيب للسلطان المشار اليه من الفاظ التفخيم والتعظيم والتمجيد في مدح عدالتهِ الموهومة عَلَى رغم مظالمهِ واستبداده وسوء ادارتهِ التي كادت تجر الخراب عَلَى المملكة لولا لطف الباري سبحانه كما سترى . ومن الطف الاقوال في وصف مراقب الجرائد في تركيا ما نظمهُ احمد شوقي شاعر خديو مصر بهذا المعنى وهو :

لو ابتلى اللهُ بهِ عاشقاً	ماتَ بهِ لا بالجوى والولَهْ
لو دام للصحفِ ودامت لهُ	لم تنجُ منهُ الصحف المنزلَهْ
لو خال «بسم الله» في مصحفٍ	تغضب تحسبنا من البسملهْ

وعزّةُ اللهِ بلا « عزتٍ »   لا ينفع القارئ، ولا خردلة

هكذا سئمت نفوس الادباء فهاجر اكثرهم الى مصر والبلاد الاجنبية حيث انشأوا الصحف المعتبرة كما جرى لرزق الله حسون والدكتور لويس صابونجي في لندن · وكما جرى لجبرائيل دلال وخليل غانم وميخائيل عورا ويوسف حاج والامير امين ارسلان في باريس · ومنهم انطون فارس وعقل بشعلاني في مرسيليا ووديع كرم في طنجه ويوسف باخوس في غلياري · ومثل ذلك فعل سليم بك نقلا وبشاره باشا نقلا واديب اسحق وسليم نقاش وخليل نقاش وروفائيل زند وعزيز بك زند ورشيد شميل وخليل زينيه والشيخ نجيب الحداد والشيخ امين الحداد وعبده بدران وطانيوس عبده ويعقوب نوفل ونجيب ابرهيم طراد والشيخ شاهين الخازن والشيخ نسيم العازار وحنا جاويش وسبع شميّل في الاسكندرية · ثم نذكر انيس خلاط والدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر وشاهين مكاريوس والشيخ ابرهيم اليازجي والشيخ خليل اليازجي وسليم بك عنحوري وسليم فارس وجرجي بك زيدان ومحمد رشيد رضا ونقولا بك توما وامين شميل وامين بك ناصيف والدكتور شبلي شميل وحبيب فارس وديمتري نقولا وسليم مركيس ومحمد سلطاني ومحمد كردعلي وابرهيم نجار وايوب عون والدكتور اديب زيات والدكتور بشاره زلزل ونجيب جاويش وامين شدياق واسكندر شاهين والشيخ يوسف الخازن وفرح انطون ويوسف آصاف وسواهم في القاهرة · اخيراً نضيف الى هولاء جميع ارباب الصحف في اميركا الشمالية والجنوبية وهم يُعدون بالعشرات فضلاً عن مشاهير الكتبة الذين كانوا يساعدون كلاً من ذكرنا في التحرير والتحبير ونضرب صفحاً عن سرد اسمائهم لكثرتهم · فانهم قاطبةً تركوا البلاد العثمانية كي يخدموها بصدق في جرائدهم ويكونوا آمنين على حياتهم من غدر السلطان عبد الحميد واعوانه

الزهرة

نشرة اسبوعية ذات ثماني صفحات صغيرة انشأها في غرّة كانون الثاني ١٨٧٠ يوسف الشلفون على عهد راشد باشا والي سوريا · وهي تتضمن فصولاً تاريخية ونكتاً ادبية وفوائد عملية واخباراً مستظرفة بقلم منشئها وبعض حملة الاقلام السوريين · فعاشت حولاً كاملاً وصدر آخر اعدادها في ٢٤ كانون الاول للسنة المذكورة · ثم خلفتها مجلة « النجاح » التي سيأتي ذكرها · واخصّ الذين كتبوا فيها هم : الشيخ ابرهيم اليازجي وفرنسيس مرّاش والسيد محمد سعيد دجاني وسليم بك نقلا وسليم نقاش واسعد طراد والدكتور بشاره زلزل وابرهيم الحوراني وابرهيم مشاقه وشاكر شقير وسليم الخوري وداود كنعان ونخله جربديني · وقد روى غلطاً عيسى اسكندر المعلوف في مقالته عن « الصحافة العربية » ان القس لويس صابونجي ويوسف الشلفون اصدرا الزهرة بالشركة (راجع



﴿ يوسف الشلفون ﴾

منشئ جريدة «الزهرة» و«التقدم» و«النجاح» و«الشركة الشهرية»

(رسمهُ في سنة ١٨٧٠)

مجلة النعمة: سنة ٢ صفحة ٧١٩) فاقتضى التنويه والتنبيه. وقد نظم الشاعر البيروتي الحاج حسين بيهم قصيدة في مدح هذه الجريدة نورد منها الابيات الآتية:

صاح نورُ «الزهرة» الغرَّاء لاحْ — في ربى بيروتَ فازداد الفلاحْ
يا لها من نشرةٍ قد نشرتْ — نشرَ طيبٍ طاب نشراً حينَ فاحْ
أزهرت أغصانها بل اثمرت — بفكاهاتٍ وجدٍّ ومزاحْ
قطفت من كل فنٍ ثمراً — فيهِ تغني الروحُ عن اقداح راحْ

﴿ المهماز ﴾

هو عنوان نشرة دينية ادبية تاريخية روائية ذات ثماني صفحات بحجم صغير ظهرت في ٢٥ شباط ١٨٧٠ مرّتين في الشهر لمنشئها خليل عطيه اللبناني. وكانت معتدلة المشرب تحتوي على شذرات مفيدة ونصائح حكمية واشعار لطيفة. وفي ١٢ آب للسنة ذاتها احتجبت بعد صدور العدد الثاني عشر منها. وقد طبعها صاحبها في المطبعة الزبكية وصدَّرها بهذين البيتين:

يا باذلاً بجنى الفوائد جهده ُ إن شئت ان تغنى عن الاعواز ِ

فالى السباق على مطهم همة ٍ وطنية ٍ وعليك بالمهماز ِ

ولما ظهرت جريدة «الهدية» لجمعية التعليم المسيحي الارثوذكسي عام ١٨٨٣ تولى خليل عطيه كتابة فصولها مدة سنتين كاملتين كما افادنا المحامي البارع الياس بن جرجس طراد. وتوفي رحمه ُ الله بعد التاريخ المذكور بزمن قليل

الجنّة

صحيفة اسبوعية سياسية تجارية ادبية انشأها في ١١ حزيران ١٨٧٠ سليم ابن المعلم بطرس البستاني. وكان عنوانها محاطاً بغصنين من ورق الغار يعلوهما رسم الهلال والنجمة كما كثر الصحف العثمانية في ذاك العهد. والى جانبي العنوان اسماء وكلاء الجريدة ومحلات الاشتراك في الجهات. وقد اشتهرت هذه الصحيفة بصدق المبدأ وانتقاء الاخبار الصحيحة وجلب الانباء البرقية لحسابها الخاص عند اللزوم. وكان التجار يعوّلون عليها في اسعار التجارة وسوق القراطيس المالية والحوادث السياسية. وفي الشهر الثاني من ظهورها صارت تصدر مرتين في الاسبوع بمطبعة المعارف الى غرّة كانون الاول ١٨٨١ فصارت تُطبع في المطبعة الادبية لمنشئها خليل سركيس. وحينئذٍ جرى الاتفاق بين المعلم بطرس البستاني منشىء «الجنان» وسليم البستاني مدير «الجنة» وخليل سركيس صاحب «لسان الحال» على ضم هذه الصحف الى ادارة واحدة ومطبعة واحدة. فاستلم خليل سركيس ادارتها وفُوّض اليه امر طبعها وتوزيعها وحساباتها. وانما بقيت كتابة كل صحيفة متعلقة بصاحبها الاصلي كما كانت سابقاً. وبعد وفاة سليم البستاني في ١٣ ايلول ١٨٨٤ تحوّل امتياز الجنة الى اخيه نجيب الذي اصدرها مدّة حولين كاملين. ثم اوقفها باختياره مودّعاً الصحافة التي خدمتها الاسرة البستانية نحواً من خمسٍ وثلاثين سنة بما لا يوصف من الغيرة والصدق واعتدال المشرب

وسبب ذلك انه لما اشتدّت المراقبة على الجرائد في سوريا اغتاظت الحكومة من نجيب البستاني لنشره ترجمة مدحت باشا زعيم الاحرار العثمانيين. فاصدرت الاوامر بتعطيل جريدة «الجنة» ومجلة «الجنان» مما الحق بصاحبهما خسارة كبيرة. ولما كانت الصحيفتان المذكورتان قد عُرفتا بالدفاع عن حقوق العثمانيين والضرب على ايدي المفسدين أبت نفس صاحبهما ان يجعلهما آلةً في ايدي مأموري المطبوعات او هدفاً للاهواء. فتوقف عن اصدارهما رغماً من صدور الارادة السلطانية بالعفو عنهما بمساعي نامق باشا شيخ الوزراء وسعيد باشا ناظر الخارجية سابقاً في عاصمة الدولة. وبالاجمال فانّ هاتين الصحيفتين كانتا في عهدهما من ارقى الصحف العربية واكثرهنّ نفعاً واعظمهنّ انتشاراً. وقد عاشتا نيفاً وست عشرة سنة ولم تزل فوائدهما مذكورة بكل شفة ولسان. ونظم الحاج حسين بيهم

قصيدة في مدح جريدة « الجنة » عند اوَّل ظهورها ثم ختمها بتاريخين اولهما على الحساب الهجري وثانيهما عَلَى الحساب الميلادي . فاحببنا أن نجعلها مسك الختام لاخبار هذه الجريدة المعتبرة . وقد ضمنها ناظمها اسما. كل الصحف العربية التي كانت منتشرة في ذلك الحين وهي مطبوعة بين قوسين :

أَلا يابني الاوطان عوجوا « لجنةٍ » — لاخبارها بالصدقِ الطفُ رنةِ
« حديقة اخبارٍ » « جوائب » حكمةٍ — « جنان » معانٍ لفظها شهد « نحلةٍ »
« وقائعها » « كالنيل » عذبٌ « فراتها » — تفضلها « الزوراء » عن بحر دجلةِ
« كروضة » علمٍ قد غدت « لمدارسٍ » — « ورائدها » يهدي لنا نشرَ « زهرةٍ »
« بسورية » الفيحاء يعبقُ نشرها — وبالشرقِ ثمَّ بالغربِ فازت بشهرةٍ
لمنشئها العلاَّمةِ الشهم شهرةٌ — بخدمتهِ الاوطان في كلِّ لحظةِ
يغارُ عَلَى نشر المعارف في الورى — ويجهدُ في تكثير انواع صنعةِ
ويندبنا للإتحاد الذي بهِ — وبالجدِّ لا نحتاجُ بعدُ لأُمةِ
بظلِّ مليك العصر سلطاننا الذي — بدولتهِ للعلم اعظمُ دولةِ
عدالته الغرَّاء مدَّت رواقها — علينا فصرنا في أمانٍ وبهجةِ
فلا زالت الاقطارُ تزدادُ رونقاً — بايامهِ ما طابَ قارىء « نشرةٍ »
وما قال مَن تهدي لعلمٍ « جنانهُ » — « وجنتهُ » تهدي لنا كلَّ طرفةِ
أَلا استمعوا ارِّخ لاخبار جنةٍ — وتاريخها يلفى كألطف غرَّةِ
سنة ١٢٨٧ هجرية — سنة ١٨٧٠ ميلادية

﴿ البشير ﴾

صحيفة كاثوليكية دينية اخبارية اسبوعية أنشأها الاب امبروسيوس مونو رئيس الآباء اليسوعيين في سوريا عَلَى أنقاض مجلة « المجمع الفاتيكاني » في ٣ ايلول ١٨٧٠ لخدمة الطوائف المسيحية الكاثوليكية الشرقية . وقد اتخذ كلمات السيد المسيح « تعرفون الحق والحق يحرّركم » شعاراً لها . ويعدُّ البشير من ارق الجرائد التي يُركن الى صحة اخبارها وصفاء مبادئها واخلاص خدمتها للآداب والعلم والوطن . وكان في اول عهده صحيفة صغيرة تحتوي عَلَى ثماني صفحات بقطع « النشرة الاسبوعية » للمرسلين الاميركان . ثم تحوَّل في ٢ كانون الاول ١٨٧٢ الى جريدة منشورة باربع صفحات متوسطة . وما زال ينمو شيئاً فشيئاً حتى صار من اكبر الصحف حجماً واكثرها اخباراً وأشدها اتقاناً . ومنذ ٣ كانون الثاني ١٩١١ صار يظهر مرَّتين في الاسبوع بعد ما لبث اسبوعياً



رسم عنوان البشير في اوائل عهده

احدى واربعين سنة كاملة. وفي ٣ كانون الثاني ١٩١٣ صدر ثلاث مرات في الاسبوع مع بقاء قيمة الاشتراك فيه كما كانت في عهده الاسبوعي

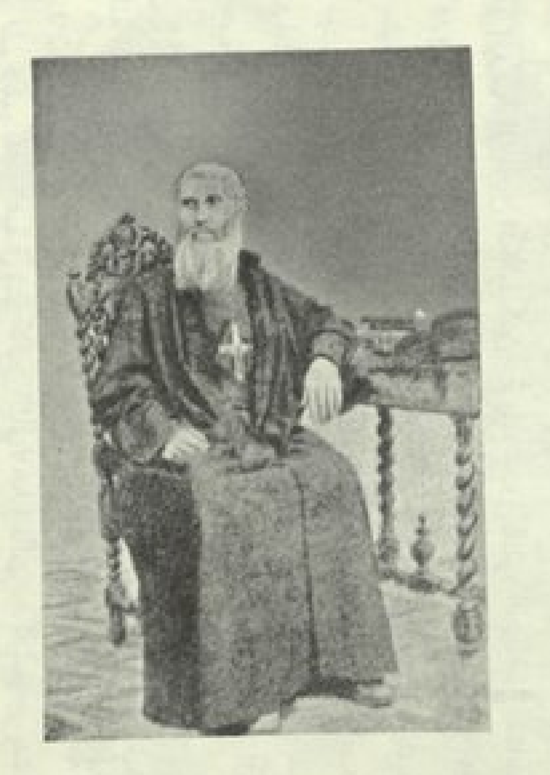
وبقي ١٥ سنة يصدر بالحرف الاميركاني حتى أبدله في ١٦ نيسان ١٨٨٤ بالحرف القسطنطيني. وقد برز في فرص شتى بمظهر جميل يروق للابصار بنقوشهِ البديعة ورسومهِ الفاخرة التي لم يُعهد لها مثيل في سائر الصحف العربية حتى الآن. واخص اعداده الممتازة التي تستحق الذكر هي التي صدرت في المواعيد الآتية: (١) اليوبيل الذهبي سنة ١٨٨٧ لكهنوت البابا لاون الثالث عشر. (٢) اليوبيل الذهبي الاسقفي سنة ١٨٩٣ للحبر الاعظم المشار اليهِ. (٣) اليوبيل الفضي سنة ١٨٩٥ لتأسيس جريدة البشير. (٤) اليوبيل الفضي سنة ١٩٠٢ لارتقاء لاون الثالث عشر الى السدة البطرسية. (٥) جلوس البابا بيوس العاشر سنة ١٩٠٣ على العرش الرسولي. (٦) اليوبيل الذهبي في السنة المذكورة لتأسيس المطبعة الكاثوليكية. (٧) العيد الخمسيني سنة ١٩٠٤ لاعلان عقيدة الحبل بلا دنس. (٨) اليوبيلان الكهنوتي الذهبي والاسقفي الفضي سنة ١٩٠٨ للبابا بيوس العاشر. (٩) اليوبيل الفضي الاسقفي سنة ١٩١٢ للسيد اغناطيوس افرام الثاني بطريرك السريان الانطاكي

واليك اسماء الآباء اليسوعيين الذين تولوا ادارة البشير من يوم نشأتهِ حتى الآن مع تواريخ السنين: الاب يوحنا بلو (١٨٧٠ — ١٨٧٤) والاب يوسف روز (١٨٧٥ — ١٨٧٦) والاب فيلبس كوش (١٨٧٧) والاب لويس ابوجي (١٨٧٨ — ١٨٧٩) والاب جرمانس درويرتوله (١٨٨٠) والاب فيلبس كوش للمرَّة الثانية (١٨٨١) والاب بطرس ماليه (١٨٨٢) والاب



الاب لويس ابوجي

مدير جريدة البشير (١٨٧٨ — ١٨٧٩) و(١٨٨٥)



الاب فيلبُّس كوش

مدير جريدة البشير (١٨٧٧ و١٨٨١)

سليمان غانم (١٨٨٣—١٨٨٤) والاب لويس ابوجي للمرّة الثانية (١٨٨٥) والاب سليمان غانم للمرّة الثانية (١٨٨٦ — ١٨٩٠) والاب انطون صالحاني (١٨٩١ — ١٨٩٣) والاب هنري لامنس (١٨٩٤) والاب انطون صالحاني للمرّة الثانية (١٨٩٥—١٨٩٩) والاب هنري لامنس للمرّة الثانية (١٩٠٠ — ١٩٠٢)والاب انطون رباط (١٩٠٣—١٩٠٦) والاب لويس معلوف (١٩٠٦ — ٠٠٠٠) وهو المدير الحالي . وكنا نودُّ نشر رسوم جميع مدراء البشير منذ نشأتهِ الى الزمان الحاضر تقديراً لفضلهم وتخليداً لذكرهم . ولكن حال دون ذلك امتناع الاحياء منهم عن تلبية رغبتنا محافظةً عَلَى قانونهم الرهباني . ولم نحصل بعد الجهد الاَّ عَلَى رسوم بعض الاموات منهم مع رسم قديم لاحد الاحياء الذي وجدناه عند عائلته

وكان لهولاء الآباء مساعدون في التحرير بعض افاضل الكتبة الذين نذكر منهم : المعلم جرجس زوين (١٨٧٠ — ١٨٧٦) والخوري يوسف البستاني (١٨٧٧ — ١٨٨١) وخليل البدوي (١٨٨٢—١٨٩٠) ورشيد الشرتوني (١٨٩١—١٩٠٧) وانطون الجميّل (١٩٠٨) والخوري بولس طعمه (١٩٠٩—٠٠٠٠) وهو المحرر الحالي

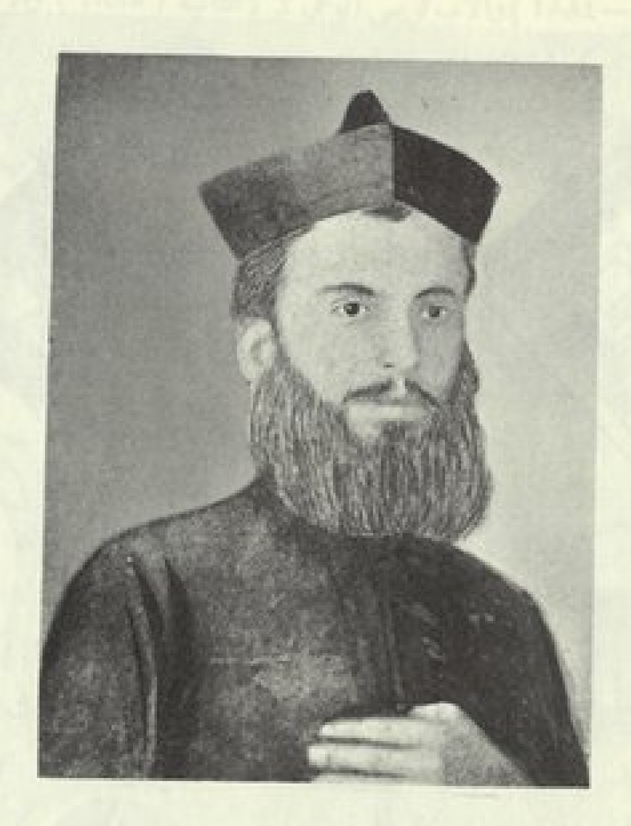
وعام ١٨٧٨ نشرت ادارة البشير بعناية الاب بطرس دمياني اليسوعي تقويماً سنوياً يُعرف باسم « تقويم البشير » لا يزال يتزايد كل سنةٍ كمالاً واتقاناً . وقد حسَّنهُ بعد ذلك الأبوان انطون رباط ولويس معلوف اليسوعيان وزادا في حجمهِ وزيناهُ بالرسوم الفاخرة . وقد وصفتهُ مجلة « المسرة » اللبنانية (سنة ٢ جزء ١٢) بقولها :

« فهو يتضمن جداول عديدة لمعرفة الايام والاسابيع والشهور والاعياد والصيامات الخ . ثم يذكر الرؤساء الروحيين الكاثوليكيين . ثم يليهِ جدول للنقود العثمانية مع مقابلتها مع اهم النقود الاوربية . ثم جدول للمساحات والعيارات والمعدودات المترية مع فوائد لتحويل النقود والمعدودات . ثم يعقبه نظر في التقسيمات الادارية في الدولة العلية مع ذكر قناصل الدول الاجنبية والمديرين واخص المأمورين في الادارات والشركات في الدولة . ثم فوائد شتى في البوسطة والتلغراف والجرائد والمجلات . وقد امتاز بنوع اخص بوضع جدول شامل يتضمن السنين الهجرية وما يقابل بدء كل منها في السنين المسيحية مع امثاله وفوائد صحية وعلمية وفكاهية الى غير ذلك مما يجعل هذا الكتاب الذي يشتمل عَلَى ٢١٥ صفحة كاملاً في بابهِ . ويكفيهِ مدحاً ان نقول عنهُ بلا مراءٍ أحسن تقويم يصدر في اللغة العربية . واننا لا يمكننا ان نجد في كتاب سواه الافادات التي نجدها فيهِ »

ومن احسن الشهادات التي يُركن الى صدق ينبوعها وثقة روايتها عن نزاهة مبدإِ البشير ما روتهُ جريده « سورية » الرسمية في شهر كانون الثاني ١٨٨٧ قالت : « البشير جريدة قديمة ... لا تكتب في سياق الاخبار السياسية وحوادث العالم شيئاً مضرًّا بحق الدولة والملة اصلاً »



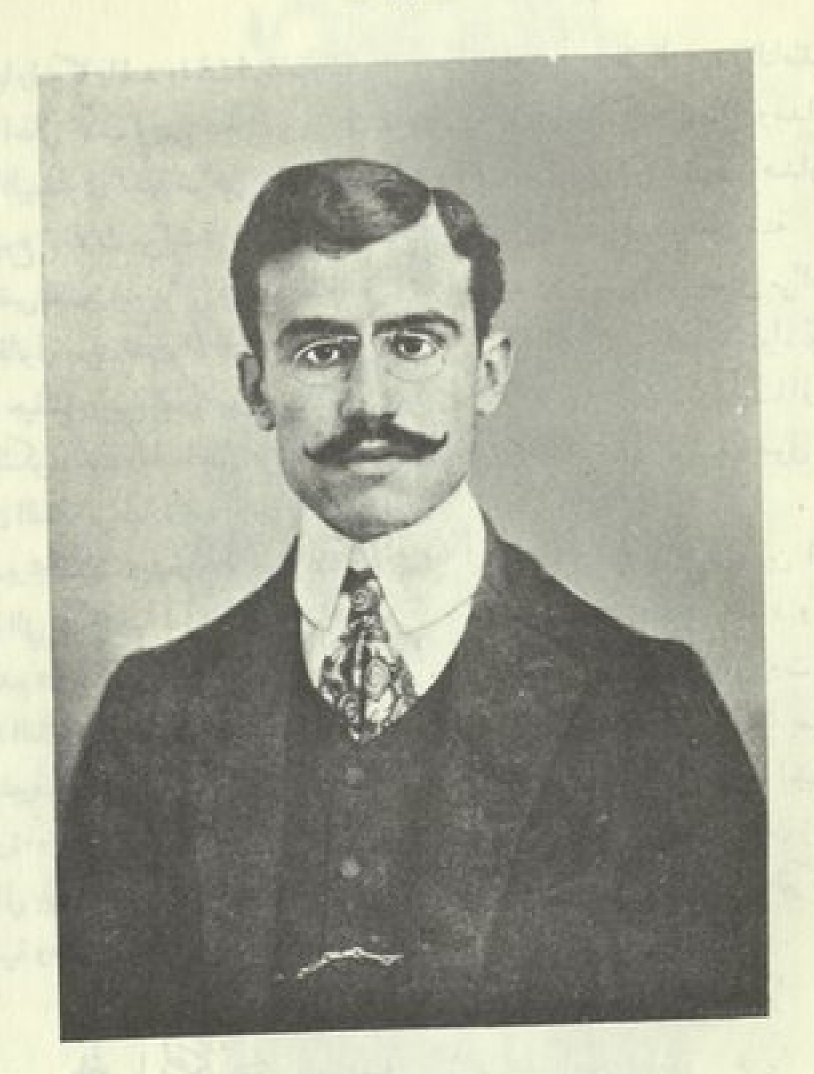
ابنية كلية القديس يوسف للآباء اليسوعيين في بيروت : «١» المكتب الطبي «٢» الكلية «٣» الكنيسة «٤» الرواق الاعلى «٥» المشى الاوسط «٦» المكتبة الكبرى «٧» المطبعة «٨» الاب امبروسيوس مونو مؤسس جريدة «البشير» ومنشئ الكلية «٩» الاب باليوهندس الكلية



الأب انطون ربأط
مدير جريدة البشير (١٩٠٣ — ١٩٠٦)

ولما نشبت الحرب في طرابلس الغرب بين الدولة العثمانية وايطاليا سنة ١٩١١ و ١٩١٢ أصدر ناظر الحربية العثمانية امراً منع فيه الجرائد عن نشر المعلومات المتعلقة بالدفاع الوطني · فتخيل للمجلس العرفي في بيروت ان جريدة « البشير » خالفت الامر المذكور · فحكم على مديرها المسؤول بدفع ستين ليرة عثمانية و بتعطيلها لمدة الحرب · ولكنّ حازم بك والي بيروت قد وجد هذا القرار شديداً · فطلب فسخه من الاستانة واستحصل عليه ثم عادت الجريدة الى الانتشار · وفي مدة تعطيلها صدرت باسم « صدى البشير » في ٤ حزيران ١٩١٢ وقد ظهر منها عددان فقط

واشتهر البشير بصدق الرواية وجرأة الكتابة في كل ادوار حياته · وكان في اول ظهوره مكتوباً بعبارة ركيكة مثل بقية صحف ذلك العهد · وكانت مواضيعه تتناول المسائل الدينية وبعض الحوادث المحلية وسائر اخبار الكون التي لها علاقة بالدين · وكان لايطالعه سوى جماعة الكاثوليك دون غيرهم · فلما تولى الاب سليمان غانم اللبناني اليسوعي ادارته كان خليل البدوي قائماً بشؤونه



انطون الجميّل

موءسس مجلة « الزهور » في القاهرة وأحد محرري « البشير » و« الاهرام » سابقاً

التحريرية . فانعش كلاهما روحاً جديدة في البشير ووسعا نطاق مباحثه وحسنًا عبارته ومواضيعه حتى صار يطالعهُ الكاثوليكيون وغير الكاثوليكيين . وعلى اثرهما جرى مديرو الجريدة والمحررون فيها الى الزمان الحاضر . وصارت نسخ البشير تباع بكثرة كسائر الصحف السيارة في اسواق بيروت والجهات . والذي ساعد على نجاحه تسليم ادارته للآباء الوطنيين اليسوعيين بعد ما كان يتولاهُ منهم الاجانب عن بلادنا ولغتنا . وقرّاوءهُ يعدُّون بالالوف في بيروت وكلّ قرى لبنان وسائر انحاء سوريا وفلسطين وقبرص ومصر والسودان وشمال افريقيا والعراق وبين النهرين . وله مشتركون عديدون

في اوروبا واميركا والهند والحبشة واوستراليا وغيرها من الاقطار المأهولة بالمسيحيين الناطقين بالضاد٠ ومديره الحالي الاب لويس معلوف رجل نشيط مشهود له بالعلم والغيرة والفضل وسداد الرأي ٠ وله اليد البيضاء في ترقية شؤون الجريدة وزيادة تحسينها ٠واليه يرجع الفخر في اصدارها مرتين في الاسبوع ثم ثلاث مرات في الاسبوع بعد ما لبثت اسبوعية اكثر من اربعين سنة

وقضى البشير ايام بؤس في عهد المراقبة على المطبوعات ٠ و بسبب ذلك تعطل مرات شتى بلا مسوغ قانوني سوى تعنت المراقبين لاسيا في عهد حسن فائز الذي كان يضغط بكل قواه على الجرائد٠ فاضطر حينئذٍ رئيس اليسوعيين مع الاب انطون صالحاني مدير البشير ان يذهبا الى الاستانة و يقيما الشكوى لدى الباب العالي على المراقب المذكور٠ فساعدتهما سفارة فرنسا للحصول على إنصاف السلطان الذي امر باعادة ظهور الجريدة

وللبشير مجادلات دينية ومناظرات علمية شهيرة في مواضيع مختلفة جرت بينهُ وبين اهم الصحف العربية التي نذكر منها : « الجنان » و « النشرة الشهرية » و «النشرة الاسبوعية » و « الجنة » و« التقدم »و « ثمرات الفنون »و « الهدية » في بيروت٠ ثم « المقتطف » في بيروت والقاهرة ٠ ومنها « الفلاح » و « اللطائف » و « الهلال » في القاهرة٠ واخيراً « المناظر » في بعبدات بجبل لبنان وغيرها٠ وقد ذكرنا اكثر تلك المجادلات واسبابها ومواضيعها عند ما سردنا اخبار الصحف المذكورة٠ وقد تلطف كثير من الوزراء والعظماء فزاروا ادارة « البشير » ومطبعته٠ فلما زارها عزيز باشا والي بيروت سنة ١٨٨٩ اخذت آلات المطبعة بأمرها تنشر مدائحهُ باللغات التركية والعربية والفرنسية وهاك منها هذه الابيات :

باهت عِراصُ الدارِ لمّا زارَها ... والٍ خطيرٌ في الكِرام عزيزُ

باللهِ يا بُكمُ احتفي بقدومهِ ... فليحيَ مولانا وعاشَ عزيزُ

قد ارّخوا بالرَّغدِ كُنْ أَرِّخْ تَلَ ... سُدْ في الورى واظفر وقاك عزيزُ

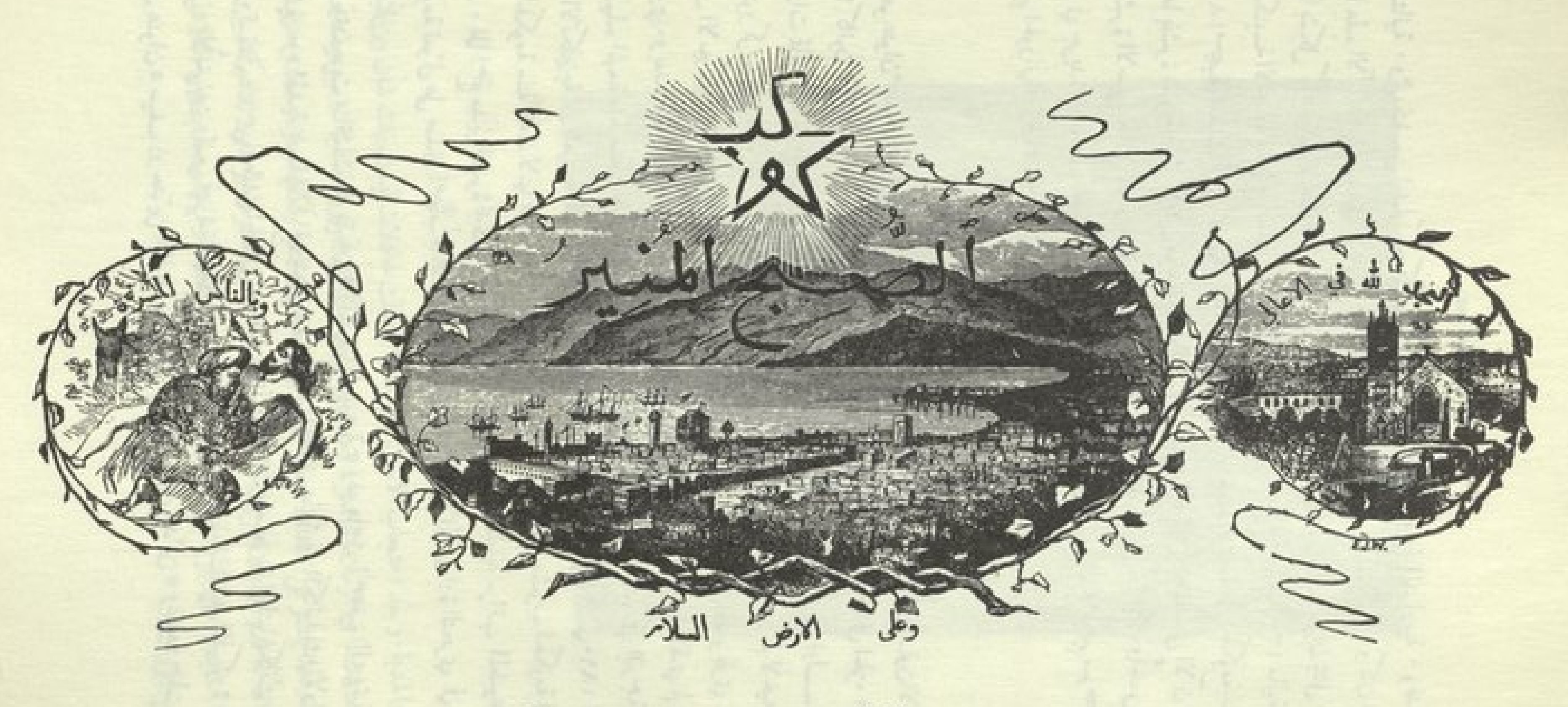
١٣٠٧ ... ١٨٨٩

الفصل الثاني

اخبار جرائد بيروت منذ سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٧٦

كوكب الصبح المنير

هو عنوان نشرة شهرية دينية مصوَّرة ذات اربع صفحات متوسطة الحجم اصدرها القسوس الاميركان في بيروت بتاريخ غرة كانون الثاني سنة ١٨٧١ لتوزيعها مجاناً على تلامذة مدارسهم



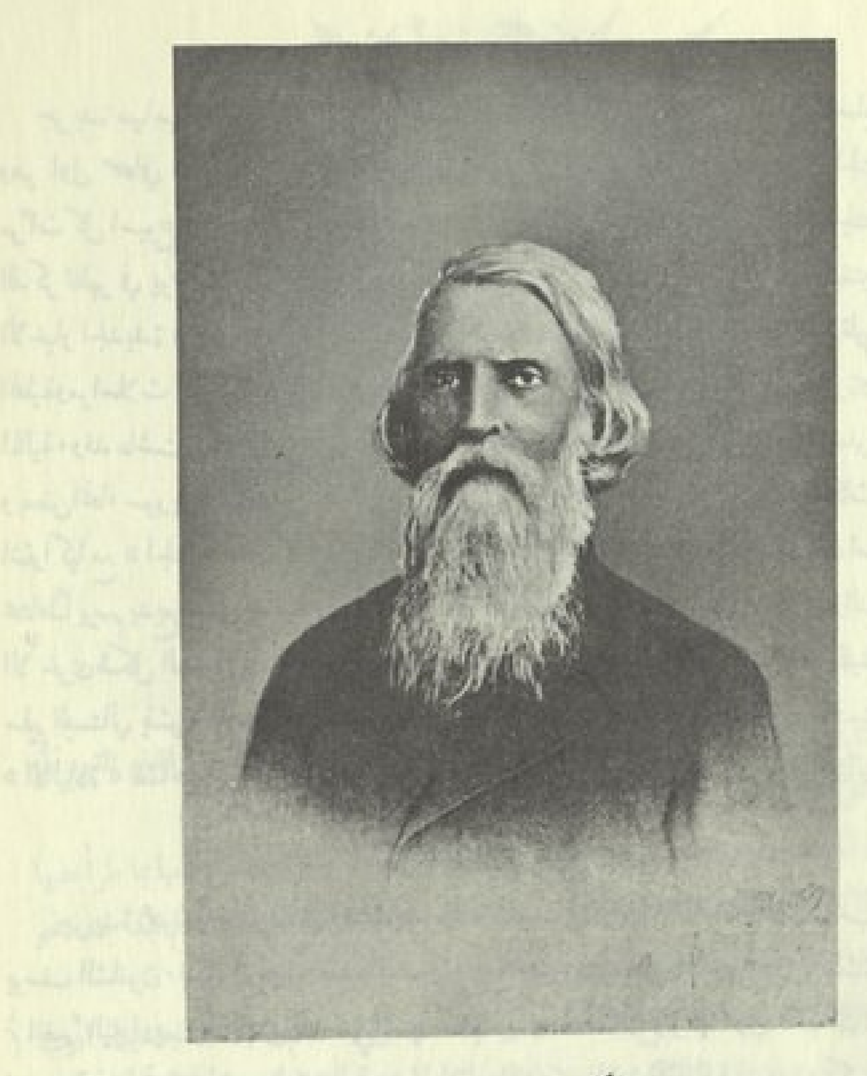
رسم عنوان جريدة « كوكب الصبح المنير » للمرسلين الاميركيين

البروتستانية . وهي تتضمن اخباراً وحكماً والغازاً روحية وترانيم دينية وفوائد ادبية . وقد جعلوا شعارها هذه الآية : « المجد لله في الاعالي وعلى الارض السلام وبالناس المسرّة » . وكان عنوانها مكتوباً بشكل كوكب تنبعث اشعته على بيروت . والى طرفي العنوان رسمان آخران يمثل احدهما بناية الكنيسة الانجيلية مع برج الساعة الاميركية في هذه المدينة . وفي ٣١ تموز ١٣٠٦ مالية (١٢ آب ١٨٩٠ مسيحية) تعطلت لانَّ اصحابها كانوا غير حائزين على الرخصة الرسمية من الحكومة بنشرها . فابدلوها بنشرة شهرية ذات صفحتين موسومة « بالنشرة الاسبوعية » لم تزل حية حتى الآن . وهي غير النشرة الاسبوعية التي تصدر مرّة في الاسبوع وحجمها اكبر قليلاً من الثانية . وأخص الذين كتبوا في جريدة « كوكب الصبح المنير » هم : الدكتور كرنيليوس ڤانديك وابرهيم سركيس وابرهيم الحوراني ورزق الله البرباري

﴿ النشرة الاسبوعية ﴾

هو عنوان صحيفة دينية اسبوعية مصوَّرة شعارها « فتح كلامك ينير » انشأها المرسلون الاميركان في ١٠ كانون الثاني ١٨٧١ خلفاً لجريدة « النشرة الشهرية » التي سبق وصفها في الجزء الاول . وهي ذات ثماني صفحات صغيرة مطبوعة طبعاً نظيفاً وقد تولى ادارتها وتحريرها في اول عهدها الدكتور كرنيليوس ڤانديك . ومن بعده تحولت ادارتها لعهدة القس صموئيل جسَّب ثم لاخيهِ هنري جسَّب الاميركيين . فكتب فيها حينئذٍ الاساتذة ابرهيم سركيس ورزق الله برباري واسعد شدودي . وبعد ذلك عُهد بتحريرها للكاتب البليغ والشاعر المطبوع ابرهيم الحوراني الذي لم يزل قائماً بهذه المهمة منذ سنة ١٨٨٠ حتى الآن . وفي السنين الاخيرة اخذ يساعدهُ في الترجمة من اللغة الانكليزية الى العربية الاستاذ الياس بهنا من راشيا . وفي شهر كانون الثاني ١٨٩٠ تعطلت بامر الحكومة سنة كاملة لانها نقلت عن الجرائد المحلية تلغرافات لاتوافق مشرب الحكومة في ذلك العهد . فلما احتج مدير النشرة لدى المراجع الايجابية على هذه المعاملة اجابهُ مراقب المطبوعات انَّ الحكومة تعوّل على صدق اصحاب « النشرة الاسبوعية » وتدعوهم الى زيادة التحري في انتقاء الاخبار

وقد جرت مناقشات طويلة بين « النشرة الاسبوعية » وغيرها من الصحف البيروتية لا سيا « البشير » و« الهدية » سنة ١٨٨٨ فيما يتعلق ببعض القضايا المختلف عليها بين الكاثوليك والارثوذكس والبروتستنت . وحمي وطيس الجدال بين هذه الجرائد الثلاث واستعرت نيرانها فكانت الواحدة تخطىء الأخريين وتسعى في إسقاطهما . ومن اهم فصول النشرة اثناء المناقشة المذكورة مقالات تحت عنوان « سيف ذو حدَّين » او « أمضى من كل سيفٍ ذي حدَّين » وغيرها حملت فيها على



الدكتور هنري جسب

مدير جريدة « النشرة الاسبوعية »

البشير والهدية · و بعد احتجاب الاخيرة عام١٨٨٩ حصلت مجادلات ليست ذات شأن بين الأُولين ثم انقطعت تماماً في الزمان الحاضر · ومذ تولى ابرهيم الحوراني تحرير « النشرة الاسبوعية » تحسنت عباراتها واخذ ينشر على صفحاتها فصولاً ادبية وعلمية جزيلة النفع ولكنها صارت تصدر خالية من الرسوم الاّ ما ندر · ولهذه الجريدة نسخة شهرية ذات صفحتين ينشرها المرسلون الاميركان منذ سنة ١٨٩٠ بدلاً من جريدة « كوكب الصبح المنير » الملغاة · وهي مخصصة بصغار التلامذة في المدارس البروتستانية

﴿ الجنينة ﴾

جريدة سياسية تجارية ذات صفحتين بقطع متوسط ظهرت عام ١٨٧١ لصاحبها سليم البستاني . وهو اول صحافي عربي حاول ان يصدر جريدة يومية . فتسنى له ذلك باصدار « الجنينة » اربع مرّات كل اسبوع في ايام الاثنين والاربعاء والخميس والسبت . وكانت جريدته « الجنة » السابقة الذكر تظهر في يومي الثلاثاء والجمعة من كل اسبوع . وهكذا كان قرّاء هاتين الصحيفتين يتناولون الاخبار الجديدة في كل يوم . وكانت « الجنينة » مصدَّرة بالانباء البرقية السياسية تليها الحوادث المحلية ومراسلات الجهات . وكان القسم التجاري فيها مطوَّلاً ومتقناً يشمل اسعار التجارة والقراطيس المالية . وقد عاشت نيفاً واربع سنين ثم احتجبت عام ١٨٧٥ عند ما تفشّى الهواء الاصفر في بيروت وبعض انحاء سوريا . وكان بدل الاشتراك السنوي في « الجنينة » وحدها عشرة فرنكات . اما بدل اشتراكها مع « الجنة » فكان ١٧ فرنكاً ومع « الجنان » و « الجنة » ٣٣ فرنكاً . وكان اسم الجريدة محاطاً برسم بديع تخفق بجانبيهِ رايتان عثمانيتان قد نُقش عَلَى احداهما رسم الهلال والنجمة وعَلَى الأُخرى شكل الطغراء السلطانية . وهذا الرسم صنعهُ الحفار المشهور ميخائيل فرح اللبناني . وكان سليم البستاني ينشئ فصول « الجنة » و « الجنينة » بمساعدة نسيبهِ العلاَّمة سليمان البستاني معرّب « الالياذة » للشاعر اليوناني اوميرس واحد اعضاء « مجلس الاعيان » في السلطنة العثمانية حالاً

﴿ التقدُّم ﴾

جريدة عمومية صدرت في مفتتح عام ١٨٧٤ بعد إلغاء مجلة « النجاح » لصاحب امتيازها يوسف الشلفون . فكانت اولاً نصف اسبوعية في صفحتين متوسطتي الحجم يحررها منشئها وحده . ثم انضمَّ اليهِ اديب بك اسحق الدمشقي الذي كتب فيها سنةً كاملة وتركها . وفي عامها الثالث صارت اسبوعية في ثماني صفحات صغيرة خالية من المواضيع المفيدة وطلاوة الانباء الجديدة . وكانت مقالاتها منقولةً عَلَى الغالب من الصحف المحلية او المصرية او الجوائب في الاستانة . فانحط شأنها وسئم الناس من مطالعتها واضطرَّ صاحبها الى تعطيلها في السنة الرابعة . وقد نظم فيها حينئذٍ القس لويس صابونجي هذا البيت المشهور :

انَّ التقدم دائمًا يتأخرُ ما زال للشلفون إِسمٌ يذكرُ

ولبثت محتجبةً الى بداية سنة ١٨٨١ فعادت الى الظهور مرتين في الاسبوع باربع صفحات كبيرة . وصارت تطبع في مطبعة القديس جرجس للروم الارثوذكس بعد ما كانت تُنشر في « المطبعة الكلية » لصاحب امتيازها يوسف الشلفون . وقد تولى حينئذٍ تحريرها اديب اسحق للمرة الثانية بعد عودتهِ من اوروبا وكان يدفع لصاحب الامتياز ستين فرنكاً في الشهر لقاء تنازله عن



رسم عنوان جريدة « التقدُّم » في بداية نشرها

ادارتها لهُ . فالبسها حلةً قشيبةً من البلاغة ورتب مباحثها وحسَّن مواضيعها حتى اقبل القوم عَلَى مطالعتها من كل البلاد العربية . وقد افتتحها بمقدمة نفيسةٍ جاء فيها ما نصه :

« ولقد أتى عَلَى هذه الصحيفة حين من الدهر دُفنت حبة قصدها وجُرِّد غصن نفعها بما طرأ عليها من حوادث الايام وعاديات الحدثان . ثم انجلت بهذا المظهر لم تنشأ من العَدَم البحت ولم تبدُ بعد المحو المطلق . ولكن تقمصت من الحياة ثوباً جديداً »

وكان الشيخ اسكندر العازار مع اشتغاله في بنك « سرسق ابناء عم » يساعد صديقهُ اديب اسحق في كتابة بعض فصول « التقدم » بدون توقيع اسمه على صفحات الجريدة . ومثل ذلك كان يفعل صديقهُ الآخر سليم نجار مدير اشغال محل مورك دالك . وبعد مرور سنة من التاريخ المذكور سافر اديب الى مصر تخلفهُ في تحرير الجريدة جرجس بن ميخائيل نحاس وانتقلت من بعده الى عوني اسحق . ولما كان عام ١٨٨٣ استلم تحريرها اديب للمرة الثالثة مدة شهور قليلة حتى اشتدت عليهِ العلة التي ذهبت بحياته . فاخذ حينئذٍ الشلفون يصدرها مرة في الاسبوع بحجم اصغر واشترك فيها معهُ رجل لبناني يدعى يوسف جرمانوس . وانما قلَّ إقبال الناس عليها لخلوها من مثل المقالات الشائقة التي كان اديب يدبجها ببراعه السيَّال . ودامت الحال عَلَى هذا المنوال ثلاثة اعوام تتنازعها عوامل البقاء والفناء حتى استلم ادارتها وتحريرها اسكندر بن جرجس طاسو ونجيب بن ابرهيم طراد البيروتيان . فاصدراها في ٣١ تشرين الاول ١٨٨٧ بحجم الجرائد الكبرى وانعشا فيها روح النهضة



الشيخ اسكندر العازار

المحرر في جريدة « التقدُّم » سابقاً وصاحب امتياز جريدة « صدى البرق »

الادبية . وفي ٧ شباط ١٨٨٨ عطلها نصوحي بك حاكم بيروت لمدَّة غير معلومة لانها نشرت في اليوم السابق عبارات موجبة لتهييج الافكار . ثم صدر العفو عنها وعاشت الى اواخر سنة ١٨٨٩ بادارة اسكندر طاسو المشار اليهِ . وقد جرت بين التقدم لاسيما في عهد اديب اسحق و بين جريدة « البشير » للآباء اليسوعيين مناقشات طويلة لاختلافهما في المبادىء على قضية «التعليم الالزامي» بالمدارس العلمانية في فرنسا . فان الأولى كانت في اعوامها العشرة الاخيرة من الصحف الحرَّة التي تضرب على وتر الافكار العصرية بينا الثانية تحافظ اشدَّ المحافظة على التقاليد الكاثوليكية بكل معنىً من معاني الكلمة . ولما قرَّظ اليسوعيون في بشيرهم كتاب « الدرر » لاديب اسحق شهدوا لمؤلفه بآداب المناظرة وهذا ما كتبوه [1] بالحرف الواحد :

« ومما يمدح بهِ انهُ في جدالهِ معنا لو قابلناه مع كتَّاب بعض الجرائد وجدناه متعالياً عنهم في عدم تطويح قلمه مثلهم في ما يشينهم من السفاهة والطعن الشخصي . فكان الاجدر باصحاب اديب كتبة هذه الجرائد خصوصاً ان يقتفوا اثره في جدالهم معنا »

«١» راجع جريدة « البشير » عدد ٨٥١ : ٥ كانون الثاني ١٨٨٨

❋ ثمرات الفنون ❋

صحيفة اسبوعية سياسية علمية ادبية انشأتها « جمعية الفنون » المؤلفة من بعض ادباء المسلمين واعيانهم برئاسة الحاج سعد ابن السيد عبد الفتاح حماده · وفوّضت ادارتها لصاحب امتيازها السيد عبد القادر قباني احد اعضاء الجمعية المذكورة · وهي أُولى الجرائد الاسلامية في بيروت وثانيتها في السلطنة العثمانية بعد «الجوائب» في الاستانة · وكانت ثمرات الفنون في بداية عهدها شركة مساهمة تتألف من اثني عشر سهماً وقيمة كل سهم الفان وخمسمائة غرشاً · وهي من هذا القبيل باكورة الصحف العربية خلافاً لما رواه جرجي زيدان [1] من ان جريدة « اللواء » المصرية كانت اول جريدة عربية مساهمة · الا انّ « جمعية الفنون » لم يطل عمرها لحلول روح الحسد في بعض النفوس واندفاعها الى معاكسة الجمعية التي دخلت في خبر كان عند وفاة مؤسسها الحاج سعد حماده · فانتقل امر الجريدة ومطبعتها الى صاحب الامتياز الذي جعل قبلته خدمة الامة الاسلامية والجامعة العثمانية · وكثيراً ما افتتح الاكتتابات عَلَى صفحات جريدته في سبيل الاعانات الخيرية والوطنية · واهمها اكتتابان احدهما لاعانات عائلات غرقى الباخرة « ارطغرل » العثمانية في مياه اليابان والآخر لمشروع السكة الحديدية الحجازية

وكان صدور العدد الاول من « ثمرات الفنون » في ٢٠ نيسان ١٨٧٥ فتولى كتابتها رهط من افاضل المحررين والمترجمين وهم : الشيخ يوسف الاسير الازهري والشيخ ابرهيم الاحدب واسمعيل ذهني بك محاسبجي حكومة لبنان سابقاً وسامي قصيري وعوني اسحق وسليم بن عباس الشلفون واسكندر بن فرج الله طراد والشيخ احمد حسن طباره والحاج محمد محمود الجبال وغيرهم · وفي شهر تشرين الثاني ١٨٨٩ كبرت حجمها فصارت اعمدتها ١٦ بعد ان كانت ١٢ فقط · وفي ١٢ ايار ١٨٩٩ جرى الاحتفال بعيدها الفضي احتفالاً زاهياً باهل الفضل والوجاهة تقديراً لخدمة صاحب امتيازها ورئيس تحريرها المشار اليهِ · فنشرت الجرائد عبارات الثناء وعدّت ذلك حادثاً تاريخياً للصحافة العربية · وفي تلك الاثناء صدرت بثماني صفحات وكانت تصدر في اربع فقط · وبعد ما كانت صفحاتها الثماني تتألف من ٢٤ عموداً صارت ٣٢ عموداً · وعَلَى اثر ما أُحرزته هذه الجريدة من المكانة بخطتها الوطنية ودُعت عالم الصحافة يوم الاثنين الواقع في ٢ تشرين الثاني ١٩٠٨ بالغةً العام الرابع والثلاثين لعهد نشأتها

وكانت للمسلمين ثقة عظيمة بهذه الصحيفة التي بقيت لسان حالهم مدة طويلة لاسيما بعد احتجاب « الجوائب » في الاستانة · فكانوا يطالعونها من جميع الجهات لانها كانت تنشر اخبارهم

«١» مجلة « الهلال » سنة ١٨ صفحة ٤٨٨



السيد عبد القادر قباني

صاحب امتياز « ثمرات الفنون » (رسمهُ عند تأسيس الجريدة)

وحوادث ممالكهم واحوال شعوبهم في مشارق الارض ومغاربها وتدعوهم لطاعة امير المؤمنين والالتفاف حول عرش الخليفة ٠ وكثيراً ما جرت المجادلات بينها و بين بعض الصحف كالجوائب لاحمد فارس والبشير لليسوعيين ٠ اما الجوائب فنظراً لسفاهة عباراتها فقد اعرضت عنها « ثمرات الفنون » وتركتها وشانها ٠ وجريدة « البشير » معروفة بتعصبها للدين الكاثوليكي كما ان « ثمرات الفنون » موصوفة بتعصبها للدين الاسلامي ٠ وكان اهم جدال بين هاتين الصحيفتين يتناول مسالة « النخاسة » التي قررت دول اوروبا الغاءها من شمال افريقيا وما وراءها من الصحراء على يد الكردينال لافيجري ٠ فاستحسنت « ثمرات الفنون » هذا الراي ولكنها خشيت ان يكون القصد منه تنصير القبائل الاسلامية في تلك الاصقاع و بسط الحماية الاوربية عليها ٠ فذهب « البشير » غير هذا المذهب بحجة ان عمل الكردينال لافيجري هو محض خدمة لخير الانسانية وان لا علاقة لذلك بالدين والسياسة

وعقيب اعلان الدستور في الدولة العثمانية سنة ١٩٠٨ جاهر السيد عبد القادر قباني صاحب

« ثمرات الفنون » بما يأتي وحبذا القول : « ان مسئولية اصحاب الجرائد في زمن الدستور اعظم منها في دور الاستبداد . ولذلك يلزم أن يقوم بتحرير كل جريدة نخبة من الكتاب من جميع العناصر للمحافظة عَلَى تأليف وحدة عثمانية من عناصر الوطن فتعتز الجامعة العثمانية بهذه الوحدة . ولا أقدر من الجرائد لتحقيق هذه الامنية التي هي روح الدستور اذا اتفق كتّابها عَلَى التفاهم والتحاب ونبذ كل ما يدعو الى سوء التفاهم . » ولعلَّ عدم فوزه بهذه الامنية حمله عَلَى إهمال نشر الجريدة

الفصل الثالث

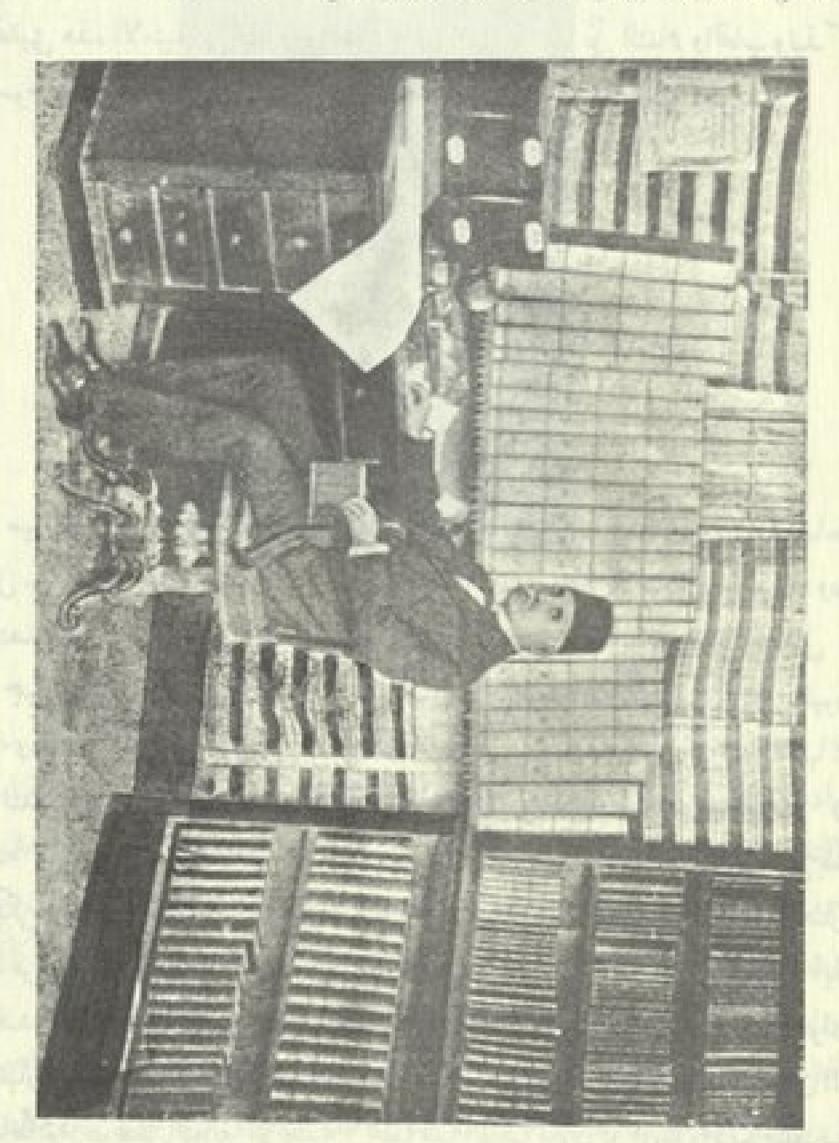
اخبار جرائد بيروت من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٨٥

❊ لسان الحال ❊

جريدة سياسية تجارية علمية زراعية صناعية ظهرت في ١٨ تشرين الاول ١٨٧٧ لصاحب امتيازها خليل سركيس . جرت منذ اوَّل نشأتها حتى الآن عَلَى خطة الاعتدال والمسالمة وعدم التشيع الى عنصر دون آخر . فاشتهر امرها بذلك ونالت ثقة القريب والبعيد واقبل الناس على مطالعتها من جميع الملل والنحل . وبين مشتركيها عدد كثير يرتقي عهد اشتراكه فيها الى اول ظهورها بلا انقطاع . وذلك برهان جليٌّ عَلَى ميل الناس الى هذه الجريدة القديمة التي عُرِف منشئها بشيخ الصحافيين وانتدب مراراً لفصل الاختلافات الطارئة بين اهل مهنته في حاضرة بيروت . وقد ظهرت في بدء عمرها صغيرة الحجم . ثم اخذت تنمو وتحسن تبعاً لسنَّة الارتقاء الطبيعي حتى بلغت الحد الذي يمكن لجريدة وطنية ان تبلغه في هذا الزمان . وكانت اولاً نصف اسبوعية ثم صارت تصدر ثلاث مرَّات في الاسبوع ثم اربع مرات في الاسبوع حتى انتهى بها الامر في ٢٣ ايلول ١٨٩٥ ان تصدر بمظهرها اليومي . ومن ذاك العهد اصدرت عدداً اسبوعياً يتضمن خلاصة حوادث الاسبوع واخباره المهمة . ومن مزايا هذه الجريدة انها اقترحت مراراً على المتأدبين واساطين اللغة ان يضعوا الفاظاً ترادف بعض التعابير الاجنبية و ينحتوا منها الفاظاً تكون عَلَى اوزان الاسماء العربية . فصادف اقتراحها استحسان المشتغلين باللسان العربي وهكذا درجت بالاستعمال الفاظ كثيرة اقرَّها الادباء في كتاباتهم . امَّا الذين تولوا تحرير « لسان الحال » مع صاحب امتيازه فهذه اسماؤُهم مرتبة بحسب التاريخ واحداً بعد الآخر : المعلم جرجس زوين — الشيخ يوسف الاسير — امين افرام البستاني — يوسف قيقانو — سليم سركيس — نجيب المشعلاني — الدكتور رزق الحداد —

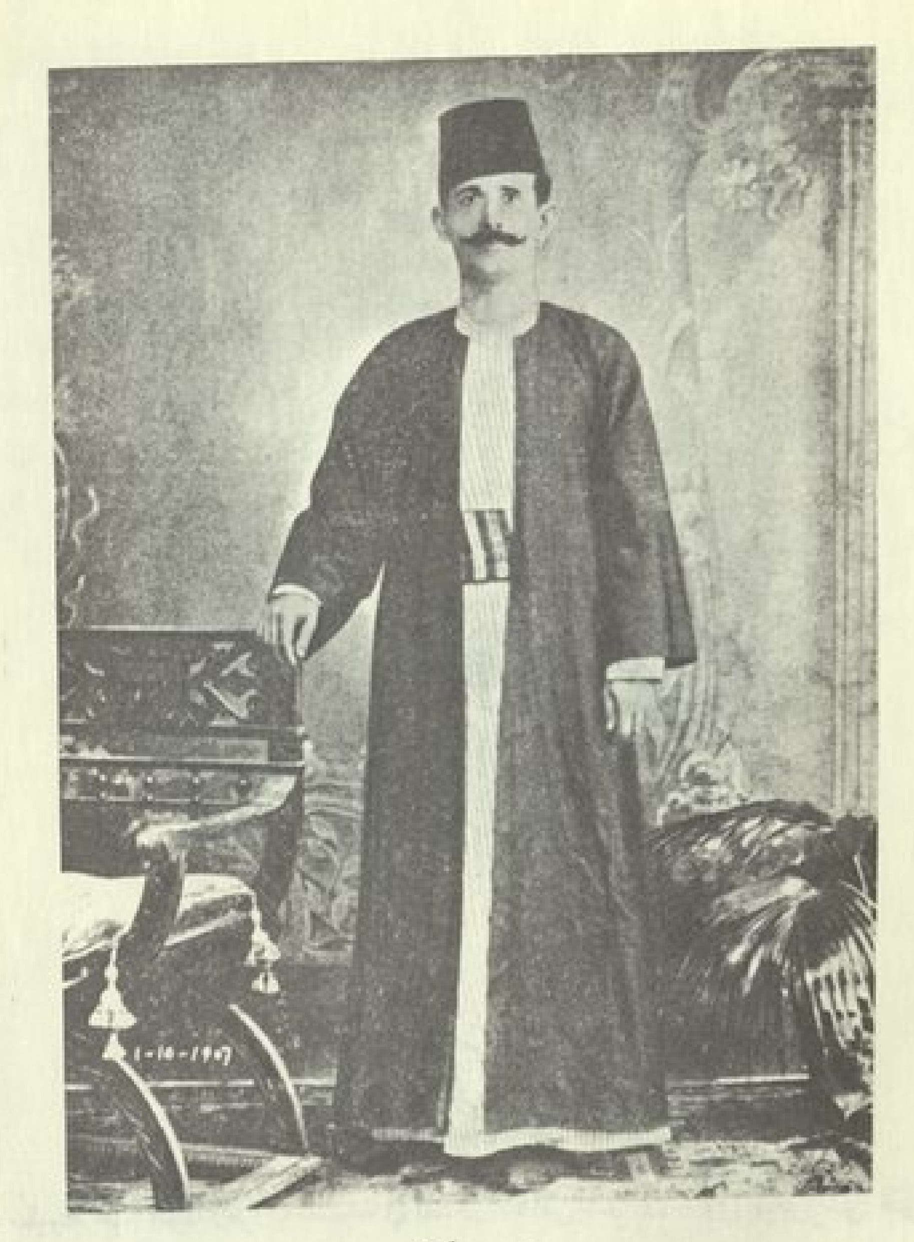
المعلم الياس بهنا — المعلم عبد الله البستاني — المعلم رشيد عطيه — سليم بن عباس الشلفون — سعيد فاضل عقل وهو المحرر الحالي مع يوسف فيقانو المشار اليه

ومواد «لسان الحال» تشتمل اليوم على المواضيع الاتية : في الصفحة الاولى مقالة افتتاحية



خليل سركيس — صاحب امتياز جريدة « لسان الحال » ورئيس تحريرها
(رسم صورته التي أهديت له في يوبيل « لسان الحال » الفضي)

سياسية او عمرانية ثم اخبار بريد اوروبا وخلاصة اقوال صحف الكون. وفي الصفحة الثانية الانباء البرقية والاخبار المحلية ومراسلات الجهات. وفي الصفحة الثالثة اسعار التجارة والقراطيس المالية وحركة البواخر واحوال ميزان الحرارة والمطر وفصل من رواية تهذيبية يستطيع قراءتها كل انسان لخلوها من كل مايشين الآداب. والصفحة الرابعة مختصة بالاعلانات الكثيرة على اختلاف انواعها.



سليم سركيس

المحرر في جريدة «لسان الحال» سابقاً وجريدة «المؤيد» المصرية ومنشئ صحيفة «الأرز» المدرسية في عين زحلتا و«المشير» في الاسكندرية والقاهرة و«رجع الصدى» في لندن و«الراوي» في نيويورك و«البستان» في بوستون واخيراً «مجلة سركيس» في القاهرة

(رسمهُ بالملابس العربية)



رامز سركيس
مدير جريدة «لسان الحال»

وهي مطبوعة طبعاً نظيفاً وحروفها مصنوعة في المسكب الخاص بالجريدة · وفي فرص شتى ظهرت مزينة بالرسوم والنقوش التي تستحق الوصف المخصوص

واشتهرت هذه الجريدة في العالم الادبي باخبارها الصادقة ومباحثها المفيدة ومبادئها الشريفة واخلاص خدمتها للوطن · يشهد على ذلك اقبال القوم على مطالعتها وتزاحم باعة الجرائد على باب ادارتها صباحاً ومساء لمشترى النسخ العديدة منها · وما عابها في اكثر ادوار حياتها قبل اعلان الدستور العثماني سوى مبالغتها في محاسنة الحكومة ومدح المامورين الخائنين مدفوعة الى ذلك بحكم الضرورة ومراعاة احوال الزمان · اما اليوم فانها اطلقت للقلم عنان الحرية وجاهرت على صفحاتها بانتقاد اعمال

الحكام مع وجوب تعميم الاصلاح في السلطنة عموماً و ببيروت خصوصاً تحت ظلّ الراية العثمانية

وفي ١٧ ايلول ١٨٩٥ نُكبت باحتراق بنايتها الواسعة فالتهمت النار مطابع الجريدة والحروف والكتب وصناديق المرتبين وسائر المطبوعات الباقية هناك منذ سبع وعشرين سنة. ولا تسلْ عما كان فيها من الاوراق على اختلاف اجناسها ومن الحبر والرصاص والقماش وغيره من لوازم المطابع. فلم يبق من ذلك كله سوى هيكل مطبعتين بخاريتين ومطبعة يد ومطبعة حجرية. ولم يسلم من المطبعة سوى مكتب الادارة ودفاترها فكان ذلك خسارة عظيمة على صاحبها تُقدر بمائة الف فرنك

وفي ٢٢ نيسان ١٩٠٤ جرى الاحتفال بيوبيل الجريدة الفضي فأُهديت لمنشئها التحف النفيسة والتقادم المالية والقصائد الرنانة اقراراً بفضله. وبهذه المناسبة جُمعت تقاريظ الادباء واقوال الجرائد في كتاب خاص يتألف من ١١٥ صفحة. ومن جملة تلك القصائد نثبت هذه الابيات الرقيقة التي نظمها الشيخ اسكندر العازار وفيها يعتذر عن الاشتراك في الاحتفال بداعي ألم في عينيه :

حلَّ في العينين إنذارُ العمى	فانا في سجن بيتي محتبي
حرَّمتني شقوة الطالع من	مشهدٍ مذ ربع قرن مطلبي
لي بحرماني قصاصٌ ثمَّ لي	من شقاء الحال ما يشفع بي
يا لسانَ الحال ها تهنئةً	من قريضٍ بالعيا مضطربِ
من صديقٍ عرسك الفضيُّ في	سفر ناديهِ اسمهُ لم يُكتبِ
انت وجهٌ حسنٌ لكننا	نحن فيه حبةٌ من حلبِ
بي انا افديكَ لا غير فقد	رحمَ الرحمنُ أمي وابي
نفع الله بكم امصارنا	وبجمع الرصفاء النجبِ
وارانا الذهبيَّ المشتهى	نخلط الجدَّ بهِ باللعبِ
انت بالعكاز تمشي وانا	اسكب الفضة فوق الذهبِ
هي كأسٌ مُرٌّ مَن يشربها	وهي ايضاً مرٌّ مَن لم يشربِ

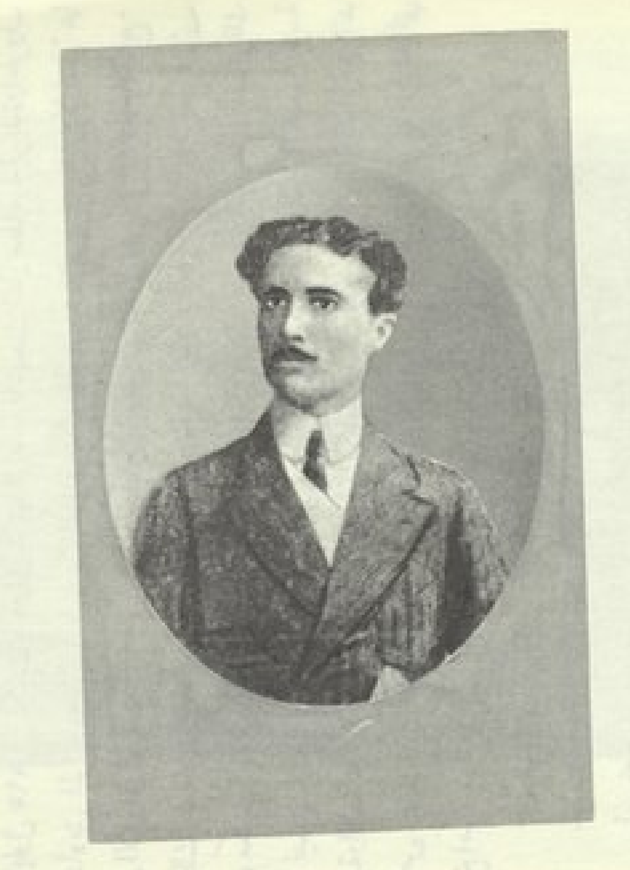
وخليل سركيس روزنامة سنوية يرتقي عهد ظهورها الى سنة ١٨٦٩ تُعرف بالروزنامة السورية. وهي من اقدم جميع التقاويم السنوية التي برزت في لغة العرب بعد تقويم مجلة « مجموع فوائد » التي سبق ذكرها. فكانت هذه الروزنامة في بادىء امرها تطبع بالمئات فزادتها السنون والايام رواجاً واقبالاً حتى صارت تطبع بعشرات الالوف. وهذا دليل كبير على ثقة الشعب بها واعتماده على ضبطها واتقانها واحصاآتها وسائر مضامينها المفيدة. وما قلناه عن الروزنامة نقوله عن « مفكرة لسان الحال » السنوية المشهورة

ومنذ سنتين نيطت ادارة الجريدة وشؤون مطبعتها برامز سركيس نجل صاحب الامتياز



يوسف قيقانو

احد محرري « لسان الحال » ومترجم روايات مجلة « ديوان الفكاهة »



سعيد فاضل عقل

احد محرري « لسان الحال » حالاً و « صدى المكسيك » و « الاحوال » و « البصير » سابقاً

لاحتياج والده الى بعض الراحة من عناء الاعمال التي أثّرت في جسمه وتعاطاها مدة خمسين سنة بلا انقطاع ٠ورامز سركيس هو شاب نشيط زكي الفؤاد اخذ عن ابيه كل الصفات المحمودة لاسيما محبة الوطن وخدمة المعارف والصدق في المعاملات والانصباب على الاشغال وحسن السلوك بين الناس ٠ ولا غروَ فأحسن ما يقال فيه « انَّ هذا الشبل من ذاكَ الاسد » ٠ ولهُ على صفحات « لسان الحال » كتابات شائقة تدلُّ على سلامة ذوقهِ في صناعة التحرير والتعبير

﴿ المصباح ﴾

اسم لجريدة سياسية تجارية علمية ادبية ظهرت في غرَّة كانون الثاني ١٨٨٠ ثلاث مرَّات في الاسبوع لمنشئها نقولا نقاش ٠ فكانت خطتها كاثوليكية وصبغتها مارونية تنشر اخبار هذه الطائفة وتدافع عن مصالحها ٠ وبنوع اخص كانت لسان حال المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت الماروني الذي لا تُنكر مساعدته المادية لها من اوَّل نشأتها حتى ادركتهُ المنيةُ ٠ وقد قدَّرت فضلهُ عليها فكانت تنطق في كل فرصة بالثناء عليه ٠ ولما جرى الاحتفال بيوبيلهِ الاسقفي الفضي اصدرت عدداً ممتازاً في ٢٠ ادار ١٨٩٧ بنضمن رسم المطران المشار اليهِ والفصول الطويلة عن ترجمته واعماله ٠ وقد نظم فيها الشاعر البيروتي مصباح رمضان هذين البيتين:

هذي صحيفة اخبارٍ لقد بزغت ... من أُفق عصرٍ تسامى فيهِ إصلاحُ
كأنما هي مشكاةٌ واحرفها ... ليلٌ ومفهومها للعقل مصباحُ

وللشاعر الدمشقي جبران البحري ثلاثة ابيات ايضاً ضمنها تاريخاً لصدور « المصباح » وهي :

سطعَ المصباحُ في أُفق النهى ... وظلامُ الجهلِ فيه انقرضا
ونفى الشرَّ وبالخير أتى ... واصاب السهمُ فيه الغرضا
ولسانُ العصر نادى ارِّخوا ... قد بدا مصباحُ خيري وأضا

سنة ١٨٨٠ ميلادية

وفي كل ادوار حياته اشتهر « المصباح » ببلاغة الانشاء في ما كان ينشر على صفحاتهِ من اللمع السياسية والمقالات الادبية والفصول الاقتصادية والآثار العدلية ٠ وكان اكثر قرائه والمشتركين فيهِ من اللبنانيين ٠ ولذلك كان يكثر من المباحث المتعلقة بشؤونهم في الوطن والمهجر ٠ ولما توفي بطل لبنان يوسف بك كرم في ٨ نيسان ١٨٨٩ منفياً في مدينة نابولي رثاه « المصباح » بمقالة رنانة لم ترُق في عيون ارباب الحكومة فصدر الامر بتعطيله ٠ وكانت المقالة المذكورة مفتتحة بهذه الابيات :

مَن للشجاعة مَن للسيفِ والقلمِ ... مَن للمهمات مَن للضيف والكرمِ



انطون بك شحيبر

المحرر في جريدة « المصباح » سابقاً



جان بك نقاش

صاحب الامتياز الثاني لجريدة « المصباح »

لقد مضى ذلك الشهم الذي اشتهرت   آثارهُ الغرُّ بين العربِ والعجمِ
بالهفَ لبنانَ بل بالهفَ طائفةٍ   عن مثله عقمت فلتبكهِ بدمِ

وعند احتضار نقولا نقاش عام ١٨٩٤ تحول امتياز الجريدة ومطبعتها باسم نجله جان بك نقاش الذي جرى عَلَى خطة والده · واشهر الكتاب الذين تولوا تحرير « المصباح » تباعاً في عهد صاحبيهِ المشار اليهما هم : المعلم جرجس زوين و بولس زين والشيخ خطار الدحداح وسليم نقاش واديب اسحق وانطون شحيبر وداود نقاش وسليم الشلفون · ولما كانت اشغال المحاماة التي ورثها صاحب الامتياز الثاني عن سلفه تستغرق اكثر اوقاته سلم ادارة الجريدة وتحريرها في ٢٨ آب سنة ١٨٩٩ لابرهيم بن سليم نجار · فاصدرها النجار اسبوعية عَلَى نفقتهِ وحسابه بحجم اصغر من حجمها الاول في ١٦ صفحة · وكان « المصباح » في عهده انطق الصحف وأجرأها حتى انَّ جرأته هي التي جنت عليه · فتعطل عقب مقالةٍ اصلاحية انتقد فيها اعمال بلدية بيروت وما فيها من الخللِ · و بعد الإفراج عنهُ اعاد جان بك إصداره في اربع صفحات كبيرة مدة سنتين · وفي عام ١٩٠٣ أناط ادارتهُ وتحريره بالمرحوم نجيب حبيقه والياس جدعون · فتبع هذان خطة ابرهيم نجار تماماً ولكن بلهجة معتدلة · ومع ذلك فانهما لم يسلما من شدَّة ضغط مراقب المطبوعات الذي عطل الجريدة لانهما لم يدفعا له مايبهر نظره عنهما · و بعد ذلك بقي « المصباح » محتجباً حتى اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ في الدولة العثمانية · فاصدر منه صاحب الامتياز بعض اعدادٍ في ٤ صفحات صغيرة ولم يزل معطلاً من ذاك العهد

وقد تلقى جان بك نقاش دروسهُ في كلية الآباء اليسوعيين · ثم انتقل الى « مدرسة الحكمة » فقرأ علم الحقوق على والده وعلى الشيخ يوسف الاسير ونال الشهادة في ذلك · وسنة ١٨٨٨ صار يتعاطى مع والده فن المحاماة حتى تعين سنة ١٨٩٧ عضواً في محكمة استئناف ولاية بيروت · فخدم هذه الوظيفة اربع سنين ثم عاد الى معاطاة فن المحاماة · والف كتاب « مغني المتداعين عن المحامين » ونال الرتبة الثانية مع الوسام العثماني الثالث من الحكومة العثمانية · واحرز وسام « محامي القديس بطرس » من الجمعية المعروفة بهذا الاسم

✱ الهدية ✱

هي نشرة شهرية دينية ذات صفحتين صغيرتين ظهرت في بادىء امرها باسم « هدية الى اولاد مدارس الاحد الارثوذكسية » عَلَى مثال صحيفة « كوكب الصبح المنير » للبروتستنت في بيروت · غيرانَّ الاولى كانت اصغر حجماً من الثانية وخالية من التصاوير · وأنشئت « الهدية » في عهد السيد غفرئيل شاتيلا مطران الروم الارثوذكس وبايعازه · فصدر عددها الاول بلا تاريخ ثم ظهر



الشيخ رشيد نفاع
احد المحررين في جريدة « الهدية »

العدد الثاني مؤرخاً في غرة كانون الثاني ١٨٨٣ ثم العدد الثالث في شهر شباط وهلم جراً ٠ وظلت تصدر بهذه الهيئة مدة ثلاثة اعوام كاملة وتنشر قصصاً وحوادث دينية توافق ذوق الاولاد التي كانت تهدى اليهم ٠ وكانت تديرها « جمعية التعليم المسيحي الارثوذكسية » ويحرر فيها تبرعاً منهم بعض اعضاء هذه الجمعية الذين نذكر منهم : خليل عطيه ووديع فياض وسامي قصيري وفضل الله ابي حلقه وغيرهم ٠ وكان الشيخ اسكندر العازار معتنياً بالشؤون الجدلية وكتابة مقالاتها

وفي بدء عام ١٨٨٦ أُطلق عليها اسم « الهدية » فترقت احوالها وتحسنت مواضيعها وصارت تصدر في الشهر مرتين بهيئة شبه مجلة ٠ فتولت تحريرها لجنة ايضاً من « جمعية التعليم المسيحي » تتألف من الشماس غريغوريوس حداد (هو غبطة البطريرك الانطاكي حالاً) ويوسف بن توما ترزي الحائز على شهادة اللاهوت من مدرسة خالكي في الاستانة والشيخ رشيد نفاع اللبناني ٠ وفي اواسط تلك السنة استقال الاخيران من تحريرها وبقي الشماس غريغوريوس وحده ينشىء فصولها ٠ ثم أُضيف اليه الشماس جراسيموس مسرة (سيادة مطران بيروت حالاً) واعظ الكرسي الانطاكي حينئذ بصفة مراسل في دمشق ٠ وفي اثناء ذلك جرت المناظرة المشهورة بين « الهدية » وجريدة « البشير »

على موضوع «رئاسة القديس بطرس» وسواه من المواضيع المختلف عليها بين الارثوذكس والكاثوليك كعصمة بابوات رومة وسعادة القديسين والمطهر وغيرها . وكان لهذه المناظرة شأن كبير من الوجهتين الدينية والتاريخية بحيث افرغ كل من الفريقين المتناظرين جهده لتأييد دعواه بالادلة التي توافق تعليم كنيسته

وفي بداية سنة ١٨٨٧ صدرت « الهدية » مرّة في كل اسبوع ولبثت ادارة تحريرها بيد الشماس غريغوريوس حداد • وقد زاد احتدام الجدال حينئذٍ بين الصحيفتين المارّ ذكرها • فاضطرمت نيران المناظرة واشتدّ سعيرها حتى انقطع الجدال اخيراً بمداخلة بعض اصدقاء الطرفين وعقلاء الطائفتين الكاثوليكية والارثوذكسية • وفي فاتحة عام ١٨٨٨ استقال الشماس المشار اليهِ من ادارة شؤون الجريدة وتحريرها • فتولاها بعده الشيخ رشيد نفاع مدة سنتين كاملتين وكانت مواضيعها ما بين دينية وعلمية وتاريخية وسواها ماخلا السياسة • وفي اواخر سنة ١٨٨٩ جرت تلك المناظرة الشهيرة بين « الهدية » وجريدة « النشرة الاسبوعية » للبروتستنت على مواضيع شفاعة القديسين والصلاة لاجل الموتى وغيرها • وبعد ذلك بوقت قصير توقفت الهدية فظهرت بدلاً منها مجلة « المنار » لصاحب امتيازها الشماس ارسانيوس حداد مطران اللاذقية حالاً • وسياتي الكلام عن « المنار » في جزء آخر من هذا التاريخ

وكانت « الهدية » ثانية الصحف الدينية التي انشأها ابناء الطائفة الارثوذكسية بعد جريدة « المهماز » المار ذكرها • ومن مميزاتها انها انعشت في قلوب الارثوذكسيين روح النهضة الادبية وحملتهم على التنقيب عن مفاخر اجدادهم وعتائق تواريخ كنيستهم • ومن ذلك الحين انتشرت عندهم اكثر من سائر الطوائف الشرقية الصحف الدينية الرسمية وهي : « المنار » و « المحبة » في بيروت و « الكنيسة الارثوذكسية » في القاهرة و « الكلمة » في نيويورك و « النعمة » في دمشق و « حمص » في حمص و « بشير فلسطين » في القدس الشريف

الفصل الرابع

اخبار جرائد بيروت من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٨٩٢



بيروت

هو اسم جريدة علمية سياسية تجارية ادبية برزت مرّتين في الاسبوع بتاريخ ٢٢ ادار ١٨٨٦ لصاحبها محمد رشيد الدنا • فراجت سوقها كثيراً لانّ منشئها عُرف بلين الجانب واعتدال المشرب

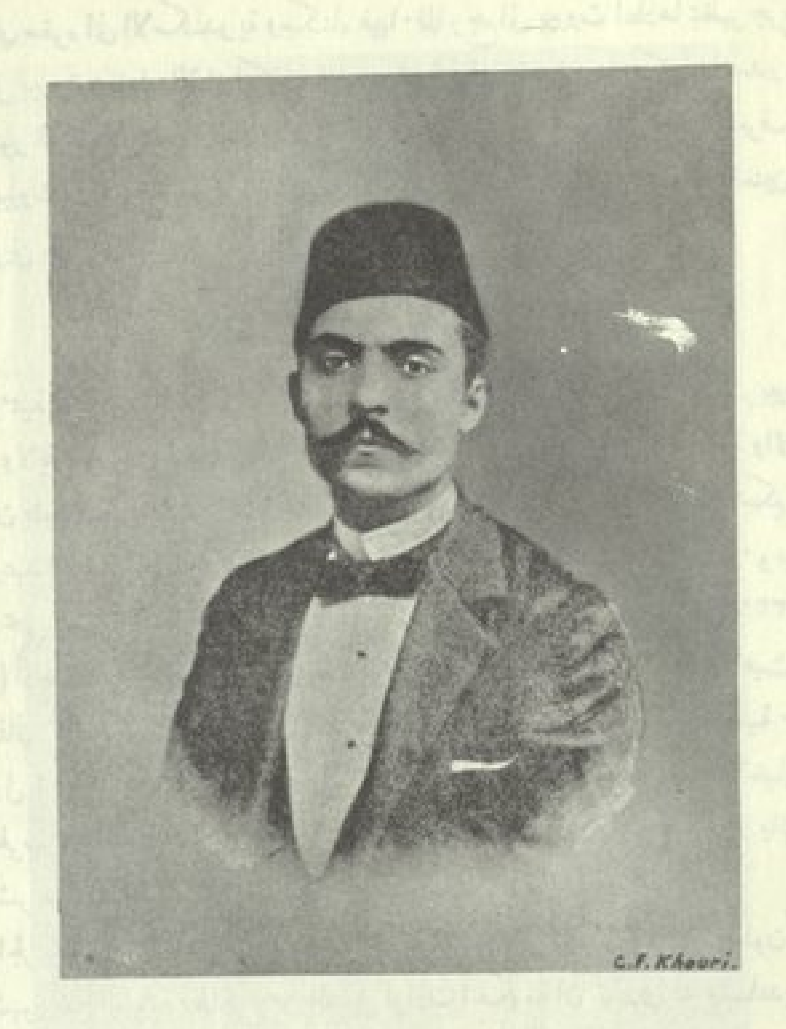
واخلاص النية في خدمة الوطن . واتفق حينئذٍ ان شقيقهُ عبد القادر الدنا كان رئيساً لمجلس تجارة بيروت وذا كلمة نافذة يؤيده كامل باشا الصدر الاعظم . فأرسلت الجريدة لجميع تجار بيروت ولبنان وسوريا وسائر الجهات فاشتركوا فيها اكراماً لخاطره ولم يستطع احدٌ منهم ان يرفضها . لانَّ اعيان بلادنا لسوء الحظ كانوا ولم يزالوا يضنون ببذل الدرهم في سبيل المشاريع الادبية . ولذلك كان اكثرهم يشترك في الجرائد تخجلاً من اصحابها لا بقصد مطالعة اخبارها والاستفادة منها . وفي شهر تشرين الثاني ١٨٨٩ ظهرت « بيروت » بحلة بهية من الحروف القسطنطينية المصنوعة في المطبعة الكاثوليكية وزادت فيها ١١٢ سطراً

و بعد وفاة منشئها عام ١٩٠١ انتقل امتيازها لعهدة اخيه محمد امين الدنا الذي جعلها اسبوعية . ثم قضت عليهِ اعماله التجارية بالانسحاب من ادارتها عام ١٩٠٥ مع بقاء الامتياز باسمهِ . فتولاها اخوه عبد القادر الدنا وكان عهدئذٍ رئيساً للمجلس البلدي . فحسَّن مواضيعها ثم جعلها يومية بعد اعلان الدستور العثماني بمدة قليلة . وما لبث ان اوقفها لكثرة ما ظهر في ذلك العهد من الصحف اليومية والاسبوعية والشهرية التي ثبت منها العدد القليل . ولما تعين ادهم بك سنة ١٩٠٩ والياً على بيروت للمرة الأُولى قامت بعض الجرائد تطعن فيهِ . فاوعز الوالي الى عبد القادر الدنا ان يعيد إصدار الجريدة دفاعاً عنه وساعده بالمال . فصدرت « بيروت » ثلاث مرات في الاسبوع ولكن بلا انتظام وكان حجمها يختلف باختلاف كثرة موادها او قلتها . وجرت حينئذٍ بينها وبين جريدة « الاتحاد العثماني » تلك المناقشة الموجعة التي ادَّت بهما الى الطعن الشخصي . وعلى اثر ذلك احتجبت « بيروت » في شهر تموز ١٩٠٩ بعد ما بلغت عامها الرابع والعشرين

ومن مميزات هذه الجريدة انها كانت تحاسن النصارى اكثر من سائر الجرائد الاسلامية لذلك العهد . وكانت عند ذكرها رؤساء الدين المسيحي لا تبخل عليهم بالالقاب المختصة بهم رسمياً . بل انها كانت تعاملهم بالقسط كما تعامل الصحف المسيحية رؤساء الدين الاسلامي من هذا القبيل . وقد حرَّر فيها مدة ١٨ سنة سليم بن عباس الشلفون ثم خلفه الشيخ محيي الدين خياط وكلاهما من ذوي الفضل والمعرفة

دليل بيروت

جريدة إحصائية ظهرت عام ١٨٨٨ بهيئة مجلة صغيرة تصدر سنوياً تحت عنوان « الجامعة » او « دليل بيروت » لمنشئها امين الخوري . وقد حذا فيها حذو الافرنج تقريباً للصلات بين الوطني والغريب وتسهيلاً للاشغال والعلاقات مع بقية الجهات على ما هو جارٍ في الممالك المتمدنة . فانهُ ضمنها كل ما تهمُّ الانسان معرفته عن احوال بيروت واخبارها ومأموري حكومتها ومشاهير رجالها واسماء



امين الخوري
منشئ صحيفة « دليل بيروت » في بيروت وجريدتي « العثماني » و« الاعلان » في الاسكندرية

تجارها واطبائها وصيادلتها ورؤساء الاديان وقناصل الدول ووكلاء الدعاوى وسائر ارباب الحرف فيها. وهي تشتمل ايضاً على اسماء المعابد والمدارس والمكاتب والمطابع والجرائد والانزال والشوارع والمصارف والمستشفيات والشركات المهمة والمتنزهات العمومية الخ . فكان هذا المشروع المبتكر في بلادنا الشرقية نموذجاً جرت عليهِ سائر البلدان العربية لارشاد الغريب الى كل ما يهم معرفته من احوالها. وهكذا ظهر من بعده « دليل مصر » ثم « دليل الاسكندرية » ثم « الدليل » في باريس ثم « دليل مصر والسودان » وغيرها. واستمرت الجامعة تصدر سبع سنوات متوالية حتى اوقفها

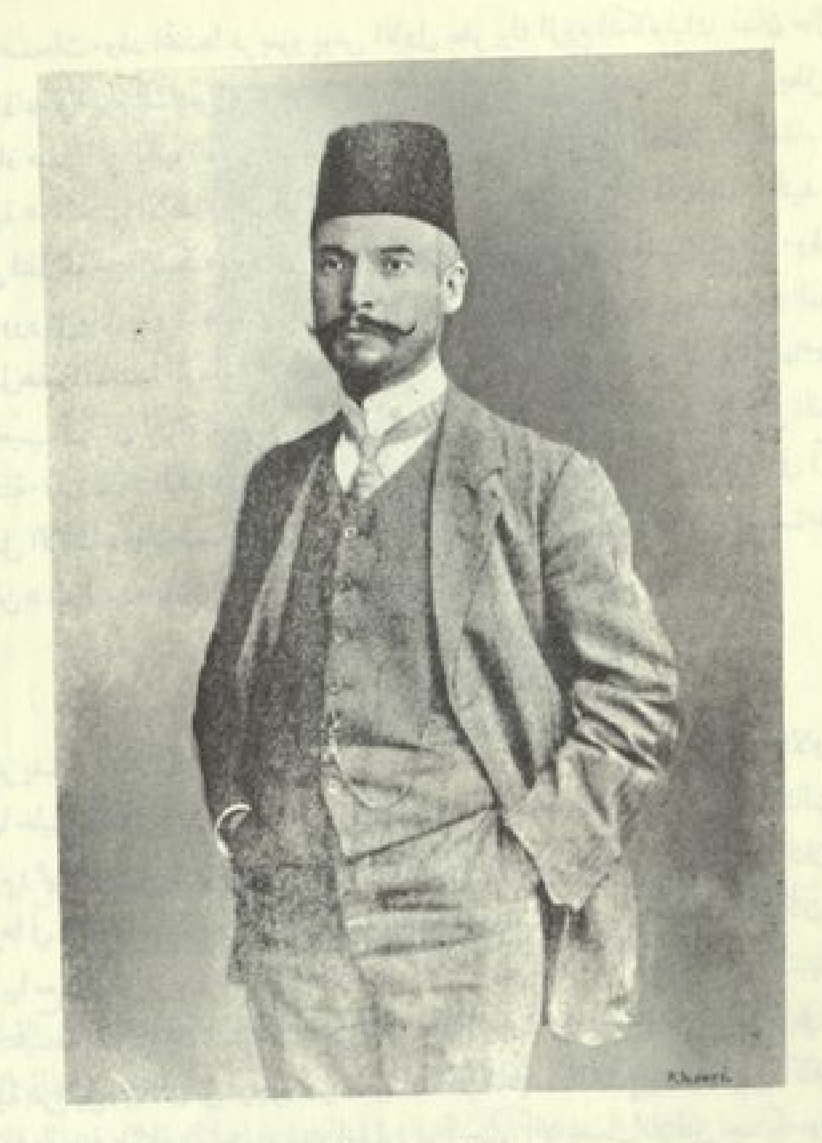
صاحبها بداعي سفره الى الاسكندرية وسكناه فيها · فلما رجع الى بيروت اعادها بمظهر جريدة تحت عنوان « دليل بيروت » فقط · الا انها كانت غير منتظمة في اوقات نشرها · وكلّ ما صدر منها بعد اعلان الدستور العثماني لا يتجاوز عدد الاصابع · ولصاحبها امين الخوري مكتبة تعرف بمكتبة الآداب في بيروت · وقد وضع مؤلفات شتى مذكورة في قائمة مكتبته اهمها معجم في اللغتين العربية والفرنسية مزين بالرسوم العديدة

﴿ بيروت الرسمية ﴾

صحيفة رسمية اسبوعية أُنشئت في ٢٢ كانون الاول ١٨٨٨ بعناية علي باشا حاكم بيروت بعد انفصالها عن ولاية سوريا · وهي تنشر باللغتين العربية والتركية لاذاعة اوامر الحكومة والاعلانات الرسمية · وكان يقوم بتحرير قسمها العربي بعض المأمورين كاحمد فائق · وابرهيم بك حكيم · وكمال الشريف · وعبد الرحمن الحوت · وممدوح بك · وصبحي ابي النصر · وحسين الاحدب · وعبد الغني سني · والشيخ محيي الدين الخياط · ومنذ العدد ١١١٦ الصادر في ١٧ ربيع الاول ١٣٢٩ (١٨ ادار ١٩١١) أُدخلت فيها تحسينات شتى وترقت عبارتها. وقد اتسعت دائرة مباحثها بحيث صارت تظهر في ثماني صفحات وتنشر المقالات العلمية والادبية المشتملة عَلَى الخدمة العمومية · وفي ٢٢ تشرين الاول ١٩١٢ اخذت تُصدر عدداً يومياً في اربع صفحات صغرى لإذاعة الاخبار البرقية وحوادث الحرب بين الدولة العثمانية ودول البلقان اي بلغاريا والصرب والجبل الاسود واليونان · ثمّ أُوقفت نشر هذه النسخة اليومية بعد شهر من إصدارها

ولهذه الجريدة مطبعة خاصة بها مع مطبعة حجرية قد استُدعي لتركيبها الاخ انطون كنعان اليسوعي المشهور بفن الطباعة · فلما فرغ من العمل ارادت الحكومة ان تؤدي لهُ ولمساعديهِ اجرة اتعابهم · فأَبت نفسهُ الكريمة قبول ذلك لقاء هذه الخدمة الوطنية · غير انَّ الولاية قدَّرت عملهُ حق قدره فأَرسلت الى رئيس اليسوعيين كتاباً يعلن شكر الحكومة لطفهم · ثمَّ شفعتهُ بساعة ذهبية على سبيل التذكار للاخ انطون المشار اليهِ

وتطبع هذه الجريدة بحرف حسن وعَلَى ورق جيد · وقد صدر منها عددان ممتازان بالنقوش والتصاوير وهما من ابدع ما ظهر حتى اليوم من الصحف العربية المصوَّرة وطُبعا في مطبعة اليسوعيين · أولهما ظهر في ٩ شعبان ١٣٢٦ بمناسبة تذكار الجلوس السلطاني والآخر برز في السنة التابعة احتفاءً بجلوس السلطان محمد الخامس على الاريكة العثمانية · اما مدير هذه الجريدة ومطبعتها والقائم بجميع مهامها فهو حضرة النشيط عبد المجيد ابو النصر الذي لم يزل في خدمتها منذ نشأتها حتى الآن



عبد الغني سني بك

مكتوبي ولاية بيروت واحد المحررين في جريدة «بيروت الرسمية»

الفوائد

نشرة دينية علمية اخبارية ذات اربع صفحات صغيرة انشأها خليل البدوي في شهر ادار ١٨٨٩ لمنفعة فتيان طائفة الروم الكاثوليك. فصدرت اربع مرات في سنتها الاولى ثم صارت شهرية في سنتها الثانية. ومنذ ١٠ كانون الثاني ١٨٩١ تحوَّلت الى جريدة اسبوعية ادبية علمية اخبارية

في ثماني صفحات . وقد اتخذها غريغوريوس الاول بطريرك الروم الكاثوليك لسان حال طائفته بمنشور اذاعه في اليوم السادس عشر من الشهر المذكور . ولكنَّ عمر هذه الجريدة لم يطل الا خمسة اسابيع اذ صدر امر الباب العالي بتعطيلها لانها قالت عن مدينة رومة العظمى انها مقام « الخلافة البطرسية » . فاختلق الاعداء لهذه العبارة تأويلاً سياسياً واوهموا السلطان عبد الحميد انها ترمي الى نقل الخلافة من القسطنطينية « رومة الجديدة » الى رومة القديمة مقرّ البابوات . ولهذا السبب الخيالي ورد الى والي بيروت عزيز باشا تكدير تلغرافي شديد اللهجة من جانب الصدارة العظمى لانه لم يأبه الى هذه الدسيسة الموهومة . فاضطرّ صاحب « الفوائد » ان يذهب بنفسه الى عاصمة السلطنة حيث تغيَّب نحواً من ثلاثة اشهر . وبجهد عظيم أفهم اصحاب الشأن انه ليس بالرجل الذي يعزون اليهِ الفتنة . وان لقبه « البدوي » لايدل عَلَى انه من صميم العرب الناقمين عَلَى الخلافة في آل عثمان . فلما حصل الاقتناع والاطمئنان من جانبه صدرت له الأوامر السلطانية بانشاء جريدة « الاحوال » بدلاً من « الفوائد » الملغاة

﴿ الاحوال ﴾

جريدة سياسية تجارية علمية ادبية زراعية صناعية أنشئت في غرة تشرين الاول ١٨٩١ لصاحبها خليل البدوي الذي اسسها على انقاض جريدة « الفوائد » الملغاة . وفي عامها الثالث صدرت كل يوم وهي اول جريدة يومية نُشرت في السلطنة العثمانية . وكانت تُطبع في السنين الثلاث الأُول من عمرها في مطابع المدينة . ثمَّ أُنشئت لها مطبعة خاصة باسم « مطبعة الفوائد » التي كان قد صدر امتياز بها مع امتياز جريدة « الفوائد » السابقة الذكر . وفي سنة ١٩٠٠ قيَّض الله لمنشئها ان يشيد لها بناية فخيمة قائمةً في جادَّة المرفإ وهي من اجمل ابنية بيروت . وقد صادفت الاحوال في طريقها الصحافية عراقيل جمة من كل الوجوه ونزلت بها مصائب شديدة كانت كل واحدة منها كافية لقتلها . ولا سيما ان صاحبها كان عَلَى ضعفهِ وقلة انصاره حراً جسوراً لا يحسب للائمين حساباً . وبالرغم من هذه المحن افلحت الاحوال واحرزت مقامها العالي بين الصحف . وقد ذاقت الامرَّين من المراقبة واضطهاد المامورين واعداء الاصلاح . فصودرت امام المحاكم مراراً وصدرت عليها عدة احكام بدائية ردتها محكمة الاستئناف الاَّ مرةً واحدة غرمتها المحكمة بدفع ثمانية عشر الف غرش باغراء احد العمال الخونة مدفوعاً من بعض الاعداء . وكان رئيس المحكمة شديد الوطأة عَلَى الاعضاء فنجح في تثبيت الحكم في التمييز . فدفع صاحب الجريدة ثمانية عشر الف غرش ظلماً

وعُطلت الاحوال مراراً لجرأتها في نشر الحقائق الجارحة . وهي اوَّل جريدة بشرت باعلان الدستور في هذه الديار ونادت عَلَى صفحاتها بالحرية والمساواة والاخاء قبل جرائد العاصمة نفسها .



خليل البدوي

مؤسس مجلة « الكنيسة الكاثوليكية » وجريدة « الفوائد » وصحيفة « الاحوال »

ومحرر جريدة « البشير » سابقاً (رسمهُ في سنة ١٨٨٩)

وفي غرَّة ايلول ١٩٠٨ صدرت مرتين في النهار صباحاً ومساء فاحرزت بذلك قصب السبق عَلَى سائر الصحف العربية في جميع الاقطار . وذلك يدل على همة منشئها واقدامهِ عَلَى عظائم الامور وشدَّة تفانيهِ في سبيل الخدمة العمومية . لكنَّ اندفاعها في الغيرة على اصلاح البلاد قد أثار الاحقاد في صدور الاعداء والحساد فهيجوا عليها العامة من جهلاء المدينة . فهجم منهم عَلَى ادارتها نحو عشرة آلاف رجل شاكي السلاح يوم الاربعا في ٧ نيسان ١٩٠٩ وكادوا يفتكون بصاحبها لولا عناية الله التي انقذته من ايديهم . وكان هذا الاعتداء الفظيع سبباً لهد ركن صحته . فلازم البيت زهاء عشرين يوماً لم يفتر في خلالها من مداومة نشر المقالات الاصلاحية وتقبيح اعمال الجهال والمفسدين . عَلَى انهُ اجابةً لدواعٍ عائلية اضطر ان ينسحب اخيراً من الصحافة . فباع المطبعة في اوائل سنة ١٩١٠ وأجَّر الجريدة الى عشرين سنة لقيصر بوبز وشركاه تحت شروط معلومة . فنشرها اصحاب الادارة الجديدة مدة سنتين وسبعة اشهر ثمَّ اضطروا الى توقيفها في ١٠ ايلول ١٩١٢

لاسباب مالية . فكان ذلك سبباً لاسف مطالعيها من التجار والادباء واصحاب المصالح الذين كانوا يرتاحون الى طلاوة كتاباتها ويعتمدون على صدق اخبارها . وقد بلغنا انها ستستأنف الظهور قريباً بهمة صاحبها المفضل

واشتهرت الاحوال بسرعة نقل الاخبار قبل سواها من الجرائد وخصصت قسماً وافراً من اعمدتها باذاعة الاسعار التجارية والمالية لتسهيل المعاطيات بين الناس . ولها الفصول الشائقة في الدفاع عن مصالح الشعب والتنديد بالحكومة وعمالها على قدر ما تستطيعهُ جريدة في بلاد لم تنضج فيها الحرية الحقيقية . وسافر منشئها مراراً الى اوروبا بحيث كان يتحف القراء بالمقالات الضافية عن حضارة الغرب ويحثُّ الشرقيين على اقتباس حسنات الغربيين . واجمل عدد صدر من الاحوال كان في غرَّة ايلول ١٩٠٠ بمناسبة اليوبيل الفضي لجلوس السلطان عبد الحميد الثاني . فانه يروق للابصار بتأنق الوانه وجمال نقوشهِ . واخص الذين تولوا كتابتها مع صاحب الامتياز نذكر منهم : خليل مطران ونجيب شوشاني وامين الحلبي وابرهيم الخوري البكاسيني وقيصر بويز وسليم عقاد وسعيد فاضل عقل

الفصل الخامس

اخبار مجلاَّت بيروت من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٧٥

المجمع الفاتيكاني

مجلة اسبوعية دينية ذات ثماني صفحات نشرها الآباء اليسوعيون في غرَّة كانون الثاني ١٨٧٠ بادارة سليل طغمتهم الاب فرنسيس غوترلت . وكان يساعده في التحرير الاب يوحنا بلو المستشرق اليسوعي والمعلم جرجس زوين اللبناني الماروني . وغرضها اذاعة اخبار هذا المجمع المسكوني واعلان احكامه ومباحث آبائهِ بين الطوائف الشرقية الكاثوليكية . فظهر منها ٣٥ عدداً آخرها في ٢٧ آب للسنة المذكورة . وكان شعار البابا بيوس التاسع مطبوعاً في راس المجلة تعزيزاً لشأن خليفة القديس بطرس في سوريا . وقد تعطلت المجلة عند توقيف اعمال المجمع بسبب دخول عساكر الايطاليان الى عاصمة البابوات واستيلائهم عليها . ومما لا يسعنا السكوت عنهُ انهُ جرى جدال بين مجلتي « المجمع الفاتيكاني » و« الجنان » لان الثانية نشرت فصولاً منقولة عن جريدة « التيمس » الانكليزية ضد حقوق الحبر الاعظم . فقامت الاولى للدفاع عن راس البيعة الجامعة وبينت لمجلة « الجنان » فساد زعم القائلين بان السدة الرومانيـة تقصد سلب ما يسمونه « استقلال الكنائس

الشرقية » . وكان فرنسيس مرّاش الحلبي يكتب المقالات الطويلة منتصراً للمجمع الفاتيكاني ضد « الجنان » مع محافظته على اصول الجدال وآداب المناظرة وعدم التعرّض للطعن الشخصي

﴿ الجنان ﴾

اسم لمجلة سياسية علمية ادبية تاريخية صدرت في غرّة كانون الثاني ١٨٧٠ مرّتين في الشهر لمنشئها المعلم بطرس البستاني . فجعل شعارها « حب الوطن من الايمان » ومن ذاك العهد درجت العادة عند اكثر ارباب الصحف العربية ان يتخذوا لجرائدهم ومجلاتهم شعاراً خاصاً ويصدّروها بهِ . وقد افتتحها المعلم بطرس بهذين البيتين :

اليك صحيفةٌ نشرت حديثاً فأغنت بالسماع عن العيانِ
كفردوس حوى ثمراً شهياً لذاك دعوتها باسم الجنانِ

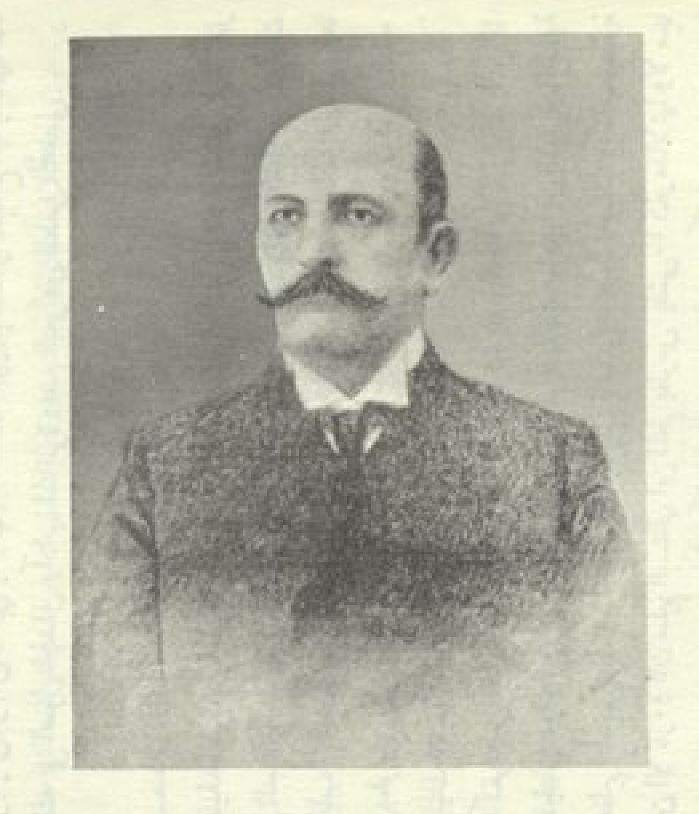
وكانت سوق « الجنان » رائجةً في البلاد العربية شرقاً وغرباً لما نالهُ صاحبها من الشهرة العلمية الواسعة والصيت العظيم بتأسيس « المدرسة الوطنية » وتاليف قاموس « محيط المحيط » وكتاب « دائرة المعارف » وغيرها من الآثار . وكان سليم البستاني ابن المعلم بطرس ينشئ اكثر مقالاتها ولا سيما السياسية والتاريخية والروائيـة . واهمها واشهرها كتاب « تاريخ عام قديم » وكتاب « تاريخ فرنسا الحديث » الذي نشر على حدة سنة ١٨٨٤ في مجلد ضخم . وآخر صفحة من المجلة كانت تتضمن ملحاً فكاهية واشعاراً ادبية وحكماً تهذيبية . ونالت « الجنان » عناية احمد مدحت باشا في ولايته لسوريا حتى انهُ كان يزور ادارتها في مجيئهِ لبيروت ويبث افكاره الاصلاحية بواسطتها . فيصدر العدد منها بجميع مواده لغاية واحدةٍ كالتكريه بالحاكم الظالم ومحبة الحاكم العادل وما اشبه . ومن جملة الآثار المهمة التي زينت صفحات الجنان كتاب عنوانهُ « البانيا والالبانيون » بقلم واصا باشا المتصرف الرابع على جبل لبنان سابقاً . وقد نقله نجيب البستاني من اللغة الفرنسية الى اللسان العربي في فصول شتى

وبعد وفاة منشئها سنة ١٨٨٣ تحوَّل امتيازها لنجله البكر سليم البستاني ثم في السنة التابعة لثالث انجاله نجيب البستاني حتى انطفأ سراجها في العام السابع عشر لظهورها . ولاكثر علماء ذاك العصر مقالات شائقة ظهرت في هذه المجلة نذكر منهم : الشيخ ابرهيم اليازجي وسليمان البستاني والمطران انطون قندلفت والدكتور كرنيليوس فانديك واسكندر آغا ابكاريوس والمركيز موسى دي فريج والشيخ خطار الدحداح وسليم دياب ونوفل نوفل واديب اسحق والمعلم ابرهيم سركيس وابرهيم الحوراني وفرنسيس مرّاش وشاكر شقير وجميل مدوّر وجرجي يني واسعد طراد ونعمان قساطلي وسواهم . وقد نشر فيها جرجي يني المشار اليه كتابه المشهور « تاريخ حرب فرنسا والمانيا » الذي طبع بعد ذلك



ثئوفيلس انطون قندلفت

مطران طرابلس والنائب البطريركي على السريان في بيروت سابقاً
ومنشئ المقالات النفيسة في « البشير » و« النحلة » و« الجنان » و « الجنة » و« النجاح »



جرجي يني

احد منشئي مجلة « المباحث » في طرابلس الفيحاء،
وكاتب المقالات البليغة في اشهر المجلات العربية واقدمها في سوريا ومصر

على حدة سنة ١٩١١ بعناية يوسف توما البستاني ٠ ولما تكلم عيسى اسكندر المعلوف في مقالتـه « الصحافة العربية » عن تاثير الصحف عَلَى الاقلام قال :

« اما التاثير على الاقلام فان بعضها كان في اول عهده ركيك العبارة افرنجي الاسلوب ولكنَّ سمو افكارها كان يشفع بركاكة الفاظها ٠ ولا سيما مجلة « الجنان » فان فيها افكاراً دقيقة تحت عبارات ركيكة مما يدل عَلَى ان منشئيها انصرفوا بكليتهم عن اللباس اللفظي الى الجوهر المعنوي »

ولعلَّ المعلم بطرس البستاني عمد الى هذه الوسيلة في كتابات مجلته عند اول ظهورها لان اكثر القوم في ذلك العهد كانوا لا يكترثون لمطالعة الصحف المكتوبة بعبارات فصيحة ٠ فتسهيلاً لهم كان يفشيء فصول « الجنان » بلغة تفهمها العامة ولا تأنف منها الخاصة ٠ وهي خطة حسنة يُشكر عليها المعلم بطرس البستاني وانجاله الذين اجادوا وافادوا في ابتكار هذه الطريقة دون سواهم لخدمة الصحافة والعلم والوطن ٠ وكانت هذه المجلة مطبوعة طبعاً نظيفاً وتنشر من وقتٍ الى آخر رسوم المناظر الشهيرة وصور اعاظم الرجال

النحلة

مجلة اسبوعية صدرت في ١١ ايار ١٨٧٠ لمنشئها القس لويس صابونجي السرياني ٠ وهو اول كاهن دخل في سلك الصحافة من جميع كهنة الطوائف المسيحية الشرقية ٠ وكانت النحلة تتناول ما راق وافاد من اهم المواضيع مرتبة عَلَى عشرة ابواب ما خلا الدين والسياسة وهي : العلم والصناعة والتاريخ واللغة والحوادث الداخلية والحوادث الخارجية والتجارة والفلسفة والفكاهات والروايات الادبية ٠ ولذلك فانها تعدُّ أُمَّ المجلات العربية في حسن تبويبها وترتيب موادها وكثرة مباحثها بحيث لم ينشأ قبلها مجلة منتظمة عندنا كالمجلات الراقية عند الافرنج ٠ وروى الاب لويس شيخو غلطاً في كتابه « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » ان « النحلة » انشأها يوسف الشلفون بالاشتراك مع القس لويس صابونجي فاقتضى التنويه ٠ وقد صدرها صاحبها بالابيات الآتية :

ها نحلةٌ تجني زهورَ معارفٍ — من روضةٍ فيها صدورٌ تنشرحْ
زهدتْ ببحث ديانةٍ وسياسةٍ — حفظاً عَلَى دينٍ وحكمٍ مقترحْ
قلّد أُمورَ الدين ارباب الهدى — ودَعِ السياسة للرئاسة تسترحْ

وكان الكونت نصرالله دي طرازي اكبر عضد للقس لويس صابونجي في تاسيس هذه المجلة المعتبرة ٠ فانهُ ساعده مادياً وادبياً عَلَى نشرها بين اعيان بلادنا وتجارها وأُدبائها ٠ ثم سعى لهُ في ترويجها في كثير من انحاء اوروبا عَلَى يد اخويهِ نعمة الله طرازي في مرسيليا وفتح الله طرازي في منشستر ٠ وهي المجلة الأُولى التي جعلت فهرساً لمواد كل عدد منها على مثال المجلات الاوربية ٠ وكان العدد



القس لويس صابونجي

(خدمتُ إلهَ العرشِ قِسًّا مقدِّسًا　　عَلَى مذبحٍ حولي الملائكُ سُجَّدُ)
(وصرتُ سياسياً أُديرُ صحافةً　　بها الملكُ والاوطانُ تهدَى وترشَدُ)
(فسبحانَ مَن في كفهِ أمرُ خلقهِ　　يغيرُ فيهم ما يشاء ويقصدُ)

هو مؤسس مجلة « النحلة » في بيروت ولندن والقاهرة ومجلة « النجاح » ونشرة « النحلة الفتية » في بيروت و « النحلة الحرّة » في القاهرة وصحيفة « الخلافة » و « الاتحاد العربي » في لندن و « موسى الحلاقة » في ليڤربول وجريدة « مجلس المبعوثان » في القسطنطينية ومحرّر « مرآة الاحوال » في لندن . وهو اوّل كاهن صحافي عند جميع الطوائف الشرقية وعميد الاحياء قاطبةً بين الصحافيين الناطقين بالضاد

الاوَّل منها مفتتحاً ومختتماً بقصيدةٍ في مدح السلطان عبد العزيز الذي كان يجود بالعطايا السخية على العلماء عموماً والصحافيين خصوصاً . وكان العدد الواحد منها يتالف من ١٦ صفحة مطبوعة بحرف دقيق في المطبعة المخلصية

و بعد صدور العدد الحادي والثلاثين منها صدر امر راشد باشا والي سوريا بتعطيلها . لان صاحب النحلة ندَّد بالمعلم بطرس البستاني وخطأَهُ في بعض المسائل العلمية التي نشرت في مجلة «الجنان» وجريدة «الجنة» المار ذكرهما . ثم انهُ تجاوز الحدود التي كان قد فرضها على نفسهِ وتطرَّف الى مسائل سياسية ومناظرات دينية . وكان القس لويس يكتب اكثر مقالات المجلة بقلمه وينشر فيها فصولاً شائقة وقصائد بليغة لبعض الافاضل والعلماء والاعيان الذين نذكر منهم : المطران انطون قندلفت السرياني وكان حينئذٍ خورياً في حلب . والمركيز اسكندر دي جروه في الاسكندرية . والدكتور بشاره زلزل . والدكتور يوسف ايلا قنصل دولتي انكلترا واسبانيا في صيدا . والدكتور قيصر ايلا . والخوري اسطفان صوصه سليل الرهبانية المخلصية . وسعيد بك تلحوق . والدكتور بشاره منسى . وابرهيم معوَّض . وفضل الله عربيني وسواهم . وقد قرَّظها سليم بك نقلا استاذ الآداب العربية حينئذٍ في المدرسة البطريركية بقصيدة نورد منها هذه الابيات :

حبَّذا نحلةُ علمٍ قد جنى ثمرَ الآداب منها الرجلُ
جمعت من احسن الازهار في كل فنٍّ ما بهِ يُحتفلُ
وكذاك النحلُ من عاداتهِ جمعُ ما يحلو وما يقتبلُ
مبحثُ الاديانِ عنها والسيا ساتِ عدلاً قد غدا يعتزلُ
اصبحت للمرء مشكاةَ الذكا بفنونٍ ليس فيها خللُ
لذةٌ للعقل ارخ واصفاً من صفاها باتَ يقفى الاملُ

سنة ١٨٧٠ مسيحية

قد نبدَّت نزهةً من حيث لي سَ لمن يقرأ فيها مللُ
مذ جنيتُ الشهد من افنانها عن معانٍ ليس فيها زللُ
قلتُ ارخْ شادياً في حدها من قفير النحل يُجنى العسلُ

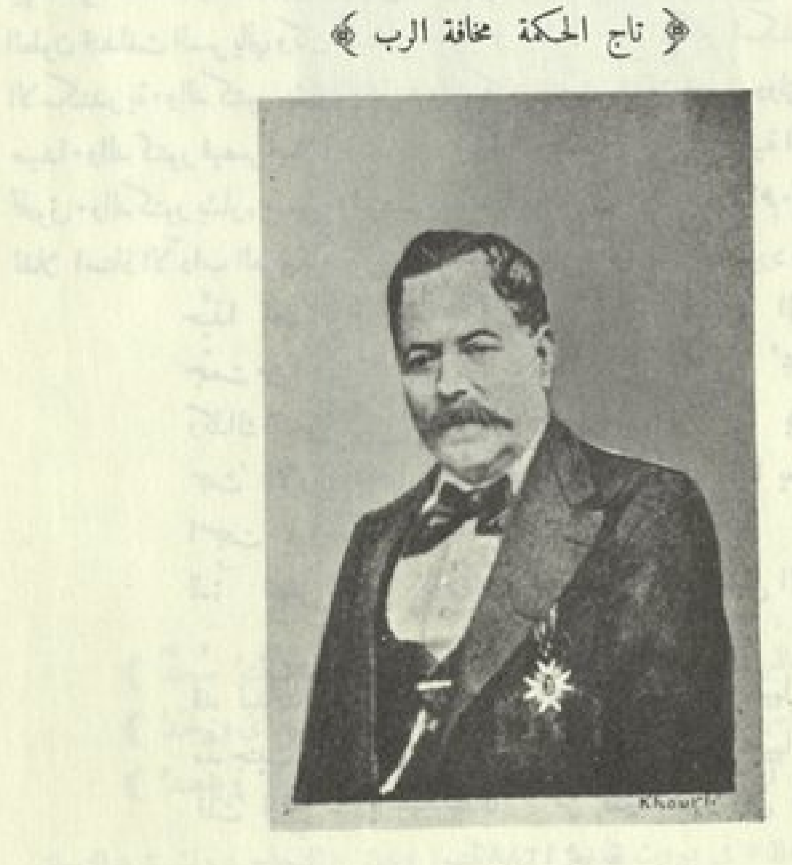
سنة ١٢٨٨ هجرية

وقد وقفنا على قصائد كثيرة في تقريظ هذه المجلة واستحسان خطتها نقتصر منها على ابياتٍ لطيفة نظمها الحاج حسين بيهم الشاعر البيروتي وهي بالحرف الواحد :

هاتِ راحي ياصاح من شهدِ نحلهْ لستُ ارضى ببنتِ كرمٍ ونخلهْ
انَّ شهدَ العلوم خيرُ دواءٍ كلُّ ندبٍ فيه يطببُ جهلهْ



﴿ تاج الحكمة مخافة الرب ﴾



الكنت نصر الله دي طرّازي

صاحب اليد البيضاء على مجلة « النحلة » ومن اعضاء « الجمعية العلمية السورية » في بيروت

(ما مات من عاش في رضوان خالقهِ بل ذكره دائماً حيٌّ بكل فمِ)
(لئنْ مضى جسمهُ فالرسمُ باتَ لنا من بعده ناطقاً بالفضل والكرمِ)

انما العلمُ للأنام كنوزٍ مدحتهُ من الورى كلُّ ملّه
يا رعى اللهُ نحلةً قد رعت من كل روضٍ ما ترتضي كلُّ نحله
نشرةٌ تنشر العلوم وفي الاسبـــوع تبدى من الفنونِ مجلّهْ
عذبت مورداً وطابت وروداً وحلت مشرباً وفاقت محلّهْ
هي كالروضِ للعلوم فمنها كلٍّ شخص ينالُ لا شكَّ سؤلهْ
قد غدت للآداب سوق عكاظٍ قسُّهُ بالفنونِ يكرمُ أهلهْ
عالمٌ بارعٌ أديبٌ نجيبٌ وعباراتُـهُ البليغةُ سهلهْ
رقَّ طبعاً ودقَّ فكراً واضحى مُظهراً للانام بالعلم فضلهْ
رامَ نفعَ الاوطان في نشر علمٍ انَّ نفعَ الاوطانِ اكرمُ خصلهْ
دامَ يولي حسنَ الصنيع ويهدي من خفايا افكارهِ شهد نحلهْ

✵ النجاح ✵

مجلة سياسية علمية تجارية نصف اسبوعية ظهرت في ٩ كانون الثاني ١٨٧١ لصاحبيها القس لويس صابونجي السرياني و يوسف الشلفون الذين اصدراها على انقاض صحيفة كل منهما وهما النحلة والزهرة · فصادفت إقبالاً كبيراً ثم انسحب القس لويس من هذه الشركة قبل نهاية سنتها الاولى لاعتماده عَلَى الطواف حول الكرة الارضية · فاتفق الشلفون مع رزق الله خضرا صاحب المطبعة العمومية عَلَى متابعة نشرها واصدراها مرَّة في الاسبوع بعشرين صفحة بدلاً من مرتين في ١٦ صفحة · وانتدبا الشيخ ابرهيم اليازجي لتحريرها لقاء حصة معلومة من اصل الارباح · « فظهر اقتداره عَلَى الانشاء العصري مما لم يعهد الناس مثله في المرحوم ابيه فضلاً عن تمكنه من قواعد اللغة ومعاني الفاظها » كما ورد في ترجمته المطبوعة في كتاب « تراجم مشاهير الشرق »

فلما رأى اليازجي ان واردات الجريدة لا تقوم بمصروفها ترك تحريرها بعد ما اشتغل فيها نحو السنة · فتقدم الشريكان شلفون وخضرا الى المطران يوسف الدبس الماروني وطلبا مساعدتهُ المادية · فاجاب الى طلبهما وكلف كلاً من نقولا نقاش و بولس زين بتحرير « النجاح » واوعز الى نعمان الخوري اللبناني ان يترجم لها الاخبار الخارجية نقلاً عن صحف اوروبا · ودامت هذه الحال الى اواخر العام الثالث وتعطل النجاح · وكان احتجابه بسبب مقالة شديدة اللهجة نشرها عَلَى اثر حادثة جرت في حي المصيطبة بين النصارى والمسلمين واورد فيها نصائح لم ترُق في عيون ارباب الحكومة حينئذ · فاصدر رائف افندي متصرف بيروت امره بتعطيل المجلة متذرعاً الى ذلك بدعوى انها تصدر خلوًّا عن رخصة رسمية · مع ان صدورها كان سابقاً لوضع هذا القانون في عهد راشد

باشا والي سوريا • وكان للمقالة المذكورة تأثير عظيم بين القرّاء حتى انّ النسخة الواحدة من العدد الذي نُشرت فيه بيعَ باربعة فرنكات • وقد نظم الحاج حسين بيهم ابياتاً وختمها بتاريخ شعري لظهور هذه الصحيفة وهي :

أحاطتنا باحوال البرايا مع الإمعان يعقبها الفلاحُ
وفي بيروت دار العلم لاحتْ جرائدُ في قراءتها انشراحُ
تريكَ حوادثَ الدنيا ومنها نؤرخُ بالهنا ظهر النجاحُ

سنة ١٢٨٧ هجرية

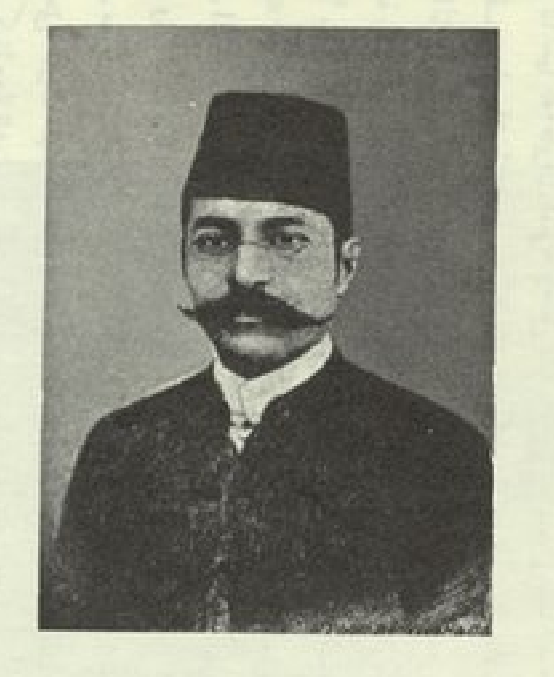
الفصل السادس

اخبار مجلاَّت بيروت من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٨٥

✵ المقتطف ✵

مجلة شهرية علمية صناعية زراعية انشأها في غرّة حزيران ١٨٧٦ الدكتور يعقوب صرُّوف والدكتور فارس نمر من بواكير تلامذة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت ومن نوابغ علماء سوريا • فكانت تشتمل اولاً عَلَى ٢٤ صفحة ثمَّ اتسع نطاقها تدريجاً حتى بلغ عدد صفحاتها ١٠٤ بحرف دقيق • وهي الآن من اكثر المجلاّت العربية الراقية انتشاراً بل من اعظمها شهرةً واوسعها مادةً وادقها بحثاً واجزلها فائدةً في مشارق الارض ومغاربها • وناهيك ان مباحثها تتناول كل فنٍ ومطلب بحيث لو جُمعت موادُّها العديدة عَلَى ترتيب حروف الهجاء لتألفت منها دائرة معارف او قاموس كبير يرجع اليهِ الباحثون في فروع العلوم المختلفة • فاذا ارادوا معرفة ما قيل عن عمر الارض مثلاً قالوا : هلمَّ الى مجموعة المقتطف لنرى ما فيها عن هذا الموضوع • وهكذا قُلْ عن سائر المواضيع العلمية والادبية والصناعية والتاريخية والتجارية والزراعية والفنية والآثار القديمة والاكتشافات الحديثة والاختراعات العصرية وتراجم مشاهير الرجال وغيرهم • اما اخبار تأسيس « المقتطف » فقد رواها صاحباهُ كما يأتي :

«ورأينا في تلك الاثناء انهُ يستحيل علينا ان نجاري الامم الغربية في العلوم والمعارف اذا اقتصرنا عَلَى ما يترجم ويؤلف من الكتب لان العلوم الحديثة جارية جرياً حثيثاً • فما يؤلف فيها هذا العام يمسي بعضه قديماً في العام التالي • ولا بد من جريدة تقطف ثمار المعارف والمباحث العلمية شهراً فشهراً وتذيعها في الاقطار العربية • فعقدنا النية عَلَى انشاء المقتطف لهذه الغاية ورسمنا خطتهُ التي



شفيق بك منصور

من كبار حملة الاقلام المصريين ومنشىء الفصول الشائقة في « المقتطف »



بولس الخولي

منشىء القسم العربي في مجلة « الكلية » البيروتية وناشر المقالات المفيدة في «المقتطف»

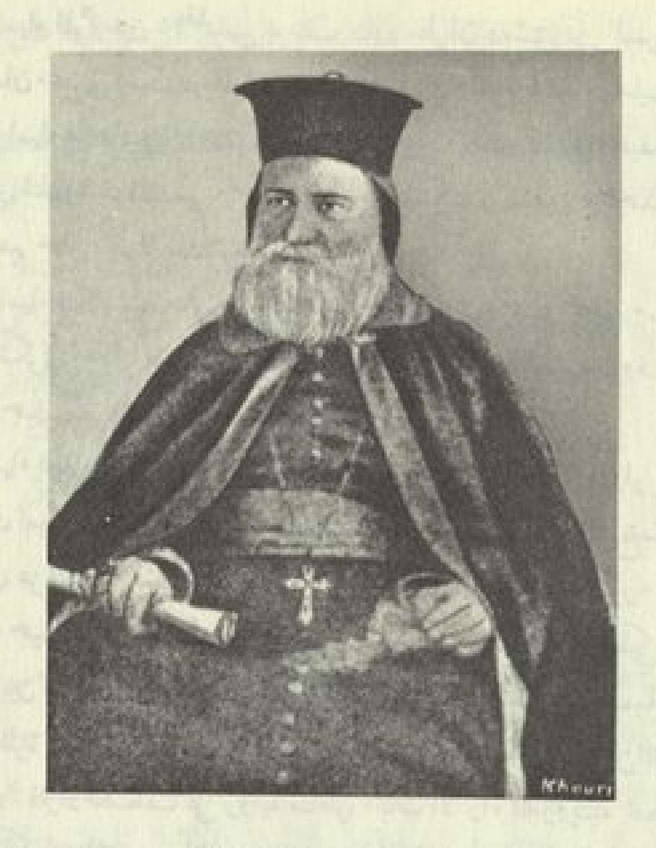
سار عليها منذ انشائه الى الآن . ولم نختر له اسماً بل قمنا كلانا وذهبنا الى استاذنا الدكتور ڤان ديك وكان في المرصد الفلكي حيث كان يقضي اكثر اوقاته . فاستشرناه بما عزمنا عليه وسألناه ان يختار لنا اسماً له . فابرقت اسرته وجعل يشدد عزائمنا و يسهل علينا الصعاب . وقال سمياه « المقتطف » واجعلاه كاسمه وحسبكما ذاك . ثم كتب الى صاحب السعادة خليل افندي الخوري الشاعر المشهور وكان مديراً للمطبوعات في سورية يطلب اليه ان يسعى لنا في جلب الرخصة السلطانية باسرع ما يمكن . ففعل ولم يمض شهر من الزمان حتى اتتنا الرخصة السلطانية . فذهبنا و بشرناه بها فقال : « سيرا في عملكما والله معكما وانا ساشرع من هذه الساعة في كتابة بعض الفصول للمقتطف » . فكتب فصول « اطباء اليونان والشرق » ونشرنا اول فصل منها في الجزء الثاني من المقتطف الذي صدر في غرّة يوليو (تموز) سنة ١٨٧٦ . واباح لنا كل ما عنده من الكتب والجرائد والآلات والادوات لكي نستعملها كما نشاء من غير سؤال »

وقد صرف منشئا هذه المجلة غاية الجهد في انتقاء مواضيعها وزيادة تحسينها وتزيين صفحاتها بالرسوم حتى صارت منهلاً للقاصي والداني . واقبل القوم من كل الطوائف على مطالعتها في خمسة اقطار المسكونة . ولذلك ثبتت ثبات الجبال الرواسي فأطلق عليها القرّاء لقب « شيخ المجلات العربية » لانها بلغت عمراً طويلاً لم تبلغهُ مجلة سواها على الاطلاق . فكانت واسطةً لنشر المعارف وتاريخاً للمكتشفات العلمية والصناعية وسبيلاً لنقل علوم اهل الغرب الى الشرق على قدر ما تستطيعهُ المجلات . ولما اشتدّت المراقبة على المطبوعات في الدولة العثمانية لم يرَ منشئاها حيلةً لمتابعة هذه الخدمة الجليلة الاّ الانتقال بمجلتهما الى عاصمة القطر المصري . فهجرا اليه سنة ١٨٨٤ واول عدد صدر منها هناك كان السادس من المجلد التاسع . وجعلا فاتحة سنتها في بدء السنة الميلادية بدلاً من غرة حزيران وهو تاريخ نشأتها . فلقي المقتطف من عظماء المصريين وعلمائهم ترحيباً بمن يخدم بلاده ولغته . وقد وصفه الوزير الخطير مصطفى رياض باشا رئيس الوزارة المصرية بقوله :

« انني ولعتُ بمطالعته منذ صدوره الى اليوم فوجدت فوائده تتزايد وقيمته تعلو في عيون عقلاء القوم وكبرائهم . ولطالما عددتهُ جليساً انيساً ايام الفراغ ونديماً فريداً لاتنفد جعبة اخباره ولا تنتهي جُدد فرائده سواء كان في العلم والفلسفة او في الصناعة والزراعة »

وفضلاً عن المقالات التي يكتبها في المقتطف صاحباه العلاّمتان فانهُ مشحون بفصول كثيرة لافاضل حملة الاقلام في الشرق . وبياناً لذلك نسرد هنا اسماء بعضهم وهي نقطة من بحر :

اولاً — اسماء الاطباء والصيادلة : كرنيليوس ڤانديك . بشاره زلزل . وليم فانديك . يوحنا ورتبات . يوسف ايلا . شبلي شميل . وديع برباري . نقولا فياض . امين معلوف . بشاره منسى . سليم داود . نقولا نمر . الياس صليبي . ابرهيم شدودي . توفيق صوصه . سعيد ابو جمره . يعقوب ملاط .



اقليميس يوسف داود

مطران دمشق على السريان ومن اشهر العلماء الذين زيّنوا صفحات « المقتطف » بالمقالات التاريخية

(مضى الحبر اقليميسُ عن أعين الورى　　وخلف آثاراً مدى الدهر تُشكرُ)
(فبتنا وكان الرمسُ خيرَ ذخيرةٍ　　لنا بعد مَن بالعلم والفضل يُذْكرُ)

ابرهيم عربيلي · اسكندر بارودي · سليم موصلي · سالم ابي خليل · امين ابي خاطر · جورج بوست · ميخائيل ماريا · ميخائيل مشاقه · مراد بارودي · جرجس طنوس عون

ثانياً — اسماء جهابذة اللغة : الشيخ ابرهيم اليازجي · الشيخ سعيد الشرتوني · ابرهيم الحوراني · سليمان البستاني · جبر ضومط · جرجس همام · السيد محمود حمزه · الشيخ حسين الجسر

ثالثاً — اسماء الشعراء : الامير شكيب ارسلان · سليم بك عنحوري · وديع الخوري · احمد بك شوقي · اسعد داغر · حافظ ابرهيم · الشيخ ابرهيم الاحدب

رابعاً — اسماء المؤرخين : اقليميس يوسف داود مطران دمشق على السريان · جرجي يني · جرجي بك زيدان · عيسى اسكندر المعلوف · حنين الخوري · نعوم شقير · وسليم شحاده

خامساً — اسماء الصحافيين : احمد كامل · بولس الخولي · نجيب بستاني · عبد القادر حمزه · محمد كردعلي · جرجي الخوري المقدسي · صموئيل يني · اسكندر شاهين · احمد بك تيمور · سليم مكاريوس · ابرهيم جمال · نقولا بك توما

سادساً — اسماء الكاتبات : سارة خيرالله · مريم جرجي ليان · شمس شحاده · مريانا ماريا · فريده حبيقه · روجينا شكري · جوليا طعمه · انيسه صبيعه · ندي شاتيلا · ياقوت صروف · مريم مكاريوس مريم سركيس · جميله كفروني · فريده عطيه · سلمى طنوس وغيرهن

سابعاً — اسماء العلماء والادباء : حسن محمود باشا · رفيق بك العظم · ادوار بك الياس · نجيب شاهين · قاسم بك امين · نجيب صروف · خليل ثابت · امين ظاهر خيرالله · الشيخ سليمان العبد · نسيم برباري · محمد ابي عز الدين · نسيم خلاط · فارس الخوري · شفيق بك منصور · متري قندلفت · مصطفى الرافعي · جميل مدور · اسكندر البستاني · حسن بيهم · محمود باشا الفلكي · نعمه يافث الخ

وقد جرت بين المقتطف وجريدة « البشير » البيروتية عدة مناظرات علمية يطول شرحها · وانما اشهرها المناظرة على قضية « مذهب الارتقاء والنشوء » المنسوبة الى دروين القائل بان الانسان يتسلسل من القرد. فاراد المقتطف على رواية مناظره اثبات الآراء الدروينية بحجة انها لا تناقض الدين ولا تضاد الكتاب المقدس. فخالفه « البشير » في هذا الرأي واحتدم الجدال بين الفريقين · وللعلاَّمتين يعقوب صرُّوف وفارس نمر مركز ادبي سامٍ في البلاد الشرقية والغربية · وحسبهما فخراً انهما نالا سنة ١٨٩٠ رتبة دكتور في الفلسفة من « المدرسة الجامعة » في نيويورك · ثمَّ أحرز ثانيهما « وسام المعارف الذهبي » من حكومة اسوج · وهو الذي قال عنه اللورد كتشنر معتمد انكلترا في مصر « ان الدكتور نمر كله عقل »

وكان المقتطف مضماراً تتبارى فيه اقلام كبار المنشئين والعلماء والمؤرخين من كل البلاد العربية · ومن مزايا صاحبيهِ الدكتورين الفاضلين انهما اذا ارتكبا خطاءً في مسألة وارشدهما احدٌ الى الصواب بادرا الى الاقرار بالخطأ مع الشكر لمن نبههما عليه · وهاك برهاناً ناصعاً بما كتباه[1] للسيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق السرياني الذي ردَّ على انتقادهما لكتابه « القصارى » وهو بالحرف الواحد :

« هذا واننا نختم هذه الاسطر بالشكر الجزيل لسيادته ونؤكد له اننا نجلُّ الرسالة التي تنبهنا الى خطاء ارتكبناه اكثر من الرسالة التي تمدحنا على صواب اتيناه · ولسنا ممن يحسب ان قدر الناس

«١» المقتطف : صفحة ٢٩٨ : سنة ١٣ في غرة شباط ١٨٨٨

يحطُّ بالاعتراض على اقوالهم · و ياحبذا لو كانت كل الرسائل التي ترد الينا مثل رسالة سيادته في العلم واللطف »

وللشيخ العلاَّمة ابرهيم الاحدب الطرابلسي قصيدة شائقة قرَّظ بها مجلة « المقتطف » نقتطف منها الابيات الآتية :

وانَّ احسنَ ما جلَّت مقاصدهُ	صحيفةٌ سمّيت منها بمقتطفِ
تلك التي اوضحت طرق الفنونِ لنا	حتى بدت كسراجٍ لاحَ في السَدَفِ
فشاقنا وردها اذ راق مشرعهُ	فكم عليلٍ بطيبِ الوردِ منهُ شفي
أبانَ يعقوب مجلي يوسفٍ بنا	آياتهِ فانجلت للطرْفِ بالطرَفِ
وفارس قد جرى فيها فاحرزَ في	مضمارهِ قصبات السبقِ بالشرفِ

﴿ الطبيب ﴾

مجلة شهرية طبية صيدلية ظهرت في غرَّة كانون الثاني ١٨٧٨ لصاحب امتيازها الدكتور جورج بوست استاذ الجراحة والنبات في المدرسة الكلية الاميركية · وغرضها نشر كل ما يهم الاطباء والصيادلة من معرفة مهنتهم وممارستها · فكانت مباحثها تتناول علم الكيمياء والنبات والحيوان والجماد والتشريح والمواد الطبية والطب الشرعي والاعمال المستشفوية وغيرها · وبقي منشئها قائماً بادارتها وتحريرها في اعوامها الثلاثة الاولى · ومنذ العام الرابع سلم ادارتها لشاهين مكاريوس واتخذ مساعدين له في التحرير الدكتور وليم ڤان ديك والدكتور نقولا نمر والصيدلي مراد بارودي

وفي ١٥ ادار ١٨٨٤ صارت تصدر مرَّتين في الشهر محبرةً بقلم الشيخ ابرهيم اليازجي والدكتورين بشاره زازل وخليل بك سعاده [1] · وكانت موادها تدور على المباحث الطبية والعلمية والصناعية · وهي اول صحيفة دورية عربية استعملت لفظة « مجلة » بمعناها العصري وقد اشار باستعمالها شيخنا اليازجي رحمه الله · ومنذ التاريخ المذكور بدأت سلسلة اعوامها الجديدة بدون الالتفات الى ما سبق من اعوام حياتها الماضية · و بقيت بادارة هذه اللجنة التحريرية الى العام التابع ثم توقفت · وقد وضعت

---

(١) الدكتور خليل بك سعاده لبناني الاصل تلقى العلوم في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت في عهد نشأتها الاولى وهو من الاطباء المشهود لهم بالفضل والمعارف · ومن مآثره الكتابية ما يلي : « قيصر وكليوبطرا » وهي رواية انكليزية · ثمَّ ترجمة « انجيل برنابا » ورواية « اسرار الثورة الروسية » ورواية « اسرار الباستيل » وكتاب « الوقاية من السل الرئوي وطرق علاجه » ورسالة عنوانها « نبلة من كنانة » ردَّ فيها على مجلة المقتطف · واشهر مؤلفاته كتاب « قاموس سعاده » وهو معجم انكليزي عربي يفضل على سائر الكتب التي من نوعه بغزارة المادة وشدَّة البحث وامانة الترجمة

حينئذٍ مئات بل الوف من الاوضاع اللغوية والمسميات العصرية والمعربات التي اشار الى بعضها عيسى اسكندر المعلوف وهاك شيئاً منها : مقياس الثقل (بارومتر) — الميزان المئوي (ثرمومتر) — الخرشوف (ارضي شوكة) — الشعار (القميص) — الدثار (ما فوق القميص) — الشعربة (الفرشاة التي يطلى بها) — الطلاء (الفرنيش) — واجبيات (بكتيريا) — انبوبيات (باشلش) —



الدكتور خليل بك سعاده
احد مدراء مجلة « الطبيب » والمحررين فيها سابقاً

نقاعيات (انفوزوريا) — ذُرَيرات (مكروككس) — رواميز (مساطر) — أنزال (لوكندات) — فيالج (شرانق) — مقوّى (كرتون) — المنظر الطيفي (سبكتروسكوب) — الاكمه (الاعمى خلقةً) — أجّار (صانع الآجر اي القرميد) — شكيكة (سلة توضع فيها الفاكهة) — مشوش

مراد بك البارودي

الصيدلي القانوني والمحرّر في مجلة « الطبيب » في عهد نشأتها الأولى




الدكتور اسكندر بك البارودي

صاحب الامتياز الثاني لمجلة « الطبيب » ومحرّرها

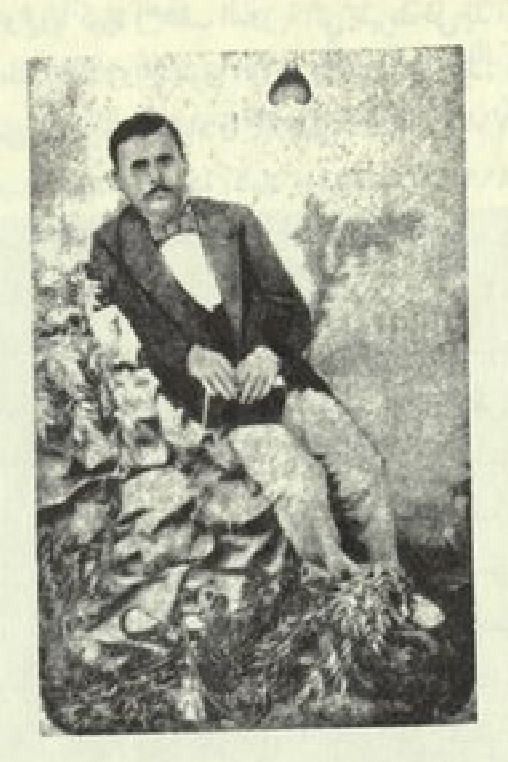
(منديل خشن تمسح بهِ الايدي) بمعنى المنشفة — الحم الغريض (الطازة اي الجديد) — الخزرة (وجع الظهر) — الآح (زلال البيض) — المح (صفار البيض) — الى غير ذلك مما انتبه اصحابها اليهِ بطريق القياس او الاشتقاق او استخرجوه من كتب اللغة . وكان لهذا الدور الثاني من تاريخ حياة « الطبيب » شان كبير في عالم الصحافة العربية لما نشر عَلَى صفحاتهِ من الفوائد الجليلة التي جعلتهُ في طليعة اعظم المجلات شهرةً وانتشاراً

وفي غرَّة حزيران ١٨٩٥ تولى تحريرها الدكتور اسكندر بارودي الذي اصدرها مرةً في الشهر . فجرى عَلَى خطة من سلفوه وفتح فيها باباً جديداً لكل من الفروع الطبية نظرياً وعملياً وللعمليات الجراحية والطبابة الاهلية والطب البيطري والمسائل العمومية . ثم جعل لها في هذه السنين الاخيرة فرعاً تحت عنوان « حفظ الصحة والزراعة » يصدر شهرياً في كرَّاس عَلَى حدة . وفي ٢٣ كانون الثاني ١٩١٠ استقلَّ بامتيازهِ وادارتهِ وتحريره على اثر وفاة الدكتور جورج بوست صاحب الامتياز الاول

وما زال « الطبيب » ينشر في مطابع بيروت الى هذه المدات الاخيرة . ثم صار يُطبع منذ سنة ١٩١٢ في المطبعة الرشادية في كفرشيما بلبنان . وكان في جميع ادوار حياته مكتوباً بعبارة بليغة تدل على سعة معارف اصحابهِ ومحرريهِ الذين تخرجوا في الكلية الاميركية الشهيرة او درَّسوا فيها . وهو وحده بين جميع المجلات الطبية العربية بلغ هذا الشوطَ البعيد من العمر . ومما ساعد على نجاح هذه المجلة في ادوار حياتها السابقة ان مدرسة « قصر العيني » المصرية ومدرسة « الكلية الاميركية » في بيروت كانتا تدرّسان علم الطب في اللسان العربي . فلما ابدلتاهُ باللسان الانكليزي انصرفت عناية اكثر اطبائنا الوطنيين لسوء الحظ عن مطالعة « الطبيب » الى مطالعة المجلات الطبية في اللغات الاجنبية . ومن ذلك الحين قلَّ عدد قرائه ومريديه بالغاء اللغة العربية من المدارس الطبية . ورغماً من هذا كله فان الدكتور اسكندر بك البارودي لا يألوا جهداً في نشر المواضيع الجليلة وخلاصة الاختراعات الحديثة التي تعود بالفائدة عَلَى قراء مجلته القديمة العهد خدمةً للعلم وحفظاً للمنزلة السامية التي احرزها « الطبيب » في عالم الصحافة

﴿ المشكاة ﴾

اسم لمجلة شهرية سياسية علمية صناعية تاريخية فكاهية ذات ١٦ صفحة اصدرها خليل سركيس بتاريخ غرَّة نيسان ١٨٧٨ في اثناء تعطيل جريدة « لسان الحال » مدة اربعة شهور بامر الحكومة . فكانت جزيلة الفوائد معتدلة اللهجة ومحلاَّة بمقالات لابرع كتَّاب ذاك العهد . نذكر منها مقالة « المقل النرجسية في الاخبار الاندلسية » وهو تاريخ الاندلس ايام الاسلام الى فتوح دولة الملثمين



خليل سركيس

صاحب امتياز جريدة « لسان الحال » ومجلة « المشكاة »

(رسمهُ في سنة ١٨٧٨)

بقلم سليم بن ميخائيل شحاده ترجمان القنصلية الروسية واحد صاحبي كتاب « آثار الادهار » وغيره . واحتجبت « المشكاة » على اثر صدور العدد الرابع منها عند ما أُعيد نشر « لسان الحال » بعد عطلته . ولا تختلف مجلة « المشكاة » عن شقيقتها « لسان الحال » في اعتدال المشرب وسلامة الذوق واخلاص الخدمة للوطن وحسن انتقاء الاخبار الصادقة

الفصل السابع

اخبار مجلاَّت بيروت من سنة ١٨٨٦ الى ١٨٩٢

﴿ الصفا ﴾

مجلة شهرية علمية صناعية تاريخية فكاهية نشرت في غرة كانون الثاني ١٨٨٦ لصاحب امتيازها

علي ناصر الدين اللبناني · وهي باكورة الصحف الدورية التي ظهرت على يد ابناء الطائفة الدرزية · فعاشت ثلاثة اعوام ثم تعطلت لقلة رواج سوق الادب حينئذ بسبب شدة المراقبة عَلَى المطبوعات · وقد حرر فيها حينئذ الياس بن جرجس طراد والشيخ فضل القصار · وعام ١٨٩٧ انتقلت ادارتها الى « بعبدا » في لبنان حيث ظهرت مدة سنة كاملة · وفي ١٨ شباط ١٨٩٩ تحوَّلت الى جريدة اسبوعية ادبية سياسية وصارت تطبع في « عبيه » مدة اربع سنين · فاحتجبت بعد ذلك حتى عادت الى الظهور بتاريخ ١١ نيسان ١٩٠٨ في قرية « كفر متى » ثم نقلت منذ ٢ ايار ١٩٠٩ الى عاليه · ومنزلتها عند الدروز كمنزلة جريدة البشير عند الكاثوليك والنشرة الاسبوعية عند البروتستنت · وهي الآن من ارقى جرائد لبنان بنزاهة المبدإ واخلاص النية خلافاً لبعض الجرائد التي تعوَّدت التمليق والتزلف من الكبراء خوفاً منهم اوطمعاً بمساعدتهم · واثباتاً لذلك ننقل فصلاً ورد فيها بتاريخ غرة كانون الثاني ١٩١١ تحت عنوان « اين السعيد من الامين » وهذا نصهُ بالحرف الواحد :

« الامير امين ارسلان قنصل جنرال الدولة العلية في الارجنتين رجل شهدت له اعماله بانهُ من خيرة الرجال · ولو عمدنا الى ذكر تلك الاعمال لكان ذلك من قبيل تحصيل الحاصل · وكفاك برهاناً عَلَى مكانته في النفوس استقبال العثمانيين اياه في المهجر ذلك الاستقبال المقرون بالحفاوة · وفي الحديث الذي دار بينه و بين رئيس تلك الجمهورية الذي اجلَّ استقباله مع اركان حكومته ما ينبئنا عن حصافتهِ ومكانته · وللامير شقيقٌ كنت اود ان تكون سجاياه واعماله كسجايا واعمال شقيقه · لكن لسوء الطالع قضي بالاَّ يكون السعيد كالامين ···· في بدء الحوادث الحورانية قام الامير امين يطلب الى قائد الحملة ان يعامل الدروز بالتوَدُّد وان يعرض عليهم الطاعة قبل ان يبدأهم بالشدة · اما الامير سعيد فقام يدعوه الى استئصال شأفتهم قائلاً انهُ لا يأسف لا عَلَى افرادهم ولا على مجموعهم لان وجودهم مضرٌّ بالهيئة الاجتماعية · فانظر الفرق بين الاثنين !!! و بعد ان بعث سامي باشا تكذيباً رسمياً للذين زعموا ان بين اشقياء العربان في فتنة الكرك دروزاً لم يشأ حضرة الامير سعيد الافخم الا ان يجعل للدروز نصيباً في الفتنة رغماً عن حقيقة الحال وعن سامي باشا · فكتب في جريدة « النصير » مقالةً زعم فيها ان للدروز يداً في الحادثة · لكنَّ زعمه هذا لم يكن لهُ من نتيجة الا إطالة الالسنة في سبه وقول الناس : اين السعيد من الامين ؟ »

و يتولى الآن رئاسة تحرير الصفا امين ناصر الدين نجل صاحب الامتياز ومن الكتبة المعدودين الذين يُشار اليهم بالبنان · وهو ايضاً شاعر مجيد كان يقول ابياتاً من الشعر قبل ان تعلم القراءة والخط فكان والده يكتبها له و يصحح لغتها دون وزنها · ومرةً بعث الى الشيخ خليل اليازجي بيتين من شعره الصباني فسرَّ بهما كثيراً واجابه عليهما بهذه الابيات :

أنتَ الصغيرُ الكبيرُ النفس منتسباً بها لاسلافكَ الشمِّ العرانينِ

هلالُ سعدٍ نرجي منه بدرَ سناً بلوحُ في أُفقٍ باليمن مقرونِ
غالبتَ فنّ القريض المستطابِ وقد غلبتهُ بانتصارٍ منك ميمونِ
منهُ لك الامنُ والنصرُ المبينُ ولا بدعَ فانتَ امينٌ ناصرُ الدينِ



نخله قلفاط

منشئ مجلة « سلسلة الفكاهات » في بيروت والقاهرة

(قلبي الى مجمع الخلان يدفعني والجسم عنهم قضاه الله دافعهُ)
(لم يبقَ منهُ سوى رسمٍ لهيكلهِ عند الاحبة للتذكار أودعهُ)

سلسلة الفكاهات

لا يجهل احد اسم « سلسلة الفكاهات في اطايب الروايات » التي نشرها في تشرين الثاني ١٨٨٤

مجلة قلفاط البيروتي . وهي مجموعة قصص تاريخية وروايات ادبية تعدّ من اقدم الصحف من نوعها . كانت تصدر اجزاءه متواصلة تارةً مرةً وطوراً مرتين في الشهر وكان من اعوانهِ في ترجمة بعضها عن اللغة الفرنسية سامي قصيري وغيره . فنالت رواجاً عظيماً في كل الديار العربية ثم تعطلت في السنة الرابعة لظهورها . وقد نُفي حينئذ صاحبها الى مدينة قونيه بدسيسة من جواسيس الحكومة الذين اتهموه زوراً وظلماً باثارة الخواطر بين افراد الشعب . فلبث في منفاه سنتين ينقلب على جمرات العذاب حتى أُفرج عنهُ بعد دفع كل ما ملكت يداه لاشباع بطون الحكام الظالمين . وهناك انتهز الفرصة لدرس اللغة التركية حتى اتقنها وصار يستطيع الترجمة منها واليها . وفي اثناء اقامته في المنفى نظم قصيدة استرحامية ورفعها للسلطان عبد الحميد قال في مطلعها :

اميرَ الله جئتك مستجيرا	أجل وقد اتخذتك لي نصيرا
اميرَ الله روح العدل انتم	فكيف اكون مظلوماً حقيرا
اميرَ الله اولادي صغارٌ	ورحمتكم غدت لهم مجيرا
أجرْني يا اميرَ الله اني	ظُلمتُ وحقكم ظلماً كبيرا

الى ان قال :

فمن سنةٍ نُفيتُ بغير ذنبٍ	وحسبي الله في ظلمي خبيرا
وحسبي اللهُ انك لي ملاذٌ	فلا اخشى بذي الدنيا شرورا

ولما كان قد يئس من قضاء العيشة تحت سماء الدولة العثمانية عوَّل عَلَى السكنى في وادي النيل وهناك اصدر سنة ١٨٩٣ مجلة باسم « سلسلة الفكاهات » قرَّظها عبد الله فريج بقصيدة جاء فيها :

مجلةٌ قد عَلَتْ اعلى المقاماتِ	كأنها في بهاها روضُ جنّاتِ
للهِ سلسلةٌ بالبشر قد برزت	في اوج علمٍ حوت حسن الفكاهاتِ

ثم عاد الى وطنهِ وتعاطى مهنة بيع الكتب بالشركة مع سليم ميداني . فانتهز انصار الاستبداد هذه الفرصة ايضاً لينصبوا له المكائد ووشوا به لدى الحكومة بحجة انهُ يتاجر بالكتب الممنوعة ككتاب « ام القرى » وسواه . فأُلقي القبض عليه سنة ١٩٠٤ وزُجَّ في السجن مع اصحاب الجرائم الكبرى مدة سنة كاملة أُصيب في اثنائها بداء الفالج . ومات في ١٣ تشرين الاول ١٩٠٥ بعد إطلاق سبيله من الحبس بايام معدودة . وقد نُقشت عَلَى ضريحه هذه الابيات التي نظمها الاستاذ الياس بهنا :

فقدت بنو قلفاط نخلة مَن به	اهل المعارف والمكاتب تأنسُ
واروا بهذا اللحد شهماً فاضلاً	ندباً لهُ اضحى المقامُ الاقدسُ
من بعدما نشر المعارف حلَّ في	دار البقا حيث المهيمن يحرسُ

لما هوى الموتُ الزؤامُ بنخلةٍ ارختها بسما الاعالي تغرسُ

سنة ١٩٠٥

وُلد نخله بن جرجس بن ميخائيل بن نصرالله قلفاط سنة ١٨٥١ في بيروت وقرأ مبادئ العلوم على اسكندر آغا ابكاريوس . ثم مالت نفسهُ الى درس علم الفقه والقوانين الدولية فنال منها نصيباً وافراً . وكان نخله قلفاط رجلاً نشيطاً خلف من الآثار الادبية ما يشهد بفضله واجتهاده . وقد كافأهُ قيصر الروس على ذلك بوسام شرف ومنحهُ بهبة مالية قدرها الف وخمسمائة فرنك . واليك اسماء الكتب التي الفها أو ترجمها من اللغات الاجنبية بقطع النظر عن الكتب التي طبعها على نفقته : حقوق الدول . تاريخ روسيا . تاريخ ملوك المسلمين . حمزه البهلوان . بهرام شاه . فيروز شاه . الف نهار ونهار . ديوان ابي فراس الحمداني (شرح اكثر ابياته) . ضرر الضرتين (رواية تمثيلية) . الملك الظالم (رواية تمثيلية) . الزوجة الزائغة . هالكات باريس . مائة حكاية وحكاية . مونتو كريستو . وخلف ديوان شعر يحتوي على منظومات شتى في مواضيع مختلفة نقتطف منها هذه الابيات التي رفعها لكامل باشا عند ما وُجهت اليه رتبة الصدارة العظمى . وكل بيت منها يتضمن تاريخاً لاحدى السنين الثلاث الميلادية والهجرية والمالية :

لسان الهنا ارَّختُ جاء مردّداً بكامل باشا اليوم تزهو الصدارةُ

سنة ١٨٨٥ ميلادية

وقد أشرقت يومَ البشائر أرّخوا بهاء وعدلاً منهُ تلك الادارةُ

سنة ١٣٠١ هجرية

ألا بشرِ الدنيا بحكمة ذاتهِ وارّخْ بها حقًا تليق الوزارةُ

سنة ١٣٠٢ مالية

ديوان الفكاهة

مجلة شهرية تشتمل على روايات تاريخية وغرامية وادبية كانت تنشر في مطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس وهي اول مجلة روائية صدرت باللسان العربي . أنشأها في غرة سنة ١٨٨٥ المرحومان سليم بن ميخائيل شحاده وسليم بن بولس طراد وهما من اخص اعيان مدينة بيروت واقدم عائلاتها . وكان اكثر رواياتها معرباً عن اللغة الفرنسية بقلم الكاتب البارع يوسف بشاره فيقانو . وبعد عامها الرابع احتجبت مدة ثلاث سنين ثم استقل بها الى نهاية اجلها سنة ١٨٩٣ سليم طراد وحده . وقد تولى حينئذ تعريب رواياتها شاكر شقير اللبناني صاحب مجلة «الكنانة» المصرية الذي صدرها بهذين البيتين :

تخالفَ الناسُ والزمانُ فحيثُ كان الزمانُ كانوا
ايها المعرضون عني عودوا فقد عاودَ الزمانُ

وكان « ديوان الفكاهة » مجموعاً حسن الوضع والترتيب حاوياً من اطايب الروايات علَى اشهاها ومن اشهر الرحلات على اكثرها فائدةً ومن آداب الحكايات والقصص على ادناها مأخذاً والطفها مشرباً وارقها اسلوباً. وكان بوجه الاجمال لا يتعرض لمذهب ديني ولا يلمح لامر سياسي ولا ينشر الاّ مايوافق طرحه بين ايدي القوم كباراً وصغاراً نساء ورجالاً . وكان إقبال الناس كبيراً علَى مطالعة رواياته اللذيذة المنزهة من الشوائب الادبية التي لا يخلو منها اكثر الروايات المطبوعة في زماننا



الايكونوموس ثئوفانس البدوي

الرئيس العام على الرهبانية الباسيلية الحلبية سابقاً ومدير مجلة « الكنيسة الكاثوليكية »

وشقيق صاحب امتيازها

الكنيسة الكاثوليكية

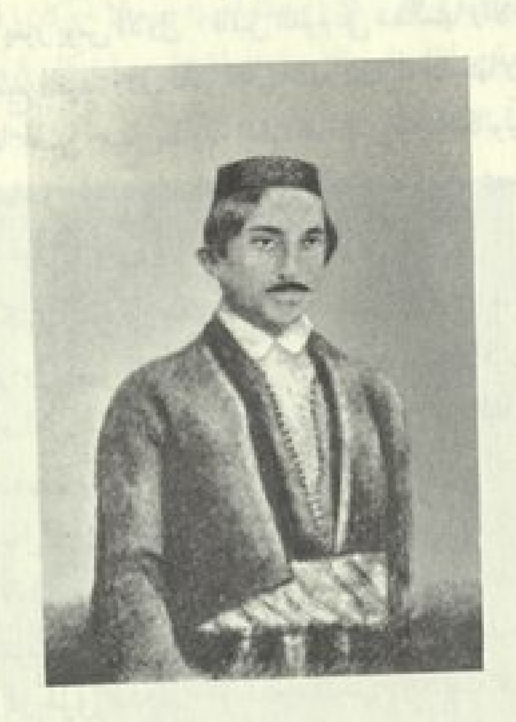
هي رسالة شهرية تعليمية تاريخية انشأها خليل البدوي بتاريخ كانون الثاني ١٨٨٨ في اثناء قيامه بتحرير جريدة البشير · وهي ذات ثماني صفحات صغيرة كانت ادارتها متعلقة بالآباء اليسوعيين الذين نشروها لحسابهم في مطبعتهم الكاثوليكية · وقد جعلها منشئها لخدمة طائفة الروم الكاثوليك وطبعها باذن بطريركهم غريغوريوس الاول · فاقبل القوم عَلَى مطالعتها والاشتراك فيها لما كانت تذيعهُ عَلَى صفحاتها من المواضيع المفيدة · وفي عامها الثاني اتسعت دائرة مباحثها وصارت تصدر في ٣٢ صفحة مرتين في الشهر · فاستحسن جميع بطاركة الطوائف الشرقية الكاثوليكية خطتها القويمة وامتدحوا منشئها برسائل خاصة · وعند ذلك اخذ خليل البدوي بنشرها بمصادقتهم منذ العدد الرابع عشر المؤرخ في ٣٠ تموز ١٨٨٩

ولبثت « الكنيسة الكاثوليكية » عَلَى هذه الحال حتى احتجبت في اواخر عامها الثالث عند ما ترك صاحبها جريدة البشير · وفي شهر كانون الثاني ١٩٠٢ صدر منها عدد فرد بادارة الايكونوموس ثئوفانس البدوي شقيق صاحب امتيازها المشار اليهِ · وكان ذلك بامر البطريرك بطرس الرابع (الجريجيري) الذي قصد اعادة نشرها لخدمة بني ملته · ولكنَّ المرض الذي اصاب البطريرك حينئذٍ ثم ساقهُ الى القبر حال دون متابعة نشر المجلة التي دخلت في خبر كان · و بعد ذلك تعين الايكونوموس ثئوفانس نائباً اسقفياً عَلَى ابرشية حمص وحماه ولم يزل في هذه الوظيفة الى يومنا · ومن اهمّ المباحث التي نُشرت في هذه المجلة نذكر : « التوفيق بين العلم وسفر التكوين » للاب دي كوبيه اليسوعي ومعربة بقلم خليل البدوي · ثم مقالة « الموسيقى الكنسية » للخوري كيرلس رزق · ومنها كتاب « كشف المكتوم في تاريخ آخرَي سلاطين الروم » ونبذة في « تاريخ مصر وزراعتها » وغير ذلك من المقالات المفيدة بقلم منشىء المجلة

الباب الثاني

تراجم مشاهير الصحافيين في بيروت في الحقبة الثانية

— «١» —



سليم البستاني

منشئ مجلة «الجنان» و«الجنة» و«الجنينة» (رسمهُ في سنة ١٨٦٦ بالملابس الوطنية القديمة)

(أفنيتَ عمركَ في علىً ومآثرٍ   وإفادةٍ للعلمِ أو تصنيفِ)
(وسبحت في بحر العلوم مكابداً   امواجهُ والناس دون سيوفِ)

هو بكر انجال المعلم بطرس بن بولس بن عبدالله بن كرم بن شديد ابن ابي شديد بن محفوظ ابن ابي محفوظ البستاني وُلد في ٢٨ كانون الاول ١٨٤٨ في قرية عبيه عند ما كان والده استاذاً هناك في المدرسة الاميركانية . فقرأ العلوم العربية عَلَى الشيخ ناصيف اليازجي في بيروت وأتقن معرفة اللغات التركية والانكليزية والفرنسية عَلَى اشهر الاساتذة . وفي سنة ١٨٦٢ صار ترجماناً لقنصلية

الولايات المتحدة الاميركية بدلاً من ابيهِ · وكان الساعد الايمن لهُ في جميع الاعمال الادبية التي قام بها لا سيما في تدبير شؤون « المدرسة الوطنية » التي كان نائب رئاستها وتولى فيها تدريس الصفوف العالية الانكليزية · واشتغل في تأليف كتاب « دائرة المعارف » وتحبير المقالات المهمة في مجلة الجنان · ثم اخذ على عاتقهِ تحرير جريدتي الجنة والجنينة · واشتغل بنشاط في « الجمعية العلمية السورية » التي كان نائب رئاستها ومن اهم اركانها · وفي عام ١٨٧١ اعتزل اشغال القنصلية واقبل يضافر والده في مهماتهِ العلمية والصحافية · كل هذا ولم يكن عذار خده قد بقل بعد · وترجم كتاب « تاريخ فرنسا الحديث » في مجلد ضخم بمعاونة الشيخ خطار الدحداح اللبناني · والّف عدّة روايات تمثيلية او قصصية كرواية « الاسكندر » ورواية « قيس وليلى » ورواية « يوسف واصطاك » ثم « الهيام في جنان الشام » و « زنوبيا » و « بدور » و « اسمى » و « سلمى » و « سامية » وقد جمع فيها من ضروب الادب والسياسة والاقتصاد والادارة والتاريخ والنصائح واصلاح العادات وصقل الطباع الخشنة الى غير ذلك من المقاصد النبيلة

فتمكنت مكانتهُ في الوطن وقرّبهُ الحكام اليهم · وكان قلمهُ اعظم ترجمان للتمدن الغربي في ديار الشرق · وسار مرّتين الى مصر وعاد منهما والحقائب تحدّث عن مكارم الحضرة الخديوية في تعضيد مشاريعه وترويج مصنفاتهِ · وفي عام ١٨٨٠ نشأت فيهِ رغبة التجارة فاتجر ولكنهُ لم يفلح · فاعاد أموره الى نصابها الادبي كأنما قدّر له ان يحيا ويموت في سبيل خدمة العلم · وبعد وفاة والده استقلَّ وحده بكل المشاريع المذكورة وطبع الجزء الثامن من كتاب دائرة المعارف وهيأ اكثر مواد اجزائه الباقية · غير انَّ الاجل لم يفسح له الوقت الكافي لاتمام هذا المشروع الخطير · فاعتنى اخوته امين ونجيب ونسيب مع سليمان البستاني بابراز الاجزاء التاسع والعاشر والحادي عشر الى لفظة « عثمانية » فقط ثم توقفوا عن العمل · ولا نتمالك هنا من ابداء الاسف الشديد لعدم انجاز هذا الاثر العظيم بل الكنز الثمين الذي يتوق الى إحرازه كلُّ ناطق بالضاد · لانه وحده يغني عن اقتناء خزانة كتب برمتها

وكان سليم البستاني موصوفاً بدماثة الاخلاق وحدّة الذكاء جامعاً بين علوّ الهمة وشهامة النفس وسلامة السريرة · وكان حريصاً على ولاء الاصدقاء لا ينقض وعداً ولا يحلُّ عهداً · وبتاريخ ١٣ ايلول ١٨٨٤ انتقل فجأة من هذه الحياة في قرية « بوارج » حيث كان يروّح النفس من عناء الاشغال تحت سماء لبنان مع نسيبهِ سليم بك ايوب ثابت · فقصفته يد المنية غصناً رطيباً في ربيع العمر ثم شُيعت جثتهُ الى بيروت بين تردد الحسرات وذرف العبرات ودُفنت بجانب تربة والده المأسوف عليهِ في مقبرة الطائفة البروتستنتية بعد ما رثاهُ الشعراء والخطباء · فأبنه بالكنيسة راعي الطائفة الانجيلية وفي المقبرة الدكتور فارس نمر والياس طراد وسامي قصيري · وخلف ولداً وحيداً يدعى

حبيباً قد دَرس فنّ الزراعة في اوربا وسكن في القطر المصري مع والدته السيدة حنة بنت ايوب ثابت • وقد رثاه بعض الشعراء بقصائد نفيسة فاخترنا هذه الابيات لناظمها الشيخ خليل اليازجي :

وهو الموتُ الاّ انّ خطبك اعظمُ ورزؤُك في الارزاء اشجى واجسمُ
ومن فلتات الدهر امرك انهُ لأَشفق في امثال هذا وأرحمُ
لك الله ميتاً كالقتيل ولم يسل لهُ من دمٍ لكن مدامعنا الدمُ
وان نحن طالبنا المنايا بثأرهِ رمتنا وقالت مَن يطالب عنكمُ
وان نحن عاتبنا الزمان بفعله قرعنا سماعاً ما لهُ مَن يترجمُ
قعدنا وقد خبنا من الدهر ما ملاً نَنوح عَلَى ما كان منه ونلطمُ
كذا الدهر الاّ ان مَن زاد همهُ وقصّر عن تفريجهِ يتظلمُ
فقدنا بني الاوطان عضواً مكرماً لجسمٍ مضت منه يدٌ فهو اجذمُ
الا اننا في فقده اليوم اسرةٌ واوطاننا في نوحهِ اليوم مأتمُ
عَلَى مثلهِ يُبكى وهيهات مثلهُ فتىً طاب منهُ القلبُ واليد والفمُ

وكان ضليعاً باللغات العربية والتركية والانكليزية والفرنسية فكان يكتب فيها و يترجم منها واليها بسهولة و بلاغة • و باشر تأليف معجم تركي عَلَى نسق كتاب « دائرة المعارف» وقصد ان يسافر للاستانة ليقدمه للحضرة السلطانية • الاّ انّ الوفاة عاجلته قبل ابراز هـذا العمل لدائرة الوجود • وكان شاعراً مطبوعاً نظم كثيراً من القصائد المتفرقة التي نؤمل ان يقوم من يجمعها في ديوان خاص قبل ان تلعب بها ايدي الضياع • ومن جيّد نظمهِ ما يأتي :

تقلّبت الدنيا فما جدُّها جدٌ ولا وصلها وصلٌ ولا صدُّها صدُ
فراقٌ وراء الوصل فيها وما لها وفاءٌ ولا عهدٌ يدومُ ولا وعدُ
نشيّدُ للآمال قصراً محصناً فتهدمهُ جبراً ولا ينفع الجهدُ
تطاردنا الايامُ مثل عداتها فيمسي اميرُ القوم وهو لها عبدُ

الى ان قال : وَمن يرتقي في حالة الفقر والعنا سريعاً الى العليا يضرٌ بهِ الجدُ
وَمن يدخل الغشّ الخبيث فؤادهُ فما نومهُ نومٌ ولا سهدهُ سهدُ

ومن لطيف اشعاره في رواية « قيس وليلى » هذه الابيات :

الموت صعبٌ والصبابةُ اصعبُ والكل من هجر الحبيبة اعزبُ
والقلب يطلبُ قربَ مَن أحببتها والموتُ من قرب الحبيبة اقربُ
دونَ الديار مناهلٌ وذوابلٌ وصواهلٌ وكتائبٌ تتكتّبُ
يا قلبُ صبراً في المصائب فالفتى مَن كان اقتابَ المصائب يركبُ

— « ٢ » —



﴿ الدكتور لويس صابونجي ﴾

هو يوحنا لويس بن يعقوب بن ابرهيم بن الياس بن ميخائيل بن يوسف صابونجي الارفلي وُلد في ٧ تشرين الثاني ١٨٣٨ بمدينة « ديرك » التابعة لولاية ديار بكر · وكانت ولادته هناك من باب الصدفة ايام خرج اليها والده فراراً من وباء الهواء الاصفر الذي فشا وقتئذٍ بديار بكر · وقد اشار الى ذلك في ابيات من قصيدة له :

خُلقتُ بارضٍ قد تجلت ببهجةٍ ... سقاها الهي من فراتٍ ودجلةِ
بلادٌ ثواها آدمٌ بعد جنةٍ ... اليها انتمى الابطالُ في كل حقبةِ
وُلدتُ بها فوراً على غير موعدٍ ... غداةً اتاها والدي لنزهةِ
بشهرٍ فشا فيها الوباء مؤلفاً ... وشاع انتشاراً في بلاد الجزيرةِ

وسكن والده بمدينة ماردين بعدما هاجرت اجداده من اورفا ثم انتقل منها الى دياربكر ·

فلما بلغ لويس السنة الثانية عشرة خرج الى سوريا يريد الدرس عَلَى اساتذة مدرسة الشرفة بجبل كسروان . وبوصوله الى مدينة بيروت حلَّ ضيفاً على منزل المرحوم انطون طرَّازي جدّ كاتب هذه السطور . وفي ٣ كانون الثاني ١٨٥٠ انتظم في سلك تلامذة المدرسة المذكورة حيث تلقى اصول اللغات العربية والسريانية والايطالية . وفي سلخ كانون الاول ١٨٥٤ ارسله اغناطيوس انطون سمحيري بطريرك السريان الانطاكي الى مدرسة مجمع انتشار الايمان في رومة . فتلقى فيها العلوم العقلية والنقلية على اختلافها حتى نبغ فيها كلها ونال رتبة ملفان (دكتور) في الفلسفة

وفي شهر حزيران ١٨٦٣ عاد الى الشرق ميمماً مدينة ماردين فاراد البطريرك المشار اليهِ ان يمنحهُ رتبة الكهنوت . فتردد المترجم متمنعاً عن قبولها لانه لم يرَ من نفسهِ ميلاً الى الدخول في هذا السلك الروحاني . ولكنهُ رضخ اخيراً لارادة البطريرك بتشويق بعض الكهنة واقتبل في ٢٩ تشرين الثاني ١٨٦٣ الرتبة المذكورة . ثم ذهب الى ديار بكر لمشاهدة اهله ومنها جاء بيروت حيث تعين رئيساً للطائفة السريانية . فانشأ فيها مطبعة لنشر الكتب في اللغات العربية والسريانية والتركية . وأسس مدرسةً صار لها شأن عظيم حتى قصدها طلبة العلم من كل ارجاء المدينة . فصارت تباري غيرها من المدارس العالية وكان من جملة تلامذتها النجال متصرف بيروت كامل باشا الذي صار بعد ذلك صدراً اعظم . وهو الذي ادخل فنَّ التصوير الشمسي في بيروت وكاد يكون مجهولاً فيها قبل ذلك الحين . فعلمهُ لاخيه جرجس الذي برَّز في هذه المهنة حتى استحق ان ينال لقب « مصور العائلة الامبراطورية البرلينية »

ولما قدم فرنقو باشا الى جبل لبنان عين القس لويس استاذاً لاولاده ومرشداً لآل بيتهِ في امور الدين . ثم عكف المترجم عَلَى درس فن الموسيقى فأحكمهُ في وقت قصير . واختاره حينئذٍ الدكتور بلس رئيس المدرسة الكلية الاميركية استاذاً لتلامذتها في اللغة اللاتينية . وكلفه ايضاً الخوري فيلبس نُمَيَّر رئيس المدرسة البطريركية بتعليم اللغتين التركية والايطالية لطلبتها

وفي ١١ ايار ١٨٧٠ اصدر مجلة « النحلة » ابتغاء الاصلاح وتعميم المعارف . ولكن طرأت عَلَى منشئها حوادث ساقته الى تجاوز الحدود التي كان قد فرضها على نفسه وتحرَّش بمسائل سياسية ومناظرات دينية ساقت راشد باشا والي سوريا الى إلغاء النحلة . فتجلد صاحبها واصدر مجلة اخرى سماها « النجاح » فنابها ما ناب النحلة من سوء العقاب . ثم اعاد نشرها وجعل يوسف الشلفون كاتبها المسئول حتى تنازل عنها له ابتغاء الراحة . فلما استراح من تضييق الحكام سوَّلت له نفسه ان يطوف حول الكرة الارضية . فركب البحر نهار الجمعة لثلث عشر بقيت من شهر آب ١٨٧١ واستكمل دورة الارض في سنتين وسبعة شهور . فكان اوَّل طوَّاف من آل سام أُتيح له ان يقوم بمثل هذه السياحة الكبرى كما اشار الى ذلك في ابيات له من قصيدة في الفخر :

وقد طفتُ حول الارض شرقاً ومغرباً　　وصيتي سرى قبلي يذيع برحلتي
وما طاف قبلي من بني سامَ طائفٌ　　ولا جال منهم بالبسيطةِ جولتي

ولما عاد الى بيروت واستراح من عناء ذلك السفر الطويل اقترح عليه بعض الاصدقاء اعادة نشر صحيفة « النحلة » فلبى طلبهم واصدرها باسم « النحلة الفتية » · واتفق في غضون ذلك ظهور مسألة تاريخية تتعلق باصل ايمان الطائفة المارونية · فاستنصر القس لويس للقائلين بعكس ما ترتأيه الملة المذكورة ونشر في صحيفتهِ مقالات خارجة عن هذا الموضوع · فثارت عليهِ من جراء ذلك فتنة من الرعاع كاد يذهب فيها قتيلاً · فهاجر الى ليفربول حيث نشر رسالةً سماها « موسى الحلاقة » وشحنها بالرد على اخصامهِ المذكورين · ورحل مرةً ثانية الى اميركا ولبث في نيويورك وفيلادلفيا بضعة شهور · ثم عاد الى بلاد الانكليز قاصداً مدينة منشستر · فاخترع فيها آلة صغيرة لنقل التصاوير واحرز امتياز التوحد بالعمل بها من دولة بريطانيا العظمى · ولما نقل سكناه الى لندن باع حقوقهُ في الآلة المذكورة الى شركة تعرف باسم « Stereoscopic Company » واخترع آلة اخرى لفن التصوير سماها « Authomatic Apparatus » فاحرز امتياز التوحد بالعمل بها من الحكومة الفرنسية

ثم استعاد بلندن نشر صحيفة « النحلة » عام ١٨٧٧ واصدرها بتاريخ ٢ نيسان باللغتين العربية والانكليزية · وحلاها بمناظر البلاد وتصاوير رجال العصر المعدودين في السياسة والعلم · وانشأ فيها ايضاً جريدة « الاتحاد العربي » وجريدة « الخلافة » وساعد رزق الله حسون في تحرير صحيفة « مرآة الاحوال » الشهيرة · فنشر فيها كلها آراءهُ التي كانت ترمي الى تعميم الاصلاح ومحاربة الاستبداد في الدولة العثمانية

وكان صاحب النحلة وكيلاً خصوصياً للسيد برغش سلطان زنجبار مدة ثماني سنين حتى قُبض هذا الى رحمة ربهِ · وكان السلطان يكاتبه كل شهر ويلح عليه بمراسلته مع كل بريد · فاتفق للصابونجي انهُ سهى مرةً عن موعد سفر البريد من لندن الى زنجبار وما رفع كتاباً الى السيد برغش · فبعث يعاتبه عتاباً لطيفاً ويطلب منهُ الا يغفل عن رفع تفاصيل الاحوال اليهِ مع كل بريد · وكان يتقاضى لقاء ذلك مبلغاً سنوياً من المال عدا الهدايا التي كان ينعم السلطان بها عليه · وتشرف في ٢٧ ايار ١٨٧٩ بالمثول بين يدي فكتوريا ملكة بريطانيا العظمى · ونال مثل هذا الشرف مرتين لدى الحبر الاعظم في رومة ولدى ناصر الدين شاه ايران · وسنة ١٨٨١ زايل لندن ليطوف في بلاد نجد وخيل ابتغاء الوقوف على احوال سكان تلك الاقطار · ثمَّ عرَّج على وادي النيل فخدم مصالح الدولة البريطانية نحو السنتين في اثناء الفتنة العرابية · وسعى مع مستر بلونت ولادي عانه حفيدة اللورد بيرون الشاعر الانكليزي المشهور في إنقاذ عرابي باشا من الحكم الذي اصدرهُ غلادستون رئيس الوزارة الانكليزية في إعدامهِ مباشرةً بلا محاكمة

ولما عاد الى انكلترا تعلق عَلَى القاء الخطب في مسائل علمية وتاريخية وما يتعلق بسياحته . ولبث يخطب تسعة اسابيع متواصلة في « قصر البلور » بلندن . واتفق له في بعض الايام ان يخطب تسع مرات في النهار وكان يحضر الخطب نحو الف وخمسمائة نفس . ثم خطب في محفل « الاثينيوم » بمدينة منشستر وفي مدرسة الصم والبكم . وكان استاذهم يترجم لهم مآل الخطبة بالاشارات الموضوعة لتعليمهم فصار ذلك مصداقاً لما قاله الدكتور صابونجي في بيتٍ من قصيدة له في الفخر :

وان قمتُ بين الصم والبكم خاطباً أَنفذ سمع الصم تقريع وعظتي

ثم خطب بمدينة باريس في قاعة الخطب الكائنة في الشارع المسمى Boulevard des Capucines وفي « انستيتو رودي » الكائن في الشارع الملكي وكذلك في بعض القاعات المعدَّة للخطب في المعرض العام سنة ١٨٨٩ . وفي اثناء ذلك اختاره ولي عهد انكلترا (صار فيما بعد ملكاً باسم ادوار السابع) استاذاً للغات الشرقية في دار الفنون التي انشأها هذا الامير بلندن وسماها «The Imperial Institute» وتناول الطعام مرتين على مائدة سموه بدعوة مخصوصة . وقد انضمَّ حينئذٍ الى سلك الجمعيتين المعروفة احداهما باسم « Society The Royal Asiatic » في لندن والاخرى باسم « Accademia Lettararia degli Arcadi » في رومة العظمى . وقد اتحفهُ الملوك المشار اليهم وامبراطور اليابان وملك حيدر آباد وحمد بن ثويني سلطان زنجبار ايضاً بالرسائل المديدة التي يعربون فيها عن اعتبارهم لصاحب الترجمة . وما عدا ذلك فانَّ لديه شهادات كثيرة من اعيان الانكليز وعلمائهم في تقريظ مجلة النحلة

وفي سنة ١٨٩٠ خرج الى الاستانة فامر السلطان عبد الحميد بتعيينه في المعية الشاهانية وانعم عليه بدار فسيحة في احسن بقعة من ضواحي الاستانة بكل ما فيها من الرياش . وجعل له خمسين ليرة عثمانية راتباً شهرياً واصدر اليهِ ارادته السنية بالمثول بين يديه مرَّتين في الاسبوع . واختاره استاذاً لانجاله في فن التاريخ العام ومترجماً لجلالته من اللغات العربية والانكليزية والفرنسية والايطالية الى التركية . ثم اقامه عضواً في المجلس الكبير لنظارة المعارف . وكانت خدمته للسلطان باذنٍ صريح من بطريرك السريان جرجس الخامس ومن السيد بونتي القاصد الرسولي بالاستانة . ولبث الدكتور صابونجي عَلَى هذه الحال حتى أُعلن الدستور في السلطنة العثمانية فاعتزل المأموريات ملازماً بيته ومنقطعاً الى التأليف والمطالعة . وهذا البيت المعروف باسم « قفير النحل » قائم في جزيرة الامراء عَلَى شكل هندسي جميل . وقد نقش في صدر البيت صورة « عين » مع هذه العبارة « عين الله تعالى على محبيه الصادقين » وحفر فوق المدخل والاعمدة سبعة ابيات قال في آخرها :

إجعلْ بلطفكَ يا إلهُ سعادتي يومي بها بالعزِّ يتلو ليلتي

اما ما كان من صفات الاستاذ صابونجي فانهُ ولع بالدرس واكتساب المعارف منذ نعومة اظفاره وقد اعتاد الكتابة والمطالعة ليلاً الى ما بعد نصف الليل بساعة او ساعتين . واذا خرج الى التنزه

شغل بالهُ في النظم او في انشاء المقالات السياسية والعلمية واثبتها في دفتر يحمله دائمًا في جيبه وهو يطوف الشوارع ويتجول في الحدائق من دون ان يبالي بضجيج المركبات وازدحام الناس · وقد اشار الى ذلك في ابيات له :

اسيرُ الى التنزيه طوراً ودفتري ... رفيقي انيسي في مسيري وجلستي
وكم من برودٍ في السياسة حكتها ... وكم قلتُ شعراً في شوارع بلدتي
وفي البر ثمَّ البحر قلتُ قصائداً ... وما خمدت طول الليالي قريحتي
نظمتُ قريضاً او كتبتُ مقالةً ... وقد جنَّ ليلٌ دون نورٍ وشمعةِ

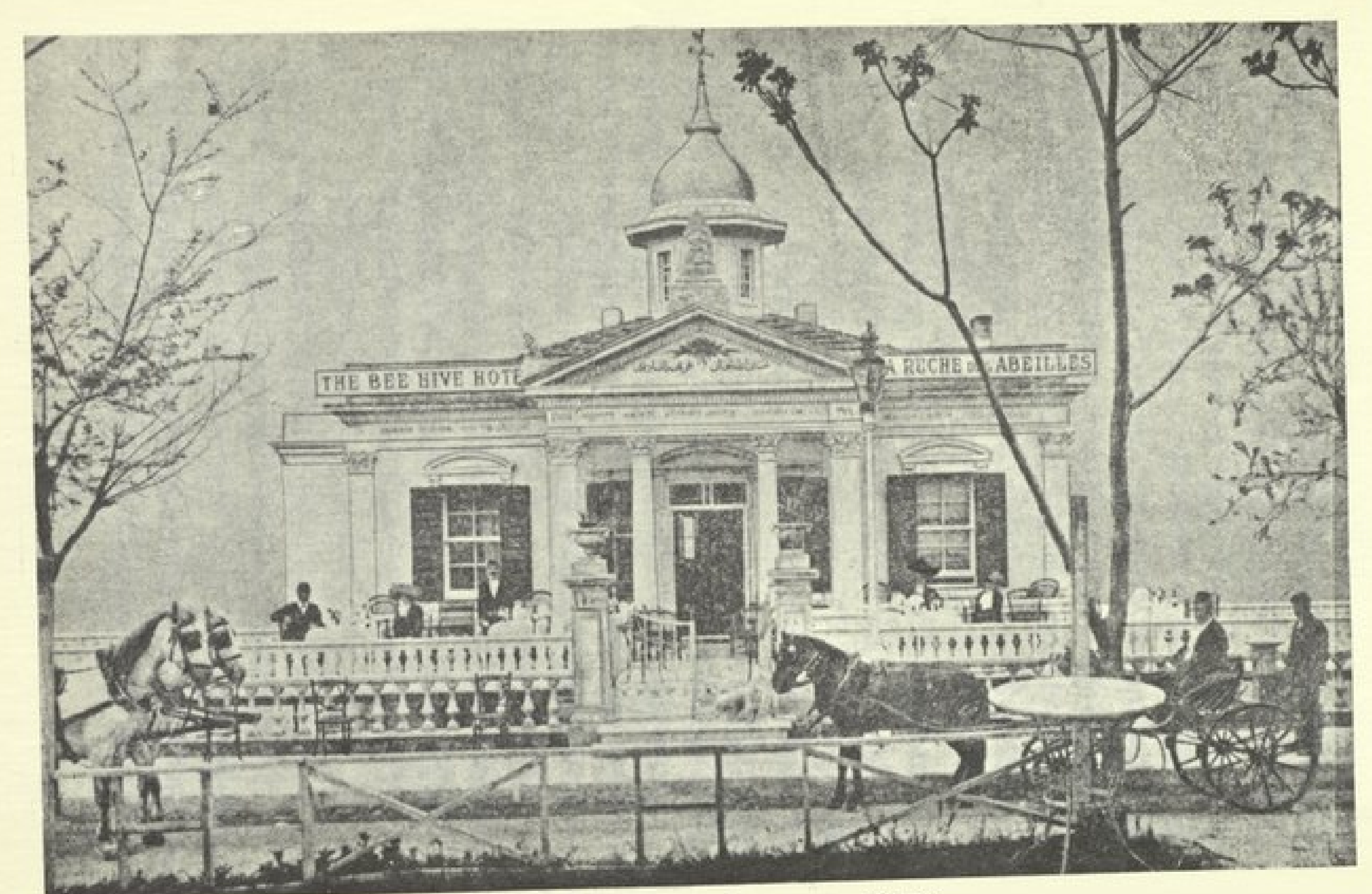
وكان اذا أُرقَ ليلاً وطرفهُ فكرٌ في هدوءِ الغياهب وليس لديه يراع ومداد وقرطاس وثب من فراشهِ وحرق قضيب كبريت وفحّم رأسهُ واثبت به افكاره في جدار الحجرة كما قال :

وليلٍ اتاني فكرُ شعرٍ بديهةً ... ولا حبرَ عندي في دواةٍ بليقةِ
حرقتُ قضيباً قد تكبرتَ رأسهُ ... كتبتُ بفحمٍ في جدارٍ قصيدتي
حذوتُ بفعلي حذو آدم عندما ... اتاهُ من الرحمن إلهامُ كتبةِ

وقد تحرَّى الطلاوةَ في شعره وتحاشى فيه الكلام المهجور والالفاظ اللغوية البعيدة عن ادراك الجميع · وقد سلك فيه اسلوبًا جديداً لا يُعهد في اساليب شعراء العرب · ونهج منهجاً حديثًا يندر فيه ذكر البيداء والنوق والرحال والرمال والخيام وما جرى مجراها مما يدور عليه محور كثير من اشعار اهل الوَبَر · واعتاض عن ذلك بالسكك الحديدية والقطار والباخرة والكهرباء وما اشبه ذلك من اختراعات العصر عند الحضر · وقد اشار الى ذلك في هذه الابيات :

لاسفارِ اهل البيدِ رحلٌ وهودجٌ ... ونوقٌ عليهِ العربُ تغزو وتسرحُ
ونحن قد اعتضنا عن الكل في السرى ... بفلكٍ كحوت البحر تجري وتسبحُ
وفي البرِّ مرنا في قطار يجرّهُ ... بخارٌ يحاكيهِ العقابُ المجنَّحُ

ومما يستحق الذكر شدَّة ولعه بالصنائع وتركيب الآلات ولهُ فيها اختراعات مفيدة كما سبق الكلام · وتعلق عَلَى درس عشر لغات فاحكم اصول سبعٍ منها فقط وهي : العربية والسريانية والتركية والايطالية واللاتينية والفرنسية والانكليزية · وقد تحرَّى في شعره ونثره الكلام البسيط الخالي من التعقيد والمحسنات اللغوية التي لا فائدة منها للعموم ولا تهذب اخلاقهم ولا تساعدهم على اكتساب معيشتهم · فهو « كاتب شعبي وليس بمنشىءٍ لغوي » كما قال عن نفسه · فكأنه اراد بذلك ان يقتفي آثار السيد المسيح الذي كان يخاطب الشعب بامثلةٍ بسيطة مأخوذة من الشباك وصيد السمك وزراعة الحقول وغير ذلك · او كما قال محمد نبيُّ العرب للصحابة « أُمرتُ ان أُخاطب الناس على قدر عقولهم » او كما قال يوحنا الذهبي الفم « خيرٌ لي ان أُلحن في كلامي ويفهم عموم الشعب



رسم منزل الدكتور لويس صابونجي في جزيرة الامراء بضواحي القسطنطينية

مضمونهُ من ان اتفاصح في اقوالي ولا يفهمها الاَّ القليلون » ٠ ومن اشرف مناقبهِ مراعاة الذمام وقد قام الدليل عَلَى ذلك في ابيات له :

ورثتُ مراعاة الذمام سلالةً رعيتُ ودادَ الخلّ منذ فتوّتي
تقرُّ لي الاعداء رغماً بانني اراعي ذمام الخلّ حتى المنيةِ
وأجزي بخيرٍ مَن دهاني بشرهِ واصفحُ عن قومٍ ارادوا اذيتي

واذا احسن اليهِ محسن حسب إحسانهُ طوق منةٍ في عنقهِ لايحلُّ له خلعهُ ولو في الجفاء ٠ والشاهد عَلَى ذلك ابيات انشدها لاحد رجال الانكليز كان احسن اليهِ وهي :

اموتُ وشكري لايموت مدى الدهرِ ويحيا ذمامي في ترابي الى النشرِ
اموتُ وفي قلبي من الشكر نسمةٌ لمن مدَّ كفَّ الجود نحوي مدى العمرِ
وان متُّ ما مات الوفاء بمهجتي وديدان جسمي تنشد الشكر في قبري
فلا رحمةٌ مثل الوفاء مفيدةٌ ولا يرحم الرحمن نفساً بلا شكرِ

واشتهر الصابونجي بتمسكهِ بالعقائد الدينية وثباته عَلَى المبادىء الصحيحة رغماً عن الاختلافات التي طرأت بينهُ وبين روٴساء الدين وحملته عَلَى إهمال وظيفة الكهنوت ٠ فحاججه ذات يوم قومٌ من الدهريين في مسألة خلود النفس فأنشدهم بعد ما أفحمهم بالادلة الفلسفية :

الى الله تنحو النفسُ بعد انفصالها وتجزى بخيرٍ او بشرٍ فعالُها
وان قيل : بعد القبر ليس قيامةٌ فقلنا : على الزنديق كان وبالها
وان قيل : ليس النفس تدري معادها فقلنا : ستدري حين يأْتي ارتحالُها
الى الله عود النفس بعد جهادها متى حلَّ من قيد الحياة عقالُها

وحاججهُ كذلك ذات يوم فيلسوف من طائفة يوسف اسبينوزا اليهودي الجاحد وجود الله سبحانه فأنشدهُ صاحب الترجمة هذه الابيات بعد جدال طويل أفحمهُ فيهِ :

يسبّح مَن في البر والبحر والعلا الهاً تجلّى بالخلائق للملا
كيانٌ بلا بدءٍ وحدٍّ وحيزٍ بـه البدء منذ البـدء كان ممثلا
إلهٌ على عرشٍ بلا حدِّ مركزٍ يسوسُ وحيداً لا شريك له ولا
رآهُ بعين العقل كلُّ موحدٍ وغاب عن الزنديق بالكنه واعتلى

ونظم هذه الابيات لتنقش عَلَى قبره :

قضى العمرَ في الاسفار طالبُ حكمةٍ يرومُ فنوناً لا تُحدُّ وتُحصرُ
ومَن كانت الدنيا الفسيحة كلها تضيقُ لديهِ في الحياة وتصغرُ
كفتهُ بُعيدَ الموت أضيقُ حجرةٍ كما اكتفيا بالمثل كسرى وقيصرُ

ومن مآثره التي تستحق الذكر انه رسم صورةً طولها اربعة امتار وعلوها ثلاثة امتار بالوان الزيت · وهي تمثل تسلسل جميع الاديان من عهد آدم الى يومنا هذا · وفيها ٦٦٠ شخصاً من جملتها تصاوير جميع الذين انشأوا ديناً او مذهباً مع طريقة عبادتهم ورموز عقائدهم وطقوسهم · وكلها منقول عن آثار قديمة اكتشفها الحفارون في بلاد مختلفة · وهذه الصورة التي ليس لها نظير في كل الدنيا قد اشتغل الاستاذ صابونجي في امرها منذ كان في اميركا سنة ١٨٧٢ حتى اكملها سنة ١٩٠٩ فجاءت فريدة في نوعها · وقد الف رسالة باللسان الانكليزي هي بمثابة دليل او مفتاح للصورة المذكورة وما فيها من الرسوم مع ذكر تاريخ تلك الاديان وزمان اكتشاف الآثار الدالة عليها والاماكن التي كانت مطمورة فيها الى غير ذلك من الامور المهمة

ونال من علامات الشرف وسام « شيرخورشيد » من ناصر الدين شاه ايران ثم « الوسام العثماني » من دولة تركيا ووسام « الكوكب الدري » من سلطان زنجبار وغيرها · ومن مزايا الاستاذ المشار اليهِ انه شديد الحرص عَلَى وقتهِ وصحتهِ · فانه رغماً عن كبر سنهِ لا يضيع دقيقة واحدة بلا عمل مفيد · وكذلك لا يستعمل التبغ ولا يذوق اللحم ولا الكحول ولا القهوة عَلَى الاطلاق · ويقنع من كل انواع الطعام بشرب الحليب واكل البيض وبعض الاثمار الناضجة · وقد كُتِبت ترجمتهُ ونشرت مطولاً بقلم الاستاذ المستشرق « فروست » معلم الرياضيات سابقاً في دار الفنون بمدينة اكسفرد من بلاد بريطانيا العظمى · هذا ما تيسر جمعه بكل اختصار من اخبار الدكتور لويس صابونجي عميد الاحياء بين ارباب الصحافة العربية · ونختم ترجمتهُ بجدول يحتوي على ما اتصل بنا من اسماء مؤلفاتهِ الكثيرة وهي :

(١) نقل الى اللغة الايطاليــة اثني عشر كتاباً من اشعار « ورجيل » الشاعر اللاتيني

(٢) ترجم من اللسان اللاتيني الى العربي قاموس الالفاظ المصطلح عليها في العلوم الفلسفية وسائر العلوم والفنون (غير مطبوع)

(٣) تاريخ فتنة حلب سنة ١٨٥٠ (غير مطبوع)

(٤) تاريخ فتنة لبنان وسوريا في سنة ١٨٦٠ (غير مطبوع)

(٥) تاريخ الثورة العرابية في الديار المصرية سنة ١٨٨٢ (لم يُطبع)

(٦) فلسفة ما بعد الطبيعة

(٧) تهذيب الاخلاق (طبع في بيروت)

(٨) الحق القانوني (غير مطبوع)

(٩) المرآة السنية في القواعد العثمانية (الفهُ الوزيران الخطيران فؤاد باشا وجودت باشا · وقد

نقله الدكتور صابونجي من اللغة التركية الى العربية وافرغه في قالب الاسئلة والاجوبة وطبعه في بيروت)

(١٠) تاريخ بطاركة السريان (يحتوي عَلَى تاريخ طائفة السريان الكاثوليك منذ سنة ١٨٥٢ الى الزمان الحاضر . ومنهُ نسخة مخطوطة في دار التحف البريطانية بلندن وهو غير مطبوع)

(١١) مشاهير الرجال (يشتمل عَلَى سير العلماء من اليونان والروم والعبرانيين والسريان والكلدان في اللغة اللاتينية وهو غير مطبوع)

(١٢) « جمال الكائنات » اي وصف الجمال في الحيوان والنبات والجماد (هو فن يقال له « Estetica » في اللغة الايطالية)

(١٣) الرحلة النحلية (تتضمن رحلة المؤلف حول الكرة الارضية في اللغتين العربية والتركية . وقد ذكر فيها اهم الشؤون العلمية والتاريخية المنوطة بالبلاد التي زارها مع سكانها ولغاتها وصناعتها وزراعتها وتجارتها وحيوانها واديان اهاليها وعاداتهم واخلاقهم . وقد طبع قسماً منها في القسطنطينية وزينهُ بالرسوم الناصعة)

(١٤) النحلة (مجلة علمية نشرها في بيروت ولندن والقاهرة)

(١٥) النحلة الفتية (رسالة انتقادية طبعها في بيروت)

(١٦) موسى الحلاقة (رسالة انتقادية ايضاً طبعها في ليڤربول من انكلترا)

(١٧) قاموس انكليزي وعربي (نشره بالاشتراك مع الدكتور جرجس باجر في ١٢٤٤ صفحة بالقطع الكامل واتقن تشكيله بالحركات)

(١٨) النحلة الحرة (مجلة جدلية نشرها في مصر سنة ١٨٧١)

(١٩) النحلة (جريدة سياسية نشرها في لندن سنة ١٨٨٤)

(٢٠) النجاح (مجلة سياسية نشرها في بيروت سنة ١٨٧١ بالاشتراك مع يوسف الشلفون)

(٢١ الاتحاد العربي (جريدة سياسية نشرها في لندن سنة ١٨٨١)

(٢٢) الخلافة (جريدة سياسية اصدرها في لندن سنة ١٨٨١)

(٢٣) مجلس المبعوثان (جريدة طبعها في الاستانة)

(٢٤) تنزيه الابصار في رحلة سلطان زنجبار (يحتوي عَلَى سياحة السيد برغش سلطان زنجبار بقلم كاتبه الاوّل زاهر بن سعيد . وقد نقحه الدكتور صابونجي ورتب ابوابه وعلق فوائد كثيرة على متنه وجلاه بمناظر المدن التي دخلها السلطان . وزينهُ ايضاً بصور الملوك والملكات والامراء والاميرات واصحاب الشهرة الذين اكرموا منزلة حاكم زنجبار مدة طوافه في بلادهم . فخلع عليهِ السيد برغش خلعة ثمينة مشفوعة بمبلغ خمسمائة جنيه انكليزي)

(٢٥) الاصول المنطقية (بحثٌ في الفلسفة العصرية والقديمة لم يُطبع)

(٢٦) مرآة الاعيان في تسلسل الاديان (نشره على صفحات مجلة النحلة في لندن)

(٢٧) مجموع مقالات سياسية كتبها باللسان التركي و يبلغ عددها ٢٠٠ مقالة (لم تطبع)

(٢٨) مجموع قصائد لاتينية نظمها في صباه

(٢٩) قصائد ونشائد في اللغة الايطالية

(٣٠) مجموعة قصائد ومقالات سياسية في اللغة الانكليزية

(٣١) مواعظ في اللغات العربية والانكليزية والفرنسية والايطالية

(٣٢) افكاري (كتاب مخطوط جمع فيه كل ماجرى له من الحوادث مدة حياته في مجلدات شتى ٠وفيهِ من سمو الافكار والاعمال ما يندر اجتماعه الاَّ في اعاظم الرجال)

(٣٣) ديوان « شعر النحلة في خلال الرحلة » يحتوي على قسم من منظومات الدكتور صابونجي في٥٨٦ صفحة كبيرة مزينة برسوم الملوك والامراء والعلماء والشرفاء والاحبار٠وقد طبعهُ في الاسكندرية ورفع منهُ نسخة مرصعة بالجواهر الكريمة الى السلطان العثماني

(٣٤) « The Turkish Misrule » طبعهُ في اميركا

(٣٥) اصل العرق الارلندي (وضعه في اللسان الانكليزي وسماهُ «The Origine of the Irish race» ثم طبعه في انكلترا)

(٣٦) مختصر تاريخ جميع الاديان (وضعه في اللغة الانكليزية مبتدئاً من الديانة الطبيعية فالآثورية فالمترائية فالبرهمية فالبوذية فالوثنية فالمصرية فاليهودية فالمسيحية فالمحمدية فالبروتستانية فالشيكر فالرول فالجبر وهلم جراً وقد طبعه في لندن ٠ ثم ترجمه الى التركي والايطلياني ولم يطبعهُ بعد)

(٣٧) مختصر تاريخ الاديان (في اللغتين التركية والايطالية وهو غير مطبوع)

(٣٨) رسالة في اللغة الانكليزية هي بمثابة دليل للصورة التي مرَّ ذكرها عن تسلسل جميع الاديان

(٣٩) كتاب « السكان في النجوم والاقمار » يحوي نحو الف وخمسمائة صفحة مزينة بالرسوم الكثيرة ٠ وقد قسمهُ مؤلفه الى ثلاثة اقسام : الاول وفيه ذكر العلماء والشعراء والفلاسفة والفلكيين واصحاب الاديان العظام الذين عللوا من اعصار قديمة الى القرن العشرين وجود خلائق ناطقة علَى سطح النجوم والكواكب ٠ واورد في القسم الثاني احوال الشمس وسياراتها وسكانها العلوية ٠ واتى في الثالث على وصف النجمة الارضية ٠ولهذا التأليف شأن كبير بين المؤلفات العصرية بتعدُّد مواضيعه واهمية مباحثه ٠وهو اول كتاب من نوعه وضع في اللغة العربية و يشهد لمنشئهِ بطول

الباع في المعارف والفنون . وقد وصف احدهم هذا الكتاب ومؤلفه بما نصه : « لانَّ الذي يجرأ عَلَى جمع المواد من مصادرها المختلفة العديدة يجب عليه مثل الدكتور صاونجي ان يكون مؤرخاً وفيلسوفاً وفلكياً وشاعراً ومتفنناً ولاهوتياً وقسيساً وصحافياً وسياسياً ونديماً للملوك وجوّالاً وسائحاً ومتضلعاً من اللغات اللاتينية والفرنسية والايطالية والانكليزية والعربية والتركية والسريانية . ليتيسر لهُ ان يطالع ما كتبهُ العلماء في تلك اللغات من العلوم والمعارف ثم يصرف نحو ٤٠ سنة في جمع المواد جمع النحل للعسل . ثم ان يلوك ويلوك ثم يلوك تلك المواد ثم يهضمها ثم يسوقها الى دماغه دماً صافياً . ثم يبرزها من دماغه درراً مخروطة ثم ينظمها عقداً ثم يطرّزها بيراعه عَلَى قرطاس بنصٍ صريح خالٍ من التعقيد يجمع فيه بين المسلي والمفيد كقول هوراس الشاعر اللاتيني :

« Ille tulit prœmium qui miscuit utile dulci »

(٤٠) شاوُل وداود (رواية تمثيلية ترجمها عن اللسان الفرنسي عام ١٨٦٩ وطبعها بخط يده عَلَى المطبعة الحجرية في ٦٥ صفحة)

(٤١) كتاب « حر عثمانلي » او « The Freen Ottoman » وضعهُ باللغتين التركية والانكليزية في ١٢٤ صفحة بعد اعلان الدستور في السلطنة العثمانية . فاورد فيه الحجج التي تثبت مطابقة القانون الاساسي عَلَى الشريعة المحمدية وكيفية تشكيل مجلس المبعوثان بالانصاف والعدالة . ثم ذكر مطامع الاجانب بتركيا المريضة مشخصاً امراضها ومبيناً العلاجات التي تكفل لها الشفاء لاسيما من داء فساد الاخلاق . وقد زينهُ برسوم بعض المناظر كالكعبة ومدينة مكة وغيرها

(٤٢) مراثي ارميا الثاني الشجية عَلَى خراب اورشليم السريانية

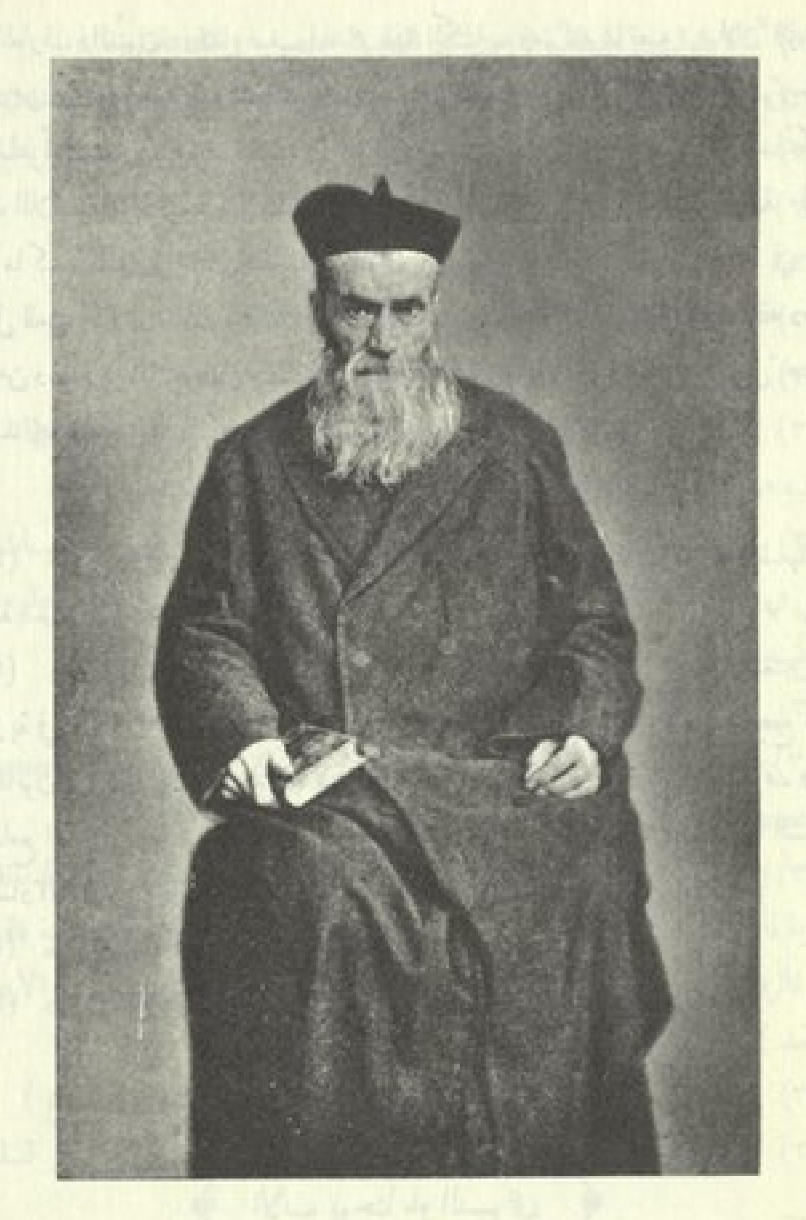
(٤٣) ديوان الفارض (طبعهُ في بيروت مشكلاً بالحركات)

— « ٣ » —

﴿ الاب يوحنا بلو اليسوعي ﴾

مدير مجلة « المجمع الفاتيكاني » وجريدة « البشير » واحد مؤسسيهما

وُلد صاحب الترجمة في غرَّة اذار من السنة ١٨٢٢ في « لوكس » بلدة من ولاية برغنديا من اعمال فرنسة فعرف منذ حداثة سنهِ بالنشاط والجد . بيد ان تقاه ورغبتهُ في خلاص النفوس حملاه على ان يهاجر العالم ويزهد بالدنيا بعد دروسهِ الاولى في مدرسة ديجون الاكليريكية . فطلب الانضواء تحت راية القديس اغناطيوس وانتظم في سلك الرهبانية اليسوعية في ١٨ حزيران من سنة ١٨٤٢



الاب يوحنا بلو اليسوعي

وسعى من وقتهِ ان يضع في نفسهِ اساساً متيناً للفضائل التي مارسها طول حياتهِ . وباشر ببناء ذلك البرج الروحي الذي تكلم عنهُ المسيح في انجيله فبلغه بجده وهمتهِ علواً شاهقاً

وكانت الدولة الفرنسوية في تلك الاثناء قد عهدت الى الآباء اليسوعيين بتربية اولاد الذين نفتهم من فرنسة لسوابقهم . وكان هولاء الاحداث الفوا البطالة وسوء السلوك فرضي اليسوعيون بتهذيبهم في « بن اكنون » قريباً من الجزائر وتحملوا في ذلك مشقات عديدة . فطلب الاب يوحنا

بلو ان يوسل الى ذلك الدير بعد نهاية زمن امتحانه رغبةً في مشاركة اخوته في اتعاب هذا العمل. فقضى ثمة سنتين (١٨٤٤ — ١٨٤٦) استوقف فيهما انظار روسائه وأسر بحبه قلوب تلامذته وكان في بعض آنات الفراغ يتجوَّل في احياء مدينة الجزائر فرأى عربها واحبَّ ان يختلط بهم ويخدمهم. وذلك ما حدا به الى درس العربية على بعض اساتذة تلك الديار رجاء ان يستفيد بمعارفه و يتوسل بها لصلاح الاهلين. ولما ذهب سنة ١٨٤٧ الى قسنطينة (Constantine) توفرت لديه الوسائط لمواصلة هذا الدرس فانعكف عليه وألف لفظ تلك البلاد

ثم انكبَّ مدةً في دير قُلس قريباً من مدينة لو بوي في فرنسة ثلث سنوات على درس الفلسفة والرياضيات. فبرع فيها حتى انه أوعز اليه بتدريسها بعد ذلك بقليل. على انَّ هذه العلوم لم تشغله عن درس العربية وكان اذا وجد ساعةً لترويح النفس اسرع الى مراجعة اصولها والنظر في آدابها. ولما رأى ان بعض رصفائه من طلبة الفلسفة يرغبون مثله في تخصيص نفوسهم بخدمة الناطقين بالضاد من اهل الجزائر او نصارى الشرق في بلاد الشام تولى تعليمهم اللغة العربية. ووضع لهم تأليفاً افرنسياً دعاه اصول الغرامطيق العربي (Eléments de la Grammaire arabe) في ٢٤٠ صفحة ضمنهُ الصرف والنحو ومبادىء علم العروض. وطبعهُ على الحجر في دير قُلس سنة ١٨٤٩ وصدَّره بهذه الآية الكتابية بياناً لما ينويه من تمجيد الله فقط : «كل لسان يعترف لله»

وفي سنة ١٨٥٠ أُتيح للكاثوليك في فرنسة فتح المدارس للتعليم الثانوي فانتدب الاساقفة اليسوعيين لتهذيب الاحداث في الآداب وترويضهم في العلوم. فلبى اليسوعيون دعوتهم وانشأُوا عدَّة مدارس تقاطر اليها الطلبة من كل فج. فأُرسل الاب يوحنا بلو الى افينيون ثم الى بوردو فدرَّس البيان وتولى ادارة الدروس فزاد التلامذة بهمته عدداً ونجاحاً. ودفعته رغبته في تنشيط الاحداث وحسن سمعة المدرسة الى ان يقدم امام اكادمية إكس فحصاً رشحه لشهادة الباكلوريوس في فنون الآداب القديمة. وانجز كل ذلك وهو لم يبلغ الثلاثين من عمره وقبل ترقيته الى درجة الكهنوت

وكانت المهام التي قام بها والخدم التي ادَّاها لم تسمح له بدرس اللاهوت فلم يشأ الرؤساء ان يحرموه هذه النعمة مع ما عرفوا من سمو فضائله. فسيم كاهناً سنة ١٨٥٢ يوم عيد الغطاس بوضع يد السيد فردينند دونه رئيس اساقفة بوردو والخطيب المصقع الشهير. وبقي في شؤُونه الى سنة ١٨٥٤ حيث استطاع الرؤساء ان يخففوا العبء عن عاتقه و يعينوا له خلفاً في نظارته. فأُرسل الى رومية لدرس اللاهوت ووافق وصوله اليها في سنة اثبات عقيدة الحبل بمريم العذراء بلا دنس الخطيئة. فحضر تلك الحفلة التي قلما يجري مثلها رونقاً وابهةً في انحاء المعمور وهي أبقت في قلبه ذكراً لم يمحه وطء السنين. وقد حظي ايضاً في خلال دروسه بمعاينة بيوس التاسع والتبرُّك بلثم اقدامه. ثم

نال من الطاف عمّال الكرسي الرسولي عدّة انعامات روحية وذخائر ثمينة كان يحافظ عليها الى آخر حياته بكل حرص وتقٍ

ثم تقلب الاب يوحنا بلو بعد نهاية دروسه اللاهوتية في اعمال متعددة وفاها كلها حقها من الاهتمام والكمال نخص منها بالذكر تهذيبة لطلبة الرهبانية في دير « كلرمون» · وهذه المهنة تعد في كل الجمعيات الرهبانية من اهم المشروعات واخطر المراتب لما يترتب على صاحبها من المسئولية لحياة الجمعية وترقيها في سبيل الكمال · ولا بدّ لمن تعهد اليه ان يكون هو مثالاً حياً لكل الفضائل اذ انّ عيون المبتدئين شاخصة اليهِ ينسجون على منواله و يقتدون باعماله اكثر منهم باقواله · والحق يقال ان الرؤساء احسنوا في اختياره لهذا العمل الذي تولاه مدّة خمس سنوات بغيرة لاتعرف السأم · وقد سمعنا غير واحد ممن كانوا تحت تدبيره انه لم يفرض على مرؤوسيهِ فرضاً الا يتقدمهم في اتمامهِ حتى ان مبتدئيه كانوا يتنافسون في مجاراتهِ بهذا الميدان الروحي الذي لم يشق له فيهِ غبار

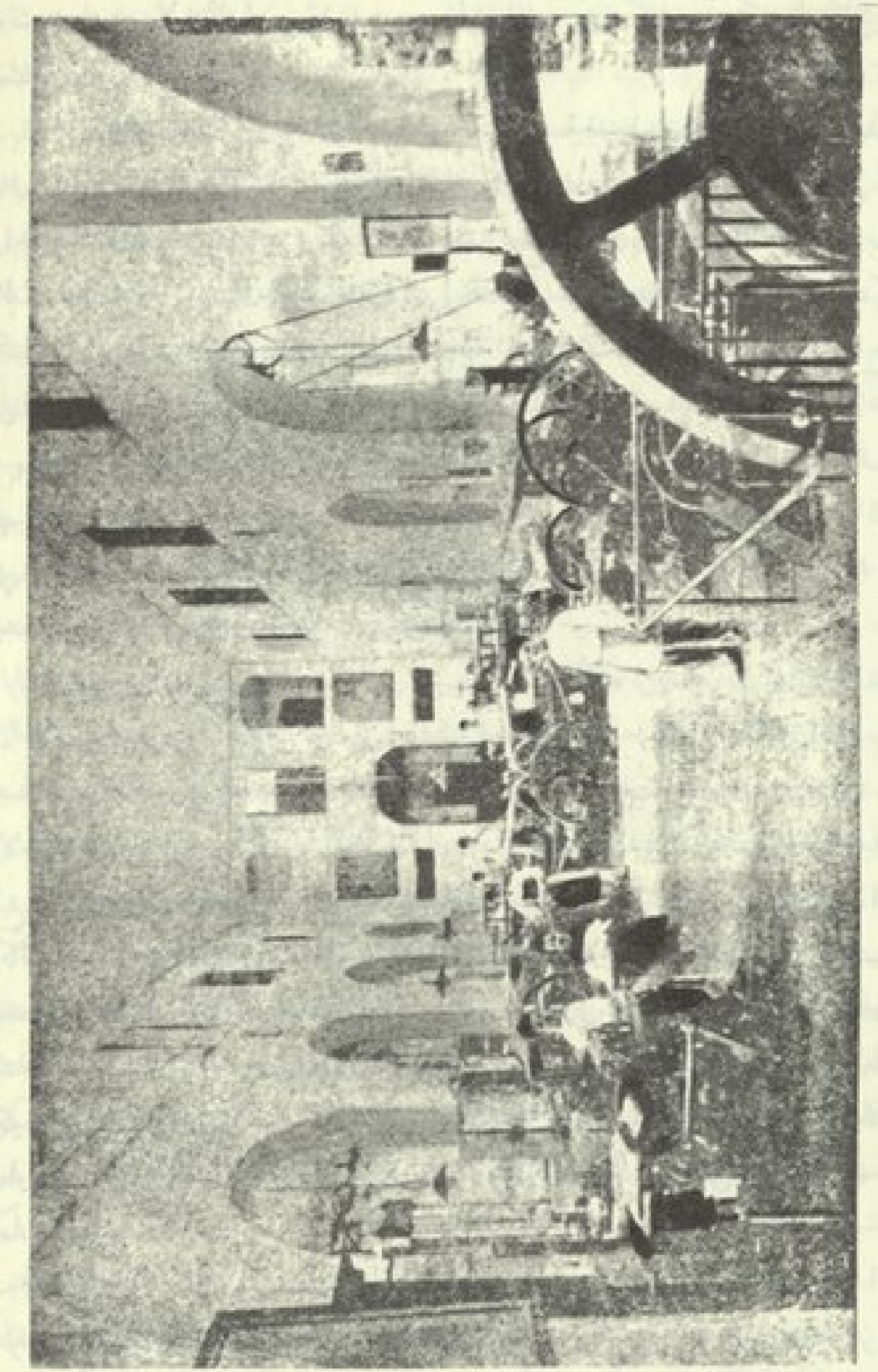
وكان يرأس دير « كلرمون» في ايامه احد مشاهير الآباء اليسوعيين وهو الاب يوسف بارال (Barrelle) الذي خلد في فرنسة ذكراً طيباً باعماله المبرورة ومساعيه المشكورة كما تشهدعليهِ سيرته المسطرة في جلدين ضخمين · فوجد في الاب يوحنا بلو اشد موازر لمشروعاتهِ الخيرية فكانت رائحة البرّ تسطع بهمتهما من ذلك الدير او بالحري من ذاك المقدس الذي كانت تقصده النفوس المشغوفة بالكمال وممارسة الفضائل المسيحية · ولما توفي الاب بارال برائحة القداسة في ١٧ تشرين الاول من سنة ١٨٦٣ اخلفه في رئاسته رجلٌ آخر من اسرة فرنسوية شريفة يدعى الاب دي فورستا لم يكن دون الاب بارال فضلاً وفضيلةً · وهو منشيء المدارس الرسولية التي ادت للرسالات الاجنبية خدماً لا تحصى · فكان هذا يعتبر الاب يوحنا بلو كرجل الله ولا يأتي امراً دون مشورته

ومن آثاره في تلك المدة تاليف بعض الكتب الروحية التي اقبل عليها القراء فنفدت بزمن قليل: منها كتاب في « الصلاة كسلاح المسيحي » طبع سنة ١٨٦٤ وكتاب آخر في « مواهب الروح القدس السبع » نشره في كلرمون سنة ١٨٦٥ وكتاب ثالث في « الدعوة الى السيرة الرهبانية » طبع في ليون سنة ١٨٦٩

وكان صاحب الترجمة مع نشاطه الغريب في فلاحة كرم الرب لايزال يطلب من الرؤساء ان يرسلوه الى حيث يمكنه ان يتفانى في سبيل الخير وخلاص القريب في الاقطار النازحة عن وطنهِ ليكون الله غايته القصوى بعيداً عن كل سلوة بشرية · وكانت رغبته ان يرجع الى بلاد الجزائر لكن الطاعة اوعزت اليهِ بان يركب البحر الى سورية · فطفح قلبهُ فرحاً لهذه البشرى وأبحر الى بيروت في اول خريف سنة ١٨٦٦

ما كاد المرسل الجديد يطأ ارض بلادنا حتى افرغ كل همة في اتقان اللغة العربية ليساعد

بمعرفتها اخوته في الاعمال الروحية . فقضى سنته الاولى في مدرستنا المنشأة في غزير بصفة اب روحي .



رسم « المطبعة الكاثوليكية » التي كان الاب يوحنا بلو متوليًا ادارتها وتصحيح مطبوعاتها مدة ٣٦ سنة

وكان مع درسهِ للعربية يعلم اللاهوت الادبي ويرشد الطالبين للترهب وغير ذلك مما يثقل عبئه على غير واحد . ثم دعاه في العام المقبل رئيس الرسالة الى بيروت فقدمها ولم يخرج منها الى آخر حياته .

فصرف ٣٦ سنة في انفع الاعمال لخير البلاد ولمجد الكنيسة . وقد عرفناه طول هذه المدة فيمكننا ان نشهد له — ولا نخاف ان يردَّ احد ممن عرفهُ شهادتنا — بانه كان مرآة لكل الفضائل الرهبانية ومنشطًا لكل المساعي الاثيرة

وكان مما عهد اليه في اول وصوله بيروت ادارة المطبعة فدخلت بهمتهِ في طور جديد . فانهُ هو الذي باشر لاول جريدة كاثوليكية في هذه الديار وكان ذلك سنة انعقاد المجمع الفاتيكاني . فوُسمت به الجريدة لمدافعتها عن تعاليمهِ وكان اذ ذاك قطعُها قطع رُبع . وفي السنة التالية ظهر بدلاً منها «البشير» فنهج له الاب بلو خطتهُ الدينية التي لم يحدْ قط عنها وجعلها مناراً تستضيء به كل ابناء الكنائس الشرقية . وقد منحه الله ان يرى هذه حبة الخردل تنمو فتمد اغصانها كالادواح الباسقة حتى انها حظيت كل حظوى لدى الكرسي الرسولي وممثلي الطوائف الكاثوليكية الاجلاء

ولما رأى مكاتب الاحداث في حاجة الى كتب مدرسية لدرس العربية اخذ في تأليف مجموع ذي خمسة اجزاء رتبهُ مع الاب اغوسطينوس روده ومساعدة اللغوي الشيخ ابرهيم اليازجي . نعني بهِ كتاب «نخب الملح» الذي طبع بالشكل الكامل في السنة ١٨٧٠ وتمَّ سنة ١٨٧٤ فأقبل عليه ارباب المدارس وتكرَّرت طبعاته مراراً عديدة

ومما سعى به عملٌ جليل أفاد الكنائس الشرقية اعظم فائدة نريد تعريب الكتاب المقدَّس . فانَّ الاب يوحنا بلو وان لم يكن من معرّبيه لكنه اجدى العمل حسناً بمراجعة كل الملازم الطبعية واصلاحها ومقابلتها عَلَى النسخ الاصلية المعتمد عليها في كنيسة الله مع حرصهِ على جودة طبعها والاسراع في الشغل . ولما نجز هذا التأليف استفاد منهُ لتصنيف عدَّة كتب روحية ومدرسية . فطبع الاناجيل الاربعة واضاف اليها فهارس لقراءة الفصول اليومية عَلَى حسب ترتيب الطقوس الكاثوليكية . ثم جمع سيرة السيد المسيح كما هي في الروايات الانجيلية ونظمها بحيث جعلها رواية واحدة مسرودة عَلَى سياق تاريخ اعمال الرب من ميلاده الازلي الى صعوده الجليل الى السماء . وهو كتاب «القلادة الدرية» جارى فيهِ دياطسَّارون طاطيانوس وحذا حذو الاب بتريزي معلمه في الكلية الرومانية . وزين الكتاب بخارطة اورشليم كما كانت في عهد المسيح . وكذلك اقتطف لاحداث المدارس اجمل روايات الاسفار المقدسة في ثلاثة اجزاء وسمها باسم «الغصن النضير» وقد طبعت طبعات متوالية

وكان في اثناء ذلك يسعى بمطبوعات أُخرى دينية اعظمها شأناً ككتاب «مروج الاخيار في تراجم الابرار» كان الاب بطرس فروماج عربه قديماً . فعني الاب يوحنا بلو بمراجعة عربيتهِ مع الشيخ الفاضل سعيد الشرتوني وزاد عليهِ تراجم اولياء الله الذين ادرجت الكنيسة اسماءهم حديثاً في مدارج القديسين . فطبعه اولاً سنة ١٨٧٨ ومنه اجتنى بعدئذٍ «قطف الازهار في مروج

الاخيار» جعلها كراريس منفردة ليطالعها احداث المدارس وزينها بالتصاوير واتقن تجليدها. ومما عني بهِ ايضاً في ذلك الوقت تنقيح «شرح التعليم المسيحي» الذي عرّبهُ الاب فروماج

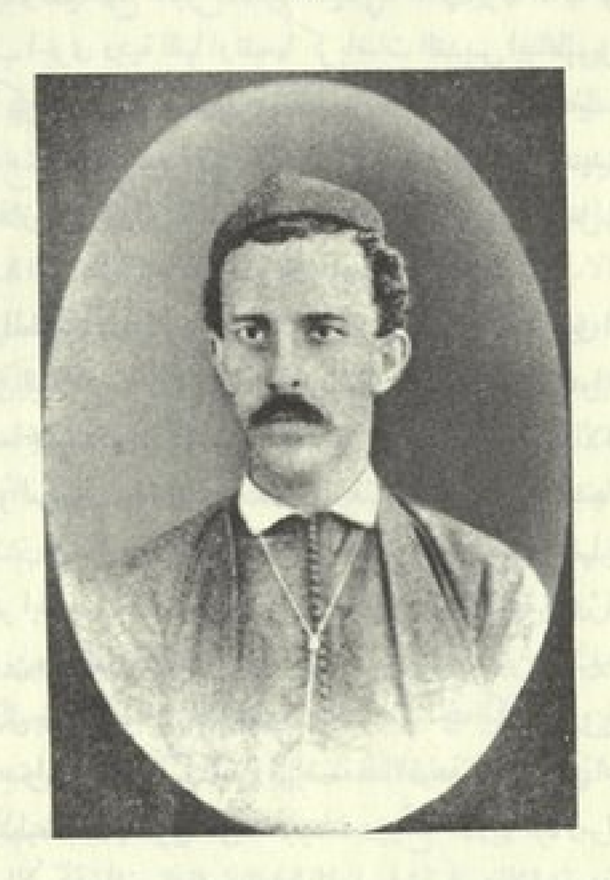
وللاب بلو كتب اخرى دينية الفها او نقحها كرياضات القديس اغناطيوس مع شروح الاب جانسو وتساعيات لاكرام القديسين يوسف واغناطيوس وكسفاريوس وكتاب «قلائد الياقوت في واجبات الكهنوت» ترجمة الاب فروماج. هذا فضلاً عَلَى تآليف اخرى عديدة كان هو الساعي في طبعها ومراجعة ملازمها «كالكمال المسيحي» للاب رودريكوس و«مدخل العبادة» للقديس فرنسيس دي سال و«العهد العتيق والجديد» للخوري روبومند وغير ذلك

ومع وفرة هذه المطبوعات قد استحق الاب بلو شكراً خاصاً لدى المستشرقين الاوربيين بما وضع لهم من التآليف لدرس اللغة العربية وتقريب معضلاتها. وقد عرفوا له فضله واثنوا مراراً على مصنفاتهِ الجليلة. فمن ذلك معاجمهُ الثلثة اعني «الفرائد الدرية في اللغتين العربية والافرنسية» وقاموسه المطوَّل الفرنسوي والعربي في جزئين مع مختصره. وهذه الكتب لجل فوائدها وحسن تنظيمها صارت من جملة الكتب المدرسية في اغلب الكليات الاوروبية. ولم يزل موَّلفها ينظر فيها وينقحها ويزيد عليها الى آخر ايام حياته. ومنها ايضاً غراماطيقه الفرنسوي في مبادئ اللغة العربية طبعهُ طبعتين والحقه بتمارين وجداول. وكذلك اهتمّ سنين عديدة بطبع «تقويم البشير» وضبط حساباتهِ

هذه بعض اعمال ذلك الراهب الهمام الذي صحّ فيه قول احد الكتبة عن رجل مثله «انه كان مصلوباً بقلمهِ» تراه ابداً في كتابة او تاليف. قلنا ان هذه بعضٌ من اعماله لان الاب بلو بصفة كونهِ مديراً للمطبعة كان ينظر في كل المطبوعات ويصلح ملازمها مرة ومرتين وهو شغل مملّ لا يعرف ثقل وطأتهِ الا مَن باشره. وقد لزم هذا العمل مدة نيف وثلاثين سنة دون سأم ولا استثقال. ولذلك كان العملة كلهم يعتبرونهُ كاحد اولياء الله ولا يذكرونه الا بالخير

والحق يقال انَّ فضائل الاب بلو كانت اعظم من فضله لانذكر منها الا شيئاً قليلاً ليتحقق القرَّاء انَّ كلامنا ليس تقريظاً فارغاً بل هو عين الحق. واوَّل ما يجدر بنا ذكره انهُ لم يطلب من اشغاله كلها غير وجه الله. فاذا مدح كاتبٌ احدَ تآليفهِ لم يكترث لمدحه وان انتقد عليهِ منتقد شكره واقرَّ بسهوه اذا وجد نقده صحيحاً. وكثيراً ما كان يستشير اخوتهُ الرهبان منقاداً لحكمهم بسذاجة الطفل شاكراً لفضلهم. وكان على عكس ذلك اذا ادَّى لاحد خدمةً لا يحفل بما صنع ويأبى ذكر عمله مهما كان عظيماً. هذا ونضرب عن ذكر اعمال اخرى كثيرة لو أوردناها لاخذ قرَّاءنا العجب من برارة صاحبها. وقد بلغ شيخوخة طيبة ومع ما كان يكابد قبل وفاته باشهر من ثقل العمر واسقامهِ كنا نراه مثابراً عَلَى الشغل مجتهداً في اصلاح ملازم المطبعة جهد امكانهِ. وفي ١٤ آب ١٩٠٤ انطفأ سراج حياته برائحة القداسة بين اسف الجميع عَلَى خسارته (لويس شيخو)

— « ي » —



﴿ الشيخ ابرهيم اليازجي ﴾

منشئ مجلة « البيان » ومجلة « الضياء » في القاهرة ومحرر مجلّتي « النجاح » و « الطبيب » في بيروت
(رسمهُ في سنة ١٨٧٢ باللباس الوطني القديم والطربوش المغربي)

(ومصوَّرٍ بالشمس وهوَ نظيرُها   أهدتهُ صورتَها برسم مثالهِ)
(ولوَ أنَّ شمساً صوِّرت بضيائها   ما صوَّروهُ بغيرِ نور جمالهِ)

هو الشيخ ابرهيم ابن الشيخ ناصيف بن عبدالله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي وُلد في ٢ ادار سنة ١٨٤٧ في بيروت وبها نشأ . ومنذ حداثته اخذ العلوم عن ابيه فاحكم أُصول اللغة العربية وتعلق علَى آدابها . ونظم الشعر صبياً ثم انصرف عنه في كهولتهِ . وله فيهِ القصائد النفيسة والمقطعات البليغة وهي مجموعة في ديوان كبير مخطوط بيده لم يزل غير مطبوع . ولما علت منزلته في

هذا الفن كثر تقاضي الناس له النظم في الاغراض المختلفة من مدح ورثاء وتهنئة وغير ذلك ٠ وتواردت عليهِ رسائل الشعراء حتى وجد ان استمرار تلك الحال سيفضي به الى الانقطاع للشعر واهمال ما سواه ٠ فترك النظم بتةً وعكف عَلَى الاشتغال باللغة وسائر فنون الادب والعلوم العقلية ٠ وقرأ مبادىء الفقه الحنفي عَلَى الشيخ محيي الدين اليافي من مشاهير ائمة بيروت ٠ وفي سنة ١٨٧٢ اي بعد وفاة والده الشيخ بنحو سنة تولى كتابة مجلة « النجاح » فلبث على تحريرها اشهراً ٠ ثم انتدبهُ المرسلون اليسوعيون في بيروت للاشتغال في تعريب الاسفار المقدسة ٠ فقضى في هذا العمل مع تصحيح كتب أُخرى لهم نحواً من تسع سنوات تولى امر التعريب فيها مع احد اكابر علمائهم ٠ ودرس اللسان العبري واللسان السرياني بنفسه تلقياً عن الكتب الافرنجية لتطبيق عبارة التعريب عَلَى الاصل ٠ وهذه النسخة مشهورة بفصاحة العبارة وجزالة الاساليب ٠ وفي سنة ١٨٨٤ تولى كتابة مجلة « الطبيب » بمعاونة الدكتور بشاره زلزل والدكتور خليل سعاده ٠ وهي المجلة التي كان انشأها الجرَّاح الشهير الدكتور جورج بوست الاميركي ٠ فاصدر منها مجلداً واحداً ثم توقف عن اصدارها لما راى من قلة طلاَّب البضاعة العلمية لذلك العهد ٠ وكان في سنة ١٨٨٢ قد شرع في تتميم شرح ديوان المتنبي وكان والده الشيخ ناصيف قد علَّق على بعض اياتهِ شرحاً موجزاً ٠ فعكف عَلَى اتمامهِ باقتراح جماعة من افاضل الادباء حتى اتمَّهُ في مدة اربع سنوات ٠ والشرح مشهور متداول فلا حاجة الى الاطناب في وصفهِ

اما تآليفه في اللغة وعلم البيان والصرف والنحو والشعر فكلها متداولة بين الايدي مشهورة ٠ وقد اعاد النظر في اكثر كتب والده الشيخ ناصيف واختصر كتابيه في علم النحو والصرف وهما « نار القرى في جوف الفرا » و« الجمانة في شرح الخزانة » ٠ وجدَّد طبع « مجمع البحرين » و« النبذة الاولى » و« نفحة الريحان » و « ثالث القمرين » وهي الثلاثة الاجزاء المشهورة من ديوان والده و « مفاكهة الندماء » و « الجوهر الفرد » الخ

وقد شرع سنة ١٩٠٤ بطبع كتاب « نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد » نسق فيهِ ما جمعهُ من الفاظ اللغة وتراكيبها ورتبه عَلَى المعاني دون الالفاظ وهو كتاب يقع في ثلاثة اجزاء كبيرة ٠ فاصدر الجزء الاول منه ثم غلَّ المرض يده وأقعده عن السعي في انجاز الجزئين الباقيين

وكان قد اقترح عليه بعضهم منذ عهد بعيد ان يضع معجماً في اللغة العربية يكون متفرداً على ما تقدمه ٠ فلم يجد بدّاً من اجابة ملتمسيهم واخذ في وضعه من ذلك العهد ٠ فجاء آية في بابه فريداً في اسلوبهِ وطريقته اذ جعله يشتمل عَلَى المأنوس من كلام العرب الاولين وعما طرأ من موضوعات المولدين والمحدثين مقتصراً عَلَى الفصيح دون المولد والمحدث في الاصطلاح ٠ وقد وضعهُ على نسق غير متابع فيهِ احداً ولا مقلد احداً وسماه « الفرائد الحسان من قلائد اللسان » فلم تفسح الايام في

اجله لاتمامه وحرمت المتأدبين من الانتفاع بهذا الاثر الجليل · فعسى ان يُندب له مَن يجمع شتاتهُ ويتله للطبع ضناً بفوائده الكثيرة الجديرة بالاحياء واستدراراً للرحمة عَلَى واضعه · جزاه الله عَلَى ما عاني فيه خير الجزاء

وخلا ما ذكر من تبحره في العربية وفنونها فانه من العارفين بالفرنسوية والانكليزية · وله عدا ذلك مشاركات في العلوم الرياضية والطبيعية ولا سيما علم الهيئة · وله فيهِ مباحث دقيقة اشتهر فيها بين ارباب هذا العلم في اوربا واميركا · وقد انتدبتهُ كل من الجمعية الفلكية في باريز والجمعية الفلكية الجوية في السلفادور ان ينتظم في عضويتها

اما الكتب التي تولى تصحيحها وتهذيب عبارتها فكثيرة : منها الكتاب المشهور في « تاريخ بابل واشور » تأليف جميل مدوَّر · فانهُ بيّضه بقلمه وافرغه في قالب لفظه واسلوبه فجاء من ابلغ ما كتب في هذا العصر وافصحه عبارة · ومنها الكتاب الذي جمعهُ المرحوم شاكر البتلوني أشار لهُ فيه الى ما ينبغي جمعه من اقوال علماء الانشاء والترسل وتولى ضبطهُ واضاف اليهِ شيئاً من وضعه ورسائله · ومنها كتاب « نفحات الازهار في منتخبات الاشعار » من جمع المشار اليه ايضاً · ومنها كتاب « عقود الدرر في شرح شواهد المختصر » للمعلم شاهين عطيه وضعه في شرح الشواهد الشعرية الواردة في مختصر كتاب « نار القرى » في علم النحو · وله عليهِ تذييل لطيف في تحقيق رواية بعض الابيات ومعاني بعضها · وساعد الابوين اليسوعيين يوحنا بلو واوغسطينوس روده في جمع كتاب « نخب الملح » وترتيبه في خمسة اجزاء · وتكرَّرت طبعات هذا الكتاب مراراً عديدة · وطبع خطاباً عنوانهُ « ادب الدارس في المدارس » القاهُ في الاحتفال السنوي للمدرسة البطريركية · ومنها غير ذلك مما لا نطيل باستقصائه · وله مقالات كثيرة في انتقادات لغوية نشرها على صفحات « الطبيب » و « البيان » و « الضياء » وهي :

(١) « اللغة والعصر » (٢) « لغة الجرائد » فقد انتقد بها ما هو شائع في الصحف السيارة من الغلط اللغوي · (٣) مقالة في « التعريب » بين بها شروط التعريب وتاريخ ذلك من صدر الاسلام · (٤) اغلاط العرب القدماء · (٥) اللغة العامية واللغة الفصحى · (٦) اصل اللغات السامية · (٧) « نقد لسان العرب » وهو بحث طويل انتقد به الطبعة المتداولة من معجم لسان العرب · (٨) « اغلاط المولدين » بين فيها ما وقع للمولدين من الغلط اللغوي في صدر الاسلام الى الان · وفي جملة ذلك ما وقع للمرحوم والده ثم ذكر ما وقع هو نفسهُ فيهِ من الخطإ في بعض المواضع · (٩) مقالة في « المجاز » · (١٠) مقالة في « النبر » وهما في اللفظ العربي · (١١) « تكوُّن العالم الشمسي » وغيرها · وقد قضى اكثر ايامه الماضية في بيروت ولبنان وهو عاكف عَلَى الاشتغال والتدريس لا يلوي عَلَى غير ذلك · وكان اكثر اقامته في المدرسة البطريركية وقد تخرج عليهِ كثيرون

من رجال العصر في العلوم الادبية لا سيما الصحافة والشعر · ونال عَلَى ذلك « الوسام العثماني » من لدن الحضرة العلية السلطانية ونال « نوط العلوم والفنون » من جلالة اوسكار الثاني ملك اسوج · وقد اهدى الى المجمع اللغوي الذي عقد تحت رعاية جلالته طائفة من كتبه وله في الملك اوسكار قصيدة غراء

وفي سنة ١٨٩٤ سافر الى البلاد الاوربية وساح فيها مدة · ثم انقلب الى القطر المصري فاصدر في القاهرة مجلة « البيان » سنة ١٨٩٧ بالاشتراك مع الدكتور بشاره زلزل · فصدر منها مجلد واحد ثم حالت عوائق دون متابعة اصدارها · فأنشا بعدها سنة ١٨٩٨ مجلة « الضياء » المشهورة تابع فيها العمل عَلَى وجهٍ من انتقاء المباحث العلمية والعملية واثبات الحقائق العقلية والنقلية بحيث كان يجد فيها كل واردٍ مشرعاً وكل رائد منجعاً · وقد اصدر منها ثمانية مجلدات مشحونة بالفوائد اللغوية والادبية وفصول الاكتشافات والاختراعات العصرية الى غير ذلك من كل ما فيه فائدة للبيب او فكاهة للاديب · وكان صدور العدد الاخير من المجلد الثامن في شهر تموز ١٩٠٦ عند ما اشتدت عليه وطأة المرض العصبي (روماتزم) الذي أودى بحياتهِ في ٢٨ كانون الاول لتلك السنة بالغاً الستين من عمره ولم يتزوج · وهو آخر غصن من الدوحة اليازجية الاَّ الشيخ حبيب ابن اخيه الشيخ خليل · فجرى لمشهده في اليوم الثاني احتفال كبير ونقلت جثتهُ بقطر خاص من منزله في المطرية الى القاهرة فمشى في جنازته عدد كبير من العلماء والوجهاء والادباء وكبراء العاصمة · وعقدت الحفلات لتأبينهِ في القاهرة والاسكندرية واكثر انحاء سوريا · وعوَّلت عائلته واصدقاؤهُ على نقل جثته الى بيروت لتدفن في ضريح الاسرة اليازجية · وقد ارسل الخديو عباس الثاني بواسطة سر تشريفاتي سموه كتاب تعزية الى الشيخ حبيب اليازجي وهذا نصهُ :

جناب الفاضل الشيخ حبيب اليازجي

لما علم الجناب الخديوي العالي بعظيم رزء اللغة العربية وآدابها لانتقال العلاَّمة الشيخ ابرهيم اليازجي من هذه الدار الفانية الى الدار الباقية اظهر مزيد اسفه عَلَى انقضاء تلك الحياة الطيبة الحافلة بجلائل الخدم للعلوم العربية في القطرين مصر والشام · وامرني سموه الفخيم ان ابلغ جنابكم وسائر اعضاء الاسرة اليازجية تعزيتهُ السامية · واني اشترك مع قرّاء العربية في تقديم واجب التعزية الى حضراتكم

سر تشريفاتي الخديو

احمد زكي

وقد أجاد المؤرخ المدقق جرجي بك زيدان منشىء مجلة « الهلال » المصرية في وصف اخلاق صاحب الترجمة ومواهبه وانشائه وقرائحه وشعره واعماله وآثاره فاقتطفنا منها ما يأتي :

اخلاقه وصفاته

كان ربع القامة نحيف البنية عصبي المزاج حاد البصر ذكي الفؤاد سريع الخاطر حاضر الذهن لطيف المحاضرة حلو المفاكهة لا يُمل مجلسهُ يطرب للنكتة الادبية ويضحك لها · وكان مع ذلك شديد الحرص على كرامتهِ لا يحتمل مسها في جدٍ او هزل تلميحاً ولا تصريحاً · وكان سريع الانتباه لما يتخلل احاديث المجالس من الاشارات الادبية · وكان متعففاً بطعامه وشرابهِ ولولا ذلك ما صبر على معاناة صناعة القلم بضعة واربعين عاماً مع نحافة بنيتهِ · وقضى اعوامهُ الاخيرة يقتصر في عشائهِ على كاس من اللبن خوف التثقيل على معدته · وانما العمدة في الغذاء على اكلة الغداء ولم يكن نهماً · واما في الصباح فيتناول طعاماً خفيفاً ويعكف على العمل فاذا تغدى الظهر شرب قهوتهُ ودخن شيشتهُ ونام · ثم ينهض ويقضي بقية النهار في الراحة او في عمل لا يتعبهُ ويخرج لترويح النفس في بعض الاندية يلاعب بعض معارفهِ بالنرد على سبيل التسلية او يقضي ذلك الوقت بالمباسطة والمفاكهة · فاذا آن العشاء عاد الى منزله فيتناول اللبن ويستأنف العمل · وكان مولعاً بتدخين الشيشة في اثناء الكتابة كما كان والده مولعاً بالقهوة وتدخين التبغ في ذلك الحين

وكان عفيف النفس كثير الاباء ظاهر الانفة الى حد الترفع ولا سيما في ما يتعلق بالارتزاق بعدُ مجاملة الناس في سبيل الكسب تملقاً · وكلما قلَّ ماله زادت انفتهُ وعظم اباؤهُ · وكثيراً ما اراد اصدقاؤهُ اقناعه ان سنَّة الارتزاق تقضي بمجاملة الناس والتقرب من كبارهم بالحسنى · فربما اطاع ناصحه برهة ثم يعرض له خاطر فيعود الى الاباء · ولولا ذلك لعاش في سعة وراحة ولكن القناعة كانت من اكبر اسباب سعادته

على انه كان يشتغل بالقلم التماساً لتلك اللذة التي كثيراً ما أغوت اصحاب القرائح واستنزفت قواهم فعاشوا فقراء وماتوا اعلاء · ولو اراد الشيخ مجرد الارتزاق لكان له مما فطر عليهِ من دقة الصناعة اليدوية خير سبيل · بل لم يكن يعدم منصباً في بعض مصالح الحكومة وقد ندب ان يكون قائمقام على مدينة زحلة من لبنان سنة ١٨٨٣ فلم يقبل

ومن إبائهِ وكرم اخلاقه انه كان صادقاً في معاملته على اختلاف وجوهها لا يحلف ولا يخلف · وكان اميناً في ما ينقله او يقتبسه من الآراء او الاقوال بنسب الفضل الى صاحبه · وكان عكس ذلك في ما يفعله هو مع الآخرين من تصحيح مقالة او تنقيح عبارة فانه كان شديد الانكار لذلك · ولكن ديباجته كانت تنمُّ عليهِ لظهور اسلوبهِ من خلال السطور · وكان براً بابيهِ وقد خدم اسمهُ وزاد في شهرته بما اتمهُ من آثاره او شرحه من كتبه · فأنفق في سبيل ذلك جانباً كبيراً من وقته · واتم شرح المتنبي او هو شرحهُ كله فنسب الشرح الى والده واستبقى لنفسهِ فضل التتميم

قرائحه ومواهبه

أظهر قرائحه الاتقان الفني فانه كان متأنقاً في اتقان ما يتعاطاه من صناعة او أدب او شعر سواء اصطنعه بيده او انشأه بقلمه او نظمه بقريحته بما يعبر عنه الافرنج بقولهم Artist . فكنت ترى التأنق والاتقان ظاهرين في كل عمل يعمله حتى في لباسه وجلوسه ومشيه وكلامه وطعامه . وكل ذلك فرع من تأنقه في الصناعة اليدوية فكان حفاراً ماهراً ومصوراً متقناً . ظهر ميله الى ذلك منذ حداثته — حدثنا صديقنا المستر ادوار ڤانديك نجل استاذنا الدكتور ڤانديك انه عرف الشيخ الفقيد منذ نيف واربعين سنة اذ كان يتردد على مطبعة الامركان في بيروت وادارتها يومئذ بيد الدكتور ڤانديك . وكانت للشيخ ناصيف علاقة حسنة بالامركان من التعليم بمدارسهم والتصحيح في مطبعتهم . قال صديقنا المشار اليه انه كان يلاحظ في الشيخ ابرهيم من ذلك الحين ميلاً خصوصياً لصناعة الحفر وكثيراً ما كان يحفر الاختام على سبيل الغية ثم حفر الصور والنقوش . وخطر له يوماً ان يصنع روزنامة عربية تعلق على الحائط من قبيل الروزنامات الشائعة ولم تكن معروفة يومئذ بالعربية . فاستأذن الدكتور ڤانديك في استخدام بعض ادوات المطبعة لحفر الاحرف والاشكال اللازمة لهذا العمل . فامر رئيس العمال في ذلك العهد موسى عطا ان لا يمنع شيئاً يحتاج اليه في هذا السبيل . فتأنق الشيخ في رسم حروف الروزنامة وارقامها حتى اتمها على اجمل ما يكون وهي اول روزنامة عربية من هذا النوع

على ان تأنقهُ ظهر في خط يده فكان جميل الخط من حداثتهِ وظلَّ خطهُ جميلاً الى آخر ايامه وقاعدتهُ فارسية . والذين يقرأون رسالة بخطه لا يكون اعجابهم بجمال ذلك الخط اقلَّ من اعجابهم ببلاغة اسلوبهِ . ومن هذا القبيل تأنقهُ في التصوير باليد حتى صوَّر نفسه عن المرآة صورة ناطقة رايناها معلقة في منزله . واهم ما نجم من ثمار هذه القريحة اصطناع الحروف الحديثة التي سنذكرها في جملة آثاره

انشاؤه

ومن قرائحه اقتداره الغريب على الانشاء المرسل مع سلامة ذوقه في انتقاء الالفاظ . واسلوب عبارته جمع بين المتانة والبلاغة والسهولة يشبه اسلوب ابن المقفع شبهاً اجمالياً ولكنه من اكثر وجوهه خاص بالشيخ . على ان انشاء ابن المقفع لم يصل الينا كما كتبهُ صاحبه ولكنه جاءنا بعد ان هذبتهُ اقلام المنشئين ونقحتهُ قرائح اللغويين زهاء اثني عشر قرناً . اما الشيخ فلم يمس عبارته سواه . ناهيك بما يعترض الكاتب اليوم من المعاني الجديدة التي لم يعرفها القدماء وليس في المعجمات لفظ يدل عليها مما يقف عثرة في طريق المنشئين

اما فقيدنا اليازجي فكان يتخطى هذه العقبات على اهون سبيل فجاءت عبارته خالية من غريب

اللفظ ووحشي التركيب · وقد يأتي باللفظ الغريب فيضعه موضعاً يجعله مألوفاً فلا يمجه السمع ولا ينكره الفهم · فكان اسلوبه بليغاً بلا تقعر او تعقيد سهلاً بلا ضعف او ركاكة متسلسلاً متناسباً متناسقاً يطابق ما قدمناه من توخيهِ التأنق والاتقان في كل شيء · ورغبته في الاتقان حملته على التأني في نشر مايكتبه · فكان لا يرسل المقالة الى المطبعة الا بعد تنقيحها وتهذيبها ثم يكتبها بحرف واضح جلي كانه سلاسل الذهب حذراً من الوقوع في الخطأ · فآل ذلك الى ابطائهِ في اخراج بنات افكاره وقلل مقدار ما كان يرجى الحصول عليهِ من ثمار علمهِ ودرسهِ

ومما حمله على المبالغة في التأني انه كان شديد الوطأة في انتقاد ما يعرض له من الغلط اللغوي في ما يقرأه من الصحف او الكتب — وذلك طبيعي في من يخصص بحثه في فرع من فروع العلم بستقصيهِ ويدرس دقائقهُ فيكثر مايقع عليهِ نظره من الغلط في مايكتبهُ سواه في ذلك الفرع · فلا يصبر على السكوت عنهُ ولا سيما اذا كان عصبي المزاج مطبوعاً على التأنق والاتقان مثل فقيدنا فالانحراف عن الصواب كان يؤلمهُ ولا يشفي المهُ غير النقد · ويمتاز نقده بشدة اللهجة وبما يتخلله من قوارص الكلم لا يراعي في ذلك صداقة ولا عهداً · وسبب تلك الشدة على الغالب غيرتهُ على اللغة واخلاصهُ في خدمتها · فلما كتب «اغلاط المولدين» لم يستثنِ والده ولا نفسهُ · لانهُ كان يرى الغلط اللغوي او النحوي من اكبر السيئات ويرى السلامة منهما من اكبر الحسنات · ولذلك كان يثني عَلَى شعر ابن الفارض ويعجب بشعر المتنبي على الخصوص لقلة ذلك الغلط فيهما · وربما احتقر شعر شاعر مطبوع او مقالة عالم كبير اذا رأى فيها غلطاً لغوياً او نحوياً · فكان يبالغ في تنقيح ما يكتبه ويتأنق في اتقانهِ خوفاً من الانتقاد · ولعله تنبه لذلك على الخصوص منذ اخذ في الدفاع عن والده لما انتقده الشيخ احمد فارس وشدد النكير عليهِ · وكان الشيخ ابرهيم في ابان شبابه فاجاد في الدفاع وتعود الحذر من الخطإ بالمراجعة والتنقيح من ذلك الحين. فاعتبر مع سعة علمهِ بمفردات اللغة وجزالة اسلوبه كم تكون لغتهُ صحيحة وعبارتهُ بليغة فصيحة حتى اصبح استعماله حجة وانشاؤُه قاعدة · فلا عجب اذ دعوناه حجة اللغة وامام الانشاء · واكثر ما يكتبه مرسل سهل واذا سجع فلا تجد في تسجيعه تكلفاً

شعره

وقد رأيت انه نظم الشعر في شبابهِ وقعد عنهُ في كهولتهِ عَلَى ان شاعريته ظاهرة في ما ظهر من شعره · وبين منظوماته ما جرى على السنة القوم مجرى الامثال مع رغبته في كتمانه · اذ جمعه في كتاب بخط يده وضنَّ عَلَى الناس بنشره وهو لا يزال باقياً كما تركه · ومن اشهر شعره قصيدته السينية التي مطلعها :

دع مجلس الغيد الاوانسْ وهوى لواحظها النواعسْ

واختها التي تلاها في « الجمعية العلمية السورية » ومطلعها :

تنبهوا واستفيقوا ايها العربُ فقد طمى الخطب حتى غاصت الركبُ

والقصيدتان مهيجتان اقتضتهما بعض الاحوال السياسية في سوريا من التحريض على النهوض . ولعل الفقيد حمل على نظمهما باشارة جماعة او امر رجل كبير فجاء نظمهما بليغاً . ومن قوله في النسيب والغزل :

ما مرَّ ذكرك خاطراً في خاطري الا استباح الشوق هتك سرائري
وتصبت وجداً عليك نواظرٌ باتت بليلٍ من جفائك ساهرِ

ومن قوله في الحكم ايضاً :

وانما نحن في دار اذا اعتبرت ليست سوى مأتم ناحت به البشرُ
في كل يوم اناس فوقها فجعوا على اناس طوتهم تحتها الحفرُ
بئس الحياة التي ما زال واردها يمازج الورد في كاساته الصدرُ
حالان احداها مملوءة حذراً مما يليها واخرى فاتها الحذرُ

ومما جرى مجرى الامثال ويصح ان يكتب بماء الذهب بيتان قالها في معرض رد على احمد فارس الشدياق لما انتقد كتب والده وشدد الطعن عليه فقال الشيخ ابرهيم :

ليس الوقيعة من شاني فان عرضت أعرضتُ عنها بوجهٍ بالحياء ندي
اني اضنُّ بعرضي ان يلمَّ به غيري فهل اتولى خرقهُ بيدي

ومن نكاته الشعرية :

تعجَّب قوم من تأخر حالنا ولا عجب في حالنا ان تأخرا
فمذ اصبحت اذنابنا وهي أروُسٌ غدونا بحكم الطبع نمشي الى الورا

وكانت له قريحة في الرياضات واطلاع واسع في علم الفلك اتصلت بسببه مخابرات بينه وبين بعض كبار الفلكيين الفرنساويين . واشتغل في حل المشكلة الرياضية المشهورة وهي قسمة الدائرة الى سبعة اقسام . وتوصل قبل وفاته ببضع سنين الى حل يقرب من الصواب كثيراً بعث بهِ الى اكاذيمية العلم في باريس ولا نعلم ما صار اليهِ امره . وكان عارفاً اللغة الفرنساوية وله المام بالعبرية والسريانية ومشاركة حسنة في العلوم الطبيعية

اعماله وآثاره

نظراً لما قدمناه من طبعه في التانق والاتقان وتوخيه التأني والتدقيق فقد جاءت ثمار قرائحهِ اقلَّ مقداراً مما كان يرجى من مثله كما قدمنا فضلاً عن انصراف ذهنهِ في شبابه الى الاشتغال بالحفر والرسم . على انهُ خدم اللغة العربية من هذا الطريق خدمة ذات بال باصطناع حروف الطباعة

العربية في بيروت · وذلك ان الطباعة بالحروف الافرنجية لم تكد تظهر في اوربا باواسط القرن الخامس عشر حتى اهتم اصحابها هناك باصطناع الحروف العربية · فاصطنعوا حروفاً طبعوا بها كتباً بالبندقية وورومية وباريس ولندرا واكسفورد وغيرها · ولكل منها تقريباً شكل خاص وان تشابهت عَلَى الاجمال · ثم ظهرت الطباعة العربية في الاستانة وحرفها يعرف بالحرف الاسلامبولي · وفي اوائل القرن الثامن عشر ظهرت الطباعة في سوريا نقلاً عن حروف رومية · ثم جاء المرسلون الاميركان الى سوريا في اوائل القرن الماضي ولهم مطبعة عربية في مالطة اسسوها سنة ١٨٢٢ وحروفها من حروف مطابع لندن · وطبعوا بها كتباً بعناية المرحوم الشيخ احمد فارس · ثم نقلوها الى بيروت سنة ١٨٣٤ وبعد انتقالها باربع سنين اهتم مديرها يومئذ عالي سميث باصطناع حروف جديدة · فاستخدم احد كتبة الاستانة فكتب له حروفاً جميلة سبكها في لايبسك وهي الحروف الاميركانية المشهورة

ولكن القاعدة الاميركانية عَلَى جمالها ورونقها كانت كثيرة النفقة في اصطناعها لكثرة اشكالها · والقاعدة الاسلامبولية تفضلها من هذا القبيل لكنها تقل عنها من جهات اخرى · فعني الشيخ صاحب الترجمة سنة ١٨٨٦ بصنع قاعدة جديدة يجمع بها حسنات الحرفين · وهي القاعدة المعروفة بحرف «سركيس» لانها تسبك في مسبك خليل افندي سركيس صاحب لسان الحال في بيروت · وهي القاعدة الشائعة الآن في اكثر المطابع العربية في سوريا ومصر واميركا · واصطناع هذه الحروف يحتاج الى دقة ومهارة لايعرف مقدارها الا من يعاني هذه الصناعة · لان الحرف لايتمثل للطبع الا بعد ان يحفر على قضيب من الفولاذ حفراً دقيقاً ويقال له باصطلاح الطباعة « الاب » · ثم يضرب عَلَى النحاس ضرباً حتى يطبع غائراً في النحاس ويسمونهُ حينئذ « الام » وعلى هذه الام يصبون الرصاص فيخرج الحرف المعروف في المطابع · فالشيخ كان يصطنع الاب من الفولاذ ويضرب به عَلَى الام النحاسية واصطنع هذا الحرف عدة اقيسة · ولما جاء القاهرة صنع حرفاً على قياس متوسط بين الحروف الكبرى والصغرى يعرف بحرف (بنط ٢٠) وقد اتخذتهُ مسابك القاهرة واصطنعوا له قوالب وشاع استعماله في مطابعها

وادخل في الطباعة العربية بعد قدومه مصر صوراً للحركات الافرنجية يحتاج اليها المعربون في التعبير عن الحركات الخاصة بها التي لامقابل لها في العربية · ولما ارادت الحكومة المصرية صنع حروف مطبعة بولاق سنة ١٩٠٣ على قاعدة مختصرة مفيدة كانت الابصار متجهة الى الشيخ لانهُ اقدر من يستطيع ذلك بالدقة والرونق · ولو فوّضت اليه هذا العمل لأحسنت صنعاً واستثمرت قريحته ثمراً نافعاً للغة العربية عَلَى الاجمال · ومن آثار علمهِ انه انتقى الفاظاً اصطلاحية لما حدث من المعاني العلمية بنقل العلوم الحديثة الى اللغة العربية بما عرف بهِ من سلامة الذوق في اختيار الالفاظ · وقد

اوردنا امثلةً على ذلك لما روينا اخبار مجلة « الطبيب » التي كانت في عهدته . ونختم هذه الترجمة بالقصيدة النفيسة التي نظمها الاستاذ الكبير ابرهيم الحوراني في رثاء الشيخ ابرهيم اليازجي وهي :

أضحى ألبسي حلك الدياجي واخلعي حلل الشعاع على كواكب مدمعي
لا تلمعي ودعي الشروق لانهُ غربت اشعةُ ذي الضياء الالمعِ
نعت النعاةُ ولم أثق اذ لم يزل في ناظري وحديثهُ في مسمعي
كيف التفتُّ أراهُ مبتسماً على عهدي بهِ فكأنهُ يحيا معي
صورٌ بها انسى البليةَ لحظةً تُمحى فيتلوها أشدُّ تفجع
يا ليت أخيلةُ السلوِّ حقيقةً فأبشرَ الدنيا بمحيا مَن نعي
نفذ القضاء فما الخيالُ بدافعٍ جاءت جهينة باليقين الموجعِ
سبحت بابراهيم سابحة النوى في اللجِّ من عبرات كل مشيّعِ
لم يبقَ بعد اليازجيَّ لرائدٍ من نجعةٍ غير السرى في البلقعِ
عُقدَ اللسانُ عن البيان وعقدهُ نثرت فرائدهُ الحسانَ كادمعي
لك يا أبا البلغاء معجزُ منطقٍ في طرس ما كتبت يمين المبدعِ
لك يا ابن ناصيف بن عبد الله في نسبِ العلا آيُ الدليلِ المقنعِ
أشقيقَ « وردة » شامنا ذكر اسمكم وردٌ « حديقتهُ » بوادٍ ممرعِ
أأخا « الخليلِ » « العينُ » سال عبابها فتولدَ « القاموس » من ذا المنبعِ
لم ابككم لكن بكيتُ بكم على قلبٍ بسيف بعادكم متقطعِ
وطنٍ ودعت الحياة وطيبها اسفًا على مَن سار غير مودعِ
جهد البلاء قضى بذا ورضيتهُ يرضي الوجيع من المصاب الاوجعِ
بانفس يوم الجمع يوم الملتقى بالصحبِ بعد تفرُّقِ المتجمعِ
لم تفن تلك الذات لكن غيرت صورُ المركَّب من فتات البرمعِ
دفنوا حجاب النفس في جوف الثرى والنفسُ حلّت بالمحلِ الارفعِ
وأُلو البلاغة والنهى دفنوه في جدثٍ تحيط بهِ حنايا الاضلعِ
يا ذا اليقين غداً اراك فما بنى اهل الشكوك على سوى المتزعزعِ
قالوا المماتُ من الحياة وما دروا ان الحياةَ من المماتِ المفجعِ
ما ذا تخيُّل شاعرٍ بل حكمةٌ نزلت على روع الحكيم الأروعِ
فالحبُّ ينبت بعد ما يبلى أما للحيِّ بعد ذهابه من مرجعِ
غربت لتطلع شمس طلعتكم ألا ان الغروبَ السيرُ نحو المطلعِ

ما ميتةُ الانسان الاَّ رقدةٌ فقيامة الموتى انتباهُ الهُجَّع
ومعادُنا كالحتف يحدث مرةً ما للتناسخ عندنا من موضع
ان الخلود حقيقةٌ ازليةٌ نفيُ النفاة لها هباءةُ زعزع
لم ينفها العلم الحديث وأُثبتت في مجمع العلم القديم المجمع
أذوي الحجى دون الحقائق برقعٌ والكلُّ يجهل ما وراء البرقع
لو اسفرت هان الردى وبدا لنا حزن الضريح الصعب سهل المضجع
وعَلامَ لانهوى شعوبَ وحبّها لأُلي الامى طبعٌ بغير تصنع
يوم الولادة للمنية مشرعٌ والعمر مدَّة وِرْدِ ذاك المشرع
يأتي الوليدُ الى بُسَيطة باكياً فكأنَّهُ قد ودَّ لو لم يوضع
وكأنهُ ميتٌ بلا كفنٍ وقد خيطت له كفناً ثياب الرُّضع
قل ياخبير لمن يريد سعادةً في الارض تطلب مستحيلاً فاربع
كم من عزيزٍ ذي غنىً وكرامةٍ حسدَ الصريع عَلَى سرير المصرع
لله سرٌّ في البرية ما طوى من نهجهِ الحكماء عرض الاصبع
لو شمت لمحة بارقٍ من كنهِهِ لكشفت اسرار الجهات الاربع
اني جهلت فكان غيث مدامعي جوداً وما في الجو غير البلمع
ياساكن الرمس الذي اقصيتهُ ودنا بطيّبِ نشرهِ المتضوع
اعطيت مصر النفس غير مطالبٍ فتمسكت بنزيلها المتبرّع
شربت هوى النيلين مصر فغيَّبت اصفاها في قلبها المتصدع
يامصر ابكار العلوم استودعت انقى صعيدك انفس المستودع
فسقاهُ قطرُ الشام قطر نجيعهِ من مقلتيهِ وقال يا ارض ابلعي
ودجاهُ قال لأعينٍ ترعى السها اسماء طوفان الامى لا تقلعي
نظم الرثاء فيا مطوَّقة اسجعي وسلاف احزاني أُجرعيه ورجّعي
امسيت بعدضيائه أُحيي الدُّجى بين الغوارب والنجوم الطلّع
وشغلت اسحاري بسجع حمائمٍ تبكي هديلاً غائباً لم يرجع
وعَلَى غريب الدار نحت فارخوا ناح الاسيف على غريب المربع

سنة ١٩٠٦ ميلادية

وهجرتُ شدوي والسرور ختمتهُ بغموم تاريخي وفاة اللوذعِ

سنة ١٣٢٤ هجرية

— « ٥ » —



﴿ السيد عبد القادر قباني ﴾

موسس جريدة «ثمرات الفنون» وصاحب امتيازها

(رسمهُ بالملابس الرسمية)

يتصل نسب السيد عبد القادر ابن السيدمصطفى ابن السيد عبد الغني قباني بالإمام زين العابدين من أحفاد الإمام الحسين كما ورد ذلك في كتاب « بحر الانساب » · واصل عائلته من الحجاز ثمَّ انتقلت الى جهات العراق فاقام اجدادهُ فيها · وفي عهد الحروب الصليبية اقبل بعضهم الى سوريا وانضموا الى جيوش السلطان صلاح الدين الايوبي لمحاربة الاعداء · فسكنوا اولاً في مدينة جبيل بلبنان ثم تحوَّلوا الى بيروت · ولما كان عبدالله باشا واليًا على عكا انتدب اليهِ السيد مصطفى والد صاحب الترجمة وجعلهُ قائداً لعساكره · وعند سقوط عكا في ٢٧ ايار ١٨٣٢ بيد ابرهيم باشا ابن

محمد علي باشا المصري وقع مصطفى جريحاً وأُرسل الى وادي النيل . فكلّفهُ محمد علي باشا ان يخدمهُ بالامانة التي خدم بها عبدالله باشا على ان يعينهُ اميرلواء و يعوّض عليه كما خسرت يداه . الاّ انهُ زايل مصر متنكراً يتنقل من بلد الى بلد حتى بلغ القسطنطينية . فاكرمتهُ الدولة العثمانية وجعلت له راتباً كافياً لمعيشته . فاستاء ابرهيم باشا منهُ ثم ابعد عائلته الى جزيرة قبرص . فاقاموا فيها الى ما بعد خروج ابرهيم باشا من سوريا وحينئذٍ تسنى للسيد مصطفى ان يعود الى بيروت بعائلته التي لم تزل فيها الى الزمان الحاضر

اما صاحب الترجمة فانهُ وُلد في بيروت سنة ١٨٤٩ (١٢٦٥ هـ) وتعلم في مكاتبها الاسلامية . ثم درس مدة في « المدرسة الوطنية » لبطرس البستاني وتلقى بعض العلوم عَلَى الشيخ عبد القادر الخليلي والشيخ محيي الدين اليافي والشيخ ابرهيم الاحدب . وكان من اعضاء « جمعية الفنون » التي اهتمَّ بتأليفها الحاج سعد حماده لخدمة المعارف والفقراء . وجرى الاتفاق عَلَى ان يكون السيد عبد القادر مديراً للمطبعة التي أُنشئت باسم الجمعية المذكورة و يطلب امتيازاً باسم جريدة « ثمرات الفنون » التي مرَّ ذكرها . ولما لم يطل اجل تلك الجمعية تحوّلت الحقوق في المطبعة والجريدة الى اسم صاحب الترجمة

وفي غرَّة شعبان ١٢٩٥ (١٨٧٨ ميلادية) تالفت بمساعيه و بمساعي بعض اصدقائهِ « جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية » وتعين رئيساً لها . وقد تاسست عَلَى يدها المكاتب الابتدائية للذكور والاناث ونالت نصيباً وافراً من النجاح . الاّ ان روح الحسد حمل البعض عَلَى الوشاية بها ونسبوا لمدحت باشا والي سوريا حينذاك فكر الاستقلال في سوريا بواسطة الجمعية المذكورة . فالغتها الحكومة وابدلت اسمها باسم « شعبة المعارف » وعينت رئيساً لها الحاكم الشرعي وكان يومئذٍ عبدالله جمال الدين افندي الذي صار فيما بعد قاضياً للديار المصرية وتوفي هناك . وقد تبدلت حال الشعبة المذكورة بانتقال عبد الله جمال الدين الى مصر وتفرّق اهم اعضائها في انحاء مختلفة

وتقلب السيد عبد القادر قباني في وظائف الحكومة سنين عديدة . فصار سنة ١٨٨٠ عضواً في مجلس ادارة لواء بيروت ثم عضواً في المحكمة البدائية . ولدى تشكيل ولاية بيروت سنة ١٨٨٨ تعين عضواً في محكمة الاستئناف فخدم هذه الوظيفة مدة عشرة اعوام . وفي سنة ١٨٩٨ انتخبهُ اهالي بيروت رئيساً للمجلس البلدي فجرت عَلَى يده اصلاحات كثيرة في المدينة . وفي مدة رئاسته زار غيليوم الثاني امبراطور المانيا فلسطين وسوريا وجرى له في بيروت احتفال عظيم يليق بمقامه السامي و بالمدينة التي سماها « درة في تاج سلاطين آل عثمان » . وفي عهد رئاسته ايضاً وافق العيد الفضي لمرور خمسة وعشرين عاماً على ارتقاء السلطان عبد الحميد الثاني الى الاريكة العثمانية . فسعى مع اعيان المدينة في تشييد السبيل الواقع في ساحة السور تذكاراً للعيد المشار اليه . وانشأ

من اموال البلدية برج الساعة الكائنة بين الثكنة الشاهانية والمستشفى العسكري وهو بديع الصناعة مرسوم على الطراز العربي بقلم المهندس البارع يوسف افتيموس · وبعد ان اتمّ صاحب الترجمة مدته النظامية في رئاسة المجلس البلدي تعين بارادة سلطانية مديراً لمعارف ولاية بيروت · وبلغنا انّ لوائحهُ التي قدّمها للمراجع الايجابية في اصلاح المدارس ورقي المعارف بقيت في زوايا النسيان واهملتها الحكومة رغماً من اجتهاده في تحقيق هذه الامنية · وبعد ان لبث في هذه الوظيفة نيفاً وست سنين تبلّغ في ١٣ آب ١٩٠٨ خبر عزله بلا سبب ومن دون محاكمة · فاستدعى تكراراً من وزارة المعارف معاملته بالانصاف او اجراء محاكمته · فاصدرت الوزارة امرها استناداً الى قرار مجلس المعارف بجواز استخدامه وباعطائه راتب المعزولية توفيقاً لقانون التنسيق وذيله · وذلك دليل على عدم وجود سبب للعزل · وفي اواخر السنة المذكورة ودّع الصحافة التي خدمها اربعاً وثلاثين سنة كما سبق القول في اخبار جريدة «ثمرات الفنون»

وبعد ذلك ألّف مع بعض ابناء الوطن شركة للقيام بامور عمرانية عمومية لاسيما استخراج الحديد وزيت البترول في اراضي ولاية سوريا · فنالت الشركة رخصة الحكومة بذلك وبلغنا ان الدلائل تبشر بالحصول على المقصود · وقد كافأتهُ الدولة على اخلاص خدمته لها بالرتبة الاولى من الصنف الاول وبالوسام المجيدي الثاني والوسام العثماني الثالث ومدالية التخليص ومدالية السكة الحجازية ومدالية وصول الخط الحجازي الى معان · واهداهُ امبراطور المانيا وسام «النسر الاحمر» من الرتبة الرابعة

— ٦ —

الشيخ ابرهيم الاحدب

محرر جريدة «ثمرات الفنون» واحد اركان النهضة العلمية في القرن التاسع عشر

هو ابن السيد علي الاحدب وُلد سنة ١٨٢٦ (١٢٤٢ هجرية) في طرابلس الشام ويتصل نسبهُ بالامام الحسين · وطلب العلوم اللسانية والادبية منذ نعومة اظفاره فقرأها على الشيخ عرابي والشيخ عبد الغني الرافعي فبرع فيها · وقد لازم كبار العلماء فتقدم بجده على اقرانه وسار صيتهُ بين الافاضل شرقاً وغرباً · وفي الثانية والعشرين من عمره عكف على التدريس فاقبل عليهِ الطلبة يستفيدون من إلقائه · وكان نابغةً في حفظ اشعار المتقدمين والمتأخرين ويملي عن ظهر قلب عدة متون من النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق ومقامات الحريري مع وفور اطلاع على امثال العرب وتواريخهم ونوادرهم ووقائعهم · وقد قال الشعر في صباه وبرع فيه حتى بلغ ما نظمهُ نحو

ثمانين الف بيت · وكل بيت من شعره لايخلو من صناعة بديعية او نكتةٍ ادبية او حكمة بالغة او مثل سائر · وكان سريع الخاطر يملي باسرع من لمح البصر ما يُقترح عليهِ كتابته نظماً او نثراً فيبرز ذلك كأحسن شيء دون تكلف · وقد زار مدينة القسطنطينية عَلَى عهد السلطان عبد المجيد فامتدحهُ بقصيدةٍ مطلعها :

بنصرة دين الله وافت لنا البشرى فأولت أُولي الايمانِ من نشرها بشرا

وفي سنة ١٨٥٢ استدعاهُ سعيد بك جنبلاط حاكم مقاطعة الشوفين بلبنان الى مركزه في « المختارة » فاتخذهُ مستشاراً في الاحكام الشرعية · وبعد ثمانية اعوام انتدبتهُ حكومة بيروت وعينتهُ نائباً في محكمة الشرع · وعند إجراء تنسيقات النوَّاب صار رئيساً لكتَّاب المحكمة المذكورة فتعاطى شؤونها نيفاً وثلاثين سنة · وفي خلال هذه المدَّة تولى التحرير في جريدة « ثمرات الفنون » فاودعها كثيراً من المقامات البديعة والرسائل الادبية والفصول الحكمية ما لو جمعت لبلغت مجلدات · وقد عرضت عليهِ نيابة صنعاء اليمن فامتنع عنها لبعده عن الاوطان · وكان عضواً في مجلس معارف الولاية فامتاز فيه بسعة آدابه · ومع ذلك كله كان مجدًّا في نشر العلوم ولهُ في كل يوم دروس مختلفة مع اشتغاله بالتأليف ونقله ما ينوف عن الف كتاب ورسالة بخطهِ الظريف · وفي سنة ١٨٧٢ زار الديار المصرية فرحب بهِ علماؤُها لاسيما الشيخ عبد الهادي نجا الابياري وقد روى في كتابه « الوسائل الادبية في الرسائل الاحدبية » ما جرى بينهما من المكاتبة

وكان لهُ من علم الادب اوفر نصيب · راسلَ الشعراء والعلماء ونظم القصائد الشائقة في مدح امراء العرب ووزرائهم وكبارهم كالامير عبد القادر الجزائري وباي تونس محمد صادق باشا الذي احسن اجازته · كان مصطفى باشا كبير وزراء تونس ارسل اليه علبةً مرصعة بالالماس وعليها رسمه بالالبسة الرسمية واسمه منقوش بالحجارة الكريمة · وانشأ رسالة « لا سلامة من الخلق » وهي التي اقترحها حسين باشا وزير المعارف بتونس عَلَى الادباء · فحكم لصاحب الترجمة بالسبق عَلَى سواه وارسل له الجائزة المعينة مع سبحة من العنبر ورسالة بخط يده · ومن شعره اللطيف قصيدته البائية التي اودعها فنون الحكم مطلعها :

وِردُ المعاني بما يصفو من الادبِ يقفي براحِ الصفا في ارفع الرتبِ

ومنها في الختام :

هذي بدائعُ قد اودعتها نكتاً من المعاني نبت عن سمع كلّ غبي
جرى اليها يراعي محرزاً قصباً فاطربَ السمعَ في مغناهُ بالقصبِ
لاميةُ العجم اُستعلت بنسبتها وهذه دُعيت بائيةَ العربِ
انشأتها حكماً طابت لخاطبها إن كان في ذوقهِ ضربٌ من الضربِ

ومن الاشعار التي نظمها في مدح الامير عبد القادر الحسني الجزائري هذه الابيات :

اني بمدح ابن محيي الدين ذو هممٍ — غدا نظامي بها في ارفع الدرجِ
وفي مآثر عبد القادر اطردت — ابياتُ شعري فراقت كلَّ مبتهجِ
غوث النزيل وغيثٌ فيضُ نائلهِ — من الانامل يجري الدرَّ في خلجِ
شمسٌ انارت بلاد الشرق فابتهجت — سوريةٌ بسناها الفائقِ البهجِ
في الكون آثارهُ كالمسك قد نفحت — الأ لمزكوم طبعٍ عدَّ في الهمجِ
لله غربُ حسام منه قد شهدت — في الغرب آثارهُ كالصبح في البلجِ
لازلتَ تهدى لك الامداح ماطلعت — شمسٌ بنورك تغنينا عن السرجِ

واشهر مؤلفاته هي : (١) « ديوان شعر » نظمه في صباهُ ورتبه على ثمانية فصول . (٢) ديوان « النفح المسكي في الشعر البيروتي » نظمه سنة ١٢٨٣ هجرية . (٣) لهُ « ديوان ثالث » نظمه بعد هذا الديوان يشتمل عَلَى كثير من القصائد الرائقة . (٤) له « مقامات » تبلغ الثمانين مقامة املاها عَلَى لسان ابي عمر الدمشقي واسند روايتها الى ابي المحاسن حسان الطرابلسي جارى في إبداعها العلاَّمة الحريري . (٥) كتاب « فرائد الاطواق في اجياد محاسن الاخلاق » يتضمن مائة مقالة نثراً ونظماً جارى بها مقالات العلاَّمة جار الله الزمخشري . (٦) كتاب « فرائد اللآل في مجمع الامثال » نظم فيهِ الامثال التي جمعها العلاَّمة الميداني في نحو ستة آلاف بيت وقد شرحها في مجلدين طبعا بعد وفاته في المطبعة الكاثوليكية بهمة نجليه سعيد وحسين . (٧) له « رسالتان في المولد النبوي » احداها مطولة والاخرى مختصرة . (٨) كتاب « تفصيل اللؤلؤ والمرجان في فصول الحكم والبيان » يشتمل على مائتين وخمسين فصلاً في الحكم والآداب والنصائح . (٩) لهُ « عقود المناظرة في بدائع المغايرة » وهو جزءان مشتملان عَلَى خمس وعشرين مغايرة . (١٠) له « نشوة الصهباء في صناعة الانشاء » . (١١) له « منظومة اللآل في الحكم والامثال » . (١٢) كتاب « نفحة الارواح على مراح الارواح » . (١٣) كتاب « إبداعُ الابداء لفتح ابواب البناء » في علم الصرف . (١٤) كتاب « كشف الارب عن سرّ الادب » (١٥) كتاب « مهذب التهذيب » في علم المنطق نظمهُ وعلق عليهِ شرحاً لطيفاً . (١٦) كتاب « الوسائل الادبية في الرسائل الاحدبية » يشتمل عَلَى القصائد والرسائل التي دارت بينهُ وبين الشيخ عبد الهادي نجا الابياري في مصر . (١٧) لهُ « ذيل ثمرات الاوراق » طبعه على هامش كتاب « المستطرف » وغيره . (١٨) وآخر مؤلفاته « كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان » الفه في مدة اربعة اشهر وقد طبعه الآباء اليسوعيون بنفقتهم . (١٩) رسالة « لا سلامة من الخلق » التي مرَّ ذكرها . وكان لهُ كلفٌ بالروايات حتى بلغ ماجمعهُ منها نحو عشرين رواية بعضها مبتكر له و بعضها مأخوذ من التاريخ او مترجم عن

لغة اوربية كرواية« اسكندر المكدوني» ورواية«السيف والقلم »ورواية« المعتمد بن عبّاد »وغيرها وقد بلغت شهرة رواياته مسمعَي راشد باشا والي سوريا في دمشق فأعجب ببراعة منشئها·ولما اراد ان يحتفل بختان انجاله في نواحي سنة ١٨٦٨ كلف صاحب الترجمة ان يعلم رواية « اسكندر المكدوني » لجوق من الممثلين و يذهب بهم الى دمشق لاجل تمثيلها· فنعل الشيخ ابرهيم ذلك وكان لتمثيل الرواية صدى استحسان لم يزل يردده ُ سكان الفيحاء الى الزمان الحاضر· وعند رجوع الشيخ ابرهيم الى بيروت اهداه راشد باشا خاتمًا ثمينًا مرصعًا بالالماس ونفحهُ بمائة ليرة عثمانية· ثمَّ انه نال من مكارم اعيان دمشق واكرامهم ما لم ينلهُ عالم سواهُ في عصره

وفي ليلة الثلاثا في ٢٢ رجب ١٣٠٨(٢ ادار ١٨٩١) أتمَّ انفاسهُ الاخيرة فتولى طلبة العلم حمل نعشهِ وشيَّعه خلق كثير من الاشراف والعلماء والوجهاء الى مقبرة « الباشورة » حيث دفنوه بالتعظيم اللائق· وتليت المراثي العديدة تعدد محاسنهُ وشمائله لانه كان من اكمل العلماء في عصره خلقًا وخلقًا وفضيلةً وفضلاً· و بين الشعراء الذين رثوه الشيخ قاسم ابو حسن الكستي من قصيدة طويلة جاء فيها :

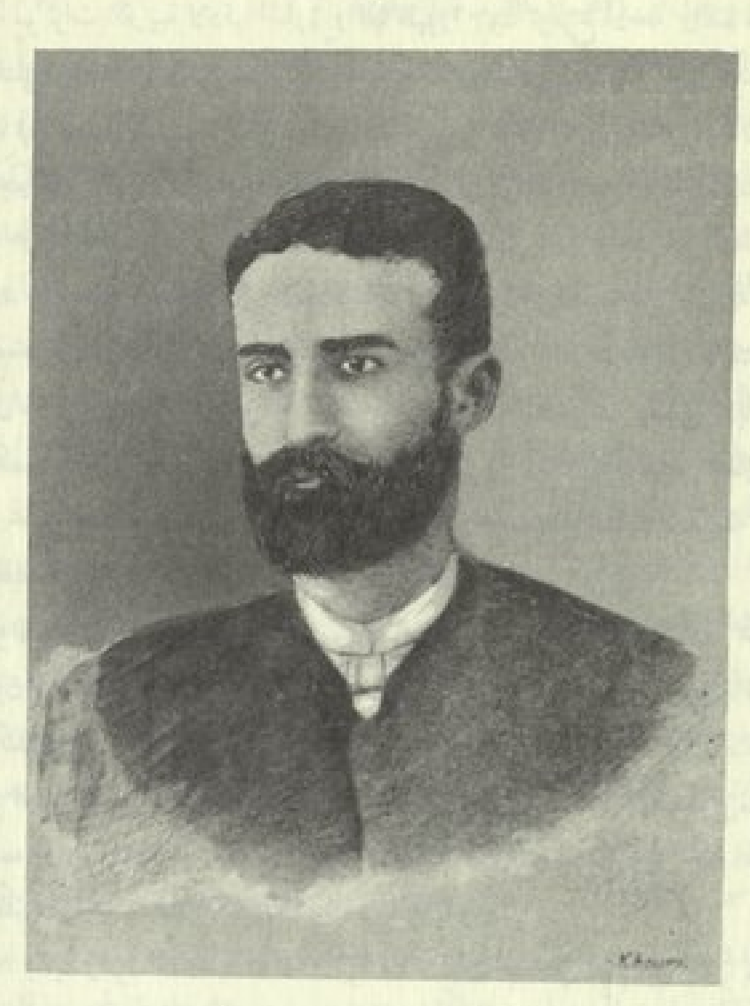
لفقدك هذا العصر يا من قضى نحبا ... على اهلهِ قد اوجب الحزنَ والندبا
تعزّي بك الآداب يا من حويتها ... وكنتَ لمن يرتادها منهلاً عذبا
يظنك بعض الناس انك في الثرى ... ولم يدرِ عند الله منزلكَ الرحبا

وقد نقشت على قبره الابيات الآتية :

هذا ضريح توارى فيهِ ذو شرفٍ ... قد كان يملأُ عين الدهرِ مرآهُ
كنز المعارف ابرهيم من شهدت ... لهُ بحسن التقى والفضل دنياهُ
بطلعة الاحدب الماضي لهُ لقبٌ ... ورأيهُ قد حكى بالفضل معناهُ
تكفلت خدمة الشرع الشريف لهُ ... بانهُ سوف يعطى ما تمناهُ
وبشرتنا بانَّ اللهَ عاملهُ ... بالعفو أرّخ وبالاكرام أرضاهُ

سنة ١٣٠٨ هجرية

— « ٧ » —



❊ اديب بك اسحق ❊

مؤسس جريدة « مصر » في القاهرة والاسكندرية وجريدة « التجارة » في الاسكندرية
وصحيفة « مصر القاهرة » في باريس واحد المحررين في جرائد « ثمرات الفنون »
و « التقدم » و « المصباح » في بيروت

(سوى القرطاس لم تعرفْ حبيباً فانَّ بصدره رسمَ الحبيبِ)
(واذ رسموكَ كفتْ كل عين بهذا الرسم عن حسدِ القلوبِ)
(ولا ينسى الاديبَ فتىً اديبٌ أنارت ذهنه دُرَرُ الاديبِ)

وُلد في دمشق الشام عام ١٨٥٦ فلم ينفطم عن الرضاع حتى ظهرت عليه مخايل النجابة طفلاً تخترق ذهنهُ موءثرات التربية لادقّها اشارةً واقلها ظهوراً · ولما ترعرع ادخلهُ والده بمدرسة الآباء اللعازريين فتلقى فيها مبادئ العربية والفرنسوية بما كان يزيده في اوقات الامتحان تقدماً على اقرانه · وكان استاذه في العربية يقول لابيهِ « ان ابنك سيكون قوّالاً » اي شاعراً · لان اكثر كلامه كان يرد مسجعاً عفوَ القريحة وهو لا يعرف اذ ذاك شيئاً من قواعد اللغة · ولما بلغ العاشرة اخذ ينظم الشعر كلفاً بهِ · وفي الحادية عشرة دخل في خدمة الجمرك براتبٍ يسير واخذ يعول عائلتهُ اذ اصابها في ذلك العهد سوء حال وعطلة اعمال · وما اتمّ الثانية عشرة من سنيه حتى كان لهُ عدة قصائد وموشحات · ثم عرض لوالده انْ سافر الى بيروت ودخل في خدمة البريد العثماني فاستدعاه اليهِ من دمشق ليكون معيناً له في خدمتهِ وهو في الخامسة عشرة · فجاءها وتعرّف ببعض ادباء بيروت ولهُ مع اكثرهم كمصباح رمضان والشيخ فضل القصار وبولس زين والشيخ اسكندر العازار وجرجس بن ميخائيل نحاس وسليم بن عباس الشلفون وغيرهم مطارحات ومراسلات شعرية · وفي السابعة عشرة نال وظيفة في ادارة جمرك بيروت فقضى فيها مدة يسيرة

ثم نزعت بهِ نفسه الى الاشتغال بفن الكتابة والانصباب على الانشاء فتولى اولاً تحرير جريدة « ثمرات الفنون » ثمّ جريدة « التقدم » بُعيد نشأتها الاولى زمناً طويلاً · وله فيهما فصول شائقة كما له قصائد كثيرة في ديوان يوسف الشلفون · وكان يصرف اوقات فراغه في المطالعة ومعاشرة الادباء ونظم الشعر فالف كتاباً سماه « نزهة الاحداق في مصارع العشاق » وهو اوّل ما ظهر بالطبع من نفثات قلمه · ومن ذلك الحين صارت شهرته الادبية تنمو شيئاً فشيئاً لانه اتخذ اسلوباً جديداً في كتاباته قلّدهُ فيها سائر حملة الاقلام لا سيما في سوريا ومصر

ثم دخل « جمعية زهرة الآداب » وكانت برئاسة سليمان البستاني فقام فيها عضواً مهماً يلقي على مسامع اقرانه الخطب البليغة والقصائد الرائقة والمحاضرات المفيدة ويباحثهم في المواضيع الادبية · وبعد ذلك كلفه سليم شحاده بمشاركته مع زميله سليم الخوري في تحرير كتاب « آثار الادهار » عام ١٨٧٥ وهو كتاب نفيس اتينا على وصفه في الجزء الاول · فاشتغل فيهِ مدة وكان سنهُ دون العشرين ولهُ في ثلثة اجزاء منهُ فصول تدل على سعة اطلاعه وغزارة مادته · ولبث على هذه الحال الى ان جاء الاسكندرية باشارة سليم نقاش فساعده في تمثيل الروايات العربية على عهد الخديو اسمعيل الذي امدّها بالمال · وكان قد عرّب في بيروت عن « راسين » الشاعر الفرنسي المشهور رواية « اندروماك » وهو في التاسعة عشرة من العمر اجابةً لطلب قنصل فرنسا · فترجمها ونظم اشعارها وعلّم ادوارها في مدى ثلثين يوماً ودفعها الى القنصل · فمثلت اسعافاً للبنات اليتامى ثلاث مرّات فجمعت خمسة ثلثين الف غرش · فلما حضر الى الاسكندرية قلبها بطناً لظهر ونظم فيها ابياتاً جديدة من الشعر

الرائق فحصل لها وقع عظيم · وهي مثبتة في كتاب « الدرر » مع رواية « شارلمان » التي ترجمها في الاسكندرية ونالت من استحسان القوم حظاً وفيراً

ثم قصد القاهرة عاصمة البلاد المصرية وازم العلاّمة جمال الدين الافغاني فقرأ عليه شيئاً من الفلسفة الادبية والفلسفة العقلية والمنطق · ورغب في اثناء ذلك في انشاء جريدة عربية فدان له الوطر بذلك فانشأها باسم« مصر »عام ١٨٧٧ وليس في جيبهِ اكثر من عشرين فرنكاً · ولما رأى من إقبال الناس عليها ما يشدُّ الازر نقل ادارة الجريدة الى الاسكندرية يشاركه في ادارتها وتحريرها سليم نقاش فلقيا نجاحاً ليس باليسير · ثم انشأ كلاهما جريدة « التجارة » فأصدراها يومية وأبقيا « مصر » اسبوعية فحصل لهما جميعاً اقبال عظيم · ثم أُلغيت الجريدتان لمقتضيات دعت الى الغائهما كما سنذكر ذلك في الجزء الثالث من هذا الكتاب · فابتعد الاديب عن مصر عام ١٨٨٠ مهاجراً الى باريس حيث انشأ جريدة« مصر القاهرة »وكتب فيها فصولاً متناهية في البلاغة لا يُعاب اكثرها الاَّ بما كان فيها من آثار الحدة وكفى

وحصلت له في باريس حظوة موصوفة باقلام بعض كتّاب الجرائد الباريسية وجريدة «مشورت» التركية في تلك العاصمة · وتعرَّف ببعض المتقدمين من رجال الدولة الفرنسوية وحضر في مجلس النواب جلسات كثيرة فزادتهُ خطب البلغاء منهم اقداماً وتقدُّم علَى الخطابة · ودخل « المكتبة الاهلية » فطالع فيها عدة مؤلفات من المخاطيط العربية القديمة ونسخ عنها نتفاً كثيرة · ومن حين الى حين كان يكتب مقالات عن الشرق في الصحف الباريسية · وألف كتاباً سماهُ « تراجم مصر في هذا العصر » لعبت به ايدي الضياع في جملة ما فقد من آثاره

وكانت صحته في الاسكندرية قد تعرضت للمؤثرات · فلما ذهب الى باريس اتفق ان بردها كان في منتهى الشدة فأُصيب بعلة الصدر وتألم منها مدة الشتاء · ثم عاد الى بيروت مصدوراً بعد ان قضى في باريس تسعة اشهر فعهد اليهِ صاحب « التقدم » بتحرير جريدتهِ · فتولى تحريرها للمرة الثانية واقام على ذلك نحواً من سنة · فلما حصل انقلاب الوزارة المصرية في اواخر عام ١٨٨١ عاد الى مصر مدعواً اليها فودعه اصحابهُ وخلانه بنفوس الآسفين على فراقهِ فما رأيت قلباً غير مائل الى اصطحابهِ · وقد انشده احد وجهاء بيروت حسن بيهم قائلاً له ساعة الوداع :

انَّا نودّع روحنا وفؤادنا　　ومع الاديب نودّع الآدابا

فاجابهُ بقوله « ليس يبقاءك وداع للآداب » ثم سار واتى القاهرة فعين ناظراً لقلم « الانشاء والترجمة » بديوان المعارف · ورخصت له الحكومة في استئناف نشر جريدة « مصر » فاصدرها اولاً في شكل كراس ثم اعادها الى مظهرها الاول باربع صفحات · ونال خلال ذلك الرتبة الثالثة وعين كاتباً ثانياً لمجلس النواب · ولما طرأت الحوادث العرابية عاد الى بيروت فيمن هاجر الى القطر السوري وتفع

جريدة « المصباح » بنفثات قلمه • وبعد ان حلَّ الانكليز في الاسكندرية جاءها مرَّة اخرى في التماس شأنهِ الاول فلم يحصل عليهِ • ثمَّ أُبعد الى بيروت بعد ان أُودع السجن بضع ساعات ونظم في خلالها ابياتاً ذيَّل بها قصيدة في مدح سلطان باشا منها قولهُ :

أمولايَ هذا نظم حرٍّ وتلوهُ ... كلام سجينٍ أوثقتهُ المآثرُ
اتوهُ بنكرٍ وهو للعرف مرتجٍ ... وجازوهُ للخذلان وهوَ مناصرُ
أيبعد ذو فضلٍ ويدنى منافقٌ ... ويسجن وافٍ حين يطلق غادرُ
ويكرم جاسوسٌ عن الصدق حائدٌ ... ويظلمُ همامٌ على الحق سائرُ
ويرفعُ نمامٌ عن الريب كاشفٌ ... ويخفضُ كتامٌ على العيب ساترُ
(بذا قضت الايامُ ما بين اهلها ... معايبُ قومٍ عند قومٍ مفاخرُ)
على انني والشين تأباهُ شيمتي ... لراضٍ بعقبى ما وفيتُ وصابرُ
فانْ لم تفدني للوفاء اوائل ... عقدتُ رجائي ان تفيد الاواخرُ
وما ارتجي فيهِ من الناس نائلاً ... ولكنني للبرِّ والعرفِ ذاكرُ

فأقام في بيروت متولياً تحرير جريدة « التقدم » للمرة الثالثة الى ان اشتد عليهِ الداء • فاشار عليهِ الاطباء بالذهاب الى مصر مستفيداً من ملائمة هوائها لصحتهِ فالتمس الرخصة في العودة اليها بواسطة المغفور له سلطان باشا • فاجابت الحكومة الخديوية التماسه كرماً واحساناً فاتاها ساعياً الى العفو لدى مَن لقي من شمائله عفو الكريم واهّل به من عرفوا قدر ادبهِ • فاقام في مصر اياماً قليلة ثم عاد الى الاسكندرية فصرف بضعة ايام في محلة الرمل التماس العافية • ولكن ضاقت بهِ سعة العمر فلم يرجُ الاطباء له شفاء فاقنعوه بالعود الى اهله في بيروت • فعاد اليها ولم يمضِ على عودتهِ ثلثون يوماً حتى وافتهُ المنية بتاريخ ١٢ حزيران ١٨٨٥ في قرية « الحدث » بلبنان حيث كان قد ذهب تبديلاً للهواء • فاحتفل اصدقاؤُه بدفنهِ وقام بعضهم بتأبينهِ كخليل باشا خياط والاستاذ ابرهيم الحوراني والشيخ اسكندر العازار وسامي قصيري والدكتور بشاره زلزل • وقد جمعت آثاره المطبوعة والمخطوطة مع ترجمة حاله ومراثي الشعراء واقوال الجرائد فيهِ في كتاب مخصوص عنوانه « الدرر » في ٦١٦ صفحة • ومن نفيس شعره هذه الابيات التي جرت مجرى الامثال :

قتلُ أمرىءٍ في غابةٍ ... جريمةٌ لا تغتفرْ
وقتلُ شعبٍ آمنٍ ... مسأَلةٌ فيها نظرْ
والحقُّ للقوَّةِ لا ... يُعطاهُ الأَمَن ظفرْ
ذي حالة الدنيا فكنْ ... من شرّها على حذرْ

وله هذه الابيات المذكورة في رواية « الباريسية الحسناء » التي عرَّبها عن اللسان الفرنسي :

حسبَ المرأةَ قومٌ آفةً   مَن يدانيها منَ الناس هلكْ
ورآها غيرهم امنيةً   ملك النعمة فيها مَن ملكْ
فتمنى معشرٌ لو نبذت   وظلام الليل مشتدٌّ الحلكْ
وتمنى غيرُهم لو جعلت   في جبين الليث او قلب الفلكْ
وصوابُ القولِ لا يجهلهُ   حاكمٌ في مسلك الحقِّ سلكْ
انما المرأةُ مرآةٌ بها   كلّ ما تنظره منك ولكْ
فهي شيطانٌ اذا افسدتها   واذا اصلحتها فهي ملكْ



جرجس زوين

محرر مجلة «المجمع الفاتيكاني» وجرائد «البشير» و«لسان الحال» و«المصباح» و«لبنان» غير الرسمية واحد اعضاء «الجمعية العلمية السورية»

هو المعلم جرجس ابن الخوري سمعان زوين ينتمي الى أسرة مارونية قديمة العهد في جبل لبنان. وُلد سنة ١٨٣٠ في قرية «يحشوش» وتلقى كل دروسه اللسانية والادبية والفلسفية واللاهوتية في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير. فلبث فيها مدة عشر سنين وكان من بواكير تلامذتها وأنجبهم. فاحكم معرفة اللغات العربية والسريانية واللاتينية والفرنسية والايطالية مع إلمام بالعبرية واليونانية القديمة. وبعد خروجه من المدرسة خدم المعارف والآداب بالتاليف وقام بالتعليم في كثير من المدارس الوطنية والاجنبية للذكور والأناث في مدينة بيروت. وانتظم سنة ١٨٦٨ عضواً في «الجمعية العلمية السورية» والقى فيها خطبة عن «تاريخ سوريا» نشرت في مجلة «مجموع العلوم». ثم انشأ غيرها من الخطب والمقالات التي تشهد بعلو كعبه في حلبة المعارف

ثم مالت نفسه الى خدمة الصحافة فكان اول من تولى التحرير سنة ١٨٧٠ في مجلة «المجمع الفاتيكاني» وجريدة «البشير» مدة سبع سنوات. ثم انتدبه خليل سركيس سنة ١٨٧٧ لكتابة صحيفة «لسان الحال» فاقام عَلَى تحريرها عشرة اعوام. وعند ما صدرت جريدة «المصباح» لنقولا نقاش حرر فيها مدة قصيرة وتركها. وفي آخر حياتهِ عهدت اليه كتابة جريدة «لبنان» لابرهيم الاسود. وكان كاتباً مجيداً واسع الاطلاع حسن المحاضرة معروفاً بذكاء القريحة وسرعة الخاطر. ومن آثاره القلمية كتاب «الردّ القويم عَلَى ميخائيل مشاقة اللئيم» ردّ فيهِ عَلَى الدكتور ميخائيل مشاقة لما اخذ هذا يطعن في الكنيسة الكاثوليكية. ونقل من اللغات الافرنجية الى اللسان العربي

كتباً كثيرة نذكر منها : « مصباح الهدى لمن اهتدى » وكتاب « رواشق الافكار » لامبرتوس وكتاب « كنيسة الروم الشرقية بازاء المجمع المسكوني الفاتيكاني » وهي كلها دينية · وعرّب ايضاً رواية « وردة المغرب » ورواية « فريدة المغرب » وغيرها · وساعد ايضاً في تنقيح بعض مطبوعات « المطبعة الكاثوليكية » للآباء اليسوعيين

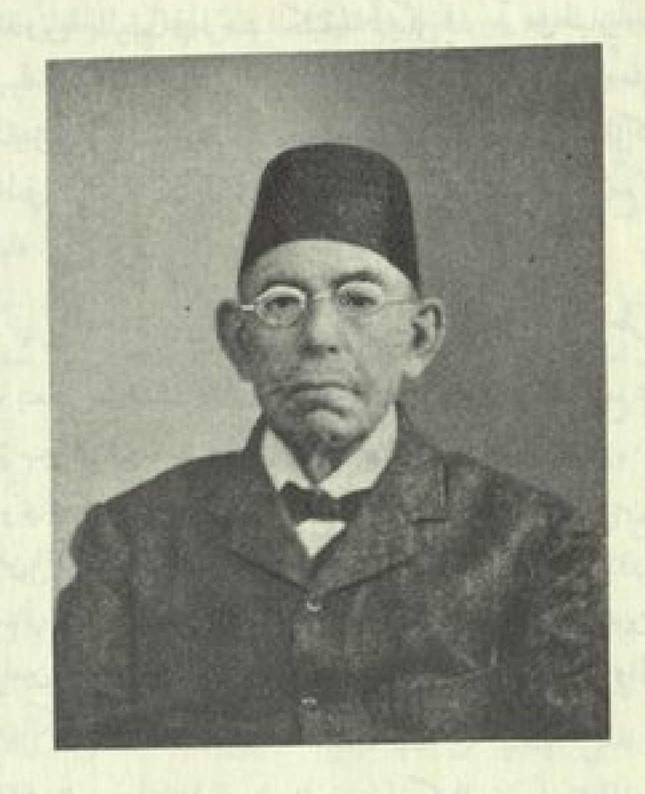
وحلت وفاته صباح يوم الخميس الواقع في ٢٨ تموز ١٨٩٢ في قصبة « بعبدا » المركز الشتوي لحكومة لبنان · فجرى له مأتم حافل وأبّنهُ عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة « الآثار » الزحلية بكلام مؤثر · ثم نقلت جثته الى غزير فدُفنت في كنيسة مدرسة القديس لويس في مشهد كبير جمع رؤساء الدين واعيان البلاد · وقد رثاه الشاعر المشهور الخوري يوحنا رعد الماروني وداود بركات محرر جريدة « الاهرام » حالاً وغيرها من الادباء · ومات صاحب الترجمة بلا عقب وله من العمر اثنتان وستون سنة

— « ٩ » —

﴿ الشيخ ابرهيم الحوراني ﴾

رئيس تحرير « النشرة الاسبوعية »

هو ابرهيم بن عيسى بن يحيى بن يعقوب بن سليمان فرح الحوراني وُلد في حلب في ١٤ ايلول من سنة ١٨٤٤ وعاد والداهُ به وبأخٍ له اكبر منهُ الى وطنهما حمص في آخر ايلول ١٨٤٥ · ولما بلغ السنة الخامسة اخذ يتعلم القراءة فاحكمها في ستة اشهر · ثم اخذ يقرأ على معلميه الكتب الشعرية المختلفة فحفظ كثيراً من القصائد النافعة كلاميَّة ابن الوردي ولامية العجم ولامية المعري التي اولها « الا في سبيل المجد ما انا فاعلُ » وبعض المعلقات السبع · وفي سن السابعة اخذ يتعلم مبادىء الحساب والاجرومية · وكان يتمرّن بما يلقى عليه من الاسئلة الحسابية المتعارفة عند العامة مثل انَّ انساناً خرج من بستان له ثلاثة ابواب بمقدار من التفاح · فاخذ حارس الباب الاول نصف ما معه من التفاح ونصف تفاحة · واخذ حارس الباب الثاني نصف ما بقي معه ونصف تفاحة · واخذ حارس الباب الثالث نصف ما بقي من الباقي ونصف تفاحة وبقي معه واحدة وفي كل ذلك لم تجزأ تفاحة · وتلك المسائل كثيرة فكان يحل كل مسئلة تعرض عليه مع صغر سنهِ · فنشأ في نفسه حب الشعر وحب الرياضيات · وكان يقصد كل مشهور من علماء حمص ومنهم الخوري عيسى الحامض العلاّمة الطبيب ابو العلاّمة سليمان الخوري الطبيب ابي العلاّمة الطبيب الدكتور كامل الخوري المشهور ويقرأ عليهم ما يختارونهُ له



الشيخ ابرهيم الحوراني

(رسمٌ يمثلني لكلِّ مشاهدٍ أبقيتهُ ليدوم ذكري في البشرْ)
(لكنهُ أثرٌ يزولُ فما على ارض البِلى عينٌ تدومُ ولا أثرْ)

وفي سنة ١٨٦٠ هاجر اهلهُ الى دمشق وبعد قليل ارسلهُ والداهُ الى مدرسة «عبيه» القديمة العهد وكانت اعلى مدارس سورية . فاحكم فيها بعض الرياضيات والصرف والنحو والجغرافيا ومبادئ علم اللاهوت وكان اساتذتها ثلاثة سمعان كلهون واسحق برد ورزق الله بر باري . ثم اقام بدمشق يقرأ العلوم المختلفة على الدكتور ميخائيل مشاقه فاحكم علم الجغرافيا السماوية وكثيراً من الرياضيات والمنطق وبعض مبادئ الفسيولوجيا والفلسفة الطبيعية . وقرأ الكيميا على الدكتور يوسف دُمّر . وكان يطالع كل فن تصل كتبه اليه ويسأل اربابهُ بيان مايصعب عليه فهمه . وفي دمشق احكم كل آداب اللغة من معانٍ وبيان وغيرها . وفي سنة ١٨٧٠ طُلب للتدريس في المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت فدرَّس فيها آداب اللغة العربية والمنطق والجبر والهندسة وقياس المثلثات البسيطة والكروية وسلك الابحر وعلم التسهيل في كتاب التعاليم للدكتور كرنيليوس فنديك . وكان لهذا العلاَّمة وافر الفضل عليه كما كان للدكتور ميخائيل مشاقه . فانهُ كان يفيده

كثيراً من علم الهيئة ويريه بالمرقب في مرصد الكلية ما لم يكن قد رآه من سيارٍ وفتوٍ وسديمٍ وجبال القمر واوديتهِ وسهوله وتغيرات الزهرة من كونها هلالاً الى مصيرها بدراً . ومنها اقمار السيارات كاقمار المشتري واقمار زحل وحلقاته والنجوم المتعددة في المواقع المفردة لمجرد النظر كالنجم النير المعروف بقلب العقرب . فانهُ في الواقع نجمان كما يرى في المرقب . وهذا النجم احمر لامعٌ متوقد ذكره ابو العلاء المعرّي في قوله :

غادرتني كبنات نعشٍ ثابتاً وتركتِ قلبي مثل قلب العقربِ

وظل يفيده ما يتعلق بعلم الفلك عدّة سنين ثم حصل على اصطرلاب وربع مجيب واخذ يرصد النجوم في بيتهِ عدة سنين . وقلما مضت ليلة منها لم يراقب فيها وجه السماء بمنظاره . وكان هذا العمل يملأ نفسه عجباً ويقوّي ايمانه بوجود الواجب تعالى وقدرته وحكمته . وكان من تلاميذه في تلك المدرسة كثيرون من اقدر كتبة العصر وعلمائهِ ومنهم : الدكتور داود مشاقه ورشيد ناصر الدين والمرحوم سعيد البستاني والدكتور مراد العازوري والدكتور سعيد ناصر الدين والاستاذ جبر ضومط والدكتور امين المعيْعب والدكتور فارس نمر ومراد بك البارودي والدكتور امين بك ابو خاطر وغيرهم من الكتبة والعلماء المشهورين

وله عدّة مؤلفات طبع منها « الشهب الثواقب » وهو كتاب جدلي الفهُ في اول الشبيبة و « جلاء الدياجي في الالغاز والمعميات والاحاجي » و « مناهج الحكماء في مذهب النشوء والارتقاء » و « الحق اليقين في مذهب دروين » و « الآيات البينات في عجائب الارض والسماوات » وكلها نفذت الاّ الآخر فانهُ باقٍ قليل منهُ في المطبعة الاميركية في بيروت . وله مقالات منها وخطب كثيرة جداً اكثرها في « النشرة الاسبوعية » ومجلة « الرئيس » و « المحروسة » وقليل منها في « الطبيب » في سنيه الاولى وفي « المقتطف » ومجلتي « الصفا » و « المباحث » وغيرها . ونقل عن هذه بعض الجرائد والمجلات كثيراً منها . ومن الكتب التي لم تطبع كتاب مطولٌ في المنطق عنوانهُ « شمس البرهان في علم الميزان » اي ميزان العلوم وهو علم المنطق وسيطبع مختصره

وكان صاحب الترجمة مولعاً في صبائه وشبيبته بنظم الشعر ولكنهُ كان قليل الحرص على ما ينظمهُ . ولولا حرص بعض اصدقائه وتلاميذه والمجلات والكتب التي ذكرت بعضها لم نقف على شيءٍ منها . قال بعضهم انهُ لو جُمعت منظومات الحوراني كلها لكانت بضع مجلدات . وامتاز شعره بسمو المعاني وحسن الترتيب وفصاحة الالفاظ وبلاغة العبارات والخلو من التكلف وتمكن القافية والخلوص من الحشو . حتى انك اذا اردت ان تجعله نثراً صعب عليك ان تغير ترتيبه بلا خسارة شيء من محاسنه كقوله في الدنيا :

حكت العبادُ بها المشيم وأُصليت　　نارَ المصائب فالحياةُ دخانُ

وقوله من قصيدة طويلة :

قدم الزمانُ وصبوتي تتجددُ　　فكأنني في كل عصرٍ أُولدُ
شيخاً أُرى بين الشيوخ وامرداً　　في المرد مما شاب منهُ الامردُ
قالت غواني الرقمتين وقد رأت　　ثلج المشيب اظنُّ نارك تخمدُ
فاجبتها : ما الشيبُ بل لهبُ الهوى　　في الرأس مما في الحشا يتوقدُ
قالت :مشيبك اسودٌ في ناظري　　قلت :الحقيقة انَّ لحظكَ اسودُ

ومنها قوله :

لولا المحبة كان سكان الثرى　　حطباً له في كلِّ ارضٍ موقدُ

ومن نفيس شعره قوله :

كرَةُ الهواء ولجة الدأماء　　انفاس احزانٍ وماء بكاء
والارض معترك الردى وترابها　　آثار قتلى الغمِّ والارزاء
غذي َالنبات بها فكان غذاءنا　　وغذاء كل بهائم الغبراء
فالحيُّ ينمو من بقايا ميتهِ　　متغيرات الشكل والاسماء
يا ويل سكان البسيطة انهم　　رمم البلى في صورة الاحياء
يتعظمون بمترفات جسومهم　　مع انها من أحقر الاشياء

وقوله من قصيدة مدح بها خالد بك احد ولاة بيروت الماضين وانشدها في محفل دار الحكومة :

وطالبُ سلمى والاسودُ حماتها　　كطالب رؤيا الطيف والطرف ساهدُ
اسود الشرى من كل ليثٍ مقذّفٍ　　عليهِ دماء الجحفلين شواهدُ
يرى النقع والمرّان تخطر تحتهُ　　ضبابة روضٍ تحتها البانُ مائدُ
ويبسم في الهيجاء والموت عابسٌ　　كأنَّ المنايا الحمر بيضٌ خرائدُ

ومنها بيت التخلص قوله :

وايّد دينَ الواهبين جمالها　　كما ايّد الاحكام بالعدل خالدُ

ومن اشعاره في صباه قوله لمن لاموه عَلَى الغرام صغيراً :

لا تلوموا على التصابي صبياً　　هبَّ منذ الفطام يهوى الاحبهْ
ما تجافى بالحب عن دين عيسى　　ان دين المسيح دين المحبهْ

ومنها قوله :

اقول وقد اذابت كل قلبٍ　　بارخاء الفروع عَلَى الترائبْ

أربات الذوائب لا تتيهي | فنحن اليوم ارباب الذوائب

وقوله من قصيدة طويلة :

غيدٌ مغانيها لارباب الهوى | سوقٌ وكلٌّ فيه اعظم خاسرِ
تاجرت في حب الحسان بمهجتي | فيها فكان السقم ربح التاجرِ
فشغلت اقلامي بشرح صبابتي | وملأتُ من وصف الحبيب دفاتري

وانشد في فتاة حسناء شاهدها تبكي فقال لها : أعَلى مَن قتلتِ تبكين أم على مَن لم تقتلي؟ قالت: بل عليك لانك لم تمت :

شاهدتها في الحي تبكي فقلت لها | قتلاكِ تبكين ام مَن عن هواكِ لها
قالت : وتربة مَن اهلكتهم ولهاً | لم ابكِ الا على مَن لم يمت ولها

ونظم هذين البيتين متغزلاً :

تعلمت من سلمى عفافاً ورقةً | وحلماً وصبر الحر في حومة الحربِ
فان لم تكن هذي ثمار الهوى فما | يكون الهوى الا هواناً على الصبِّ

وورث الشاعرية عن جد ابيه ابي يحيى يعقوب بن سليمان فرح الحوراني . فقصَّ عليه ابوه ذلك واسمعهُ بيتين من نظم جده وحثَّهُ على الشعر . فقال ابرهيم وهو من اول منظومه :

يقول ابي : بُنيَّ الشعرُ فخرٌ | لمن بمقالهِ الغاوين يهدي
فزاولْ نظمهُ وانشر علينا | ذكيَّ النشر من وردٍ ورندِ
فجدك كان ذا شعرٍ نفيسٍ | فقلت: أنشر لنا نفحاتِ جدّي
فقال: اليك ما نقلت حداةٌ | به كانت مطيُّ الشوق تحدي
«ألا دع ما استطعت حديث نجدٍ | ففي ذاك الحديث قديم وجدِ»
«فجزْ تلك الربوع فان فيها | لقتلى غادةٍ ربوات لحدِ»
فقلتُ: طربتُ من ذا الجدّ جداً | سابذل في نظام الشعر جهدي

وله مقاطيع عديدة كثيرٌ منها بين مبتدهٍ ومرتجل . وله مبتكرات في المنطق والرياضيات منها عبارات لجمع الاسراد المعينة ومعادلة الجيوب ومعادلة اضلاع الاشكال القياسية الوترية وقد نشرت في النشرة الاسبوعية . ومن مبتكراته مقالة في ما ترجع اليه الرياضيات نشرت في المقتطف . وله طرق مختصرة لحل المسائل الصعبة كان يمليها على تلاميذه في الكلية الاميركية ولا تزال معلقة على هوامش كتب الطلبة الاولين . علّم في تلك المدرسة ثماني سنين ثم اختير لتحرير «النشرة الاسبوعية» وترجمة بعض الكتب واصلاح الكتب ذات الشأن من المخطوطات والمطبوعات . وكان محرراً للنشرة الاسبوعية منذ سنة ١٨٨٠ وهو رئيس تحريرها اليوم . وعلم عدة سنين في المدرسة البطريركية

في بيروت وكان من اصدقاء البطريرك بطرس الجريجيري وله فيه عدَّة قصائد بليغة طبع اكثرها في كتاب مخصوص بذلك البطريرك الفاضل. ولا يزال الى اليوم رئيساً لتحرير النشرة ومصححاً للكتب مع تدريس طلبة «المدرسة اللاهوتية الانجيلية» في بيروت. وله مترجمات كثيرة منها «المواعظ الميلادية» لسبرجن و«مواعظ مودي» و«رجال التلغراف» و«الطريق السلطانية» و«تفسير التوراة» اي الاسفار الخمسة بزيادة تفسير له عَنَ الاصل و«سيرة القديس اوغسطينوس» و«سكان وادي النيل» وغيرها كثير من الخطب والمقالات التي لم تنسب اليهِ. وهو خطيب مشهور فكثيراً ما دعتهُ عمد المدارس والجمعيات العلمية والادبية والخيرية لالقاء الخطب في بيروت وصيدا وطرابلس وزحلة والشوير والشويفات وغيرها. ومما اشتهر به انهُ احكم كل ما حصله من العلوم احسن إحكام وان العلوم التي حصلها بالمطالعة اكثر من التي حصلها في المدارس. وكثيراً ما أُرسلت اليه صعاب المسائل الطبيعية والرياضية وغيرها من دمشق ومصر وحلب وبغداد وانحاء اميركا من علماء المهاجرين السوريين وغيرهم لحلها ونشرها في «النشرة الاسبوعية». ولا يزال يدأب ويجتهد ويزيد علماً واختباراً ويقوم باعمال ثلاثة مجتهدين من اقوياء الشبان في التعليم والتحرير والتحبير. وهو ينسب كل ما أُوليهِ الى الله من ادراك كل غاية ويقول ان الفضل له تعالى في البداءة والنهاية

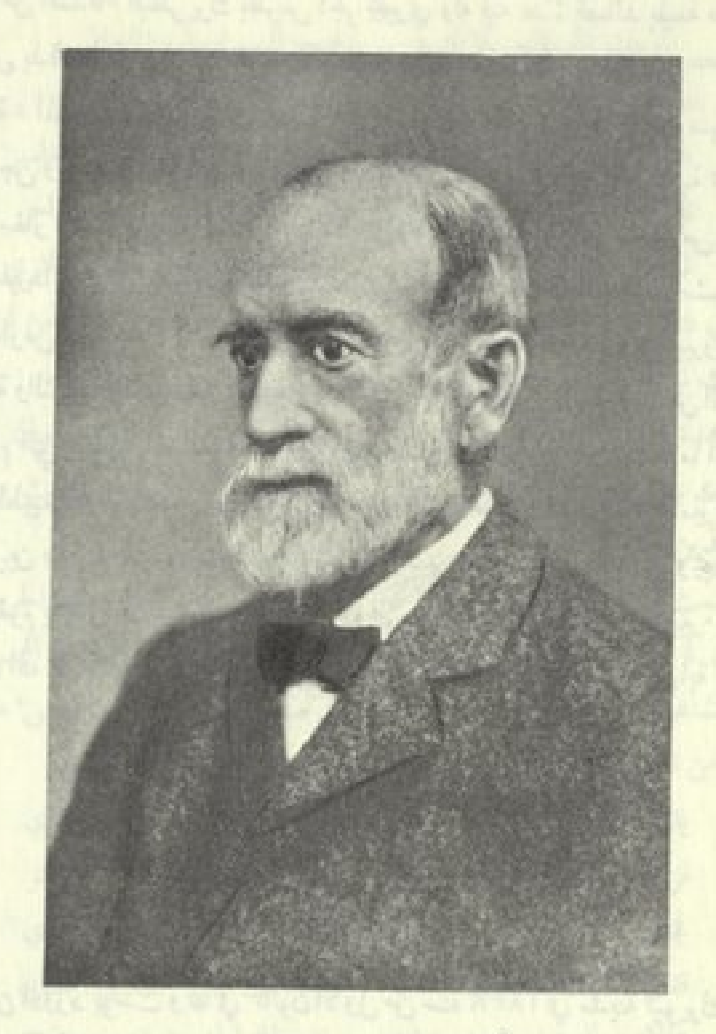
— « ١٠ » —

※ الدكتور جورج بوست ※

منشىء مجلة «الطبيب» وصاحب امتيازها الاول

هو جورج بن ادورد بوست وُلد في كانون الاول من سنة ١٨٣٨ في مدينة نيويرك. وتهذب في مدرستها المعروفة بكلية مدينة نيويرك ونال شهادتها سنة ١٨٥٤ أي وهو في سن السادسة عشرة. ومنح درجة «معلم علوم» سنة ١٨٥٧ وكان ابوهُ من كبراء الجرَّاحين. واحكم الدكتور جورج الدروس الطبية وامتُحن في كل فروعها وهو ابن عشرين سنة ونال الاجازة بالتطبيب. ودخل «مدرسة الاتحاد اللاهوتية» ودرس سنة واحدة فاستطاع ان يدرك الشهادة اللاهوتية. والظاهر انه درس كثيراً من الدروس الطبية كالنبات والكيمياء والفيسيولوجيا وغيرها من العلوم التي لا بدَّ منها للطبيب في المدرسة العلمية. وامتحن فيها في المدرسة الطبية فأُعفي من درسها ثانيةً. ودرس التشريح وتركيب الادوية والتشخيص والباثولوجيا والجراحة وغيرها من جوهريات الطب في زمن قصير

ولما التهبت الحرب المدنية عرض نفسهُ للخدمة فقبلت. وتزوَّج في ١٧ ايلول سنة ١٨٦٣ السيدة



الدكتور جورج بوست

«سارة ريد» وتُعرف بمسس بوست · وبعد قليل اختار الخدمة المرسلية وأتى بيروت في ٢٨ من تشرين الثاني من سنة ١٨٦٣ · وذهب منها الى طرابلس وبقي فيها الى ٣٠ من ايلول سنة ١٨٦٨ وعلّمه فيها العربية الاستاذ الياس سعادة · ورجع منها في تلك السنة الى الولايات المتحدة ورغب هناك في انشاء مدرسة طبية في كلية بيروت · فادرك مبتغاه ورجع الى بيروت سنة ١٨٦٨ استاذًا للجراحة وبقي كذلك الى سنة ١٩٠٩ فكانت مدّة تدريسه ٤١ سنة واستعفى · وكان جرّاح مستشفى القديس يوحنا منذ تأسيسه الى سنة وفاته · وكان عضو عدة جمعيات منها « الجمعية النباتية » في لندن ثم « الجمعية النباتية » في نيويرك و « الجمعية النباتية » في ايدنبرغ و « المجمع الطبي » في نيويرك · وكان ايضًا رئيس « جمعية الاطباء والصيادلة » في بيروت

ونقل عدة وسامات فخرية منها « الوسام العثماني » من الدولة العثمانية ووسام « ال دوكان » من مملكة السكس ووسام « النسر الاحمر » من حكومة المانيا ولقب « فارس » من « جمعية فرسان اورشليم » الالمانية · ولهُ مؤلفات كثيرة منها : (١) كتاب « نبات سوريا وفلسطين وسينا » في اللغة الانكليزية وهو من اهم مؤلفاته · (٢) كتاب « النباتات البوسطية » طبع في جينوا من سويسرا في اللغتين اللاتينية والفرنسية · وله في اللغة العربية (٣) كتاب « نبات سوريا وفلسطين ومصر » · (٤) كتاب « مبادئ علم النبات » يتضمن شرح بنيته ووظائفه ووصف الفصائل الطبيعية · (٥) كتاب « علم الحيوانات ذوات الثدي » · (٦) كتاب « علم الطيور » · (٧) كتاب « مبادىء التشريح والهيجين والفيسيولوجيا » · (٨) كتاب « الاقرباذين » او المواد الطبية · (٩) كتاب « المصباح الوضاح في صناعة الجرَّاح » وهو مطوَّل في الجراحة العلمية · (١٠) كتاب « فهرس الكتاب المقدس » وهو فهرس أبجدي لجميع الالفاظ الواردة في التوراة والانجيل والزبور · (١١) كتاب « قاموس الكتاب المقدس » في مجلدين · (١٢) مجلة « الطبيب » انشأها وحرر فيها بنفسه مدة اعوام كثيرة · ولهُ مقالات وخطب عديدة كمقالة « العلم ينفخ » وغيرها

ويعدُّ من ارباب النهضة العلمية في سوريا في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين · ولم يتولَّ شيئاً من الامور الاَّ نبغ فيه وعدَّ الاستاذ الاكبر · واشتهر بانهُ من عظماء الرجال في العالمين القديم والحديث · وكان واعظاً انجيلياً اكثر مواعظه في « الفداء » الالهي · و بعد ان جاهد حياته كلها في سبيل العلم وخدمة الانسانية حلَّت وفاته في ٢٩ ايلول ١٩٠٩ في قرية « عاليه » بلبنان · فنُقلت جثته الى بيروت ودُفنت في المقبرة الواقعة بجانب الكنيسة الانجيلية · وقد أُقيمت له حفلة تذكارية في « المدرسة الكلية السورية » حيث أُلقيت خطب شتى وقصائد بليغة إقراراً بفضله عليها · وقد وصف جرجي بك زيدان اعماله وآثاره واخلاقهُ فاقتطفنا منها شيئاً قال :

قضى ٤١ سنة وهو يعلم الجراحة وغيرها في « المدرسة الكلية الاميركية » ويعالج المرضى في المستشفى البروسيوي بالجراحة — وهو الفرع الذي خصص نفسه له واشتهر به بين الخاصة والعامة حتى اصبح لفظ « بوست » في عرف البعض مرادفاً للفظ « جرَّاح » لانه اول من اشتهر بينهم بهذا الفن في اثناء هذه النهضة — ولم يكن عمله قاصراً عَلَى التعليم والتطبيب والتأليف فقد كان يشتغل بعلوم اخرى يساق اليها شغفاً بالعلم ورغبة في العمل كاشتغاله بالنبات · وكان مولعاً بهِ وله فيهِ وفي علم الحيوان آراء واكتشافات مهمة وخصوصاً في النبات · فانهُ اكتشف كثيراً من انواعه في سياحاته بسوريا وفلسطين ومصر وسينا والاناطول · وقد سمي بعضها باسمه « بوست » والف عَلَى اثر ذلك كتابهُ في « نبات سوريا وفلسطين ومصر » واصبح ثقة بجغرافية فلسطين الطبيعية

وقد جمع بتوالي الاعوام معرضاً نباتياً بالمدرسة الكلية يعدُّ من المعارض الثمينة وكان يقضي

اكثر ساعات الفراغ فيهِ ·وقد اعانهُ في جمعه تلامذتهُ في النبات لانهُ كان يفرض عَلَى كل منهم ان يجمع امثلة من النبات و يجففها و يقدمها له · فيختار هو ما يستحسنه منها و يضيفهُ الى معرضه · فهو بهذا الفن وحده يستحق لقب « العالم العامل » و يعدُّ من كبار علماء النبات · وكان لهُ في المدرسة فضلاً عن معرض النبات معارض للمواد الطبية والمستحضرات الجراحية وفيها آثار ما اجراه من العمليات الجراحية كالحصى المثانية والاورام والعظام

وكان مع ذلك يجد فراغاً يشتغل فيهِ بهندسة ابنية المدرسة فقد رسم بعضها بيده وكثيراً ما كان يتعهد بناءها بنفسهِ · ولم يكن يضيع فرصة لايفيد بها تلامذته حيثما التقى بهم من شرح عملية في المستشفى او تفسير حادثة عَلَى الطريق او في المنزل · وكان رابط الجأش وهو يعمل العمليات · فكثيراً ما سمعناه يتحدث في السياسة او الادب او الاجتماع ويداه غائصتان في الدم · لايظهر عليهِ الارتباك مهما يكن من خطر العملية التي يشتغل بها فضلاً عن خفة يده في العمل · وكان يرحل الى اميركا سعياً في جمع الاموال للمدرسة وخصوصاً للقسم الطبي · ومن ثمار سعيهِ انشاء قاعة العلم التي جعلوها داراً للمعارض العلمية وقد سميت باسمه « G. E. Post Science Hall » · ومن آثاره الادبية في خدمة هذه المدرسة انهُ انشأ لتلامذة الطب جمعية سماها « الجمعية الكلية » يتباحث فيها التلامذة في المواضيع المفيدة · وقد تولى رئاستها مدة طويلة ووضع لها نظامات كانت مثالاً لكثير من الجمعيات التي نشأت في سوريا بعد ذلك

وكان مدققاً في سائر معاملاته لا يقصر في ماعليه للآخرين ولا يحتمل تقصير الآخرين في حقه · وهذا هو السبب في ما أُشيع عنه من التدقيق في اقتضاء حقهِ من مرضاه · فلم يكن يتجاوز عن شيءٍ من اجرة العيادة او العملية · وربما نقص المبلغ المطلوب غرشاً او بعض الغرش فلا يتحول ما لم يقبضه ولو كان المريض فقيراً معوزاً و يعدون ذلك بخلاً منه · وظهر هذا البخل مجسماً بالمقابلة مع اريحية زميله الدكتور فنديك وسخائهِ · فقد كان هذا كثير التساهل مع مرضاه يعين بعضهم بثمن الدواء والطعام فضلاً عن اجرة العيادة · فظهر تدقيق صاحب الترجمة بخلاً قبيحاً وتحدث الناس بهِ · والحقيقة انه انما كان يفعل ذلك جرياً عَلَى طبيعتهِ في دقة المعاملة كما تقدم بدليل ماعلمناه عن ثقة انه كان اذا دُعي لاعانةٍ في مشروع خيري تبرع باضعاف ما يتبرع بهِ سواه والتمس ان لا يُذكر اسمه في قائمة المتبرعين

وكان عصبي المزاج حاد الطبع يتسرع الى سوء الظن — ربما بعثه عَلَى ذلك بالاكثر صممٌ كان في احدى أُذنيهِ — فاذا رأى اثنين يتخاطبان سبق الى ذهنه انهما يتكلمان عنه فيحكم بالظن وقد يعاتب على الشبهة · وكثيراً ماجرَّ ذلك الى التنافر بينهُ و بين تلامذتهِ حتى آل الى التقاضي لدى عمدة المدرسة · وتجسم الخلاف مرةً حتى اشتكاه طلبة الطب كافة الى لجنة المبشرين الكبرى

في سوريا على اثر الخلاف الذي وقع بين الطلبة وعمدة المدرسة سنة ١٨٨٢ وكنا من اولئك الطلبة . فاجتمعت تلك الجنة من انحاء سوريا للنظر في ذلك الخلاف لكنها لم تحسن السياسة في حكمها . فخرج معظم طلبة الطب من المدرسة واستعفى الدكتور فنديك انتصاراً لهم في حديث طويل لا محل له هنا — والكمال لله وحده

— ١١ —



﴿ محمد رشيد الدنا ﴾

مؤسس جريدة « بيروت » وصاحب امتيازها الاول

(لئن حسنت فيهِ المراثي وذكرها   لقد حسنت من قبل فيهِ المدائحُ)

هو الحاج رشيد ابن الحاج مصطفى ابن السيد سعيد الدنا وُلد سنة ١٨٥٧ (١٢٧٤ هـ) في بيروت . وقرأ الاصول الدينية في حداثتهِ على السيد محمد مرتضى الحسني . ثم دخل « المدرسة الوطنية » للمعلم بطرس البستاني فتلقى آداب اللغات العربية والتركية والفرنسية ونصيباً وافراً من

العلوم والفنون. وقد خدم لاول عهده في مصلحة التلغراف واخذ يترقى في معارج التقدم حتى ظهر اقتداره وعينته الحكومة مديراً لشعبة البريد والتلغراف في مدينة مكة. وجاور هناك اكثر من سنتين ثم حضر الى مسقط راسهِ باشارة اخيهِ الاكبر عبد القادر الدنا وكان وقتذاك رئيساً لمحكمة التجارة في بيروت

ولما كانت الحكومة العثمانية في ذلك العهد تضنّ بترقية مأموريها غير الاتراك الى الوظائف العالية رأى صاحب الترجمة ان يستقيل من منصبه حرصاً على مستقبله ويتجرد للخدمة العمومية الوطنية بواسطة الصحافة. فطلب امتيازاً بانشاء مطبعة وجريدة سماها « بيروت » واصدرها في ٢٣ اذار سنة ١٨٨٦. وهي الجريدة التي خدم بها الوطن وابناءه عَلَى اختلاف مذاهبهم ومشاربهم مدة ست عشرة سنة بصدق اللهجة واخلاص النية. ومن آثاره الادبية انه طبع في مطبعته كتباً مفيدة اشهرها « تاريخ الدولة العثمانية » للكاتب الشهير احمد جودت باشا وقد نقلهُ اخوه عبد القادر من اللغة التركية الى اللسان العربي. ولذلك فقد كافأتهُ الدولة عَلَى مساعيهِ الجليلة بان منحتهُ الوسام « المجيدي الثالث » والوسام « العثماني الرابع » مع « الرتبة الثانية المتمايزة ». وبينا كان عاملاً عَلَى خدمة الصحافة بنشاط اصابتهُ حمى شديدة جاشت بدمه مدة عشرة ايام. فمات عَلَى اثرها في ٦ ايار ١٩٠٢ (٢٨ محرَّم ١٣٢٠) مبكياً من الرفيع والوضيع لما كان متزيناً بهِ من الشمائل الحسنة ومحبة عمل الخير. وقد حمل نعشهُ بغاية الاكرام تتقدمهُ فرقة من البوليس والجندرمة وكتائب من الجنود البرية والبحرية وكثير من العلماء والوجهاء الذين رافقوا الجثة الى تربة « الباشورة » ودفنوا الفقيد الى جوار شيخه واستاذه السيد محمد مرتضى الحسني [1]

وقد رثاه بعض الشعراء بكثير من المراثي التي لم نتوفق الى الوقوف عليها لنثبت شيئاً منها. وبعد وفاتهِ احتجبت جريدة « بيروت » مدة اربعة اشهر ثم عادت الى الظهور في ٨ ايلول ١٩٠٢ بعد تحويل امتيازها لعهدة اخيه محمد امين الدنا. وقد كتبت على ضريح صاحب الترجمة هذه الابيات مختتمة بتاريخ شعري:

قبرٌ بهِ حلَّ رشيد الدنا   وقد بكا حزناً عليه الزمانْ
بيروتُ تبكيه بدمع جرى   فوق خدود الطرس مثل الجمانْ
كان لها ركناً ركيناً وقد   نالت به بالشرق اسمى مكانْ

---

(١) كانت ولادة السيد محمد مرتضى الحسني الجزائري سنة ١٢٤٣ هجرية (١٨٢٨ ميلادية) في « القيطنة » التابعة لولاية وهران من اعمال الجزائر في شمال افريقيا. فنشأ فيها وحضر مع عمه الامير عبد القادر الجزائري الشهير بعض الوقائع في حروبه مع الفرنسيس. وفي سنة ١٢٧٣ هاجر الى البلاد السورية ونشر العلم والطريقة القادرية فيها. وكان اماماً جليلاً سخياً ذا هيبة عظيمة وفهم عالٍ وحلت وفاته في بيروت بتاريخ ١١ ذي القعدة ١٣١٩

فقضى فنال الفوز في قصدهِ مولىً كريماً ضيفهُ لايهانْ
وانَّ هذا الفوز ارختهُ به غدا محلهُ في الجنانْ

سنة ١٣٢٠ هجرية

«١٢»



نقولا نقاش

محرر مجلة « النجاح » ومؤسس جريدة « المصباح » وصاحب امتيازها الاول

هو نقولا بن الياس بن ميخائيل نقاش وُلد في بيروت في اوائل سنة ١٨٢٥ اثر ان ترك والده صيدا

واتخذ بيروت موطناً له . ومذ بلغ صاحب الترجمة السنة الرابعة من عمره انكب عَلَى تعلم مبادىء اللغتين العربية والسريانية فظهرت عليهِ مخايل النجابة والذكاء . وما لبث ان احكم اللغتين المذكورتين قراءة وخطاً مع الفنون الحسابية

وبعد ذلك انكبَّ عَلَى طلب اللغة الايطاليانية وما فتىء ان اتقنها واصبح يتكلم وينشىء بها كاربابها . ثم اخذ يتخرج عَلَى شقيقه مارون نقاش فاخذ عنه مبادىء اللغة التركية وطريقة مسك الدفاتر عَلَى النسق الاوربي . ولما كان اخوه مارون ازمع في ذلك الحين على السفر الى اوربا خلفهُ في باشكتابة جمارك بيروت وملحقاتها . وبقي عَلَى هذه الخطة بضع سنوات طلب باثنائها العلوم العربية بفروعها عَلَى العلاَّمة الخوري يوسف الفاخوري فصار ينشىء المقالات الرنانة وينظم القصائد المحبرة . وفي الوقت ذاته انعكف ايضاً عَلَى مطالعة كتب اللغة التركية بدون استاذ حتى برع فيها وتضلع منها وصار فيها كاتباً بارعاً وشاعراً مجيداً . وكان باثناء ذلك قد انشأ شقيقه مارون المرسح العربي والف بالعربية اول رواية . فاخذت الحمية صاحب الترجمة وبادر الى تأليف جملة روايات بالعربية اودعها الحكم والفوائد المصلحة للآداب والاخلاق . فجاءت ابكار افكار تشهد بطول باع مؤلفها

وفي سنتي ١٨٥٢ و١٨٥٣ تعاطى التجارة باسمه ولحسابهِ الخاص . ثم بعد ذلك قدم بيروت انطون بك ملتزماً جمارك الامتعة والدخان والملح في سورية . فاقام صاحب الترجمة محاسباً لها ثم مديراً عليها . ولما سافر انطون بك الى الاستانة عهد الى صاحب الترجمة بادارة جميع اعماله . ومنذ سنة ١٨٥٩ تعاطى اعمال البانقة بشركة نعوم قيقانو بعنوان « قيقانو ونقاش وشركاهم »

ولما كان في جميع المهام الآنفة الذكر وفي جميع مؤلفاته ومنشوراته قد اثبت اخلاصهُ للدولة العثمانية اتخذه كامل باشا بمعيتهِ اذ كان متصرفاً عَلَى بيروت . ثم انتخب عضواً لمجلس الادارة في اللواء المذكور . ولما نصب مديراً لجمارك الدخان انعكف عَلَى مطالعة قوانين ونظامات الدولة العثمانية حتى اتقنها . واثر ذلك اخذ العلوم الشرعية عن اشهر المشائخ العلماء ولا سيما « علم الفرائض » الذي اخذه عن العلامة الشيخ يوسف الاسير . ومن سنة ١٨٦٩ حتى سنة ١٨٧٦ كان عضواً لمجلس ادارة ولاية سورية في دمشق . وباثناء ذلك ترجم وطبع كتاب « قانون الاراضي » وغير ذلك من الكتب القانونيـة . وفي سنة ١٨٧٧ كان في جملة النوَّاب الذين انتخبتهم ولاية سوريا ليمثلوها في مجلس المبعوثان . وفي سنة ١٨٨٠ أنشأ جريدة « المصباح » التي كتبنا اخبارها في الباب الاول من هذا الجزء . وعاشت ثمانية وعشرين عاماً . وكان في سنة ١٨٧٢ قد تولى تحرير مجلة « النجاح » التي اصدرها القس لويس صابونجي السرياني ويوسف شلفون . . وفي سنة ١٨٨٩ نصب عضواً دائماً لمحكمة بيروت التجارية . ثم استقال منها واتخذ المحاماة والوكالات في الدعاوى مهنة له حتى آخر حياته

الوسامات والرتب — ان الدولة العلية قد نظرت الى اجتهاد صاحب الترجمة وصداقته بعين الرضى فانعمت عليهِ اولاً بالرتبة الرابعة ثم رقته الى الثالثة ثم الى الثانية · وقد انعمت عليه ايضاً بالوسام المجيدي من الطبقة الرابعة ثم بالوسام المجيدي من الطبقة الثالثة تبديلاً مكافأةً لترجمته «شرح قانون الجزاء» · وقد اهدى اليه الحبر الاعظم الطيب الذكر البابا بيوس التاسع وسام «القديس غريغوريوس» من طبقة كواليير مكافأةً لما ابداه من آثار الفضيلة وما قام بهِ من الاعمال الخيرية · وفي سنة ١٨٦٩ اقبل على سورية زائراً حضرة صاحب السمو الامير فريدريك (الذي صار فيما بعد امبراطوراً لالمانية وهو والد الامبراطور غليوم الثاني) · فامتدحه صاحب الترجمة بقصيدة محبرة وقعت لديهِ احسن موقع فاهدى اليهِ الامير دبوساً ثميناً مرصعاً بحجر كريم · ولما اقبل الغراندوق نيقولا شقيق قيصر الروسية للسياحة في سورية رفع اليهِ نقولا نقاش قصيدة فريدة في بابها فاهدى اليه خاتماً ثميناً

مؤلفاتهُ وترجماته — اما ما للفقيد من الآثار العلمية والادبية في عالم المطبوعات تاليفاً وتعريباً فهي كما يأتي :

اولاً : رواياته : «الشيخ الجاهل» «والموصي» و «ربيعة» فضلاً عن غيرها من الروايات الادبية

ثانياً : ديوانه وهو يشتمل على منظومات في الآداب والحكم والرثاء والمديح والاخلاق

ثالثاً : ترجماتهُ القانونية التي اضاف الى شرحها كثيراً من آرائه والفوائد التي اقتبسها بالمزاولة والاختبار · وهاك اسماء الكتب المذكورة : قانون الاراضي · قانون الجزاء · قانون اصول المحاكمات الجزائية · قانون اصول المحاكمات الحقوقية · قانون التجارة · شرح قانون التجارة · ذيل قانون التجارة (نقل بمناظرته) · رسالة في القانون (تأليف) · قانون الابنية · قانون تشكيلات المحاكم · تعريفة الخروج في المحاكم النظامية والدوائر العدلية · ثم ترجمة كليات شرح الجزاء وهو سفر ذو ٤١٤ صفحة · ثم بعض اجزاء من شرح قانون اصول المحاكمات الجزائية · وهذه الترجمات معتمد عليها في جميع المحاكم النظامية في كل من ولايات سورية و بيروت وحلب ومتصرفيتي لبنان والقدس الشريف وغيرها

رابعاً · مقالاتهُ العدلية التي نشر اكثرها في جريدة المصباح بعنوان «آثار عدلية»

خامساً · كتاب «تكريم القديسين» اثبت فيهِ ما للاولياء من الشفاعة

سادساً · جريدة «المصباح» التي انشأها سنة ١٨٨٠

وفي ٤ كانون الاول ١٨٩٤ انتقل الى دار البقاء فشيعت جنازته باحتفال الى الكنيسة المارونية الكاتدرائية ثم الى المقبرة · وقد أبّنهُ الخوري اسطفان الشمالي وانطون قيقانو والدكتور سليم جلخ والشيخ سعيد الشرتوني وابرهيم الاسود و يوسف خطار غانم وانطون شحيبر بما شفَّ

من شديد الاسف على خسارته · فانه كان واسع الاطلاع خبيراً في احوال الزمان موصوفاً بالتأني وتوقد الذهن وذكاء القريحة · وقد رثاه فارس شقير بقصيدة نفيسة نورد منها هذه الابيات :

مَن كانَ بالأمس نقّاش الصحاف هدىً ينسيك حسّان او يزري بسحبانِ
اذا انبرى لا يبارى في مناظرةٍ وان جرى لا يجارى بين أقرانِ
مضى الى الله حيث الدار خالدة مستوفياً أجرَ أعمالٍ وإيمانِ

— « ١٣ » —



الدكتور يعقوب صرّوف

احد مؤسسي مجلة « المقتطف » في بيروت والقاهرة وجريدة « المقطم » في القاهرة

هو يعقوب بن نقولا صرّوف وُلد في الثامن عشر من شهر تموز سنة ١٨٥٢ في قرية « الحدث » بلبنان · وتلقى العلوم العالية في « المدرسة الكلية السورية » في بيروت ونال سنة ١٨٧٠ شهادة « بكلوريوس » في العلوم مع اول فرقة خرجت منها · واقام سنتين في صيدا يدرّس المرسلين الاميركيين اللغة العربية · وانشأ المرسلون حينئذ مدرسة عالية في طرابلس الشام وعرضوا عليه رئاستها فتولاها سنة واحدة · وفي آخرها اختارته عمدة « المدرسة الكلية السورية » لتدريس العلوم الرياضية والفلسفة الطبيعية فيها فاستعفى من رئاسة مدرسة طرابلس في اواخر سنة ١٨٧٣ وعاد الى المدرسة الكلية · وعكف على الدرس والتدريس وقرن العلم بالعمل وجعل تلامذته يطبّقون علم الهندسة وحساب المثلثات على مساحة الاراضي و يصنعون الآلات الطبيعية كلفائف

الحدة والاجراس الكهربائية · وكان ذلك دأبه وهو تلميذ فانه صنع آلة تدور بالماء على مبدإ مطحنة «باركر» وهو يدرّس علم السائلات · فاخذها رئيس المدرسة وحفظها بين اجهزة الفلسفة الطبيعية وهي التي ذكرته بهِ حينما كانت المدرسة تفتش عن استاذ لتدريس علم الطبيعيات

واستعفى استاذ الكيمياء بعد حين فوقع الاختيار على يعقوب لتدريسها بدلاً منهُ وجعل يدرّس الكيمياء الوصفية والتحليلية · ويقرن القضايا النظرية بالتجارب العلمية حتى لم يترك تجربة كيماوية تذكر في كتب التدريس الا امتحنها امام تلامذته ولو تحت الخطر الشديد · ودرّس تلامذة الطب الكيمياء الباثولوجية والاقرباذينية وعلم السموم (التكسكولوجيا) وهذه العلوم الثلاثة لم تكن تدرّس في المدرسة الكلية قبلاً · فاضطر ان يؤلف لها خطباً جمعها من المطولات الانكليزية فانهك الشغل جسمه وكاد يذهب ببصره · وكان اذا كلَّ عقله من البحث في موضوعٍ يريحهُ بالبحث في موضوع آخر · ودام على ذلك الى ان ترك المدرسة الكلية في اواخر سنة ١٨٨٤ بعد ان اقام فيها خمس عشرة سنة اربعاً كتلميذ واحدى عشرة كأستاذ

والف وهو في المدرسة الكلية كتاباً كبيراً في الكيمياء وخطباً في العلوم الثلاثة المتقدمة · وترجم كثيراً من الكتب الادبية ككتاب «سر النجاح» و«الحرب المقدسة» و «الحكمة الالهية» · وترجم بالاشتراك مع رصيفه الدكتور فارس نمر كتاب «سير الابطال والعظماء» وكتاب «مشاهير العلماء» وأنفقا اجرة ترجمتهما على مدرسة يومية كانا يقومان بنفقاتها · ووضعا هذه التراجم في اللغات العربية والانكليزية والفرنسوية

ولكن العمل الاعظم والتأليف الاكبر الذي وقف له العمر ولم يزل قائماً به حتى الآن هو «المقتطف» المجلة العلمية الشهيرة · فقد انشأهُ بالاشتراك مع رصيفه الدكتور فارس نمر سنة ١٨٧٦ وهما في المدرسة الكلية · وظلاَّ يحررانه سويةً الى ان اصدرا المقطم سنة ١٨٨٩ فانقطع الدكتور نمر لانشاء «المقطم» والدكتور صروف لانشاء «المقتطف»

ولما انتقلا بالمقتطف الى القطر المصري سنة ١٨٨٥ كانت شهرتهما العلمية قد سبقتهما اليهِ فرحب بهما عظماء مصر وعلماؤها · والدكتور صروف مولع بالمقتطف فيقضي اكثر اوقاته مهتماً بما يكتبهُ فيهِ ولاسيما بعد ان تفرغ له · فهو الكاتب الآن لكل مقالاتهِ الا ما ينشر منها تحت اسم غيره · وهو الكاتب ايضاً لكل ابوابهِ كباب الصناعة وباب الزراعة وباب تدبير المنزل وباب التقاريظ وباب المسائل والاخبار · وقد يمضي عليهِ اسبوع كامل وهو يبحث عن المواد اللازمة لمقالة واحدة بل قد يمضي عليهِ ايام وهو يبحث عن كلمة واحدة · والغالب انه يشرع في الكتابة عند الساعة السادسة او السابعة صباحاً · فلا يأتي الظهر حتى يكون قد كتب ما يملأُ خمس صفحات او ستاً من صفحات المقتطف علَى ما تقتضيهِ من التدقيق والتحقيق والمراجعة في الكتب والصحف المختلفة · ويقضي

بقية النهار في المطالعة وقراءة المسودات والاهتمام بشؤون الادارة · ولعلمه ان قراء المقتطف مختلفون علماً ومشرباً وانهُ لا بدَّ من جر النفع اليهم كلهم حتى يجد كل منهم ما يفيده في كل جزء من اجزائهِ تراه يبذل جهده لكي ينشر في كل جزء مقالات مختلفة المواضيع بين فلسفية وعلمية وادبية · عدا ما ينشره في ابواب « المقتطف » الخاصة من الفوائد الصناعية والزراعية والمنزلية والاخبار المقتطفة من اشهر الصحف العلمية في اوربا واميركا

ويختلف انشاؤُه في هذه المواضيع باختلافها · فالمواضيع الادبية « كالصداقة » و« نعيم الدنيا » و« الاغتراب » و« المهاجرة » و « فوائد الغنى ومضاره » اكثر فيها من السجع والتمثل بالاشعار · ومن قبيل ذلك الفصول التي كتبها في رحلته الى الصعيد الاعلى وسماها « رسائل النيل » وفي رحلته الى عواصم اوربا وسماها « مشاهد اوربا » ونشرت كلها في المقطم والمقتطف · والمواضيع الفلسفية « كقياس العقول » و « الحياة وآراء الفلاسفة فيها » و « آراء الناس في النفس » و « غرائب العقول » و « حرية الارادة » بدأها غالباً بالامثلة لكي يتدرج القارىء من المحسوسات الى المجردات ومن الجزئيات الى الكليات فلا يعزُّ ادراكها على جمهور القراء · والمواضيع العلمية سواء كانت طبيعية او صحية او اجتماعية وهي الجانب الاكبر من مقالات المقتطف سلك فيها مسلك البسط والايضاح · وغرضه الذي يرمي اليه في كل ما يكتبهُ جمع الحقائق و بسطها لتقريبها من اذهان القراء والاقتصار على ما ترتاح النفس الى مطالعته و يتصفحه المرء من غير ملل

ومن مذهبه ان العلم للعقل كالطعام للمعدة فيجب ان يكون صحيحاً خالياً من كل الشوائب معدًّا لدخول العقل والبقاء فيه · وان يكون ايضاً في حد الكفاف غير زائد عليه والاَّ اتخم العقل به ولم ينتفع منهُ · كما ان الطعام يتخم المعدة و يضرها اذا كان فاسداً او مشوباً بالشوائب او غير معدّ للهضم بالطبخ والمضغ او زائداً عن الكفاف

ولا يدخر وسعاً ولا يضن بتعب مهما كان شاقاً في تكثير منافع المقتطف وتعميم فوائده · وكثيرًا ما تدعوه كتابة مقالة واحدة الى تصفح كتاب كبير او كتب كثيرة كمقالاته في « نوابغ العرب والانكليز » · فانهُ لما اخذ يقابل بين ابي العلاء المعرّي والشاعر ملتن الانكليزي اضطر ان يتصفح ديوان المعري المعروف بسقط الزند وديوان ملتن المعروف بالفردوس المفقود · ثم عاد الى ديوان المعرّي واشار الى كل الابيات التي حسب ان لها ما يقابلها في اشعار ملتن وكرَّ على ديوان ملتن حتى اختار منهما ابياتاً متشابهة اتفق خاطراهما فيها · وفعل مثل ذلك لما قابل بين « مقدمة ابن خلدون » وما كتبه الفيلسوف هربرت سبنسر في « علم الاجتماع الانساني » · وكذلك لما قابل بين سيرة السلطان صلاح الدين الايوبي والملك رتشرد قلب الاسد الانكليزي · ومن هذا القبيل تلخيصه لكتاب سلاتين باشا « السيف والنار في السودان » في فصول قليلة

ولحرصه على تعميم الفوائد يبحث عن كل الخطب والمقالات التي تنشر في الصحف والكتب الافرنجية واعمال الجمعيات العلمية · حتى اذا وجد فيها فوائد يرغب ابناء العربية في الاطلاع عليها ترجمها او لخصها او اقتطف منها ما منه فائدة كبيرة · ولذلك قلما تتلى خطبة كثيرة الفوائد في نوادي اوربا واميركا او تنشر مقالة عميمة المنافع في صحفها العلمية الا ترجمها او لخصها ونشرها في المقتطف او نشر فيه شيئاً من فوائدها · فالف قراؤه اسماء اساطين العلم واراكين الفلسفة كهكسلي وسبنسر وتندل وكلفن وورخوف و بستور ولنغلي ومركوني و كوخ وغيرهم · كما الف قراء الصحف السياسية اسم غلادستون و بسمارك وسلسبري وجيرس وغمبتا وهنوتو وجاروا اكثر فروع العلم في تقدمها

وله طريقة مبتكرة في المقابلة بين اقوال المتقدمين والمتأخرين · فاذا وصف حيواناً او نباتاً ذكر ما قاله فيه المتقدمون من علماء العرب واليونان · وانشاؤه سلس بعيد عن التعقيد كما هو بعيد عن اساليب الاعاجم ولو كان المكتوب مترجماً · وهو يكره غريب الالفاظ و يبعد عنها جهده لانه يحسب اللغة وسيلة لا غاية · فما ادّى المراد منها على اسهل السبل واقربها ولم يخالف قواعد اللغة فهو الفصيح الجدير بالاتباع

ونظم الشعر الجيد وهو في الرابعة عشرة من عمره · لكنهُ سمع استاذه في اللغة العربية الشيخ ناصيف اليازجي يقول ان بضاعة الشعر بارت وسوق الادب كسدت وانحطّ مقام الشعراء · فرغب عن الشعر وعقد النية على ان لا يقوله في التزلف الى مخلوق · ولهذا تجد اشعاره كلها في وصف او رثاء كوصف «مشاهد اوربا» ولا سيما «وداع باريس» و«وداع لندن» و«وصف راس البر» · واذا اراد التمثل ببيت وخانته الذاكرة نظم بيتاً في معناه · وعلى سبيل المثال نورد قصيدته في «وداع باريس» قال :

ودّعتُ باريس مفتوناً بمرآها	وآيِ حسنٍ تجلّى من محياها
وجاهِ ملكٍ رفيع الشانِ جاورها	دهراً طويلاً ولم يبرح بمغناها
رواقهُ مسبطرٌ في معالمها	وبدرهُ مشرقٌ في اوج علياها
مرسومةٌ في جبين الدهر صولتهُ	لتيهُ عجباً بأولاها وأُخراها
وعصبةٍ عصمتهم في صناعتهم	إلهةُ الحسنِ فاستهدوا بسيماها
وخلدوا ذكر ارباب السيوف ومَن	فاق الورى حجةً أو فاقهم جاها
أو خاضَ بحر المعاني فاجتنى درراً	وصاغَ منها حلى حسنٍ بها باهى
او غاص في لجّ بحر العلم مجتلياً	غوامض الكونِ تعميماً لجدواها
وآلِ علمٍ وفضلٍ طار صيتهمُ	فطبّق الارض اقصاها وادناها
همُ الأُلى في سماء المجد قد رفعوا	لها مناراً واعلوهُ فأعلاها

هذي كليمات صدق صغتها قدماً(١) في وصفها قبل ان تجلى خباياها
وقبلما لتجلى في مرابعها آيات حسن يهيج الشوق ذكراها
وقبلما لتبارى في معارضها ممالك الارض اقصاها وادناها
نثراً ونظماً قصدت الوصف فامتلكت يراعتي مدهشات لستُ انساها
والمرء يحصر والاقلام يودي بها في موقف المجد روعٌ ان تولاّها
فكيف اسطيعُ وصفاً بعد ما نشرت بيارق المجد اعلاها واسناها
وبعد ما ملئت من كل مفخرة من واسع الارض اعياناً واشباها

واقام اربع سنوات يكتب اكثر ماينشر في مجلة «اللطائف» لمنشئها شاهين مكاريوس من مقالات وفكاهات ونبذ مختلفة وينقح ماينشر فيها من غير قلمه · واذا غاب رصيفهُ الدكتور فارس نمر او امتنع عن التحرير بسبب ما تولى تحرير المقطم بدلاً منه واكبَّ على كتابة المقالات الانشائية فيهِ والآن فما يكتبهُ فيه قليل جداً · ولما كان في بيروت تولى رئاسة « جمعية شمس البر » بضع سنوات ثم رأس « المجمع العلمي الشرقي » وهو الذي وضع قانونهُ وله اليد الطولى في تأسيسه · وفي سنة ١٨٩٠ نال لقب دكتور في الفلسفة من المدرسة الجامعة في نيو يورك

وزار عواصم اوربا سنة ١٨٩٣ والتقى كثيرين من علمائها وفضلائها · وانتدبته لجنة مجمع المعرض الاميركي العام مع رصيفه الدكتور نمر للكتابة عن احوال القطر المصري ومستقبله · فانشأ في ذلك رسالة مسهبة باللغة الانكليزية تليت في احدى جلسات ذلك المجمع · ثم زار اوروبا مرَّة أُخرى عام ١٩٠٠ في اثناء معرض باريز العام · وفضلهُ في نقل علوم الاوربيين والاميركيين الى ربوع المشرق بواسطة المقتطف لا ينازع فيه احد · وله فضل آخر لا يعلمه ابناء المشرق وهو ان كثيرين من علماء اوربا واميركا يعتمدون عليه في تحقيق المسائل العلمية التي في الكتب العربية · فيكاتبونهُ في ذلك وهو يبذل الجهد في اجابة طلبهم

ولاشتغاله الطويل بالعلم والفلسفة اطلع على آراء اكثر علماء العصر وفلاسفته · فشرح كثيراً منها في صفحات المقتطف وتابع اصحابها في ماظنهُ صواباً وخطأهم في ما ظنه خطاء · فشرح ان العربية لغات قبائل مختلفة بدليل كثرة مترادفاتها وان الدخيل فيها اكثر مما يظن كثيراً · وان اصل كلمات كثيرة غمض بخطاء النساخ كما في كلمة « يحيا » فان اصلها « يحنا » · وان على الحكومة ان تضع حداً لمطامع الاغنياء ومالكي الارض كما تضع حداً لاقوياء الابدان والمهرة في استعمال السلاح حتى لا يستعملوا ابدانهم واسلحتهم للاضرار بالغير · وان تجيز صك النقود الفضية من غير قيد ثم تبدلها كل بضع

(١) الابيات السابقة نظمها في « وداع باريس » في رحلته الاولى اليها سنة ١٨٩٣ ثم اضاف اليها هذه الابيات بعد رحلته الثانية عام ١٩٠٠

سنوات بما يساوي قيمتها الاصلية وتتحمل الخسارة كما فعلت انكلترا لما استردت انصاف الجنيهات الناقصة بطول الاستعمال وابدلتها بما يساوي قيمتها الاصلية . الى غير ذلك مما تراه مسطوراً في صفحات المقتطف

واقترن سنة ١٨٧٨ بالسيدة ياقوت بركات وهي من فضليات النساء ومن اوفرهنّ علماً وابلغهنّ انشاء . فرأست بيته وجعلته نادياً لاصدقائه الكثيرين من اهل العلم والفضل ونشرت على صفحات المقتطف كثيراً من المقالات التي تدل على باع طويل في العلم والادب . وهو ينسب نجاحه وتمكنه من مواصلة اشغاله العقلية الى مشاركتها له في الرأي والى الراحة البيتية التي متعته بها . هذا ما علمناه من اخبار صاحب الترجمة استناداً الى ما ورد في كتاب « مرآة العصر » المطبوع في القاهرة سنة ١٨٩٧ واضفنا الى ذلك معلوماتنا الخاصة

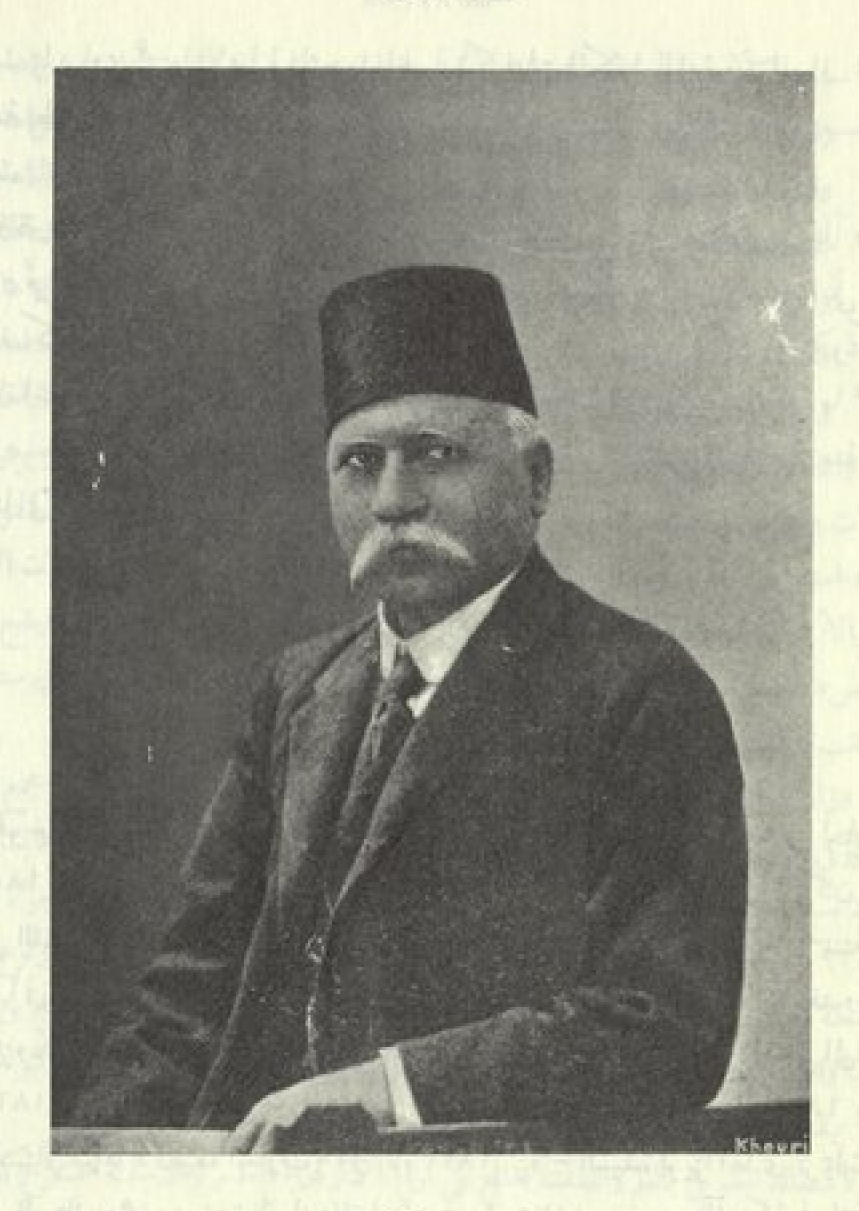
— « ١٤ » —

❊ خليل سركيس ❊

صاحب امتياز جريدة « لسان الحال » ومجلة « المشكاة »

هو خليل بن خطار سركيس وُلد في ٢٢ من كانون الثاني ١٨٤٢ في « عبيه » من لبنان . وفي عام ١٨٥٠ قدم مع عائلته الى بيروت حيث انتظم في سلك طلبة المدرسة الاميركية التي كان يديرها وفتئذٍ القس طمسن . وكانت المدرسة الوحيدة في بيروت فأخذ من العلم فيها ما تضمنتهُ لائحة دروسها في تلك الايام . ولما كانت المدرسة بجوار المطبعة الاميركية كان يتردد اليها وقد وجد من نفسه نزوعاً طبيعياً الى الصناعة . وما لبث ان حقق رغبته في تعلم صناعة الطباعة . فدخل الى المطبعة عام ١٨٦٠ ولم يكن الا القليل من الزمن حتى اتقن هذا الفن . فانشأ مطبعة عام ١٨٦٨ بشركة سليم البستاني سماها « المطبعة المعارف » وفي عام ١٨٧٣ تزوج السيدة لويزا احدى كريمات المعلم بطرس البستاني وهي من خيرة النساء وافضلهنّ . وفي عام ١٨٧٥ رغب عن الشركة في استحصال امتياز مطبعة خاصة بهِ سماها « المطبعة الادبية » وامتياز جريدة دعاها « لسان الحال » وامتياز مجلة دعاها « المشكاة » . ولما تمّ له ذلك وانفرد في العمل لم يدخر الوسع في اعطاء كلٍ من المطبعة والجريدة حقها من الرقي والنماء . ففي المطبعة عدة آلات للطباعة على اختلاف حجمها فمنها لطبع المؤلفات والجرائد ومنها للاشغال التجارية وكلها تُدار بالبخار

وقد وجه عنايته الى سبك الحروف التي اشتهرت بالجودة والاتقان في القارات الخمس . فبعد ان كانت من قبل محصورة بالحرف الاميركي اوجد بمعاونة الشيخ ابرهيم اليازجي الحرفين الاول



خليل سركيس
(رسم أُخذ في سنة ١٩١٢)

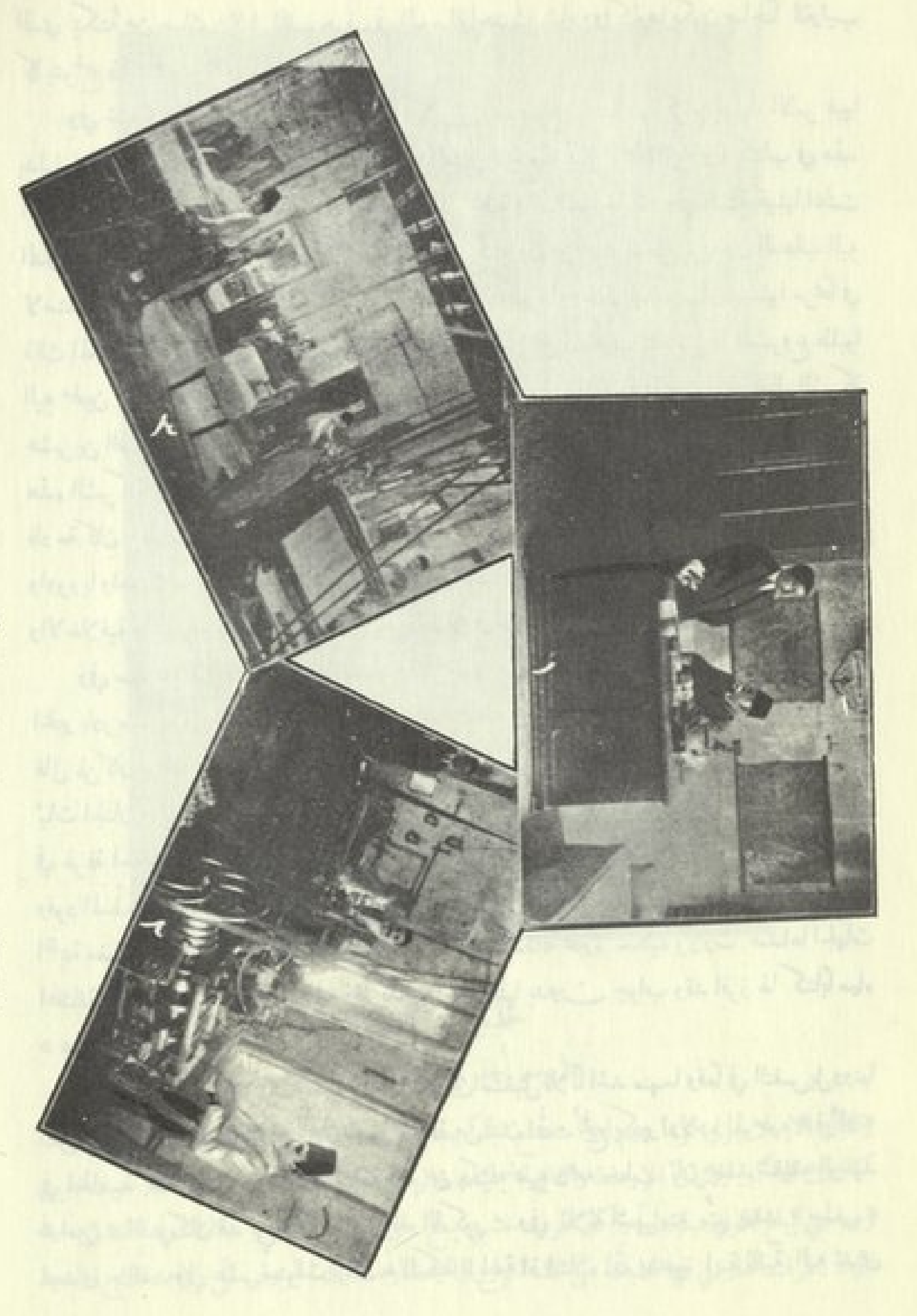
والثاني الاسلامبولي · وما عتم ان استصنع ايضاً بعد حين سائر اجناس الحروف التي اشتهرت عنهُ كالثلث الاكبر والثلث الاوسط والثاني السميك والرقعي · وهو اوَّل مَن اوجد اكبر حرف عربي رصاصي يبلغ طوله ميليمتراً واكبر حرف خشبي يبلغ طوله ٢٥ سنتيمتراً · وكذلك له الفضل في ايجاد الحرف الفارسي في الطباعة على ثلثة انواع واختصار مسابك الحروف على الاصطلاح الجديد

الذي يمكنهُ من سبك ١٧٠ الف حرف في اليوم الواحد لمن شاء · واكثرها يكون صالحاً للترتيب كما يتوضح ذلك في برنامج المطبعة

وفي سنة ١٨٩٢ شخص الى الاستانة وكان موضوع اعتبار واكرام اولياء الامر فيها بدليل تقليده الوسامين « المجيدي الثالث » و« العثماني الرابع » بكل استحقاق · وله كتاب في هذه الرحلة يشتمل عَلَى ما راق وطاب من الحوادث التاريخية والفوائد الجليلة · وفي السنة عينها اعلنت الدولة العثمانية اشتراكها في « معرض شيكاغو » فنهض كثيرون من ابناء الوطن يريدون الذهاب اليهِ لاستعراض ما عندهم من الطرف الشرقية من صناعية وغيرها · وخطر لبعضهم ان ينشئوا مرسحاً في ذلك المعرض فألفوا شركة لذلك · ولما شقَّ عليهم جمع المال المطلوب للقيام بهذا المشروع طلبوا اليهِ ملحين ان يتولى ادارة الشركة وما زالوا بهِ حتى اقنعوه عَلَى الرئاسة · فتعين راس مال الشركة عشرين الف ليرة انكليزية وفي اقل من اربع وعشرين ساعة تغطت القيمة ضعفين · ولكن لم تصادف هذه الشركة نجاحاً لما اعترض في سبيلها من المصاعب التي لا محل لسردها هنا · فانتهت بخسائر فادحة كان حظ صاحب الترجمة منها الاوفر · وقد جمع في كتاب خاص اخبار رحلتهِ الى الاستانة واوروبا واميركا بعد ان نشرها تباعاً في جريدة « لسان الحال » وضمنها من الفوائد الادبية والاخلاقية والتجارية وغيرها ما يستعين بهِ الانسان في سفراتهِ الى البلاد التي ذكرنا

وفي سنة ١٨٩٥ التهمت النار بقضاء وقدر قسماً من مطبعته الكاملة المعدات · ولما نعي اليهِ الخبر بادر مسرعاً الى السوق وعندما اقترب من محل المطبعة وقد اندلع لسان اللهيب من جهاتها الاربع قال لمن كان يرافقه : « ان جرائد الثغر لا تُعدم في هذا الصباح نشر اهم خبر محلي » · ومما اشتهر عنه ثبات الجنان ورباطة الجاش والحزم والعزم في كل ما انتابه من النوائب وألمَّ بهِ من المصائب · ثم جلس في غرفة احترمتها النار وهي الغرفة التي كان قد اتخذها مكتباً له ومحلاً لاستقبال الزائرين فاستقبل وفود المسلّين على اختلاف الطبقات · واما ما أتلفته النار فقوّم بخمسة آلاف ليرا ولم تكن هذه القيمة مضمونة · وكتب على اثر ذلك في « لسان الحال » مقالة محبرة حكمية ردّدت صداها الجهات المختلفة بدليل توارد الرسائل عليه · فلم يدع واحدة منها بدون جواب وقد افرز لها كتاباً سماه « عنوان الشهامة »

وفي سنة ١٨٩٦ قبل ان ينسى تينك النكبتين استقبل ثالثاً اشد منهما وقعاً في النفس بل دونها كل نكبة لا يصبر عليها الا من أُوتي نعمة خارقة من لدن الله · فُجع بكبير اولاده المرحوم « فؤاد » في الخامسة عشرة من عمرهِ · وفي ثلاثة ايام من بكائهِ عليهِ دهمه خطب ثانٍ بفقد شقيقه الوحيد « امين » الذي كان قد بقي له من اخوته الذكور · وفي ثلاثة اشهر منه مُني بفقد « سلمى » احدى بناته · وفي عشر سنوات نزلت به النكبة الرابعة اذ ابتلاه الله بدعوة ابنة ثانية اليهِ تدعى



رسوم المطبعة الأدبية وجريدة لسان الحال : (١) المكتب (٢) مسبك الحروف (٣) المطابع

« ندى ». وكان في جميع هذه النكبات موضوع حيرة ودهشة في صبره وتجلده وتسليمه حتى صار معارفهُ يضربون بهِ المثل في احتمال النكبات والصبر على الشدائد

هذا ومع توفر مشاغله لم يتقاعد عن الاشتراك في كل مشروع نافع يُنتدب اليه . فانتخب عضواً في « مجلس المعارف » في الولاية ورئيساً « للجمعية الخيرية الانجيلية » وعضواً لقومسيون « مكتب الصنائع » وعضواً مؤسساً لجمعية مستشفى السل » . وفي سنة ١٩٠٢ كان « لسان الحال » قد استوفى السنة الخامسة والعشرين من ظهوره . فاجمع مريدوه ومقدرو فضله على ان يقيموا لهُ عيداً وان يقدموا له تذكاراً ناطقاً بخدمته الصادقة للدولة والوطن . فالفوا لجنة دعت جميع اصدقائه ومعارفه ومنهم العلماء والادباء والوجهاء الى داره حيث صرَّحوا بفضله نظماً ونثراً . وعلى اثر ذلك انتصب صاحب الترجمة وخطب فيهم الخطاب الآتي :

« نظرتم اليَّ بعين الرضى . وعين الرضى عن كل عيبٍ كليلةٌ . فأرتكم القليلَ الذي قدَّر لي الله ان آتيه كثيراً . فاني وان كنت بعيداً من الاعجاب والتيه . فلا يسعني الآن الا ان اعجب . كيف لا اعجبُ وجلة من ذوات الثغر اهتمت لشأني والتفتت الى اعمالي فانزلتها منزلة الرضى والقبول . عَلَى انني لست الا خادماً للدولة وللوطن المحبوب . سعيت واسعى ما دامت الروح في الجسد في هذه الخدمة المقدسة . وحسبنا دليلاً واحداً من الف ماجاء من احصاء الكتب المطبوعة في المطبعة الادبية في مدة ثماني عشرة سنة . فقد بلغ عدد الكتب التي طُبعت فيها ستمائة وخمسين مؤلفاً ما بين ادبية وعلمية ودينية وزراعية وصناعية . وبلغ عدد نسخ هذه المؤلفات مليوناً ومائة وتسعين الف نسخة ما عدا جريدة « لسان الحال » وغيرها من الجرائد والمجلات

« شرفتموني ياسادتي بمناسبة بلوغ جريدتكم « لسان الحال » السنة السادسة والعشرين اي لربع قرنٍ مضى من خدمتها . فلا اجازف اذا قلت انني خدمتها في هذه المدة لتقوم بخدمتكم . فلم اكتب فيها حرفاً الا كان مظهراً لفضل الدولة العلية واصلاح شؤونها . ولم اسطر على صفحاتها كلمة الا قصدت فيها فائدة التاجر والصانع والزارع وتوقعت منها خيراً للوطن عموماً

« ولا يخفى عليكم ان الصحفي مكلف ارضاء التاجر والصانع والشيخ والشاب والاوانس والعقائل والعازب والمتزوج والذاهب والآيب والبائع والشاري مما يفرّح القلب . فلا اعرض عليكم ابتياعه واستبداله بقلبٍ ليس بذي قروح شأن ذاك المغرم . فقد اعتدتُ حمله حتى صرت اقول :

وصرتُ اذا اصابتني سهامٌ   تكسرت النصالُ عَلَى النصالِ

« واذا كان قد بدر من « لسان الحال » بعض عبارات لم تجئ في الوضع موافقة لما قصد منها فلم يعجز عن اصلاحها والتماس العذر فيها والعصمة لله . ولئن كنت قد افرغتُ ايام الشباب في هذه



فؤاد سركيس　　　　سلمى سركيس

الخدمةِ حتى ضعفتِ النواظرُ وازهرَ اللوز و بطلت حركة المطاحن وودّعتِ الشبيبة بقولِ ابن الوردي :

ودّعِ الذكرى لايامِ الصبا　　فلايامِ الصبا نجمٌ أفلْ

« فقد لقيت من عملكم باسادتي ما يعيد الشباب ويردُّ في العروق دمه وعزيمته ونشاطهُ

بعثت محبتكم بكل جوارحي　　عزْماً اعاد اليَّ عزمَ شبابي

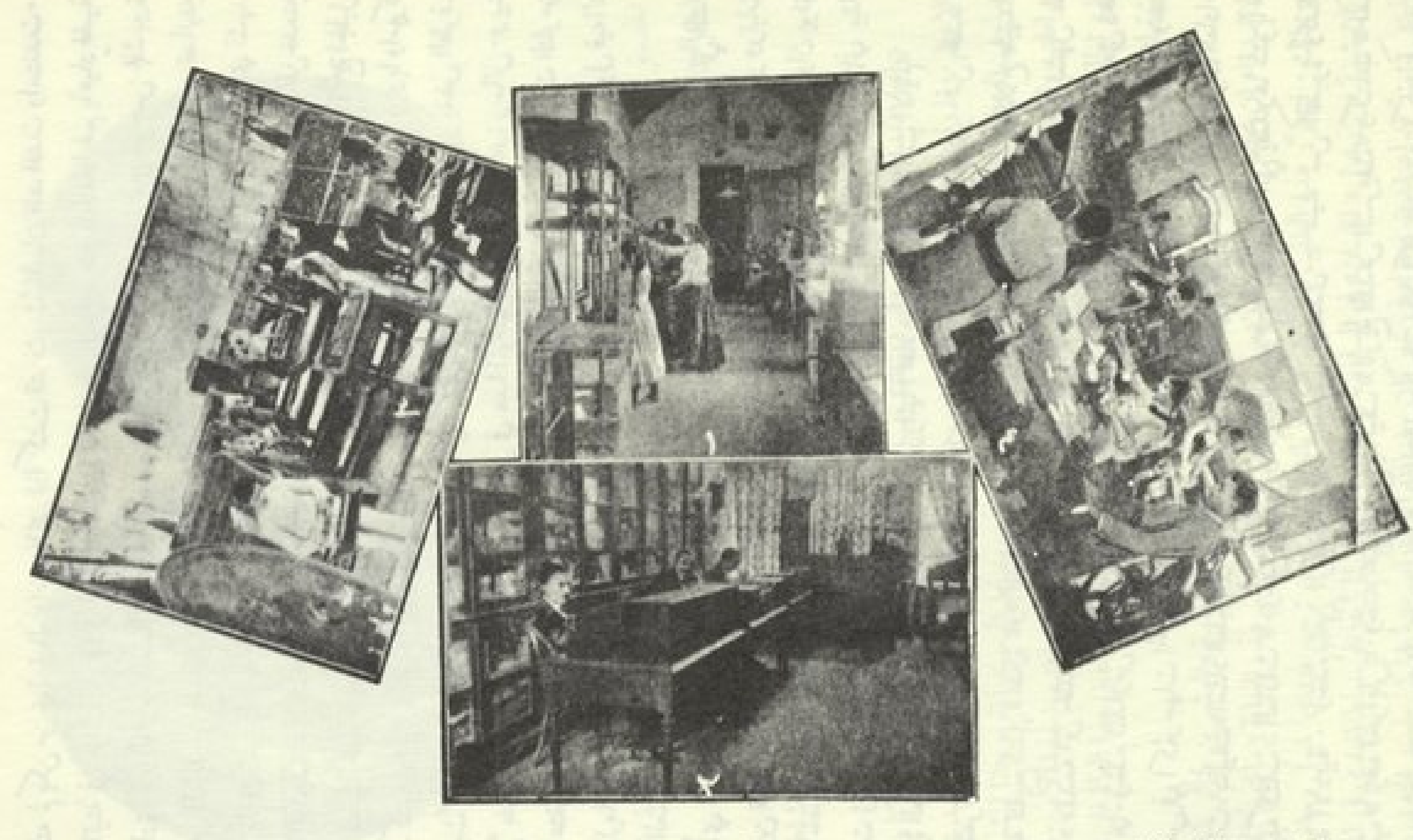
« اجل لقد تجددت في عروقي قوة الشباب بما تلقيت من احسانات ولي النعم مولانا وسلطاننا الاعظم. وما رأيت من عناية وجهائنا في الثغر وغيرهِ ولا سيما من عنايةِ واخلاص الصديق الحميم صاحب الوجاهة عين اعيانِ الشهباء عزتلو جورجي افندي خياط الذي اقترح هذا المشروع على مواطنيه واخوانهِ ومن غيرة رُصفائي الافاضل في بيروت ولبنان الذين اهتموا لهذا الامر. فاتوسل اليهِ تعالى ان يتيحَ لهم الاحتفال بالاعراس الثلثة وان اكنْ وقتئذٍ في غير هذا العالم فان عظامي تشترك بافراحهم

«وفي العام الماضي قبلَ ان يبلغَ « اللسان » نهايةَ السنةِ الخامسة والعشرين سألني كثيرٌ من الاصدقاء ان نحتفل بمرور ربع قرن من صدوره. فشكرتُ لهم هذه العناية وسألتهمُ الاعفاء عن ذلك. فتكرَّر هذا الطلب فكرَّرتُ الرجاء بالاعفاء الى ان ترجع عندي قبول رجائي. ولما كان شهرٌ من دخول« اللسان» في السادسة والعشرين كتب اليَّ عزتلو خياط افندي في الموضوع الذي كنتُ قد اعتقدت دخوله في خبر كان. فسألته الاضراب عنهُ شاكراً لحسن ظنهِ بي مبيناً له

ان ما فعلته لم يكن من خوارق العادات . لانني اذا كنت قد نشرتُ اللسان فقد افدت واستفدت .
واين ما اتيتهُ في جانب آثار ذوي الفضل المشهورة الذين سبق ابناء الوطن فاحتفلوا لهم باعياد فضية
كسيادة الحبر العلامة المفضال المطران يوسف الدبس الذي بنى كنيسة مار جرجس الشهيرة
وغيرها من المعابد . ورفع عمادَ «مدرسة الحكمة» التي اهدت للوطن اولاداً مثقفين فضلاً عن تصانيفهِ
العديدة ما بين علمية وادبية ودينية . وكذلك السعيد الذكر المرحوم الدكتور ڤانديك الذي تشهد
له كتبهُ العديدة عند الناطقين بالضاد بعلوّ الهمة ورفعة المقام بين العلماء الاعلام فضلاً عن خدمتهِ
الطويلة للطب خدمةً يقرُّ بشكرها الوفُ من الطلبة في انحاء المعمور . وكذلك حضرة الشيخ الجليل
العالم الدكتور دانيال بلس الذي شيد بسعيه «المدرسة الكلية» التي يندر مثلها في اوروبا واميركا
والتي انبثَّ المتخرجون فيها في القارات الخمس . فكرَّرت رجائي عند صديقي المذكور بغض الطرف
فألح عليَّ بضرورة اتمام مرتآه . وطال بيننا الجدال في هذا الموضوع حتى استغرق عدة رسائل . وبينا
كنت اعتقدُ الاجابة الى التامي والاضراب عن الامر الذي اطال مراجعتي فيه اضاءت النار من
خلال الرماد . اي ان القول برز الى حيز العمل . وورد لي على اثر ذلك كتاب من صديقي يقول فيه اننا
باشرنا العمل رضيتَ او أبيتَ

« فبأي لسان اشكر الذين اعلنوا رضاهم عني بالاشتراك في هذا المشروع ؟ واي عبارة تفي بالثناء
عَلَى الذين قاموا به ولا سيما حضرة الشيخين الفاضلين محمد افندي بدران والعلامة الدكتور ورتبات
اللذين خصصا وقتاً لهذا العمل مع تكاثر اشغالهما ؟ فالله اسأل ان يتولى مكافأتهم عني وان يوفق
حضرات زملائي الى مشاهدة اعراسهم الثلثة . واختم كلامي بالدعاء المفروض عَلَى كل عثماني ببقاء
الحضرة العلية السلطانية وحفظ انجالها العظام ووزرائها الفخام وتاييد ملكها ما توالت الايام »

نشرنا خطابهُ لبيان ما اتاه من الخدم الوطنية منذ بدء عمله حتى الوقت الحاضر . فمن خدماته
الادبية تنقيح كتابي «عنترة» و«الف ليلة وليلة» وطبعهما بحيث تسنى للمخدرات الاطلاع عليهما .
وطبع «مقدمة ابن خلدون» و «مقامات الحريري» وقدمهما لطلاب العلم بثمن يسهل لهم
اقتناؤُها . وخدم المدارس بتأليف كتاب «سلاسل القراءة» وهو ستة اجزاء قد ذاع حتى دخل
المدارس في اكثر جهات المعمور لانهُ لم ينسج عَلَى منواله كتاب سهل التناول على الطلاب . وخدم
السيدات بتأليف «استاذ الطباخين وتذكرة الخوانين» . وخدم القوم باهدائهم الى اشرف العادات
في تاليفه كتاب «العادات» . وخدم المحامين والاطباء وغيرهم «بالمفكرة» التي يصدرها سنوياً من
المطبعة الادبية . وخدم محبي الرياضة برواية «سعيد وسعدى» في سن الصبوة وكذلك
بكتاب «نزهة الخواطر» . وخدم محبي التاريخ بتأليف «تاريخ القدس الشريف» وكتاب «معجم
اللسان» وهو قاموس هجائي يحتوي عَلَى اسماء القواد والسفن والاماكن التي ورد ذكرها في اخبار



تابع لرسوم المطبعة الادبية وجريدة لسان الحال : (١) دائرة التجليد (٢) الادارة (٣) دائرة صف الحروف (٤) الاشغال التجارية

الحرب سنة ١٩٠٤ بين روسيا واليابان . وخدم التاجر والبائع والشيخ والشاب والعجوز والصبية بالروزنامة السورية التي اصدرها في سنة ١٨٦٨ اي في سنة انشائهِ المطبعة . فصادفت اقبال جميع الناطقين بالضاد وهي ثاني روزنامة عربية ظهرت في المعمور . وخدم الدولة والوطن بجريدته « لسان الحال » ومجلته « المشكاة »

وفي سنة ١٨٩٨ زار امبراطور المانيا انحاء سورية وفلسطين فأمَّ ركبه بصفة رسمية وكتب رحلته في رسائل متواصلة برقية وبريدية نشرت تباعاً في جريدة لسان الحال ثم طبعها في كتاب على حدة . وفي سنة ١٩١١ اعتراه مرض تصلُّب الشريانات فاضطر ان يعتزل معترك العمل . فاعتمد في ادارته الواسعة الاطراف نجله الوحيد رامز سركيس فقام بادارة المطبعة قيام الاب من حيث ضبطها وانتظام اعمالها حتى صح قول القائلين « ان هذا الشبل من ذاك الاسد »

ذكرنا ترجمة حياتهِ على اننا لم نذكر شيئاً عن صفاتهِ التي اتفقت الكلمة على الثناء عليهِ واعتباره . فقد جمع بين اللطف والذكاء والغيرة والنشاط والحزم . وله اصطلاح في الكتابة يعرفه عدد كثير من الكتبة والادباء . ومن محسّنات كتاباته ان القارىء لا يملُّ منها بل انه يتبع قراءتها مهما كانت كبيرة حتى النهاية . اذ لا بد من ادخال بعض الاستعارات والامثال التي تزيد كتاباته فكاهةً وتحبباً . وكتاباته الاصلاحية والاجتماعية والفكاهية في لسان الحال دليل على سلامة ذوقه في التحبير والانشاء واختياره الامور بدقائقها ومعالجتهِ الداء بدواء ناجع . ولهُ في سرعة الخاطر نوادر مستغربة يحوي صدره لكثير من النكات والنوادر والاشعار

وخليل سركيس كريم الاخلاق واسع الصدر هني في معيشتهِ مع عائلتهِ واصحابهِ قدير وجسور على العمل . وكثيراً ما شاهدناه في بيتهِ كالولد الصغير وفي ادارة اعماله الواسعة كالقائد عند هجوم العدو على جيشهِ . قلت له مرةً « لماذا هذه الحدة ؟ » فاجاب : « الاعمال لا تقوم الا بالحدة »

زاره صديق يوماً فصادف ورود طابعة جديدة اليه فرآه يفككها . فسأله صديقه : « ولماذا التعب ولا أرى في الآلة ما يستوجب ذلك ؟ » . فاجاب : « من رئيسياتي ان كل آلة مهما كان نوعها لا بدَّ لي من فكها وتركيبها قبل تشغيلها حتى اذا توقفت يوماً اقدر ان اصلح الخلل في الحال »

ويمكننا ان نقول بكل حرية ان صاحب الترجمة خير من ضبط ادارة العمل وعلم كيف يستفيد منها ويفيد بدليل تقدمه في الاعمال وانتشار حركة اعماله . يذكره المتعاملون معه واصدقاؤه بكل خير . وهم شديدو الاحتفاظ بصداقته لانه صادق وحرٌّ لا يصاحب احداً لمأرب خاص . ومن اجمل ما عُرف فيه المحافظة على الصداقة في الحالين بين وشدة والسراء والضراء والميل الى عمل الخير على يقين لا على رغبة في الشهرة . وهو سليم النية طيب السريرة . وعلى الجملة فسوريا تبتسم فرحاً بان يكون من ابنائها وطني فاضل كخليل سركيس خدم الوطن والبلاد خدمة يسطرها لهُ التاريخ جيلاً

بعد جيل . ونجعل مسك الختام هذه الأبيات التي نظمها الياس حنيكاتي عند ما أنعم على صاحب الترجمة بالوسام المجيدي الثالث في سنة ١٨٩٧ واختتمها بتاريخ هجري لسنة ١٣١٧ وهي :

خليلنا صركيس غرّ ماثرٍ ومكارمٍ موروثةٍ عن وارثِ
شهمٌ زها خلقاً ورقّ شمائلاً وتراه عند الوعد ليس بناكثِ
اخلاصهُ في حبّ دولتنا العليّـــةِ ظاهرٌ لم يفتقر لمباحثِ
لما رأتْ منهُ الوفاء تعطفتْ أرِّخ عليه بالوسام الثالثِ

— ١٥ —



الدكتور فارس نمر

احد مؤسسي مجلة « المقتطف » في بيروت والقاهرة وجريدة « المقطم » في القاهرة وجريدة « السودان» في الخرطوم

هو فارس بن نمر بن فارس ابي ناعسه وُلد في بلدة « حاصبيا » من اعمال ولاية سوريا في ٦ كانون الثاني سنة ١٨٥٦ . وبعد خمس سنين من ولادتهِ حدثت المذابح الهائلة في سوريا المعروفة بسنة ستين وكانت حاصبيا احدى النواحي التي عمتها تلك المصائب فقتل ابو صاحب الترجمة اوائلئذٍ . فحملتهُ أمهُ مع أخيهِ نقولا وأختهِ مريم الى مدينة بيروت حيث اتخذتها سكناً لها . ولما بلغ منتصف السادسة وضعتهُ المرحومة والدته في المدرسة الانكليزية لتعلم مبادىء العلوم اللازمة لمن كان في سنهِ . وفي نهاية السنة الاولى رُفع الى منبر في الاحتفال السنوي فلفظ خطبة ادهش بها السامعين . وقد تنبأ بعضهم بانه سيكون اوّل خطيب في الشرق

وفي اواخر سنة ١٨٦٣ ذهبت بهِ والدته الى القدس الشريف وأُدخل هناك الى « المدرسة الصهيونية الانكليزية » فبقي فيها نحو خمس سنين تعلم في اثنائها الانكليزية والجرمانية ومبادىء التاريخ والحساب . ثم عاد الى بيروت ودخل في اواخر سنة ١٨٦٨ مدرسة «عبيه» في لبنان وفيها تلقى مبادىء الصرف والنحو . ولم يقم في تلك المدرسة اكثر من اربعة اشهر فتركها وسافر الى حاصبيا مسقط رأسهِ حيث مرض مرضاً ثقيلاً بالحمى . وبعد سنة جاء بيروت حيث كانت أُمهُ قد عادت اليها واستخدم في مخزن تجاري مدة ثم تركهُ طامعاً بتعلم العلوم العالية . فدخل « المدرسة الكلية السورية » وجعل همهُ التقاط الفوائد واكتساب العلوم السامية فسهر وجدَّ واجتهد . وكان في مقدمة مؤسسي «جمعية شمس البر» الشهيرة في بيروت ولهُ فيها الخطب الرنانة والمباحث الجليلة ولم تمنعه وفرة دروسهِ عن خدمتها وتوطيد اركانها . وكان ايضاً وهو في حين تعلمه في المدرسة المذكورة يدرّس وقتاً في مدرسة البنات البروسية العالية . وكان يصرف ما يسرقهُ من اوقاته المدرسية في ترجمة الكتب الدينية والتاريخية والعلمية وقد طبعت في « النشرة الاسبوعية »

وبعد ان انتهى من دروسه القانونية نال الشهادة البكلورية سنة ١٨٧٤ وعين معاوناً للدكتور ڤانديك في المرصد الفلكي في بيروت ومعلماً لعلمي الجبر والهيئة في المدرسة الكلية . وكان يعلم ايضاً اللغة الانكليزية في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك . وفي عام ١٨٧٥ ترجم كتاب « الظواهر الجوية » للاستاذ لومس الامركاني وطبع الكتاب في مطبعة الامركان في بيروت . ثم انشأ في عام ١٨٧٦ بالشركة مع يعقوب صرّوف مجلة « المقتطف » التي اكتسبت شهرة عظمى وثبتت على خطة واحدة حتى اليوم . ثم عين مدرّساً للعربية وآدابها وللاتينية في نفس المدرسة الكلية وبعد ذلك مدرّساً للرياضيات العليا والهيئة والظواهر الجوية

وفي عام ١٨٨٢ أنشأ مع جماعة من اهل الفضل كالدكتور كرنيليوس ڤنديك والدكتور يعقوب صرّوف والدكتور بشاره زلزل وجرجي بك زيدان وغيرهم «المجمع العلمي الشرقي» في بيروت . وقد افتتحهُ بخطاب نفيس في « علم الهيئة القديم والحديث » طبع في المقتطف وفي كتاب اعمال المجمع المذكور

وفي عام ١٨٨٣ عين مديراً للمرصد الفلكي والمتيورولوجي اذ كان قد استعفى الدكتور ڤانديك . وبقي عاملاً على الرصد فيهِ الى حين تركه المدرسة الكلية واتيانهِ الى الديار المصرية وذلك في اواخر عام ١٨٨٤ . وفي سنة ١٨٨٥ نقلت مجلة المقتطف الى مصر وصارت تصدر في القاهرة . وكان لما بلغ كبراء مصر وعلماءها الاعلام خبر التصميم على نقل ادارة المقتطف الى وادي النيل سرّوا سروراً عظيماً . فكتب كل من الوزيرين الخطيرين شريف باشا ورياض باشا يرحبان بهِ وهاك ما كتبهُ رياض باشا بعد الديباجة :

« أُخبرتُ انكم عزمتم عَلَى نقل جريدتكم الغرّاء الى الديار المصرية · فسرّني ذلك لما تحويهِ من الفوائد الجليلة والنفع الدائم لكل بلادٍ رُفعت راية علومكم فيها · وقد اغتنمتُ هذه الفرصة لابدي بها نصيحتي لابناء هذا القطر بمطالعتها واجتناء فوائدها · فان للمقتطف عندي منزلة رفيعة وقد ولعتُ بمطالعتهِ منذ صدوره الى اليوم · فوجدتُ فوائده تتزايد وقيمتهُ تعلو في عيون عقلاء القوم وكبرائهم · ولطالما عددته جليساً انيساً ايام الفراغ والاعتزال وندياً فريداً لا تنفد جعبة اخباره ولا تنتهي جدد فرائدهِ سواء كان في العلم والفلسفة او في الصناعة والزراعة التي عثرتُ فيها عَلَى فوائد لا تُثمن · هذا علاوة عَلَى ما فيهِ من المباحث الآيلة الى تهذيب العقول وجلاء الاذهان وتفكيه القرّاء · فلذلك تترحب مصر بالمقتطف الاغرّ وتحلهُ محل الكرام الذين اشتهر فضلهم وعمت فواضلهم »

رياض

وهذا ما كتبهُ محمد شريف باشا :

« ان الذين خبروا حال العالم واستقصوا سنن الهيئة الاجتماعية واستقروا اسباب ترقية البلدان واتساع نطاق الحضارة في كل مكان اجمعوا عَلَى ان العلم اعظم ركن في بناء التمدُّن والمعارف واوثق رباط لحفظ الامم وتعزيز شأنها · ولذلك عظمت قيمة العلماء عند ارباب العقول واعتبرت الوسائط التي من شأنها بثّ العلوم وتعميم المعارف في البلدان · ولما كان المقتطف خير ذريعة لنشر المعارف بين المتكلمين بالعربية فلا عجب اذا نال ما نال من رفعة المقام في اعتبار الخاصة والعامة معاً · وقد بلغني في هذه الاثناء خبر نقله الى القطر المصري بعد ما خبرته وخبرتُ معارفكم زماناً · فاستحسنتُ ان أبدي مسرّتي بذلك لما فيه من الفوائد التي لا تستغني عنها البلاد · ولا ريب عندي ان عقلاء مصر ونبهاءها لا يغفلون عن تعميم فوائده ولا يتقاعدون عن السعي لنشر علومهِ بينهم · لاسيما وقد علموا ان انارة الاذهان وتثقيف العقول اقوى واسطة لحفظ الامة وشدّ عرى اتحادها »

محمد شريف

وبعد مضي سنتين من وجود صاحب الترجمة في القاهرة انشأ بمعاضدة بعض اصدقائه « جمعية الاعتدال » في مصر وذلك في عام ١٨٨٧ ثم انتخب عضواً لمجمع بريطانيا الفلسفي · وسنة ١٨٨٩ انشأ مع زميليهِ الدكتور يعقوب صرّوف وشاهين بك مكاريوس جريدة المقطم التي نالت الشهرة العظيمة في الشرق والغرب · وأُهدي الى صاحب الترجمة اوانئذٍ من جلالة اوسكار ملك اسوج ونروج بصفة كونهِ رئيس المؤتمر الشرقي « وسام المعارف الذهبي » مكافأة له عَلَى خدماتهِ الجليلة العديدة في تعزيز المعارف ونشر العلوم · وهاك نص ما كتبه اليهِ معتمد الدولة الاسوجية في مصر :

« حضرة الفاضل الاديب فارس افندي نمر حفظهُ الله

« معلوم لجنابكم ما نحن عليه من حب ارباب المعارف ومساعدتهم بما تحتمله القدرة رغبة في

تنشيط الهمم واعلاء كلمة الادب · وقد رأينا من آثاركم العلمية عَلَى تنوع مواضيعها ما تقصر عنهُ عبارات البلغاء لو عمدوا الى بيانه · فلذلك طلبنا الى جلالة مولانا الملك اوسكار بلسان الرجاء ان ينظر الى جنابكم بعين لا ترى منه غير عضو من جسم الهيئة العلمية · فوقع الطلب موقع القبول اذ أنعمت الحضرة الملكية عَلَى الجناب بوسام ذهبي (ميداليا) لا يحمله الا رجال الفنون والصناعات العالية · وسنقدم الى مصر بهِ عما قريب فيزدان بصدر الجناب لا زال في المجالس صدراً وفي المطالع بدراً والسلام عليهِ ورحمة الله »

الكونت كرلودي لندبرج
قنصل دولتي اسوج ونروج العام
ووكيلها السياسي بمصر

وفي ١٨ تموز من عام ١٨٨٨ اقترن بكريمة قنصل الانكليز سابقاً في الاسكندرية فسافرا الى سوريا لصرف صيف تلك السنة في لبنان · وفي اواخر الصيف عاد الى مصر وفي شهر تموز عام ١٨٩٠ نال رتبة دكتور في الفلسفة من مدرسة نيو يورك الجامعة · ومن ثمَّ زار عواصم اوربا في السنة نفسها وجاء لوندرا واجتمع بكبار السياسيين فيها ونشرت جرائدها الشيء الكثير عنهُ وعن آرائهِ · ثم زار اوروبا مراراً وذهب سنة ١٩٠٠ لزيارة معرض باريس · وفي سنة ١٩٠٣ انشأ جريدة «السودان» باللغتين العربية والانكليزية في مدينة الخرطوم · وهي ذات ست صفحات كبيرة تبحث في جميع الشؤون التي تعود بالنفع عَلَى البلاد السودانية لاسيما الزراعة والتجارة

ولهُ في خلال السنين الطويلة التي صرفها ما بين التعليم والعمل بالعلوم خطب كثيرة طبع قليلها · وبالاختصار ان شهرته تغني عن كثرة الاطناب بهِ · ومعارفهُ المعروفة عند الخاصة والعامة تشهد لهُ بعلو المنزلة في عالم الفضل · والفوائد العميمة التي بذلها للبعيد والقريب حملت جماهير العلماء والفضلاء عَلَى الاعتراف لهُ بالسبق في مضمار العلم والادب · ولا يقوى السامع لكلامه والقارىء لمقالاته عَلَى النكران · وقد قال اللورد كتشنر باشا معتمد بريطانيا العظمى في مصر اذ سمعه ذات مرَّة يوضح خطاباً انكليزياً للجنرال « سمث » في احدى الجلسات في مصر « ان الدكتور نمر كلهُ عقل » · وقال غيرهُ « ان عبارتهُ العربية افصح من عبارة الخطاب الانكليزية » · وهو يحسن الانكليزية عدا لغات متعددة اوروبية

وكان قبل اعلان الدستور في الدولة العثمانية لا يستطيع الرجوع الى وطنه · فجاء بيروت سنة ١٩١١ بعد غيابهِ عنها ستاً وعشرين سنة · فاحتفل العلماء والاصدقاء بقدومه واقامت المدرسة الكلية السورية حفلة خاصة في ناديها اكراماً لهذا الزائر الذي تعلّم وعلّم فيها · وكنا حينئذٍ في جملة المدعوين وقد سمعناه يخطب بفصاحته المشهورة التي أعجب بها كل الحاضرين · وهو الآن ابلغ كاتب سياسي في الشرق وافصح خطيب عربي بشهادة الذين عرفوه واختبروه · ومنذ انشاء جريدة

«المقطم» انقطع الى تحريرها مع مشاركة في تحرير مجلة «المقتطف» عند سنوح الفرص . فنال المقطم مركزاً عالياً بين الصحف السياسية عموماً والعربية خصوصاً بقوة برهانه وغزارة مادته وحرية مبادئه . وتعدُّ هذه الجريدة ترجمان افكار صاحب الترجمة ولسان حاله . وقد انفق عمره بين المحابر والاقلام وسعى كثيراً في ترقية احوال الشعب العثماني وتنبيه افكاره الى المطالبة بالحرية وكسر قيود استبداد الحكام الظالمين . وترجم مع زميله الدكتور يعقوب صروف كتاب «سير الابطال والعظماء» وكتاب «مشاهير العلماء» وغيرهما

الى هنا انتهى ما امكننا الوقوف عليه من اخبار صاحب الترجمة سواءٌ كان بما نقله الينا الرواة الموثوق بهم او بما اقتطفناه من كتاب «مرآة العصر»

— «١٦» —

﴿ جراسيموس مسرَّه ﴾

مطران بيروت للروم الارثوذكس

وأحد منشئي جريدة «الهدية» لجمعية التعليم المسيحي

هو جرجي بن اسبيريدون بن نقولا بن مسرَّه مسرَّه ووالدته حنه بنت ميخائيل بن عطاالله العابق ابصر نور الوجود في الثامن عشر من شهر آب سنة ١٨٥٨[1] في مدينة اللاذقية . فتعلم في مطلع حداثته في احد مكاتبها البيتية مبادئ القراءة العربية . وعند ما ترعرع ادخلهُ ابواهُ المدرسة الارثوذكسية التي انشأها في ذاك العهد السيد ملاتيوس دوماني مطران اللاذقية . فتلقى فيها اللغة العربية على الاستاذين جبران نقولا جباره (السيد غريغوريوس جباره مطران حماه الحالي) وشاكر شقير وألمَّ باللغتين اليونانية والتركية . وكان منذ نعومة اظفاره مولعاً بمطالعة الكتب الدينية والتراتيل الكنسية مما حمل صاحب المدرسة على ان ينظمهُ في سلك الكهنوت . فرقاه في ٢٥ كانون الاول ١٨٧٣ الى درجة الرهبنة وابدل اسمه الاصلي المتعارف «جرجي» بجراسيموس . فكان في هذه الدرجة مشكاة الفضائل ومثال الاجتهاد الروحي والادبي . ولما رأى راعي الابرشية نشاطهُ وامانتهُ ارسلهُ على نفقتهِ الى كلية «خالكي» اللاهوتية التابعة للبطريركية المسكونية في القسطنطينية وفي سنة ١٨٧٩ هزَّهُ الشوق الى مسقط رأسهِ لمشاهدة اهله واخوانهِ وترويح النفس من عناء

(١) ورد في كتاب «روض المسرَّة» انه وُلد في سنة ١٨٥٩ غير اننا بعد التحرّي رجع لنا ان ولادته كانت في السنة التي ذكرناها



المطران جراسيموس مسرّه

الدرس. فما وصلهُ حتى سامهُ معلمهُ شماساً انجيلياً وذلك في ٦ آب من السنة المذكورة فكان هذا الترقي باعثاً لنشاطه واقدامه. ثم قفل راجعاً الى مدرسته حيث أتمّ علومهُ ونال قصب السبق على اقرانه باحرازه شهادة قانونية موقعة من رئيس المدرسة ومصدقاً عليها من يواكيم الثالث البطريرك المسكوني المنتقل الى رحمته تعالى من عهد قريب. وذلك في سنة ١٨٨٢ وهي اوّل شهادة حازعليها احد ابناء سورية تخوّلتهُ لقب « دكتور » في اللاهوت. ثم عاد الى اللاذقية حيث اقام في خدمة كنيستها مدة سنتين يدرّس في غضونهما اللغة اليونانية والموسيقى فضلاً عن الوعظ والارشاد .

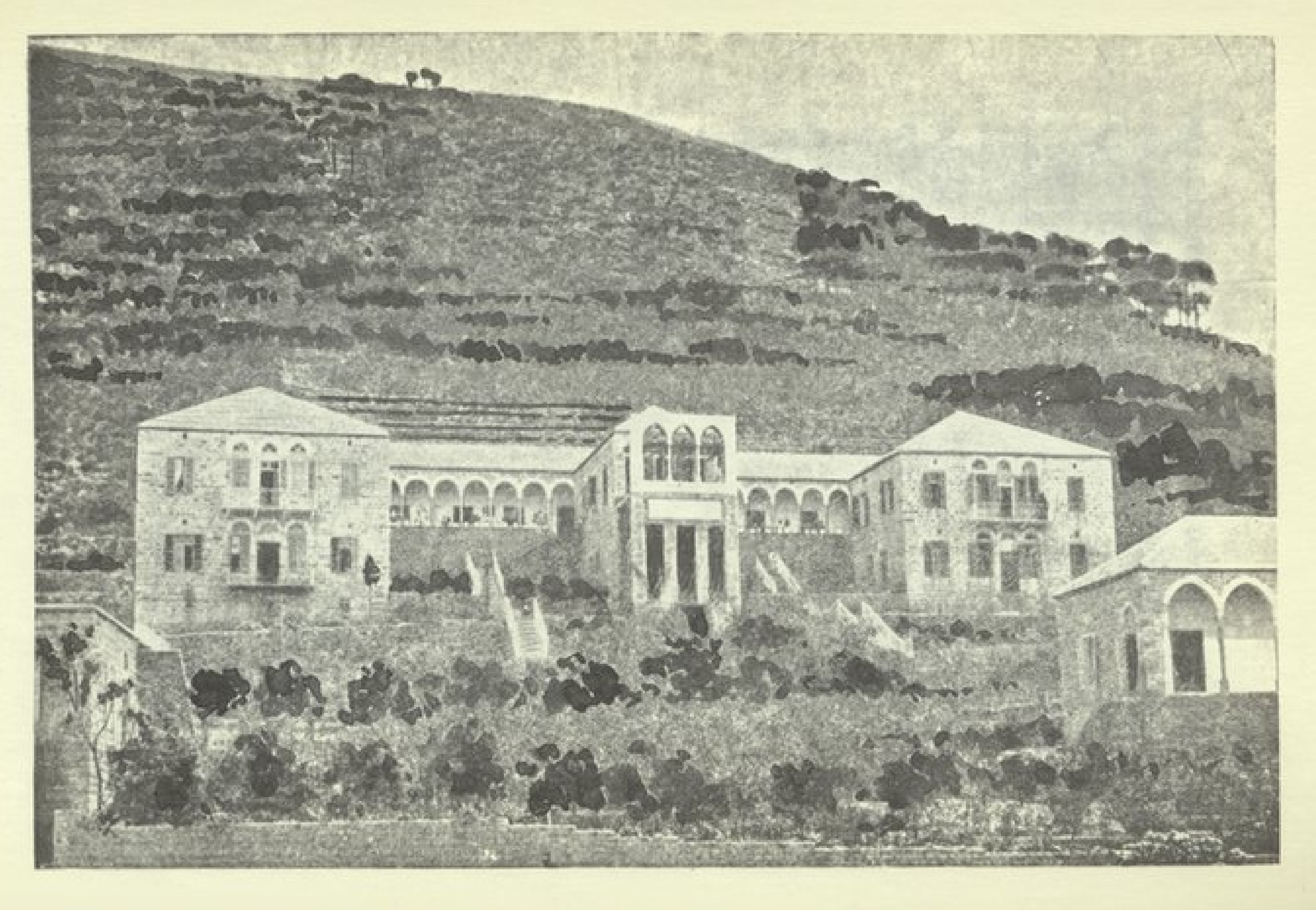
فاتصل امرهُ بمسمعَي السيد اياروثاوس البطريرك الانطاكي في دمشق فاستدعاهُ اليهِ وأناط بهِ ادارة القلم اليوناني . فخف صاحب الترجمة في ١٥ آب سنة ١٨٨٤ الى مركزه الجديد الذي لم يتربع فيهِ احد قبله من السور بين في مدة البطاركة الانطاكيين الذين كانوا الى ذلك العهد من اليونان الاصليين . فوّق وظيفته حقها فضلاً عن توليه في ساعات الفراغ تدريس اللغة اليونانية وموسيقاها في المدرسة الارثوذكسية الدمشقية

وفي اواسط سنة ١٨٨٧ باشر في دمشق بناء منارة في صحن الكنيسة المريمية لتعليق جرس كبير كان أُهدي اليهِ من عهد بعيد ولم يكن له قبة ليعلق فيها . وقد شارف ذلك البناء بنفسه مدة سنة كاملة . و بعد وفاة البطريرك اياروثاوس المو ما اليهِ تضاربت الآراء واختلفت الاهواء علَى من يخلفه . فاخذ المترجم يبين لجماعة الاكليروس والشعب شدة احتياج الملة الى حبر من احبار الكرسي الانطاكي خبير بحاجاتها ومتفانٍ في تحقيق رغائبها . واراد بهِ سيادة معلمهِ المطران ملاتيوس دوماني مشيراً من طرف خفي الى محاسن صفاتهِ وجليل مناقبه

فكان ان عاكست الظروف فاصاب الانتخاب السيد جراسيموس احد مطارنة الكرسي الاورشليمي . فامتعض من هذا الامر وخصوصاً مما كان يسمعه من اغلب الشعب و بعض رجال الكهنوت من ان المطارنة الوطنيين لا يصلحون ولا يجوز لهم ان يكونوا بطاركة . فعوَّل علَى ازالة تلك الاوهام من عقولهم . وكان اول ما نشره على صفحات جريدة « الهدية » وهي في اوائل نشأتها نبذة تاريخية عنوانها « سلسلة البطاركة الانطاكيين » وتطرق منها الى المناظرات الدينية بينهُ وبين اصحاب جريدة « البشير » حتى حمل « جمعية التعليم المسيحي » صاحبة تلك الجريدة على ان تصدرها اسبوعية بعد ان كانت تصدرها شهرية . وقد اقام له البطريرك الانطاكي حفلة خاصة في الكنيسة المريمية وسماه فيها « واعظاً للكرسي الانطاكي »

على ان المترجم لم يكتف بما كان يحرره في « الهدية » بل اخذ في تعريب وتاليف الكتب الدينية . فترجم اولاً عن اليونانية رسالة السيد افجانيوس البلغاري « البيّنات الجلية » ثم الف كتاب « الانوار في الاسرار » وغيرها . ولما ذاع صيتهُ وطارت شهرته دعاهُ الشعب الاسكندري لرعايته وخدمة كنيسته . فارتاح الى هذه الدعوة لان الشعب الاسكندري كان في مقدمة الشعوب التي خطبت ودهُ وقدَّرت قدره . وقد رغب البطريرك الانطاكي ان يكافئه على خدمه المبرورة قبل مبارحته دمشق فسامه في ٢١ من تشرين الثاني سنة ١٨٨٨ كاهناً فارشمندريتاً . وقد شُيع من اهالي الشام كما استقبل من الاسكندريين بمجالي الاحتفاء والتكريم . وهناك تولى خدمة الشعب والكنيسة بهمة لم يعترها ملل حتى ترطبت الالسنة باطرائه والثناء عليه

وفي ٢٨ حزيران سنة ١٨٨٩ انتخبهُ المجمع الانطاكي مطراناً لابرشية حلب غير انهُ لاسباب



رسوم قسم من الابنية التي شيدها المطران جراسيموس مسرّة في دير القديس جرجس بسوق الغرب

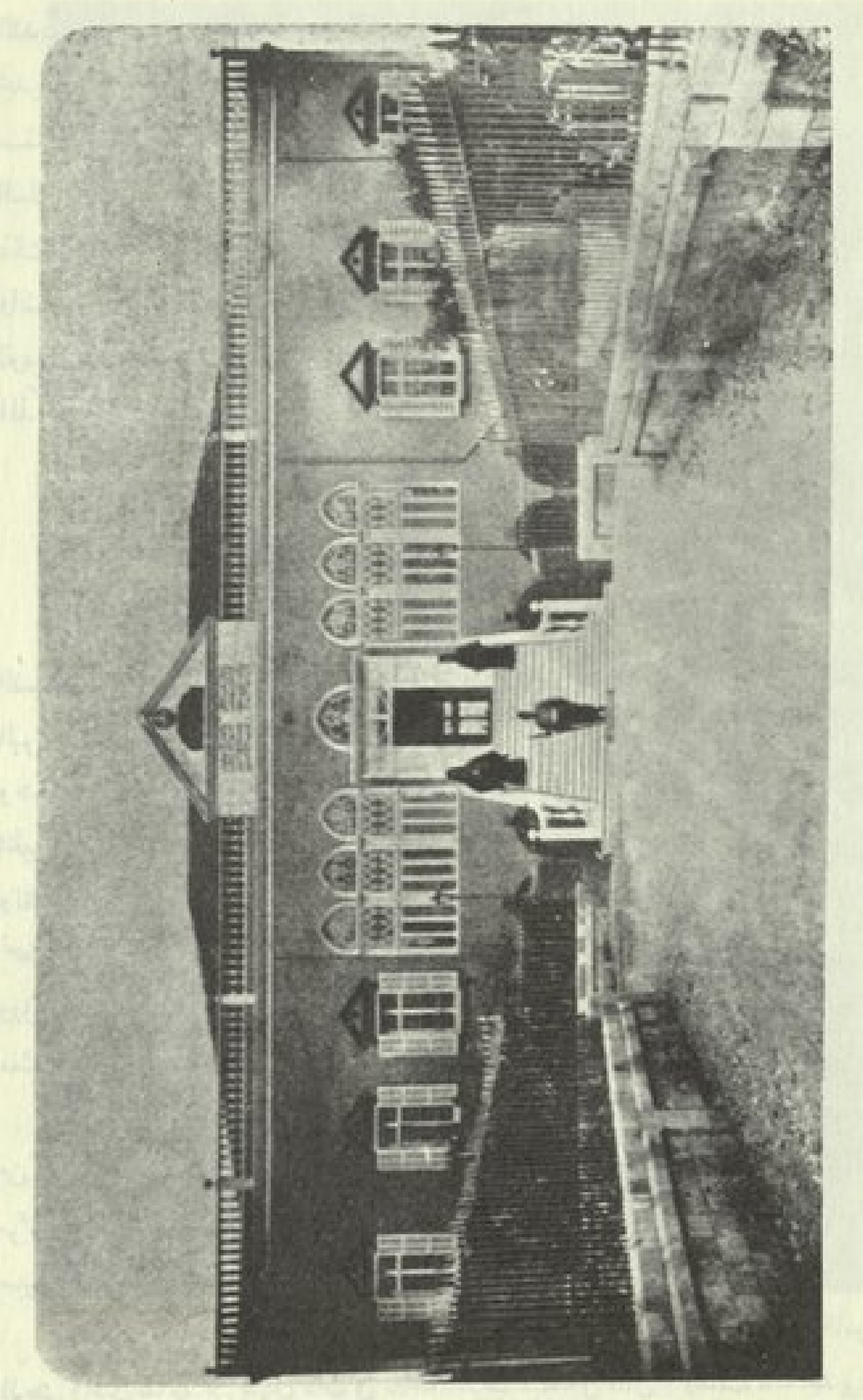
صحية لم يستطع الاذعان لدعوته · فلبث في القطر المصري نحو ١٤ سنة مواظباً على الخدم الدينية والتأليف والوعظ والارشاد · ومن حميد مساعيهِ في القاهرة تاسيسهُ «الجمعية الخيرية الارثوذكسية» التي لا تزال الى يومنا هذا معترفة بجميل مآتيه السابقة

وفي عام ١٩٠٠ يمَّم الحامات المعدنية في اوروبا استشفاءً مما ألمّ به على اثر مرض الحمى (التيفوئيد) وهناك زار معرض باريس وتعرَّف الى كبار رجالها · و بعد إبلاله قصد سويسرا ثم انتقل الى ايطاليا فتفقد معالمها ومعاهدها ولا سيما قصر الفاتيكان وآثار رومة الشهيرة · وحظي بشرف المثول امام قداسة الحبر الاعظم لاون الثالث عشر فاكرم وفادتهُ ونال من لدنهُ وساماً فخرياً · و بعد عودتهِ الى الاسكندرية رأى ان المجمع الانطاكي اعاد انتخابه مرة ثانية اسقفاً لابرشية حلب فلم يجد سيادتهُ بدّاً من اجابة طلبه · غير ان الاطباء لم يرخصوا له لاسباب صحية ايضاً · و بيناهو والمجمع في هذه المفاوضة واذ رزئت ابرشية بيروت بمطرانها السيد غفرئيل شاتيلا · فحامت افكار البيروتيين على طلب صاحب الترجمة غير ان فريقاً منهم ظن ان لابرشية حلب شأناً في هذا الانتخاب فاخذ يعاكس ويحتج على انتخابه · وكثر التشيع والتحزب للفريقين ورنّ صدى مقالاتهما في جريدة « الرقيب » الاسكندري وغيرها فانقلبت المناظرة الى المهاترة وكاد الامر يفضي بهما الى سوء المغبة .

اما المنتخب فكان لا يبدي ولا يعيد بالنظر لما رآهُ من حراجة الموقف وخطورته · غير ان العناية الالهية الهمت المجمع الانطاكي بعد ردح من الزمن ان يلبي نداء البيروتيين · فقرر انتخاب سيادته في يوم الخميس ٢٨ اذار شرقي سنة ١٩٠٢ فقطعت اذ ذاك جهيزة قول كل خطيب · وترنحت عواطف البيروتيين من خمرة الحبور وباتوا يهنئون نفوسهم و يعللونها بقرب مشاهدة مطرانهم الجديد · و بعد ظهيرة السبت في ٩ ايار سنة ١٩٠٢ احتفلت اهالي الاسكندرية على اختلاف نحلها بوداع سيادته واهدته ابناء طائفته صليباً مع سلسلة من الذهب الخالص مرصعاً بالحجارة الكريمة · وقد جرى له استقبال في بيروت نادر المثال وانشده كاتب سيادتهِ الحالي الياس حنيكاتي وهو عَلَى ظهر الباخرة البيتين الآتيين :

ياقلبُ وافاك الذي قربهُ	مسرةٌ يزهو بها العمرُ
فاطرب برأى خير حبرٍ بدا	واعجب ببحرٍ فوقهُ بحرُ

ثم توجه المترجم الى دمشق وبمعيته وفد من سراة طائفته · و بعد الاحتفال الشائق بسيامته مطراناً بوضع يد البطريرك ملاتيوس الثاني عاد الى بيروت عَلَى قطار خاص · وقد أُقيمت له الزينات الباهرة في كل محطة وكانت بيروت لابسة حلة من الازهار والانوار لم تقع العين عَلَى اجمل منها · ولو شئنا ان نأتي عَلَى وصف حفلة استقباله ونعدد ما أُنشد من الاناشيد وتُلي من الخطب والقصائد في تهنئتهِ ومدحه لضاق بنا المقام · ومن اراد الوقوف على ذلك فعليهِ بكتاب « روض المسرة » المشهور ·



رسم الدار الاسقفية التي شيدها المطران جراسيموس مسرّة في بيروت

اما مآتيه ومساعيه الخيرية في بيروت منذ تبوأ كرسي ابرشيتها فهي عديدة : اهمها ترميم كنيسة القديس جاورجيوس الكاتدرائية وانشاء سوق لها مؤلفة من ست دور وثلاثة واربعين مخزناً . ثم تجديد دار المطرانية على ابدع طرز مما جعلها في مقدمة جميع الدور المطرانية في الشرق . وانشاء مستشفى تخيم في محلة «الغابة» بدلاً من المستشفى القديم الكائن على طريق النهر . ومباشرته «مدرسة السلام» التي اتمَّ منها بناء الطابق السفلي . وتجديد كنيسة « مار ديمتريوس » وتنظيم مقبرتها وغير ذلك . وفي قرية «سوق الغرب» التابعة لولايته الروحية جدَّد بناء كنيسة دير القديس جورجيوس وانشأ لها اوقافاً مهمة اشهرها نزل « نزهة لبنان » على رابية مرتفعة من اجمل المواقع . وتذكاراً لترميم بيعة القديس جرجس وانشاء سوقها في بيروت صار نقش هذا التاريخ فوق باب الكنيسة المذكورة :

لبيعةِ مار جرجسَ شيدَ سوقٌ   وابنيةٌ علَى ركنٍ موطدْ
فقلْ مع راقمِ التاريخِ دامت   بسعي جراسموسَ الدهرَ تشهدْ
سنة ١٩٠٦

واما ما كان من مآثره الادبية والعلمية فانهُ ترجم رسالة « البينات الجلية » و « منشور المجمع القسطنطيني » من اليوناني الى العربي . ونقل كتاب « اسحق الكندي » من اللغة العربية الى اليونانية . ونشر كتاب « الانوار في الاسرار » وكتاب « تاريخ الانشقاق » وكتاب « التيبيكون » و « خدمة القداس » لرئيس الكهنة والكاهن والشماس . ومن مآثره المبرورة انهُ عزَّز شؤون الجمعيات الخيرية في ابرشيته ومدَّ يد المساعدة للمشاريع العمومية في الوطن ورتب احوال الديوان الاسقفي ونظمه وزاد في ريع الاوقاف . ومما يذكر عنهُ انه عند ما احتفل المسلمون باقامة تذكار للذين ذهبوا ضحايا القنابل الايطالية في ٢٤ شباط سنة ١٩١٢ ذهب بنفسهِ الى مقبرة « الباشورة » الاسلامية ووزَّع الصدقات السخية على عائلات القتلى في الحادثة المذكورة . وفي ٢٥ شباط ١٩١٣ وزَّع منشوراً على عموم ابناء الوطن فروت عنه مجلة « المشرق » للآباء اليسوعيين ما يأتي :

«هو منشور لسيادة جراسيموس مسرَّة مطران بيروت على الروم الارثوذكس يدعو فيه المحسنين من كل الطوائف الى مساعدة عيال الجنود الابطال الذين قُتلوا في ساحة الحرب البلقانية . وهي مرَّة ثانية استحق سيادته شكر العموم لاريحيته في تخفيف بلايا الاهلين الذين ضحوا اولادهم في سبيل الوطن »

وقد برهن صاحب الترجمة عن هذا القول بالعمل فكان في مقدمة الذين قاموا بالواجب الوطني وأدى لعائلة كل عثماني مات في ساحة الحرب مبلغاً من المال . ولذلك فانهُ جدير بما ناله من علائم الشرف وهي : وسام « المجيدي الاول » ووسام « اللياقة » الذهبي من الدولة العثمانية ووسام



المطران جراسيموس مسره

(أحدث رسم أخذ له وهو متقلد أوسمة الشرف)

« جمعية فلسطين » الذهبي من روسيا . وهو من أكثر الاحبار الشرقيين لطفاً واوفرهم إحساناً واشدهم تأنقاً في معيشته واعظمهم إقداماً على الاعمال الكبيرة . يقرن القول بالفعل و يبذل الدينار في سبيل اعانة البائس و يأخذ بناصر المظلومين لدى الحكام و يعامل الفقير من بني ملته كالغني . وكتاباته كلها التي نشرها إما دينية وإما جدلية . الاَّ انهُ بعد عهد اسقفيتهِ انصرف بكليته عن التأليف الى سياسة الرعية وتوثيق عرى الوئام والوفاق بين جميع العناصر . يخطب على المنابر وفي جميع المجالس بوجوب الالفة وضرورة الاتحاد . فاكتسب محبة الرفيع والوضيع والقريب والبعيد حتى اصبح ناديه من الصباح الى المساء تؤمّهُ اصحاب المصالح من كل طبقة ورتبة على اختلاف الاديان والطوائف

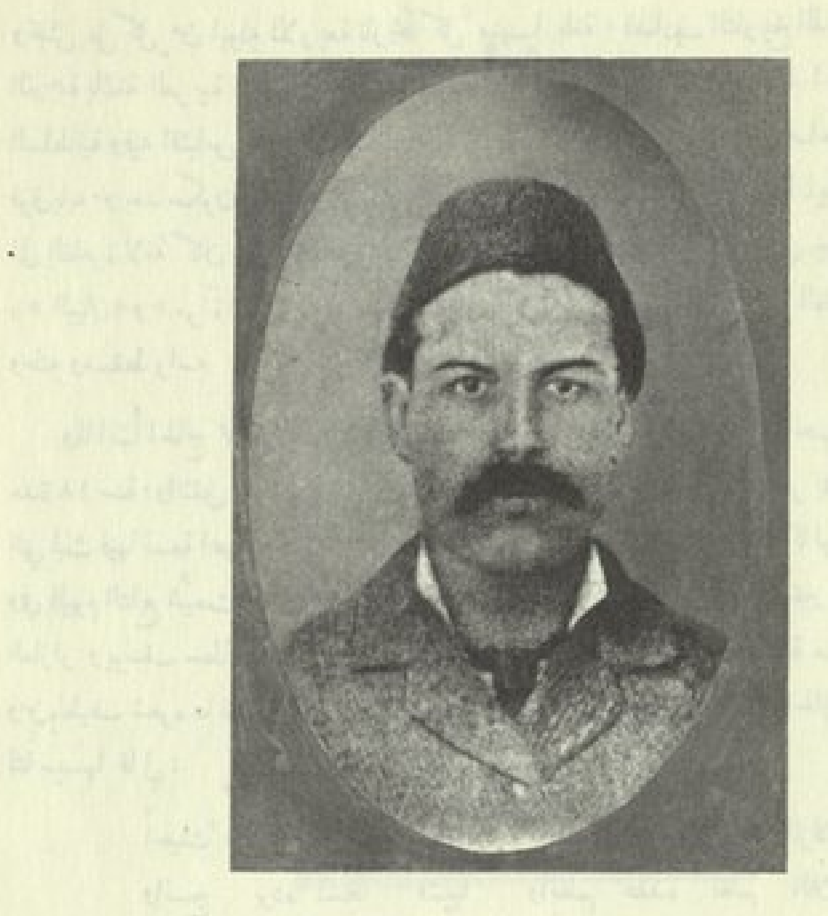
— « ١٧ » —

﴿ سليم عباس الشلفون ﴾

المحرر في جرائد « ثمرات الفنون » و « التقدم » و « بيروت » و « المحبة » و « المصباح » و « لسان الحال » ببيروت وجرائد « العصر الجديد » و « المحروسة » في الاسكندرية و « البرهان » و « البيان » و « مرآة الشرق » في القاهرة

هو سليم بن عباس الشلفون وامهُ ورده حاتم ولد في شهر نيسان ١٨٥٣ في بيروت . ولما بلغ الثامنة من عمره ادخله ابواه المدرسة اليسوعية حيث احكم أصول اللغتين العربية والفرنسية وشيئاً من الايطالية . وفي السنة الرابعة عشرة ترك تلك المدرسة ولازم العلاَّمة الشيخ ابرهيم اليازجي مدة خمسة اعوام متوالية حتى برع في اللغة العربية نثراً ونظماً . وكان في اثناء ذلك يتردد على ادارة مجلة « النجاح » لنسيبه يوسف الشلفون فتعلم صفَّ الحروف . ومن ذلك الحين نزعت بهِ نفسهُ الى فن الصحافة التي خدمها الى آخر ايامه . ولما أنشئت جريدة « ثمرات الفنون » سنة ١٨٧٥ انتظم في سلك محرّريها فلبث فيها مدة اربع سنوات . وكان في الوقت نفسه ينشئ بعض الفصول في جريدة « التقدم »

ورأى صديقاه سليم نقاش وأديب اسحق فرط ادبهِ فأوعزا اليه ان يسافر الى الاسكندرية لمساعدتهما في تحرير صحيفتي « العصر الجديد » و « المحروسة » . فباشر معهما سنة ١٨٨٠ بتحرير الجريدة الاولى التي لم يطل أمد حياتها . وقد خلَّف فيها المقالات الادبية والتاريخية والسياسية مما يشهد لهُ بطول الباع وغزارة المادة . ثمَّ انتقل منها الى « المحروسة » فتولاها مدة سنتين حتى احتجبت بظهور الفتنة العرابية المشهورة . وقد تعرَّف حينئذٍ بكثير من علماء مصر لا سيما السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وابرهيم بك اللقاني وعبدالله نديم وغيرهم فأدرك لديهم منزلة رفيعة .



سليم عباس الشلفون

وانخرط في الجمعيات المصرية وكان من اهم اركان الحزب الوطني القائل بان « مصر للمصريين »

وكان رياض باشا يتولى وقتئذٍ رئاسة الوزارة المصرية فأدرك ما للفقيد من المنزلة وما لكتابتهِ من التأثير الكبير والوقع العظيم في نفوس سامعيهِ وقارئيه . فحصل بينهما المقيم المقعد وصدرت الاوامر بالقبض عليه . ففرّ من القطر المصري الى نابولي ونزل ضيفاً مكرَّماً عند اسماعيل باشا الخديو الاسبق الذي كان يعجب بذكائه ودهائه وغزارة علمهِ وسعة اطلاعه على المسائل التاريخية والاحوال السياسية

وسافر بعد ذلك الى الاستانة مزوداً بالتوصيات الى حليم باشا الذي كان مرشحاً للاريكة الخديوية فنال فيها التفات اولياء الامور ورجالها العظام . وكان حليم باشا والصدر الاعظم خير الدين باشا التونسي يحبانه حباً عظيماً ويقدّران فضله وعلمه حق قدرها

وانشأ خير الدين باشا في عاصمة السلطنة قصراً فخماً في ارضٍ فسيحة اهداهُ اياها السلطان

ونقش على كلٍ من ابوابه الاربعة تاريخاً كلٌ منها بلغة · فصادف التاريخ الذي نظمهُ صاحب الترجمة باللغة العربية استحسان اللجنة التحكيمية · لانهُ مع ايجازه تضمن حكاية انشاء القصر والهبة السلطانية وفيه اقتباس بديع من كتاب القرآن · ففضلتهُ اللجنة على سواه وامر صاحب القصر بنقشهِ فوق بابه · وبعد سكون الاحوال في القطر المصري عاد الى الاسكندرية ولكنهُ لم يلبث ان سافر منها الى القاهرة لانهُ كان يخشى القبض عليهِ · ثم نال العفو الخديوي فأخذ يحرر في جرائد « البرهان » و« البيان » و« مرآة الشرق » الفصول المدهشة ببلاغتها الى ان قضت عليهِ الظروف بالعودة الى وطنهِ ومسقط راسه

ولما انشأ الحاج محمد رشيد الدنا جريدة « بيروت » عام ١٨٨٦ تولى صاحب الترجمة تحريرها مدة ١٨ سنة · وانتقل منها الى تحرير جريدة « المحبة » فصحيفة « المصباح » فجريدة « لسان الحال » التي لبث فيها تسعة اعوام وقضى عليهِ وهو قائم في خدمتها · وحلّت وفاتهُ في ٩ كانون الثاني ١٩١٢ وفي اليوم التابع شُيعت جنازتهُ بالاحتفال اللائق · وقد أبّنهُ في مضجعه الاخير الشيخ اسكندر العازار ويوسف خطار غانم بما تستحقهُ منزلته الادبية وخدمته للصحافة العربية مدة اربعين سنة · ومن لطيف شعره ما نظمهُ في تهنئة خليل سركيس ببلوغ جريدة « لسان الحال » العيد الفضي لتأسيسها قال :

أُحيكُ الشعر من منسوج فكري	بالفاظٍ عذابٍ كالزلالِ
وانسج برده نسجاً قشيباً	وانظم عقده نظم اللآلي
واسبك كل قافيةٍ ببيتٍ	لأمدحَ فيهِ محمودَ الخصالِ
تركتُ الشعر قبل الآن لكن	بمدح خليلنا يحلو مقالي
اديبٌ فاضلٌ فطنٌ نجيبٌ	فريدٌ في الفعال وفي المثالِ
مآثره الكثيرة ليس تحصى	واين العدُّ من حصر الرمالِ
لقد انشا لسان الحال حتى	افاد بنشره كل الاهالي
ففيهِ كلُّ فائدةٍ ونصحٍ	وفيهِ كل إنصاف المقالِ
طوى خمساً على عشرين عاماً	بنظم العقد منهُ بلا كلالِ
أفاد بهِ وأحيا كل صادٍ	بموردهِ الشهيِّ العذب الوصالِ
ففي يوبيله الفضيِّ فخرٌ	وان الفخر صعب في المنالِ
عسى الذهبيُّ ان يأتي عليهِ	وكل الحاضرين بحسن حالِ

« ١٨ »



رشيد الشرتوني

المحرّر في جريدة « البشير » من سنة ١٨٩١ الى ١٩٠٦

(ويراعةٍ فُجعت بفقد وحيدها   كالامّ قد فُجعت بفقد وحيدِ)
(كلُّ المصائب هيّناتٌ عندها   الاّ المصيبة بالامامِ رشيدِ)

هو شقيق العلاّمة الكبير والجهبذ الشهير الشيخ سعيد الشرتوني الذي رفع لواء الفصاحة والبيان بتآليفهِ الكثيرة · وُلد صاحب الترجمة سنة ١٨٦٤ في بلدة « شرتون » من اعمال جبل لبنان · وأبوه عبدالله بن ميخائيل بن الياس ابن الخوري شاهين الرامي · وقد غلبت عليهِ وعلى اخيه النسبة الى بلدتهما شرتون فعرّفا بها بدلاً من كنيتهما « الرامي » الاصلية

تلقى اللغات العربية والسريانية والفرنسية مع مبادىء العلوم في مدرسة « مار عبدا هرهريّا » المنسوبة لعائلة بني آصاف في قضاء كسروان · فكان آية في الذكاء والاجتهاد بين اقرانه ·



سعيد الشرتوني

احد اعلام اللغة العربية ومنشىء المقالات المعتبرة في « البشير » و « المشرق و « المصباح »

في بيروت ومجلة « المقتطف في القاهرة

(يحاولُ المرء في الدنيا البقاء وما تفوتُ قدرته تصويرَ تمثالِ)
(والرسمُ يبقى زماناً بعد صاحبهِ دليلَ عجزٍ وهاكم شاهدَ الحالِ)

ثم درّس حيناً في مدرسة « عين تراز » للروم الكاثوليك ومدرسة « عين طورا » للآباء العازريين وبعد ذلك انقطع لخدمة العلم والصحافة عند اليسوعيين في بيروت . فلبث يدرّس الآداب العربية في كليتهم ٢٣ سنة ويحرّر في جريدتهم « البشير » ١٥ سنة متوالية . وقد تخرّجت عَلَى يده حينذاك فئة كبرى من الشبيبة التي اخذت عنه ونهجت منهجه في طلاوة الانشاء وتحدي الذوق في العبارة . وكنا نودّ ذكر بعض تلامذته الذين نبغوا في المعارف لولا كثرة عددهم . وكان «البشير» في عهده من أرقى الصحف العربية في السلطنة العثمانية ومن اكثرها جرأةً وابلغها كتابةً . وفي ٢٤

ايلول ١٩٠٦ ذهب الى القاهرة حيث تولى تدريس اللسان العربي في مدرسة اليسوعيين وفي مدرسة القديس يوسف للطائفة المارونية

وفي صيف السنة التابعة عاد لمشاهدة الاهل والوطن وكان متمتعاً بالصحة ففاجأته المنيَّة في ٢٣ تشرين الاول ١٩٠٧ في بيروت · فجرى له مأتم حافل وابنهُ يوسف خطار غانم تأبيناً مبتكراً في بابهِ فاظهر جسامة المصاب به عَلَى العلم والوطن · ثم نقلت جثته الى مسقط راسه ودُفنت بضريح المرحوم والده

وقد عُرف هذا الاستاذ بسلامة السريرة ورقة الاخلاق وجزيل الفضل · فانهُ صرف حياته بين المحابر والكتب واقفاً اتعابه عَلَى المعارف ومحيياً لياليه في خدمة الادب كما تشهد بذلك تآليفه العديدة وهي : اولاً « تمرين الطلاّب في التصريف والاعراب » وهو قسم للتلميذ وقسم للمعلم في ٨ أجزاء · ثانياً « نهج المراسلة » · ثالثاً « مبادىء العربية » في الصرف والنحو على طريقة مستحدثة في ٣ اجزاء · رابعاً « مفتاح القراءة والخط والحساب » · خامساً مقالات لغوية وتاريخية نشرها في مجلة « المشرق »

ثم نشر بالطبع مع تصحيح العبارة : اولاً « تاريخ الطائفة المارونية » للبطريرك اسطفان الدويهي · ثانياً « منارة الاقداس » في مجلدين للدويهي · ثالثاً « شرح الشرطونية » للدويهي · رابعاً « سلسلة بطاركة الطائفة المارونية » للدويهي ايضاً · خامساً « بعض المجامع المارونية الاقليمية » وغيرها

ونقل الكتب الآتية من اللغة الفرنسية الى العربية : ١ً « التوفيق بين العلم وسفر التكوين » ٢ً « الزنبقة البهية في سيرة مؤسس الرهبنة اليسوعية » ٣ً « ريحانة الاذهان » في سيرة مار لويس غنزاغا ومار استنسلاوس كوستكا · ٤ً « مظهر الصلاح » في سيرة القديس الفونس رودريكس · وهذه الكتب من تأليف الاب ده كوبيه اليسوعي · ٥ً « تاريخ لبنان » للاب مرتين اليسوعي · ٦ً « السفر العجيب الى بلاد الذهب » للاب ريغو اليسوعي · ٧ً « حبيس بحيرة قدس » للاب هنري لامنس اليسوعي · ٨ً « الرحلة السورية في اميركا المتوسطة والجنوبية » للاب لامنس ايضاً · ٩ً « علم الفلسفة » للاب طونجورجي اليسوعي (لم يطبع) · وعدا ذلك فانهُ تولى تصحيح بعض الكتب في « المطبعة الكاثوليكية » · وقد اعتمد عليه يوسف خطار غانم في مراجعة ما نشرهُ على صفحات « برنامج اخوية القديس مارون » من الفصول التاريخية

— « ١٩ » —



❊ الاب انطون صالحاني اليسوعي ❊

مدير جريدة « البشير » ورئيس تحريرها سابقاً

هو انطون بن عبدالله صالحاني وامهُ مريم بنت شحاده نعسان ينتمي الى أُسرة من اقدم عائلات الطائفة السريانية الكاثوليكية في سوريا ومصر · وُلد في ٦ آب ١٨٤٧ في دمشق واخذ مبادي، العلم في مدرسة طائفته ومدرسة الآباء اللعازريين · ولما بلغ السنة الثالثة عشرة من عمره قدحت في ٩ تموز ١٨٦٠ شرارة تلك الفتنة المشهورة التي ذهب فيها العدد الكبير من المسيحيين الدمشقيين ضحايا الظلم والاعتساف · وكان في جملتهم والد صاحب الترجمة الذي قتله الثائرون بعد ما انزلوا به كلّ انواع العذاب والاهانة

الاّ ان انطون نجا من القتل مع رفيقين له في المدرسة بعناية الهية · فصعدوا الى السطح واخذوا يقفزون من بيت الى بيت حتى بلغوا القلعة · فبقي هناك مع سائر اللاجئين اليها مدة اربعة اسابيع حتى جاء فوءاد باشا من القسطنطينية ووطد اركان الامن في المدينة واقتصَّ من الثائرين · ثم اخذ هذا الوزير بالاتفاق مع الروساء الروحيين يجمع شمل النصارى ويطيب نفوسهم بكلامه العذب

ويوزع عليهم الاحسانات بسخاء · وتولى بنفسه ملاحظة ايتامهم الذين جمعهم في امكنة مخصوصة وشملهم بالطافه

اما صاحب الترجمة فقد ارسله مطرانهُ حينئذٍ السيد يعقوب حلياني الى محلة «الميدان» في دمشق ثم الى بيروت وهو يجهل مصير والده الذي غدرت به يدٌ اثيمة · فدخل مدرسة الآباء اليسوعيين ثم انتقل منها الى مدرستهم في غزير حيث تلقى كلَّ العلوم الثانوية وشيئاً من الفلسفة · واحكم معرفة اللغات العربية والفرنسية واللاتينية وبعض المبادىء اليونانية · وكان يقضي اكثر ايام العطلة الصيفية في مدرسة الشرفة للسريان الكاثوليك حيث كان لا يضيع ساعةً واحدةً بلا مطالعة او عمل مفيد · وفي سنة ١٨٦٧ رافق الاب دي داماس (De Damas) رئيس اليسوعيين عندما افتقد اديرتهم في سوريا ولبنان وزار معه داود باشا متصرف الجبل في « بيت الدين »

ومنذ حداثته نزعت بهِ نفسه الى اتباع السيرة الرهبانية وطلب من اليسوعيين ان ينتظم في سلكهم · فاجابوا الى رغبته وارسلوه مع الاب عطاءالله قرئيه الى ديرهم في كلرمون (Clermont) بفرنسا · وكان دخوله في ٣١ آب ١٨٦٨ الى الدير المذكور حيث قضى سنتين يتمرَّن عَلَى السيرة الرهبانية وقوانينها

وفي ٨ ايلول ١٨٧٠ ادَّى النذور الرهبانية الثلاثة وهي العفة والطاعة والفقر · ثم ارسلهُ رؤساؤهُ الى دير (Sons Le Sonier) فلبث هناك مدة سنتين (١٨٧٠ — ١٨٧٢) يزيد تعمقاً في المعارف البيانية · وعَلَى اثرها قضى ثلاث سنين (١٨٧٣—١٨٧٥) في دير ڤلس (Valse) يدرس الفلسفة ونال شهادتها العالية · وفي سنتي ١٨٧٦ — ١٨٧٧ تولى التدريس في مدينة اڤينيون (Avignon) بكل نشاط · ومنها انتقل الى دير إكس (Aix) حيث تلقى علم اللاهوت مدة ثلاثة اعوام (١٨٧٨—١٨٨٠) احرز في نهايتها شهادة ملفان (دكتور) في العلم المذكور

وفي ٢٢ ايار ١٨٨٠ نال الدرجة الكهنوتية بوضع يد السيد فوركاد مطران إكس وعاد الى الوطن عَلَى اثر طرد اليسوعيين من فرنسا في السنة المذكورة · فلبث في بيروت عاماً واحداً (١٨٨١) ثم ذهب الى مصر فعلم فيها مدة اربع سنين (١٨٨٢—١٨٨٥) واحدة في الاسكندرية وثلاثاً في القاهرة · وفي اثناء ذلك جرت الثورة العرابية فتجند صاحب الترجمة لخدمة المنكوبين وتعزية المصابين اكتساباً للاجر · وفي سنة ١٨٨٥—١٨٨٦ سافر الى دير رهبانيته بالقرب من وندسور في انكلترا فقضى هناك سنة درس في خلالها اللغة الانكليزية

ثم عاد الى بيروت ولم يزايلها الاَّ مدة عشرة شهور من سنة ١٨٩٤ قضاها في الارشاد وخدمة النفوس في مدينة حمص · وفي شهر ايار ١٨٩٣ حجَّ الى الاماكن المقدسة وشهد المجمع القرباني الذي التأم في اورشليم برئاسة الكردينال لنجينو رئيس اساقفة رمس وحضور عدد كبير من بطاركة

الطوائف الشرقية واحبارها. ومن اخباره في بيروت انهُ تولى فيها اولا تدريس صفّ الخطابة وادارة المدارس العربية في كلية القديس يوسف. ثم عُهد اليه بادارة المدارس المجانية التي أنشأها اليسوعيون في بيروت وضواحيها للذكور والأناث. وتعين مرشداً لرهبانية «اخوات القلبين الأقدسين» مدة طويلة

وتولى مرّتين ادارة جريدة «البشير» ورئاسة تحريرها (١٨٩١—١٨٩٣) و (١٨٩٥—١٨٩٩) فأظهر من الجرأة والاقدام والثبات في خدمة الصحافة ما لم يقدم عليه سواه من الصحافيين العثمانيين في عهد الاستبداد. وكانت المراقبة على المطبوعات حينئذٍ في ابان اشتدادها اذ كان يدير شؤونها حسن فائز الجابي وعبدالله افندي اللذان تركا في قلوب حملة الاقلام تذكاراً سيئاً. فانهما حملا على «البشير» واصحابه حملةً شديدة لا يصبر على احتمالها الأ من كان كصاحب الترجمة جسوراً مقداماً مشهوداً له بالحزم وصدق المبادىء. فكان المراقبان المذكوران مع شدة ضغطهما على الصحف المحلية عموماً يتساهلان احياناً مع بعضها في نشر مقالات لا يسمحان للبشير بنشرها في الوقت نفسهِ. وقد اتصل بهما التحيز الى غض النظر عن تلك الصحف ان تطعن في البشير بلا حقٍ والى منع البشير من الدفاع عن نفسه ولو كان الحق بجانبه. فكان صاحب الترجمة يحتمل كل ذلك ويلجأ الى نفوذ قنصلية فرنسا وانصاف الولاة كاسمعيل كمال بك (الزعيم الالباني المشهور) وعزيز باشا وخالد بك ونصوحي بك الذين كانوا يعلمون فضلهُ ويساعدونهُ على تخفيف وطأة المراقبين عن الجريدة

وحدث مرّةً ان حسن فائز الجابي منع «البشير» من نشر رسالة حبرية أذاعها البابا لاون الثالث عشر وهي تحتوي على نصائح مفيدة ليس فيها شيء من السياسة كسائر الرسائل البابوية. فأبان لهُ الأب انطون صالحاني خطأهُ ومعاملتهُ المخالفة للقانون وحرّية الاديان في السلطنة. ولما لم تنجح مساعيه بالوسائل المعقولة نشر الرسالة البابوية في الجريدة ووزّعها غير مبالٍ بالمنع المذكور. فاصدر المراقب امراً بتعطيل الجريدة أوجب استياء كل عاقلٍ من تلك المعاملة الظالمة. وللحال سافر الاب كلير رئيس اليسوعيين مع صاحب الترجمة الى القسطنطينية وهناك قدّما تقريراً بواقع الحال الى المسيو كمبون سفير فرنسا ورضا باشا وزير العدلية ويوسف بهجت بك مدير مطبوعات السلطنة. وفي الوقت نفسهِ ارسل البابا على يد وزيره الكردينال رمبلا يحتجُّ لدى «الباب العالي» على تلك المعاملة التي تمس حرية الاديان. فما كان من السلطان الأ ان اصدر امراً باعادة نشر «البشير» وعدم التعرّض لكتاباته

والأب انطون صالحاني رجل نشيط لا يأخذهُ الملل في جميع ما يُعهد اليهِ من الاشغال مهما كانت شاقة. وهو عصبيُّ المزاج نحيف الجسم قليل الطعام كثير الاجتهاد يصبر على التعب ولو

كان مصاباً باعظم الاوجاع . وقد خدم المعارف العربية خدمة كبيرة بما نشره من التآليف القديمة التي علق عليها الشروح الوافية وهي : (١) كتاب « تاريخ مختصر الدول » لابن العبري . (٢) كتاب « الف ليلة وليلة » في خمسة اجزاء . (٣) كتاب « طرائف وفكاهات في اربع حكايات » . (٤) كتاب « رنّات المثالث والمثاني في روايات الأغاني » في جزئين . (٥) ديوان « شعر الأخطل » في خمسة اجزاء وقد اعاد طبعهُ

والف كتباً ومقالات في مواضيع مختلفة نذكر منها : (١) نبذة عنوانها « التوفيق بين السنين المسيحية والهجرية » وجعلها جدولاً في مقابلة السنين الهجرية بما يوافقها من السنين المسيحية منذ ابتداء تاريخ الهجرة سنة ٦٢٢ الى سنة ١٩٠٢ لتاريخ المسيح . (٢) نبذة عنوانها « ردّ على منشور بطريرك الروم القسطنطيني فيما يتعلق بعقيدة الحبل بلا دنس » . (٣) رسالة سماها « الطلاق عند المسيحيين » . (٤) رسالة « إيضاح مسألة في المعاد » . (٥) مقالة « قبل الولادة وبعد الموت » ردّ فيها على مجلة المقتطف . (٦) رسالة في « الخمير والفطير » . (٧) مقالة سماها « نقائض جرير والفرزدق » وغير ذلك مما نشره على صفحات مجلة « المشرق » او لم يزل باقياً بلا طبع

— « ٢٠ » —

﴿ سليمان البستاني ﴾

احد المحررين في مجلة « الجنان » وجريدتي « الجنة » و « الجنينة » في بيروت ومنشىء مجلة « شيكاغو » التركية في شيكاغو باميركا الشمالية

(نشأته)

هو سليمان بن خطار بن سلوم شقيق المطران بطرس بن نادر شقيق المطران عبدالله البستاني . وُلد في ٢٢ ايار سنة ١٨٥٦ في « بكشتين » احدى قرى اقليم الخروب التابع قضاء الشوف في لبنان . وتلقى مبادىء العربية والسريانية من عمّ جده المطران عبدالله اذ كان مقيماً مع عائلة خطار حفيد اخيه نادر . وفي السابعة من عمره دخل المدرسة الوطنية في بيروت لنسيبه المعلم بطرس وبقي فيها ثماني سنوات مجداً في التحصيل ممتازاً بحسن الصفات . وقد مثل مرَّة دور « منتور » في رواية « تلماك » بمهارة يندر ان ياتي بمثلها من كان في سنه . وهذه الرواية لاحد معلمي المدرسة الوطنية الشاعر سعدالله البستاني مؤلف بعض الروايات والمحرّر في « الجنان » و « الجنة » و « الجنينة » . وقد ورد رسمهُ في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ١٣٦

وكانت ذاكرة سليمان قوية فساعدته على التوسع بالمعارف والتمكن من حفظ المعاني حتى اذا

احتاج الى شيء منها تذكرها دون ان يبحث عنها · وقد سرد مرةً « عَلَى الغيب » كانه يقرأ في كتاب نشيداً ونصف نشيد من نشائد ملتن الشاعر الانكليزي في « فردوسهِ المفقود » مع قسم وافر من قصيدة « سيدة البحار » لولتر سكوت كاتب الانكليز الروائي · واستظهر الفية ابن مالك وانشد بناء عَلَى طلب رئيس المدرسة في حفلة عمومية مئتي بيت منها ولم يتلعثم

ومكث يتعاطى التعليم حيث تعلم ويحرر في « الجنة » و« الجنان » وتولى تحرير « الجنينة » وساعد في تاليف « دائرة المعارف » وانتظم في جمعية « زهرة الآداب » وترأسها مرتين

وجاهد في سبيل النهضة الادبية وعدَّ من موسسيها في سوريا يوم لم يكن يهتم بهذا الامر الا القليل النادر من بني البلاد · وفي السنّ الذي ينصرف فيه المرء الى اللهو والتمتع بالملذات الجسدية كان سليمان البستاني منصرفاً الى ترقية نفسه وتهذيبها بل الى زيادة معارفه وتوفير آدابه · ولم يكتف بشهادة المدرسة النهائية ولا بمهنة محرر ولقب اديب · بل عكف عَلَى الدرس والتبحر والاستفادة عارفاً بان العمر مهما طال اقصر من استيعاب مطامع الانسان وشاعراً بان الشباب حريٌ بهذا الجهاد

(في العراق)

فبعد صيتهُ وامتدت شهرتهُ الى العراق فدعاه وجهاء البصرة بزعامة قاسم باشا زهير لانشاء مدرسة ونشر جريدة · فذهب اليها وهو لم يتجاوز العشرين من عمره · فانشأ مدرسة ادارها سنة ثم تركها لغيره واشتغل في التجارة · وقد دعاه اليها ما رآه فيها من بواعث الاسفار مما ينيله بغية استطلاع احوال بلاد يرغب في درسها · واتخذ بغداد مقراً له وتعين عضواً في محكمتها التجارية ومديراً لبواخر عمان بينها و بين البصرة

وهذه البواخر تخص الحكومة وقد اصلح ادارتها مدحت باشا موسس اول مطبعة واول جريدة في العراق · وانشأ معملاً للحديد كبيراً الحقه بها اذ كان والياً لبغداد · ولكنها ما برحت ان ساءت احوالها وتقهقرت وانحطت بعد ذهاب مدحت وتمادى فيها الخلل وعمها التشويش · فانتهبت ورزحت عاجزة تحت اثقال الديون الى ان تولى البصرة ثابت باشا · ففاوض العاصمة بامرها ففوضوه باصلاحها و بالاتفاق مع مجلس ادارة الولاية بعد البحث الطويل عينوا البستاني مديراً لها وسلموه زمامها · وعهدوا اليه ايضاً بادارة المعمل واطلقوا يده في التصرف الداخلي والعزل والتنصيب · فاشتغل ثلاثة اشهر فقط فرتب الاشغال واحسن اختيار العمال واقتصد بالنفقات واخلص بالعمل · فاصلحها ووفى الديون وجمع الوف الليرات ارباحاً

واقام في العراق ثمانية اعوام ساح في خلالها مرات في بلاد العرب والعجم والهند سياحات علمية مكنته من تثبت احوال تلك البلاد · وسار اياماً في البادية ممتطياً الابل حيث لا بشر ولا ظلّ ·

وزار «الرقمتين» وجميع الاماكن المشهورة ودرس القبائل وعاداتها وفهم اخلاقها واساليب حياتها. واحصاها بسبعة ملايين بدويًا احصاء دقيقًا لم يسبق اليهِ ولافاقهُ احد فيهِ مبتدئًا بهِ من سوريا فالعراق فاطراف الاناضول فنجد والحجاز واليمن وعمان وحضرموت وغيرها. والف من اخبارها كتابًا كبيرًا يثبت ان المؤلف من ادق الباحثين ومن اصدقهم رواية واقوامهم حجة. وجمع من مرويات اهلها قصائد شتى في ديوان كبير وعد بتخييل منتخباته للطبع مذ اصدر الالياذة وحالت اشغاله دون طبعه. واليهِ ينسب اكتشاف قبيلة عربية ما دوّن اسمها في كتاب بعد ولم يعلم بها عالم قبله

(في الاستانة)

وجاء بيروت فاشتغل في «دائرة المعارف» وكان نسيبهُ سليم احد مؤلفيها قد شرع في ترجمتها الى اللغة التركية. وعهد بذلك الى لجنة من خيرة كتاب الترك برئاسة خلقي افندي رئيس المكتب السلطاني فانجزت منها نحو مجلدين وتوفي سليم قبل مباشرة الطبع. فعزم سليمان واخوة الفقيد على اتمام العمل فسافر الى الاستانة يستأذن وزارة المعارف بذلك. فاتصل بكامل باشا وكان يومئذ وزير الاوقاف وبسعيد باشا الصدر الاعظم وغيرهما من الوزراء كجودت وصبحي. وظل يتردد على الوزارة ثلاثة اشهر وهي تماطله الى ان علم الصدر الاعظم بذلك باشارة كامل فقال له: «لو خطر لي انك لقيت هذه المماطلة لاغنيتك من تلقاء نفسي عن هذا العناء. فاذهب الآن مطمئنًا وعد اليّ بعد ثلاثة ايام». وفي اليوم التالي فاز بالاذن وصارت الرخصة بيده فزار سعيد باشا في اليوم الثالث ليشكره لا ليشكو اليهِ. غير ان اشتداد المراقبة والضغط على المطبوعات بعدئذٍ واسبابًا غيرها معها آلت الى اهمال المشروع فبقي طيّ الخفاء

وما طال غياب البستاني كثيرًا عن بغداد بل عاد اليها وتزوج كلدانيةً غنية هي ابنة المثري انطون البغدادي. ولكنه لم يبق في الزوراء اكثر من عامين اذ رجع الى الاستانة وصرف فيها سبعة اعوام غادرها في اثنائها الى اميركا لتولي ادارة القسم العثماني في معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣. وانشأ مجلة تركية مدة المعرض باسم «شيكاغو» هي اول وآخر صحيفة تركية اميركية بل هي الوحيدة التي لن يماثلها غيرها ابد الدهر بالارادة سنية. حتى احرفها نالت نصيبًا من سوء السياسة وسخافة الاوهام اذ اشترتها سفارة تركيا بعد توقف المجلة لئلا يستخدمها حرٌ في نقد سياسة الدولة. وكان نصيب منشئها الخسارة لانه لم يملق الباب العالي ولا اطرأ المابين الهمايوني كما أُشير عليه. وبعد رجوعه سأله جواد باشا الصدر الاعظم بعض نسخ منها فارسلها اليه وكتب في صدرها هذه الابيات

هذي صحيفتيَ التي سوَّدتها — بدم الفؤاد وقد شططت مزارا
اعظمت قدر كولمبوس فتبعتهُ — بِشقةٍ فيها شققت بحارا
ولقيت ما لاقاهُ من اهل النهى — فكفى بذا اهل النهى تذكارا

ومن اشغاله في الاستانة سعيه لدى وزارة النافعة لاصلاح الري في العراق وعمله تقريراً مسهباً بذلك ضمنه معلوماته الواسعة عن تلك الارجاء الخصبة . فكان اول من كتب رسمياً بهذا الشان وقد طلب الترخيص بارواء بغداد وضواحيها بالرافعات البخارية فصمّت مفاسدُ الدولة آذان الوزارة

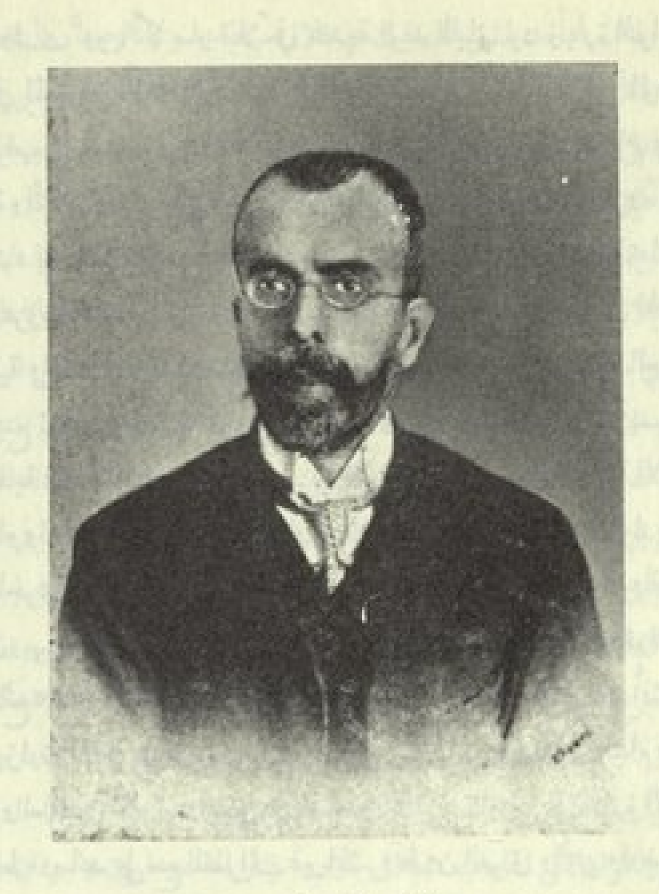
ومما شاهده فيها من فظائع الاستبداد مذبحة الارمن عام ١٨٩٦ شهدها من اولها الى آخرها بما فيها من الهول المرعب . وكان مقيماً في « فنار باغجه » مجاوراً لفوءاد باشا منفي الشام المعروف بلقب « الدلي فوءاد » فرآه صاحب الترجمة بعينه يطوف الشوارع بين الرعاع مسلحاً جريئاً ناهياً عن سفك الدم واعظاً منذراً متلطفاً متهدداً يوءمن الخائف و يرعب الخائن

(في مصر)

واقام البستاني بعد ذلك في مصر الى سنة ١٩٠٨ يضارب بالاسهم والاطيان و يشتغل بالمعارف والآداب . فاصدر فيها سنة ١٩٠٤ « الالياذة » الشهيرة وسياتي وصفها في الصفحات التالية . ونشر بالاشتراك مع نسيبيه نجيب ونسيب البستاني الجزئين العاشر والحادي عشر من دائرة المعارف . والف كتابه « عبرة وذكرى » على اثر الانقلاب العثماني واصدره بسرعة أعجب الناس بها . وترأس « جمعية الكتاب » وانتخب عضواً في عمدة « الجامعة المصرية » ونال من حفاوة العظماء ماهو جدير بـه . ولما صدرت الياذتهُ احتفى به اعاظم المصريين والسوريين احتفاء شائقاً في نزل « شبرد » في القاهرة في ١٤ حزيران من تلك السنة . فخطب في الاحتفال اعاظم علمائهم وكان لذلك تاثير جميل رأى كاتب هذه السطور ان يردد صداه عاملاً في بيروت باحتفال مثله عند ماجاءها سليمان . فما استطاع لضغط المراقبة واستبداد الحكومة وعبثاً كان اقتراحه ذلك في جريدة لبنان . وقد جمع نجيب متري صاحب « مطبعة المعارف » في مصر كل ماقالتهُ الجرائد في الالياذة وما قيل في ذاك الاحتفال بكتاب على حدة نشره بياناً لما نالتهُ من الاهمية عند العلماء

وكان يأتي لبنان في الصيف وقد شيّد للتصييف منزلاً كبيراً في مسقط رأسه « بكشتين » . وكثيراً ما جال في اوربا واميركا باحثاً منقباً يدرس التمدن الحديث مباشرة و يقتبس معارف الافرنج وآدابهم حساً ومعنى . وما زال متمصراً الى حين اعلان الدستور اذ غادر مصر عائداً الينا فانتخبناه نائباً عنا في مجلس المبعوثان . وقد كتبتُ حينئذٍ مقالة كبيرة بهذا الشأن في جريدة لسان الحال في ١٣ تشرين الاول سنة ١٩٠٨ . ولما تمّ انتخابهُ نظمت فيه نسيبتي السيدة ورده اليازجي نزيلة الاسكندرية هذين البيتين وقالتهما في وداعه :

اخلق ببيروت دار العلم من قدمٍ	ان تصطفيك على الايام معوانا
فالله لما ارتأى اعلان حكمتهِ	ما اختار من شعبه الا سليمانا



سليمان البستاني

(في المبعوثان والاعيان)

ومذ تعين مبعوثاً سكن الاستانة ولا يزال ساكناً فيها. وقد انتخبه المبعوثان رئيساً ثانياً للمجلس سنة ١٩١٠ وأوفدته الدولة الى اوربا مرات بصفة رسمية ورأسته بعض الوفود. فزار العواصم الكبرى توثيقاً لعرى الولاء بين الدولة والدول وحلاً للمشاكل المهمة. وقابل ملك الانكليز ورئيس جمهورية فرنسا وغيرها من اعاظم السياسيين وكان خطيب الوفد ومجلي محامده. وقد خطب في حضرة الملك ادوار وفي الحفلة السنوية لجامعة اكسفرد اذ انتدبته عمدتها ليكون خطيباً لها. واذ أعجب الاوروبيون به تناقلوا رسمه بجرائدهم ونشروا سيرته في انسكلوبيدياتهم. وعندما همَّ عبد الحميد بالفتك بالاتحاديين بفتنة نيسان المشهورة عام ١٩٠٩ بقي البستاني في العاصمة الى التئام الجمعية العمومية في «سان استفانو» فحضر الاجتماع وقرَّر مع المجتمعين خلع السلطان. ولما جاء وفد مسلمي الهند لاستطلاع اسباب الخلع اقنعهم بصحته ولزومه. وحالما ارتقى الى عرش آل عثمان السلطان محمد رشاد صار سليمان في طليعة

معلني ذلك الى دول اوربا كما سار قبلاً في مقدمة الوفد النيابي لرد زيارة النواب الاوربيين

ومن مآثره في المبعوثان تأليفه اللجنة النيابية الدولية للتعارف وتأييد علائق الوداد بين المجلس وبقية مجالس النواب في العالم . ولجنة التحكيم الدولي العثمانية لازالة سوء التفاهم في المشاكل التي تحصل بين الدولة والدول وفضها بالتي احسن . ودعمها بجمعية مرتبطة بها تمد فروعاً لها في الولايات تحكيماً لعرى الاخاء بين العثمانيين على اختلاف عناصرهم . وهذه قد صدَّق عليها مجلسا المبعوثان والاعيان وتلك عززها البستاني بترأسه لها كما ايّد لجنة الاعمال الخارجية في المجلس . وهو قد عضد اللغة العربية وايدها في المحاكم ومدارس الحكومة وبقية الدوائر في بلاد العرب . واستصدر الاوامر الرسمية بمنع توظيف جاهليها في هذه البلاد . ومنع غير ابنائها من تدريسها في المدارس الاعدادية والرشدية والسلطانية وارجاع من عزلوا من وظائفهم اليها لجهلهم لغة الاتراك . ونقض الامر بمنع الاطباء والصيادلة المتخرجين في المدارس الاجنبية من الاستخدام في البلديات ومستشفياتها واهتم بمواطنيه مهاجري سوريا فالف لجنة رسمية للنظر في امورهم . وسعى فانشأت الدولة بسعيه قنصليات لها حيث يكثرون وبهمته قرر المبعوثان النفقات اللازمة لذلك . وجاهد لصيانة حقوقنا نحن البيروتيين في «مكتب الصنائع» فمنع الحكومة من الاستيلاء عليه . وبما ان هذا المكتب قد أنشئ بمالنا فحفظهُ سالماً لنا . وحمل وزارة النافعة على تقرير اصلاح طريق المركبات من هنا الى الشام . واعتنى بالتوفيق بين الاكليروس والعلمانيين الارثوذكسيين في فلسطين عند ما تنازعوا على ادارة الاوقاف وتاليف المجلس الملي المختلط . وساعد على منع الضرائب غير المشروعة من العراق واليمن واوضح احوال بعض العشائر البدوية لتتحسن معاملتها الرسمية . ونفى التهم الموجهة الى جرائد السوريين انَّ في المهجر او في الوطن . وحاول ازالة سوء التفاهم بين الترك والعرب والتقريب بين قلوب العنصرين ورغب في وفاقهما حباً بمصلحة الدولة كما انهُ كان صلة خير بين جميع العناصر . وقد دافع عن سمعة الامة دفاعاً مجيداً في صحف الفرنسيس والانكليز واقنع الاوروبيين وغيرهم بموافقة الدستور لشرع الاسلام وان هذا لا ينافي ذاك ان فهمت اصوله

ولم يطل اجل النيابة على سليمان اذ انتخبهُ جلالة السلطان عضواً في مجلس الاعيان . وكان ولا يزال لجلالتهِ نظر عليهِ يستحقه فضله وقد قابله مراراً وأناله منهُ التفاتاً سنياً . والصدور العظام قد عرضوا عليهِ تولي بعض الوزارات اكثر من مرة فلم يرضَ بها . وله في هذا المجلس مآثر عظيمة وهو ما فتأ يشتغل لخير البلاد وفي كل يوم له مأثرة

(علومه وآدابه)

على ان شهرة البستاني السياسية لم تكن شيئاً بجانب شهرته العلمية . ومجده الادبي فاق مجده السياسي . وهو متحف اللغة العربية بالياذة هوميروس وكفاه بهذه ذكراً خالداً . وقد عرَّبها عن

اليونانية شعرًا ونظمها باحد عشر الف بيت في خلال سبعة عشر عامًا وصدّرها بمقدمة فضلها بعضهم عليها. وشرحها ونظم بعضها باسلوب جديد بعد ان طالع ترجماتها الى اللغات الفرنسية والانكليزية والايطالية. ودرس لاجلها لغة اليونان القديمة وتمكن منها تمكنه من سبع لغات غيرها عدا المامه بخمس فجاءت تحفة مبتكرة اصحّ منها في جميع اللغات المترجمة اليها. وبلغ عدد صفحاتها الفًا ومئتين وستين صفحة

والالياذة اربعة وعشرون نشيدًا تتألف من زهاء ستة عشر الف بيت نظمها هوميرس الشاعر اليوناني من نحو ثلاثة آلاف سنة في وصف حادثة مفادها: انهُ كان في جملة السبايا التي غنمها اليونانيون من الترواديين في حرب ترواداً الشهيرة فتاةٌ جميلة وقعت في سهم «اخيل» بطل اليونان فانتزعها منهُ اغاممنون زعيمهم الاكبر. فعظم الامر على الاول وكاد يبطش بالثاني لولا نزول اثينا إلاهة الحكمة من السماء ومنعها له قسرًا. فانكفأ عنهُ واعتزل القتال هو ورجاله. فاشتد لاعتزاله الترواديون ونكلوا باعدائهم منتصرين عليهم في مواقع عديدة. ولما ضايقوهم استعانوا باخيل وهو في عزلته يتلهب غيظًا فردّ وفودهم خائبين. واذ تواصلت انكسارات قومه واشرفوا على الانحدار التام اجاز لصديقه فترقل بناء على الحاحه الشديد بان ينجدهم برجاله. ففعل وكاد يغلب الاعداء لو لم يُقتل. ولما علم اخيل بمصرعه التاع فؤاده واسرع ليثأر له فصالح اغاممنون وخاض المعامع فانتصر وقتل هكتور زعيم التروادة وشتت شملهم. وكان سبب هذه الحرب ان فاريس بن فريام ملك ترواداً وفد برسالة الى اسبرطة ونزل ضيفًا في بيت ملكها منيلاوس. وكان هذا غائبًا عن عاصمتهم وله زوجة جميلة تسمى هيلانة فاحبها فاريس واغراها على الذهاب معهُ الى بلاده. فثار الاسبرطيون واليونان يحاولون استرجاعها بالسلم فخابوا فحاربوا الترواديين حربًا هائلة وحاصروا عاصمتهم «اليون» عشر سنين الى ان فتحوها ودمروها وعادوا بمن كانت السبب الى زوجها

وقد تخلل موضوع «الالياذة» حوادث عملية دينية وصفها الشاعر مع جغرافية محلاتها وجميع العلوم التي كان لها اتصال بها كالسياسة والدين والطب والفلك والصنائع وسائر الفنون الجميلة مما جعلها دائرة معارف عصرها. وانالها من الاهمية ما جعل اليونان يتناقلونها من القرن العاشر قبل المسيح ويتناشدونها في كل مكان. وحسب هوميرس منها ان عدُّوه لاجلها في مصاف الالهة وسكُّوا النقود باسمه ورسمه وشيدوا له الهياكل كإله وعبدوه فيها

اما تعريب «الالياذة» فقد صدَّره البستاني بمقدمة نفيسة اورد فيها سيرة ناظمها وبيان منظوماته ومنزلته عند القدماء ورأي المتأخرين فيه واقوال العرب في شعره. وبحث في الياذته وموضوعها وطرق تناقلها قبل الكتابة ثم في جمعها وكتابتها وسلامتها من التحريف مع ما فيها من قليل الدخيل والساقط والمكرر والمغلق. واتى على تحليلها وتشريحها وبسط فوائدها للادب والتاريخ وسائر العلوم والفنون والصنائع. واوضح الاسباب الداعية الى اغفال العرب نقلها الى لغتهم في صدر الاسلام.

وروى كيف عرّبها وذكر مناهج العرب في نقل الكتب الاعجمية وما يجب ان يعوّل عليه من اساليبها. وقارن بين الالياذة والشعر العربي واسهب في ذلك اسهاباً كلياً مع المقابلة بين اليونان والعرب. ووصف آدابهم واشعارهم وكلما له تعلق بهذا الموضوع وشرحها باسهاب شرحاً مفكهاً مفيداً رصعه بزهاء الف بيت عربي في مثل معاني الالياذة وحوادثها لنحو مئتي شاعر. ومثّل المتن الشعري بالشكل الكامل وزين الشرح بالرسوم واضاف فهرساً مستوفياً لكل محتويات الكتاب ومعجماً لغوياً تاريخياً

وسلك في النظم مسالك جديدة منها «المثنى» تبنى قصيدتهُ على قافية يرجع اليها في كل بيتين مرّة. وعروض البيت الثاني فيه مطلقة من القافية على نحو ما اصطلح عليه المتأخرون في «الرباعي» او «الدوبيت الاعرج» ومثاله:

لو تربصت والعجاج استطارا ... ونجيع الدماء سال وفارا
وتبصرت بابن تيذيس لم ... تدرِ ايّ الجيشين منهُ اغارا
مستشيطاً ينقضُّ فوق الاعادي ... ينهب السهل بين عافٍ وغادٍ
كخليج يضيق بالسيل مجرا ... هُ فيستأصل الجسور الكبارا

والمربع ومثاله:

كسا الفجر وجه الارض ثوباً مزعفرا ... وزفس ابو الاهوال في ارفع الذرى
علَى قمة الاولمب تصغي مهابة ... لمنطقه الارباب ألفَ محضرا
فقال: ليعلمْ كل ربٍ وربةٍ ... بما اليوم في صدري فؤادي اضمرا
فلا ينبذنَّ الامر عاصٍ بل اذعنوا ... لانفذ ما أبرمت امراً مقدَّرا

***

لنصرة اي القوم مَن يجر منكم ... يأوبنَّ منكوباً يخضبهُ الدمُ
والا فمن شمّ الاولمب براحتي ... الى ظلمات الدهم يلقى ويرجمُ
الى حيث ابواب الحديد قد استوت ... علَى عتب الفولاذ والقعر مظلمُ
الى هوةٍ بين الجحيم وبينها ... مجالٌ كاقصى الجو عن اسفل الثرى

والمخمس او المربع المسمط ومثاله:

قضيض الجيش مذ ذعرا ... هزيماً كالظبا نفرا
الى اليون حيث هنا ... ك خلف حصاره انحصرا
يجفف في ظلال قلا ... عه عرقاً به سبحت
كتائبهُ ويروي غـ ... لةً فيها قد استعرا

وراءهم الاخاءة والجوا نُ في عواتقهم
جروٌ لكن هكتوراً تر ص يرقب القدرا
لدى ابواب اسكيا قضاء الشوءم مثبطه
وبابن اياك آفلون احدق يصدق الخبرا

والموشح المثمن ومثاله :

سار هكتور حثيثاً وأتى باب اسكيَة والزان ظليل

**

فتلقته نساء وبنات منهُ علماً تتقصى سائلات
عن بنيهنَّ واخوات ثقات
وبعول واخلا فامر ان يبادرن عَلَى ذاك الاثر
ويصلين لارباب البشر
علها ترفع عنهنَّ الاذى ولزاهي قصر فريام مضى
هوصرح شيدبانحت الجميل فوق ابواب رواق مستطيل

**

ضمنه صف بديع المنظرِ غرف قد بنيت بالمرمرِ
كلها خمسون ملس الحجرِ
لبني فريام شيدت مضجعا وثوت ازواجهم فيها معا
ويحاذيهنَّ صف رفعا
فيهِ بالايناس والرغد ثوى مع كل ابنةِ الصهر الخليل

وتصريع المتقارب ومثاله :

خلت ساحة الحرب من كل ربِّ فعج العجاج بطعنٍ وضربِ
فمن سمويس الى زنثسٍ قراع السيوف ومد القسي

هذه امثلة وجيزة مما احدثه البستاني في نظم الالياذة نكتفي بها للدلالة عَلَى شيء منها عدا وصفها وشرح مقدمتها بياناً لما حوته من الفوائد والمستحدثات . ولذلك لا غرو اذا حسبنا الياذته تحفة يحق للغة العربية ان تفاخر فيها

وهو قد نظم ايضاً نحو خمسة الاف بيت شعر لم يحفظ عنده منها الاَّ ما اقتصر عَلَى وصف الحوادث وفلسفة الاخلاق . ومن نظمه هذان البيتان عرَّبهما عن الفارسية :

قضيت الهي بالعذاب ويا ترى باي مكان بالعذاب تدينُ

فليس عذابٌ حيثما انت كائنٌ ... وايُّ مكانٍ لست فيه تكونُ

وبيتان ايضاً عرَّبهما عنها في المعنى الآتي:

وحقك ادركت شفقي روحي ... ومن شفتيك تنتظر الافاده

فديتك عجّلي بالامر واقضي ... بموت اليأس أوعيش السعاده

ومن نظمه ايضاً :

انا ما انا امسي ويومي وفي غدي ... سواء توالى الخير او عظم الشرُّ

أحب محبي نابذاً حاسدي الذي ... قلاني كما لو كان قد ضمهُ القبرُ

ومن تواريخه الشعرية ماقاله في تهنئة صديقه يورغاكي افندي اليان احد وجهاء حلب الاماثل عند ما نال الرتبة المتمايزة :

لازالت الشهباء اكرم موطنٍ ... فيها المناقب بالمناصب فائزه

وبآل إليانٍ تعزُّ شؤونها ... فلكم بهم غرُّ المآثر بارزه

ولكم ليورغاكي بها فضلٌ سمى ... لحباه مولى الملك افخر جائزه

واحتلَّ منصب عزةٍ تاريخهُ ... قد نال اصدق رتبةٍ متمايزه

سنة ١٨٨٥

ومنها تاريخ لاحد جوامع البصرة نظمهُ باقتراح قاسم باشا زهير ونال عليه جائزة فنقشوه على باب الجامع اثراً خالداً . ومن مؤلفاته تاريخ مطول للعرب في الفي صفحة لم يطبعهُ بعد . وقد كتب سياحاته لحين اعلان الدستور في نحو الف صفحة . وله مقالات عديدة في الجرائد والمجلات الافرنجية اخصها الفرنسية والانكليزية . ومع تعمقه بالعلوم والآداب اتقن درس لغات العرب والترك واليونان والفرس والسريان والفرنسيس والانكليز والايطاليان وألمَّ باللاتينية والعبرية والهندية والالمانية والروسية . وعدَّ اعرف سوري بعادات واخلاق الشرقيين والغربيين

ومع كل ما فعله من عظيم الاعمال لم يتخذ رتبة ولا لقباً حتى ولا وساماً . بل كثيراً ما كان يرفض مايعرض عليه منها . ومع تباعده عن امجاد العالم وتجنبه التظاهر والمباهاة ما بلغ مكاناً يعرف فيه قدر العلم وقيمة الفضل الا فاح طيبه كالعنبر فاحتُفي به واحترم . ولا شبهة عندي بان اخلاقهُ مبعث الاحترام له فضلاً عن معارفهِ الغزيرة التي ندر ان يستجمعها رأس واحد . واخلاق البستاني من اشرف اخلاق الناس واسماها

(جرجي نقولا باز)

— « ٢١ » —



﴿ نجيب البستاني ﴾

صاحب الامتياز الثالث لمجلة « الجنان » وجريدة « الجنة »

هو ثالث انجال المعلم بطرس بن بولس بن عبدالله بن كرم بن شديد ابن ابي شديد بن محفوظ ابن ابي محفوظ البستاني وُلد في ٧ كانون الاول ١٨٦٢ في بيروت . فدخل اولاً المدرسة الوطنية التي اسسها والده ثم الكلية الاميركية · فأتقن العلوم العقلية والنقلية ودرس اللغات العربية

والتركية والفرنسية والانكليزية واللاتينية · وسنة ١٨٧٨ عيّنهُ ابوه مساعداً له في تأليف كتاب « دائرة المعارف » وكان العمل جارياً حينئذٍ في المجلد السادس منها · فكان في جملة ما أنشأه مقالة ضافية عن روسيا أجازه عليها القيصر بعد ذلك بوسام القديس استانسلاس من الطبقة الثالثة · ولما ادركت الوفاة المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٨٣ ثم سليم البستاني سنة ١٨٨٤ خلفهما في امتياز جريدتي الجنان والجنة · وحرَّرهما مدة سنتين واودعها المقالات السياسية والادبية والتاريخية والروايات · و بعد احتجابهما تفرَّغ لتأليف « دائرة المعارف » بمساعدة اخويهِ امين ونسيب وابن عمهم سليمان فاصدروا المجلد التاسع · ثم اتفق ورثة ابيهِ عَلَى ان ينيطوا بهِ اتمام هذا المشروع العظيم فكتبوا له العقود الرسمية وحوَّلوا الى اسمه حقوق اشتراك الحكومة المصرية في الكتاب المذكور · وفي السنة ١٨٨٦ استقدمهُ رياض باشا الى مصر للنظر في بعض شؤُون دائرة المعارف · فحظي مراراً بمقابلة توفيق الاول خديو مصر الذي شمله بالتفاته ووعده بالعطف عَلَى مشروع « دائرة المعارف » شداً لازره في تأليفهِ ونشره

وسنة ١٨٩٣ اشترك مع بعض ابناء سوريا في تاليف شركة لتمثيل العادات الشرقية في « معرض شيكاغو » العام · وفي السنة التابعة سافر الى مصر فنال شرف المثول لدى خديويها عباس الثاني · و بعد عودته الى سوريا تعين عضواً مخبرياً في دائرتي الحقوق والجزاء في بيروت وعضواً عاملا في مجلس المعارف فأقام في هذه الوظيفة سنة كاملة

وسنة ١٨٩٥ انتدبهُ نعوم باشا حاكم جبل لبنان لرئاسة محكمة المتن فخدمها ستَّ سنين بالنزاهة المشهورة عن آل بستاني · وفي تلك الاثناء اتفق صاحب الترجمة واخوه نسيب مع ابن عمهما سليمان على نشر كتاب دائرة المعارف في مصر لما كان يحول دون ذلك من العثرات في الدولة العثمانية · فسافر نسيب مصحوباً بمكتبة الدائرة الى مدينة القاهرة حيث جرى فيها إتمام وطبع الجزئين العاشر والحادي عشر

وسنة ١٩٠٠ تولى نجيب وظيفة المدعي العمومي الاستئنافي في مركز متصرفية لبنان · فقضى فيها خمس سنين ونالت لعهده شأناً كبيراً في القضاء بحكومة الجبل المذكور · وسنة ١٩٠٥ استقال منها وسافر الى وادي النيل لمزاولة فن المحاماة · فتولى رئاسة قلم القضايا في عدة شركات بلجيكية وقيدته محكمة الاستئناف المختلطة في عداد المحامين لديها

ولما ارتقى السلطان محمد الخامس الى عرش الخلافة سنة ١٩٠٩ الف المسيحيون العثمانيون المقيمون في مصر وفداً من الاعيان ينوب عنهم في تهنئة جلالته · فكان صاحب الترجمة في جملة اعضائهِ ونال معهم شرف المثول والرعاية لدى الخليفة الاعظم · وعدا وسام « القديس استانسلاس » المارّ ذكرهُ فقد احرز المترجم وسام « القديس غريغوريوس الكبير » من البابا لاون الثالث عشر · وحاز

على « الرتبة المتمايزة » والوسامين « العثماني الثالث » و « المجيدي الرابع » من الحضرة السلطانية . وعين عضواً في « الجمعية الاسيوية الايطالية »

وقد دُعي مرَّتين الى موءتمر المستشرقين في استكهلم وروميه فأعدَّ خطبةً عن تاريخ النوَر وحكاية احوالهم وعاداتهم واخلاقهم . ولما كانت اشغالهُ الكثيرة قد منعته من الحضور بالذات في موءتمر رومة فجرت تلاوة خطبته في جملة محاضرات الموءتمر المذكور . على انهُ قدَّمَ لملك اسوج ولرئيس الجمهورية الفرنسوية مجموعة موءلفاته والدهِ مشفوعة باجزاء الجنة والجنان ودائرة المعارف . فورد اليه جوابان يتضمنان الاعتراف بالفضل الادبي والعلمي

ولنجيب البستاني منظومات شعرية مختلفة المواضيع لم تنشر بالطبع . ولهُ خطبتان القاها في « جمعية شمس البر » في بيروت احداهما عن « فينيقيا والفينيقيين » والاخرى في « غرائب العلم » طبعتا في مجلة المقتطف . ولهُ ايضاً مقالات شتى فرنسية نشرت في جريدة « Journal du Caire » سنة ١٩٠٩ اتى فيها على وصف مدينة القسطنطينية وآثارها وجمالها الطبيعي وسياسة الدولة العثمانية قبل اعلان الدستور وبعده . وسنة ١٩١٢ سافر الى ايطاليا وسويسرا وفرنسا وحظي في باريس بمقابلة حضرة وزير المعارف وعدد من كبراءِ السياسة والمولفين والصحافيين . وهو ابيُّ النفس لطيف المحاضرة حسن المبادىء ورث عن ابيهِ محبة نشر العلوم . غير انَّ شدة المراقبة على المطبوعات في السلطنة العثمانية سابقاً حملتهُ على كسر القلم في سبيل خدمة الصحافة والعلم . فاضطرَّ الى ترك هذه المهنة الشريفة التي رفع البستانيون شانها في الاقطار العربية شرقاً وغرباً . ولا يزال الادباء يعلقون عليهِ الآمال في إكمال طبع كتاب « دائرة المعارف » الذي لاتخفى فوائدهُ العظيمة عن كل ناطق بالضاد

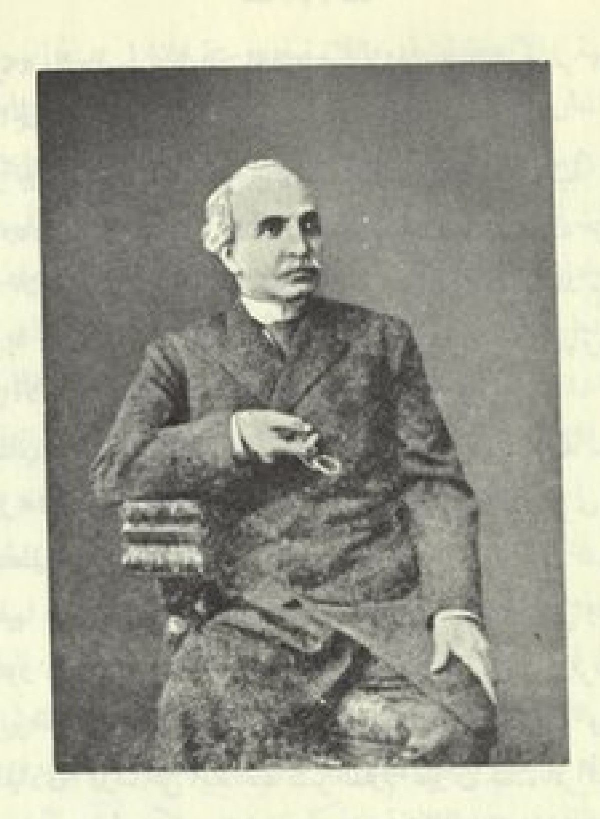
— « ٢٢ » —

﴿ سليم دي نوفل ﴾

اقدم محرر في جريدة « حديقة الاخبار » وأحد موءسسي « الجمعية العلمية السورية » ومجلتها

لما نشرنا تاريخ جريدة « حديقة الاخبار » في الجزء الاول من هذا الكتاب فاتنا ذكر صاحب الترجمة الذي حرَّر في تلك الصحيفة لاوَّل عهدها . ولما كان سليم دي نوفل من ذوي الوجاهة والفضل والعلم الذين خدموا النهضة الادبية في النصف الاخير من القرن التاسع عشر رأينا ان نثبت ترجمته في هذا الجزء . وقد استندنا في ما رويناه عنهُ الى ما نشرته مجلة « الجامعة » في الاسكندرية[1]

(١) عدد ١٢ : سنة ٣ : كانون الاول ١٩٠٢



سليم دي نوفل

لمنشئها فرح انطون والى ما امكننا الوقوف عليهِ بعد البحث الطويل من مصادر شتى يوثق بها :

هو سليم بن عبدالله بك بن جرجس نوفل وُلد في سنة ١٨٢٨ مسيحية في طرابلس الشام وربي فيها تربية كريمة. لان عائلتهُ المشهورة في الفيحاء كان معظم رجالها من موظفي الحكومة العثمانية. وقد استدل الجميع منذ صغره على حسن مستقبله بما كان يلوح على وجهه من لوائح النباهة والذكاء. ولكنهُ لم يدرُ في خلد احد منهم انه سيكون يوماً من الايام من الرجال الذين يفتخر بهم الشرق ويدل الغرب على استعداد الشرقي لكل تقدم وارتقاء. ولما كانت مدارس طرابلس مقصورة على تدريس المبادىء العربية ذهب سليم الى بيروت لداعٍ عائلي وتلقى في احدى مدارسها من اللغة الفرنسوية ما يمكنهُ من الفهم والتفهيم بها. وبعد خروجه من المدرسة بقي في بيروت فلازم علماءها الاعلام كالشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني. وهو الذي انشأ معهما ومع بعض الفضلاء سنة ١٨٥٢ « الجمعية العلمية السورية » ومجلتها المشهورة

ثم عاد الى وطنه طرابلس واكبَّ على الدرس والمطالعة بغير استاذ. وفي سنة ١٨٥٨ عهدت اليه وكالة البواخر الروسية. ولكنه لم يقم فيها سنة واحدة حتى خرج يطوف في انحاء اوربا لا سيما

فرنسا وانكلترا واكتسب كثيراً من آثار التمدن العصري . وبعد رجوعهِ من طوافهِ اتخذهُ خليل الخوري مساعداً له في تحرير صحيفة « حديقة الاخبار » وترجمة ما يلزم لها من الصحف الافرنجية . وفي سنة ١٨٦١ طلبتهُ حكومة روسيا الى بطرسبرج بواسطة البطريرك الانطاكي والبطريرك الاورشليمي للروم الارثوذكس . وذلك ليكون استاذاً للغة العربية في كلية بطرسبرج . فسار على نفقة حكومة روسيا ولم تكن السكة الحديدية قد اتصلت يومئذٍ بعاصمة القياصرة . فاضطر الى ان يبتاع مركبة بخيلها لتنقله اليها هو وعائلته . وكان ذلك في فصل الشتاء القارص وما ادراك ما هو الشتاء في روسيا . والذي زاد مشقة السفر جهله اللغة الروسية ومحاولة الفلاحين الروس تعطيل مركبته ليضطروه الى ان يشتري منهم غيرها

ولما استقر في بطرسبرج دخل في الجنسية الروسية وانصبَّ على درس لغة سكانها والتأليف والخطابة باللغة الفرنسوية والتدريس باللغة العربية للشبان الروسيين الذين يتهيأون للمناصب السياسية في الشرق الادنى . ولما اطلع القيصر اسكندر الثاني على بعض خطبهِ ومقالاتهِ اعجبتهُ رشاقة اسلوبها . واتفق ان الشيخ شامل الشركسي المشهور الذي حارب روسيا مدة ٣٢ سنة خضع وسلم لها في ذلك الزمن وكان لا يحسن اللغة الروسية بل العربية . فكان سليم ترجماناً بينه وبين القيصر ومنذ هذا الحين بدأ تقدمه الحقيقي . فان القيصر احبه لذكائهِ ونشاطهِ ودقة نظره فقرَّبهُ منه ووهبهُ داراً ومنحه لقب شرف وهو (دي) فصار يسمى « سليم دي نوفل » او « إيرنه دي نوفل »

وفي سنة ١٨٧٦ عهد اليه القيصر رئاسة قلم في وزارة الداخلية . وفي سنة ١٨٧٧ مُنح رتبة « مستشار للبلاط الامبراطوري » وفي سنة ١٨٧٩ مُنح رتبة « مستشار الدولة » . وارسلتهُ الحكومة الروسية في مأموريات سرية الى بعض البلاد الاوربية منها سفارة الى رومة لمخابرة الحضرة البابوية في مسألة متعلقة باهالي فنلنده الكاثوليك التابعين لروسيا . وانتدبته عدة مرات للنيابة عنها في المؤتمرات الشرقية . وكان يقوم بواجباتهِ خير قيام فمنحته حكومتهُ عدة وسامات منها « وسام القديسة حنه » من الدرجة الاولى . وقد جاء في براءة هذا الوسام ان القيصر منحهُ اياه « مكافأةً له على خدماته السارة وتآليفهِ الممتازة » ومنها « الوسام الروسي » . وقد منحته فرنسا رتبة غران كوردون من وسام « جوقة الشرف »

﴿ معارفه ومؤلفاته ﴾ كان المترجم يعرف اللغة الفرنسية والعربية والروسية والانكليزية والتركية ويكتب فيها بفصاحة . وقد تلقى اللغة الحبشية ايضاً وطريقة درسه هذه اللغة لا تخلو من فكاهة . ذلك انه ورد في ذات يوم على القيصر كتاب سري من النجاشي باللغة الحبشية فعهد القيصر الى سليم بان يترجمهُ لهُ . فاخذه ثم التمس انجيلاً باللغة الحبشية واخذ على ما يقال بتصفحهُ

ويقابل كلماته بكلمات الكتاب واقام على ذلك حتى فهم معنى الكتاب . ولعله استعان على ذلك بعارف باللغة الحبشية وانما كان يعرض عليهِ كلمات الانجيل بلا اتساق ويطلب منهُ تفسيرها دون ان يوقفه على الكلمات الشبيهة بها في الكتاب

اما مؤلفاته فهي كلها باللغة الفرنسوية وكان في هذه اللغة كاتباً نحريراً . وكفى دليلاً على ذلك ان الخطبة التي القاها في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في باريز في نواحي سنة ١٨٩٥ كتبها في اقل من ساعة قبل انعقاد الجلسة . ولكن الذي سهل له هذا الامر الصعب ان ذهنه كان مفعماً بموضوعها «مطابقة الدين الاسلامي الحقيقي للمدنية» . ذلك ان جميع مؤلفات هذا الجهبذ كانت في المواضيع الشرقية الاسلامية . منها كتاب في ترجمة « صاحب الشريعة الاسلامية » وقد حذا فيهِ حذو الفيلسوف رنان في ترجمة السيد المسيح . ومنها كتاب عنوانهُ « الزواج في الاسلام » وآخر عنوانهُ « الملكية في الاسلام » وآخر عنوانه « النسل والطلاق » . ونقل من اللغة الفرنسية الى العربية رواية « المركيز دي فونتانج » وطبعها سنة ١٨٦٠ في بيروت . وله شعر رقيق نذكر منهُ ابياتاً من قصيدةٍ رثى بها صديقه سليم دي بسترس وهي :

العيدُ وافى ياسليمُ الى ما	هذا التنائي عن الديار الى ما
ما حظنا فيه التهاني وانما	اهدي اليك من الدموع سلاما
هاجت شجوني بعد موتك كلها	واسودَّ عمري حاضراً وأماما
أقفرتَ قلبي والديار كلاهما	اضحى يبعدك ياسليم ظلاما
ابكيكَ لا أسفَ الحياة فانها	حلمٌ تبطن جوفهُ احلاما
ابكيكَ لا اسفاً لفقد شبيبةٍ	مرَّت كما خرق الشعاعُ غماما
اجلُ الزهور موتٌ بصباحها	وكذا الملائك لا تطيلُ مقاما
لكنني ابكي السماحة والنهى	ابكي العفاةَ اذا اتوك زحاما
ابكي الفقير على ضريحك واقفاً	يذري الدموع على الخدود سجاما
ابكي اليتيم وقولهُ اين الذي	كنا نقبّل كفهُ اكراما

وختمها بقوله :

اعجزتَ شعري ياسليمُ فلا تلمْ	هذي دموعي فلا تسلني كلاما

﴿ اخلاقهُ وآراؤُه ﴾ كان رحمه الله ربعة الجسم كساه المشيب وقاراً وكان في لوائح وجهه انفة العالم واتضاع الفيلسوف . ومما يروى عن فرط اتضاعه وكراهته للخفخفة الباطلة انهُ لما كان في باريز ايام اجتماع مؤتمر المستشرقين فيها اراد الذهاب مع اعضاء المؤتمر لزيارة رئيس الجمهورية بصفته نائباً عن روسيا فيه . ولكنهُ لم يلبس لباسه الرسمي ولم يضع عليه وسام «جوقة الشرف» من درجة غران

كوردون . فألح عليهِ صديقه ورفيقه في المؤتمر حضرة الامير امين ارسلان في وضع ذلك الوسام لان رئيس الجمهورية يبالغ في اكرامه متى رآه حائزاً عليه . فرضي اخيراً بذلك اكراماً لنائب روسيا ان لم يكن اكراماً لنفسهِ . ولكنهُ لما كان على الطريق في مركبة مع الامير امين غطى الوسام بملابسه لكي لا يظهر الا في حين الحاجة اليه

اما آراؤه في الشرق والعرب والفلسفة فيقتضي بسطها مقالاً على حدة . انما نكتفي هنا بذكر رأي له في ارتقاء الآداب الكتابية في اللغة العربية . فانهُ يرى ان السجع والشعر على الطريقة القديمة من اشد العوامل الحائلة دون ارتقاء الكتابة في هذه اللغة . لان الكاتب العربي لا يكون ذهنه الى درر المعاني واعتبار الالفاظ لباساً لها . اي ان اهتمامه يكون بالقشر لا بالالباب وهذا من اعظم مصائب بعض الكتّاب . على اننا نظن انهُ رأى هذا الراي قبل هذا العصر بعشر سنين او عشرين سنة لان اسلوب الكتابة العربية قد تغير الآن تغيراً عظيماً . وذلك الاسلوب القديم لم يبقَ منه الاَّ الاثر وهو آخذ في الزوال شيئاً فشيئاً . فلا يبقى الا الاسلوب الطبيعي الذي مقتضاه كتابة الكاتب كما يتكلم لان المقصود ابلاغ المعاني لا صفّ الالفاظ

﴿ مقامه في روسيا ﴾ وقد ذكرنا فيما تقدم منزلة المترجم في البلاط الروسي ونزيد على ذلك الآن انه كان الصلة بين روسيا وجميع العناصر الشرقية . فان امراء الشرق المسلمين الذين يفدون على بطرسبرج كانوا يتعرَّفون بهِ . وكان مقصداً لكل شرقي مسلم او مسيحي يفد الى بطرسبرج لحاجة سواءٌ كان من القوقاز وبخارى وغيرها من البلاد الروسية التي يتكلم اهلها اللغة العربية او من الولايات العثمانية . وكانت له مراسلات مع السيد جمال الدين الافغاني واكثر بطاركة الشرق الذين كانوا يحتاجون شيئاً في روسيا فكانت علائقهم معها على يده . وحلت وفاتهُ في اوائل شهر تشرين الثاني من سنة ١٩٠٢ في مدينة بطرسبرج





﴿ نجيب حبيقه ﴾

مدير جريدة « المصباح » وأحد المحرّرين فيها

وُلد في « الشوير » بلبنان سنة ١٨٦٩ وتلقى دروسه في كلية القديس يوسف للآباء اليسوعيين في بيروت . فنبغ بين اترابهِ حتى انَّ ذكاءه كان ينبيء اذ ذاك بما سيصير اليهِ . وما لبث ان دعاهُ رؤساء الكلية المذكورة الى التدريس عندهم فظلَّ مدة طويلة يدرّس صفَّي البيان العربي والفرنسي . ثم انتدب للتعليم في « مدرسة الحكمة » المارونية و« المدرسة العثمانية » للشيخ احمد عباس الازهري



نجيب حبيقه

فقام بمهمتهِ خير قيام . وفي شهر شباط ١٩٠٣ تولى مع اشغاله الكثيرة تحرير جريدة « المصباح » فكان يتحف عالم الصحافة بكتاباتهِ الانيقة ومقالاتهِ الشائقة وافكاره المبتكرة . ونشر علَى صفحات الجرائد لاسيا مجلة « المشرق » وجريدة « المحبة » فصولاً شتى تدل على طول باعه في صناعة الانشاء . وكان ولعاً بفنّ التمثيل لانهُ رأى فيهِ وسيلة لتهذيب الاخلاق وترقية الآداب . فكتب فيهِ الفصول الطويلة ونشر روايات تمثيلية منها مؤلَّفة ومنها معرَّبة نالت كلها صيتاً بعيداً . وله عدة تآليف مدرسية وادبية طبع بعضها في المطبعة الكاثوليكية نذكر منها :

(١) كتاب « درجات الانشاء » في ستة اجزاء ثلاثة للمعلم وثلاثة للتلميذ ٠(٢) رواية « الفارس الاسود » ٠(٣) رواية « شهيد الوفاء » ٠ (٤) مقالة في « فن التمثيل » ٠ (٥) مقالة في « الانتقاد » ٠ (٦) عرَّب روايتي « خريدة لبنان » و « الشقيقتين » ٠وله غير ذلك مما يبلغ الخمس عشرة رواية تاليفاً او تعريباً ٠وكان شعره لايقلّ عن نثره في سلاسة التعبير وبلاغة المعاني لا سيما في رواياتهِ التمثيلية ٠وما عدا ذلك فانهُ كان قليل الاكتراث لفن القريض الذي لم يمارسه الاّ ما ندر ٠ومن نظمهِ قصيدة سماها « السفينة البطرسية » تبريكاً للبابا لاون الثالث عشر سنة ١٨٨٧ في يوبيله الكهنوتي الذهبي وهي من اوائل نظمه :

عصفت على بحر الانام رياحُ ... حجب النهارَ من الظلام وشاحُ
وهوت صواعقُ مصعقاتٍ ازعجت ... بشراً فكادت تزهقُ الارواحُ
والبحر عاد عرمرمياً مصخباً ... والموجُ ثار فساء منهُ جماحُ
والناس في غمر الخضمّ جميعهمْ ... خاضوا فليس من الغمار براحُ
ورأوا المياه تلاطمت امواجها ... وعلت عليهم كالجبال وصاحوا
طمت المصيبة فالمنيَّة قد دنت ... آهاً أليس من الهلاكِ مراحُ
لكن على سطح الخضمِّ سفينةٌ ... وعلى مقدَّمها يُرى مصباحُ
قد اقبلت وتطايرت لخلاصهمْ ... شكراً لجدّك ايها الملاّحُ
فيك النجاة وليس غيرك يُرتجى ... واليك كلٌّ قلبهُ ملتاح
ها قد تقدَّمت السفينة نحوهم ... فنجا بها قومٌ وفيها راحوا
لم ينأَ عنها غيرُ مَن قد آثروا ... شربَ الحتوف فذي الفعالُ قباحُ
شاموا البروقَ فاملوا منها الهدى ... خابت ظنونهمُ فليس نجاحُ
لا نور في غير السفينة فاعلموا ... مَن ينأَ عنها ضاع منه صلاحُ
جدُّوا أيا غرقى وامُّوها يقو ... دكمُ اليها نورُها الوضاحُ
جدُّوا فليس لكم خلاصٌ دونها ... ولجمعكم فيها الدخول مباحُ
اعداؤُها سخروا بها قبحاً لهم ... قالوا بان ستحطم الالواحُ
فالموجُ يصدمها فيدفعها فلا ... املٌ لنفسٍ بالنجاة متاحُ
واذا بصوتٍ صارخٍ : كُنْ آمناً ... بين السفينة والخضمِّ كفاحُ
فسفينة الصياد تقهر خصمها ... ابداً لانَّ لها الصفا ملاّحُ
للحين عاد النوءُ صفواً رائقاً ... وعن البلايا زالت الاتراحُ

ومع ما كانت تقتضي اشغاله العقلية من الوقت كان يكرّس الساعات الطوال لخدمة الجمعيات

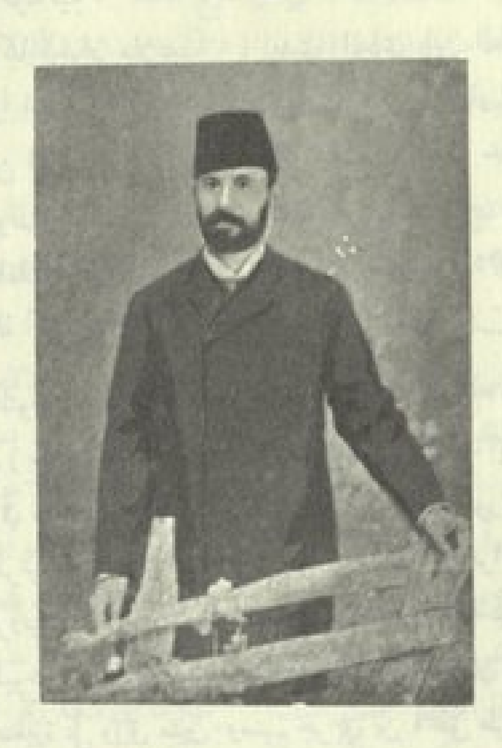
الخيرية وتخفيف وطأة الشقاء عن ذوي الفاقة . فخدم بغيرة يذكرها الجميع شركة القديس منصور دي بول واخوية القديس مارون . وانشأ مع بعض اهل الفضل جمعية « اخواء الفقراء » المارونية وكان يدير مدرستها المجانية بنفسهِ . وقد خصه الله مع الذكاء والغيرة بدماثة الاخلاق ولين الطباع والذوق السليم والرزانة . وانشبت المنية اظفارها فيه عند الساعة التاسعة من مساء يوم الثلاثاء الواقع في ٢٥ كانون الاول ١٩٠٦ اثر علة اذبلت زهرة شبابهِ النضر دون ان يتوصل طبيب الى استئصال جراثيمها القتالة . وبعد اربعين يوماً لوفاتهِ اقام له اصدقاؤهُ في نادي « اخوية القديس مارون » حفلة تذكارية جمعت كل عارفٍ بفضله . فكانت الحفلة الأولى التي أُقيمت في بيروت من هذا النوع وتوالت فيها الشعراء والخطباء فضفروا اكليلاً من الحمد خالداً لمن قضى حياته في خدمة العلم الشريف . وقد القى حينئذٍ الياس حنيكاتي خطبةً بليغة اختتمها بهذه الابيات :

عَلَى ابن حبيقةَ الشهم النجيبِ جديدُ تلهفٍ ملء القلوبِ
ثوى في لحده غصناً رطيباً فجفَّ الدمعُ من فرط النحيبِ
أرانا خطبهُ خطباً جديداً يوم الاربعينَ بلا ضريبِ
فليتَ يعادُ مرآهُ قليلاً لتشفي غلةَ القلبِ الكئيبِ
وليتَ لنا صدى ما كان يلقي عَلَى الاسماع من دررٍ رطيبِ
مضت تلك الحقيقةُ والاماني ولم يبقَ سوى ذكرِ النجيبِ

ثم خطر لبعض احبائهِ وتلامذتهِ ان يسعوا في اقامة اثر يخلدون بهِ ذكره إقراراً بفضله عَلَى الشبيبة البيروتية وخدماتهِ العديدة في سبيل الصحافة والتعليم والاعمال الخيرية . فقيَّض الله لهم ان يجمعوا مبلغاً من المال يزيد على السبعة آلاف غرش ونصبوا له ضريحاً في المقبرة المارونية الواقعة في محلة « راس النبع » . وهو اول عمل وطني من هذا النوع أُقيم ايضاً في بيروت . وبعد ظهر الاحد ١٥ ايار ١٩١٠ اجتمع فريق من اهل الفضل واحتفلوا بنقل رفات صاحب الترجمة الى القبر ولمعت الدمعة في كل عين . وقد تكلم باسم لجنة الاكتتاب يوسف بن مخله ثابت ثم بشاره بن عبدالله الخوري منشئ جريدة « البرق » ونجيب مصوَّر وجرجي بن نقولا باز منشئ مجلة « الحسناء » ويوسف غلبوني ويوسف كامل والدكتور سليم جلخ . وكانت الحفلة ظاهرة عليها ادلة التأثر لانها اعادت ذكرى الفقيد الى كل قلب . وقد شُيِّد الضريح بكل ذوق ونقشت على صدره هذه الابيات :

حياك ياقبرُ منا غيث ادمعنا وجادك اللهُ من اسنى عطاياهُ
ضممت كنزاً ثميناً دونه مهجٌ تسيل حزناً وتدمي القلب ذكراهُ
قد قدَّر اللهُ ان نبكي عليه فتىً غضاً فصبراً على ما قدَّرَ اللهُ
ياساهرَ العينِ في التاريخ دامعها حيي النجيبَ فهذا القبرُ مثواهُ (سنة ١٩٠٦)

-« ٢٦ »-



﴿ نجيب ابراهيم طراد ﴾

محرر « التقدم » و « الصفا » في بيروت ومنشىء « الرقيب » ومحرر « الاهرام » و « البصير » في الاسكندرية

(ينوب عني رسمي حين يحجبني عن العيون ستار اللحد والغسقِ)
(فانَّ عمري وان طالت مسافتهُ في الارض اقصر من عمري على الورقِ)

(أُسرته)

أُسرة طراد قديمة العهد في بيروت رفيعة المقام غنية بالرجال وبالمال . جاء جدها يونس بن طراد من حوران وسكن « كفر حزير » في الكورة شمالي لبنان . ثم قدم بيروت سنة ١٦٤٣ على ما روى المؤرخ عيسى المعلوف في كتابه « دواني القطوف » واتصل بالامير فخر الدين المعني وحظي عنده . فتوارثت سلالته الوجاهة جيلاً بعد جيل واشتهر منها افراد عديدون كالمطران جراسيموس اسقف حاصبيا وراشيا المتوفى سنة ١٨٦٧ وكان حبراً فاضلاً . ومنهم اسبريدون باور السلطان

عبد العزيز الذي كبا بهِ الجواد عام ١٨٧٠ فمات ورثاه كثير من الشعراء كخليل الخوري مؤسس «حديقة الاخبار» · ومن قوله فيهِ :

وبلاهُ كيف كبا الجواد ملاعبًا … ايدي الردى بابن الطراد الامنع
أوَّاهُ من ايدي المنيَّة انها … قنصت غريب الدار قبل المرجعِ
يا ايها الغصن الموسد في ثرى … دار السعادة بعد خصب المرتعِ
قمْ لم يأنْ وقت انقصافك يافتى … قمْ لم يحنْ ياصاحِ يوم المصرعِ
قمْ وأجلُ لطلفك للصحاب ترفقًا … فعساك تنعش مهجة المتفجعِ
قمْ واشفِ غلة مَن دعاك بلفظةٍ … مَن لي برقتها ترنُّ بمسمعي

ومن ادباء آل طراد المتوفين المقدمي عبدالله بن مخايل مؤلف تاريخ «ابرشية بيروت» من اوائل القرن السادس عشر الى ربع التاسع عشر · وقد اعتمد عَلَى هذا الكتاب ايضًا غطاس قندلفت احد اساتذة مدرسة البلمند في تاليفهِ «تاريخ البطاركة الانطاكيين» المنشور في السنة الاولى لجريدة «المنار» البيروتية · وبطرس بن شاهين طراد الف بطلب من احد الامراء سنة ١٨١٧ وهو في جزيرة مدالي تاريخًا لحروب فرنسا واوربا في مدة اربع وعشرين سنة عَلَى عهد نابوليون الاول · ولا يزال تاريخه غير مطبوع · وقد رأيت نسخة منهُ عند جرجي ابي مرعي بسترس مكتوبة بخط يد المؤلف في ٣٠٠ صفحة صغيرة عَلَى ورق متين · ومنهم جرجي بن اسحق طراد (١٨٥١ — ١٨٧٧) كاتب المقالات المفيدة في جريدة «الجوائب» ومجلة «النحلة» وناظم ديوان شعر عندي نسخة منهُ بخط يده سأمثلها للطبع · وله ايضًا أرجوزة في الصرف ورواية شعرية · ومن نظمه قوله في الحكم :

ما كل مَن رام نظم الشعر يدركهُ … ولا الذي رام يفدي الناس يفديها
ليس الذي عاش اياماً مطوَّلة … بل الذي عرك الايام يدريها
بين الحياة وكل الناس معركةٌ … بالحظِّ والبؤس تفنينا وتفنيها

وجبرائيل بن حبيب طراد (١٨٥٤ — ١٨٩٢) نظم الشعر وهو صبي · وفي السادسة عشرة من عمره رثى نسيبهُ اسبيريدون بقصيدة · ومن رثائهِ لسليم دي بسترس ما يأتي :

عَلَى انهُ قد كان أحرى بنا بأن … نغبِّط مَن مثل السليم نما سعدا
حصيفٌ قضى دنياه في خوف ربهِ … تحدَّث ولا تطلب لافضاله حدًّا
فكم غاث محتاجًا وأطعم جائعًا … وعاد اخا سقمٍ فأوسعهُ رفدا
وكم من ايادٍ جاءها ومكارمٍ … فكانت بجيد الدهر من فضله عقدا
جدير بان الفخر يشكو فراقهُ … ومنه رواق الفخر قد كان عمِّدا

وموسى بن نسيم طراد (١٨٨٣—١٩١١) كتب عدة مقالات في بعض الجرائد منها« المحبة» وترجم بضع روايات. وله خطب وقصائد في مواضيع مختلفة

وكبير ادبائهم اسعد طراد الشاعر المشهور (١٨٣٥—١٨٩١) تلميذ مدرسة« عبيه» والموظف سنوات عديدة في الحكومة والمتاجر في القطر المصري حيث توفي. وهو الذي قال فيه استاذه الشيخ ناصيف اليازجي :

لقد سبق القومَ الطراديُّ اسعدٌ   الى قصب السبق الذي نالهُ غصبا

ووصفتهُ جريدة الاهرام بانه « كان يتدفق الشعر من فيه كالماء » ووصفه سليم دي بسترس بما يأتي :

ذاك الفريد ومَن بلطف صفاتهِ   لا يلتقي بين الانام مماثلا
شهم بنظم الشعر ابدع اذ أتى   في سحره الفتان يسحر بابلا
لما بعقد النظم حلى عصرنا   ما عدت انظر قط جيداً عاطلا
يا اسعداً في الناس اني اسعدٌ   بك اذ رأيتك نحو ودي مائلا

وجاوبهُ سليم دي بسترس من مصر مرةً عَلَى قصيدة ارسلها اليهِ بقصيدة نورد من ابياتها :

وياشوقي لارضٍ انت فيها   فيا بيروت غيرك ما حلا لي
رسالة اسعدٍ حملت الينا   سلاماً من شذا زهر الجبالِ
سكرت بكاسها المملوء لطفاً   فسكري ليس من خمر الدوالي
وجدت بنظمها دراً مصاغاً   عجبت لكاتبٍ صاغ اللآلي

فان له قصائد وابيات من احسن ما نظم الشعراء في مواضيعها جمع بعضاً منها فضل الله ابن شقيقه خليل في كتاب عَلَى حدة نشره سنة ١٨٩٩ مما ورد فيه قوله :

قل للذي قد ردَّ صباً سائلا   ما ردَّ طرفي قط دمعاً سائلا
لو كنت تنظر جود طرفي مرةً   ما كنت تبقى بالتداني باخلا
ياعاذلي في حبهِ مهلاً فما   من عاشق قبلي اطاع العاذلا
اني قتيل في الغرام على رضى   وبمهجتي اخفيت ذاك القاتلا

ومن قصيدة رفعها لتوفيق باشا خديوي مصر :

دعْ يوم دارة جلجلٍ والغيدا   وظباء وجرة والعيون السودا
وحمى تكاد تعدُّ من اطلاله   مما وقفت به تعدُّ عميدا
اطلال خولة لا تحولك الوفا   وبكاك فيها لا يردُّ فقيدا
اقتسمع الصمُّ الدعاء وانت لم   تسمع هداية من اتاك رشيدا

سميت اشفق ناصحٍ لك عاذلاً ودعوت اصدق من هداك حسودا
وتفقت تفتقد الاحبة في الحمى ونسيت تنشد قلبك المفقودا
وغدرت ذاتك عند ذات غوائر قد قيدتك عقاصها تقييدا
تجري الدموع سدىً فلا تطفي بها ناراً جعلت لها حشاك وقودا

ومن قوله في وصف الاختراعات العصرية متنبئًا عن الفونغراف والغراموفون والسينماتغراف :

وجهْ لحاظك للبخار وقل به اني ارى ماءٌ يجر حديدا
وانظر لسلك البرق والتلفون كم قد قرَّبا ما كان منك بعيدا
غنت سليمى في الحجاز فاطربت مع بعدها اهل العراق نشيدا
ولسوف ان رقصت بباريز ترى في اصفهان لقدها تأويدا
الهِ الفوَّاد بذكر ذاك وذا وذا عجباً وهاك الطائر الغريدا
يهدي اليك مع البريد بوصفه فكانما حمل البريدُ بريدا
يصف البريد ببره وبحره ويجوّه متنوعاً معدودا
ذاك الصديق الصادق الخل الذي لا يعرف التأجيل والتعريدا
ويريك منهُ بوصفهِ خلاً يرى حفظ الامانة سنةً وعهودا
حمل السفاتج والنضار لاهلها وسرى بحول الله يطوي البيدا
يطوي القفار فكم عليه حلة منها وكم منهُ بها اخدودا
متفرع في ارض مصر كنيلها يسقي التجارة سقي ذاك صعيدا
ابداً يطوف بها كصاحب كرمةٍ يهدي لكل محطة عنقودا
جلب الثمين لنا بوفدته وقد نظر العظيم من العفاف زهيدا
يمسي ويصبح زائراً بهدية ومودعاً بنظيرها تزويدا
ولكم وقفنا منه من سباءٍ على نباءٍ يقين اذ اتى واعيدا
وهو الذي قد عاد بالغصن الذي عن كون غيض الماء كان مفيدا
فلاجل ذلك ذا تتوج راسهُ اجر الامين وذا تتوق جيدا

وقوله في رثاء نسيبه اسبيريدون :

واهاً لقلب جوادهِ فكانهُ قد كان ذاك اليوم مثل نعالهِ
والمرء ما حفظ الوداد فما الذي ترجو من الحيوان في افعالهِ

ومن مرثاتهِ لسليم دي بسترس :

فالميت حل برمسه والحيُّ قد نصبت مضاربه علَى عتباتهِ

يبكي الفقيد ولو تامل نفسهُ	لبكى من استتباعه خطواتهِ
ابني ابينا ليس يجمع شملنا	يوم المعاد بحسب قول ثقاتهِ
وغدًا يعزي بعضنا بعضاً به	ابدا جزى الرحمن فضل رواتهِ
والمرء لولا موتهُ لحياته	بالله كان تعبس مخلوقاتهِ
دنياه ذات مصائب ونوائب	لا تعتري الحيوان في فلواتهِ
فالويل للانسان ان ساورها	عدم يضيع العقل في ظلماتهِ
امر به حار اللبيب وخاض في	بحر البيان فتاهَ في لجاتهِ
والنفس ثابتة الوجود تحجبت	عن ان ترى بحجاب مكنوناتهِ

ومن رثائه لانطون لاذقاني:

سلبتَ به يا ايها البين درةً	لها قيمة عند المحبين غاليه
كأنَّ به الحمى التي قد قضى بها	رماها علَى قلبي لاعرف ماهيه
فيانيل مصرهل ارى منك جرعةً	لقلب كواه البين يانيلُ شافيه
أغثني علَى ما انت فيه من الوفا	بكاس وخذ من دمع عيني ساقيه
ولكن علَى ما قيل للناس جنةٌ	لمن سار في مرضاة مولاه باقيه
فسبحان من لايعلم الامر غيره	اله الورى من عنهُ لم تخف خافيه

ومن وجهائهم المحقق طراد الشهم الوديع محب الانسانية المحسن اليها ذو المآثر الطيبة خصوصاً في حوادث عام ١٨٦٠ . و بولس طراد عين ارثوذكسيي بيروت في عصره وخادم طائفته في عضوية مجلس الادارة . وولداه اسكندر ترجمان قنصلية العجم ومعزز مدارس الطائفة وسليم ترجمان قنصلاتو روسيا ومنشىء مجلة «ديوان الفكاهة» ومدير مطبعة القديس جاورجيوس . وجرجس بن نقولا عضو محكمة التجارة واوَّل من ابنَّ ميتاً في بلادنا علَى ما نعلم بتأبينه المطران بنيامين سنة ١٨٤٨ ومما يذكر من غرائب الاتفاق ان وفاة اسكندر سنة ١٨٨٨ كانت في مثل اليوم الذي توفي فيه والده بولس و بذات الساعة ايضاً بعد سبعة عشر عاماً . فقالت في ذلك مجلة « الصفاء » :

فكلاها بين البرية نادرٌ ولذاك خطبهما غريبٌ نادرُ

وقد ابنهُ الشماس غريغوريوس حداد بطريرك انطاكية الحالي ضيف قيصر الروس اليوم

ومن احيائهم المعاصرين الفقيه الياس بن جرجس احد اعضاء محاكم الاستئناف ونائب رئيس «الجمعية الخيرية الارثوذكسية» ومدرّس الفقه في مدرستي « الحكمة » المارونية و« الارثوذكسية الاكليريكية » ومؤلف كتاب « الترجمان الانكليزي » باللفظ العربي ومصحح قاموس انكليزي وعربي . وله شرح مختصر لاهم مواد اصول المحاكمات الحقوقية نشره في جريدة« لبنان » التي حرر

فيها وفي « الصفا » و « المنار » . والمحامي اسكندر بن فرج الله مدير جريدة « المؤيد » في مصر والمحرر في جريدة « ثمرات الفنون » ومراسل جرائد « التقدم » و « لسان الحال » و « الاهرام » من الاستانة حيث اشتغل في المحاماة مدة طويلة . والكاتب نجيب بن نسيم رئيس تحرير جرائد « المحبة » البيروتية و « باريس » و « نهضة العرب » الباريزيتين و « الجديد » البرازيلي ومساعد الدكتور نقولا فياض بتعريب رواية « الخداع والحب » لشلر الالماني . والمحامي بترو بن اسكندر احد موسسي « جمعية الاصلاح العمومية » . ونجيب بن نعمه عضو مجلسي الادارة والملة وشقيقهُ ميخايل عضو محكمة وغرفة التجارة . ونقولا بن يعقوب عضو المجلس العمومي . وحنا بن شكور مضيف الامراء والحكام . ومتري مدير البنك العثماني في حلب وقونيه وبيروت وشقيقهُ سليم الموظف في عدة مأموريات حتى عضوية الاستئناف وهما شقيقا « نجيب » صاحب هذه السيرة

ومن فاضلاتهم واديباتهم السيدة فريده بنت اسحق طراد مديرة مدرسة « زهرة الاحسان » ورفيقة حياة رئيستها الاخت مريم جهشان في الجهاد لتعليم البنات وتهذيبهنَّ . والسيدة ادما ابنة جرجي بن حبيب طراد وشقيقة انيس بك المالي المدقق وزوجة الياس بك سرسق ورئيسة جمعية السيدات لمساعدة مستشفى القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس ونصيرة الجمعيات الخيرية . والسيدة ميليا ابنة فارس بك رئيسة المدرسة الوطنية في الشويفات ذات العناية بتهذيب الاحداث . ومنهنَّ شقيقتا نجيب بن نسيم المأسوف على صباها « حنينه وسلى » وقد كانتا من خيرة الذكيات المستعدات . كتبت سلى في بعض الجرائد كالنصير وغيرها وخطبت في الدفاع عن حق المرأة وهيأت نفسها بالدرس والاستطلاع الى مستقبل مجيد . ولكن المنيَّة عاجلتها في ضواحي باريز قبل ان تبلغ العشرين . فاقامت لها ادارة مجلة « الحسناء » حفلة تذكارية في شباط سنة ١٩١٠ في « النادي العائلي البيروتي » حضرها مئتان وخمسون نفساً . فافتتح الحفلة واختتمها كاتب هذه السطور وتكلم فيها: فكتور شميل سكرتير النادي . وفليكس فارس منشئ « لسان الاتحاد » . وجرجي عطيه صاحب « المراقب » . وشبلي بك ملاط منشئ « الوطن » . والدكتور الياس عبيد عضو المجلس العمومي . والياس حنيكاتي كاتب مطرانخانة الروم . والاوانس جوليا طعمه . وروز ناصيف . والاميرة نجلا ابي اللمع . وناب بالتكلم عن داود مجاعص صاحب جريدة « الحرية » امين بك خضر وعن قسطنطين يني رئيس تحرير « حمص » بترو باولي مدير « الوطن والمراقب »

وما خلت جمعية خيرية ارثوذكسية من عضو او عضوين من آل طراد . وبالاجمال فان اسرتهم لها عندنا في كل مأثرة يد

(نشأتهُ)

وُلد نجيب بن ابرهيم بن متري طراد في بيروت في منتصف شهر كانون الاول سنة ١٨٥٩ وطلائع الاضطراب الاهلي في سوريا على وشك الظهور . تغذى جنيناً دم الارتياع وفي عام

الاستعداد للشر ابصر نور الوجود فرضع الحليب يكاد يحمرُّ ونشق النسيم ممزوجاً برائحة الدم. وما بدأ يميز بين الاصوات حتى بلغ اذنيهِ صليل السيوف ودوي الرصاص. واول كلمات فهمها عويل الثكالى وصياح الايتام اذ تموَّج الهواء بهذه الانغام من لبنان وحاصبيا والشام. ورأى في طفولته المنكوبين يتوافدون الى المدينة فراراً من المذابح وهم بحالة يرثى لها رعباً وجوعاً. فبقي في نفسهِ اثر من فظائع البشر رافقهُ في حياتهِ الى المات فكانت عبارته الاخيرة في نزعه الاخير « الانسانية معناها السلام. ليعش الانسان بسلام ليكون انساناً »

ونشأ في بيت فضلٍ اراد ربُّه تنشئة بنيهِ عَلَى الحرية والاستقلال فشب نجيب حرًّا مستقلاً وارثاً اطيب الخلال. وكان ذكياً جداً قوي الذاكرة سريع الخاطر تلقى مبادىء العربية في مدرسة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس

وفي التاسعة من عمره دخل مدرسة الآباء اليسوعيين ومكث فيها سنة واحدة. ثم انتقل الى مدرسة كنيسة اسكوتلاندا المعروفة باسم رئيسها «ستيكر» فمدرسة الانكليز على عهد مستر «موط». وقبل ان يتجاوز عمر البدر غادر المدارس الى التجارة فاشتغل في محلين في الثغر وفي الشام ولم يطل عليه الاجل تاجراً. بل عاد الى العلم وانصبَّ عَلَى الدرس والمطالعة وشرع يزاول الانشاء بمقالات مختلفة. ودُعي الى حمص فعلَّم في احدى مدارسها ثم دعاه زعيم البابيين « عباس بن بهاء الله» الى عكا لتعليم اولاده فاقام في منزله مدة يعلمهم. واذ رأى مجال التقدم ضيقاً عَلَى مواهبه في هذه البلاد غادرها الى الاسكندرية حيث حرر في جريدة الاهرام تحت ادارة منشئيها سليم بك وبشاره باشا تقلا. وتعين كاتباً في ادارة سكة الحديد المصرية وبعد ذلك توظف في وزارة الحربية في مصر. ومن اعماله المأثورة فيها تعيينهُ ترجماناً لعرابي باشا في محاكمته بعد الفتنة المشهورة التي احتل الانكليز بسببها وادي النيل وتعليمه ونجت باشا الانكليزي لغة العرب. وقد حضر الحوادث العرابية واستطلع جميع احوالها ولم يخشَ منها بادرة الاغتيال. كما انه لم يرهب الهواء الاصفر اذ فتك بالمصريين ولا جنح الى الهرب بل ثبت في مواقفه على اشدها خطراً عليه ولم يترك مركزه املاً بالترقي. ولكنهُ اذ رأى حقه مبخوساً وترقيه بسلك الوظائف غير عادل آثر الاستقالة على البقاء وعاد الى بيروت بعد ان رفضت الوزارة استقالته ووالاها ثلاث مرات

(رجوعه الى بيروت)

وشرع هنا يدرس الطب في الكلية الفرنسوية ولكنه لم يكمل درسه. وقد ابدى من الذكاء والاجتهاد ما دعى عمدة الكلية للاعجاب بهِ والاهتمام بامره حتى انها قررت تعليمهُ مجاناً فيها وحرضتهُ عَلَى اكمال الدرس بلا بدل. ومع كل هذا التنشيط والموآزرة ابى الا ان يتركهم واقتصر على تعلم الحقوق واتقان اللغات. فباشر بالالمانية واتقنها مع الفرنسية والانكليزية والعربية والمَّ بالايتالية

والتركية · وكان استاذه بلغة الالمان خليل الشماس مترجم «تاريخ حرب الانكليز والحبش» تاليف ثيوفيل ولدمير موسس بيمارستان العصفورية قرب بيروت · ولكنه لم يدرس عليهِ الا شهراً واحداً اذ اكتفى بان يحصل بنفسه دون استاذ جميع ما حصل · وكان اجتهاده موافقاً لذكائه وتدقيقه ملائماً لمطامعه وكانت رغبته في الاستفادة واسعة المدى ولا همَّ له الا الدرس والاطلاع · ومع تعمقه في اللغات تعلم « الفرائض » جيداً ودرس الحقوق عَلَى نفسه ايضاً وغيَّب بستة اشهر كود (مجموعة قوانين) نابليون الاول

والف تاريخ مكدونيا والممالك التي انفصلت عنها ونشره مطبوعاً سنة ١٨٨٦ بنحو مئتي صفحة وتاريخ الرومانيين من بناء رومية الى تلاشي الحكومة الجمهورية نشره بزهاء مائتين و ثلاثين صفحة في السنة ذاتها · وخص الجزء الثاني منهُ بتاريخ سلاطين رومية ولم يطبعهُ · وكتب رسالة انتقادية في عادات معاصريه · وناظر جريدة «ثمرات الفنون» مناظرة قوية الحجة سديدة البرهان · وحرر في مجلة «الصفا» عام ١٨٨٧ عَلَى عهد مديرها جرجي غرزوزي ونشر فيها قسماً من تاليفهِ تاريخ الدولة الرومانية الشرقية وهو الجزء الثالث من تاريخ الرومانيين · وتعريبه لمختصر تاريخ الفلسفة عدا النبذ والمقالات العديدة · وتولى بعدها تحرير جريدة « التقدم » اذ كان يديرها اسكندر طاسو فقرظتها مجلة الصفا بقولها «رأينا فيها ما يحلها محلاً رفيعاً و يشف عن غزارة فضل المحرر وسعة اطلاعه »

وعرَّب عن الفرنسية رواية «اليهودي التائه» تاليف «اوجان سو» ونشرها مطبوعة باكثر من الف وار بعمائة صفحة بمجلدين · وهذه الرواية مشهورة في العالم لكثرة اللغات التي ترجمت اليها عربها بسرعة زائدة وهو محاط باشغال مهمة ومع ذلك احسن تعريبها ووافق فيه الاصل · ومثلها رواية « عثليا » عرَّبها حرفياً عن الشاعر راسين ونظمها شعراً في واحد وعشرين يوماً · ولسبب مجهول أحرقها دون ان تطبع او تمثل · وعرَّب عن الانكليزية رواية « العبر » و «حداثة هنري الرابع» ولعل هذه رابع رواية طالعها في حداثته كاتب هذه السطور

وتعين عضواً في محكمة بداية الولاية وكان شأنهُ في سكة الحديد ووزارة الحربية في مصر مثال الامانة والنزاهة · واذ رأى الفساد متمكناً من الحكومة و يستحيل عليه الثبات في منصبه دون تزلف ومداجاة ووجد مبادئه تكاد ترزح تحت اثقال الظلم واستقلال وجدانه معرضاً للضرر هجر الوظيفة مستقيلاً بعد ان عانى عداء المستبدين وفضل الانزواء في البيت عَلَى الظهور في السراي

ولم يمكث بعد استقالته طويلاً حتى سافر الى الاسكندرية فحرر في جريدة « البصير » وانشأ جريدة « الرقيب » سنة ١٨٩٨ واصدرها بضع سنوات باسلوب حسن ومبدإ حر · ثم تركها لعهدة شريكه جرجي الغرزوزي مدير « الصفا » سابقاً وذهب الى الاستانة فمرسيليا ورجع الى بيروت واستقر فيها بقية حياته

وفي اثناء وجوده في الاسكندرية دعاه تلميذه ونجت باشا حاكم السودان ليوظفه في حكومته وظيفةً تليق به . فلم يرضَ بسبب الحرّ السوداني المشهور . وبعد ان عزم على طبع كتاب الفه في «الحضارة والقانون» عدل عن عزمه . وقد عرَّب روايات «المتمولة الحسناء» و«خليلة هنري دي نافار» و«وقائع رنيه» و«الملكة كاترين» و«حصار باريز» و«ملكة النور» و«حبائل الشيطان» و«العاشق الروسي» ونشرها الا الاخيرتين في «الرقيب» وطبعها كلها كتباً على حدة . ولاحظ طبع النبذة من ديوان اسعد طراد وذيلها بكلمة فيهِ

(الرجوع الاخير)

ولازم بعد رجوعه بيتهُ واعتزل فيهِ عن الناس تفرغاً للدرس والاطلاع الى ان توعكت صحتهُ واستولى عليهِ الضعف . فانتقل من دنياه في ٢٢ نيسان سنة ١٩١١ ودفن في مقبرة القديس ديمتريوس بمأتم حافل شيعهُ فيه عارفو فضله . وقد رثاه الياس حنيكاتي كاتب مطرانخانة الروم بهذه الايات :

جزعت من سكوتك الكتّابُ قبل هذا السكون والآدابُ
وبكاك الوفا بدمع سخينٍ ورثاك الخلان والاصحابُ
لم يشأ بعدك (الرقيب) ظهوراً اذ تولاهُ مثلك الاحتجابُ
وعرى ذلك (التقدم) صمتٌ حين لم يبقَ فيهِ منك خطابُ
وجرى مدمع الصحافة حزناً وشكت فرط شجوها الاعرابُ
يا لها ساعة رايناك فيها فاقدَ الحسّ لا ندا لا جوابُ
لا خطاب يعيه سمعك منا لا يراع تهزه لا كتابُ
ان خطباً دهاك في يوم عيدٍ هو خطب قد ضاع فيهِ الصوابُ
وغشت شمسه غيومُ غمومٍ وعرا الناس وحشة واكتئابُ
ايْ فقيدَ الآداب كم لك فيها من ايادٍ تجلها الكتّابُ
وتآليف سائغات المعاني ثملت من رحيقها الالبابُ
في طراد العلوم كنت المجلي ليس تثنيك يا نجيب صعابُ
كنت قبل الدستور حراً ابياً ناشراً راية السوا لا تهابُ
جاهداً في نفع البلاد بنفسٍ حرة ملوءها غنىً وشبابُ
فاذا لم تنل ثوابك فيها فلك الاجرُ في السما والثوابُ
الهم الله آلك الغرّ صبراً وسقى رمسك الكريم السحابُ

وكان نجيب ابيّ النفس حر الشمائل صادقاً مستقيماً لا يخلو مجلسه من نكتة او مباحثة ولا يمل عشيره انسه ولطفهُ . وعى راسه معارف واسعة وآداب غزيرة ومع وفرة اشتغاله باللغات الاعجمية

ظلَّ انشاؤُهُ محضاً عربياً · ولديهِ في كل حين براهين تؤيد رأيهُ · وهو اول صحافي عربي تعمق في اللغة الالمانية وعرَّب عنها ولعله الوحيد بذلك بين صحافيي لغة العرب · وله قصائد ومقاطيع عديدة من الشعر مع عدم رغبته فيهِ نكتفي بذكر بعض منها للدلالة عَلَى شعره · فمن ذلك تقريظ لرواية « الم الفراق » تأليف سليم جدي احد كتاب بيروت وشعرائها المجيدين عند ما تمثلت سنة ١٨٨٨ :

سحرتنا رواية اذكرتنا ... بهجة العلم في العصور الشهيره
نسجتها يراعة ابن جدي ... حدثٍ طاب سيرة وسريره
اودع اللفظ كل معنى لطيفٍ ... شفَّ عن جودة ونفسٍ كبيره
فهي مرآة قلبه عكس العلم ... عليها نور الذكا والبصيره

ومن قوله في رثاء سليم المشار اليهِ :

انت بالطبع شاعر عربي ... نظم الشعر منذ كان صبيا

وقوله في خزان مصر سنة ١٨٩٨ :

نيل مصر يجري معيناً فيجري ... منهُ خصب تحيا به السكانُ
انما النيل للبلاد نضارٌ ... ولحفظ النضار ذا الخزانُ

ومن شعره تاريخ لضريح اسحق طراد المشار اليهِ :

بنو طراد بكوا شيخاً تلألأ في ... معالم المجد بالاحسان والجاهِ
قاسى البلايا كايوبٍ وهمتهُ ... مالا يقاس بامثال واشباهِ
قد انحلت جسمهُ التقوى ودينهُ ... الأَّ بعزيهِ في بلواهُ الاَّهي
والله قال له ارِّخ عَلَى عجلٍ ... ضحيت نفسك باسحاق للهِ

١٨٨٧ (جرجي نقولا باز)

— « ٢٥ » —

﴿ شاكر شقير ﴾

مترجم روايات مجلة « ديوان الفكاهة » في بيروت ومنشىء مجلة « الكنانة » في القاهرة واحد اعضاء « الجمعية العلمية السورية »

هو شاكر بن مغامس بن محفوظ بن صالح شقير وُلد سنة ١٨٥٠ في « الشويفات » بلبنان ودرس فيها مبادىء العلم عَلَى يوسف ابي ناصيف · ثم انتقل الى مدرسة الروم الارثوذكس في « سوق الغرب » وكانت بادارة الدكتور يوسف عربيلي · فاحكم معرفة اللغتين العربية والفرنسية

وشيئاً من اليونانية على الاساتذة اسبر شقير فنشليار قنصلية انكلترا حالاً في بيروت والياس مالك الخوري احد اعضاء مجلس ادارة لبنان ليومنا هذا وشاهين عطيه الذي انتقل في ٨ شباط ١٩١٣ الى رحمته تعالى · و بعد خروجه منها جاء بيروت وصار يتردد على الشيخ ناصيف اليازجي فاخذ عنهُ فنَّ القريض حتى برع فيه كما سيأتي الكلام

وفي عام ١٨٦٧ انتدبه السيد ملاتيوس دوماني مطران اللاذقية وعهد اليه بادارة المدرسة الارثوذكسية فاقام هناك سنة واحدة · ثم عاد الى بيروت فتعين استاذاً في مدرسة « ثلاثة الاقمار » و « المدرسة الوطنية » فتخرَّج عَلَى يده كثير من التلامذة النابغين · وفي سنة ١٨٦٨ انتظم في سلك اعضاء « الجمعية العلمية السورية » فكان من اهمّ اركانها · ولما باشر بطرس البستاني وانجاله سنة ١٨٧٥ تاليف « دائرة المعارف » اشتغل فيها شاكر شقير مدة عشر سنين متوالية · فانشأ لها الفصول المفيدة ونشر عَلَى صفحاتها كثيراً من الموادّ التي كان يترجمها من الانسكلوبيذيات الافرنجية · وكان في الوقت نفسه يحرّر في مجلة « الجنان » مقالاتٍ بعضها موقع باسمهِ واكثرها خالٍ من توقيعهِ · وله مثل ذلك في صحف أُخرى

وفي سنة ١٨٨٦ انتدبته ادارة مجلة « ديوان الفكاهة » لترجمة ما كان ينشر عَلَى صفحاتها من الروايات الفرنجية فلبث عَلَى هذه الحال ثلاث سنين · و بقي في بيروت يخدم المعارف بالتعليم والتأليف والصحافة حتى ضاق في وجههِ سبيل الارتزاق بسبب شدة التضييق على حرية المطبوعات في السلطنة العثمانية · فسافر سنة ١٨٩٥ الى عاصمة وادي النيل حيث انشأ مجلة نصف شهرية سماها «الكنانة» التي اودعها كثيراً من المقالات العلمية والروايات التمثيلية والقصص الادبية والانتقادات اللغوية وفنون الشعر وغير ذلك من المباحث الجليلة · و بعد صدور عشرة اعداد منها عطلها لانَّ هواء مصر اضرَّ بصحته التي كان قليل العناية بها · فعاد الى مسقط راسهِ حيث اشتدَّت عليهِ العلة ومات في شهر تشرين الاول سنة ١٨٩٦

ويحسب شاكر شقير من نوابغ حملة الاقلام السوريين في اواخر القرن التاسع عشر · فانه كان حجةً في معرفة لغة العرب واحوالهم وتواريخهم وعلومهم · وترك مؤلفات كثيرة تشهد بطول باعه في المعارف وتفننه بالكتابة نذكر منها : كتاب « لسان غصن لبنان » في انتقاد العربية العصرية · وكتاب « اساليب العرب في صناعة الانشاء » · وكتاب « مصباح الافكار في نظم الاشعار » · وكتاب « منتخبات الاشعار » · و باشر تاليف معجم في اللغة العربية لم يفسح له الاجل باتمامه · وله « اطوار الانسان في ادوار الزمان » وهي مقالات هزلية جدية فكاهية ادبية تنطوي عَلَى مقاصد حكمية · وترجم « آثار الامم » للكاتب الفرنسي ڤولني · وعني بطبع « ديوان ابي العلاء المعرّي » وكرَّر طبعه · والف وعرَّب روايات كثيرة منها تمثيلية ومنها قصصية لا ينقص عددها عن

الثلاثين . واشهرها «اسرار الظلام» وهي تاريخية ادبية . ورواية العيلة المهتدية » وهي تمثيلية لتهذيب البنات مثلت عام ١٨٧٢ في مدرسة الثلاثة الاقمار . ومنها « الشجاعة الحقيقية » و « كنيسة الحرش » و « الحمام وابنه » و « الورد والنسرين و « الصبية الخرساء » و « الابن الوفي » و « الولد الصياد » و « الزوجة المضطهدة » و « انيسة الصغيرة » و « البيضة الثمينة » و « الكنار » و « اليتيمة المسكوبية » و « الغلام الحبيس » و « جزاء الخلوص » و « الولد الشريد » و « الامير الصغير » و « فضل اكرام الوالدين » و « فريد ورشيد » ثمّ « الفتاة التقية والفتاة الشقية » و « اليتيم المظلوم » ورواية « ذي الضرّتين » وغيرها

وتعاطى فنّ الشعر في اول صبائه فنظم سنة ١٨٧٠ أُرجوزة في المعاني والبيان . وسنة ١٨٧٢ نظم بديعية وشرحها شرحاً موجزاً والحقها بالارجوزة المذكورة . ومن شعره النفيس قصيدة « الهلال » التي نظمها وهو ابن عشرين سنة تبريكاً لاسمعيل باشا خديو مصر بوسام مرصع اهداه اليهِ امبراطور النمسا . وقد التزم في كل صدر من ابياتها تاريخاً هجرياً لسنة ١٢٨٧ وفي كل عجز تاريخاً مسيحياً لسنة ١٨٧٠ . ووزع على اوائل الابيات حروفاً اذا جُمعت يتركب منها بيتان يتضمنان عشرة تواريخ: اربعة هجرية وذلك من الحروف المهملة من كل بيت منها ومن الصدرين ثم من العجزين . وستة مسيحية وذلك من الحروف المعجمة من كل بيت ومن الصدرين ثم من العجزين ثم من صدر لعجز ثم من عجز لصدر . وقد جعل الابيات المصدرة بحروف البيت الاول نسيباً والابيات المصدرة بحروف البيت الثاني مديحاً . اما البيتان فهما :

ادركتَ بالله مجداً أَنت رافعه الا ... باني ذراه ُ ففي إدراكهِ رهجُ
قدمتَ تعلو باوج السعدِ اكرمنــ ... ـلِ رفدهُ منهُ اكدُ مصر تبتهجُ

وبعد هذه القصيدة نظم « المحبوكات » اي من الشعر المحبوك الطرفين جارياً فيها على طريقة الصفيّ الحليّ في ارتقياته . وهي تسع وعشرون قصيدة كل قصيدة منها تسعة وعشرون بيتاً على عدد حروف الهجاء . يبتدئ البيت منها بالحرف الذي ينتهي به على ترتيب الحروف من الهمزة الى الياء . وسماها « الذهب الابريز في مدح السلطان عبد العزيز » وقد صدَّر هذه القصائد بهذين البيتين المبتكرين في صناعة التاريخ اذ لم يسبق احد الى مثلهما :

بشرُ السنا . في جلا شكرٍ . جنى شرفاً ... في عصر صدقٍ . بنشر النجح . عدُ مثلْ
قد قمتَ مرجاة . مرتدٍ . لنشر ندىً ... تسعى لأجمل . أَجرٍ تمّ . ثم عدلْ

وهما مركبان من خمسة وثمانين حرفاً ويتضمنان خمسة وثمانين تاريخاً هجرياً لسنة ١٢٨٨ تستخرج بالطريقة الآتية : ترى ان البيتين مقسومان بالنقط الى ثلاثة عشر قسماً فكل قسم منهما مع آخر مما سواه تاريخ . فيحصل من الاول اذا جُمع مع كل واحد مما بعده اثنا عشر تاريخاً .

ومن الثاني مع كل واحد مما بعده احد عشر تاريخاً · ومن الثالث مع كل واحد مما بعده عشرة تواريخ · وهكذا حتى تنتهي الى الثاني عشر فتجمعهُ مع الاخير فيحصل من كل ذلك ثمانية وسبعون تاريخاً · ثم تجمع كل ثاء في البيتين وكل الف وكل عين فيحصل تاريخ · وتجمع كل جيم وكل باء (بالصورة) والكاف الوحيدة وكل نون فيهما مع كل شين في اول شطر فيحصل تاريخ · وتجمع كل راء فيهما والشينين الباقيتين وميمات العجزين ودالات البيت الاخير فيحصل مجموع تاريخين · وتجمع كل تاء في الشطر الثالث وميمين منه وكل دالٍ في الشطر الثاني فيحصل تاريخ · وتجمع كل لامٍ فيهما والميم الباقية في الشطر الثالث وكل قاف فيهِ وكل تاء وجيم والف في الشطر الرابع فيحصل تاريخ · وتجمع كل فاء وكل سين وكل ياء فيهما وكل صاد وقاف وحاء وياء في البيت الاول مع كل راء وجيم في صدره فيحصل تاريخ · ويكون مجموع تواريخ جمع الاحرف على النسق المذكور بدون اهمال حرف واحد ولا تكرار حرف سبعة تواريخ · ومجموع الجميع خمسة وثمانين تاريخاً · وهذا من الاتفاقات الغريبة

ولشاكر شقير رواية صنفها سنة ١٨٦٩ عنوانها «سيرة مبارك بن ريحان مع محبوبتهِ بنت الخان» وهي غرامية ادبية علمية · وضمنها اياتاً معجمة[1] واياتاً خيفاء[2] واياتاً رقطاء[3] واياتاً ثلاثة من عاطل العاطل[4] عارض بها ابيات الشيخ ناصيف اليازجي الذي ابتكر هذا النوع في فن الشعر وهي :

حلوٌ وصلٍ هل لهُ للصدِّ حدٌّ ولحرٍّ حولهُ هل حلَّ طردُ
صدرهُ للصدِّ حرٌّ دهرَهُ وصدودٌ هل لهُ وُطدَ ودُّ
ولوصلٍ لحصورٍ طُلَّ دُرٌّ م لهُ هولٌ وهل للهول ردُّ

ولهُ من الجناس المربع هذه الابيات التي تُقرأ طرداً ثمَّ تُقرأ بنفس الالفاظ من اول كلمة من كل بيت فيتألف الاوَّل وهكذا ما يليها كما ترى امامك :

رأيت	حبيبي	فزاد	هيامي
حبيبي	جفاني	اشتياقي	امامي
فزاد	اشتياقي	وهاج	غرامي
هيامي	امامي	غرامي	مرامي

وله غير ذلك من الفنون الشعرية والاساليب الكتابية التي برَّز فيها ففاق على كثيرين من

---

(١) كل حروفها منقطة (٢) التي منها كلمة مهملة وكلمة معجمة (٣) التي حرف منها مهمل وحرف معجم
(٤) عاطل العاطل هو الذي لا نقطة في اسمه ولا مسماه كالدال والصاد دون العين والسين وما شاكل ذلك · وليس من ذلك الاَّ ثمانية حروف وهي : الحاء والدال والراء والصاد والطاء واللام والهاء والواو · فلا يسع المتكلم ان يركب منها كلاماً كثيراً

نوابغ المنشئين والمؤلفين · وقد نظم الاشعار التالية عند ما عرَّب مختارات من حكايات لافنتين :

اتحفتمُ الشرق يا افرنج من زمنٍ	بكل فنٍّ كثير النفع والطلب
ما بين علمٍ وآدابٍ ومخبرةٍ	مما بقي غامضاً في سالف الحقب
من بعد آثارنا في المشرق اشتهرت	آثاركم فاستفدناها بلا تعب
من ذاك ما جاء لافُنتين من حكمٍ	بشفٌ يرفعها الهزليّ عن الادب
ان كان ابدع في ذا الفن شاعركم	فلا يقصر عنهُ الشاعر العربي

وكان مولعاً ببعض الفنون الجميلة ايضاً فانه احكم أصول فن الموسيقى فاحرز منه نصيباً وافراً· وكان شديد الذكاء سريع الخاطر ينظم الشعر ارتجالاً بلا تكلف· ولو جُمعت اشعاره في ديوان مخصوص لبلغت نحواً من مجلدين ضخمين · على ان بعضها منشور في المجلات والكتب ولم يزل اكثرها غير مطبوع· وقد رثاهُ اخوه فارس شقير بقصيدةٍ عصماء نورد منها بعض ابيات :

لهفي عليهِ اخاً جُرحتُ بهِ	جرحاً بليغاً غير مندمل
فالشمس كاسفةٌ عليه اسىً	والارض كاسيةٌ دجى حلل
والعين عين الفضل دامية	والزند زند النبل في شلل
اسفاً على نبراس ليلها	حزناً على ابن العلم والعمل
عبثت بهِ الاقدار غادرةً	واستحكمت منهُ على عجل
ولو انه استوفى مقاصده	واستمهلتهُ فسحة الاجل
لاتى بما لم يأتهِ بشرٌ	في علمهِ من جلة الاول
كم خاض ميدان المدى ظفراً	بيراعةٍ امضى من الاسل
وضع التآليف التي خلصت	من غلطةٍ ندرت ومن خلل
وله رسائل كلها غررٌ	يحكي ترسلها هدى الرسل
وله المقالات التي ذهبت	في كل نادٍ مذهب المثل
فالشعر مثل النثر يرسله	سهلاً بديعاً غير منتحل
فيصيب فيه وهو مرتجلٌ	وسواه يخطئه غير مرتجل
والنثر مثل الشعر يرصفهُ	جملاً مرصعةً على جمل
باشاكراً لله منتقلاً	عنا اليهِ خير منتقل
أغناك ربك بالامان وقد	غادرتني في ظلمة الوجل

الباب الثالث

أخبار الصحف في سائر البلدان العثمانية خارجاً عن مدينة بيروت

(١٨٧٠ — ١٨٩٢)

الفصل الاول

جرائد القسطنطينية ومجلاتها

﴿ السلام ﴾

اسم لجريدة اسبوعية سياسية ادبية ظهرت في ٢٣ تموز ١٨٧٩ لصاحبها جبرائيل بن عبدالله دلاّ ل الحلبي . فاطلق فيها العنان لنفثات قلمه السيَّال وألبسها حلة قشيبة من نسيج يراعه العسَّال . وقد انشأها بايعاز من الصدر الاعظم خير الدين باشا التونسي الذي كان ينشر بها آراءه السياسية ويذيع على صفحاتها افكاره في طرق الاصلاح . فاشتهر امرها وعُرفت انها لسان حال الصدر الاعظم المشار اليهِ . وبعد ظهور العدد الثامن منها تركها الدلاَّل لرجل يسمى عبدالله خالص فانصرفت عنها الافكار لركاكة عباراتها وقطع خير الدين باشا عنها المدد فانقرضت . وعلى سبيل المثال نورد الفقرة الآتية التي نُشرت في العدد ١١ للسنة الأُولى عن الخديو اسمعيل باشا وهي بالحرف الواحد :

« لحد الآن ما تحقق ان كان اسمعيل باشا يبقى في هذا الشتا مقيماً في نابولي او ياتي الى دار السعادة او لمكان آخر . واذا جاء الى دار السعادة لا يسكن داره التي في (اميركان) لانها منذ مدة صارت مختصة بالحكومة المصرية . حتى انها عينت للذين مقيمين فيها من الخدمة والمأمورين معاشاً مع ما يلزم لاجل مصاريف تعميرات لها ثمان الاف ليرة . فبناء عليهِ يقتضي لهُ ان يشتري دار رفعت باشا التي هي في الخليج لانها كبيرة او دار سعيد باشا الكائنية في (البيك) ويعمرها . ولقد سمعنا انه ارسل له من مصر باوراً مشحوناً اشياء ومايتي راساً من الخيل وان حريه الثالثة لم تزل مريضة »

﴿ مدرسة الفنون ﴾

عنوان مجلة علمية فنية ظهرت في ٢٥ كانون الاوَّل ١٨٨٢ (١٥ صفر ١٣٠٠) لمنشئها حميد وهبي . فكانت تصدر في الشهر مرَّتين وتنشر مقالات مفيدة غايتها تنشيط المعارف وترويج الفنون

عَلَى اختلاف انواعها . وقد لاقت نصيراً كبيراً في وزارة المعارف العثمانية التي اشتركت فيها بنسخ شتى تعزيزاً لشان العلم بين الرعية . واحتجبت هذه المجلة في السنة الثانية من عمرها

﴿ الاعتدال ﴾

جريدة اسبوعية سياسية برزت في ٢٩ آب ١٨٨٣ (٢٦ شوال ١٣٠٠) لصاحب امتيازها ومحررها احمد قدري ترجمان اللغة العربية في الباب العالي والكاتب الثاني للسلطان عبد الحميد. فقرَّظها احد أُدباء العرب نزيل الاستانة حينئذٍ بهذين البيتين مؤرخاً :

سرَّنا نشرُ الاعتدال الجديدِ   اذ اتانا بكل قول سديدِ
قال عنوانهُ لراجيهِ ارّخْ   يشكر الاعتدالُ سعيَ الحميدِ
سنة ١٣٠٠ هجرية

وقد وافق ظهور هذه الجريدة لدى افول نجم « الجوائب » التي قضت اثقال الشيخوخة على صاحبها باهمال صحيفته والسفر الى القطر المصري . فاراد احمد قدري ان يقتدي باحمد فارس الشدياق الذي نال القدح المعلى بين الصحافيين بالعلم والجاه والسياسة والمال واحرزت جريدتهُ حينئذٍ السيادة المطلقة على سائر الصحف العربية في العالم بامره . ولكنَّ التوفيق لم يخدم منشئ « الاعتدال » كما خدم صاحب « الجوائب » في جميع ادوار حياته . وعاشت جريدة «الاعتدال» خمس سنين وتعطلت بسبب مرض صاحبها ووفاته . وفي الاجمال كانت عبارتها صحيحة ولهجتها معتدلة تذيع الانباء الداخلية والخارجية بكل صدق . وكانت ميداناً تتبارى فيه اقلام الكتّاب بالمباحث الشعرية والعلمية والادبية والاجتماعية كاحمد عزت باشا العمري الفاروقي والشيخ ابرهيم الاحدب وابي النصر يحيى السلاوي والشيخ عبد الحميد الرافعي وغيرهم من اعلام الجهابذة . وقد حرَّر فيها حسن حسني باشا الطويراني مدداً كثيرة لا سيا في اول عهد نشأتها

﴿ الانسان ﴾

مجلة وجريدة

الانسان هي مجلة دينية علمية فنية صناعية زراعية ادبية اخلاقية ظهرت بتاريخ ٢٨ ايار ١٨٨٤ (غرَّة شعبان ١٣٠١) لصاحب امتيازها حسن حسني باشا الطويراني . فكانت تصدر في الاسبوعين مرَّة في ٢٤ صفحة مكتوبة بعبارة بليغة وطافحة بالمقالات الطويلة لاسيا الدينية منها . ونشرت عَلَى صفحاتها كتاب « النسر الدهري » بقلم منشئها الفاضل . وقد عاشت الى ١٥ جماد الآخر بعد ما صدر منها ١٩ عدداً واحتجبت لاسباب استدعتها الايام . وفي ٥ جماد الثاني ١٣٠٣ عادت الى

الظهور اسبوعية بشكل جريدة مؤلفة من ثماني صفحات متوسطة الحجم ناصحة لابناء العصر بما أُوتيهِ صاحبها من الحكمة وروح العرفان. ومن اهمّ منشوراتها « مقامات الحسن » ثم « التهذيب الالهامي في خدمة الدين الاسلامي » بقلم منشىء الجريدة وغير ذلك . وقد عطلها صاحبها في نواحي سنة ١٨٩٠ عند ما سافر الى القطر المصري ليسكن فيهِ . وهناك اصدر صحفاً كثيرة سنأتي على ذكرها في اماكنها وفي ترجمة حاله

﴿ كوكب العلم ﴾

مجلة اسبوعية صغيرة الحجم ذات ٣٢ صفحة صدرت في ١٣ كانون الثاني ١٨٨٥ (٢٣ صفر ١٣٠٢) لصاحب امتيازها ومحرّرها نجيب بن نادر صوايا اللبناني . وقد رُسمت اللفظة الاولى من اسمها بشكل « كوكب » داخلة فيهِ اللفظة الثانية اي « العلم » وهو فكر مستمد من جريدة « كوكب الصبح المنير » البيروتية للرسلين الاميركيين . وكانت تبحث في العلوم والفنون والصنائع وكافة المعارف بعبارة قريبة المنال خالية من التعقيد . وتعميماً للفائدة قد جعل لها منشئها قسماً تركيًا مستقلاً لا يقلّ عن القسم العربي بعدد صفحاته وجودة مباحثه

ومن مميزات هذه المجلة انها كانت تدافع عن النساء وتحافظ على حقوقهنّ في كلّ جزء من اجزائها تحت عنوان « ابكار الافكار في افكار الابكار » ونظنُّ انها المجلة العربية الاولى التي تصدَّت قبل سواها للمباحث النسائية وخصصت لها باباً مستقلاً . وقد اطلعنا في جزئها الثالث على البيتين المشهورَين اللذين نظمتهما « الولادة بنت المستكفي باللهِ العباسي » فشطرتهما حفيدتها الشاعرة البليغة « م . ه » التي لم نتوفق الى معرفة اسمها قالت :

لحاظكم تجرحنا في الحشا	من بعد ما صالت رماحُ القدود
فقلبنا يخشاكمو رهبةً	ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرحٌ بجرحٍ فاجعلوا ذا بذا	واستعملوا الرفقَ وراعوا الحدود
جميعنا يطلبُ ثأر الهوى	فما الذي أوجبَ جرح الصدود

﴿ السلام ﴾

صحيفة سياسية اسبوعية انشأها الحاج صالح الصائغي سنة ١٣٠٢ هجرية (١٨٨٥ مسيحية) فعاشت وقتاً قصيراً لاسبابٍ مالية قضت على صاحبها بتعطيلها . وقد تولى تحريرها في المدة المذكورة حسن حسني باشا الطويراني منشىء جريدة « الانسان » السابقة الذكر . وقد ارَّخ ظهورها ابرهيم بك كرامه نجل الشاعر المعلم بطرس كرامه الحمصي بهذين البيتين :

نُشرت صحيفتنا السلامُ ونشرها | قد طاب يا اهلَ الوفاء لديكم
إن ضنَّ بالخبرِ الصحيح مؤرخٌ | يتلو حوادثهُ السلامُ عليكمْ

١٣٠٢

وقد اخطأ قسطاكي بك حمصي بنسبتهِ هذه الجريدة خاله جبرائيل دلاَّل بدلاً من جريدة «السلام» الأُولى التي مرَّ ذكرها. يتضح ذلك من تاريخ البيت المشور اعلاه اذا جمعت ارقام حروفهِ الابجدية فاقتضى التنويه والتنبيه. (راجع كتاب «السحر الحلال في شعر الدلاَّل» صفحة ٢٢)

﴿ الحقائق ﴾

مجلة اسبوعية ظهرت في ٨ كانون الاول ١٨٨٥ (غرَّة ربيع الاول ١٣٠٢) لأبي النصر يحيى السلاوي. وكانت تشتمل على المباحث العلية والادبية والمطالب الدينية والدنيوية سيما العقليات وما جرى مجراها كالحكمة واقسامها والحِكم واحكامها والتمدن وملحقاته والآداب العمومية والمنتخبات الصناعية والمواعظ العامة والنصائح الخاصة والفنون المفيدة. واضاف اليها منشئها ما يتعلق بجميع ذلك من الحدود والتعريفات بحسب الموضوعات والمصطلحات على اختلاف المذاهب والمشارب والمعتقدات قديمة كانت او حديثة وطنية او اجنبية. وكان الغرض الاوَّل من نشرها تبادل الافكار مع ارباب الصحف العثمانية فيما يؤُول الى تعميم المعارف وتنشيط الصنائع بين افراد الامة

ويحسب ابو النصر يحيى السلاوي من اكبر شعراء عصره وابلغ كتَّاب زمانه. فانهُ خلف آثاراً نفيسة تشهد له بطول الباع لاسيما في التاريخ والشعر. منها مقصورة غرَّاء تحت عنوان «عقد الجمان في تاريخ سلاطين آل عثمان» اشتملت على خلاصة تاريخية شعرية من السلطان عثمان خان الى محمود الثاني. وقد وقفنا له على تشطير بديع للقصيدة التي نظمها ابو المظفر منصور بن مبارك الواسطي في مدح السيد احمد الرفاعي الكبير ومطلعها:

سرت ناقتي ليلاً فسبحان من أسرى | الى الساحة القعساء والحضرة الكبرى
وحطت حمول السير مثقلة على | أريكةِ بابٍ دونهُ جبهة الخضرا

وهي تبلغ ٢١ بيتاً شطرها السلاوي المشار اليهِ قائلاً:

سرت ناقتي ليلاً فسبحان مَن اسرى | بمن نال سرَّ القربِ في ليلة الاسرا
ومدَّت خطاً عنها المطايا تقاعست | الى الساحة القعساء والحضرة الكبرى
وحطت حمول السير مثقلةً على | محط رحال القوم تلتمس العذرا
تقلصتُ من وادي الأراكِ بها الى | أريكةِ بابٍ دونهُ جبهة الخضرا

الحقائق

جريدة سياسية اسبوعية تبحث في السياسة والعلوم ظهرت في ٢٨ تشرين الثاني ١٨٨٨ لصاحب امتيازها ومحرّرها ابرهيم بك ادهم . وغرضها خدمة الدولة والملة والسعي في جمع الوحدة الاسلامية وحسن الدفاع عن مصالح المسلمين في انحاء العالم . ثم صارت تنشر باللغتين العربية والتركية مناصفةً وعاشت نيفاً وخمس سنين . وقد كتبت عنها جريدة الاهرام بالاسكندرية ما نصهُ بالحرف الواحد : « جريدة طلية العبارة كبيرة الحجم جميلة الحرف حوت كل انواع السياسة وافانين الاخبار والحوادث من كل شيء احسنهُ ومن كل معنىً ارصنه بعبارة فصيحة واسلوب بديع » . واليك ايضاً ما وصفتها به جريدة « البشير » البيروتية للآباء اليسوعيين في عددها ٩٨٤ الصادر بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني ١٨٨٩ قالت :

« الحقائق هي الجريدة السياسية العربية الوحيدة المطبوعة في الاستانة لصاحب امتيازها ومحررها البارع ابرهيم افندي ادهم الذي اتخذ فيها خطة محمودة حظيت بالقبول .... وتمتاز هذه الجريدة الاسلامية بمنهاجها السلمي واعتدال مشربها ... »

الحقوق

مجلة شهرية صدرت في ١٣ تموز ١٨٩٠ باللغتين العربية والتركية لصاحب امتيازها الدكتور الياس بك مطر الحائز علَى شهادتي الحقوق والطب ومديرها الياس بك رسام من مشاهير وكلاء الدعاوى في القسطنطينية . وهي تبحث عن الحقوق العادية والتجارية وتشكيلات المحاكم واصول المحاكمات المدنية والجزائية وحقوق الدول وعن حكمة الحقوق وتاريخ الحقوق والحقوق الطبيعية والمحاكمات والقرارات المهمة الخ . فكانت منزهةً عن كل غرض تتحرَّى حلَّ ما غمض من المشاكل واذاعة ماراق من المسائل والفوائد . وعطلتها الحكومة ثلاث مرَّات لانها كانت تنتقد اعمال المحاكم ومقرراتها وتبين لها وجوه الاصلاح

واخيراً تهدَّد رؤساء الدوائر العدلية صاحبيها الفاضلين بالسوء اذا استمرَّا على خطتهما الانتقادية . ولما كانت مصالحهما الذاتية تقضي عليهما بمراعاة جانب الحكام في عهد السلطان عبد الحميد اضطرَّا مكرَهين على هجر الصحافة وتوقيف نشر المجلة بعد تعطيلها للمرة الثالثة حذراً من شر العاقبة . ومحرّرها الياس بك رسام ينتمي الى أسرة كريمة من اقدم عائلات الموصل في بلاد بين النهرَين . هاجر ابواه المدينة المذكورة الى حلب وهناك ابصر نور الوجود . ثم رحلت عائلته الى اوربا ولم يزل بعضهم فيها الى الزمان الحاضر . و بعد حين جاء الياس بك رسام مدينة القسطنطينية فسكن فيها وتعاطى الاشغال . وقد اشتهر لدى الخاص والعام بصدق معاملاته ومحاسن صفاته

واستقامة مبادئه ٠ وهو حائز على بعض الرتب واوسمة الشرف التي نالها بكل استحقاق ٠ وقد طلبنا منهُ ان يتحفنا بسيرة حياته ورسمه حتى نثبتهما في هذا الكتاب فلم نفلح لشدَّة اتضاعهِ وكراهته لحب الشهرة ٠ اما زميله الياس مطر فقد افرزنا له ترجمة مخصوصة في الباب الرابع من الجزء الثاني

الفصل الثاني

اخبار جرائد دمشق ومجلاَّتها



دمشق

جريدة اسبوعية سياسية ظهرت عام ١٨٧٨ باللغتين العربية والتركية لصاحب امتيازها احمد عزَّت باشا العابد الذي ترقى بعد ذلك الى اعظم مناصب الدولة حتى صار كاتباً ثانياً للسلطان عبد الحميد ٠ وكان لدى تأسيس جريدة « دمشق » رئيساً لقلم المخابرات التركية والعربية في حكومة سوريا على عهد واليها جودت باشا المؤرخ الشهير الذي حرَّضه على انشائها ٠ وقد نشر على صفحاتها فصولاً كثيرة اشار فيها الى مآثر العرب ومفاخرهم وعلومهم وفضائلهم ٠ وبعد انتشارها بخمسة شهور احتجبت زماناً قصيراً لشواغل شخصية ٠ ولما أُسند منصب الولاية الى مدحت باشا سنة ١٨٧٩ رافقه اسعد افندي احد ابطال تركيا الفتاة ٠ واشتهر اسعد افندي بهجومهِ مع علي سعاوي على قصر « جراغان » لانقاذ السلطان مراد الخامس من الحبس وتقليده سيف الخلافة بدلاً من عمه السلطان عبد العزيز المخلوع ٠ فاوعز مدحت باشا الى احمد عزَّت باستئناف نشر الجريدة التي أُعيد ظهورها في ٩ آب للسنة المذكورة ٠ وعهد الى اسعد افندي بكتابة قسمها التركي لرسوخ قدمه في قواعد اللغة العثمانية ٠ وبعد سفر مدحت باشا من سوريا اشترك اسعد افندي مع جبران لويس في تعاطي فنّ المحاماة ثم صار مديراً لرژي التبغ في دمشق ٠ وقد نفي في آخر ايامهِ الى فزَّان بطرابلس الغرب ومات هناك

اما القسم العربي من الجريدة فتولى كتابته سليم بك عنحوري الذي كان اذ ذاك محرّر مقاولات مركز الولاية فنشر فيها المقالات السياسية والعمرانية تعزيزاً لاركان الدستور ٠ وفي اثناء ذلك انضمَّ احمد عارف بك ابن الملاَّ نور الله قاضي دمشق الى صاحب الامتياز فاشتركا معاً في ادارة هذه الصحيفة ٠ ثم انتقل تحريرها بعد سنةٍ الى يد اديب نظمي ومصطفى واصف اللذين انشآها نحو السنتين ٠ ولما اخذ احمد عزَّت باشا يتقلب في مأموريات السلطنة خارجاً عن مسقط راسهِ اضطرَّ الى إهمال مصلحة الجريدة التي صارت تصدر بلا انتظام الى آخر عهدها في سنة ١٨٨٧



سليم بك عنحوري

منشئ مجلة « مرآة الاخلاق » ومحرر صحف « دمشق » و« الشام » و« المشكاة » في دمشق ومؤسس جريدة « مرآة الشرق » ومجلة « الشتاء » في القاهرة وكاتب المقالات العديدة في اشهر الجرائد العربية

✻ مرآة الاخلاق ✻

مجلة نصف شهرية ظهرت في غرَّة كانون الثاني ١٨٨٦ لصاحبيها سليم وحنا عنحوري . فكانت تُنشر بشكل كتاب يتألف منهُ في آخر السنة ٢٤ جزء وكل جزء في ٢٤ صفحة صغيرة بدون امتياز من طرف الحكومة . وقد استهلاَّها بهذين البيتين :

أَلا أيها المرءُ صاحِ لِمِرآةٍ وانظرْ   بها صور المشارق والمغاربْ
ففي المرآة يظهر كل شيءٍ   إذنْ قلْ تلك مرآة العجائبْ

وكانت هذه المجلة على قسمين كما صرَّح صاحباها في فاتحة المقال : « احدهما روايات تتجاذب طرفي الغرام والادب وتاخذ بناصيتي الفكاهة والملح . والثاني يخوض كل عباب ويبحث في كل ركاز

وتراب. فحيثما فاز بدرٌّ كنزها واينا ظفر بشذرةٍ احرزها خلا السياسة والدين». وعلى اثر صدور العدد الاول منها حجزت عليها الحكومة استبداداً لوشاية قدِّمت على احد صاحبيها سليم بك بحجة انه يتحدّى القرآن في المقالات التي ينشرها في القسم الاول منها وهو المختص به تحريره. وبعد المرافعة التي انجلت عن التبرئة أضرب اعن اطراد نشرها حذراً من مظالم الحكام. ثم نال سليم بك امتيازاً بتأسيس مطبعة باسم «الاتحاد» ومجلة باسم «مرآة الاخلاق» على يد ناشد باشا والي سوريا. ولكن شدّة التضييق والمراقبة على المطبوعات في ذلك الوقت حالت دون استئناف اصدار المجلة فبقيت مطوية الى الآن

وكان شريكه حنا بن روفائيل بن حنا عنحوري من نوابغ الشبان السوريين. فانهُ وُلد سنة ١٨٦٤ وتخرّج في المدرسة البطريركية في بيروت واشتغل بفن التمثيل في دمشق مع جورج مرزا مدة من الزمان. ثم سافر مع خاله المطران ملاتيوس فكاك سنة ١٨٨٧ الى رومة فباريس. وهناك اخذ يدرس الطب ويعلّم الآداب العربية في مدرسة القديس يوحنا فم الذهب الى ان مات فجأةً في ١٣ اذار ١٨٩٠ عن ستٍ وعشرين سنة. وكان بارعاً في اللغة العربية ومن بلغاء كتّابها. وقد انتخبهُ «المجمع العلمي الاسيوي» عضواً له في باريس. ولهُ من المطبوعات رواية «الهوى شرك الهوان» ورواية «شقاء المحبين» وغير ذلك من الآثار الادبية. وكان يتردد كثيراً على المكتبة الكبرى في باريس لمطالعة ونسخ بعض المخطوطات القديمة. وبعد وفاتهِ نُشر كرّاس مصدَّر برسمهِ وحاوٍ لترجمته ومآثره

الفصل الثالث

جرائد حلب



الشهباء

صحيفة اسبوعية عامة المباحث ظهرت في ١٠ ايار ١٨٧٧ لصاحب امتيازها هاشم عطار وطُبعت في المطبعة العزيزية. ثم انضمّ اليهِ عبد الرحمن الكواكبي وميخائيل بن انطون صقال واشتركوا معاً في اصدارها. وصادف ظهورها على اثر اعلان الحرب الشهيرة بين الدولتين العثمانية والروسية فكانت تنشر انباء هذه الحرب مع سائر الحوادث الداخلية والخارجية. وبعد ظهور العدد الثاني منها تعطلت بامر كامل باشا والي حلب ثم أُعيد نشرها. وقد ورد شيءٌ من اخبارها في مقدمة جريدة «الاعتدال» الحلبية التي صدرت في ٢٥ تموز ١٨٧٩ لمنشئها عبد الرحمن الكواكبي وهاك نصهُ :

« وبناء على ذلك كان اصدار جريدة الشهباء التي وقفت خدمتها بامانة وجعلتها تحوز حسن القبول من العموم . غير انها أصيبت اضطهاد الوالي السابق دولتلو كامل باشا فعطلها ثلاث مرات . ولا نرى حاجة لبسط اسباب وقوعها تحت هذا التعدي لشهرة امره ... على اننا نكتفي بالقول ان حضرة الوالي المشار اليهِ ماذا يجيب اذا سئل في محكمة الانسانية عن سبب مقاومته جهده في صدّ هذا المشروع الخيري ومعارضة القائمين به واضرارهم ماديًا وادبيًا . هل له من جواب يدفع عنه الحكم الحق بان السبب ليس الاّ ما في فطرتهِ من عداوة الحرية ؟... لان كامل باشا في التعطيل الثالث امر اولاً بالحجز على المطبعة ووضعها تحت مراقبة الضابطة . ثم لم يشأ اعتراف اعلام المحكمة الابتدائية في براءتها كما انه لم يعمل بعد ايضاً بتصديق المحكمة الاستئنافية على البراءة . بل استبدّ في تعطيلها بصورة غريبة جداً . اما حضرة دولتلو مظهر باشا فانه منذ تشريفه لا زال يبذل لها عواطف التنشيط والتشويق والوعد بالمساعدة والحماية وامتلاك الحرية مصرّحًا بانها ان وجدت في اعمال واجراآت دولته نفسه ما يقتضي التنبيه او التنديد يسرّه ان يراها غير متحاشية من ذكره ... لكن قد ساءنا اخيراً كون « الشهباء » عاقها بعض الموانع عن ان تغتنم هذه الفرصة فقامت مقامها في ذلك « الاعتدال »

❋ الاعتدال ❋

صحيفة اسبوعية سياسية ظهرت في ٢٥ تموز ١٨٧٩ لمنشئها السيد عبد الرحمن ابن الشيخ احمد الكواكبي بدلاً من جريدة « الشهباء » المارّ ذكرها . وكان نصفها مطبوعًا باللسان العربي ونصفها الآخر باللغة التركية تعميماً لفوائدها بين سكان ولاية حلب الذين يغلب فيهم العنصر التركي على سواه . اما خطتها وعبارتها وغرضها ومباحثها فيتضح كله مما ورد في المقالة الافتتاحية وهذا نصهُ بالحرف الواحد :

« عَلَى ان الاعتدال هي الشهباء من كل حيثية . وقد اخذت على نفسها من قبل ومن بعد القيام بكامل وظائف الجرائد الاهلية من نشر حسنات الاجراآت واعلان سيئات المأمورين وعرض احتياجات البلاد الى مساعي أولي الامر ونشر كل مايقتضيه تهذيب الاخلاق وتوسيع دائرة المعارف من ابحاث علمية وسياسية وغيرها . وبناء على كون الاعتدال مصممة باخلاص على ان يكون مسلكها معتدلاً في جميع مقاصدها تعلن انه اذا وقع تقصير ما ونبهت عليهِ تبادر لاصلاحه متشكرة افضال المنبهين . لان اشرف ما يكون للجرائد ان تحوز على حسن القبول والولاء من العموم »

وانطفأ سراج حياة هذه الجريدة في مطلع حياتها لان صاحبها المشهور بحرية الضمير وحبّ الوطن كان ينبهُ الحكومة على مواضع الخلل بكتاباتهِ الشائقة وارشاداته الصائبة . فلما ضايقته الحكومة

اضطرّ الى توقيف « الاعتدال » وهكذا حرمت الدولة من نشرياته الاصلاحية . وكان الكواكبي الممثل الحي بلا نزاع للجامعة الاسلامية التي سعى في ايجادها جمال الدين الافغاني . واليك ما كتبتهُ جريدة « الراي العام » البيروتية بتاريخ ١١ كانون الثاني ١٩١٢ قالت :

« اما الكواكبي فقد كان مع ذلاقة لسانه في الخطابة صاحب نظر دقيق ونيّر . وقد اخذ فكرة الافغاني في عقد المؤتمر الاسلامي فشرحها شرحاً مطولاً في كتابه الذي صدر باسم « مجل جمعية ام القرى » وضمن هذا الكتاب اعمال المؤتمر الذي لم يمكن عقده . ووصف باسلوبهِ الحسن حالة العالم الاسلامي وشخص امراضه بكل انتباه مع ذكر الدواء اللازم لها . الكواكبي هو العالم النظري الذي دعا للجمعية الاسلامية . وهو المفكر الذي لم يؤثر فيه الوعيد والتهديد . واذا كان الافغاني قد اظهر الميل الى عبد الحميد بمجيئه الى الاستانة حتى مات فيها . فان الكواكبي ظلَّ دائماً العدوَّ الالدّ لعبد الحميد حتى الف كتابه — طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد — تشنيعاً على حكومته »

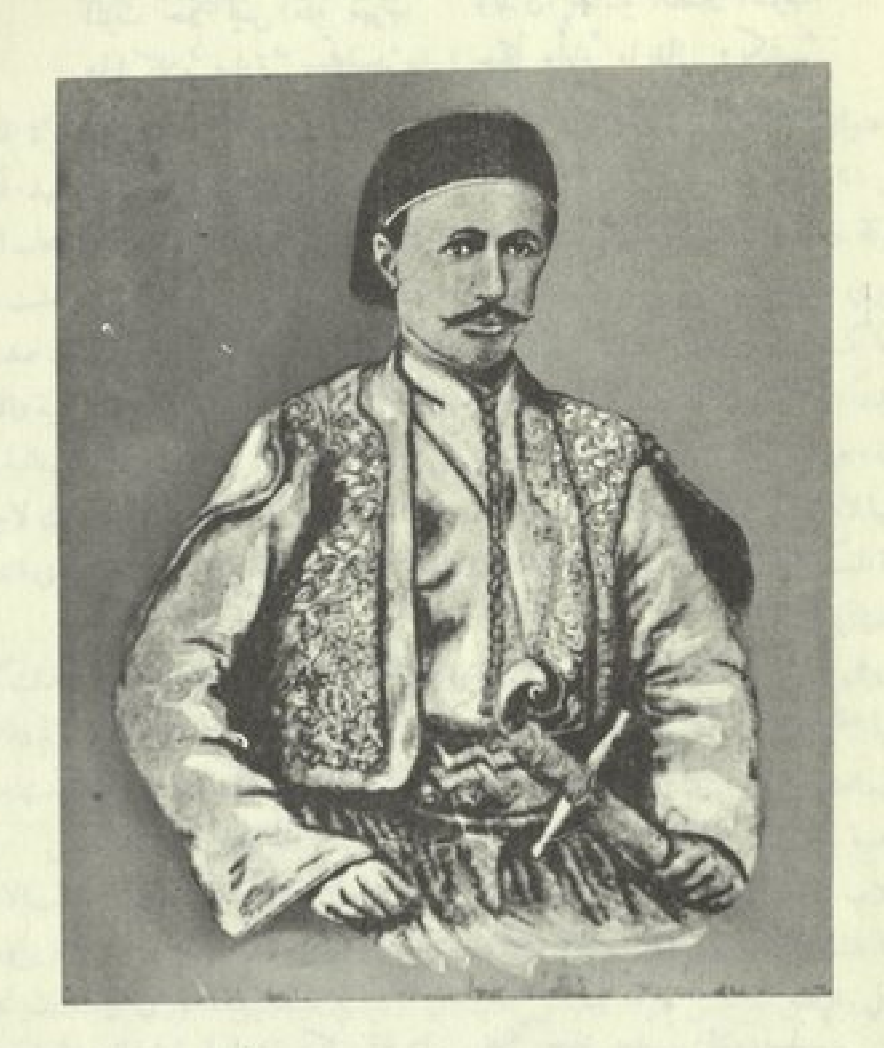
الفصل الرابع

جرائد جبل لبنان

﴿ الجعبة ﴾

اسم لجريدة اسبوعية هزلية صغيرة الحجم مطبوعة على الهلام (الجلاتين) اصدرها في نواحي سنة ١٨٧٣ الشيخ نوفل الخازن في قرية « درعون » بلبنان . وهي تتضمن شيئاً كثيراً من النوادر والحكم واللطائف التي اشتهر هو بها خصوصاً والمشائخ الخازنيون عموماً . وكانت تحتوي ايضاً على حوادث يوسف بك كرم أشهر ابطال لبنان في القرن التاسع عشر مع اخبار الحروب التي جرت بينه وبين داود باشا اوَّل متصرف عَلَى الجبل المذكور . فكان اهل الذوق يتهافتون الى مطالعتها وقد عطلها منشئها بعد صدور اعداد قليلة منها

وُلد الشيخ نوفل من ابيه قانصوه بن حصن بن نوفل بن حصن بن نوفل بن حصن بن فياض بن نادر بن خازن بن ابرهيم بن سركيس الخازن . وكان جدُّه الشيخ نوفل بن حصن قنصل فرنسا في بيروت وكاتب المجمع اللبناني الذي التأم سنه ١٧٣ في دير اللويزة . وقد تلقى صاحب « الجعبة » مبادئ العلوم في دير الشرفة للسريان الكاثوليك . ثم اخذ علم الفقه عن المطران يوحنا الحبيب منشئ جمعية المرسلين اللبنانيين . وتولى القضاء مدةً في محاكم لبنان فكان مثال النزاهة والاستقامة وبعد ان ترك القضاء زاول فن المحاماة الى آخر ايامه . وحلَّت وفاتهُ في اواخر تشرين الثاني ١٩٠٥ في بيروت عَلَى اثر مرض السرطان . فنقل الى مسقط راسهِ في درعون حيث دُفن باكرام وتولى



يوسف بك كرم

صاحب السيف والقلم وأشهر ابطال جبل لبنان في القرن التاسع عشر

صلاة الجناز عن روحه بطريرك الطائفة المارونية واحبارها ومطارنة سائر الطوائف ٠ وكان مشكور الاعمال طيب السريرة ينظم الشعر بلا تكلف ٠ ولاجداده آثار تذكر فتشكر في سبيل نصارى جبل لبنان كما يتضح ذلك من الفرامين السلطانية والبراآت البابوية وامتيازات الشرف الممنوحة لهم من ملوك فرنسا ٠ وهي محفوظة باسرها لدى الكونت حصن دي خازن شقيق الشيخ نوفل في منزله بدرعون وشاهدناها مراراً ٠ ومن منظوماته الانيقة قصيدة رثى بها الكونت انطون دي طرازي الذي مات غريقاً بتاريخ ٢١ نيسان ١٩٠٠ في مينا بيروت وهي :

الموتُ حكمٌ ليس منهُ مهربُ ... ولَدُنْ إصابتهِ التصبر اصوبُ
هذا كلامٌ صادقٌ في حدِّهِ ... حكماً وأبلغُ ما يقال ويكتبُ
لكنَّ في خطبٍ تفاقمَ رزؤهُ ... عذراً لمن يبكي الفقيد ويندبُ
يا من تقول الصبر اولى بالفتى ... فالصبر صبرٌ صابهُ لا يعذبُ
كيف اصطباري بعد من لا ارتجي ... في ذي الحياة لقاً به وتقربُ
فاعذر اذا سكب العيون ابن العلى ... ديماً تهلُّ على الصدور فتلهبُ
إن ابكِ انطونَ بن طرازي فلا ... حرج وفيه الشرقَ يبكي المغربُ
من كان غوث المستغيث وملجأً ... لم يطوِ كفاً عن فقيرٍ يطلبُ
اسفي على غصنٍ رطيبٍ قد ذوى ... لم تجدهِ نفعاً دموعٌ تسكبُ
فرماه سهامٌ بسهم منونهِ ... والموج امسى فوقه يتقلبُ
قد كان في برج الثريا كوكباً ... واليوم امسى في التراب الكوكبُ
ابكيه بل تبكيه والدةٌ لهُ ... واشقةٌ وابنٌ وحيدٌ ينحبُ
واذا طلبت من الجماد بكاءهُ ... جزعاً عليهِ فلا يعزُّ المطلبُ
كم خلتُ ان الشمس في رأد الضحى ... غابت لغيبته فطال الغيهبُ
يا ساعةً ما كان اثقل ظلها ... فوق الاضالع والترائبُ تضربُ
هيَ نكبة جلى اذا نزلت على ... صرف القضا لم يحتملها المنكبُ
يا من تفرّدَ بالشهامة والتقى ... وبنجدة الملهوف وهو معذبُ
يا من حوى درر المكارم صدرهُ ... فالبحر رحبٌ وهو منهُ ارحبُ
يا من تساوى والنسيمَ لطافةً ... والند عرفاً وهو منهُ اطيبُ
غادرتنا فسلبتَ كل قلوبنا ... هلاَّ حياة بعد ذلك تسلبُ
فالعيش امسى بالمصاب مرارةً ... هيهات تحلو بعد ذاك وتعذبُ
قد كان صحبك في حياتك باسماً ... والآن صحبك في مماتك يندبُ
لا غرو خطبك ليس خطبٌ واحدٌ ... فيه خطوبٌ لا تعدُّ وتحسبُ
تباً لدهرٍ جار في احكامه ... قد جاء يفتك بالقلوبِ ويعطبُ
وسطا على خير امرئ فأذاقهُ ... كاس الردى صرفاً فبئس المشربُ
ضاق التأسي في اليم مصابهِ ... يا ربِّ بردّ نار قلبٍ تلهبُ
فثوى غريقاً في البحار وكلنا ... غرقى الدموع لموته نتعذبُ
يا راحلاً مني اليك تحيةً ... وعلى ضريحك دمع عيني يسكبُ

سلّمتُ امري للمهيمن قائلاً   الموت حتمٌ ليس منهُ مهربُ

⁂ لبنان ⁂

عنوان لصحيفة اسبوعية سياسية علمية تجارية ادبية أُنشئت في « بعبدا » بتاريخ غرَّة تشرين الاول ١٨٩١ لصاحبها ابرهيم بك الاسود احد اعضاء مجلس ادارة جبل لبنان لذاك العهد . فكانت مشمولة بعناية واصا باشا وصهره كوبليان افندي اللذين فرضا عَلَى كل الاعيان واصحاب المصالح ومأموري الحكومة ان يشتركوا في الجريدة . فراجت بمساعيهما رواجاً كبيراً وجلبت لمنشئها ارباحاً كثيرة . وفي سنتها الثانية عطلها نعوم باشا المتصرف الخامس عَلَى الجبل وكان قد صدر منها ٨٦ عدداً . ثم أُعيد نشرها وكانت لسان حال الحكومة اللبنانية تنشر الاعلانات القضائية والاوامر الرسمية . وقامت بكثير من الاكتتابات الخيرية منها اكتتاب في اثناء الحرب العثمانية اليونانية فنال صاحبها لاجله المدالية المخصوصة . ومنها اكتتاب السكة الحجازية وقد احرز ابرهيم بك لاجلها مدالية السكة المذكورة . وفوق ذلك منحتهُ الدولة « الرتبة الثانية » مع الوسامين « المجيدي الثالث » و « العثماني الرابع »

وهي تعدُّ اول جريدة سياسية نشرت في الجبل بحيث كانت فيه كمدرسة نقالة ولذلك كانت فائدتها عظيمة للناشئة المحلية . ومن المعلوم انها كانت في بعض الاحيان تنشر ما يكلم ويؤلم دفاعاً عن صاحب امتيازها الذي لا يخلو من الاخصام المختلفين معه في المبدإ والمشرب . وقد خدمت بصورة خصوصية الدين ورجاله لعلمها انَّ الدين غريزة من الغرائز المؤثرة في صلاح النفوس (١) . وبعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ نقلت ادارتها الى بيروت وصارت تطبع فيها . وكان صاحب الامتياز يكتبها بقلمه ويساعده في ذلك بعض حملة الاقلام الذين نذكر منهم : المعلم جرجس زوين وسعيد البستاني والياس جرجس طراد والياس حنيكاتي وعيسى ميخائيل الخوري واسكندر عيسى المعلوف ونجيب المشعلاني ومحبوب الخوري الشرتوني والياس نقولا الضاهر . اما مدراؤُها فكانوا : قيصر الاسود وابرهيم بك سليمان وميشال بك الشامي

وفي ٩ كانون الثاني ١٩١٣ استقلَّ الشيخ شاهين الخازن بادارتها وتحريرها ومخابرة وكلائها والمشتركين فيها . وذلك بموجب شركة عقدها مع صاحب الامتياز انصرافاً من الثاني الى اشغاله الخاصة والقيام بوظيفته كعضو في دائرة الحقوق الاستئنافية في الجبل . فاخذ الشيخ شاهين يعمل عَلَى تعزيز شأن الجريدة ويزين اعمدتها بنشر الفصول الجديرة بان يقرأها كل لبناني . ولا غرو فهو الصحافي الذي تجسمت الشهامة الوطنية في كتاباته وأعدَّ قلمهُ لخدمة الحياة القومية والمبادىء

---

(١) جريدة « لبنان » عدد ١٠٨٠ : سنة ٢٢

الحرة · تشهد على ذلك مقالاته البليغة في اشهر الصحف السورية والمصرية وسنأتي على تفصيل كل ذلك في حينه ان شاء الله تعالى

الفصل الخامس

اخبار الصحف العثمانية في شمال افريقيا وشبه جزيرة العرب

﴿ طرابلس الغرب ﴾

هي جريدة اسبوعية رسمية ذات اربع صفحات اصدرتها الحكومة العثمانية عام ١٨٧١ في مدينة طرابلس الغرب بامر السلطان عبد العزيز · فنشرتها في اللغتين العربية والتركية وخصصتها بالولاية المعروفة بهذا الاسم في شمال افريقيا · وكانت هذه الصحيفة ركيكة العبارة سقيمة الحروف تطبع في مطبعة الولاية وتقتصر على نشر الاوامر والوقائع والاعلانات والتوجيهات كسائر الصحف الرسمية في السلطنة العثمانية · ولما اغتصب الايطاليون هذا القطر في ٢٩ ايلول ١٩١١ واعلنوا ضمه الى املاكهم اطلقوا قنابل مدافعهم على مدينة طرابلس الغرب ودمروها · فنالت المطبعة نصيبها من الخراب ومن ذلك الحين تعطلت الجريدة بعد ما عاشت احدى واربعين سنة · وكان القائمون بانشاء فصولها بعض مأموري الحكومة المحلية الذين لم يتيسر لنا الوقوف على اسمائهم

﴿ صنعا ﴾

جريدة اسبوعية رسمية ظهرت عام ١٨٧٧ في مدينة « صنعا » قاعدة ولاية اليمن في شبه جزيرة العرب · وقد امر بانشائها السلطان عبد الحميد الثاني لنشر افكاره وخدمة مصالح حكومته في تلك الاصقاع النائية · فكانت تطبع في مطبعة الولاية باللغتين العربية والتركية في اربع صفحات كبيرة ثم صارت تصدر في ثماني صفحات صغيرة بحرف جلي واكثر اتقاناً · اما عبارتها فكانت ركيكة تدل على قصر باع كتّابها في صناعة الانشاء ثم تحسنت شيئاً قليلاً في السنين الاخيرة · ولم تزل هذه الصحيفة تصدر حتى اليوم في اوقاتها المعلومة كما سبق الكلام · وهي الاولى والوحيدة التي ظهرت في تلك الولاية الواسعة لان سكانها ليسوا على شيء من العلم والحضارة والاستعداد لقبول التمدن العصري · ويرجع اكثر اللوم في ذلك على الحكومة العثمانية التي كانت ترسل الى اليمن عمالاً ينصرفون الى منافعهم الذاتية ويهملون مصالح الشعب ويجهلون لغة السكان ويختلفون معهم مشرباً · ولذلك كثرت الفتن بين الحكومة وزعماء تلك البلاد كالشيخ الادريسي والإمام يحيى وغيرهما من امراء العرب الذين اشتهر امرهم

الباب الرابع

تراجم مشاهير الصحافيين العثمانيين خارجاً عن بيروت في الحقبة الثانية

— « ١ » —



﴿ غريغوريوس الرابع ﴾

بطريرك انطاكية وسائر المشرق على الروم الارثوذكس

ومدير جريدة « الهدية » ومحررها سابقاً في بيروت ومؤسس مجلة « النعمة » حالاً في دمشق

(وددتُ بقائي بين اهلي وانما رماني زماني بالبعاد من الصغرْ)

(فقلتُ لهم إنْ تمنعَ العينُ عنهمُ اعوّضهم رغماً عن العينِ بالاثرْ)

هو غنطوس بن جرجس بن غنطوس حدّاد وُلد بتاريخ غرّة تموز ١٨٥٩ في « عبيه » احدى قرى الشوف بجبل لبنان · فتلقى مبادىء العلوم في مدرستها البروتستنتية التي كانت بادارة المرسلين الاميركيين · ثمّ نزعت نفسه الى العيشة الرهبانية فقصد السيد غفرئيل مطران بيروت ولبنان على الروم الارثوذكس طالباً منهُ الانتظام في سلك تلامذة مدرسته الكهنوتية · فدخلها في ١٠ ايار سنة ١٨٧٢ وكان استاذه فيها المعلم شاهين عطيه · فحاز قصب السبق على اقرانه وكان آيةً في الذكاء وقدوةً في السيرة الصالحة وغير ذلك من الصفات الحسنة · فأحبهُ مطرانه المشار اليهِ وجعلهُ كاتبه الخاص في ٢٤ كانون الاوَّل سنة ١٨٧٥ وهو في السادسة عشرة من عمره · وفي ١٩ كانون الاوَّل ١٨٧٧ اتشح بالاسكيم الرهباني في دير سيدة النورية · وفي ٢٩ آب سنة ١٨٧٩ رقاه الى درجة الشماس الانجيلي وسماه غريغوريوس · واناط بهِ طبع كتاب « البوق الانجيلي » وادارة « جمعية بولس الرسول » التي غايتها مساعدة الكنائس والمدارس الارثوذكسية في جبل لبنان · وقد أُلغيت هذه الجمعية بعد قسمة الابرشية الى ابرشيتين وهما بيروت ولبنان · ولما أنشأت « جمعية التعليم المسيحي الارثوذكسي » عام ١٨٨٣ جريدة « الهدية » تولى صاحب الترجمة ادارتها وتحريرها مدة طويلة من الزمان

وسنة ١٨٩٠ وقع الانتخاب عليهِ لكرسي مطرانية طرابلس الشام فاقتبل في ٦ ايار الدرجة الكهنوتية · ثمّ نال رتبة رئاسة الكهنوت من يد البطريرك الانطاكي جراسيموس الذي انتقل بعد ذلك الى السدَّة الاورشليمية البطريركية ومات فيها · فساس صاحب الترجمة هذا الكرسي الاسقفي بكمال الغيرة والنشاط حتى اجمعت قلوب الرعية على محبته واجلاله لانهُ ازال بحكمته ما كان قد طرأ من الشقاق في عهد سلفه المطران صفرونيوس نجار وألقى الالفة في قلوب الجميع · فانقادت له الرعية انقياد القطيع وانقلب العداء محبة والخصام سلاماً · وقد خلد له في هذه الابرشية آثاراً جليلة بما انشأهُ فيها من المدارس والكنائس والجمعيات الخيرية التي تنطق بفضله · واشهرها مدرسة « كفتين » التي عاشت من سنة ١٨٩٣ الى ١٨٩٧ واتحفت الوطن بكثير من رجال العلم في العصر الحاضر · وبعد ستة عشر عاماً من جهادٍ مستمرّ في خدمة منصبه المذكور انتدبهُ احبار الكرسي الانطاكي بطريركاً عليهم بكمال استحقاق خلفاً للسيد ملاتيوس الثاني · وصباح يوم الاحد الواقع في ٢٦ آب ١٩٠٦ جرى تنصيبه باحتفال عظيم في الكنيسة المريمية الكبرى بدمشق · وهو البطريرك الوطني الثاني الذي تولى هذا المنصب بعد استيلاء اليونان عليهِ مدة ١٧٥ سنة (١٧٢٤ — ١٨٩٩) اي من عهد جلوس سلوسترس القبرصي الى خلع سبيريدون وجلوس ملاتيوس الثاني · وقد اوجب ذلك استياء بطاركة اليونان في القسطنطينية والاسكندرية واورشليم · فأبوا الاعتراف بانتخابهِ الشرعي كما رفضوا الاعتراف بسلفه المشار اليه لانهما من اصل غير يوناني · ولكنهم لم



ميخائيل رومانوف

مؤسس الأسرة القيصرية المالكة في روسيا

يلبثوا ان بعثوا له برسائل الشركة معهم وأثنوا على مناقبه الشريفة وفضائله السامية . فارسل له البطريرك القسطنطيني بهذا المعنى كتاباً مؤرخاً في ١٤ آب ١٩٠٩ وجرى مجراه البطريرك الاورشليمي بتاريخ ٢٩ ايلول من السنة ذاتها . وهكذا انفض الخلاف بحكمة صاحب الترجمة الذي زين السدة الانطاكية الارثوذكسية بما أوتيه من جزيل الفضل وسمو المدارك

وما كادت تُلقى اليهِ مقاليد الرئاسة حتى شمر عن ساعد الجد وباشر اعمال وظيفته بهمة لا تعرف الكلال . وقد وجه عنايته الخاصة الى تعزيز شأن المدارس وترقية المعارف لا سيما مدرسة « دير البلمند » الشهيرة . وانشأ مجلة « النعمة » التي جعلها لسان حال الملة الارثوذكسية وسلّم ادارتها لجماعة من افاضل الكتبة الذين ينشرون على صفحاتها آثاراً ادبية وتاريخية وعلمية ودينية وطائفية . وهو يزينها من حين الى حين بالمناشير الراعوية والمباحث المفيدة . ومن مآثره ايضاً انهُ جدّد الدار البطريركية في دمشق على احسن طرز وحسّن حال الاوقاف ورسم على الكراسي الفارغة احباراً من ذوي الفضل والعلم . وفي اواسط سنة ١٩١١ خرج لافتقاد الابرشيات التابعة لسلطته الروحية ولا يزال مباشراً تتميم هذه الزيارة الرعوية

وفي اثناء ذلك دعاه قيصر روسيا نقولا الثاني دعوة رسمية ليترأس الحفلات الدينية التي تقام

بتاريخ ٦ اذار (٢١ شباط عَلَى الحساب اليولي) ١٩١٣ في بطرسبرج عاصمة المملكة تذكاراً لمرور ثلاثمائة سنة من نشأة اسرة « رومانوف » وجلوسها عَلَى العرش القيصري . واصدر نقولا الثاني حينئذٍ منشوراً جاء فيه :

« انهُ بالنظر للعلاقات التاريخية القديمة بين اسلافنا العظام قياصرة الروس و بين بطاركة انطاكية الشرقيين قد اصدرنا امرنا القيصري بدعوة غبطة بطريرك انطاكية السيد غريغوريوس ليترأس الحفلات الدينية بمناسبة مرور ثلاثمائة سنة عَلَى امرتنا رومانوف المالكة التي ستبتدىء في ٢١ شباط ١٩١٣ »

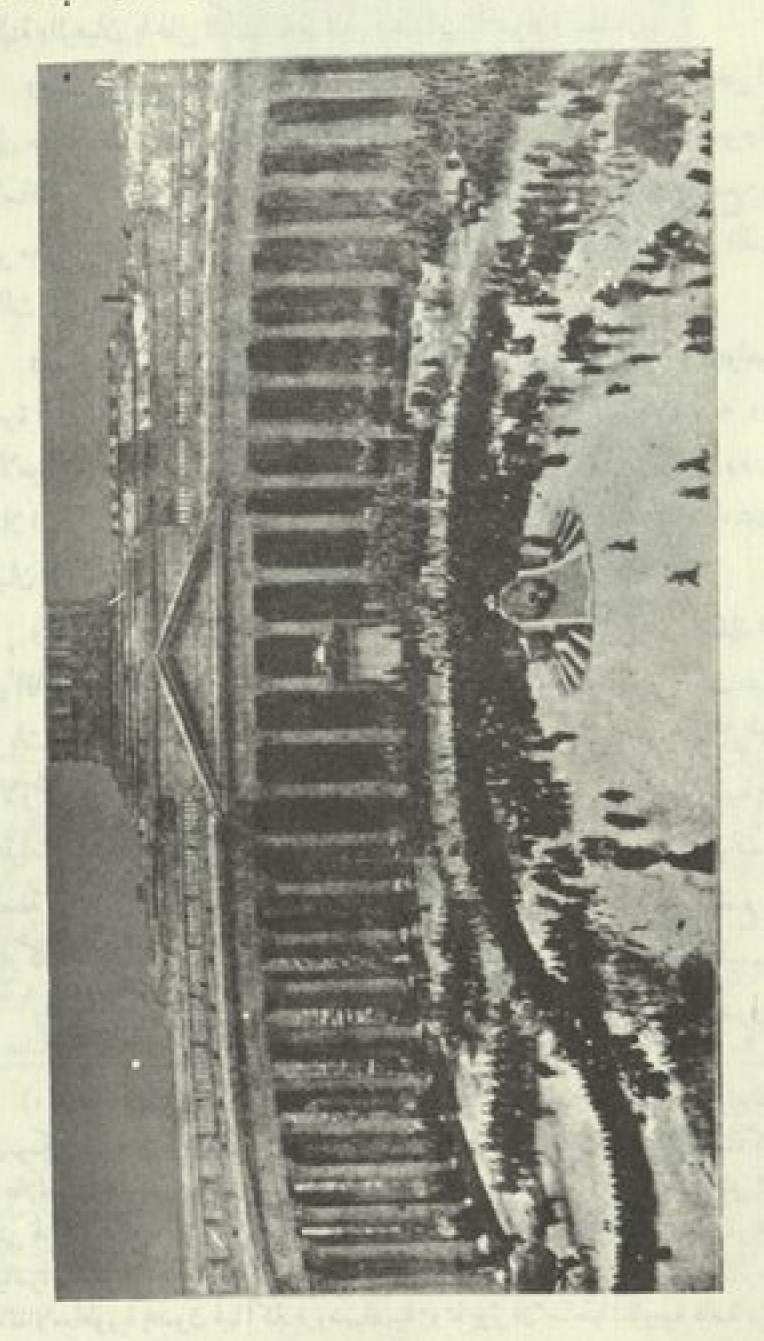
فلما صدر هذا الامر الامبراطوري اجتمع اعضاء المجمع الرومي الروحاني مع ممثل جلالة القيصر وقرّروا ما يأتي :

« (١) ان العادة الجارية حتى اليوم في الاحتفالات بخدمة الاسرار الالهية ان المطارنة ورؤساء الاساقفة والاساقفة والارشمندريتية يلبسون جميعهم التيجان اذا اشتركوا في الخدمة . ولكن اكراماً لغبطة البطريرك الانطاكي ستتبع العادة الشرقية مدة وجوده فلا يلبس التاج غير غبطتهِ . (٢) يذهب وفد خاص من قبل المجمع المقدس الى اودسا لاستقبال غبطته رسمياً بالحلل الكهنوتية و بالتراتيل الدينية ومرافقته حتى بطرسبرج . وكذلك في كل محطة يخرج الاساقفة والكهنة لاستقباله حسب الطقوس الدينية . (٣) يجري استقباله في بطرسبرج باحتفال عظيم ويركب امام عربة غبطته ارخدياكون الكرسي البطريركي حاملاً عكاز البطريركية . (٤) تجري مقابلة غبطته لجلالة القيصر عَلَى مثال ما كانت تجري المقابلة بين القياصرة البوزنطيين و بطاركة القسطنطينية . اي ان غبطة البطريرك يلبس المنتية (الوشاح الملكي) وجلالة القيصر في بزته الرسمية . (٥) ينزل غبطته في دير « القديس نفسكي » العظيم ويجلس وقت الاحتفالات الدينية عَلَى عرش ذهبي . وقد أُرسلت الى موسكو بدلة بطريركية ذهبية ثمينة جداً تخصصت لغبطته . (٦) عند المقابلة القيصرية يعلق عَلَى صدر غبطته وسام القديس اسكندر نفسكي من الدرجة الاولى »

فلبى البطريرك غريغوريوس الرابع دعوة القيصر ولدى مروره بالقسطنطينية قابل السلطان محمد الخامس الذي اهداهُ الوسام العثماني المرصع . ثم استأنف السفر الى اودسا على سفينة مخصوصة كانت اعدّتها له الحكومة الروسية لنقلهِ وحاشيتهُ الى اودسا . وفي ٥ اذار انتهى الى عاصمة الروس حيث غصّ الموقف بالوف من الخلق وفي مقدمتهم ممثلو علية الاكليروس ورؤساء مفوضات المجمع ونائب القيصر ومحافظ المدينة وسيادة المطران فلاديمير . وعند ما ترجل انشد الشعب — وقد حسر جميعه عن رأسهِ — ترنمة « الى اعوام عديدة »

ثم توجه بموكب حافل الى كنيسة القديس اسكندر نفسكي تتقدم عربته عربة عليها المطران

ڤلاديمير ونائب القيصر. ويتلوها قطار من العربات عليها الاكليروس والارخدياكون وبيده عكاز



رسم كنيسة « سيدة قزان » الكبرى
التي احتفل فيها البطريرك غريغوريوس الرابع بالتذكار المئوي الثالث للاسرة القيصرية

غبطته والارشمندريت حامل الصليب . ثم عربة غبطتـه الفاخرة التي أُرسلت خاصة من القصر الامبراطوري لركوبه يجرها اربعة من جياد الخيل . وفي اثرها باوران من لدن القيصر وبعدها عربات

رجال حاشيتهِ . وكانت اجراس الكنائس تقرع احتفالاً بقدومهِ وقد استقبله عند باب الدير الكهنة والرهبان بالحلل الكنسية مرتلين وحاملين الشموع والصلبان

وهناك رحب بغبطته رئيس الاساقفة وقدم له الصليب ليقبّلهُ . ثم دخل الى كاتدرائية الدير والى جانبهِ مطران بطرسبرج ونائب القيصر . وبعد الدعاء لجلالة القيصر وأُسرته وشكر رؤساء الاساقفة والاساقفة والرؤساء دخل الى الهيكل حيث اجتمع باعضاء المجمع . وبعد ذلك ذهب الى مقر مطران بطرسبرج وامامهُ رهبان الدير تتقدمهم الشمعة والصليب الذهبي الذي اهداه الاسكندر الثالث الى مطران بطرسبرج وهو مرصع بالالماس والياقوت

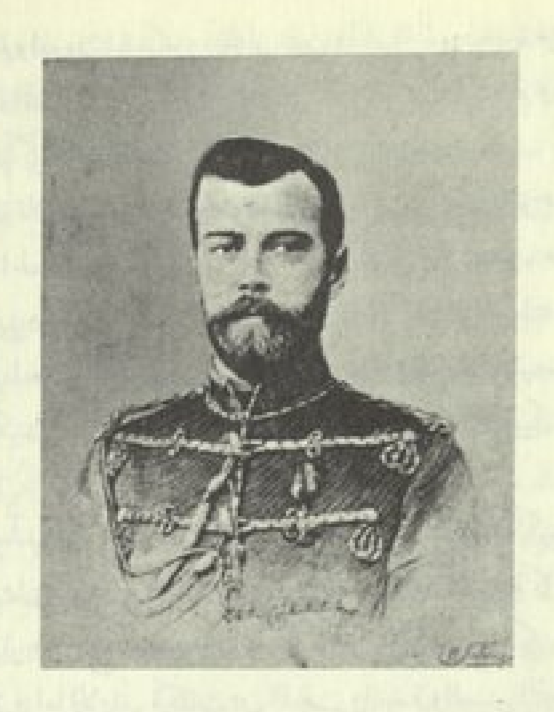
وفي الساعة الثالثة بعد الظهر ذهب الى كنيسة القديسين بطرس وبولس حيث مدافن اسرة « رومانوف » وترأّس حفلة الصلاة بحضور القيصر وبناته ووالدته وكثير من الامراء والاميرات . وبعد نهاية الصلاة توجه الى منزل نائب القيصر حيث وفد للسلام علَى غبطته ممثلا البطريركين القسطنطيني والاورشليمي ورؤساء الاساقفة واعضاء مجلس الاعيان وكبار اعيان الروس

وفي صباح اليوم التابع جرت في كنيسة « سيدة قزان » الكبرى[1] حفلة العيد التي رنَّ صداها الى اقاصي المعمور . وفي الساعة الثالثة ونصف الساعة بعد الظهر ركب غبطته عربة فخيمة من عربات القصر الامبراطوري والى جانبه سيادة المطران الكسندروس والارشمندريت انطونيوس والارشمندريت غفرئيل . وقد ركب الارخدياكون توما على عربة ثانية وبيده الصليب ومعه المنتيات . لان من العادة الجارية في روسيا ان يلبس علية الاكليروس المنتيات عند مقابلة القيصر بالصفة الرسمية . وقد توجهوا الى القصر الامبراطوري واستووا نحو بضع عشر دقائق في بهو فسيح كان يقبل في اثنائها الامراء والاميرات من الاسرة المالكة للسلام عليهم

واخيراً اقبل رئيس الياوران ودعا غبطته وسيادة المطران الكسندروس والارشمندريتين

---

(١) يقال لهذه الكنيسة « سيدة قزان » تيمناً بصورة العذراء مريم التي نقلها القيصر يوحنا الرابع من مدينة قزان الى موسكو عاصمة روسيا قديماً . وكانت هذه الصورة محترمة من جميع الشعب حتى ان العساكر الروسيين كانوا يحملونها في طلائعهم في محارباتهم مع التتر . ولما انشأ بطرس الاكبر عاصمة الروس الجديدة باسمه نقل اليها صورة « سيدة قزان » فابتنى لها كنيسة فخيمة تشبه كنيسة القديس بطرس في رومة . ومن ذلك الحين صار تاريخها مقروناً بامجاد عرش القياصرة ومفاخر المملكة الروسية . لانَّ القياصرة يزورونها قبل اسفارهم من العاصمة وبعد رجوعهم اليها . وجميع اعضاء العائلة الامبراطورية يقضون فيها اكثر فروضهم الدينية . ومما يذكر انَّ ساحتها الخارجية غاصة دائماً بجماهير الشعب وابناء المدارس . وهي مركز الاجتماعات الشهيرة والحوادث العظيمة التي جرت عام ١٩٠٥ وكانت حينئذٍ مرسحاً للثورة الاهلية . فارتفعت فوق مبانيها الرايات الحمراء وجرت فيها الدماء سيولاً . وفي السنين الاخيرة انشأت فيها بلدية بطرسبرج حدائق غناء وغرستها بالاشجار الباسقة ليستطيع سكان العاصمة ان يتنزهوا فيها



نقولا الثاني قيصر روسيا

للمقابلة · فلبسوا المنتيات ونقدموا نحو الردهة التي استوى فيها القيصر · ومن العادة ان لا يدخل عليهِ اكثر من اثنين فدخل غبطته والسيد الكسندروس وكان في الردهة جلالة القيصر والقيصرة وولي العهد ووالدة القيصر و بناته الاربع وبعض افراد الاسرة الامبراطورية· وكان القيصر جالساً الى عرشهِ وفي اعلاه صورة العذراء··فرفع البطريرك نظره اليها وانحنى امامها وتلا ترتيلتها « بواجب الاستيهال » ثم التفت الى القيصر وسلم عليهِ باكرام· فنزل القيصر عن عرشه واستقبله كاشف الراس وانحنى امامه·فباركه البطريرك وقبَّلهُ حسب العادة الروسية في كتفه· واما القيصر فقبَّل رأس البطريرك اولاً ثم يده اليمنى و بقي الاثنان واقفين

و بعد ان هنأهُ بسلامة الوصول وسمع جوابه كلفهُ ان يجلس بَلَى مقعد الى جانب العرش· ثم صعد القيصر الى عرشه وتابع الحديث معهُ في مواضيع مختلفة الى ان قال لهُ : « سمعت منذ زمان عن عزمك الى المجيء اليَّ وتمنيت كثيراً ان أراك· واني اعرف برَّك وطهارتك فارجوك ان تتوسل لله العلي وتصلي لاجلي »

فقال البطريرك : « انني رجل خاطىء يا مولاي ولكن فليعطك الرب مثل قلبك وحسب ايمانك وتيم كل آمالك و يؤيد عرشك الى الابد »·فلما سمع القيصر هذا الجواب المتضمن كلام داود النبي سُرَّ وتخشع وقبَّل يمين البطريرك مرَّةً أُخرى · ثمَّ قدم البطريرك له الهدايا وهي من

خشبة الصليب المكرَّم والميرون المقدَّس وانجيل ثمين وايقونة مع ذخيرة من بقايا يوحنا المعمدان وبلسم وبخور ومنّ واقمشة حريرية الخ. فشكر له القيصر هديته ثم ودَّعه البطريرك باحترام وانصرف من لدنه شاكراً هذه المقابلة

وفي اثناء المقابلة تلا البطريرك خطاباً باللغة العربية وجيز العبارة ترجمهُ السيد الكسندروس الى الروسية . وكان الخطاب مطبوعاً عَلَى درج من رقّ غزال وفي صدره صورة القديسين بطرس وبولس حتى اذا انتهى من تلاوته قدمه الى القيصر. ثم سلم كل من غبطته وسيادته عَلَى القيصرة وولي العهد وعلى سائر الحضور فكان الجميع يقبِّلون ايديهما. وقد علق القيصر على صدر البطريرك وسام « القديس اسكندر نفسكي »طبقتهُ الأُولى وأهداهُ صليباً ذهبياً مرصعاً بالماس ليوضع عَلَى اللاطية

وفي ٩ اذار وهو آخر ايام الاحتفالات اليوبيلية قام البطريرك في الكنيسة الكاتدرائية بخدمة القداس الالهي . ومما يذكر انه قرأ الانجيل الشريف باللغة العربية كما انهُ دعا للقيصر باللغة نفسها. وفي ذلك النهار دُعي مع حاشيته الى مأدبة كبرى في القصر الملكي حضرها ٢٥٠٠ شخصٍ جلسوا الى ١٨ مائدة . اما الاواني فكانت من الذهب والفضة والصيني الثمين . وقد جلس القيصر الى رأس المائدة والقيصرة عن يمينهِ ووالدته عن يساره ثم افراد الاسرة المالكة والوزراء . وجلس البطريرك في المركز الاوَّل ازاء القيصر تحيط بهِ حاشيته وسائر ارباب الكهنوت . وكانت لائحة الطعام مكتوبة عَلَى رقعة مرسوم عليها نسر وقائدان من الجيل السادس عشر . وقد شُرِب على المائدة ثلاثة انخاب: الاوَّل نخب القيصر وقرينته ووالدته والثاني نخب ولي العهد والاسرة المالكة والثالث نخب البطريرك ورجال الدين . وكانت المدافع تطلق من القلعة بعد كل نخب والموسيقى الامبراطورية تشنف الآذان باطيب الالحان

وفي اثناء اقامته في روسيا زار اكثر معاهدها الشهيرة فلقي حفاوة لم يسبق لها مثيل عند جميع الطبقات من العرش القيصري حتى افراد الشعب. وقد ألهمهُ الله ان يزور تلك البلاد في أمجد ايامها التاريخية واعظم اعيادها الوطنية . وعند ما حضر جلسةً من جلسات المجمع المقدس أُهدي اليهِ الصليب المرصع الذي أخرجهُ المجمع لاستقبالهِ وليُحمل امامهُ في الحفلات الدينية وهو تقدمة من والد القيصر الى المجمع المذكور . هذه خلاصة ما جرى للبطريرك الانطاكي الارثوذكسي في عاصمة الروس من الاحتفالات العظيمة التي يخلد التاريخ ذكرها جيلاً بعد جيل . وعند كتابة هذه الترجمة لا يزال صاحبها مظهراً للتكريمات السامية التي لم يسبق مثلها لاحد البطاركة اسلافه في القرون الغابرة

وصاحب الترجمة جميل الصورة رخيم الصوت طاهر الذيل محبٌ للسلام يتقد غيرةً عَلَى صالح

رعيته · وهو ضليع في اللغة العربية التي يكتب فيها نثراً ونظماً ببلاغة · وقد أحكم بنوع خاص علم الفقه والمنطق والجبر والرياضيات والتاريخ لا سيما علم الفرائض الذي تلقاهُ على الشيخ يوسف الاسير في بيروت · ولهُ معرفة باللسان اليوناني و ببعض الإلمام باللغتين التركية والروسية · وقال الشعر منذ حداثتهِ ومن نظمهِ بيتان ارسلهما من طرابلس الى الشيخ رشيد نفاع تهنئةً بعيد الميلاد و بفاتحة عام ١٨٩٥ وهما :

لمولىً قد تسمى بالرشيدِ　　هنأً بالعيدِ والعام الجديدِ
فدمْ بالخيرِ ما وافاكَ عامٌ　　و بالاسعادِ عيدٌ بعد عيدِ

ومن ذلك بيتان قالهما في خلال التأبين الذي ألقاه بمناسبة وفاة اسكندر الثالث قيصر الروس :

سقى قبرَهُ الدمعُ السخيُّ وكلهُ　　سخينٌ فكادَ التربُ يُحرَقُ بالدمعِ
و بردَ مثواهُ دعاء خلائقٍ　　لهُ بينهم طول المدى اجملُ الصنعِ

ومن نظمهِ ابيات قرّظ بها كتاب « آفات المدنية الحاضرة » لمؤلفهِ جرجي نقولا باز :

وردَ الكتاب مبيناً آفاتنا　　وملافياً ما فاتنا بمجازِ
فأسلم طبيباً شارحاً ومشرّحاً　　ومعالجاً جرجي نقولا بـازِ
لا زلتَ بالتوفيقِ في الدنيا وفي الا　　أخرى تنالُ رضى الذي سيجازي

وفي غرّة عام ١٩١٢ وافق وجوده في بيروت زائراً عند المطران جراسيموس مسرّة فأهداهُ المطران قلماً ذهبياً · فتناولهُ البطريرك وكتب بهِ ابياتاً ارتجالية جاء في مطلعها :

كتبتُ بالقلم المهدى بلطفكمُ　　الى حقارتنا تذكارَ شكراني
اللهُ يحفظكم يـا رافعاً علماً　　للفضلِ والنبلِ بل يا خيرَ مطرانِ

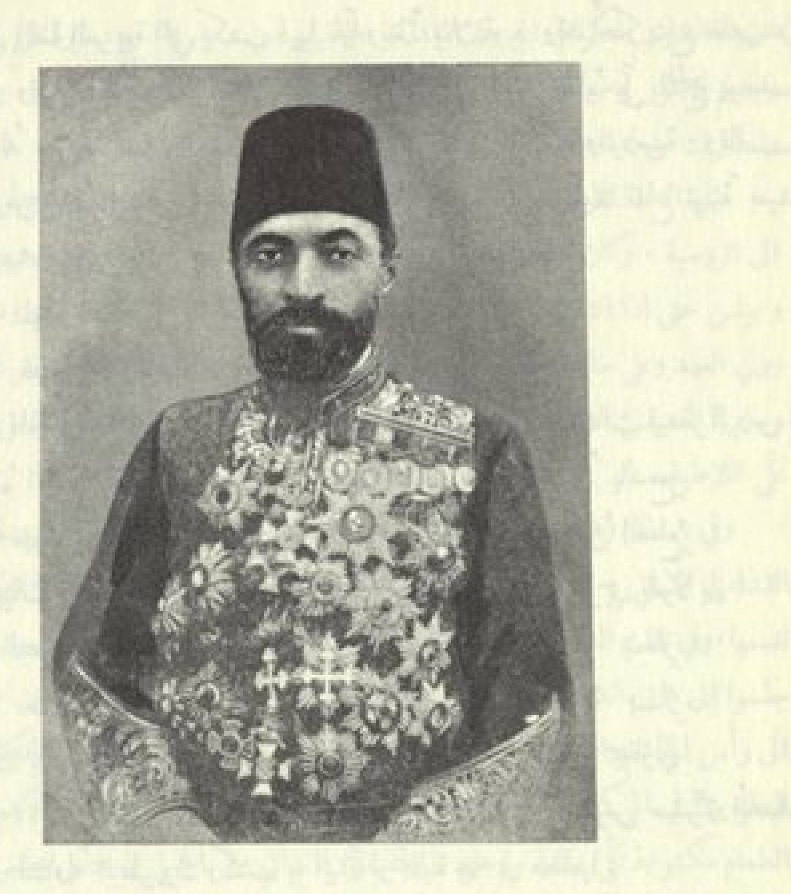
= « ٢ » =

✵ احمد عزّت باشا العابد ✵

الكاتب الثاني للسلطان عبد الحميد ومنشىء جريدة « دمشق » واحد المحرّرين في جريدة « سورية » الرسمية سابقاً

(نشأتهُ)

هو ابن محيي الدين ابي الهول (المشهور باسم هولو باشا) ابن عمر آغا ابن عبد القادر آغا ابن محمد آغا ابن الامير قانص العابد من امراء المشارفة · ينتمي الى عشيرة عربية تعرف بقبيلة « الموالي » وتسكن الخيام في بادية الشام بين الزور وتدمر · وهي تنتسب الى قبيلة « بكر بن وائل » الحجازية



احمد عزت باشا العابد

القرشية كما ذكر الشيخ ابو الهدى الصيادي في كتابه المسمى « الروض البسام في اشهر البطون القرشية في الشام »

وُلد احمد عزت باشا سنة ١٢٧٢ هجرية (١٨٥٥ ميلادية) في دمشق وقرأ مبادىء العلوم في حداثته على اشهر جهابذة ذلك العصر كالشيخ عبد الرحمن الاسنوي والشيخ احمد الشطي والشيخ احمد عابدين . فاخذ عنهم الصرف والنحو والفقه الحنفي وأصول الحديث وقسماً من الرياضيات . وتعلم مبادىء اللغات التركية والفرنسية والانكليزية في مدرسة الآباء اللعازريين وعلى اساتذة مخصوصين في بيت ابيه . ثم انتقل الى المدرسة البطريركية في بيروت فاتقن بها اللغة الفرنسية واخذ العلوم العربية العالية على الشيخ ناصيف اليازجي كالمنطق والبديع والمعاني والبيان

وكان والده هولو باشا من المتقدمين في وظائف الحكومة العثمانية لذلك العهد. فانهُ احرز

رتبة « بيلر بك »وتوصل الى ان يكون متصرفاً على بعض الالوية مع انهُ عربي الاصل · فسعى لكبر انجاله صاحب الترجمة في وظيفة بمركز ولاية سوريا لما كان يتوسمهُ فيه من الذكاء والاستعداد لأرفع المناصب · وما كاد احمد عزّت يزايل المدرسة حتى تعين كوَيتباً في قلم المخابرات التركية حيث اخذ يترقى رويداً رويداً حتى صار في سنة ١٨٧٣ رئيساً لذلك القلم ولقلم المخابرات العربية ايضاً · وقد عهدت اليهِ الحكومة وقتئذٍ تحرير القسمين العربي والتركي في جريدة « سورية » الرسمية لبراعته في فنون الانشاء · فنزعت بهِ نفسهُ الى خدمة المعارف بطريق الصحافة واصدر باسمه عام ١٨٧٨ جريدة « دمشق » التي دافع بها عن الدولة والوطن · وقد نشر على صفحاتها فصولاً كثيرة اشار فيها الى مآثر العرب ومفاخرهم وعلومهم وفضائلهم لايبغي من ذلك كله ربحاً مادياً · ولبث على ذلك اعواماً شتى حتى تكاثرت اشغاله وتعين لبعض الوظائف خارجاً عن مدينة دمشق فترك الجريدة

وفي سنة ١٨٧٦ تعين كاتباً لمجلس ادارة ولاية سوريا · وبعد ثلاثة اعوام من التاريخ المذكور صار رئيساً لمحكمة الحقوق ثم مسيطراً عاماً على جميع المحاكم في ولايتي سوريا و بيروت ولواء القدس · ومما يثبت اقتداره في ضبط المحاكم ومعرفة القوانين ان رستم باشا وواصا باشا كانا يعتمدان عليهِ ويستدعيانهِ لاصلاح شؤون محاكم جبل لبنان · فذاعت شهرتهُ في البلاد وقام لفيف من العلماء والاشراف والتجار والشعراء فقدَّموا له مجموعةً تتضمن ما خطه كلٌّ منهم نظماً ونثراً من آيات الثناء عليه · وجعلوا ضفتي المجموعة من الذهب الابريز ونقشوا اسمهُ على ظاهرها مرصعاً بالحجارة الكريمة · وفي سنة ١٨٨٤ تعين لمثل وظيفته في ولاية قونيه فاعتذر عن قبولها وحينئذٍ ارسلتهُ الحكومة مفتشاً عاماً لمحاكم ولاية سلانيك

وبعد سنة صار رئيساً لمحكمة الجزاء البدائية في العاصمة ثم رئيساً لمحكمتها الاستئنافية · غير انه لم يمضِ شهران على ذلك حتى أُقيم رئيساً عاماً على محاكم التجارة الاهلية والمختلطة مدة ستة اعوام · وفي خلال ذلك اظهر اقتداراً في كثير من معضلات الدعاوى مع الاجانب بكشف الباطل ونصب ميزان العدالة · وفي سنة ١٨٩١ صار عضواً لدائرة التنظيمات في مجلس شورى الدولة · وفي عام ١٨٩٥ انتدبهُ السلطان عبد الحميد الثاني فجعله كاتباً وقريناً له · ثم عهد اليه عضويات جميع اللجان المالية وسماه رئيساً على لجنة المهاجرين الى الدولة العثمانية · فكان احمد عزّت مشمولاً بعناية السلطان الخاصة واحرز من المجد وعلوّ المنزلة ما لم يحرزهُ احد ابناء العرب المسلمين وغيرهم قبل هذا العهد في دولة الاتراك منذ تأسيسها

ولبث في وظيفته الاخيرة ثلاث عشرة سنة يخدم دولتهُ وسلطانهُ حتى طرأ الانقلاب العثماني في ٢٣ تموز ١٩٠٨ وجرى ماجرى مما هو مشهور ومعلوم · فخرج حينئذٍ من العاصمة على سفينة اجنبية مودعاً وطنهُ الذي اخذت تتلاعب فيهِ عواصف السياسة وتنتابه المصائب الجسيمة من كل جهة ·

فذهب الى لندن اولاً ولم يتخذ مركزاً مخصوصاً للاقامة فيه · بل هو يتنقل من بلد الى آخر كمصر وسويسرا وفرنسا وانكلترا بحسب اختلاف فصول السنة · لان الاطباء اشاروا عليه باعتزال الاشغال مراعاةً لاحوال صحته التي اثرت عليها العوامل السياسية

(آثاره العلمية)

سبق القول انَّ المترجم تعلم اللغات العربية والتركية والفرنسية والانكليزية واحكم اصولها تكلماً وكتابةً · وله ايضاً إلمامٌ بغيرها من الالسنة القديمة والحديثة التي لم يتمكن من درسها درساً كافياً لانصرافه الى خدمة الدولة بطريق السياسة · ومع ذلك فانه نقل من اللغة التركية الى العربية كتاب « حقوق الدول » لمؤلفه حسن فهمي باشا والمجلد الاول من « تاريخ جودت باشا » لاحتوائه على فلسفة التاريخ · وترجم كتاب « الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية » من اللسان العربي الى التركي · وانشأ جريدة « دمشق » المار ذكرها وحرَّر جريدة « سورية » في قسميها التركي والعربي مدةً من الزمان · وشيَّد في المدينة المنوَّرة مدرسة لمائتين من الاطفال وانشأ لها اوقافاً تضمن بقاءها ونجاحها في المستقبل

(آثاره الوطنية)

للمترجم اعمال جديرة بالذكر في جانب الوطن والامة العربية · فانهُ لزم طريق الاقتصاد حتى كادت السلطنة العثمانية تستغني عن استقراض الاموال الاجنبية · ولما كان المقام يضيق دون نشر كل مساعيه النافعة نجتزىء منها بالقليل ونبسطه للقراء · فمن ذلك ان نظارة التلغراف كانت طلبت ١٣٠ الف ليرا عثمانية لتنشىء خطاً برقياً بين فزان وطرابلس الغرب · ولدى مراجعته استكثر هذا المبلغ فاخذ على عاتقه انشاء الخط المذكور مع خط آخر يمتدُّ من بنغازي الى طرابلس الغرب باقل من نصف المبلغ المشار اليهِ · ثم أحدث بين « كله مش » من اعمال ولاية ازمير وبين « بنغازي » في طرابلس الغرب خطاً برقياً بلا سلك · فسهل للدولة العثمانية حرية المخابرة بينها وبين املاكها في شمال افريقيا ولم يكلف الخزينة اكثر من عشرة آلاف ليرة مرَّة واحدة · وبهذا العمل انقذها من استبداد شركة « استرن » التي كانت تقبض من الدولة في كل سنة ثمانين الف ليرة ما عدا أجور المخابرات غير الرسمية فعادت هذه الارباح لخزينة السلطنة · ثم مدَّ خطاً تلغرافياً بين دمشق والمدينة المنورة ولم يكلف الدولة اكثر من خمسة آلاف ليرة · لانهُ تبرع باكثر اعمدة الخط من اخشاب احراشه الخاصة واستعان بالبعض الآخر مما تبرَّع به اهل الخير في دمشق

وفي ذلك الحين طلبت الشركة التلغرافية الهندية رخصةً بمد خط مستقل للمخابرات التلغرافية بين اوروبا والشرق الاقصى مع حق السيطرة عليه · فأبت اريحية صاحب الترجمة إجابة هذا الطلب وعهد الى نفسه مدَّ الخط المذكور على نفقة الخزينة تخلصاً من سيطرة اجنبية · فانجز العمل

في اقل من شهر ولم يكلف الخزينة باكثر من ستة آلاف ليرة · مع ان نظارة التلغراف كانت قدرت احتياج عمل هذا الخط بمائة وثلاثين الف ليرا · وعند إتمامه تمثل اوقونور سفير بريطانيا العظمى في القسطنطينية لدى السلطان عبد الحميد شاكراً ومستغرباً قصر مدة العمل وقلة اكلافه

ولما كانت المياه الواردة الى المدينة المنورة تأتيها بمجرى تتخلله جراثيم الاوبئة القتالة اراد ان يضع حداً لهذا الخلل الذي طالما ذهب بارواح الكثيرين من السكان والحجاج · فافتتح اكتتاباً حبياً جمع فيه نحواً من خمسة آلاف ليرا وابتاع بها قساطل حديدية وآلات بخارية رافعة واناييب على الطراز الصحي · ثم بعث بها لحصر مياه الينابيع في القساطل وجرها الى المدينة المنوّرة سالمة من الاقذار التي تلقى في مجاريها ليستقيها الناس ماء قراحاً خالياً من تلك السموم · وما كاد يشرع بالعمل حتى اضطر ان يفارق الوطن فتوقف الشغل ولم تزل القساطل والآلات البخارية وفروعها ملقاةً في محطة حيفا وسائر محطات السكة الحجازية

ومن مآثره الوطنية انه تولى رئاسة لجنة المهاجرين مدة لاتتجاوز ثمانية عشر شهراً · فانشأ في خلالها نيفاً واربعين قرية واسكن فيها نحواً من خمسين الف مهاجر اكثرهم في ولايتي سوريا وحلب · ثم شيّد من ماله الخاص في المدينة المنوّرة مستشفى لخمسين مريضاً ورباطاً لخمسين عائلة ومدرسة لمائتين من الاطفال · وجعل لهذه المباني اوقافاً مسجلة في الاستانة وفي المحكمة الشرعية بالقاهرة · وعلى ما اتصل بنا الآن ان المباني المذكورة استعملتها الحكومة لغير ما وُضعت له

(السكة الحديدية الحجازية)

وكان المترجم منذ حداثة سنه يستعظم الاتعاب التي تلمّ بالمسلمين في ذهابهم الى الحج وإيابهم منه · وكان يستهجن الاموال الطائلة التي تبذلها السلطنة في هذا السبيل وفي نقل الجنود ومهماتها · فاخذ يتتبع ما فعلته حكومة روسيا بانشاء السكة الحديدية لسيبريا · و بعد ان اتم ابحاثه عرض على السلطان وجوب إنشاء السكة الحديدية الحجازية بايدي العساكر · ثم اوضح له الاخطار التي تتولد عن بقاء الحالة على ماهي عليه وما يلحق بالدولة من الاضرار السياسية والاقتصادية · واخذ على عاتقهِ القيام بهذا المشروع الخطير الذي لم يقم في الدولة العثمانية مشروع آخر يضاهيه اهميةً ونفعاً حتى الآن · فاستحسن السلطان رأي كاتبه واذن له بمباشرة العمل بينا لم يكن في يده دانق واحد ولا آلة ولا مورد يستند اليهِ · فافتتح احمد عزّت باشا لوائح الاكتتاب مقترحاً على الشعوب الاسلامية وملوكها وامرائها واغنيائها وعلمائها ان يشتركوا في المساعدة · فلبى جميعهم نداءه من مشارق الارض ومغاربها وتبرّعوا بالاموال الوافرة التي بلغ مجموعها نحواً من ثلاثة ملايين ونصف مليون جنيه · فأنشأ بهذا المبلغ خطاً طولهُ الف وخمسمائة كيلو متر يمتدّ من حيفا الى دمشق فالمدينة المنورة بمدة وجيزة لايتصوّر العقل الاتيان بمثلها · وقد تحدث الاختصاصيون بذلك وقدّروا صاحب الترجمة

حقَّ قدره لما أتى به من المدهش بهمته الشماء حتى ادرك البغية المنشودة · ولا ريب في انهُ خدم المسلمين بهــذا المشروع الجليل خدمة عظيمة بحيث سهل لهم وسائل الاقتصاد والراحة بتقريب المسافات وتقليل النفقات وتوفير الاتعاب · وكان يؤمل ان يمدَّ خطين من المدينة المنورة : احدهما الى مكة وجدَّة وصنعاء اليمن والآخر الى البصرة · وان تكون اكلاف إتمامهما من ريع خط الحجاز ومن الرسوم الطفيفة التي احدثتها السلطنة لهذه الغاية · ولكن أبت الظروف الاَّ ان يضطرَّ للخروج من وطنهِ فذهبت تلك الآمال ادراج الرياح · ولما تمَّ خط « المدينة المنوَّرة » ادخل اليها النور الكهربائي ولم يكن حينذاك له اثر في البلاد العثمانية · وقد عهد بانشائهِ الى ضباط الجيش البحري ولم يصرف في سبيله دانقاً واحداً من خزينة السلطنة

(الرتب واوسمة الشرف)

اخذ صاحب الترجمة يترقى في مدارج المراتب منذ كان في السنة الخامسة عشرة من عمره · فاحرز اولاً الرتبة الرابعة في عهد راشد باشا والي سوريا الذي توسم فيهِ الذكاء والنجابة · ثم صارت تتوالى عليه الانعامات مرَّة بعد المرَّة حتى منحه السلطان عام ١٨٩٤ رتبة « بالا » مع « الوسام المجيدي الاول » عند ما كان بين المتمثلين لديه للتبريك في عيد الاضحى · ثم نال « الوسام العثماني المرصع » مكافأةً له عَلَى إنشاء الخطوط البرقية في طرابلس الغرب · وحاز على « الوسام المجيدي المرصع » عند إتمامه خطوط الكويت فاوروبا ودمشق فالمدينة المنورة · وانعم عليه بوسام « الافتخار المرصع » لما أبرز من السرعة بعمار القرى لإسكان المهاجرين · وفي سنة ١٩٠٠ طلب بعض وزراء الدولة عقد قرض لاداء جانب من الديون · فاعترضهم احمد عزَّت باشا واتخذ وسائل اوجد بها ما يفي تلك الديون بغير قرض · فرقاه السلطان الى رتبة الوزارة تقديراً لمساعيهِ في هذا العمل الجليل · ولما انتهت السكة الحديدية الحجازية الى معان انعم عليه بوسام « الامتياز المرصع » مع المداليتين الذهبية والفضية · وهو حائز ايضاً عَلَى جميع المداليات الافتخارية العثمانية بلا استثناء · اما سائر الوسامات التي اهدتها اليهِ الدول الاجنبية فعديدة وجميعها من اعلى طبقة كما هو ظاهر من رسمه · وكثير منها مرصع بالحجارة الكريمة وقد خلا رسمه من بعضها لوفرة عددها

(صفاته)

هو رجل إقدام لطيف المعاشرة معتدل القامة حسن الاخلاق شديد الاكرام للضيف محب لبني جنسهِ · وعند ما كان في أوج مجده لدى السلطان عبد الحميد الثاني نفع كثيراً من ابناء العرب طلاَّب الوظائف في الحكومة وما ردَّ احداً منهم خائباً · فسعى لكل مَن لجأ اليه في تعيينهِ بوظيفة أو ترقيته الى منصب اعلى بحسب كفاءته ولياقته · فاكتسب بذلك ثناء الخاص والعام وفاز بمحبة مواطنيهِ عَلَى اختلاف النحل والملل وتواردت عليه مدائح الشعراء والبلغاء من داني البلاد وقاصيها ·

وبعد اعتزاله الحياة السياسية صار يقضي جانباً كبيراً من اوقاته في مطالعة الصحف ودرس احوال الامم والعناية باملاكه الواسعة في سوريا ومصر. وكان للسلطان ثقة فيه يعوّل عليه في الامور العظيمة لانهُ راى فيه وزيراً عالي الهمة قوي الحافظة واسع الاطلاع في اهم مناهج الحكومة قضائياً وسياسياً ومالياً. وكنا نودُّ بسط الكلام في سائر ما يتعلق بشؤُون هذا الوزير العربي الذي احرز شهرةً في صحائف التاريخ الحديث قبل الانقلاب المشهور سنة ١٩٠٨ في السلطنة العثمانية. ولكن نترك للمستقبل الحكم له او عليهِ بعد خروج هذه الدولة من المأزق الحرج الذي اوصلتها اليهِ السياسة الحاضرة فتقطع جهينة قول كل خطيب





❋ عبد الرحمن الكواكبي ❋

محرر جريدة «فرات» ومنشىء جريدتي «الشهباء» و«اعتدال» في حلب

العظمة والشهرة صديقتان يغلب ان تتصاحبا فلا تكون احداها بدون الاخرى. ولكنهما كثيراً ما تفترقان فتكون العظمة بلا شهرة والشهرة بلا عظمة. فترى بين اهل الشهرة الواسعة مَن اذا لقيتهم وسبرت غورهم رأيتهم كالطبل يدوي صوته الى بعيد وجوفه فارغ. وانهم انما نالوا

تلك الشهرة بما طُبعوا عليهِ من الميل الى نشر محامدهم في الصحف ليقرأها الناس ويتحدثوا بها . وقد ينفقون المال و يتحدَّون اوعر اسباب السعي في هذا السبيل . وترى بينهم مَن لا محمدة له فينتحل محامد غيره او تكون له حبة منها فيجعلها قبة . فاذا نُشر ذلك عنهُ في صحيفة او نشرة اوكتاب حملهُ وطاف بهِ في الاهل والاصدقاء يترنم بقراءتهِ عليهم و يتلذذ بما يلقى من آيات الاعجاب وخصوصاً في هذه البلاد — بلاد المجاملة التي يزداد فيها المغرور غروراً اذ لا يسمع من الناس الاَّ اطراء واعجاباً ولو كانت حاله تدعو الى التقريع والتعنيف — و يعدون ذلك من آداب الحديث

فما كل شهير عظيم ولا كل عظيم شهير . فكم بين ظهرانينا من رجال توفرت فيهم شروط العظمة ولو رافقتها الاسباب لأَتوا بالامور العظام . وقد تظهر مواهبهم من خلال اعمالهم وان ضاقت دائرة العمل . ولكنهم لرغبتهم عن الشهرة لا يعرف اسماءهم الا القليلون فاذا اصابهم سوء اذاع مريدوهم اخبارهم وتحدثوا بافضالهم

ومن هذا القبيل عبد الرحمن الكواكبي الحلبي فقد جاء مصر سنة ١٣١٦ هـ وأقام في قلب العاصمة . ومع سعة علمهِ وغزارة مادتهِ لم يسمع بذكره احد ولا عرفهُ الاَّ الاصدقاء والأخصاء . وهناك أُناس يقصرون عن ادراك بعض منزلته علماً وفضلاً ولكنهم لا تطأ اقدامهم مصر حتى تتناقل الصحف اخبارهم بما ينشرونهُ فيها من نفثات اقلامهم او ثمار قرائحهم — وقد لا تكون تلك الثمار شهية — وانما يعمدون الى نشرها رغبةً في الشهرة . فالكواكبي لم يكن من اولئك ولكن همهُ كان منصرفاً الى خدمة الوطن ونشر المبادىء الصحيحة فيهِ بالتأليف والتلقين والصحافة بعد ان قضى معظم العمر في خدمة الحكومة العثمانية في حلب . وقاسى اموراً صعاباً من وشايات ذوي الاغراض فلم يلقَ تربة تصلح لغرس مباديه فجاء مصر ونشر بعض كتبه . فعاجلهُ الاجل فقضى ومضت معهُ امانيه وهي شبيهة باماني جمال الدين الافغاني . وقد استهلك في سبيلها كما استهلك ذاك من قبله

(ترجمته)

آل الكواكبي أُسرة قديمة في حلب هاجر اليها اجدادهم منذ اربعة قرون ولهم شهرة واسعة ومقام رفيع في حلب والاستانة . يرجعون بانسابهم الى ابرهيم الصفوي احد امراء اردبيل العظام ولهم آثار مشهورة منها « المدرسة الكواكبية » في حلب . ونبغ منهم جماعة كبيرة من العلماء ورجال الادارة ومنهم عبد الرحمن الذي وُلد في حلب سنة ١٢٦٥ هجرية (١٨٤٩ ميلادية) وأبوه الشيخ احمد الكواكبي احد مدرّسي الجامع الاموي الكبير

تلقى عبد الرحمن مبادىء العلم في بعض المدارس الاهلية ودرس العلوم الشرعية في المدرسة الكواكبية . وأتقن العربية والتركية و بعض الفارسية ووقف على العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحديثة . وكان ميالاً من حداثته الى صناعة القلم فاشتغل في تحرير جريدة « فرات » التي

كانت تصدر في حلب باسم الحكومة وهو في السابعة والعشرين من عمره . حرّرها خمس سنوات وانشأ في ١٠ ايار ١٨٧٧ بالشركة مع هاشم عطار جريدة سماها « الشهباء » ثم أصدر لنفسه في ٢٥ تموز ١٨٧٩ جريدة سماها« الاعتدال» باللغتين العربية والتركية . واشتغل بخدمة الحكومة فتقلب في عدة مناصب علمية وأدارية وحقوقية . وأهل النقد يذكرون فضله في كل واحدة منها كبيرها وصغيرها لان اقتدار الرجل يظهر في الصغائر كما يظهر في الكبائر . وكان حب الاصلاح وحرية القول والفكر باديين في كل عمل من اعماله . فلم يرقْ ذلك لبعض ارباب المناصب العليا فوشوا به فتعمدت الحكومة حبسه ثم جرّدوه من املاكه . فلم يقلل ذلك شيئاً من علو همته فغادر الوطن في اوائل شهر محرّم سنة ١٣١٦ هجرية وطلب بلاد الله . فجاء مصر ثم خرج منها سائحاً فطاف زنجبار والحبشة واكثر شطوط شرق اسيا وغربيها ثم رجع الى مصر

ومما يذكر له ونأسف لضياع ثماره انهُ رحل رحلة لم يسبقهُ احد اليها و يندر ان يستطيعها احد غيره . وذلك انه اوغل في اواسط جزيرة العرب فاقام عَلَى متون الجمال نيفاً وثلاثين يوماً فقطع صحراء الدهناء في اليمن . ولا ندري ما استطلعهُ من الآثار التاريخية او الفوائد الاجتماعية فعسى ان يكون ذلك محفوظاً في جملة مخلفاته . وتحوّل من هذه الرحلة الى الهند فشرقي افريقيا ايضاً وعاد الى مصر وكان أجله ينتظرهُ فيها فمات سنة ١٩٠٣

كان الكواكبي واسع الصدر طويل الاناة فصيح اللسان معتدلاً في كل شيء وكان عطوفاً عَلَى الضعفاء حتى سماهُ الحلبيون « أبا الضعفاء » . وجاء في جريدة « الرائد المصري » انه كان له في بلده مكتب للمحاماة يصرف فيه معظم نهاره لرؤية مصالح الناس و يبعث الى المحاكم من يأمنهم من اصحابه ليدافعوا عن المظلومين والمستضعفين

وكان واسع الاطلاع في تاريخ المشرق عَلَى العموم وتاريخ الممالك العثمانية على الخصوص وله ولع في علم العمران . وألف كتباً لم ينشر منها الا كتاب « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » وهو فريد في بابه و كتاب « ام القرى » الذي راجعهُ معهُ الشيخ محمد عبده . ومع تمسكه بالاسلامية والمطالبة بحقوقها والاستهلاك في سبيل نصرتها فقد كان بعيداً عن التعصب يستأنس بمجلسه المسيحي والمسلم واليهودي عَلَى السواء لانه كان يرى رابطة الوطن فوق كل رابطة . ومَن يقرأ ترجمة الكواكبي والافغاني وغيرهما من رجال هذه النهضة و يدرس اعمالهم والاحوال المحيطة بهم يعترف بفضلهم في نصرة الحقيقة وتأييد الحق والحرية . وقد نقلنا هذه الترجمة عن الجزء الاوّل من كتاب « تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر » لجرجي بك زيدان وتصرّفنا فيها قليلاً

﴿ حسن حسني باشا الطويراني ﴾

موسس مجلة « الانسان» ومحرر جرائد « السلام » و« الاعتدال » و« ارتقا » و« زمان » في القسطنطينية ومحرر مجلة « المهندس »ومنشئ جريدة « النيل » ومجلات « الشمس » و« الزراعة » و« المعارف » في القاهرة

هو ابن حسين عارف بك ابن حسن مهراب بك ابن محمود بك ابن مسيح بك ابن علي باشا الكبير احد امراء الاتراك في مقدونيا منذ عهد بعيد . كان مولده بتاريخ ٦ ذي القعدة من سنة ١٢٦٦ هجرية (١٨٥٠ ميلادية)في مدينة القاهرة . ومنذ حداثته نزعت به نفسهُ الى تحصيل العلوم فنال منها نصيباً وافراً . واحكم أُصول اللغتين العربية والتركية فبرز فيهما شعراً ونثراً حتى صار من اعظم الكتبة المعدودين في عصره . وطاف مرّات كثيرة في اسيا وافريقيا وشرق اوروبا وقد اعرب عن نفسه بقوله :

شرَّقَ النسرُ وغرَّبْ وتـترَّكْ وتـعرَّبْ
فتحرَّى وتـدرَّبْ وتنـاءى ونـقرَّبْ
ولئن أُطرى وأُطربْ فهو نصَّاحٌ مجرَّبْ
وهو إنْ أعربَ أغربْ وهو إنْ أعجمَ أعربْ

وفي نواحي عام ١٨٨٠ سكن القسطنطينية وأخذ يحرر في صحفها الشهيرة من عربية وتركية وهي : « السلام » و« الاعتدال» و« ارتقا » و« زمان» وغيرها . وأنشأ في ٢٨ ايار ١٨٨٤ مجلة «الانسان» التي حوَّلها بعد ذلك الى جريدة فعاشت خمسة اعوام . ثم سافر الى القطر المصري حيث أصدر جريدة « النيل » ومجلة « الشمس» ومجلة «الزراعة » ومجلة « المعارف » وكتب في مجلة « المهندس » وغيرها من الصحف التي سيأتي ذكرها في جزء آخر من هذا الكتاب . وحلّت وفاتهُ في اواخر شهر حزيران ١٨٩٧(١٣١٥ هجرية) في القسطنطينية فرثاه الشاعر الكبير وليّ الدين بك يكن بقصيدة نورد منها هذه الابيات :

أفروقُ شأنكِ في الورى عجبٌ دأبُ الأرضكِ تأكلُ الحرا
قال النعاةُ طوى الردى حسناً قلتُ اندبوه فقد طوى الدهرا
وطوى الطبيعةَ بعدهُ وطوى ما بعدها حتى طوى النشرا

وفي اثناء دفنهِ ارتجل احد اصدقائه تاريخاً لوفاته فقال (غفرَ له » فجاء مطابقاً للسنة نفسها (١٣١٥) بحساب الجمّل . وكان صاحب الترجمة حرّ الطباع حادّ المزاج فقضى عمرهُ بخدمة الدين

الاسلامي وإعلاء شان المعارف لا يتزلف لكبير متموّل ولا يرضخ لعدو . وقد كافأهُ السلطان على ذلك بأن منحهُ رتبة « مير ميران » وبعض اوسمة الافتخار . اما هيئتهُ فقد وصفها عبد الغني العريسي صاحب جريدة « المفيد » البيروتية بما يأتي : « تسمع بالمعيدي خير من ان تراه . كان ذميم الخلق قبيح المنظر غائر العينين مستطيل الوجه نحيف الجسم متراخي الاطراف . قيل في حنكه عوج وفي رجله عرج . تبدو على اساريو وجهه سيماء الوفاة و بين تضاعيف قلبه طيب الحياة ... »

وألف كتباً كثيرة طُبع بعضها و بقي البعض الآخر غير مطبوع وهي : « حجة الكرام في محجة اهل الاسلام » . و« خلاصة الكلام في وجوب الإمام » . و« الاعد في الأبد » . و« حجة الاسلام في علم الكلام » . و« ارشاد الخليل في فن الخليل » . و« النصح العام في لوازم عالم الاسلام » . و« الخلافة في الاسلام » . و« احكام التصوير » . و« احكام الدخان » . و« اجابة السائل لحل بعض المسائل » . و« الانصاف في حقوق الاشراف » . و« معراج الاخلاف لمنهاج الاسلاف » . و« ارتياح الجنان بارواح الجنان » . و« التوحيد » . و« حسن المساعي » . و« التهذيب الالهامي في خدمة الدين الاسلامي » . و« تحفة الاعيان في آثار الاخوان » . و« الحق روح الفضيلة » . و« خط الاشارات » يشتمل على موضوع الاشارات الكتابية التي تستخدم في بيان المفاهيم الزائدة على الحروف والاحوال الصوتية . و« شرح المبادئ الحسنية في أصول الحكمة الدينية » . و« الروضة الندية في الطريقة الاحمدية » . و« دليل اهل الايمان على صحة القرآن » . و« الرحلة الحسنية » و« الرحلة السودانية » . و« زهرة الحياة الدنيا في شعر الاموات والرؤيا » . و« دلالة الشعر في مستقبل الأمر » . و« عصمة الجماعة في وجوب الطاعة » . و« الحديث » و« سرُّ القدر » . و« السيار الشرقي » . و« سوط العذاب » . و« شمس المشرق في سماء المنطق » . و« درس الحكم » . و« السيف القاطع في اثبات النبوّة » . و« صبابة الرحيق في كؤوس الشقيق » . و« مطية الحقيقة في ترتيب الخليقة » . و« صولة القلم في دولة الحكم » في ستة مجلدات . و« الصدع والالتئام في اسباب انحطاط وارتقاء الاسلام » . و« فاسقة الاخلاق ومنظومة الاخلاق » . و« النشر الزهري في رسائل النسر الدهري » يشتمل على مواضيع خيالية تحتها افكار فلسفية وسياسية وسواها . و« الوطن » . و« الاخاء العام بين شعوب اهل الاسلام » . ورسالة « ضلال المهدي » و« ظهير الشرق » . و« رسائل اليانوس » وهي ادبية فلسفية . وقصة « الوارث ابن تارك مع حبيبه الباكي ابن ضاحك » فيها مضامين سياسية . ورسالة « هدية الاتقياء في نسب الانبياء » . و« مصابيح الفكر في السير والنظر » . و« احكام السياسة وحكمها » . و« منازه الاحباب في جنات الآداب » . و« مقامات الحسن » . و« منشآت الحسن » وهي مقالات سياسية نشرها في جريدة « النيل » تباعاً ثمَّ استبدلها بعنوان « المستوجزات » . و« الشكل في سر الرمل » . ورسالة في « الزجل » . و« مدهشات القدر » . و« فهرست الانقلاب » . و« يوم الدهر

في انقلاب مصر » . و« أدوار مصر والمصريين » . وباشر تأليف بعض الكتب ولم يتممها وهي : « التاريخ العثماني » . و« التفسير القرآني » . و« عوامل المستقبل في اوروبا » . و« التوفيق الخيري » . وترك جملة دواوين شعرية وهي : « ثمرات الحياة » في جزئين . و« شطحات القلم » . و« طوالع الاماني » . و« ندوة الراح » . و« لواحق الثمرات » . و« منظومة البديع » . و« منظومة جواهر العقائد »

اما تآليفهُ في اللغة التركية فهي : « حجة الابرار على محجة الاشرار » . و« جان كوكل صحبتى » . و« خلاصهٔ تاريخ پيغمبرى » . و« رازدرون » . و« اولمش بر شئ » . و« سيار افكار » . و« شجاعت » . و« قاموس خيال » . و« يادكار » . و« خلاصهٔ مدنيت اسلام » . ولهُ ايضاً ديوانان في الشعر التركي : اولها « كلشن شباب » وثانيهما « ديوان حسني »

ونختم سيرة هذا الصحافي بسرد شيء من نفثات شعره . فمن ذلك ما قالهُ ردًّا على القصيدة التي مطلعها « دعْ مجلس الغيد الاوانس » بقلم الشيخ ابرهيم اليازجي وهذا اوَّل الردّ :

دعْ عنكَ خائنة الوساوسْ فالذلُّ عاقبة الدسائسْ
واخشَ الكلام فكم جنت حرب البسوس وسبق داحسْ
ماذا تريد بشنّها دهياء توحش كلَّ آنسْ

ومن أطيب ما نظمهُ قولهُ :

انَّ الحياةَ وطيبها ونعيمها مما يؤمَّلُ في الزمانِ و يعْشقُ
غاياتنا فيهِ بدايةُ غيرنا كالشمس مغربها لغيرك مشرقُ

وقال في الحماس :

خُلقتُ للسيف والقرطاس والقلمِ فالدهر عبدي وأهل الدهر من خدمي
لا تنثني هممي عن نيل محمدةٍ ولا تردُّ على رغم العدا كلمي
تنزهت شيمي عن كل شائبةٍ وبذخت فأعتلت هام العلا قدمي
حفظت ماء المحيا اذ ضننت بهِ وقلت هنئت يا يوم الفخار دمي
لو انَّ عقد الثريا كان لؤلؤهُ نثار حظي لما هشَّت له هممي
اوان بدر السما يسعى بشمس ضحى لما استمالا فؤادي او سبى حكمي
دعني أخا الشوق لا تذكر لديَّ هوى ما ابعد العهد بي من جيرة العلمِ

وقال في الحكم :

لا تقلْ اني صديقْ او فلانٌ لي صديقْ
انما انت وهذا كرفيق في طريقْ
فاجتماع في اتساعْ وافتراق وقت ضيقْ

وقال ايضاً :

اما والذي فوق السموات عرشهُ　　وتحت الثرى من غامض الامر فرشهُ
ومَن عمم الجاني والبر فضلهُ　　ومن ادرك الجبار ذا الجاش بطشهُ
لَكلّ الذي في الكون اضغاث حالم　　وميت ولا يدري ورجلاه نعشهُ
فيا ليت لم أُخلق واذ كنت ليتني　　أُلفت الفلا او حام نحوي وحشهُ

— « ٥ » —



﴿ الدكتور الياس بك مطر ﴾

منشىء مجلة « الحقوق » في القسطنطينية

جاء منكو بو حاصبيا الى بيروت سنة ١٨٦٠ وهم بحالة يرثى لها ثكلاً ويتماً عدا الرعب والتعب .

وقد بعثرتهم المذبحة وشتتت شملهم بعد ان نهبهم الثوّار وصادروهم فلجأوا الى بيروت عائلات مفردة وجماهير ولكنَّ العناية عوَّضت عليهم اضعاف ماخسروا . فتعلم بعضهم وامتاز بالعلم وأثرى البعض الآخر واشتهر بالثروة وجمع غيرهم بين الامرين معاً . وكان بمقدّمة المستفيدين علماً ومالاً الدكتور فارس نمر احد اصحاب « المقتطف » « والمقطم » في مصر والدكتور الياس بك مطر منشىء مجلة « الحقوق » التركية العربية في القسطنطينية

وقد وُلد الياس في حاصبيا سنة ١٨٥٧ وكان ابوه ديب بن الياس مطر تاجراً فيها وأسرته اكثر أسرها عدداً ومن اهمها مكانةً . وكانت امهُ خاتون بنت يوحنا دوماني لبنانية من دير القمر وعائلتها معروفةٌ بالوجاهة والفضل . فلما حدثت مذبحة حاصبيا سنة ١٨٦٠ هجر ديب مطر وعائلته تلك الربوع وجاءوا بيروت عن طريق « المختارة » بحماية سعيد بك جنبلاط احد زعماء الدروز واستقرّوا هنا . ونشأ منهم الطبيبان الدكتور الياس والدكتور ابراهيم والصيدليان ملحم وفيليب

فتلقى الياس مبادىء اللغتين العربية والفرنسية في مدرسة طائفة الروم الارثوذكس الكبرى « ثلاثة الاقمار » على عهد مديرها الياس بك حبالين محرر جريدة « لبنان » الرسمية . ثم دخل « المدرسة البطريركية » للروم الكاثوليك واتقن فيها لغة العرب على سليم بك تقلا مؤسس جريدة « الاهرام » والشيخ ناصيف اليازجي العلامة الشهير وبرع بلغة الفرنسيس وألمَّ بالتركية . وبعد ان لازمها خمس سنوات انتقل منها الى « الكلية السورية الانجيلية » للاميركان حيث درس الكيميا والنبات فالصيدلة . وكان يمارس هذا الفن عند اخيهِ ملحم في صيدلية « النحلة » الباقية الى اليوم بعهدة اخيهما فيليب . وكان يأخذ منه اجرة شغله ويدفعها راتباً للدكتور فارس نمر ليعلمه الكيميا علاوةً على الدروس المفروضة . والف باثناء ذلك تاريخاً لسوريا وكان شديد الرغبة في المطالعة والدرس فلم يصرف ساعة من فتوتهِ باللهو الاَّ ما استوجبته الرياضة . وكثيراً ما اختلى في غرفةٍ وارتقى الفرش في الخزانة ككنبر واوقف المساند وخطب فيها كأنها بشر وأشبعها نصحاً وارشاداً أو توبيخاً وانتقاداً وهو دون الثالثة عشرة من عمره . وقد امتاز بين اترابهِ بالذكاء والاجتهاد ولما بلغ العام الثامن عشر مذ أبصر نور الشمس سافر الى القسطنطينية ليؤدي امتحاناً بالصيدلة وينال شهادة رسمية . وبعد ما أدّى الامتحان ونال الشهادة طلب من وزارة المعارف رخصةً بطبع كتابه « تاريخ سوريا » فاجازت له بطبعه . وقابل وزيرها جودت باشا العالم المشهور والكاتبة التركية فاطمه عليه وقدّم له قصيدة فسرَّ الوزير بجرأة الفتى وأعجب باستعداده . فدعاه الى تعليم ابنه علي سداد بك ومعاشرته والمعيشة معه في بيته . فاقام عنده معززاً مكرّماً زهاء عشر سنوات درس جيداً في خلالها لغة الاتراك واتقنها على ممدوح بك احد علمائها الذي صار بعد ذلك وزيراً للداخلية وبقي فيها الى اعلان الدستور . وقد اختار جودت باشا هذا الاستاذ لمعلم ابنه احتراماً منهُ لاهليته . ثم اشار عليهِ بدرس الطب في المكتب السلطاني

فدرسهُ ونال الشهادة الطبية رسمياً . وعينه ملازماً في وزارة المعارف وابقاهُ عشيراً لولده ونزيل قصره

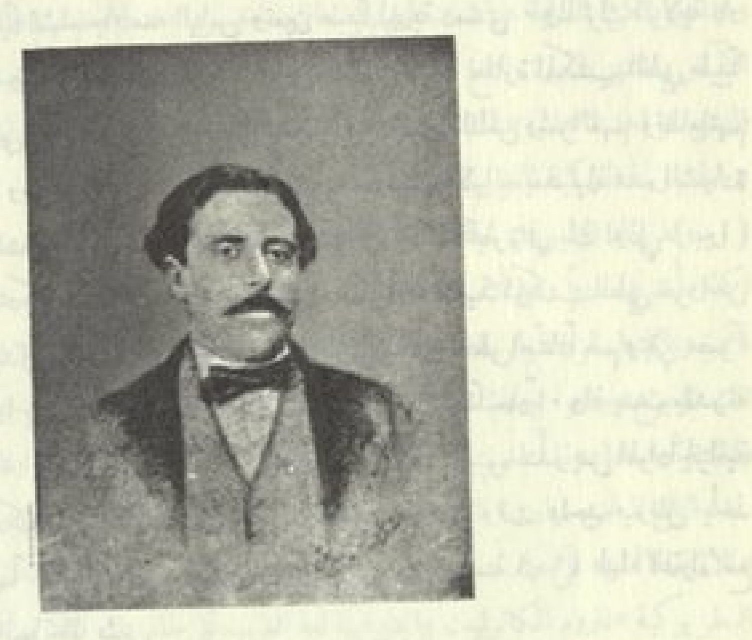
واذ تعين جودت والياً للشام جاء معه الياس وتعين طبيباً لبلدية دمشق . ولما ترك الولاية عاد واياه الى العاصمة فوظفته وزارة المعارف مفتشاً للمدارس العالية وعينتهُ نظارة المكتب الطبي طبيباً لهذه المدارس . وحالما أُنشيء مكتب الحقوق دخل يدرس فيه حقوق الناس وشرائعهم ونظاماتهم مع بقائهِ في الوظيفتين . وهو من اول صف نال شهادة هذا المكتب الا انه بعد نيله هذه الشهادة ترك طبابة المدارس واشتغل بالمحاماة مدةً . وانتظم عضواً في محكمة التجارة في بك اوغلي (بيرا) وانتقل منها الى عضوية محكمتي الحقوق فالجزاء . واتفق حينئذٍ ان تلاميذ المكتب الطبي نفروا من استاذ حفظ الصحة واستبدل بغيره وهذا لم يوافقهم . فتعين الدكتور مطر استاذاً لهم وبقي عضواً في محكمة الجزاء . فسرُّوا بهِ كثيراً وصفقوا لاول درس منه تصفيقاً حاداً . واذ بدت مقدرته بهذا العلم عينوه استاذاً له ايضاً في المكتب الملكي الشاهاني وفوق ذلك عينوه لتدريس المواد الجزائية في مكتب الحقوق . وهكذا كان استاذ ثلاثة مكاتب عالية رسمية في وقت واحد . وظلَّ يأخذ رواتب اربع وظائف معاً نحو عشرين سنة الى ان أُحيل على التقاعد سنة ١٩٠٩ لداء اعتراهُ مع حفظ الحق له بالرجوع اليها حالما يشفى

ومع وفرة اشغاله وتعدد وظائفهِ قد اعتنى كثيراً بالعلم والادب وألف اثنين وثلاثين كتاباً طبعها كلها في العربية والتركية منها بلغتنا « تاريخ سوريا » « وشرح مجلة الاحكام » . وانشأ مجلة « الحقوق » في اللغتين العربية والتركية بالاشتراك مع المحامي الياس بك رسلم واصدرها خمس سنوات . وله كتاب في « علم حفظ الصحة » قررت وزارة المعارف تدريسه في المكاتب العالية

وقد تدرَّج بالرتب الرسمية الى ان بلغ الأُولى صنف اول ونال الوسامين العثماني والمجيدي واكتفى بلقب بك . وكان عضواً في « الجمعية الطبية العثمانية » و « دائرة التاليف والترجمة » في نظارة المعارف . وكانت الدولة تعتمد عليهِ في درس بعض المسائل وفض بعض المشاكل مما زاد عن واجباته في مامورياتهِ . وبحكمتهِ جمع ثروة وافرة وقد ربح من تدريسه الطب وتآليفه فقط نحو خمسة آلاف ليرة . وتزوج آنسة يونانية وولد ابنتين وصبيين . وكان ضليعاً في العربية والتركية والفرنسية يحسنها كلها تكلماً وكتابة وملماً بالانكليزية ومتقن التكلم بلغة اليونان

عاد الى بيروت في اواخر عام ١٩٠٩ يشكو الزلال داءً بهِ وهو في الثانية والخمسين فما افاده تغيير الهواء ولا مهارة الاطباء . وفي الرابع والعشرين من شهر اذار سنة ١٩١٠ توفي فجرى له مأتم حافل اشتركت فيهِ الحكومة رسمياً وعززتهُ بفرقة من الجند تكريماً للفقيد . وقد أُقيمت الصلاة عليه في كنيسة القديس ديمتريوس وأبّنه المطران جراسيموس مسرة ودُفن في مقبرة النبي الياس بطينا منضماً الى رفات والديه . وكان قصير القامة ممتلىء الجسم ابيض اللون اسود العينين (جرجي نقولاباز)

— « ٦ » —



﴿ جبرائيل دلاَّل ﴾

منشئ جريدة « الصدى » في باريس و « السلام » في القسطنطينية ومراسل صحف « الجوائب » و « الجنان » و « الاهرام » و « مرآة الاحوال »

(أحبايَ قد شطّت دياريَ عنكمُ   ودهريَ فيما ابتغيهِ يعاندُ)
(فؤادي قريبٌ منكم في بعادهِ   ومن غيركم في قربهِ متباعدُ)

نشر قسطاكي بك حمصي سنة ١٩٠٣ ترجمة هذا الصحافي الجليل في كتيّب عنوانه « السحر الحلال في شعر الدلاَّل » فاقتطفنا منها ما يأتي واضفنا بعض زيادات تناسب المقام :

وُلد في ٢ نيسان ١٨٣٦ وهو سليل بيت كريم من اعرق بيوتات حلب في العز والجاه . فنشأ في بيت ابيه عبدالله دلاَّل ومجلسهُ اذ ذاك منتدى الفضلاء ومثابة النبلاء يقصده أُدباء الوقت وشعراؤه كفتح الله مرَّاش ونصرالله الطرابلسي وسواها . وفقد صاحب الترجمة اباه صغيراً فاعتنت شقيقته مادلينا بتربيته وهي من فاضلات النساء . وقد نظم المعلم بطرس كرامه تاريخاً لضريح عبدالله دلاَّل بقوله :

لحدٌ ثواه أبن دلاَّل التقي فغدا   برحمة الملك القدُّوس مغمورا
قضى الحياة على نهج الصلاح وقد   لاقى المنيَّة مبروراً ومشكورا

ناداه ربٌّ غفورٌ اذ نؤرّخهُ نل جنة الخلد عبدالله مسرورا

سنة ١٨٤٧

ولما اكمل درس مبادىء القواعد العربية ارسلتهُ اخته الى مدرسة عين طورا بلبنان فلم يلبث فيها الا ستة شهور . ثم عاد الى حلب وكأنه قد درس الفرنسية والايطالية سنين طوالاً وذلك لما أُوتيهِ من توقد الذهن وملكة الحفظ . فاقام فيها يطالع العلوم بنفسهِ ويدرس أُصول اللسان التركي . ومال الى اقتناء الكتب فلم يقع كتاب نفيس في يده الا اشتراه فاصاب حظاً وافراً من علوم العرب . وكان يحفظ جلّ ما كان يقرأهُ فكان يتذكر في الخمسين من عمره ما كان قرأهُ مرّةً واحدة قبل ذلك بثلاثين سنة . وكان يحفظ ديوان المتنبي واكثر شعر الصفي ومقامات الحريري وكثيراً من مقدمة ابن خلدون والمعلقات السبع وطائفة من اشعار العرب وقسماً كبيراً من القرآن . وكانت له مشاركة في اكثر العلوم ودرس فنّ الرسم فاصاب شيئاً منه . وكان شديد الولوع بالغناء عارفاً بفن الموسيقى متمكناً من علمي الجغرافية والتاريخ . وله رسالة في التاريخ العام غير كاملة . وكان يحرز حصة حسنة من العلوم الرياضية والفلسفة والطب . وكان يتتبع العلوم والفنون العصرية والاكتشافات والاختراعات . فكان صدره اشبه بخزانة علوم وفنون فلا يسأل عن علم او اختراع او مسألة فلكية او سياسية الا ويجيب احسن جواب . بل كثيراً ما كان يأخذ في الشرح والتعليل كأنه من ائمة ذلك الفن فيجيد غاية الإجادة

وكان طيب الحديث لسناً فصيحاً وشاعراً متفنناً من الطراز الاول سريع التصور لطيف الشمائل خفيف الروح صحيح الانتقاد يميل الى المزاح احياناً . وكان الغالب على طباعه سلامة السريرة وكثرة الوفاء وحرية الفكر . ولما كان في نحو العشرين من عمره مات له عم في القسطنطينية بلا عقب وترك ثروة كبيرة . فسافر اليها ليستولي على حصته من التركة المذكورة ثم عاد الى وطنه بعد خمسة شهور . وعلى اثر رجوعه بمدّة قصيرة تزوّج فتاةً من اجمل بنات الشهباء بل بنات الشرق جامعةً بين الذكاء والصيانة . وفي سنة ١٨٦٨ عاد الى القسطنطينية فلبث فيها الى السنة التالية . وفي تلك الاثناء نظم من القصائد والمقطعات شيئاً كثيراً كقوله من قصيدة يمدح بها جودت باشا :

العلمُ بعض صفاتهِ والفضل بعـ ـضُ خلالهِ والحلم بعض خصالهِ
والجودُ من اسمائهِ والسعد من قرنائهِ واليمنُ من إقبالهِ

ثم استصحب قرينته معه الى اوروبا وزارا اكثر مدنها الشهيرة . وبعد مدة قصد صاحب الترجمة بلاد البرتوغال لقضاء حاجة كانت في نفس احد اصحابه من الاشراف كان توسل اليهِ في التماسها من ملك تلك الدولة . فلما تشرّف بمقابلة الملك اجاب الملك سؤله وبلغهُ مأموله وربح جبرائيل من ذلك مالاً جزيلاً . ومرّ في طريقه باسبانيا واحبّ ان يتفقد آثار العرب في الاندلس وما كان

لهم هناك من ضخامة الملك واتساع الحضارة. ثم عاد الى مرسيليا حيث أُصيبت قرينته بمرض عضال فماتت مأسوفاً على شبابها. فرثاها رثاء مؤثراً بقوله:

لي حالةٌ يكتمها تجلدي | اظهارها يصدع قلب الجلمدِ
قد شرَّدَ الغمُّ جناني بالاسى | وقيَّدَ الهمُّ لساني ويدي
فباطنٌ تبكي لهُ أحبّتي | وظاهرٌ تضحك منهُ حُسّدي
وما جرى نفي الكرى وفي الورى | بعد الذُرى عدتُ أرى في الوَهَدِ
من محنتي وفكرتي ولوعتي | تجلّدي تسهّدي تنهّدي
وهمتي تأبى الخمول فترى ال | جدَّ مقيمي والقضاء مُقعدي
عَلَى شبابي والبلاد والغنى | واحسرتي واحَزَني واكمَدي

ولما لم يطق الاقامة في المدينة المذكورة بعد هذا المصاب سار الى باريس ومنها الى بلاد الجزائر في المغرب الاوسط ومنها الى بلجيكا. ثم رجع فالقى عصا التسيار في باريس وهناك انتدبه سنة ١٨٧٧ وزير المعارف لتحرير جريدة «الصدى» العربية التي كانت تصدر فيها بامر الحكومة الفرنسية. وكان يترجم بين سفراء الحكومات العربية الذين كانوا يقصدون باريس كوزراء مراكش وتونس وزنجبار وبين وزراء فرنسا وغيرهم من اشراف العاصمة. وبين اولئك الوزراء نذكر خير الدين باشا وزير باي تونس فانه اتخذ صاحب الترجمة نديماً له وجعله امين سرّه وكلفه ترجمة رسالات عديدة سياسية من اللسان العربي الى الفرنسي وتهذيب بعض الرسائل التي كان يكتبها الوزير بالعربية. وقد توثقت عرى المودَّة بينهما فلم يكن يستغني عنه يوماً حتى انهُ استصحبه معه الى حمامات ڤيشي حيثما كان يذهب في صيف كل عام اكثر رجال السياسة من سائر الممالك للمذاكرة في المهمات متسترين ببراقع الاستحمام. ومن غرر اشعاره الموشح الذي مدح به خير الدين باشا ومطلعهُ:

ساعدَ الحظّ بذا اليوم السعيدْ | طالعٌ ميمونْ
فغدا عودُ اللقا ابهجَ عيدْ | صفوهُ مضمونْ

جرَّدَ البرق عَلَى عنق الغمامْ | صارماً بتارْ
فانبرى يفتك في جيش الظلامْ | آخذاً بالثارْ
وهفا خفقاً كقلب المستهامْ | إثرَ رَكْبٍ سارْ

ولما انتدب خير الدين باشا سنه ١٨٧٩ لمنصب الصدارة العظمى كتب الى جبرائيل يستدعيه الى القسطنطينية. فلبى هذا امر الصدر الاعظم وكان يأكل عَلَى مائدته ويملي عَلَى سمعه درر مفاكهته. وكلفه الصدر المشار اليهِ انشاء جريدة «السلام» وكان خير الدين باشا ينشر بها آراءهُ السياسية

وافكاره في طرق اصلاح السلطنة . ثم أُلغيت الجريدة وكان صاحب الترجمة قد نال شهرة بعيدة لدى اعاظم رجال الدولة العثمانية

و بعد استقالة خير الدين باشا من منصب الصدارة وردت الرسائل عَلَى الدلاّل من رئيس المكتب الملكي في ڤينا عاصمة النمسا يطلب بها اليهِ ان يكون استاذاً اوّل في المكتب المذكور . فرحل اليها سنة ١٨٨٢ حيثما لبث سنتين والف لتلامذته رسالةً في الهمزة واحكامها ورسالة ثانية في قواعد اللغة العربية تقرّب منالها عَلَى الطالبين من الفرنج . وكان يراسل في اسفاره اهمَّ جرائد ذلك العصر كصحيفة « الجوائب » في الاستانة و« الجنان » في بيروت و« الاهرام » في الاسكندرية و « مرآة الاحوال » في لندن . وفي تلك الاثناء اقترح عليه السيد موسى المفضّل وزير مراكش ان يمدح سلطانها مولاي حسن فنظم قصيدة من غرر القصائد حازت حسن القبول . ولما وافى باريس ناصر الدين شاه ايران طلب سفيرهُ حينذاك يعقوب خان الى جبرائيل دلاّل ان يمدح جلالته . فنظم قصيدة شائقة مطلعها :

يا ايها الملك المظفرْ ذو البطش والليث الغضنفرْ
يا ناصر الدين الذي في الملك قام مقام حيدرْ

وفي صيف سنة ١٨٨٤ عاد الى حلب بعد ان طال رحيلهُ عنها نحو سبعة عشر عاماً وقد طبقت شهرتهُ الآفاق واشرأَبت لرؤيته الاعناق . فاقام في منزله مجلساً للآداب جمع فيه شتيت ذوي الالباب لم ترَ مثله الشهباء منذ قديم الزمان . غير انَّ بعض الحساد افتروا عليه قولاً زوراً وفعلاً يعلو هذا الصحافي عنهُ علوًّا كبيراً . فعكروا صفاء ايامه وسئمت نفسهُ الاقامة في وطنه مع شدَّة تعلقه بهِ فرحل عنهُ ولسان حالهِ ينشد مع الشاعر :

سيذكرني قومي اذا جدَّ جدُّهم وفي الليلة الظلماء يفتقدُ البدرُ

وأمَّ مدينة بيروت فلقي من حفاوة علمائها بهِ ما أنساهُ شيئاً من الاكدار التي صادفها في آخر ايام اقامته بحلب . ثم قصد القسطنطينية وحلَّ ضيفاً على صديقهِ منيف باشا وزير المعارف الذي اعاده الى الشهباء وعينهُ بوظيفة امين خزانة مجلس المعارف في مركز ولايتها . واضاف اليهِ منصب استاذ اوّل للغة الفرنسية في المكتب الاعدادي في المدينة المذكورة . وقال له حينئذٍ هذا الوزير : « انَّ هذا دون مايليق بفضلك ووجاهتك ولكن قدَّر الله فستنال بعده مايشرح صدور اهل الفضل »

فقام الدلاّل بخدمة ذلك المنصب بكل امانة الى ان أُتهم بتأليف وطبع قصيدة « العرش والهيكل » المشهورة التي لم ترق في عيون الحكام المستبدين في العهد الحميدي . فعزل من منصبهِ وأُلقي في السجن مدة سنتين حتى فاجاتهُ المنية في صبح الرابع والعشرين من كانون الاول ١٨٩٩ عن ستة وخمسين عاماً قضاها في الاسفار وخدمة العلم . فتقاطر آله واصحابهُ ونقلوه الى منزله ثم دُفن بين

ذرف العبرات وتردد الحسرات. وقد نظم قسطاكي بك حمصي هذه الابيات لتنقش على ضريحه:

ها هنا اليوم ثوى بدرُ النهى　　بعد ما كان ينيرُ الخافقينْ
ها هنا قد الحدوا بحرَ الحجى　　فيلسوف القطر نظام اللجينْ
ذاك جبرائيل دلاّل الذي　　فضله قد ضاه مثل الفرقدينْ
يا أُولي الفضل الثموا هذا الثرى　　واندبوهُ أثراً من بعد عينْ





﴿ عيسى اسكندر المعلوف ﴾

مؤسس مجلة « الآثار » ومنشىء جريدة « الشرقية » وصحيفة « المهذب » في زحلة ومحرر جريدة « لبنان » في بعبدا ومجلة « النعمة » وصحيفة « العصر الجديد » في دمشق وناشر المقالات المختلفة المواضيع في اكثر من ثلاثين جريدة ومجلة عربية في سوريا ومصر واميركا

(ان رسمي سرُّ جسمي　　وفعالي سرُّ نفسي)
(بفعالي وصفُ حالي　　وبرسمي ذكر رمسي)

هو عيسى بن اسكندر ابن الخوري ابرهيم بن عيسى بن شبلي ابي هاشم المعلوف ولد في قرية «كفر عقاب» اللبنانية في ١١ نيسان سنة ١٨٦٩ فتلقى مبادىء العلوم في مدرسة قريتهِ الانجيلية. وفي اواخر سنة ١٨٨٤ مسيحية دخل مدرسة الشويفات العالية الانجيلية في لبنان ودرس الانكليزية والعلوم على رئيسها الدكتور وليم كرسلو الاسكتلندي وتخرّج بالعربية. ثم ترك المدرسة لداعٍ في أسرته ودرس على نفسه. ثمَّ درَّس في مدرسة الآباء اليسوعيين في قريته وولع بالمطالعة واقتناء الكتب. وفي ٥ كانون الاوَّل سنة ١٨٩٠ عين محرراً لجريدة «لبنان» التي انشأها نسيبه ابرهيم الاسود وكاتباً لادارتها ايضاً في بعبدا ومصححاً لمطبوعاتها. وكتب فيها مقالات عمرانية وادبية ولا سيما في الزراعة والصناعة والتجارة والاقتصاد والاوضاع العربية . وتولى تصحيح كتاب «البصائر النصيرية» في المنطق بمشاركة جرجس صفا بالمقابلة على نسخة قديمة. ولم يتم من هذا الكتاب الاَّ نحو نصفه لقفل المطبعة والجريدة في اوَّل عهد نعوم باشا متصرف لبنان بعد ان ظهر من الجريدة ٨٦ عدداً

فعاد الى مسقط رأسهِ واشتغل في التصنيف فوضع كتاب «لطائف السمر في لبنان والقرن التاسع عشر» وهو يبحث في شؤون لبنان وحكوماته وعادات سكانهِ وخرافاتهم وآدابهم الخ ولا يزال مخطوطاً. وكذلك بدأ بوضع كتابه «دواني القطوف» في تاريخ اسرة المعلوف والامر الشرقية وهو الذي طبعهُ بعد ذلك. ووضع كتاب «الاغراب في الاعراب» ولا يزال مخطوطاً. وسنة ١٨٩٣ طُلب لتدريس آداب العربية والعلوم العالية والانكليزية في «مدرسة كفتين» الارثوذكسية في لبنان قرب مدينة طرابلس الشام. فدرَّس فيها بضع سنوات وتخرَّج عليه كثير من الادباء والكتبة والشعراء. ونظم فيها ثلاث روايات تمثيلية هي: «مقتل بطرس الاكبر لولده الكسيس» و«جزاء المعروف» و«ذبح ابرهيم لولده اسحق» وهي مخطوطة . ووضع في تلك المدرسة بعض مؤلفات مثل: «الكتابة» التي طبع منها الجزء الاوَّل. ورسالة «الشعر والعصر» المطبوعة ايضاً. و«شحذ القريحة في المقطعات البليغة الفصيحة» وهو في الشعر والشاعر والفنون الشعرية ومنتخبات الاشعار مرتبة على اسلوب جديد يقع في ١٦٠٠ صفحة. و«تحفة المكاتب للمعرّب والكاتب» وهي في الاوضاع اللغوية والمعربات. و«المشجرات» وهي تقسيم العلوم العربية لتسهيل تعلمها على طريقة «السينوبتيك» الفرنجية. وهذه الكتب الثلاثة لم تطبع. ثم عاد الى تحرير جريدة «لبنان» بعد استئناف نشرها واذ ذاك تزوج السيدة عفيفة كريمة ابرهيم باشا معلوف من زحلة. وجاء زحلة مستقدماً لتدريس الحلقات العليا في «الكلية الشرقية» المنشأة اذ ذاك عام ١٨٩٨ فدرَّس فيها آداب العربية والرياضيات والانكليزية بضع عشرة سنة. على انهُ غادرها سنة واحدة انتدب فيها سنة ١٩٠٨ لادارة المدارس الارثوذكسية في دمشق. فاستقدمتهُ «الكلية الشرقية» اليها في

السنة التالية ولا يزال فيها مدرّساً الى الآن. ولما كان في دمشق حرّر جريدة « العصر الجديد » ثم مجلة « النعمة » البطريركية التي رتبها وانشأ مقالاتها التاريخية والعلمية منها « تاريخ الصحافة » الذي اشرنا اليه في المجلد الاوّل من هذا الكتاب صفحة ٢٥

ولما كان في « الكلية الشرقية » أنشأ في اول تشرين الاوّل سنة ١٩٠١ جريدة « المهذّب » لطلبة البيان فطبعها على الهلام (الجلاتين) ثم نيل امتيازها وتولى تحريرها مدة وهي الآن بيد الخوري بولس كفوري . وانشأ سنة ١٩٠٩ جريدة « الشرقية » على الهلام ايضاً لتلاميذه. وكان في ٦ اذار سنة ١٩٠٣ قد انشأ في تلك المدرسة « جمعية النهضة العلمية » وترأسها وهي الى الآن للتمرين على الخطابة والمباحث الادبية

ولقد تخرّج على يده معظم ناشئة زحلة ولبنان الجديدة وهم من الادباء والصحافيين في الوطن والمهجر. وفي شهر تموز سنة ١٩١١ انشأ مجلة « الآثار » الشهيرة وهي متحف لاقلام كبار الكتاب في سوريا والعراق ومصر. وكان اوّل ما نشر فيها صورة الامير فخر الدين الثاني المعني وترجمته المطوّلة عن مخطوطات نادرة اهمها تاريخ « الخالدي » و« ذيل الكواكب » للنجم الغزي ونحوها. ونُشرت له مقالات كثيرة وقصائد في اهم المجلات والجرائد في سورية ومصر والمهجر كالبيان والضياء والمقتطف والهلال والمشرق والشمس والرئيس والمقتبس والطبيب والانسانية والصفاء والنور والحقيقة وفتاة الشرق والسمير والزهور والكوثر والاقتصاد والحسناء وكوكب البرية والنعمة ولسان الحال والاحوال ولبنان والمنار والمحبة والعصر الجديد والبرق وحمص والايام والبرازيل والافكار والمحيط والشهاب والرائد المصري والطرائف وزحلة الفتاة والمهذب واشباهها. وبعضها يدفع له راتباً خاصاً لقاء مقالاته

ومما نشره مؤخراً من مؤلفاته « تاريخ زحلة » و« خطاب الاخلاق مجموع عادات » و« الام والمدرسة ». ومما لا يزال مخطوطاً منها « اسرار البيان » و« مغاوص الدرر في أدباء القرن التاسع عشر » و« الاخبار المروية في الاسر الشرقية » في بضعة مجلدات و« قطوف الفوائد من رياض الجرائد » في بضعة عشر مجلداً و« الطرف الادبية في تاريخ اللغة العربية » و« العصريات » وديوانه الذي سماه « بنات الافكار » وفيه اكثر من عشرة آلاف بيت في المواضيع الحديثة مثل قوله في الجرائد :

اذا فاحَ طيبٌ من رياض الفوائدِ فناشرُ رياهُ نسيم الجرائدِ
هي العلة الاولى لرفع مواطنٍ هي الغاية الجلى لشهمٍ مجاهدِ
تهذّب اخلاقاً ترقي مواطناً تعزز آداباً بأفضل عائدِ
فتاريخنا اليوميّ فيها مسطرٌ سيبقى بقاء النقش فوق الجلامدِ

رعى الله آثار الصحافة انهـا ... منار الهدى يبدو كقطبٍ لراصدِ
وسقياً لكتابٍ تجارى يراعهم ... بميدان طرسٍ كالجواد المطاردِ
أسالوا على القرطاس ماء دماغهم ... بذهنٍ زكيٍ زندهُ غير صالدِ
اذا صُنعَ اليوبيل يوماً لفاضلٍ ... فللكاتب النحرير من دون جاحدِ
وان نُصبَ التمثال تذكار همةٍ ... فللقلم السيال قيد الأوابدِ

ومن شعره العلمي قوله :

ماذا أؤمل في حياتي مرتجى ... من صاحبٍ مهما استقمتُ تعرجا
عجبي لما في طبعهِ فكأنهُ ... ماء وليس يسير الأ اعوجا

ومن حكمهِ قولهُ :

كلُّ شيءٍ نقتنيهِ في الورى ... عندما تعطيه بعض الهممِ
انما العلم اذا اعطيتهُ اا ... كلَّ يعطي البعض فابذل تغنمِ

وقوله :

دعْ عنكَ ما قد جنت الكبريا ... من ثمر الشرّ الذميم الوخيمْ
فالكبرياء زهرةٌ قد نمتْ ... في حقل شيطان الشرور الرجيمْ

ومن تعريبه قوله عاقداً حكمة شكسبير كبير شعراء الانكليز :

كم نرى الخمرة داء ... يورد المرء رداهُ
انهـا في فيه لصٌّ ... سارقٌ منهُ نهاهُ

وقال معرّباً لشاعرٍ افرنسي :

انَّ بيتاً ليس فيهِ ... ولدٌ يولي المسرّه
قفصٌ لا طيرَ فيهِ ... وجنانٌ دون زهره

ومن توار يخه الشعرية قوله يؤرّخ مجلة « البيان» اليازجية سنة ١٨٩٧ مضمناً شطر التاريخ من قول ابي القاسم الخلوف :

هذي مجلة مَن بوافر علمهِ ... ضرب البيان موارد الامثالِ
علاّمة العصر الرفيع مقامه أ ... نُ اليازجيّ محطة الآمالِ
في عهد عباس الامير بمصرهِ ... قد نال ابرهيم اوج معالي
والعصر بالتاريخ جلَّ وقد محا ... «فلق البيان غياهب الاشكالِ»

الى غير ذلك من القصائد العصرية والمعرّبات الكثيرة من اشهر قصائد شعراء الفرنج على اختلافهم ولا سيا الشعر التاريخي . فانهُ اكثر منهُ كما قال نسيبه قيصر بك المعلوف من قصيدة

في مدحه : جعلتَ منه سنا التاريخ منبثقاً وكان رقدماً سناهُ غير منبثقِ

اما اخلاقه ومزاياه فانه حادّ المزاج والذهن كثير الجلد على الكتابة والمطالعة لا يكاد يملُّ . وقد صرف نحو ثلاثين سنة في العمل العقلي الدائم وهو متمتع بصحتهِ كأنهُ في مقتبل الشباب . وهو طيّب القلب لا تخفي ضلوعه عَلَى ضغينة ولا يدخل قلبه حب انتقام متساهلٌ في آرائه على غير تردد ولا تسرُّع . فكير في العواقب ولوع في التاريخ ولا سيما تاريخ الأُمر الشرقية . جيد الحافظة كاتب شاعر خطيب يرتجل الكلام متى اراد بلا لكنة ولا تحبُّس . اقتنى مكتبة مهمة قلما توجد عند الافراد بينها كثير من المخطوطات القديمة والرسائل والاوراق التاريخية والادبية . ولديه كثير من مخطوطات يده وتعاليقه لا يكاد يصدّق مَن يراها انها نسخ قلمه . وهو يدرّس في «الكلية الشرقية» خمس ساعات كل يوم لحلقاتها العليا و ينشىء مجلة «الآثار» و يديرها بيده و يكتب في مجلة «النعمة» وغيرها . و يستنسخ الكتب و يعرّب المقالات توسعاً في مباحثه فضلاً عن اشتغاله بكتاب تاريخ «الأُمر الشرقية» المتواصل مما يدل على اجتهاده وجلَده

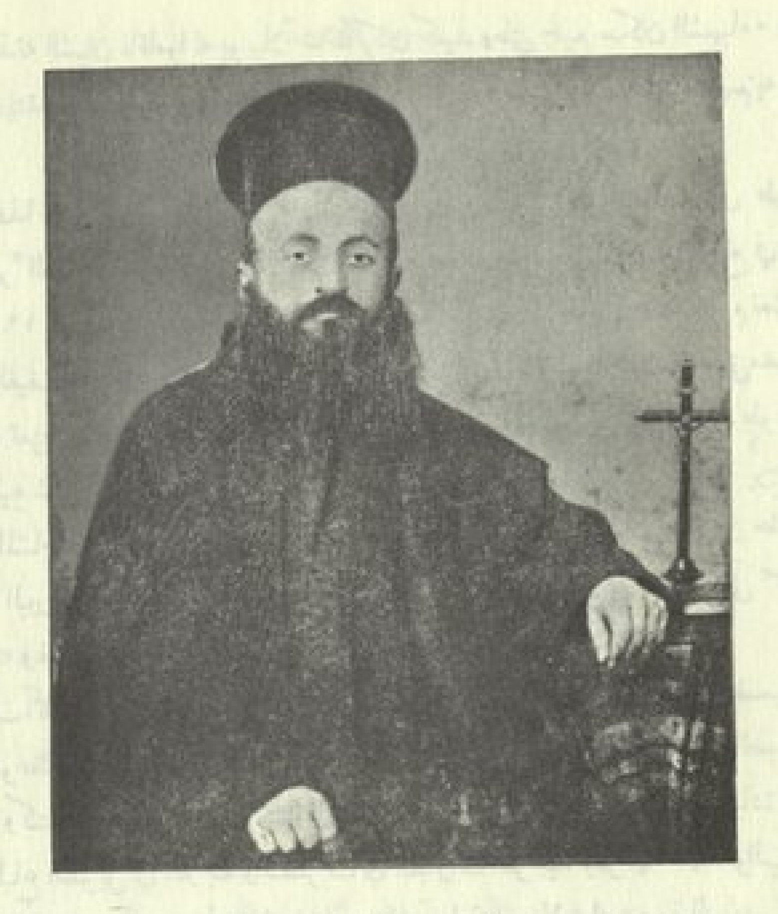
٨

﴿ القس توما ايوب ﴾

مراسل جريدة «البشير» البيروتية من حلب مدة ٢٥ سنة

هو باسيل بن توما بن جرجس ايوب وُلد في اوائل شهر اذار سنة ١٨٦١ في مدينة حلب . ولما ترعرع اختاره السيد اغناطيوس جرجس الخامس بطريرك السريان الانطاكي من بين الرفاق وارسلهُ الى مدرسة الشرفة بلبنان فقرأ فيها اللغات السريانية والعربية والايطالية . ثمَّ رحل عنها الى مدرسة الآباء اليسوعيين ببيروت وهناك كان يدرّس اللغة العربية و يدرس الفرنسوية واللاتينية واليونانية والبيان والخطابة والمنطق والفلسفة . ثم عاد الى مدرسة الشرفة فقرأ فيها اللاهوت النظري والادبي وتخرّج في الطقوس البيعية الى ان جاء حلب . فرقاه فيها البطريرك المشار اليه الى الدرجة الدياقونية ثم الى درجة الكهنوت وذلك في ٢ شباط سنة ١٨٨٥ وجلاهُ باسم توما عَلَى اسم ابيه

ومنذ اوَّل نشأته الكهنوتية صرف معظم همه واجتهاده الى تهذيب الشبيبة وتربيتها وايقاظ الآداب فيها من غفلتها . وقد انفق ٢٧ سنة في خدمة العلم والتعليم في اهم معاهد الشهباء العلمية . وكانت المدارس تتنافس في الحصول عليهِ والسعيدة مَن كان فيها استاذاً . لانه كان لغوياً مدققاً واقفاً عَلَى أعمق اسرار البلاغة ضاماً لشتات آداب العرب . وقد عُرف بتسهيل وعورة مسالك الدروس



القس توما ايوب

وادناه مجانيها من افهام الطلبة مهما عاصت . ولا يكاد يُرى بين ادباء الشهباء من ابن خمس واربعين سنة فما دون مَن لم يقرأ شيئًا عليهِ ويلتقط من جواهر فيهِ . وكأنك ببيتهِ سوق عكاظ يختلف اليهِ ابناء الادب ليعرضوا عليهِ مقالات نثرهم وقصائد شعرهم . وكان يستقبلهم بما عهد بهِ من طلاقة المحيا والبشاشة والايناس

وقد أسس ناديًا سماهُ « نادي الادب » ضمَّ فيه من شبان الشهباء مَن يميل الى البحث عن بلاغة العرب واسرارها . وكان يشغلهم بالقاء الخطب ودرس العلوم عن الملاهي المحرَّمة والملاعب الشائنة للآداب . وقد كان همهُ الاكبر في جمع الكتب المفيدة حتى اصبح عنده مكتبة عامرة جمعت من كل صنف وكانت مفتوحة الابواب لكل مطالع ومستعير . وبذلك كان يقي آداب الشبيبة من الفساد بقراءتهم سواها من كتب العهر والكفر

ولما بلغ السنة الخامسة والعشرين للكهنوت وهي سنة ١٩٠٩ استفزَّت الحمية والمحبة ومعرفة

الجميل تلامذته الشبان فاقاموا له يوبيلاً شائقاً كان كعيد وطني لجميع سكان الشهباء. اقبل عليه فيهِ المهنئون بتقادمهم وخطبهم وقصائدهم ودعواتهم الخيرية وبرهنوا بذلك عن تعلقهم به وتقديرهم قدر فضله

هكذا قضى حياتهُ بين الطروس والمحابر والدروس والمنابر حتى اعتراه مرض طويل المدة قاسى منهُ مرَّ العذاب صابراً متجلداً. واستأثرت به رحمة الله عصر يوم الخميس الواقع في ٥ تشرين الاوَّل ١٩١١ وسير بجنازته صباح يوم الجمعة في غاية التهيُّب والاحترام. وقد تقدَّم نعشه مطران السريان ولفيف كهنة الطوائف وتلامذة مدارسها الذكور والاناث. وكانت موسيقى مدرسة الروم الكاثوليك تعزف بانغامها الشجية قياماً بجميل الفقيد لانه تولى التدريس فيها سنين طويلة. وكان الاسف عليهِ شديداً عاماً لانَّ الشهباء فقدت بموته إماماً وحجةً في اللغة العربية يُرجع في حلّ معضلات المشاكل الى رأيه. وخدم الصحافة مدة ربع قرن كامل بصفة مراسل من حلب لجريدة «البشير» البيروتية فكان يتحفها بالاخبار الصادقة والمقالات الادبية. ونشر على صفحات مجلة «المشرق» وغيرها من الصحف نبذاً مفيدة

وخلَّف آثاراً علمية كثيرة نقتصر منها على ما يأتي: كتاب «شبكة بطرس» يتضمن نحو مائة وخمسين موعظة زاجرة لا تزال قيد خطهِ. ولهُ ديوان شعر رقيق عنوانه «عَرف الصبا» في نحو مئة صفحة. وكتاب «موارد السلوان لمتناولي القربان» وكتاب «تحقيق الأمنية في عبادة الوردية». وكان له الباع الطويل في الترجمة والتصرُّف في العبارات الفرنجية فيفرغها في قوالب عربية لا يشمُّ منها القارىء شيئاً من رائحة الاصل. من ذلك رواية «فابيولا» او «بيعة الدياميس» المطبوعة في مطبعة الآباء الفرنسيسيين في اورشليم وهي بقلم الكردينال نقولا وِسمَن. وقد راجعها بعد ذلك على الاصل الانكليزي وأضاف الى حسنها رونقاً وطلاوة. ومن الروايات المترجمة بقلمه ايضاً: «خالدة» أو بيعة قرطجنة. و«شهيد الجلجلة» او مجموع تقاليد شرقية عن حياة السيد المسيح وموته. ومنها «قرَّة العين في رواية الى أين». ورواية «الكفَّارة» او ماجريات اوائل القرن الرابع. ورواية «غذُ الطوفان» يحوي حكاية احوال الأعصر الأولى في بابل ومصر. وله نحو ستين رواية تمثيلية بعضها من تأليفه وبعضها مترجم بقلمه وقد جرى تمثيل اكثرها في المدارس او الجمعيات الخيرية وأنفق ريعها في سبيل البرّ. فكان في حين واحد يهذّب اخلاق الجمهور بالحكم السنية ويجبر كسر البؤساء بأرباحها المادية. ثمَّ جمع الامثال الجارية على ألسنة القوم في وطنهِ وطبعها بعنوان «المنتخَب في امثال حلب». وله غير ذلك من الرسائل والفكاهات والمطارحات الادبية والآثار الجليلة التي تخلد ذكره الحسن بين علماء عصره

—»« ٩ »«—



﴿ مريانا مرّاش ﴾

اوّل سيدة عربية كتبت في الصحف السيارة

نختتم هذا الباب بترجمة اوّل سيدة سورية أنشأت مقالة في مجلة او جريدة. فريانا مرّاش هي الكاتبة الأُولى التي نشرت افكارها في الصحف العربية على ما نعلم. فحريٌّ بتاريخ الصحافة ان يدوّن سيرتها وان يسبق سير الصحافيات بها. لاسيما لانها احدى شهيرات شاعراتنا ومن بواكيرهنَّ في القرن التاسع عشر. وكلما تذكرنا وردة الترك ووردة اليازجي نتذكر مريانا مرّاش

وُلدت مريانا في حلب في شهر آب سنة ١٨٤٨ وترعرعت في احضان والدين كريمين ترضع لبان الادب وتتغذى ثمار العلم. فنشأت اديبة عالمة تجيد الانشاء وتحسن الشعر. وكان ابوها فتح الله بن نصرالله بن بطرس مرّاش رجلاً فاضلاً عني بالمطالعة واقتناء الكتب. وجمع مكتبة نفيسة ورغب في الكتابة وتمرّن عليها وله كتابات عديدة مختلفة المواضيع لم تُطبع. وكانت امها ذكية عاقلة من آل انطاكي نسيبة مطران حلب يومئذٍ ديمتريوس انطاكي وكلا الاسرتين معروفتين بالوجاهة

وجليل الصفات · واخواها فرنسيس وعبدالله مشهوران في عالم الادب : كان الاول شاعراً متفنناً ومنشئاً مجيداً درس الطب في وطنهِ عَلَى طبيب انكليزي وقصد باريز لينتهي دروسهُ فيها · ومن آثاره الادبية المطبوعة نثراً ونظماً : « غابة الحق » و« مشهد الاحوال » و« مرآة الحسناء » و« رحلة باريز » و« شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة » و« تعزية المكروب وراحة المتعوب » و« المرآة الصفية في المبادىء الطبيعية » و « الكنوز الفنية في الرموز الميمونية » · وكان الثاني كاتباً لوذعياً عاش في انكلترا وفرنسا يتعاطى التجارة · ومن مؤلفاته رسالة في التربية بالغة حدَّها من التدقيق نشرها في مجلة « البيان » للشيخ ابراهيم اليازجي وغير ذلك من الآثار الصحافية والعلمية

فتربت مريانا في هذا البيت الكريم عَلَى مهاد الذكاء والمعرفة · واذ اقتضت اشغال والدها ان يكثر في اثناء حداثتها التغيب عن بيته والسفر الى اوروبا قامت والدتها بتربيتها قياماً حسناً لم يكن يرجى من كثيرات من امهات تلك الايام · وكان من الفتاة ان دخلت المدرسة المارونية في الخامسة من عمرها وانتقلت بعد ذلك الى المدرسة الانجيلية التي انشأها الدكتوران ادي وورتبات فدرست فيهما مبادىء اللغة العربية والحساب و بعض العلوم · وفي الخامسة عشرة اخذ ابوها يعلمها الصرف والنحو ثم العروض وعلمها بعض لغة الفرنسيس التي احسنتها في ما بعد عَلَى بعض المعلمين · ودرست فن الموسيقى واتقنتهُ جيداً دون استاذ

فتفردت في حلب وامتازت عَلَى اترابها فنظر الناس اليها بغير العين التي ينظرون بها الى غيرها · وتهافت الشبان عَلَى طلب يدها فرضيت منهم زوجاً لها حبيب غضبان ورزقا ولداً وابنتين : جبرائيل وليًا واسما · بدأت بالكتابة والشعر في صباها واول مقالة رأيناها لها « شامة الجنان » نشرتها في مجلة « الجنان » في الجزء الخامس عشر لعامها الاول سنة ١٨٧٠ وصدرتها بهذين البيتين لشاعر قديم :

بنفسي الخيال الزائري بعد هجعةٍ ... وقولته لي بعدنا الغمض تطعمُ
سلامٌ فلولا البخل والجبن عنده ... لقلت ابو حفصٍ علينا المسلمُ

وعارضتهُ باستحسان قومه صفتي الجبن والبخل بالنساء · ودعت قومها الى بدلها بالحرص والشجاعة مميزة بين الاقتحام والجرأة · وانتقدت بمقالاتها هذه عادات معاصراتها وحضتهنَّ على التزين بالعلم والتحلي بالادب · ثم كتبت في العام التالي للجنان مقالة « جنون القلم » تشكو فيها حال انحطاط الكتّاب وتحرّض على تحسين الانشاء وترقية المواضيع والتفنن بها · وتدعو بنات جنسها الى الشروع في الكتابة وترغبهنَّ فيها · ومن مقالاتها في هذه المجلة « الربيع » وموضوعها التربية نشرتها في المجلد السابع سنة ١٨٧٦ وكلها فوائد غرر · ونشرت بعض مقالات عَلَى صفحات الجرائد كلسان الحال وغيره

ونظمت قصائد عديدة في الغزل والمدح والرثاء وعدة اغاني على انغام مختلفة جمعت منها ديواناً صغيراً نشرته برخصة رسمية من نظارة المعارف بعنوان « بنت فكر » مطبوعاً سنة ١٨٩٣ في المطبعة

الاديبة هنا . وقد هنأَت بشعرها السلطان عبد الحميد عندما صار سلطاناً وعايدته في احد اعياد جلوسه وهنأَت امهُ بقصيدة . ومدحت توفيق الاوَّل خديو مصر وجميل باشا وامين باشا والي حلب وايوانوف قنصل روسيا فيها ورثت اخاها فرنسيس وكثيراً من صديقاتها . من ذلك قولها لأُم السلطان :

كما رعيتِ صباهُ خوفَ نائبةٍ   قد صار يرعى زمام الملك للامم

ومن منظوماتها ما يأْتي في مدح خديو مصر :

زهور الروض تبسم عن ثغورٍ   زهت فحكت عقوداً من جمانِ
نداها يبهج الارواح رشفاً   بهِ ماء الحياة لكل دانِ
اذا هبَّ النسيمُ عَلَى رباها   تعطرت المعاهد والمغاني
رعاه الله من روضٍ ارانا   من الاغصان قاماتِ الحسانِ
وحوراً ان سفرنَ وملنَ عجباً   سلبنَ عقول ارباب المعاني
وقد قامت طيور الانس تشدو   بالحانٍ ارقَّ من المثاني
هنا جنات بشرٍ قد ترآت   لدى الابصار في شبه الجنانِ

ومنها في مدح جميل باشا والي حلب :

افديهِ لا افدي سواهُ جميلا   أولى المحبَّ تعطفاً وجميلا
بدرٌ عنت دول الجمال لحسنهِ   فأبى لذا تمثاله التمثيلا
فاذا تجلى فوقَ عرش كمالهِ   تجثو لهُ زهر النجوم مثولا
واذا توارى في حجاب سنائه   لا تبلغُ الجوزا اليهِ وصولا
كملت محاسنهُ فبالاشراقِ والا   أنوارِ صارَ عن الشموس بديلا

ومنها في مدح ايوانوف قنصل روسيا :

بزغتْ شموسُ السعد بالشهباء   فجلت لياليها من الظلماء
فشعت غيوم الضيم عنها فانجلت   كعروسةٍ تزري ببدر سماء
وغدت بها السكان تمرح بالهنا   وتجرُّ ذيل مسرَّةٍ وصفاء
تتمايل الغادات مائسةً بها   كتمايل النشوان بالصهباء
من كل غانيةٍ زهت بجمالها   ودلالها كالروضة الغناء
ماست كغصنٍ فوقهُ بدرٌ لهُ   مرأى الثريا في بديع بهاء
بحواجب مقرونة قد أُوترت   قوساً ترنُّ بها سهام فنائي
ان كلمت صباً بتبل لحاظها   كان الشفاه لهُ بعذب الماء
حتى تردَّ اليه ذاهب روحهِ   فيعود معدوداً من الاحياء

وقالت ايضاً مشطرةً بعض ابيات من نظمها :

للعاشقينَ باحكامِ الغرام رضا   يمسون صرعى بهِ لم يؤْنفوا المرضا
لايسمعون لعذل العاذلين لهم   فلا تكن يافتى للجهل معترضا
روحي الفداء لاحبابي وان نقضوا   ذاك الذمام وقد ظنوا الهوى عرضا
جاروا وما عدلوا في الحب اذ تركوا   عهد الوفيّ الذي للعهد ما نقضا
قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا   وكان يزعمُ ان الموت قد فرضا
اصابه سهمُ لحظٍ لم يبالِ بهِ   فمات في حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى لحبٍّ فرام الوصل فامتنعوا   فما ابتغى بدلاً منهم ولا عوضا
تقطع القلب منهُ بانتظار عسى   فسام صبرًا فأعيا نيله فقضى

وقالت ترثي صبيةً توفيت محترقة بالبترول :

عفافةُ نفس مع بديع محاسنٍ   ورقةُ اعطافٍ فلله كم تسبي
لقد جمعت ضدين في حد ذاتها   ففي اللحظ ايجاب يشيرُ الى السلبِ

وقالت وقد اقترح عليها ذلك :

بذكر المعاني هام قلبي صبابةً   فيانور عيني هل اكون على القربِ
عسى الشمس من مرآك للعين ينجلي   فتنقل للابصار ما حلّ بالقلب

ولها ايضاً :

ذو العقل يسمو بالحجى ويسودُ   وبحسن رأيٍ يُمدحُ الصنديدُ
ان الفتى المقدام مَن يوم الوغى   خاض المعامع والعداة شهودُ
والندبُ مَن نال الفخار وزانه   بالجد آباءٌ لهُ وجدودُ

ومن منظوماتها الحكمية قولها :

شرفُ الفتى عقلٌ له يسمو على   كل الورى فينال غايات المنى
وكذاك حسن الخلق فخر مسوَّدٍ   متسربل باللطف نعم المقتنى
والمرء ان شهدت له افعاله   بالفضل والآداب يكتسب الثنا
ما كلُّ مَن طلب الكرامة نالها   مَن رام صيد الظبي حلَّ به العنا
ذو المال يذهبُ ذكره مع مالهِ   لكنَّ ذكر الفاضلين بلا فنا

وقالت ترثي اخاها فرنسيس :

مالي ارى اعين الازهار قد ذبلت   ومال غصن صباها من ذرى الشجرِ
مالي ارى الروض مكموداً وفي كربٍ   والماء في انةٍ والجو في كدرِ

مـالي أرى الورق تنعي وهي نادبة | فراق خلّ وتشكو لوعة الغيرِ
نعم لقد سابق الاحيـاء اجمعها | وناب ذا اليوم مطروحاً على العفر
مَن فقهَ الناس في علم وفي ادبِ | ونوّر الكل في شمس من الفكر
ابدى من الفضـل ضوءاً لا خبوَّ له | والشمس شمس وان غابت عن النظر
وانه بحر علمٍ لا قرار لهُ | وقد حوى كل منظوم من الدررِ
هذا الذي جابت الاقطار شهرتهُ | قد صار مطرحاً في اضيق الحفر
خنساء صخرٍ بكته حينما نظرت | اليـه ملقى بـلا سمع ولا بصرِ
اقلامُ اهل النهى ترثيـهِ وا أسفي | هل عاد من عودة يا مفرد البشرِ
مذ غاب شخصك هذا اليوم عن نظري | جادت عيوني بدمع سالَ كالمطرِ
فيا لدهرٍ خؤونٍ لا ذمام لهُ | قد راش مهماً اصاب الفضل بالقدر
لحزن يعقوب لا يكفي لنـدبك يا | ندباً تفردَ بالاجيـال والعصرِ
و بلاه من حزن قلب نال غايتهُ | مذ واصل القلب في غم مدى العمر
في لجة الحزن نفسي ضاق مسكنها | مَن ذا يسلي فؤادي قلَّ مصطبري

واشتهرت مريانا بلطفها وخفة روحها و بحسن صوتها وجمال مغناها. وقد جعلت بيتها نادياً لاهل الفضل تجول معهم في مضامير العلم والادب. سافرت مرَّةً الى اوربا واطلعت على اخلاق الاوروبيين وعاداتهم عن قرب فاستفادت منهم كثيراً. ثمَّ عادت الى وطنها تبثُّ بين بنات جنسها روح التمدن الحديث والاخلاق الصحيحة. وهي اليوم مريضة في حلب تلازم بيتها وحالتها يرثى لها.. وقد وصفها مرَّةً جبرائيل دلال بقصيدة جاوب بها من بيروت ابن اخته قسطاكي بك حمصي على قصيدة ارسلها اليه من بيت مريانا في حلب قال منها :

ولا اشتهي سواكم ولا أر | غب فيها من بعد تلك الوقائعْ
غير قرب الفريدة اللطف ذات الـ | ـصوت والحسن والذكا والبدائعْ
ربة الفضـل والفضائل مريا | نا التي ذكرها يسر المسامعْ
والتي زانها الكمال اذا زا | نَ سواها الحلى وسدل البراقعْ

(جرجي نقولا باز)

صحافة اوروبا

الباب الاول

يشتمل على اخبار كل الصحف العربية في اوروبا في الحقبة الثانية

١٨٧٠ — ١٨٩٢

الفصل الاول

وصف أحوال الصحافة الاوروبية بوجه الاجمال

كان للصحافة العربية في اوروبا شأن محترم في هذه الحقبة لاسيما بعد ارتقاء عبد الحميد الثاني الى عرش الدولة العثمانية. فانَّ هذا السلطان المشهور بمظالمهِ بثَّ العيون على الصحافيين الاحرار واراد ان يجعلها آلةً صماء لتنفيذ مآربهِ. فلاذوا باوروبا حيث العدل رافعة لواءها ليكونوا آمنين على حياتهم من شرّ هذا الطاغية الكبير. فعاشوا هناك ونشروا جرائدهم ليحاربوا دولة الظلم ويخدموا وطنهم المحبوب بالاخلاص ويمهدوا بحرّية قلمهم للبلاد الشرقية سبيل الارتقاء الى أوج الحضارة. واثباتاً لذلك نورد فقرةً نشرها الاخ انستاس ماري الكرملي صاحب مجلة «لغة العرب» البغدادية على صفحات مجلة «المسرّة» اللبنانية في مقالة عنوانها «الصحافة في بغداد» ومنها تتضح حالة الصحافة العثمانية في عهد الاستبداد وهي:

«كانت الصحافة في بلاد الدولة العثمانية في عهد الاستبداد منحطة غاية الانحطاط هاويةً الى أبعد دركةٍ من التسفل. بل كان الصحافيُّ عبارةً عن رجل قد كُمَّ فمهُ وعُصبت عيناه وغُلّت يداه وقُيّدت رجلاه ونُزع قلبهُ وفُلج دماغهُ لاحراك له حتى لم يبقَ له من البشرية الاَّ الصورة الظاهرة. لانهُ ما كان يصدر منهُ او من قلمِهِ مايدلُّ على انهُ رجل حرٌّ مفكر عامل لمنفعة ابناء جنسِهِ. بل كلُّ ما يدلُّ على انهُ آلة عجماء بيد قوم من الظلمة الفجّار. وبقيت هذه الحالة ما ينيف على ثلاثة عقود من السنين حتى قيّض الله لهذه الامة المهضومة الحقوق أناساً ذوي همةٍ علياء شماء ضربوا على ايدي ابناء الجور والاستبداد. فافترَّ من ورائهم للحال ثغرُ صباح الدستور فأُعلنت حرية المطبوعات

وتفتّقت الالسنةُ بآلاء الحمد والشكر. ولألأ جبينُ الحق بنور الاخاء وانقلبت الامور الى ما بهِ خير العموم »

إنّ الامورَ لها ربٌّ يدبرها في الخلقِ ما بين تجميعٍ ومفترقِ
قد يفرجُ الضيقُ يوماً بعد أزفته ويكتسي الغصنُ بعداليبس بالورقِ

وكان معظم صحافيي العرب في اوروبا زهرة الادباء العثمانيين او المصريين لذاك العهد. واكثرهم من المسيحيين المتخرجين في المدارس العالية او المبرّزين في حلبة المعارف كالدكتور لويس صابونجي وخليل غانم ورزق الله حسون وعبدالله مرّاش وجبرائيل دلال ويوسف باخوس واديب اسحق وميخائيل عورا ونعمان بك الخوري ومنصور جاماتي وسواهم. اما المسلمون فأشهرهم السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده المصري وابرهيم المويلحي. ونذكر من الاسرائيليين الشيخ يعقوب صنوع المعروف بأبي نظارة

فاخذوا ينشرون الجرائد العديدة التي جابت مشارق الارض ومغاربها بل لعبت دوراً مهماً في سياسة الشرق عموماً. وكانت تلك الصحف تتكلم عن الاحوال السياسية بلا محاباة وترسل الى القرّاء والمشتركين في تركيا بطريقة خفية حذراً من جور المأمورين وجواسيس عبد الحميد. وقد انحصر ظهورها في انكلترا وفرنسا وابطاليا. ومنها صحيفتان في جزيرة قبرص وصحيفة صدرت في جزيرة مالطا وكانت تُنشر بلغة سكان هذه الجزيرة وهي مزيج من اللغة العربية العامية واللغة الايطالية وغيرها. وكانت تلك الصحف تُطبع غالباً على الحجر لقلة العالمين العارفين هناك بترتيب الحروف العربية في ذاك العهد. وفي الفصول التابعة نتكلم عن هذه الجرائد واحدةً فواحدةً لبيان مقصدها وكشف النقاب عن غايتها وغرض اصحابها. وبلغ مجموعها اثنتين وثلاثين صحيفة منها ثماني في لندن وثماني عشرة في باريز وواحدة في «انجه» بفرنسا وواحدة في نابولي وواحدة في «غلياري» من اعمال جزيرة سردينيا وواحدة في جزيرة مالطا واثنتان في قبرص

الفصل الثاني

جرائد مدينة لندن ومجلاتها

﴿ آل سام ﴾

اسمٌ لجريدة اسبوعية سياسية برزت عام ١٨٧٢ لصاحبها رزق الله حسون الذي كان يرتب حروفها بنفسهِ ويطبعها على المكبس في بيته في قرية « وندسورث» بالقرب من لندن. وقد اخترع هو تلك الحروف وحفرها بانواع الخطوط المختلفة التي تفوّق بها وجهّز بها مطبعته المعروفة بمطبعة «آل

سام » . وكان قصده في اصدار هذه الجريدة مبنياً على امرين كانا عنده من اهمّ الامور وهما : اولاً الاقتصاد المالي وثانياً التقبيح في دولة الاتراك التي كانت تتلاعب بها ايدي السياسة الخرقاء . ولذلك اخذ يشوّق الشرقيين الى محبة روسيا التي كان يتمنى لها الاستيلاء على القسطنطينية . ولم يصدر من نشرة « آل سام » سوى اعداد قليلة لانّ منشئها كان يقلّد الفرزدق في الهجو ويقدح قدحاً مريعاً بالاتراك ودولتهم

مرآة الاحوال

جريدة اسبوعية سياسية اخلاقية ظهرت في ١٩ تشرين الاول ١٨٧٦ لصاحبها رزق الله حسون الذي نشرها لاظهار الخلل السائد في تركيا . فكانت آيةً في الظرف وبلاغة الانشاء وجودة الكتابة وطُبعت على الحجر بخط صاحبها المشار اليه . « وكان رزق الله حسون من رجال السياسة يسعى مع الاحرار في اصلاح تركيا . وذلك ما ألجأه الى سكن لندن الى آخر حياته[1] » . وقد جرى الاتفاق بينه وبين الدكتور لويس صابونجي على ان ينشئ الاول مقالاتها الادبية ويترجم لها أهمّ الاخبار عن الصحف الانكليزية ويحرّر الثاني فصولها السياسية . لكنَّ الصابونجي افترق عن زميله بعد ظهور بعض اعداد منها لوفرة اشغاله . فاستعان حينئذ مؤسس الجريدة برجل اديب من وطنه يسمى عبدالله بن فتح الله مرّاش كان كاتباً في محل « فتح الله طرّازي » التجاري بمانشستر . فتولى انشاء المقالات السياسية فقط في صدر الجريدة وكان رزق الله حسون يكتب سائر موادها وينسخ بخطه الجميل كل فصولها على ورق مخصوص لينقل الى الطبع على الحجر . ثم تركها عبدالله مرّاش في عامها الثاني لخلاف طرأ بينه وبين حسون الذي كان يغير بعض كتابات المرّاش عند نسخ الجريدة . واشتهرت « مرآة الاحوال » في كل الاقطار حتى ان عدد النسخ التي كانت تباع منها في لندن وحدها بلغ ٤٥٠ على قلة الناطقين بالضاد فتأمل . اما سبب تعطيلها فقد ذكره حسون في مقدمة مجلته « حلّ المسألتين الشرقية والمصرية » وهذا نصهُ :

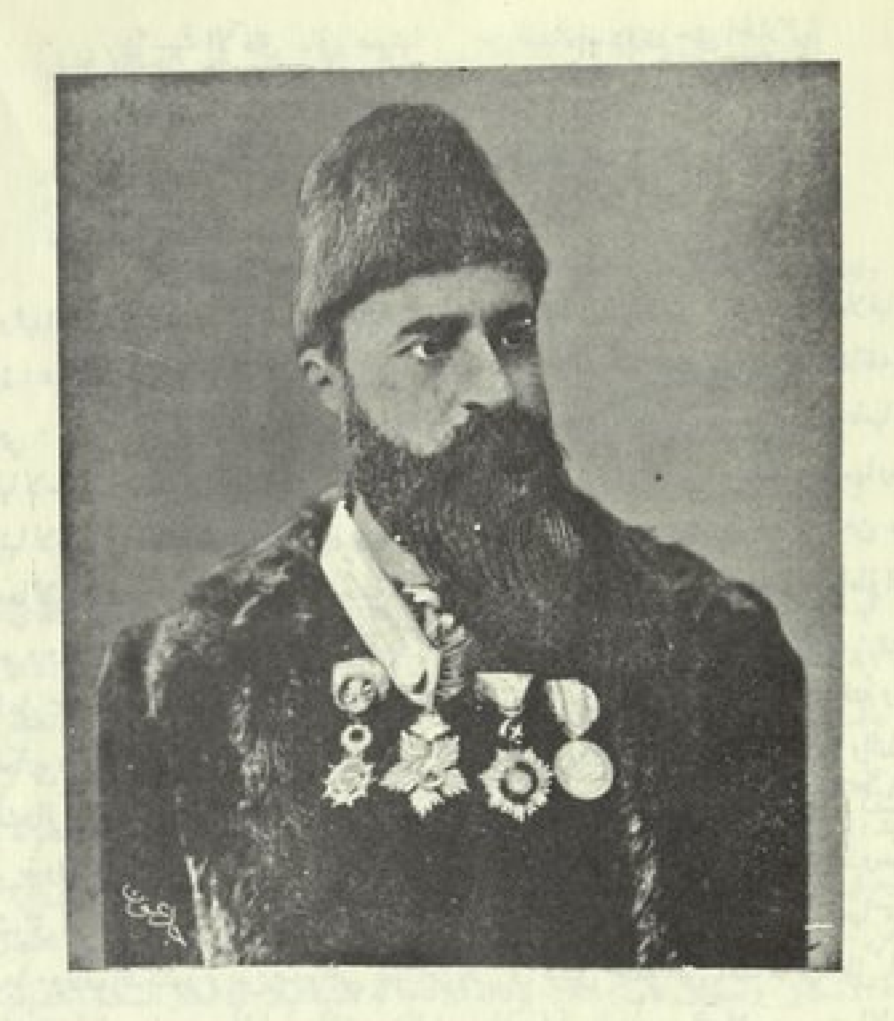
« ضاعف الله ايام السادة المشتركين في مرآة الاحوال وزاد بهجتهم ونضرتهم بكرمه ومنّه انهُ وليُّ كل احسان . صدَّني وقاكم الله ضعف عن القيام بكتابة مرآة الاحوال . . . . وامتنع تصديرها بحروف الطباعة لما تقتضيه تلاوة اضعاف النفقة الليتغرافية . ولم يوازِ دخل المرآة ربع نفقتها »



النحلة

مجلة مصوّرة كبيرة الحجم متقنة الطبع ظهرت بتاريخ ٢ من شهر نيسان ١٨٧٧ مرّةً في

(١) كتاب « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي



الدكتور لويس صابونجي

صاحب « النحلة » وجريدتي « الاتحاد العربي » و« الخلافة » في انكلترا

(رسمهُ عند ما قابل ناصر الدين شاه ايران)

الاسبوعين لمنشئها الدكتور الفاضل لويس صابونجي الذي صدَّرها بهذه الابيات :

يا بني الاوطان هبوا ما لكم	في رقادٍ عن نجاحٍ واجتهادْ
قد غرسنا جنةً في ارضكم	وانتخبنا نحلةً تجني الموادْ
شهدها فيهِ شفآءٌ للورى	مَن اتاها نالَ منها ما ارادْ
وازدهت آدابنا في روضها	من قفير النحلِ شهدٌ يُستفادْ
ضاء نورُ العلم فيها بعد ما	مالَ جهلٌ واستوى فيها السدادْ

رنَّ في الآفاق عالي صوتها | من صداه قد دوى حتى الجمادْ
يجتني اليعسوبُ ما يحلو لكم | من موادٍ شأنها وصف البلادْ
اكرمَ اليعسوبَ حتى مصحفٌ | خصهُ الرحمنُ رشداً للعبادْ
اطلبوا منها رشاداً للنهى | من جناني تجتني زهرَ الرشادْ
حكمةٌ في نزهةٍ في لذةٍ | يستقي من وِردها صادٍ وغادْ

وهي المجلة التي اسسها على انقاض مجلتهِ البيروتية المعروفة بهذا الاسم ونقش على غلافها هذه العبارة : « النحلة الادبية رأت التصاوير البهية تهدي العقل شهد العلم وهو يتبصر في حقائقه بالنور الطبيعي . » وقد نشرها اولاً في اللغة العربية ثم في العربية والانكليزية معاً حتى بلغت عامها الرابع وعطلها لاسباب . وتعدُّ « النحلة » من ارقى المجلات واحسنها بتعدد مواضيعها واتقان رسومها وسهولة عباراتها لاسيما في ذلك العهد الذي كانت فيه مجلاّتنا العلمية في عهد الطفولة . وكلٌّ من طالع اجزاءها لا يتمالك من الاقرار بفضل صاحبها العلاّمة الذي احاط بجميع انواع العلوم إحاطة السوار بالمعصم . وزين الصحافة العربية بنفثات قلمه التي جابت الخافقين واشتهرت في العالمين . وحسبنا برهاناً على سمو منزلة هذه المجلة انها لم تترك باباً من ابواب العلوم القديمة والحديثة الا طرقتهُ وجالت في مضماره وهي : الآثار العتيقة والتاريخ والجغرافية والادب واللغة والنبات والمعادن والفلسفة والفلك والرياضيات والطب والطبيعيات والكيمياوالآلات والزراعة والصناعة والتجارة والاكتشافات العصرية والاختراعات العقلية وغيرها . واضاف اليها كل ما جدَّ وجلَّ من اخبار الدنيا وحوادثها مما يتشوَّق الى معرفتهِ الناطقون بالضاد بعد التحرّي بسبر غثها من سمينها وانتقاد صحيحها من فاسدها . وعانى الدكتور لويس صابونجي تعباً جزيلاً في سبيل مجلتهِ التي انشأها في ظلّ الدولة الانكليزية لعلمهِ « بان زهر المعارف لا يجنى الا في رياض الحرية وربيع السلام وربوع الامان » كما قال في فاتحة العدد الاوَّل

و بين الذين عضدوا الدكتور صابونجي لنشر مجلته نذكر : اسمعيل باشا خديو مصر . والسيد برغش سلطان زنجبار . واحمد علي خان نوَّاب رمپور . والسير « سالَر جنك » وصي « النظام » حاكم حيدر آباد ووزيرهُ الاعظم . وقاسم باشا الزُهير البغدادي . والدكتور جرجس باجر . والدوق « أف وستمنستر » واللورد « شافتسبري » والسير « موسى منتيفيوري » ومستر « داود ساسون » والسير « وبليام ماكينن » وغيرهم من اعاظم الرجال . وقد قرَّظت امهات الجرائد الانكليزية الكبرى مجلة النحلة بما تستحقه من الثناء كما هو مسطر على صفحات كتاب « حر عثمانلو » والعدد الاول من جريدة « النحلة » المطبوعة عام ١٨٩٥ في القاهرة . وممن قرَّظها قيصر ايلا بقوله :

ألاَ حبذا القومُ الكرامُ الأُلى لهم | على وطنٍ من خير افضالهم فضلُ
عليهم ثناء لا يزال مؤبداً | يطيب كما طاب الذي جنتِ النحلُ
فاكرم بمن من روضِ افكارهم لنا | جنى نخلةٍ يحلو واثمانهُ تغلو
تطيبُ لنا مما حوته فوائدُ | واعذبُ شيءٍ ما يلذُّ به العقلُ

وقد قرَّظها ايضاً جرجس بن اسحق طراد بهذه الابيات :

هي نحلةٌ من كل فنٍ قد جنت | وجلت عن التاريخ ما هو مظلمُ
هبوا بني الاوطان واجنوا شهدها | قد حان آنُ قطافهِ والموسمُ
وشى صحائفها جليلٌ ماجدٌ | في وصفه الاوطانُ تزهو وتبسمُ

حلّ المسألتين الشرقية والمصرية

هي اول مجلة شعرية ظهرت في اللسان العربي بعناية موءسسها رزق الله حسون الذي نشرها عام ١٨٧٩ مرَّتين في الشهر . وكانت تتضمن البحث في سياسة مصر خصوصاً والشرق الادنى عموماً وقد عاشت نحو السنة فبلغ مجموع صفحات اجزائها اكثر من ثلاث مائة صفحة . وكانت تطبع بقطع الثمن على قرطاس رقيق جداً جداً حتى يسهل ارسالها الى المشتركين ضمن ظروف مختومة كرسائل البريد ولا تصير مصادرتها من الدولة العثمانية . لان المجلة كانت تحتوي على قصائد مشحونة بالهجو القطيع في حق رجال الحكومة العثمانية لاسيا مختار باشا الغازي الذي انكسر من الجيوش الروسية في القرص . وكانت مكتوبة بيد منشئها ومطبوعة على الحجر كسائر الصحف التي نشرها حسون في عاصمة الانكليز . وتعطلت عام ١٨٨٠ بوفاته اذ فاجأته المنية ليلاً في قطار السكة الحديدية بينما كان سائراً من بيت احد اصحابه السور بين المقيمين في لندن الى داره التي كانت بشارع «ألفا ترس» Alpha Terrace في قرية وندسورث . وفي الغد شقَّ الاطباء صدره ليعلموا سبب موته فوجدوا قلبه محفوفاً بمواد كثيفةٍ شحمية . فحكموا على موته بسكتة القلب من شدة الاضطراب الذي استولى عليه في تلك الليلة . لانه بقي الى نصف الليل مع اصحابهِ من ابناء العرب يرغو ويزبد ويشتدُّ غيظاً على الاتراك ويطعن فيهم . وقد انشدهم قصيدتهُ التي هجا بها الغازي مختار باشا ومطلعها :

هل اتاكم بانَّ مختار غازي | اصبح اليوم وهو مختار باشا
بات مثل البرغوث او قملةٍ مفرو | كةٍ قُصعت بلحية باشا



الخلافة

صحيفة سياسية أُنشئت في كانون الثاني ١٨٨١ في اربع صفحات مخطوطة بيد صاحبها الدكتور

لويس صابونجي ومطبوعة على الحجر ايضاً . فجعل شعارها « حرّية واستقلال ونجاح واقبال » ثم افتتحها بهذه الآية « لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب » . وقد تبرّع بعض المتمولين في انكلترا براس مال قدره عشرة آلاف جنيه لنشر هذه الجريدة التي لم نشاهد قط اكثر منها جراءةً وانطق لساناً واشدَّ لهجةً في تشخيص امراض الدولة العثمانية ونشر الحقائق الجارحة عن السلطان ووزرائه . وكانت في الوقت ذاته تترجَم الى اللغات التركية والفارسية والهندية تعميماً لفوائدها في جميع الاقطار الاسلامية . ومن اهم مقالاتها التي تستحق الذكر هي : « مسألة الخلافة والمسلمون » ثم « الخلافة في آل عثمان » وكذلك « حيَّ على الاستقلال ايها الابطال » ومنها « الخلافة والقانون الاسلامي » الخ . فلما اطلع عليها موزوروس باشا سفير تركيا في لندن بعث ببعض نسخ منها الى السلطان عبد الحميد الثاني ليقف عليها . فاضطرب السلطان لذلك وارتعش فؤاده خوفاً من سوء العاقبة ثم ارسل امراً الى السفير بان يقنع منشىء الجريدة و يلاطفه و يطمعه بالمال لإبطالها . فاستدعاه موزوروس باشا اليهِ وكلمه ملياً بهذا الشان . فابى الدكتور صابونجي ان يذعن لارادة السفير مصرًّا عَلَى إصدار الجريدة لانَّ امراء المسلمين كانوا يعضدونهُ في هذا السبيل . وقد احتجبت « الخلافة » عند ما أبدلها منشئها بجريدة « الاتحاد العربي » التي سيأتي وصفها

﴿ الغيرة ﴾

نشرة سياسية نصف شهرية ذات صفحتين اصدرها في ١٠ شباط ١٨٨١ رجل هندي يسمى عبد الرسول كان يتردد عَلَى السفارة العثمانية للاستعطاء . فاوعز اليهِ موزوروس باشا بانشائها وأمدَّه بالمال لدحض مقالات جريدة « الخلافة » المشار اليها . وكان عبد الرسول قليل المعارف قاصر البصر والبصيرة ذا عين واحدة نحيف الجسم قد اكل الجدري وجههُ . وكان عمر جريدته قصيراً بحيث لم يصدر منها سوى تسعة اعداد مكتوبة بعبارة ركيكة ومطبوعة بحرف دقيق . فلما شاهد السفير العثماني ان « الغيرة » لا تفي بالقصد الذي أنشئت لاجله قطع المدد النقدي عن عبد الرسول وتوقفت النشرة عن الظهور

﴿ الاتحاد العربي ﴾

صحيفة سياسية اسبوعية اصدرها في عام ١٨٨١ الدكتور لويس صابونجي ايام كان مرتبطاً ومشتغلاً بسياسة مصر في عهد عرابي باشا . وكان القصد من نشرها اتحاد الناطقين بالضاد وتأليفهم عصبة واحدة على الاتراك في جميع البلاد العربية . ولكن لما شاهد انَّ الفساد قد دقَّ عضم العرب ولا أمل باتحاد كلمتهم اهمل إصدار الجريدة بعد ظهور العدد الثالث منها . وكانت هيئتها شبيهة

بهيئة جريدة «الخلافة» المار ذكرها من جهة الحجم والطبع و بلاغة الانشاء وشدَّة الانتقاد واختيار المواضيع المختلفة

✻ النحلة ✻

جريدة اسبوعية صدرت بتاريخ ٢٦ نيسان ١٨٨٤ لصاحبها الدكتور لويس صابونجي · غرضها البحث في سياسة بريطانيا العظمى بالقطر المصري والسودان والهند الشرقية · وشعارها هي الآية الواردة في سفر ارميا النبي (٤٦ : ٥) القائل : « مصر عجلة سمينة يأتيها الخراب من الشمال » · وفي الاعداد الاولى من هذه الجريدة ورد مطبوعاً تحت عنوانها قول الخليفة عمر بن الخطاب وهذا نصه : « مصر تربة غبراء · وشجرة خضراء · طولها شهر · وعرضها عشر · يكنفها جبل أغبر · ورمل أعفر · يخطُّ وسطها نهرٌ ميمون الغدوات · مبارك الروحات »

ولما كانت المطابع العربية في انكلترا نادرة الوجود ومرتبو الحروف بطيئي الشغل لجهلهم هذه اللغة اقتضى اصدار النحلة مكتوبة بخط يد منشئها مطبوعةً عَلَى المطبعة الحجرية حتى يتيسر تتبع الحوادث اسبوعاً فاسبوعاً · وقد لزم الدكتور لويس ي اكثر مباحثه حدود النقل عن الجرائد الانكليزية وتعريب خطب رجال المجلس النيابي البريطاني بدون تعرّض او تنديد باعمال الرجال · بل ترك الامرَ للقارئ ، ان يبرم فيهِ الحكم كما شاء · وكان في كل كتاباته لا يكترث لحث الناس عَلَى التعصب لدين من الاديان او التشيع لحزب من الاحزاب · لكنه اقتصر عَلَى ذكر جوهر الحوادث السياسية التي تهم المصريين خاصةً والشرقيين قاطبةً · ولصاحب « النحلة » مقالات جليلة دافعَ بها عن حقوق ابناء وادي النيل مقبحاً سياسة الانكليز · واخصها رسالتان عَلَى جانب عظيم من الاهمية بعث بهما في ١١ آب ١٨٨٤ الى غلادستون رئيس وزراء انكلترا واللرد غرنفيل وزير خارجيتها · واذ رأى غلادستون اهمية الرسالة المرفوعة اليهِ اوعز الى كاتم سرّه بارسالها الى اللرد نورثبروك المعتمد الانكليزي الخارق العادة في مصر للتدقيق في مضمونها · وبالجملة فانَّ هذه الجريدة المعتبرة لعبت دوراً كبيراً في سياسة الشرق لذاك العهد ونالت اقبالاً وشهرة عظيمين

الفصل الثالث

اخبار مجلَّات باريس وجرائدها

✻ الصدى ✻

هو عنوان لصحيفة سياسية اسبوعية أُنشئت عام ١٨٧٧ بامر حكومة فرنسا · وقد جعلتها الجمهورية الفرنسية لسان حالها ترويجاً لمصالحها السياسية والتجارية والاقتصادية في البلاد التي ينطق سكانها

بالضاد لاسيما في الشرق الادنى · وعهدت بتحرير فصولها الى الكاتب الشهير جبرائيل بن عبدالله دلال الحلبي ترجمان وزارة المعارف في باريس · فقام بهذه المهمة خير قيام لكنه لم يكن يكتب فيها ما يريد بل ما يراد بايعاز الوزارة المشار اليها · وقد تعطلت في العام الثاني من عمرها لانَّ منشئها سافر الى القسطنطينية بدعوة من الصدر الاعظم خير الدين باشا التونسي لانشاء جريدة « السلام » في عاصمة آل عثمان

﴿ جرائد ابي نظارة ﴾

للشيخ يعقوب صنوع (جمس سانوا) المعروف بابي نظارة جريدة هزلية اسبوعية عنوانها « ابو نظارة زرقاء » نشرها عام ١٨٧٧ في وادي النيل · فكانت سبباً لنفيه من مصر بامر الخديو اسمعيل باشا لانَّ سياسته كانت شديدة اللهجة · غير انَّ النفي لم يؤثر فيهِ ولم يغير شيئاً من مبادئهِ بل ضاعف همته لخدمة مصالح بلاده · فلجأ الى باريس حيث اصدر جريدة « رحلة ابي نظارة زرقاء » التي اعاد فيها الكرة على اسمعيل باشا منتقداً اعماله بجرأة عظيمة ظاهرها هزل وباطنها جدٌّ · صدر منها ثلاثون عدداً اولها في ٧ آب ١٨٧٨ وآخرها في ١٣ اذار للسنة التابعة · فكان يتلقاها انصارها بما تستحقه من الاعتبار ويتهافتون على مطالعتها بما لا يوصف من اللذة والاقبال في المدن والارياف شرقاً وغرباً · وكانت مباحثها تتناول المحاورات الظريفة والنوادر اللطيفة والمواعظ المفيدة والمقالات السديدة مكتوبة باللغة العامية المصرية · وكان يطبع منها في كل اسبوع ستة آلاف نسخة بل اكثر من ذلك حتى بلغ في بعض الاوقات ١٥ الف نسخة · وهذا العدد نادرٌ جداً في الصحف العربية التي ظهرت الى الزمان الحاضر

ثم اعاد في ٢١ اذار ١٨٧٩ للجريدة اسمها الاول الذي عرفت به في مصر وهو « ابو نظارة زرقاء » ونشرها مزينة بالرسوم في اللغتين العربية والفرنسية · غير انه اضطرَّ الى استبدالها مراراً باسماء جديدة لان الحكومة المصرية اشتدَّت في إعنات مَن تصل اليهم الجريدة في وادي النيل · ولذلك انشأ في مدة اربع سنين ستَّ صحف اخرى مختلفة الاسماء وهي: « النظارات المصرية » في ١٦ ايلول ١٨٧٩ ثم « ابو صفارة » في ٤ حزيران ١٨٨٠ ثم « ابو زمارة » في ١٧ تموز ١٨٨٠ ثم « الحاوي » في ٥ شباط ١٨٨١ ثم « ابو نظارة » في ٨ نيسان ١٨٨١ ثم « الوطني المصري » في ٢٩ ايلول ١٨٨٣ وغيرها من الصحف التي سيرد ذكرها في الحقبة الثالثة من تاريخ الصحافة · وفي سنة ١٨٨٦ أنشأ جريدة « الثرثارة المصرية » او « الباقار اجبسيان » بثماني لغات شرقية وغربية

وكان يعقوب صنوع يطعن على صفحات جرائده في الاحتلال الانكليزي بوادي النيل ولا يخشى من المناداة باعلى صوته « مصر للمصريين » · فلما أُطلقت الحرية للمطبوعات المصرية ابطلت



فتح الله بك خيَّاط

شيخ شعراء حلب وناشر المقالات الاصلاحية والقصائد الرنانة في جريدتي « ابي نظارة » و « تركيا » وغيرهما من الصحف السيارة

الحكومة تشديدها على جرائده . فاستأنف إصدار جريدة « ابي نظارة » جاعلاً شعارها « سعادة الشعوب في صفاء القلوب » حتى بلغت عامها الرابع والثلاثين وتعطلت بداعي مرض منشئها وضعف بصره . فودّع الصحافة في ٣١ كانون الاول ١٩١٠ بعد ما خدم الحرية في مصر وكان اولـ من رفع لواءها في عصر الاستبداد . وكانت جرائد ابي نظارة تنشر كثيراً من المقالات السياسية والفصول

الفكاهية والقصائد الرنانة بقلم مشاهير الكتبة كالسيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وفتح الله بك خياط والسيد عبدالله نديم واحمد سمير وابرهيم اللقاني وسواهم . ونختم اخبارها بقصيدتين نفيستين نظمهما فتح الله بك خياط شيخ شعراء حلب في هذا العصر تبريكاً ليعقوب صنوع ببلوغه اليوبيل الخمسيني في عام ١٩٠٥ لحياته الصحافية وهما :

تهاليل اليوبيل

باريسُ يا جنةَ النعمى لمُطَّلِبِ ... يا بهجة الكونِ بل يا آية العجبِ
بكِ العواصمُ قد باهتْ مفاخرةً ... فتيهي فخراً على السيارة الشهبِ
واستبشري بسنى يوبيل شاعرنا ... (سنوا الذي به عزّت دولةُ الادبِ
هذا هو السيد الميمون طالعهُ ... يتيمةُ الدهرِ صنوُ العزّ والحسبِ
تاللهِ ما سمعتْ أذني ولا نظرتْ ... عيني نظيراً له في السادة النجبِ
يمّم حماهُ تجدْ بحراً لمغترفٍ ... زهراً لمقتطفٍ ذُخراً لمصطحبِ
نعمَ الصديقُ الذي يشقى العدوُّ به ... فمن يعاديهِ في الدنيا ولم يخبِ
كم كُرْبةٍ نفست للصحب همتهُ ... فحقهُ أن يسمى كاشف الكربِ
وكم خطوبٍ عن الاوطانِ زحزحها ... لا بالصفائحِ بل بالصحفِ والخطبِ
ذو همةٍ مثل وَرْي الزند لو لمستْ ... موجَ الخضمِ لامسى الموجُ في لهبِ
أثيلُ مجدٍ تسامى في الورى كرماً ... مورّثاً بالتوالي عن أبٍ فأبِ
فلا تقِسهُ بمن رامَ اللحاقَ بهِ ... كلاّ وكيف يقاسُ الرأسُ بالذنبِ
عمّتْ فواضلهُ فاحت فضائلهُ ... حاكتْ شمائلهُ ضرْباً من الضرَبِ
فالعلمُ زينتهُ والحزمُ شيمتهُ ... والحلمُ حليتهُ لا حليةُ الذهبِ
يا مَن يحاولُ جهلاً أن يماثلهُ ... دعْ عنك هذا ولا تغترّ بالكذبِ
ليس العصيُّ كحدّ السيفِ نحسبها ... شتّانَ بين صقيلِ العضب والقضبِ
انّ الصحافة قد عزّت بهِ وغدتْ ... تميلُ عجباً كميلِ الشارب الطربِ
وسلْ اذا شئت عن آثاره فلقد ... ضاقت بذاك بطون الصحف والكتبِ
له اشارت فرنسا وهي قائلةٌ ... يا بوسوي العصر يا علاّمة العربِ
فذاك لو سمعت أذناهُ منطقهُ ... أقرّ طوعاً لهذا الجهبذ العذبي
أكرمْ بمملكةٍ بالعلمِ عامرةٍ ... حازت بسنوا الفتى ما عزّ من أربِ
إذ زانها من سنى تاريخهِ دررٌ ... والعزّ نالتهُ في يوبيلهِ الذهبي

١٩٠٥

تفاؤلُ المادح الصادح

حجبتْ علاكَ عرائسُ الأطراسِ ... وتلتْ ثناك نفايسُ الانفاسِ
ورأى الكرامُ مروءةً وفريضةً ... تخليـدَ ذكر الفضلِ بينَ الناسِ
جعلوا لكَ العيـدَ المذهبَ موسماً ... يزري بخير مواسمِ الاعراسِ
سمَّوكَ شاعرَ ملكهم لو انصفوا ... سموكَ ملكَ الشعر والقرطاسِ
أنفقتَ نصفَ القرن في فنِّ الصحا ... فـةِ لا تبالي فيه صعبَ مراسِ
ما اعتلَّ بين الخلق خلقٌ مفسدٌ ... إلاَّ غدوتَ لـه الطبيبَ الآسي
ورد الورى من عذب علمك مشرعاً ... طهرتْ مجاربـهُ من الادناسِ
وسقيتهم ماءً طهوراً صافياً ... انساهمُ معنى حُميّا الكاسِ
شهدتْ لك الاعراب والاعجام بالـ ... ـآدابِ والحلمِ الرسيسِ الراسي
لكَ في القلوبِ منازلٌ مرفوعةٌ ... وبصدر اندية العلومِ كراسي
مولايَ اني عن مديحك قاصرٌ ... لكنني للفضل لستُ بناسِ
أدعو بحفظكَ في الليالي هاجداً ... واكرِّرُ الدعواتِ في الاغلاسِ
يهناكَ عيداً انتَ بهجة أنسهِ ... ويبرو مجدكَ وارتقائكَ كاسِ
وحييتَ ارغدَ عيشةٍ متزملاً ... من نسجِ عافيةٍ بخير لباسِ
وبقيتَ تحرزُ رفعةً ارخْ سمتْ ... حتى تشاهدَ عيدكَ الالماسي

١٩٠٥

✻ مصر القاهرة ✻

مجلة وجريدة

هو عنوان لمجلة سياسية شهرية شعارها « حرية — مساواة — اخاء » ظهرت بتاريخ ٢٤ كانون الاول ١٨٧٩ في ١٦ صفحة لمنشئها اديب بك اسحق · وقد اسسها على انقاض جريدة « مصر » التي كانت تصدر في وادي النيل لنشر ما يعود بالنفع عَلَى البلاد العربية · وصدَّرها بهذه العبارة : « ما تغيرت الحقيقة بتغير الزمن ولا تغيرت الصحيفة بتغير الاسم بل هي مصر خادمة مصر » · اما خطتها فقد صرَّح بها اديب اسحق في اول عدد برز من صحيفته قال :

« عَلَى اني لا اقصد الانتقام وانما اروم مقاومة الباطل ونصرة الحق والمدافعة عن الشرق واله وعن الفضل ورجاله · فسلكي : ان اكشف حقائق الامور ملتزماً جانب التصريح متجافياً عن

التعريض والتلميح · وان اجلو مبادىء الحرية وآراء ذوي النقد · وان أبين ما يظهره البحث من عواقب الحوادث ومقاصد اهل الحلّ والعقد · وان اوضح معايب اللصوص الذين نسميهم اصطلاحاً « أولي الامر » ومثالب الخونة الذين ندعوهم وهماً « أمناء الامة » ومفاسد الظلمة الذين نلقبهم جهلاً « ولاة النظام » · وان أعين واجبات الانسان الشرقي بالنسبة الى نفسه والى قومه والى بلاده وما يقابل تلك الواجبات من الحقوق · ومقصدي : ان أثير بقية الحمية الشرقية واهيج فضالة الدم العربي · وارفع الغشاوة عن اعين الساذجين وأحيي الغيرة في قلوب العارفين · ليعلم قومي ان لهم حقاً مسلوباً فيلتمسوه ومالاً منهوباً فيطلبوه · وليخرجوا من خطة الخسف وينبذوا عنهم كلّ مولس يشتري بحقوقهم ثمناً قليلاً ويذيقوا الخائنين عذاباً وبيلاً · وليستصغروا الانفس والنفائس في جنب حقوقهم · وليستميتوا في مجاهدة الذين يبيعون ابدانهم واموالهم واوطانهم وآلهم من الاجانب بما يطمعون فيه من رفعة المقام · فمن قُتل دون دمه فهو شهيد · ومَن قُتل دون ماله فهو شهيد · ومَن قُتل دون اهله فهو شهيد · ومَن عاش بعد اولئك الشهداء فهو سعيد »

وقد كتب فيها فصولاً متناهية في البلاغة وحاويةً من آثار حدّة المزاج ما دفعه اليها نزق الشباب · وكثيراً ما ندّد بسياسة رياض باشا رئيس الوزارة المصرية فحمل عليهِ وعلى سياسة الدول الاوربية في وادي النيل حملات شديدة · ثم حوّل المجلة الى جريدة اسبوعية ولكنها قبل بلوغها الحول الاول من العمر أصيب اديب بعلة الصدر فزايل باريس عائداً الى وطنـهِ · وكانت هذه الصحيفة تصدر مطبوعة على الحجر ومكتوبة بخط يد منشئها او بخط عبدالله مرّاش الحلبي المشهور بالادب وجودة الكتابة · واليك ما كتبه عنها الدكتور لويس صابونجي في مجلة النحلة في لندن (عدد ١٠ سنة ٣) قال :

« ورد الينا العدد العاشر من جريدة حرّة سياسية اسمها (مصر القاهرة) قد انشأها صديقنا الفاضل اللبيب اديب افندي اسحق بحاضرة باريس الزاهرة · وهي نشرة بديعة المعاني فصيحة المباني قد حوت مقالات غرّاء يستفاض فيها · وقد عمل الفكرة منشئها اعزّه الله في تزيين عمدها بنبذات بارعة يستفزّ بها همة الشرقيين الى النهوض من سقطة الخمول والانتباه من سنة الغفول والاعتصام بحبال النخوة العربية والاعتياض عن التقاعد وصرف الزمان الثمين سدىً بتجريع قلوبهم وإجماع كلمتهم المتفرقة والذبّ عن مصالح اوطانهم · وقد تحرّينا إثبات شذرةٍ من مقالاتهِ البديعة في عمد النحلة على سبيل الانموذج ليتفكه بها ابناء المشرق ويتفقه بها من يودّ ان يفرّق »



الحقوق

اسم الجريدة حرّة اسبوعية شعارها « الجريدة الحرة مقدمة حامية الوطن » أسسها في ١٦

نيسان سنة ١٨٨٠ ميخائيل بن جرجس عورا للدفاع عن حقوق الشرق · وقد سلكت نهج الاعتدال في كل كتاباتها التي تدلُّ على وجدان طاهر واخلاص تام في خدمة مصالح البلاد العربية · وكانت هذه الصحيفة قويمة المبدإِ بليغة العبارة كثيرة المباحث مرتبة المواد يكتبها منشئها بخطهِ الجميل ثم يطبعها عَلَى الحجر · وكان يرسلها ضمن غلافات مختومة الى المشتركين في السلطنة العثمانية حتى تصل اليهم بطريقة مأمونة · فكان القرّاء يتهافتون على مطالعة انبائها لما هو معهود بصاحبها من المقدرة الصحافية وذكاء القريحة وغزارة المعارف لا سيما في الشؤُون القضائية · وبعد ما عاشت نحو السنة احتجبت عن الظهور لسفر ميخائيل عورا الى وادي النيل حيث خدم الصحافة في بعض الجرائد والمجلاَّت التي سيأتي ذكرها في الجزء الثالث من هذا الكتاب

❋ الاتحاد — الانباء — الرجاء ❋

الاتحاد هي جريدة اسبوعية سياسية انشأَها ابرهيم بك المويلحي سنة ١٨٨٠ انتقاماً من الدولة العثمانية وبياناً لمساوىء رجالها · فما كادت تظهر لعالم الوجود حتى تعطلت وابدلها صاحبها بنشرة عنوانها « الانباء [١] » ثم بصحيفة ثالثة تسمى « الرجاء » وكانت تضرب قاطبةً عَلَى وتر واحد · وقد توقفت هذه الجرائد بعد صدورها بزمن قليل لانَّ منشئها كان ينشرها لغرض في النفس فاذا ناله عطلها · ولهذا سعى سفير تركيا لدى حكومة فرنسا في طرده من بلادها ففعلت · وقد كتب احمد فؤاد صاحب جريدة « الصاعقة » في القاهرة يصف ابرهيم المويلحي وجرائده قال: « وكل جريدة بينها من اختلاف الرأي ما بين الروافض · ومن البعد في الفكر ما بين المسجد الحرام والمسجد الاقصى [٢] »

❋ البصير ❋

جريدة اسبوعية حرَّة تشتمل على وقائع الشرق والغرب أُنشئت في ٢١ نيسان ١٨٨١ لصاحبها خليل غانم · وكانت مباحثها تتناول شؤُون السياسة والادب والاقتصاد والحكمة باسلوب حسن لمنفعة الناطقين بالضاد · وقد استهلها منشئها مستغيثاً بالعزَّة الصمدانية بقوله :

عليك كلُّ اعتمادي ايها الصمدُ قد فازَ عبدٌ على مولاهُ يعتمدُ

وكان غمبتا رئيس وزارة فرنسا لذاك العهد اكبر عضدٍ لها لانهُ عين راتباً شهرياً قدرهُ ٢٠٠٠ فرنك من خزينة دولته لاجل القيام بنفقات الجريدة المذكورة · وقد صدر عددها الاوَّل بقلم

---

(١) ورد في جريدة « الكوكب » لصاحبها محمود زكي (عدد ١١٨ : سنة ٥) في القاهرة ان جريدة « الانباء » ظهرت في نابولي · اما جرجي زيدان وعيسى اسكندر المعلوف فقد رويا انها صدرت في باريس

(٢) نقلاً عن جريدة « الكوكب » المذكورة في الحاشية السابقة



فضل الله دباس

احد موسسي جريدة « البصير » في باريس

موسسها وشريكه فضل الله بن خليل دباس البيروتي الذي انتقل الى رحمة مولاه في ١٢ تشرين الاول سنة ١٩١٢ في الاسكندرية . وكان فضل الله دباس من اذكياء بيروت وقد نال وسام « الافتخار » من محمد الصادق باشا باي تونس . ثم دُعي لتحرير « البصير » يوسف باخوس اللبناني صاحب جريدة « المستقل » في غلياري . فكتب فيها سنة كاملةً حتى عاد الى وطنهِ انتجاعاً للعافية من داء أُصيب بهِ . ثم خلفهُ في التحرير نعمان الخوري اللبناني الذي توفي بتاريخ ١٥ آب ١٩١٠ في طنجه بعد ما عهدت اليهِ فرنسا وظائف مهمة كان آخرها قنصلية مراكش . وقصدت فرنسا بانشاء « البصير » تأييد نفوذها والدفاع عن مصالحها في الامارة التونسية وتمهيد السبل لاعلان حمايتها على تلك البلاد . وكان عبد الحميد الثاني مستاء من خطة هذه الجريدة الحرة لانها كانت تضرب بعصا من حديد على ايدي الخائنين من رجال تركيا وتبين لهم وجوه الاصلاح لخير السلطنة . ولذلك طلب السلطان المشار اليهِ مراراً من فرنسا إلغاء جريدة « البصير » للنجاة من انتقاداتها المتوالية . لكنَّ مساعيهِ ذهبت ادراج الرياح حتى حلَّ القضاء المحتوم بالوزير غمبتا . فقطع الراتب عن الجريدة التي عاشت الى اواخر سنتها الثانية

✻ كوكب المشرق ✻

صحيفة سياسية انشأها رجل فرنسي عام ١٨٨٣ بعد احتجاب جريدة « البصير » المارّ ذكرها . وكانت تنشر في مطبعة « Charles Blot » ويحرّرها عبدالله بن فتح الله مرّاش الحلبي . وقد تولى ترتيب حروفها جرجي مكرر الدمشقي صاحب المطبعة التجاربة حالاً في بيروت . فسعى منشئها

مراراً في ان ينال لجريدته راتباً شهرياً على مثال جريدة « البصير » من الحكومة الفرنسية فلم يفلح . ولذلك اضطرّ الى تعطيلها في السنة التابعة لانّ وارداتها كانت غير كافية لسد نفقاتها . وكانت مباحث « كوكب المشرق » تتناول حوادث الكون عموماً ولا سيما الشرق الادنى وشمال افريقيا

العروة الوثقى
لا انفصام لها
Le Lien Indissoluble



احمد باشا المنشاوي
صاحب اليد البيضاء على جريدة « العروة الوثقى » وأحد مؤسسيها

جريدة سياسية ادبية اسبوعية أُنشئت في ١٣ اذار ١٨٨٤ (١٥ جمادى الاوّل ١٣٠١) لمديرسياستها السيد محمد جمال الدين الحسيني الافغاني ومحرّرها الشيخ محمد عبده المصري . وهي

بليغة العبارة كثيرة المباحث تعدُّ الحجر الاوَّل لأساس النهضة الاسلامية الحديثة بما كانت تنشره من المقالات الرنانة تعزيزاً للاسلام وتنديداً بالسيطرة الانكليزية في الهند ومصر . وقد صدر من هذه الجريدة ثمانية عشر عدداً آخرها في ١٦ تشرين الاوَّل ١٨٨٤ فحالت الموانع دون الاستمرار في نشرها حيث صادرتها حكومة انكلترا ومنعت دخولها الى الهند وسائر البلاد التي لها فيها نفوذ . وكانت لسان حال جمعية بهذا الاسم تأسست في مدينة الاسكندرية في اوائل عهد الخديو توفيق الاوَّل للدعوة الى الجامعة الاسلامية . ويُقال ان ابرهيم بك المويلحي نشر عَلَى صفحاتها شيئاً من نفثات قلمه

راعت في جميع سيرها تقوية الصلات العمومية بين الشعوب الاسلامية وتمكين الأُلفة في أفرادها وتأييد المنافع المشتركة بينها والسياسات القويمة التي لا تميل الى الحيف والاجحاف بحقوق الشرقيين . فكانت تطبع بنفقة اسمعيل باشا خديو مصر سابقاً وغيره من امراء العرب والهند واغنيائهم واعيانهم . وفي مقدَّمة الذين ساعدوا عَلَى انتشارها وأمدُّوها بالمال احمد باشا المنشاوي صاحب المبرَّات الشهيرة والمثري الكبير في وادي النيل . وكانت ترسل الى جميع الجهات ولكل مَن يطلبها مجاناً بدون مقابل ليتداولها الامير والحقير والغني والفقير . وقد عينت اجرةً للبريد خمسة فرنكات في السنة لمن تسمح به نفسه . واليك ما ورد عنها في كتاب « العروة الوثقى » المطبوع في بيروت بالحرف الواحد :

« تلك الجريدة التي لم تقوَ حرّية أُمّ الحرّية « انكلترا » عَلَى احتمالها واتساع صدرها لها في حين انها وسعت اكثر الجرائد حرّية وأكثرها تطرُّفاً . فمنعتها من الهند ومصر والسودان واستصدرت الاوامر بمنعها عن سائر البلاد التي لها فيها نفوذ او تطمح الى ان يكون لها ذاك النفوذ . تلك الجريدة التي لم يكفِ انكلترا منعها من تلك البلاد لانَّ اشعة نورها كانت وهّاجة تخرق الحجب وتنفذ الاغشية وتدخل الى اعماق القلوب . فاستعملت الوسائل لمحوها من عالم الوجود واطفاء نورها الذي كان يبدد ظلمات الاعتساف . تلك الجريدة التي تعدُّ أُم الجرائد الحاضرة عَلَى الاطلاق والتي لم يزل الناهضون من بني الشرق يسيرون في دعوتهم الى النهوض عَلَى اثرها »

﴿ الشمس ﴾

جريدة اسبوعية سياسية ادبية ظهرت في ٢٢ شباط ١٨٨٥ لمديرها سليم قوبطه ومحرّرها الياهو ساسون وهما من ابناء تونس الاسرائيليين . وهذه الجريدة مؤلفة من اربع صفحات كان يُطبع نصفها بحرف عربي . اما النصف الآخر فكان يُطبع بحرف عبراني وعبارة عربية لا تختلف بشيء عن عبارة النصف الاول سوى بصورة الحروف . وهي اول جريدة من نوعها وشكلها برزت في

لسان الناطقين بالضاد · وغرضها نشر حوادث المملكة التونسية والدفاع عن مصالح شعبها الوطني بعد اعلان الحماية الفرنسية عليها · فكان طبعها متقناً لكن عبارتها ركيكة وخالية من مسحة البلاغة في الانشاء · واليك على سبيل المثال فقرة وردت بعنوان « الروسيا والافغان » في عددها التاسع الصادر في ٢٦ نيسان ١٨٨٥ وهي :

« ان المسئلة الافغانية قد عظمت الان وصارت في اصعب حال وان كل من الطرفين متعصب لجهة الاخرى وان الحرب قريباً للظهور · وقد اقلقت الناس هذه الخبرية · وكدرت سامعيها · انما قيل ايضاً في هذا الاسبوع ان دولة المانيا مستعدت للواسطة بين الدولتين وان من الامل ان تصلح الاحوال بينهما ولكن قولاً فقط ولم يظهر شي بالعملية »

الفصل الرابع

اخبار الصحف العربية في فرنسا خارجاً عن باريس

✻ الشهرة ✻

جريدة سياسية ادبية علمية تجارية مصوَّرة صدرت بتاريخ غرَّة آب سنة ١٨٨٨ بهيئة مجلة كبيرة الحجم لمنشئها المسيو بوردين صاحب « مطبعة اللغات الشرقية » ومحرّرها منصور جاماتي · فكانت تصدر نصف شهرية بمدينة انجه (Angers) في فرنسا مزينة برسوم بديعة · وهي حسنة الاسلوب متقنة الطبع على ورق صقيل بالحرف القسطنطيني وطافحة بالمباحث الجليلة والروايات المفيدة والاخبار الصحيحة · ومن اهم فصولها التي تستحق الذكر بالخصوص « فن الاقتصاد السياسي » بقلم خليل غانم · ومن احسن رواياتها رواية « ذات الخدر » تاليف سعيد بن راشد البستاني اللبناني وغير ذلك · ومن الرسوم التي نشرت فيها صورة السلطان عبد الحميد الثاني و كرنو رئيس جمهورية فرنسا وعلي باي تونس وتوفيق الاول خديو مصر · ومنها منظر مدينة الجزائر ومدينة تونس وبيرسه القديمة وبرج ايفل وقفصه ومواني قرطاجنة · وخلاصة القول ان « الشهرة » كانت من ارقى جرائد ذاك العهد واحتجبت في نهاية الحول الاوَّل من عمرها بعد صدور اربعة وعشرين عدداً منها

وُلد منصور بن حبيب جاماتي سنة ١٨٤٦ في قرية « عين طورا » بلبنان وتلقى العلوم في مدرستها الشهيرة بادارة المرسلين اللعازريين · فنال شهادتها العالية اذ أحكم معرفة لغات شتى وفنون كثيرة جعلتهُ في مقدمة النابغين من تلامذة المدرسة المذكورة · وبعد ذلك تولى التدريس مدة من الزمان في « مدرسة المحبة » في قرية عرامون · ثمَّ سافر الى وادي النيل حيث دخل مع يوسف اخيه البكر الى مدرسة « قصر العيني » الطبية في عهد الخديو اسمعيل · فخرج منها قبل اتمام دروسه وتعين

استاذاً للترجمة في « مدرسة المهندسخانة » في القاهرة . وفي عام ١٨٨٧ سافر الى فرنسا وأصدر جريدة « الشهرة » في مدينة أنجه فعاشت عاماً واحداً . ثم انتقل الى باريس واقترن فيها بفتاة فرنسية واخذ يتعاطى مهنة بيع الكتب وتعليم اللغة العربية

الفصل الخامس

اخبار الجرائد العربية في ايطاليا

الخلافة

صحيفة اسبوعية سياسية دينية صدرت عام ١٨٧٩ باللغتين العربية والتركية في مدينة نابولي . وقد نشرها ابرهيم بك المويلحي لما سافر بصفة كاتب لاسمعيل باشا بعد خلعه من سرير الخديوية المصرية . فاراد بذلك اظهار اخلاصه لمولاه الخليع والتنديد بالسلطان عبد الحميد الثاني الذي وافق الدول الاوربية على تنزيل الخديو المشار اليه . وكان المويلحي يذيع على صفحات جريدته ان مقام الخلافة عند المسلمين يتسلسل من اصل عربي وانه انتقل بلا حق الى آل عثمان سلاطين الاتراك . وكان يقول ان خديو مصر هو أولى من سواه بهذه الكرامة الدينية لانَّ مصر كانت مقرًّا للخلفاء في سالف الزمان

فاضطرب السلطان عبد الحميد الثاني لذلك وخاف من امتداد هذا الفكر بين الامة العربية الاسلامية التي يتألف منها القسم الاكبر من سكان السلطنة العثمانية . فاوعز الى سفيره في باريس ان يسعى في تعطيل الجريدة المذكورة بكل الوسائل الفعالة قبل ان ينتشر خبرها بين المسلمين . واتفق ان الدكتور لويس صابونجي كان موجوداً حينئذ في عاصمة الفرنسيس فاشار على السفير العثماني بان افضل وسيلة لبلوغ الغاية المقصودة هي اغراء المويلحي بالمال . فتبع السفير نصيحته وهكذا توقف ابرهيم المويلحي عن استئناف نشر جريدته بعد صدور العددين الاول والثاني منها

المستقل

بعد ما امنت ايطاليا على كيان وحدتها بضم جميع البلاد الخاضعة الآن لصولجان أسرة «سافوا» المالكة طمحت انظارها الى التوسع خارجاً عن شبه جزيرتها بطريق الاستعمار . واحبت ان تعزز نفوذها في تونس وتنشر حمايتها عليها . غير ان فرنسا اخذت تزاحمها على امتلاك هذه البقعة الثمينة حرصاً على مركزها في جزائر الغرب فضلاً عما لها من الديون عند الحكومة التونسية

ولما كانت الصحافة سلاحاً قوياً لرجال السياسة في العصر الحاضر عمدت ايطاليا الى استخدامهِ لبلوغ غايتها · فطلبت من قنصلها في بيروت ان يتحرى التنقيب عن كاتب توفرت فيه الشروط الموافقة للقيام بهذا المشروع · فلبى كسبار بستلوسا متولج اعمال قنصلية ايطاليا في المدينة المذكورة طلب دولته واستدعى اليهِ يوسف باخوس اللبناني استاذ الفلسفة والآداب العربية في مدرسة الحكمة المارونية · واوعز اليهِ بالسفر الى رومة لمعاطاة صناعة التدريس العربي والترجمة · وعند وصوله الى رومة امرتهُ وزارتها الخارجية بالذهاب الى جزيرة سردينيا مزوداً بالمحررات الرسمية الى مدير جريدة « مستقبل سردينيا » الذي ذهب به الى تونس · وهناك أُبرم العهد بين يوسف باخوس وبين السنيور ماشو قنصل ايطاليا وجول بستلوسا الترجمان الاول للقنصلية على احداث صحيفة عربية تدرأ عن مصالح العرب عموماً وسكان شمالي افريقيا خصوصاً · وقرَّ رأيهم على ان تطبع بنفقة حكومة ايطاليا وتكون ترجمان افكارها · وان يجعل مركز ادارتها في مدينة « غلياري » قاعدة جزيرة سردينيا ويتولى يوسف باخوس كتابة فصولها

فسافر يوسف باخوس الى غلياري وانشأ في ٢٨ اذار ١٨٨٠ جريدة « المستقل » وهي اسبوعية سياسية ادبية · وكان الشيخ اسعد حيش مع ابن وطنه زين زين يساعدانهِ في رصف حروف الجريدة · واعداد « المستقل » الاولى ما تخطت حدَّ الافصاح عن مجد العرب الباسق في القرون السابقة وعن انحطاط شانهم في العصور اللاحقة · ثم اخذت تطعن في حكومة فرنسا التي كان نفوذها يتهدَّد نفوذ ايطاليا في تونس [١]

فلما نشرت الحكومة الفرنسية حمايتها على هذه المملكة صرف يوسف باخوس نظره عن ايطاليا وذهب الى باريس ليتولى كتابة جريدة « البصير » بدعوة خاصة من صاحبها خليل غانم · وعاش « المستقل » الى نهاية شهر نيسان ١٨٨١ وكان من ارقى صحف عصره في بلاغة الانشاء وسمو المعاني وحرية الافكار وحسن انتقاء الاخبار

الفصل السادس

اخبار صحف الجزائر البريطانية في البحر المتوسط



مالطا

جريدة سياسية ظهرت في مدينة لافاليتا « La Valetta » قاعدة جزيرة مالطا في البحر المتوسط

(١) راجع تفاصيل هذه الاخبار وسواها عن يوسف باخوس في اعداد جريدة « Voltaire » وجريدة « Le Temps » الصادرتين بباريس في شهر كانون الاول ١٨٨١

ولا نعلم اسم منشئها . فكانت تصدر باللغة المالطية ثم تعطلت قبل سنة ١٨٩٢ كما روى جرجي زيدان في مجلة « الهلال » المصرية (عدد ١ : سنة ١) . واللغة المالطية تتألف من الفاظ عربية عامية مخلوطة بالفاظ افرنجية سيما الايطالية منها . وحروف هذه اللغة هي نفس الحروف الاوربية واليك شيئاً من ذلك على سبيل المثال (١) :

Scuola di Taglio per Sarti & Sarte

« Fi Strada Reale No. 32 Birchircara, infethet Scola gdida tat-tifsil gbar-rgiel u innisa. Dauc colla l-iridu jithallamu ifassla fuk l-arti tal geometria, jirricorri ghand il prof. Vincenzo Grech, ippremiat minn bosta Accademi ta Londra, Parigi u Torino Ghall' arti li jippossiedi ta intagliatur. Hinijetimit - 8 ta fill ghodu sat - 8 ta fill ghaxia .»

واليك كتابتها العربية مع ترجمة الفاظها المكتوبة بالحروف الافرنجية :

« مدرسة التفصيل للخياطين والخياطات »

« في الشارع الملكي عدد ٣٢ في بير كركارا (اسم مدينة) انفتحت مدرسة جديدة للتفصيل على الرجال والاناث . فاذاً كل اللي يريدوا يتعلموا يفصلوا بحسب فن الهندسة يذهبوا عند المعلم منصور غريك الحائز من محافل لندن وباريز وطورينو على شهادة فن التفصيل . يتوجد من الساعة ٨ في الغدا الى الساعة ٨ في العشا »

﴿ زمان ﴾

أُنشئت هذه الصحيفة السياسية الاسبوعية باللسان التركي سنة ١٨٧٨ في نيكوزيا عاصمة جزيرة قبرص . وكان صاحبها درويش باشا رجلاً تركيًا اميًا اتخذ مهنة الصحافة سبيلاً للارتزاق في ظل الراية البريطانية . فاخذ يكشف النقاب عن آفات الدولة العثمانية ويوضح اسباب انحطاطها بما لا يوصف من حرّية الافكار . وافسح في جريدته مجالاً لارباب الاقلام لنشر آرائهم فيها . فحسب السلطان عبد الحميد الثاني لذلك الف حساب وسعى في استمالة درويش باشا اليه بقوة المال . فرتب له معاشاً سنويًا قدره ٢٠٠ ليرة عثمانية ترويجاً لسياسته الخرقاء . وكان موسس هذه الجريدة ينشر من وقت الى آخر على صفحاتها مقالات عربية ليطلع عليها المسلمون الناطقون بالضاد . وقد انشأ فيها الشيخ

---

(١) نقلاً عن جريدة Malta Taghna او « مالطا تيغنا » عدد ١١٨١ بتاريخ ٢٣ تشرين الاول ١٩٠٩

حبيب ابن الشيخ صعب الخوري اللبناني سنة ١٨٩٦ فصولاً جديرة بالذكر حثَّ فيها العثمانيين على طلب اعادة الدستور لتركيا. فكان ذلك داعياً لصدور ارادة السلطان باعدامه كما سنروي ذلك في الحقبة الثالثة من هذا الكتاب. وانتهت حياة جريدة « زمان » بقطع المدد عن درويش باشا لدى حدوث الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨

﴿ ديك الشرق ﴾

اسم لجريدة سياسية ادبية اسبوعية ظهرت عام١٨٨٩ في قاعدة جزيرة قبرص لمنشئها علكسان مرافيان . وهو ارمني الاصل لجأ الى الجزيرة المذكورة بعد تعطيل جريدة « الزمان » المشهورة التي كان ينشرها قبل هذا العهد في عاصمة وادي النيل

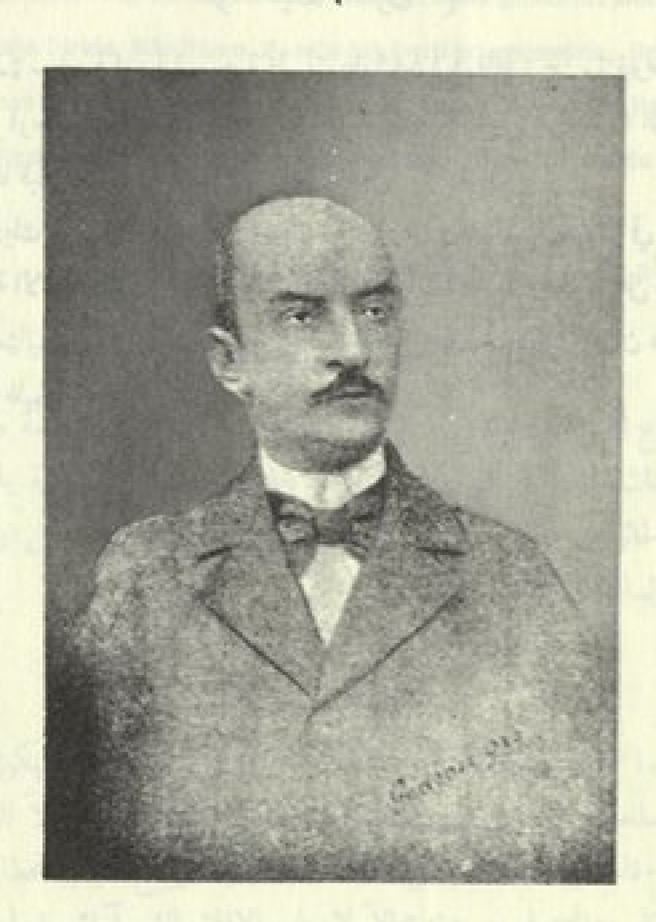
وخطة « ديك الشرق » ترمي الى الدفاع عن الارمن وحقوقهم المهضومة في الممالك العثمانية. ثم تستنجد الدولة الانكليزية لحماية مصالحهم من تعدّيات الاكراد ونجاتهم من مظالم عبد الحميد الثاني سلطان العثمانيين. وقد جاهد صاحبها في هذا السبيل جهاداً مستمراً الى ان عطل جريدتهُ بعد سنتين من عهد ظهورها

الباب الثاني

تراجم مشاهير الصحافيين في اوربا في الحقبة الثانية

١٨٧٠ — ١٨٩٢

— « ١ » —



﴿ خليل غانم ﴾

احد منشئي مواد الدستور العثماني ومؤسس جريدتي « البصير » العربية و« تركيا الفتاة » العربية الفرنسية والصحيفتين الفرنسيتين « الهلال » و« لافرانس انترناسيونال » في باريز وجريدة « الكروزان » في سويسرا ومحرر جريدة « مشورت » و« الدبيا » و« الفيغارو » و« تركيا » في باريس وغيرها من الصحف

هو خليل بن ابرهيم بن خليل بن ابرهيم بن الياس بن ابرهيم بن زيتون بن خليل بن ابرهيم بن مرجيس بن جرجس من سلالة موسى ابن المقدم سعادة المحفدي الذي اشتهر في جبل لبنان في اوائل القرن الرابع عشر. وامهُ مريم بنت عبود بن نصر بن نصر بن نجم بن ضو بن نصر وهي لبنانية الاصل ايضاً من قرية « شننعير »

وُلد بتاريخ ٨ تشرين الثاني ١٨٤٦ في بيروت ولما بلغ الحادية عشرة من عمره دخل مدرسة عينطورا ·فجلى في مضمار اللغة الفرنسية وكان فيها شاعراً مطبوعاً وكاتباً ضليعاً وخطيباً بليغاً ورياضياً بارعاً. ثم اخذ اللغة العربية عن الشيخ ناصيف اليازجي واللغة التركية عن المعلم ابرهيم الباحوط وأحكم أصول اللغة الانكليزية حتى بلغ من هذه الالسنة شأواً بعيداً

وقد بدأت حياته السياسية عام ١٨٦٢ بتعيينه عضواً في محكمة التجارة. وفي السنة التابعة عيّنه ابرهيم باشا متصرف بيروت ترجماناً للمتصرفية وانعم له بالرتبة الثانية وزاده انعاماً بزيادة المعاش. ولما تولى راشد باشا سنة ١٨٦٥ ولاية سورية جعله ترجماناً للولاية فخدم هذه الوظيفة بعزة النفس وحرية الضمير في مدة الوالي المشار اليه ومدة الواليين صبحي باشا واسعد باشا. وعند ما أُسندت الصدارة العظمى لعهدة هذا الاخير استصحبه معه وجعله ترجماناً للوزارة الخارجية. فبقي في هذا المنصب الى غاية سنة ١٨٧٥ اذ فيها تقلد ترجمة الصدارة العظمى ورئاسة تشريفاتها. وفي سنة ١٨٧٧ انتخبه سكان سوريا نائباً عنهم في مجلس المبعوثان

وقد عهد اليه مدحت باشا ان يطالع مع اغوب باشا قانون حكومات الدول الدستورية ويؤلفا منه قانوناً ملائماً وموافقاً لحالة الدولة. فقام هذان العظيمان خليل واغوب بوضع القانون الاساسي باخلاص للدولة والامة. واظهر خليل في جلسات ذاك المجلس ما اختل من النظامات ودافع عن كيان الدولة. واعلن بحرية ضمير وثبات جاش مطامع الدول الاجنبية والدسائس الخفية مظهراً واجبات المندوب الامين والنائب عن قوم وبلاد يعلقون عليهِ الآمال الطوال

وقد حمل حملة شديدة في المجلس مع احمد افندي مبعوث ازمير على الحكومة لنفيها مدحت باشا وقاوم آراء حسين فهمي باشا الذي تعرض لمناقشة المجلس في نفي مدحت باشا. وكانت قد بلغت الجاسوسية واعداء الوطن والدولة العثمانية غايتها من اقناع السلطان عبد الحميد بفض مجلس المبعوثان فامر بفضه. فتعرض خليل لارادة عبد الحميد بحل ذاك المجلس وكان اول المعارضين فيه. عندئذٍ خطب خطابهُ المشهور ولفظ فيهِ آيتهُ المأثورة : « أبدُ حرية المنبر وأسندها الى القانون. ومنذ شاء السلطان ان يمنح الدستور فلا يحق له الرجوع عما صدق عليه ومنحه وصدرت ارادتهُ بهِ رسمياً. والسلطان تحت الدستور لا فوقه». فلما نقلت الجاسوسية حرية افكار خليل لعبد الحميد اصدر امره بالقبض على بعض اعضاء المجلس الاحرار وباعدامهم. وفي مقدمتهم الخليل الذي هيأت له العناية

احد الامناء فاعلمه بالدسيسة فاضطر مكرهاً للالتجاء الى السفارة الفرنسوية · فللحال ارسلته على احدى بواخرها التجارية الى مرسيليا ومنها يمم باريس وليس من درهم في الكيس لكونه مع كل المناصب السامية التي تقلدها لم تشبهُ شائبة الارتشاء

وبعد وصول المترجم الى باريس خالي الوفاض انشأ جريدة عربية ودعاها باسم « البصير » خدمةً للوطن ولكسب المعاش الضروري معاً · غير ان جريدته لم تطل حياتها حيث ان الحكومة العثمانية منعت دخولها الى بلادها وانذرت بالعقاب الشديد كل من وجدت عنده · وقد شددت المراقبة عَلَى دخولها بالبريد العثماني والاجنبي فاضطرته هذه المضايقة الى العدول عن نشرها · وقد انصب بعدها على التأليف والتحرير في الجرائد ليكتسب ما يسد بهِ الرمق في ذلك المنفى الطويل · فالف كتاب « الاقتصاد السياسي » بالعربية وكتيباً انكر فيه حماية الاجانب للعثمانيين المسيحيين نشرته جريدة « تركيا » ونظم قصيدة بالفرنسوية على اثر الثورة الايطالية واستقلال ايطاليا · والف كتاب « تاريخ سلاطين آل عثمان » في مجلدين بالفرنسية وهو تاليف نادر المثال · وله قصيدة قدمها للبرنس كلوتيلد والبرنس نابوليون حينما كانا في سوريا · وقد اظهر عدة جرائد كان يقدمها تقدمة مجانية خدمةً للدولة والوطن كجريدة « تركيا الفتاة » بالفرنسية والعربية « والهلال » بالفرنسية و « لافرنس انترناسيونال » · وكان محرر بجريدة « مشورت » لصاحبها احمد رضا بك · وله كتاب « حياة المسيح » بالعربية · وانشأ كثيراً من المقالات الشائقة التي كانت تزدان بها اعمدة جريدة « الديبا » و « الفيغارو » وغيرهما من الجرائد

فطار ذكره في اوربا عامة وفي باريس خاصة لسمو مداركه وغزارة علمه واصالة رأيه وشدة اخلاصه لوطنه · فاصبح محجة خواطر العلماء وارباب السياسة وذوي النفوس الشماء واصحاب المقامات العالية من مثل المسيو هانوتو سفير الدولة الفرنسوية في لندن والفيلسوف الشهير جمال الدين الافغاني شهيد الحرية ومدحت باشا شهيد الانسانية والعثمانية والعلامة الشيخ محمد عبده وغمبتا رئيس الوزارة الفرنسوية الذائع الصيت بين اهل السياسة · وكان غمبتا يعتمد عَلَى آرائه وقد احبهُ وآخاه وكان يتأبط ذراعه في ساحات باريس العمومية وهما يتجاذبان احاديث السياسة · وهو ما دعا الباريسيين ان ينظروا اليه بناظرة الاعتبار والاكرام كما ينظر الناس الى الرجل العظيم والسياسي الخطير والفيلسوف الشهير · وسنة ١٨٩٣ أنشأ في سويسرة جريدة « الكروازان » الفرنسية وحمل بها على السلطان وحاشيتهِ وجاهد لاجل القانون الاساسي

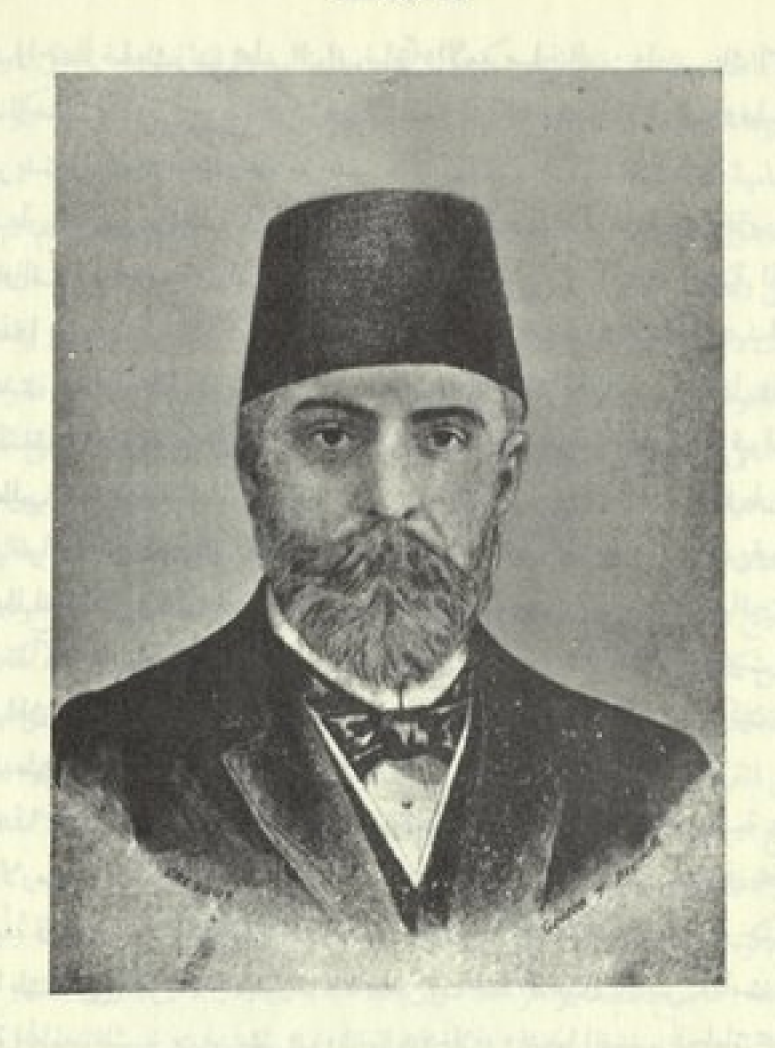
وبعد جهاد طويل في سبيل الوطن بما كان يحرره في الجرائد الفرنسوية من المقالات السامية في المسائل الشرقية عرف الاتراك فضله وحرية ضميره وصدق وطنيته · فوافاه منهم الى باريس جمهور كبير قد هجروا الاوطان هرباً من الاستبداد وفي مقدمتهم : محمود باشا داماد صهر السلطان

عبد الحميد واحمد رضا بك رئيس مجلس النواب سابقاً والامير صباح الدين واديب بك اسحق والامير امين مجيد ارسلان صاحب جريدة «كشف النقاب» التي كان يطبعها في باريس وسليم سركيس صاحب جريدة «المشير» سابقاً ومجلة سركيس حالياً

وقد يمم باريس غير من تقدم ذكرهم كثير من الرجال الاحرار فاثار فيهم خليل غانم روح النهضة الوطنية. والف لهم «جمعية تركيا الفتاة» فرأسوه عليهم وبقي رئيساً لتلك الجمعية المقدسة الى الممات واخذوا ينشرون على صفحات الجرائد مباديهم الشريفة. فلما ادرك السلطان عبد الحميد جهاد المترجم اهدى اليهِ بواسطة سفيره في باريس «النيشان العثماني» من الصنف الاول والى قرينته «نيشان الشفقة» من الطبقة الاولى مع خمسة عشر الف ليرة عثمانية راجياً منه قبولها وكف جهاده في طلب الدستور ونشره نور الحرية. وعرض عليهِ ان يكون معتمداً للدولة في باريس بمعاش وافر مدى حياته وكان ذلك اثر الحوادث الارمنية الهائلة. بيد انهُ رفض بعزة نفس قبول النيشان والوظيفة والمبلغ الطائل قائلاً: «انني لا احب ان ادنس صدري وصدر امرأتي بنياشين مهداة من يد اثيمة سفاكة دماء عباد الله. ولا اقبل نقوداً جُمعت من الرشوة او سُرقت من بيت مال الدولة وكان حقها ان تبذل في اصلاح شؤون الامة العثمانية. ولا ارغب مطلقاً في ان اكون معتمداً لمن لا يُعتمد عليهِ لا في مصلحة نفسه ولا في مصلحة دولته وتبعتهِ»

فمن هذا الجواب ومن المقالات التي كان ينشرها في الجرائد العربية والفرنسية والتركية في الحوادث الارمنية عن سوء السياسة الحميدية اقام عليهِ السلطان عبد الحميد دعوى في محاكم باريس بكونهِ اتهمهُ وتعدى عليه بما هو بريء منه وطلب مجازاتهُ. فأُقيمت الدعوى على المترجم وعلى رفيقه احمد رضا بك منشيء جريدة «مشورت» فاضطر بت لهذه الدعوى باريس وقامت وقعدت. وهبَّ عامة المحامين الشهيرين من مثل «روشفور» وخلافه وقدموا انفسهم للمحاماة مجاناً في هذه الدعوى عن المدعى عليهما. وقد صار طبع متفرعات هذه الدعوى ومحاماة المحامين بظروفها وماجرياتها في جريدة «مشورت» المذكورة. وقد جمعت في كتاب خاص وهي من اهم الكتب التي تشتاق النفس مطالعتها وقد اسفرت هذه الدعوى عن لا شيء

وفي غرة حزيران سنة ١٨٨٣ اقترن بالسيدة ماري رينو من اسرة شهيرة في باريس ولم يرزق منها سوى ابنة اقترطها في السنة السابعة من عمرها. ونال في باريس اوسمة عديدة منها وسام جوقة الشرف «الجيون دونور» وانتخب عضواً عاملاً في الجمعية العلمية الوطنية في باريس. فاحيا بذلك شان الاسم السوري وعرف فيهِ الغربيون مقدرة العقل الشرقي. وقد كان قدوة كمال ومشكاة فضائل ومرآة محاسن المبادي للجميع ولم يتعرض حياته كلها لدين من الاديان. وكان مع احترامه لروساء جميع الاديان ذا ميل خاص الى رؤساء طائفته المارونية واجلالهم



احمد رضا بك

رئيس مجلس النواب العثماني سابقاً ومنشئ جريدة « مشورت »

ورفيق خليل غانم في الجهاد لانقاذ السلطنة العثمانية من نير الظلم والاستبداد

وقد واصل جهاده المبرور وسعيه المشكور بالدفاع عن الوطن محارباً الاستبداد ومحيياً النهضة الراقية وخادماً اميناً لجمعية « تركيا الفتاة » متفانياً في بث مبادئها الشريفة الى ان دعاه ربه لملاقاته فوافاه براحة ضمير . وقد اتم انفاسه المعدودة في ارض الغربة في باريس في غرة حزيران سنة ١٩٠٣ فذهب شهيداً في سبيل الحرية والوطن والانسانية . وكانت آخر نفثات قلمه مقالة فرنسوية نشرتها جريدة « مشورت » في اول شباط سنة ١٩٠٣ عنوانها « خاتمة سنة عمل

وجد » فكانت كنبوة لخاتمة عمله وجده · ولما طار منعاه للعالم الانساني اهتزت له جوانبهُ وأثر خطبهُ تاثيراً عظيماً على جمعية « تركيا الفتاة » لفقدها رئيسها الاعظم · وشهد مشهده نخبة رجال الفضل والحرية من العثمانيين والفرنسو يين فندبوه وبكوه وابنوه ورثوه · واشتركت الحكومة الفرنسية رسمياً في جنازته لانه كان حاملاً لوسام « جوقة الشرف » منذ كان صديقاً لغمبتا · وقد ابنهُ صديقه الحميم وخله الوفي احمد رضا بك صاحب جريدة « مشورت » ورئيس مجلس النواب تأبيناً باللغة الفرنسوية نثراً اظهر فيه شرف عواطفه وصدق ولائه واخائهِ للفقيد · فترجم يوسف خطار غانم هذا التأبين والبسهُ حلة شعر عربي تنقلهُ عن « الرسائل الغانمية » بالحرف الواحد :

اليوم أُطفئ نور بدرٍ لامعٍ ... بسما المواطن فالمصاب بهِ وقعْ
وخبا شهاب فؤاد حرٍ صادقٍ ... ومجاهدٍ اضناهُ بالوطن الولعْ
قد فاجأتنا الحادثات واسرعت ... بسقوط صاعقةٍ لها القلب انصدعْ
في يومِ محمودٍ[1] تعلمت الامى ... وقبيله كنا وما كان الوجعْ
والآن قد سالت جراح قلوبنا ... بعد الخليل الغانم المنشي البدعْ
رجل الكمال بعينه عرفوا به ... رجل الضمير الحر بل رجل الورعْ
ان المصاب بهِ مصاب محرقٌ ... كلسان « بركانٍ » على الارض اندلعْ
ما خص فيهِ حزننا متفرداً ... بل كل احزاب المواطن قد جمعْ
مذ غاب عن بيروت مسقط راسهِ ... في مجلس النواب فالظلم ارتفعْ
واناك سوريا بنسبتهِ لها ... فخراً ومجداً خالداً لا ينتزعْ
بجدارةٍ وبجد عزمٍ ثابتٍ ... لإراحة الاهلين جهداً لم يدعْ
ومضى لباريس يواصل نفعهُ ... في كل رأيٍ صائب فيه نفعْ
بجرائد الاعراب والاتراك والا ... فرنج راح محرراً اسمى القطعْ
فيها لاصلاح البلاد نصائحٌ ... عن خبرة وسعت وعن علمٍ وسعْ
مشروعهُ ما شابه غبنٌ ولا ... غرض سوى النهج القويم بما شرعْ
قراه « مشورتٍ » لقد حفظوا له ... تلك المقالات التي فيها طبعْ
منها لقد عرفوا جدارة كاتبٍ ... بعواطف كرمت بها الشان ارتفعْ
ما كنت في هذا المقام مبيناً ... شرف الحياة به وفخر المجتمعْ
مع انه فرضٌ عليَّ وواجبٌ ... لكنما حزني الشديد له منعْ

---

[1] هو محمود باشا الداماد صهر السلطان واحد زعماء حزب « تركيا الفتاة » الذي اختتم حياته شهيداً للحرية في ارض الغربة قبل خليل غانم بمدة وجيزة

بعد البواكر من دموعي والاسى … آتيكمُ في بسط تاريخٍ سطع
لكنْ قصدي الآن كان مجرداً … في وقفتي هذي لاصرخ عن جزع
انا ترجمانُ يا ضريح فقيدنا … للسان حزبٍ للوداع قد اجتمع
بتلهف يبكي رئيساً اعظماً … حجبتهُ ظلمتك التي فيها انصرع
يسدي فرضاً بالاسى لأقاربٍ … في غربةٍ فقدوه قبل المرتجع
وجعاً تذوق «فتاة تركيا» بهِ … وانا اشدُّ مرارةً ذقت الوجع
قد كنتَ يا شخص الخليل بغربتي … خلاً وفياً ثابتاً فيما اتبع
اواه لو سمح الزمان بفرصةٍ … حتى اذكركم بهِ وبما صنع
عن فرط حبيهِ لكم وثباتهِ … بحياتهِ قطعاً فما عنه انقطع
يا اهل ودي خطبنا اضحى بهِ … خطباً جسيماً مبهمهُ لايندفع
امثولة وافى يعلمنا بها … هذه الحقيقة بالعيان وبالسمع
مرارة المنفى تقصر عمرنا … حقاً وهاكم سيفها فينا لمع
فلنسرعنّ لنصرنا بتضافرٍ … قبل الوصول ليوم سوء لم يدع
من دون ابطاء بنهضة عاملٍ … افنى بحب مواطن وبها شفع
رجل الحقيقة لن يموت لدى الأولى … سمعوه واعتبروه بالحق ادّرع
ما مات غانمنا بلى يحيا إذن … في نهجنا في فكرنا فيما وضع
وفؤاده كنهُ الطهارة انه … لقلوبنا يوحي ثبات المجتمع
ومحركٌ فيها صلاح مواطنٍ … عظمت وبالنصر القريب المرتقع
هذا النشيط قد استراح اليوم من … تعب الحراثة والزراعة واضطجع
لكن فما زرعت يداه لم يضع … اذ لانزال الحافظين لما زرع
كيلا يجف الزرع في بستانهِ … ويرى الفريسة للنسور وللبجع
فبذاك في حضن المواطن خالدا … يحيا بأمنٍ لن يخامرهُ فزع
ويدوم معتزاً بما اهداهُ من … حريةٍ في نورها وطنٌ رتع





﴿ ابراهيم بك المويلحي ﴾

منشئ جريدة « الخلافة » في نابولي وصحف « الاتحاد » و« الانباء » و« الرجاء » في باريس. ومؤسس جريدتي « نزهة الافكار » و« مصباح الشرق » ومحرر جريدة « سوق العصر » وغيرها من الصحف في القاهرة وناشر بعض المقالات في جريدة « العروة الوثقى » بباريس ومراسل جرائد شتى من القسطنطينية

يتصل نسبه ببيت من البيوتات الكريمة التي ظهرت بمصر بعد الانقلاب في اول القرن الماضي. وكان جده السيد ابراهيم المويلحي في اول امره كاتباً للمرحوم حبيب افندي « كخيا » المغفور له محمد علي باشا الكبير. ثم ارتقى كما ارتقى سواه من ذوي المواهب في مثل حال مصر في دورها الانتقالي من عصر الامراء المماليك الى عصر التمدن الحديث اذ هددتها مطامع الدول وحام حولها طلاب السيادة من الوزراء والقواد. فتسابقت العقول واختلفت الاغراض ففاز كل بما بلغ اليه امكانهُ وساقته اليه فطرتهُ. فارتقى بعضهم الى منصات الحكم وأثرى آخرون بالتجارة او الزراعة او الصناعة او غيرها. فكان للسيد ابرهيم المويلحي جد المترجم حظ كبير من ذلك الارتقاء. ومع انغماس اهل ذلك الانقلاب بالمطامع السياسية والمكاسب المالية واشتغالهم بالملاذ والملاهي لتسلط الجهل على معظمهم فالسيد

ابرهيم كان محباً للادب . لا يخلو مجلسه من الادباء والشعراء يطارحهم ويذاكرهم . وقد ادّى لمحمد علي في اوائل ولايته خدماً جليلة حفظها له البيت الخديوي فانتفع بها المترجم في حال ضيقه كما سترى

وُلد صاحب الترجمة في اوائل سنة ١٢٦٢ ﻫ (١٨٤٦ ميلادية) في بيت وجاهة وعز . وكان والده مشهوراً بصناعة الحرير نسيج مصر وله فيها بيت تجاري كبير لجمع ثروة طائلة . ونشأ ابرهيم في سعة ورغد وهو يتهيأ للعمل في تجارة والده . ولكنه كان مولعاً بالادب والشعر من حداثته وورث ذلك من جده . ولم يخطر له ولا لوالده انه سيجعل الادب مهنته وهي يومئذ مهنة الفقراء ... ولكن الاقدار ساقته الى الاشتغال بها في كهولته فكان من اعظم نوابغها

ظلَّ ابراهيم في حجر والده آمناً سعيداً حتى توفي الوالد سنة ١٢٨٢ ﻫ والمترجم في العشرين من عمره . فتولى تجارة ابيه وقبض على ثروته وجرى على خطته في العمل حيناً فازداد تقدماً . وكانت مضاربات البورصة حديثة العهد في هذا القطر وقد تحدث الناس بمعجزاتها وبهروا من سرعة الاثراء بها . وكان ابرهيم طلاباً للعلى فلم يكتف بما بين يديهِ من الرزق الواسع وحدثته نفسه ان يطلب الزيادة بالمضاربة . فضارب وهو يكسب تارةً فيطمع بالمزيد ويخسر اخرى فيطلب التعويض على نحو ما نشاهده الآن مع مايعلمه الاكثرون من عواقبها الوخيمة . فما زال المترجم يتدرج في المضاربة حتى استنزفت ثروته واثقلتهُ بالديون

على ان فروغ يده من المال لم يذهب بما نشأ عليهِ من العز والانفة ولا ضاعت مآثر جده لدى البيت الخديوي . فنظر اسمعيل باشا الخديو يومئذٍ في هذا البيت نظر الانعطاف وكان اسمعيل اذا اعطى اغنى . فوهبهُ هبات الملوك فوفى الديون ووسع التجارة . ثم انعم عليهِ بالرتبة الثانية وعينه عضواً في مجلس الاستئناف وهو في الثامنة والعشرين من عمره . وانعم على اخيهِ عبد السلام باشا بتلك الرتبة ايضاً وابقاه في مزاولة التجارة محافظةً على ذلك المعهد التجاري . وتأييداً لذلك اصدر اوامره لجميع مَن في قصوره من النساء ان يعدلنَ عن لبس الانسجة المصرية من صنع هذا البيت وان لا يدخل في تشريفات السيدات سيدة لابسة غير هذه الانسجة . وامر باصطناع كمية منها لارسالها الى معرض ڤينا في تلك الايام

وما زال المترجم في وظيفتهِ بمجلس الاستئناف حتى افضت رئاستهُ الى المرحوم حيدر باشا يكَن فوقع بينهما شقاق انتهى باستقالة المترجم . ولكن عناية الخديو اسماعيل ما زالت شاملة له فامر باعطائهِ مصلحة تمغة المشغولات والمنسوجات على سبيل الالتزام . واتفق في اثناء ذلك سقوط وزارة نوبار باشا المختلطة التي كان فيها عضوان اجنبيان وخلفتها وزارة شريف باشا المعروفة بالوزارة الوطنية وهموا بانشاء اللائحة الوطنية لتاسيس مبادىء الحكومة الدستورية . فانتدب المترجم

للاشتغال في ذلك مع المرحوم السيد علي البكري . ثم صدر الامر بتعيينه سكرتيراً للمرحوم راغب باشا ناظر المالية ولم يتولَّ هذه الوظائف الا لِما ظهر من نجابتهِ وسداد رأيهِ

على ان ميله الى الادب والشعر كان ينمو فيهِ بين مشاغل السياسة والادارة . فاتفق مع المرحوم عارف باشا احد اعضاء مجلس الاحكام بمصر وصاحب المآثر الكبرى في نشر الكتب على تاسيس جمعية عُرفت بجمعية المعارف غرضها نشر الكتب النافعة وتسهيل اقتنائها . وانشأ هو مطبعة باسمه سنة ١٢٨٥ لطبع تلك الكتب وهي من اقدم المطابع المصرية . على ان الجمعية كانت تطبع كتبها ايضاً في مطابع أُخرى وخصوصاً المطبعة الوهبية . ولهذه الجمعية شأن كبير في تاريخ هذه النهضة لانها نشرت كثيراً من الكتب المهمة ككتاب « تاج العروس » و« اسد الغابة » و« رسائل بديع الزمان » و « سلوك المالك» و« ألف باء » وغيرها من كتب التاريخ والادب والفقه

اما صاحب الترجمة ففي السنة التالية لانشاء مطبعته اتحد مع محمد عثمان بك جلال لانشاء جريدة عربية ولم يكن من الجرائد العربية بمصر يومئذ الا الجريدة الرسمية وجريدة وادي النيل . فنال رخصة بجريدة سماها « نزهة الافكار » ولكنهُ لم يصدر منها الا عددين ثم حالت العوائق دون اصدارها . ويقال عن السبب في ذلك ان المرحوم شاهين باشا اظهر لاسماعيل باشا تخوفه من انها تثير الافكار وتبعث عَلَى الفتن فصدر الامر بالغائها . وظلت المطبعة تشتغل بطبع الكتب لجمعية المعارف وغيرها وقد طبع فيها كتباً عَلَى نفقتهِ

فترى انَّ المترجم قد تقلب في اعمال مختلفة بين تجارة وخدمة في الحكومة وانشاء المطابع والجرائد ونشر الكتب وغيرها وهو دون الثلاثين من العمر . ولم ينل كل مرامه من واحد منها مع اقتداره وذكائه . ولعل السبب في ذلك لحاجته في استثمار عمله قبل ان ينضج وعدم ثباته في خطة واحدة . لانهُ لو ثبت في التجارة مثلاً ولم يرغب عنها في خدمة الحكومة لكانت تجارتهُ من اوسع التجارات . او لو ثبت في الخدمة ولم يعدل عنها الى الصحافة والطباعة لكان من اكبر اصحاب المناصب . ولو ثبت في الصحافة الى الآن لكانت صحيفته من اكبر الصحف واهمها . ولكنه لم يكن يستقر عَلَى حال . والاذكياء الذين لا يثبتون في عمل انما يكون سبب تقلبهم الرغبة في النجاح السريع يريدون الطلوع الى الاوج دفعةً واحدة . فاذا استبطأوا الوصول الى قمة النجاح في عمل تركوه وانتقلوا الى سواه فيأول ذلك في الاكثرين الى ضياع العمر في بناء القصور بالهواء . ولو ثبتوا في عمل واحد مهما يكن نوعه لكفاهم مؤونة الشكوى من معاكسات الزمان

عَلَى ان المترجم لم يشكُ ضيماً لانه كان مرعيَّ الجانب . ومازال الخديو اسماعيل يذكر صدق خدمته له فلما حدث التغيير في منصب الخديوية سنة ١٨٧٩ وأُبعد الخديو الى اوربا واستقرَّ في ايطاليا استقدم المترجم اليه ⋅ لجاء ⋅ واقام في معيته بضع سنوات كان في اثنائها كاتب يده (سكرتيره

العربي) يكتب عنه الرسائل الى الملوك والامراء . ولم يكن ذلك ليمنعه من العمل لنفسهِ فانشأ في اثناء اقامته باور باعدة جرائد كجريدة « الاتحاد » وجريدة « الانباء » ولم يثبت في واحدة منهما او لعله كان ينشئها لغرض موقت فاذا ناله عطلها

في سنة ١٣٠٣ هـ ذهب الى الاستانة على اثر انشائهِ تلك الجرائد فاكرم السلطان وفادته وعينهُ عضواً في مجلس المعارف وناظرها يومئذ منيف باشا العالم الشهير . فقدَّر الرجل حق قدره وقربه منهُ وعوَّل عليهِ في كثير من شؤون النظارة . وبعد ان اقام في هذا المنصب نحو عشر سنوات عاد الى مصر وعاد الى الاشتغال بالكتابة وقد نضجت مواهبهُ الانشائية . واكتسب ملكة الصحافة لطول ممارستهِ اياها مع ما اختبره بنفسهِ في اثناء اسفاره ومخالطته كبار رجال السياسة واطلاعه على مخبآت الامور . فعمد اولاً الى مراسلة الجرائد بمقالات جامعة بين السياسة والادب وقواعد العمران اشهرها ما جمع على حدة في كتاب « ما هنالك » . ثم انشأ جريدة « مصباح الشرق » الاسبوعية وهو يتردد في خلال ذلك الى الاستانة ويعود منها مشمولاً بالنعم السلطانية من العطايا والرتب حتى بلغ الرتبة الاولى من الصنف الاول . وما زال عاملاً في خدمة الصحافة العربية مخلصاً للبيت الخديوي شديد التعلق بمرضاة الجناب العالي وسموهُ يخصه بالمنح والمنن حتى توفاه الله في ٢٩ يناير سنة ١٩٠٦ وهو في الستين من عمره

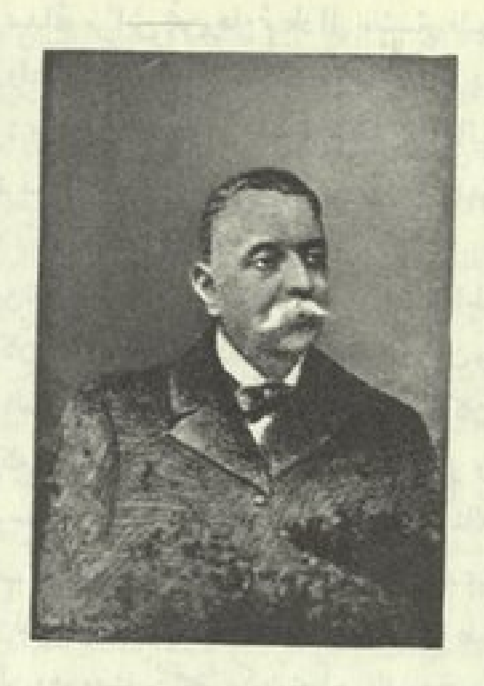
كان ربع القامة ممتلئ الجسم حسن الملامح كما ترى رسمه في صدر هذه الترجمة . وكان حلو الحديث لطيف النادرة سريع الخاطر حسن الاسلوب نابغة في الانشاء الصحافي وفي الطبقة الاولى بين كتاب السياسة رشاقةً ومتانةً واسلوباً مع ميل الى النقد والمداعبة . ولا يخلو نقده من لذع او قرص لا يراعي في ذلك صديقاً ولا قريباً حتى قيل « لم ينجُ من قوارص قلمه الا الذي لم يعرفه » . وقد انتقدوا عليهِ تقلبه في خطتهِ وذلك تابع لتقلبه في سائر احوال معاشهِ لما قدمناه من تردده في اعماله حتى قضى العمر في التنقل من عمل الى آخر . وضاعت الفائدة التي كان يُرجى استثمارها من مواهبهِ لانه كان نادرة في الذكاء وحدة الذهن والاقتدار على تفهم الامور والاحاطة بخفاياها وكشف غوامضها . فلو رافقه الثبات في المبادئ والاعمال لكان من هذا الرجل غير ما كان (جرجي زيدان)

— « ٣ » —

عبدالله مرّاش

محرر جريدة « مرآة الاحوال » في لندن وصحف « مصر القاهرة » و « الحقوق » و « كوكب المشرق » في باريز وناشر المقالات المفيدة في مجلتي « البيان » و « الضياء » في القاهرة وغير ذلك من الصحف

هو عبدالله بن فتح‌الله بن نصرالله بن بطرس مرّاش من أسرة عريقة في الفضل والوجاهة



عبدالله مرّاش

معروفة بالعلم والادب . وكفاهُ شهرةً انه اخو فرنسيس مرّاش كبير شعراء حلب وشقيق مريانا مرّاش الشاعرة العربية ومن شهيرات النساء الكاتبات في سوريا . وُلد في حلب في ١٤ ايار سنة ١٨٣٩ ونشأ بها وتأدب على والده وغيره . فتلقى في حداثته مبادئ علوم العربية والخط والحساب ثم دخل مدرسة الرهبان الفرنسيسيين فأخذ عنهم اصول اللغة الايطالية . وبعد ذلك انصرف الى اعمال التجارة فتخرَّج في ابوابها وفنونها . ولما بدت نجابتهُ فيها انتدبتهُ جماعةٌ من جلة تجار حلب لعقد شركة تجارية ينشئ لها محلاً في منشستر من بلاد الانكليز . فسافر اليها سنة ١٨٦١ ولبث بها الى سنة ١٨٦٩ واشتهر بما كان عليه من الامانة والدراية . فكان له مقامٌ محمود بين معامليه من ارباب التجارة واحرز منها ثروةً صالحة . وفي تلك السنة تمَّ فتح خليج السويس فاستشفَّ من وراء هذا الفتح انهُ سيكون ضربةً قاضية على تجارة حلب . لانهُ قدَّر ان البضائع التي كانت تُرسل اليها فتحملها القوافل برًّا الى نواحي العراق وبلاد العجم لا بدَّ ان ترسل بعد ذلك بحراً عن طريق السويس ثم البصرة . ولهذا السبب ولاسباب أُخرى نوى العدول عن التجارة بتةً وشرع في حلّ الشركة وتصفية اعمالها

وبعد ان وضعت الحرب اوزارها بين الفرنسيس والالمان سنة ١٨٧٠ انتقل الى باريس فأقام بها يتعاطى التجارة وخدمة المعارف . ولما أنشأ رزق الله حسون سنة ١٨٧٦ جريدة « مرآة

الاحوال» في لندن تولى عبدالله مرّاش تحريرها · ثم عاد الى منشستر فلبث بها الى سنة ١٨٨٠ كاتباً لاشغال فتح‌الله طرّازي واعماله التجارية · وبعد ذلك فارقها فأتى باريس مرّة ثانية حيث حرّر في جريدة « مصر القاهرة » لاديب اسحق وجريدة « الحقوق » لميخائيل عورا وصحيفة « كوكب المشرق » لاحد رجال الفرنسيس · ثمّ زايلها وسافر الى مرسيليا وألقى بها عصاهُ ولم يزل مقيماً فيها الى ان توفاهُ الله اليهِ في ١٧ كانون الثاني ١٩٠٠

هذا مجمل ما يذكر من تاريخ هذا الرجل وما تقلب فيه من اطوار الحياة · وقد عبرت ايامهُ كلها عَلَى السكينة والدعة لانهُ كان قليل المزاحمة والتطالّ الى بعيد الشؤون والتفاني في معالجة الحظوظ وابتغاء الشهرة والمقامات العلية بالاكثار من الجلبة والحراك · عَلَى انه كان على حظّ من الدنيا بلغ بهِ مبلغ الرضى وهو الغنى كله فلم يكن بعد ذلك يحرص عَلَى حشد الدينار ولا يعاني الكسب · ولكنهُ انصرف الى المطالعة والتوسع في العلم وهو مالم ينقطع عنه قط مع اشتغاله بالتجارة ايضاً · فانهُ كان كثير الاختلاف الى مكاتب لندن وباريز يتصفح ما فيها من الاسفار قديمها وحديثها ولا سيما الخطية منها · فادرك حظاً وافراً من لغة العرب وتواريخهم وآدابهم وانتسخ منها عدة كتب عزيزة · نذكرمنها كتاب «يتيمة الدهر» للثعالبي وهو مصنفٌ ضخمٌ يكون نحواً من الف وخمس مئة صفحة كبيرة انتسخهُ من مكتبة باريز · ثم عارضه بنسخة لندن واشار الى مواضع الفرق بين النسختين ونبّه عَلَى ما وجده مبايناً للصحة من غلط النساخ مما استدركهُ بنفسه · وبعد ذلك عارضهُ بالنسخة المطبوعة في دمشق وبعد ان جمع بينها وبين نسخته وقد تتبعها صفحةً صفحةً وسطراً سطراً علق عَلَى هوامشها كل ما وجده من الفروق والزيادات وغيرها · فكانت كل واحدةٍ من هاتين النسختين اصحّ نسخ هذا الكتاب

وهناك كتبٌ ورسائل أُخر كلها من غرر آثار الاقدمين ونوادر تآليفهم انتسخها بخطهِ مع العناية والتدقيق في مقابلتها وتصحيحها · وكان مليح الخطّ نقيّ الرقعة كثير التأنق كأكثر خطاطي حلب · وكان يكتب اولاً بقلم من القصب الهندي وهو شديد الصلابة لا يكاد يتشعث ولا يتغير · ثم صار يكتب باقلام الحديد ولذلك ترى خطه من اول الكتاب الى آخره واحداً

وكان عبدالله من اكابر اهل الانشاء حسن الترسل سهل العبارة واضح الاسلوب بصيراً باختيار الالفاظ والتراكيب حسن النقد حريصاً على البلاغة ووضوح المعاني آخذاً بالنصيب الاوفر من قوالب فصحاء العرب والفاظ الخاصة من اهل الادب · وكان مع ذلك متقناً للغة الانكليزية والفرنسوية والطليانية يكتب فيهنّ جميعاً · وكان له باعٌ طويل في التاريخ والفلسفة وعلم الاخلاق والاديان والشرائع المختلفة مشاركاً في كثير من علوم المعاصرين كالطبيعيات والهيئة وسائر الفنون الرياضية · وكان بصيراً بالسياسة مطلعاً عَلَى اسرارها ودقائقها وله في كل ذلك مقالاتٌ ورسائل شتى منها ما هو باقٍ بخطهِ ومنها ما نشر في بعض الجرائد العربية في لندن وباريس وجرائد ومجلات القطر المصري ·

واشهر ما طُبع له منها مقالة « التربية » التي نشرها تباعاً في مجلة « البيان » اليازجية فلا حاجة الى الاطناب في وصفها. واما النظم فانهُ مع تضلعه من فنون البلاغة وكثرة ما كان يحفظ من اشعار العرب والمولدين ومع اشتهار بيتهم بالشعر كان قليل الرغبة فيهِ والمعاناة له. ولا سيما مع ما بلغ اليهِ الشعر في هذا العصر من الانحطاط والتفاهة ومع قلة المميزين بين جيده ورديئهِ

واما صفاته الشخصية فقد كان ربعة القوام معتدل الجسم ابيض اللون طلق المحيا فصيح اللسان مهذب المنطق واسع الرواية لطيف المحاضرة. وكان رجلاً جليل القدر كامل الصفات قد جمع بين رزانة الانكليز ورقة الفرنسيس وأريحية العرب. وكان عَلَى اعظم جانب من الزهد وخفض الجناح بعيداً عن الزهو والخُيلاء. منزهاً عن الدعوى والكبر. حتى انهُ مع سعة فضلهِ ورسوخ قدمهِ في العلم والانشاء واجماع المطالعين عَلَى استحسان كلامه كان يتفادى من ذكر اسمه في اكثر ما كتبهُ وما طُبع له. ويشترط ذلك عَلَى مَن يروم نشر شيءٍ من آثاره. هذا ولا جرم من عنوان تمام فضلهِ وتناهيهِ في الكمالات الانسانية. لانهُ لم يكن يتوخى فيما يكتبهُ الاَّ نشر فائدة او تقرير حقيقة دون ابتغاء الشهرة والتهالك عَلَى طلب الاطراء. وتوجد من آثار قلمهِ رسالتان احداهما جمع فيها فوائد متفرقة في «علم الهيئة وتخطيط الارض» والثانية عرَّب فيها خواطر الدوك دلارُشفوكو في «الاخلاق والآداب»

واما فصولهُ في « الهيئة » فانها لا تخلو من احياء الفاظ من مصطلحات العرب في هذا العلم مما ذهبت باكثرهِ الايام الاَّ من بعض الاسفار الباقية الى هذا العهد في خزائن اوروبا مما دلَّ على وفرة اطلاعهِ وامعانهِ في البحث والتقييد. وله ايضاً نقد مطوَّل على ترجمة فرنسية لكتاب «مروج الذهب» بقلم واحدٍ من اكابر علماء الفرنسيس يقال له بربياي دي مينار. وهو نقد جزيل الفائدة نشرتهُ مجلة « الضياء » اليازجية في القاهرة سنة ١٩٠٠

—« ٤ »—

﴿ الشيخ ابو نظاره ﴾

منشىء الصحف الآتية: « ابو نظارة زرقاء » و« رحلة ابي نظارة زرقاء » و« ابو زماره » و« ابو صفاره » و« الحاوي » و« الوطني المصري » والنظارات المصرية » و« ابو نظاره » و« الثرثارة المصرية » و« التودُّد » و« المنصف » و« العالم الاسلامي » وغيرها . وناشر المقالات الكثيرة في اشهر الصحف الفرنسية

لا نظنُّ احداً من كتبة الاعارب والاعاجم في هذا العصر يجهل اسم الشيخ ابي نظارة المصري الذي اشتهر ذكره في الخافقين ورنَّ صدى مقالاتهِ اللطيفة من مشارق الارض الى مغاربها. فهو



الشيخ ابو نظاره

الكاتب الانتقادي الكبير الذي علت شهرتهُ في عالم السياسة وذاع صيته بين خاصة الناس وعامتهم ·
وما زال منذ اكثر من نصف قرنٍ يدافع قولاً وعملاً عن وطنهِ المحبوب بل يجاهد بثبات جاشٍ
وحماسةٍ لا توصف عن مصلحة بلاده واستقلالها من نير الغرباء · فنرى من باب العدل تخليداً
لمآثره ان نكيل له بمكيال اعماله ونزين صفحات هذا الكتاب برسمه وترجمته :

هو يعقوب بن رافائيل صنوع [1] وُلد في القاهرة بتاريخ ٩ شباط ١٨٣٩ من ابوين اسرائيليين. والقن منذ نعومة اظفاره تعاليم التوراة حتى استحق ان يكون لاويًا اي مؤمناً بعقيدة وجود الله سبحانهُ. ثم درس الانجيل والقرآن ووقف هكذا عَلَى عقائد الاديان القائلة بوحدانية اللاهوت. وكان ابوه مستشاراً لدى الامير احمد باشا يكن حفيد محمد علي باشا الكبير راس العائلة الخديوية. واذ شاهد هذا الامير نباهة يعقوب ارسله عَلَى نفقته الى اوروبا لإتقان العلوم العصرية. فذهب الفتى الى مدينة ليڤورنو (Livourne) في ايطاليا حيث تلقى العلوم وبرع فيها ثم عاد منها بعد ثلاث سنين بالغاً الحولَ السادس عشر من عمره. وفي اثناء ذلك فقدَ اباهُ والمحسنَ اليه فتأسف عليهما كثيراً وبكاهما بكاء مرًّا. ومن ذاك العهد اخذ يدرّس اللغات لاغصان العائلة الخديوية وابناء الاعيان حتى نبغ كثير من تلامذته الذين ارتقوا الى اعلى المناصب والمراتب

وسنة ١٨٧٠ أنشأ اول مرسح عربي في القاهرة بمساعدة الخديو اسمعيل الذي منحهُ لقب «موليير مصر» ونشطهُ عَلَى عمله وشهد مراراً تمثيل رواياته. فالف صاحب الترجمة حينئذٍ اثنتين وثلاثين رواية هزلية وغرامية منها بفصل واحد ومنها بخمسة فصول لم يزل صداها يرنّ في آذان الشيوخ على ضفاف النيل. ثم اسس سنة ١٨٧٢ جمعيتين علميتين احداها «محفل التقدم» والاخرى «جمعية محبي العلم» وتولى رئاستهما. وسنة ١٨٧٤ سافر الى اوروبا حيث بقي مدةً يدرس احوالها السياسية واخلاق شعوبها. ثم قفل راجعاً الى وطنه مشغوفاً بتقدّم الافرنج وملتهباً بنار الغيرة لبثّ روح الحضارة العصرية بين الشعب المصري

وكان السيد جمال الدين الافغاني الفيلسوف المشهور والشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقاً متحدين معهُ بعرى المحبة. وقد درسا عليه شيئاً من اللغة الفرنسية. فاتفق ثلاثتهم على إنشاء جريدة عربية هزلية لانتقاد اعمال الخديو اسمعيل. ثم قرّ رأيهم على ان يتولى ادارتها صاحب الترجمة ويحرّر فيها معهُ العالمان المذكوران. وقد اوعز السيد جمال الدين الى يعقوب في إيجاد عنوان للجريدة يليق بمسلكها. فخرج هذا الى بيته باحثاً عن حمار يركبهُ. فاذا بالفلاحين اصحاب الحمير قد تجمعوا حوله واراد كلٌّ منهم ان يركبهُ حماره. فلما زاحموه احبّ التخلص منهم واذا بصوتٍ من ورائه يناديه «يا أبا النظارة الزرقاء» وكان وقتئذٍ يستعمل النظارات الزرقاء وقايةً لعيونه من حرارة الشمس. فرنّ هذا الصوت في أذنيهِ واستحسن عبارة «ابي النظارة الزرقاء» وصمم عَلَى اتخاذها عنواناً للجريدة الهزلية. فرجع من ساعتهِ الى السيد جمال الدين واخبره بما جرى لهُ مع اصحاب الحمير وباختياره العنوان المذكور للجريدة. فضحك من كلامهِ لكنهُ استحسن الاسم وهكذا صدر العدد الاول سنة ١٨٧٧ من الصحيفة المذكورة التي تعدُّ أُولى الصحف الهزلية عند

(١) صنوع لفظة عبرانية معناها محتشم ومتواضع

الناطقين بالضاد · فانتشرت في اربعة اقطار المعمور حتى صار اسمها ملازماً لصاحبها الذي أطلق عليهِ من ذاك الحين اسم « الشيخ ابي نظارة » · وكان يعقوب صنوع اوّل من استعمل القلم الدارج عند عامة المصريين في الكتابة فتبعهُ كثير من الكتّاب الذين انشأوا صحفاً شتى بالقلم العامي في جميع الاقطار العربية شرقاً وغرباً

ولما كانت مقالات جريدتهِ تنتقد اعمالَ خديو مصر بلهجةٍ شديدة اصدر اسمعيل باشا امراً بابطالها بعد ظهور العدد الخامس عشر منها · وكان الخديو متعمداً الانتقام من منشئها بكل الوسائل حتى القتل لو استطاع الى ذلك سبيلاً · واوعز الى قنصل ايطاليا بان يطردهُ من الديار المصرية لانهُ كان محتمياً بالدولة المذكورة · فتوجه صاحب الترجمة الى الاسكندرية ومنها ركب سفينة لتقله الى اوروبا · فمرّ الخديو بعربتهِ امام رصيف المينا ورأى بعينهِ الوفاً من الناس يشيعونهُ · فصاح بعضهم وقال له : « انظر يا أبا النظارة الزرقاء كيف جاء شيخ الحارة[1] ليشتفي منك ويراك بعينهِ منفياً من بلاده » · فاجابهم بقوله : « بعد سنةٍ يبقى هو مثلي من مصر » · وفي الواقع خُلع اسمعيل من سرير الخديوية بعد سنةٍ من التاريخ المذكور

فسافر صاحب الترجمة الى باريس وهناك استأنف إصدار الجريدة بعنوان « رحلة ابي نظارة زرقاء » مقبحاً فيها سياسة اسمعيل · ولبث الخديو يصادر الجريدة محرّماً على الناس مطالعتها حتى اضطرّ الشيخ الى تبديل اسمها تارةً باسم « ابي زمارة » وطوراً باسم « ابي صفارة » وحيناً باسم « الحاوي » وآناً باسم « الوطني المصري » او « النظارات المصرية » لئلاّ تفوت القرّاء فائدتها · ثم اصدر مجلة « التودّد » وجريدة « المنصف » وجريدة « العالم الاسلامي » وجريدة « ابي نظارة » وغيرها ايضاً · وقد اصدر سنة ١٨٨٦ جريدة بثماني لغات سماها « الثرثارة المصرية » او « الباڤار اجيسيان » وهي اوّل جريدة في العالم صدرت بهذا العدد الكثير من اللغات على ما نعلم · ولم تقتصر همتهُ على كتابة جرائده المذكورة بل كان ينشر المقالات الضافية الذيول في الجرائد الفرنسية الكبرى من مثل « التان » و « الماتين » و « الفيغارو » وسواها

وفي ٢٢ ايلول ١٩٠٠ القى في معرض باريز تحت رئاسة السيد حسن ابن السلطان عمر المنزواني خطبةً بعشر لغات مختلفة ردّدت صداها جرائد العاصمة الفرنسية · وبعد ذلك حُمل على اكفّ السامعين بموكب حافل يتقدمهُ جوق الموسيقى الى ساحة « برج ايفل » حيث دعا دعاءً حاراً لفرنسا وللدول الشرقية · ثم ترنم القوم بالنشيدين الفرنسي والخديوي · وفي تلك السنة دعاه شاه العجم الى ضيافتهِ في « كنتر كسفيل ليبين » واهداه وساماً عالياً وخاتماً ثميناً

وسنة ١٩٠١ زار الشيخ ابو نظارة سموّ الخديو عباس الثاني في مدينة ديڤون بفرنسا · فاوعز

---

(١) شيخ الحارة هو لقب اطلقه ابو نظارة في جريدته على الخديو اسمعيل

اليه الخديو بالرجوع الى وادي النيل ممتعاً بالحرية التامة · لكنَّ شيخنا رفض إجابة الطلب ما زال القطر المصريُّ مقيداً بالاحتلال الانكليزي · وفي السنة ذاتها زاره في مصيفهِ الواقع في شامبيني (Champigny) السلطان عمر حاكم المنزوان فتناول عنده طعام الظهر وتبادل الاثنان نخب المحبة ثم تصوَّرا في رسم واحد · وسنة ١٩٠٢ وافق مرور خمسة وعشرين عاماً على ظهور جريدتهِ الاولى فاحتفل اصحابهُ بذلك احتفالاً شائقاً واقاموا له مأدبةً انيقةً جمعت مائة نفس من مصريين وسوريين وتونسيين وجزائريين وفرنسيس وسواهم · وسنة ١٩٠٥ جرى الاحتفال باليوبيل الخمسيني لدخوله في سلك التأليف والتدريس فكان هو اول صحافيّ عربيّ نال هذه الكرامة الشريفة في حال حياته

ولصاحب الترجمة معرفة تامة بلغاتٍ شتى قديمة وحديثة بحيث انهُ كان يكتب نثراً وشعراً في العبرانية والعربية والايطالية والفرنسية والانكليزية والالمانية مع إلمام بالاسبانية واليونانية وغيرها · ثم اتقن بعض الفنون الجميلة كالموسيقى والرسم فانه الف الحاناً بديعةً للملوك والامراء ورسم بقلمهِ اكثر التصاوير التي نشرها في جرائده منذ نشأتها حتى احتجابها · وكان في الخطابة آية عصره ولو جُمعت خطبهُ لبلغت المجلدات وقد أُعجب الغربيون بفصاحة لسانهِ وقوة حجته · وكان مرتبطاً بعلائق المودَّة مع اكبر علماء زمانه في مصر وسوريا والعراق وتونس والمغرب الاقصى والهند فضلاً عما احرزه من الاعتبار لدى جهابذة الفرنسيس كالجنرال دودس وجول سيمون ولمبرت وسواهم · وابتكر في اللغة الفرنسية طريقة النثر المسجوع كما هو شائع عند العرب · فالف من هذا النوع مقالات شتى وخطباً عديدة نذكر منها النبذة المعروفة بالعنوان الآتي « Constitution Ottomane et ses héros » فانها بليغة المعاني والمباني وقد كتبها احتفالاً باعلان الدستور في السلطنة العثمانية وله مؤلفات كثيرة غير ذلك

وبمناسبة يوبيله الخمسيني المذكور اجمعت الجرائد العربية والافرنجية على تقريظهِ فتواردت عليهِ رسائل الاطراء بكثرةٍ من الامراء والشعراء والعلماء والعظماء شرقاً وغرباً · ونال من رؤساء الحكومات وسامات الشرف الكثيرة التي زيَّنت صدرهُ · فجاءت مصداقاً على سمو منزلتهِ الادبية عندهم ولولا اتضاعهِ لأحرز اضعافها · واليك اسماء البعض منها :

الوسامات ذات الدرجة الاولى أو غران كردون : وسام « النجوم الثلاث » من محمد سلطان جزائر القمور · وسام « الكوكب الدري » من السيد برغش سلطان زنجبار · وسام « المنزوان » من السيد عمر سلطان المنزوان

الوسامات ذات الطبقة الثانية أو غران اوفيسيه : وسام « سان مارينو » من رئيس جمهورية سان مارينو في ايطاليا

الوسامات ذات الطبقة الثالثة أو قومندور : « الوسام العثماني »من السلطان عبد الحميد·وسام « الشمس والاسد » من ناصر الدين شاه ايران ·ووسام « انج » من سلطانها · وسام « الافتخار » من محمد الهادي باي تونس ·ووسام « أو بوك » من حاكم هذه الولاية

الوسامات ذات الطبقة الرابعة او اوفيسيه : « الوسام المجيدي » من السلطان عبد الحميد· ووسام « المحفل العلمي الفرنسي » أو اكاديمي من رئيس جمهورية فرنسا· ووسام « كمبودج » من دولة الكمبودج ·ووسام « انام » من ملك هذه الدولة

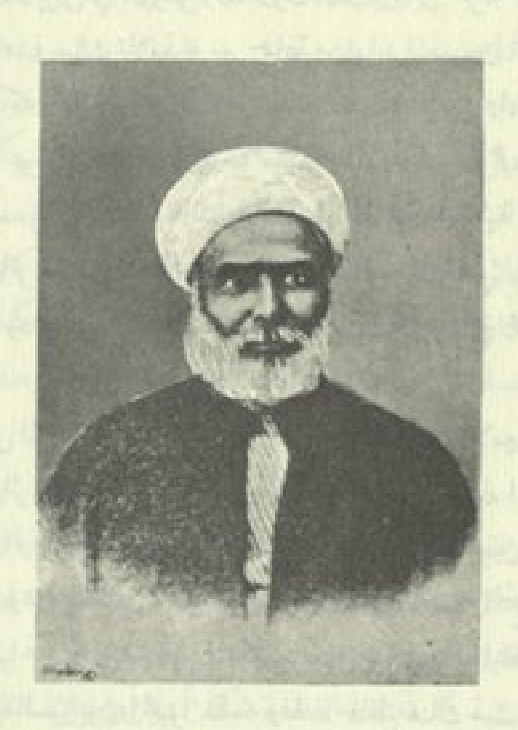
الوسامات ذات الطبقة الخامسة او كواليير : وسام « ايزابلا الكاثوليكية » من ملك اسبانيا ووساماً من ليوبلد الثاني ملك بلجيكا وغير ذلك من الاوسمة وعلامات الشرف التي نالها من الحكومات والجمعيات الادبية والمحافل العلمية

وله مع اكثر الملوك المشار اليهم لا سيما مع سلاطين الاسلام وامرائهم وعلمائهم وشعرائهم ومشاهيرهم مكاتبات تضمنت آيات الثناء على مآتيهِ الحسنة ·وقد اتحف بها قبل وفاته موْلف هذا التاريخ على سبيل الهدية والتذكار·وهي مجموعة ادبية ثمينة يندر وجود نظيرها عند احد الشرقيين الذين لا يكترثون عادةً لصيانة الآثار القديمة او النفيسة

ونال الشيخ ابو نظاره القاباً مهمة من السلاطين والملوك نذكر منها : لقب « موليير مصر » من اسمعيل باشا خديو مصر على اثر حضوره تمثيل بعض روايات من قلمه·ولقب « صديق الاسلام » سنة ١٨٩١ عند ما زار السلطان عبد الحميد الثاني في القسطنطينية ·فكلفهُ السلطان تبليغ سلامه الى كرنو رئيس الجمهورية الفرنسية·ثم كان سنة ١٨٩٩ الواسطة الودية بين السلطان المشار اليه وبين لوبه رئيس جمهورية فرنسا ·ونال سنة ١٩٠٠ لقب « صديق فرنسا الكبير » من حكومة فرنسا عند افتتاح معرض باريس العام·واحرز لقب« شاعر الملك »من شاه ايران ولقب« كوكب الشرق » من سلطان المنزوان ولقب« الوطني المخلص» من عباس الثاني خديو مصر ولقب«مقوّي الرابطة الاخوية العامة » من« دون بدرو » امبراطور البرازيل

وبعد اعلان الدستور في السلطنة العثمانية بثلاثة ايام سافر الى الاستانة للاشتراك مع العثمانيين في افراحهم الوطنية·ثم عاد مشيعاً بالاكرام الى باريس ومن ذاك الحين اخذ نور عينيه بضعف حتى كفَّ بصره · وفي ٣١ كانون الاول · ١٩١٠ اصدر العدد الاخير من جريدة « ابي نظارة » بعد انتشارها اربعاً وثلاثين سنة ودفاعها عن حقوق وادي النيل بثباتٍ لا يوصف· وبعدما قضى اربعاً وسبعين سنة توفاه الله في ٣٠ ايلول ١٩١٢ في باريس فنقلت شركة « روتر » التلغرافية خبر نعيه الى الشرق والغرب

— « ٥ » —



﴿ الشيخ محمد عبده ﴾

محرر جريدة « الوقائع المصرية » في القاهرة و« العروة الوثقى » في باريس

(نشأتهُ الاولى)

نشأ في قرية صغيرة (محلة نصر) من ابوين فقيرين فلم يمنعه ذلك من الارتقاء بجده واستعداده حتى بلغ منصب الافتاء واصبح علماً في الشرق وقطباً من اقطاب الدهر سينقش اسمهُ على صفحات الايام ويبقى ذكره ما بقي الاسلام

وُلد عام ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ ميلادية) وابوه يتعاطى الفلاحة وقد ادخل فيها اولاده الا محمداً لانه توسم فيهِ الذكاء . فاراد ان يجعله من الفقهاء فادخله كتاب القرية تردد اليهِ حيناً . ثم ارسله الى « الجامع الاحمدي » في طنطا اقام فيه ثلاث سنوات ثم نقله الى « الجامع الازهر » فقضى فيه عامين لم يستفد فيهما شيئاً . وهو ينسب ذلك بالاكثر الى فساد طريقة التعليم . ثم انتبه لنفسهِ ولم يرَ بدًّا من تلقي العلم فاستنبط لنفسه اسلوباً في المطالعة واعمل فكرته في تفهم ما يقرأه . فاستلذ العلم واستغرق في طلبهِ فاحرز منه جانباً كبيراً على ما يستطاع ادراكه بتلك الطريقة

واتفق ان ورد عَلَى مصر سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) السيد جمال الدين الافغاني فيلسوف الاسلام وصاحب الترجمة لايزال في الازهر وقد ادرك الثلاثين من عمره . وتولى جمال الدين تعليم المنطق والفلسفة فانخرط محمد في سلك تلامذته مع جماعة من نوابغ المصريين تخرجوا عَلَى جمال الدين . تخرجوا لا يشق لهم غبار كأنَّ الرجل نفخ فيهم من روحه ففتحوا اعينهم واذا هم في ظلمة وقد جاءهم النور . فاقتبسوا منهُ فضلاً عن العلم والفلسفة روحاً حيـة ارتهم حالهم كما هي اذ تمزقت عن عقولهم حجب الاوهام . فنشطوا للعمل في الكتابة فانشأوا الفصول الادبية والحكمية والدينية . وكان صاحب الترجمة ألصق الجميع بهِ واقربهم الى طبعه واقدرهم عَلَى مباراته . فلما قضي على جمال الدين بالابعاد من هذه الديار قال يوم وداعه لبعض خاصته : « قد تركت لكم الشيخ محمد عبده وكفى بهِ لمصر عالماً »

وتقلب محمد في بعض المناصب العلمية بين تدريس في المدارس الاميرية وتحرير في « الوقائع المصرية » وكتابة في الدوائر الرسمية حتى كانت الحوادث العرابية . فحمله اصحابها عَلَى السير معهم وهو ينصح لهم ان لايفعلوا و ينذرهم بسوء العاقبة . ولما استفحل امر العرابيين اختلط الحابل بالنابل وسبق الناس بتيار الثورة وهم لايعلمون مصيرهم . فدخل الانكليز مصر والشيخ محمد عبده في جملة الذين قُبض عليهم وحوكموا . فحكم عليهِ بالنفي لانهُ افتى بعزل توفيق باشا الخديوي السابق . فاختار الاقامة في سوريا فرحب به السوريون واعجبوا بعلمه وفضله . فاقام هناك ست سنوات فاغتنموا اقامته بينهم وعهدوا اليه بالتدريس في بعض مدارسهم

وانتقل من سوريا الى باريس فالتقى فيها باستاذه وصديقه جمال الدين وكانا قد تواعدا عَلَى اللقاء هناك . فانشأوا جريدة « العروة الوثقى » وكتابتها منوطة بالشيخ محمد فكانت لها رنة شديدة في العالم الاسلامي ولكنها لم تعش طويلاً . وتمكن الشيخ في اثناء اقامتهِ بباريس من الاطلاع على احوال التمدن الحديث وقرأ اللغة الفرنساوية على نفسه حتى اصبح قادراً على المطالعة فيها . ثم سعى بعضهم في اصدار العفو عنه فعاد الى مصر . فولاَّه الخديو السابق القضاء . وظهرت مناقبه ومواهبه فعين مستشاراً في محكمة الاستئناف وسمي عضواً في مجلس ادارة الازهر . وعين اخيراً مفتياً للديار المصرية سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) ومازال في هذا المنصب حتى توفاه الله في ١١ تموز ١٩٠٥ ولم يعقب ذكراً يبقى بهِ اسمه ولكنهُ خلف آثاراً يخلد بها ذكره

(مناقبه واعماله)

كان ربع القامة اسمر اللون قوي البنية حاد النظر فصيح اللسان قوي العارضة متوقد الفؤاد بليغ العبارة حاضر الذهن سريع الخاطر قوي الحافظة . وقد ساعده ذلك على احراز ما احرزه من العلوم الكثيرة الدينية والعقلية والفلسفية والمنطقية والطبيعية وتلقى اللغة الفرنساوية وهو في حدود

الكهولة في بضعة اشهر · وكان شديد الغيرة على وطنه حريصاً على رفع شان ملته وذاع ذلك عنه في العالم الاسلامي· فكاتبه المسلمون من اربعة اقطار المسكونة يستفتونه و يستفيدون من علمه وهو لا يردُّ طالباً ولا يقصر في واجب

ناهيك بما عُهد اليه من المشروعات الوطنية فقد كان القوم لايقدمون على عمل كبير الاَّ رأسوه عليه او استشاروه فيهِ· فرأس «الجمعية الخيرية الاسلامية» والف «شركة طبع الكتب العربية» وشارك مجلس شورى القوانين في مباحثه· وآخر ما عهد اليهِ تنظيم مدرسة يتخرج فيها قضاة الشريعة ومحاموها· فضلاً عما اشتغل فيهِ من التأليف والتصنيف وما كان يستشار فيه من الامور الهامة في القضاء او الادارة بالمصالح العامة والخاصة · وبالجملة فقد كان كنز فوائد للقريب والبعيد بين افتاء ومشورة واحسان و كتابة ومداولة ووعظ وخطابة ومباحثة ومناظرة واستنهاض وتحريض وتنشيط وغير ذلك

(اصلاح الاسلام)

عَلَى ان عظمته الحقيقية لاتتوقف عَلَى ما تقدم من اعماله الخيرية او العلمية او القضائية· وانما هي تقوم بمشروعه الاصلاحي الذي لايتصدى لمثله الا افراد لايقوم منهم في الامة الواحدة مهما طال عمرها الا بضعة قليلة· وهذا ما اردنا بسطه عَلَى الخصوص في هذه العجالة :

(العظمة الحقيقية) تختلف العظمة شكلاً واثراً باختلاف السبيل الذي يسعى صاحبها فيه او الغرض الذي يرمي اليه· فمنهم العظيم في السياسة او الحرب او العلم او الدين· ومن العظماء من يوفق الى اتمام عمله ومنهم من يرجع بصفقة الخاسر من نصف الطريق او ربعه او عشره · عَلَى ان اكثر العظماء انما يأتون العظائم لمجرد الرغبة في الشهرة الواسعة ويغلب ان يكون ذلك في رجال الحرب· وهؤلاء تنحصر ثمار اعمالهم في انفسهم او اهلهم او امتهم عَلَى انهم لا يستطيعون نفعاً لانفسهم الا بضر الآخرين· اعتبر ذلك في سير كبار الفاتحين كالاسكندر و بونابرت وغيرهما· فكم سفكوا في سبيل عظمتهم من الدماء او ارتكبوا من المحرمات وكان النفع عائداً على انفسهم او امتهم ولم يطل مكثه فيهم الا قليلاً

واما رجال العلم فعظمتهم تقوم بما ينيرون بهِ الاذهان من الاصول العلمية او يكتشفونهُ من اسباب الامراض والوقاية منها او يضعونه من النظامات والقوانين او غير ذلك · ونفعهم يشمل القريب والبعيد الرفيع والوضيع ولا يسفكون في سبيل نشره دماً ولا يرتكبون محرماً· وهو باقٍ ما بقي الانسان وينمو بنموّ المدنية

واما رجال الدين ومَن جرى مجراهم من واضعي الشرائع والاحكام فتأثيرهم اوسع دائرةً واعمُّ شمولاً لانهُ يتناول البشر على اختلاف طبقاتهم واجناسهم رجالاً ونساء كباراً وصغاراً· وعليهم

يتوقف نظام الاجتماع وآدابه واخلاق الناس وعاداتهم وعلائقهم بعضهم ببعض . وعظماء الدين فئتان: الفئة الاولى واضعو الشرائع كالانبياء او مَن في معناهم ممن ينسبون اعمالهم الى ما وراء الطبيعة . والفئة الثانية المصلحون الذين يصلحون الدين بعد فساده — لانّ الدين اذا مرَّ عليهِ بضعة قرون فسد وتغير شكله وانقلب وضعه تبعاً لمطامع الذين يتولون شؤُونه فتفسد الامة و ينحط شأنها حتى يقوم من يصلحه و يعيده الى رونقه . ووضع الاديان عمل شاقٌ قلَّ مَن يفوز بهِ والاصلاح الديني لا يقلُّ مشقة عنه . وربما كان ادخال دين جديد ايسر من اصلاح دين قديم . فالديانة المسيحية لم تكلف البشر في قيامها من الدماء اكثر مما كلفتهم في اصلاحها . على ان ما يضيعه رجال الدين في نشره من الدماء يعوضونه بسرعة انتشاره . اعتبر ذلك في الفرق بين النصرانية والاسلام في قيامهما . و يقال نحو ذلك في الاصلاح فقد طلبه وسعى فيه غير واحد من رجال النصرانية فلم يتفق منهم الى اصلاح كبير غير « لوثير » لان اهل السياسة نصروه . ولا بد من استعداد الاذهان لقبول الاصلاح وتهيئة الاسباب الاخرى . فكم نهض من المصلحين بالسيف فغلبوا على امورهم وذهب سعيهم عبثاً . واقربهم عهداً منا صاحب مذهب «الوهابية» في نجد فقد استفحل امره في اوائل القرن الماضي واراد في الاسلام نحو ما اراده لوثير في النصرانية . فلم يوفق الى غرضه لانّ الجنود المصرية غلبته وفلّت عزيمتهُ . اما المصلحون بالموعظة الحسنة والتعليم فعملهم بطيءٌ ولكنه ارسخ في الاذهان واصبر على كوارث الحدثان — والشيخ محمد عبده واحد منهم

(هو وجمال الدين) نشأ الشيخ المفتي نير البصيرة حرَّ الضمير وربي في الاسلام وتعلم علومه فشب غيوراً عليهِ . ثمَّ اطلع على علوم الامم الراقية من اهل هذا التمدن ودرس تاريخ الاجتماع ونواميس العمران فرأى الاسلام في حاجة الى نهضة ترفع شأنهُ وتجمع كلمته . واتفق اجتماعه بالسيد جمال الدين الافغاني فاخذ عنه الفلسفة والمنطق والحكمة المشرقية . وكان جمال الدين غيوراً على الاسلام راغباً في جمع كلمتهِ ورفع شأنه . فتوافقا في الغاية ولكنهما اختلفا في الوسيلة . لان جمال الدين سعى في ذلك من طريق السياسة فأراد جمع شتات المسلمين في اربعة اقطار العالم تحت ظل دولة اسلامية واحدة . وقد بذل في هذا المسعى جهده وانقطع عن العالم من اجله فلم يتخذ زوجة ولا التمس كسباً . وانما جعل همهُ السعي الى تلك الغاية فلم يوفق الى غرضه لاسباب عمرانية طبيعية لا محل لذكرها . وكان الشيخ محمد عبده رفيقه في كثير من مساعيهِ واطلع على دخائل اموره وعرف اسباب حبوطه . فعلم ان جمع كلمة المسلمين ورفع شأنهم من طريق السياسة لا يتيسر الوصول اليه فسعى فيه من طريق العلم . فجعل همهُ رفع منار الاسلام وجمع كلمة المسلمين بالتعليم والتهذيب وتقريبهم من اسباب المدنية الحديثة ليستطيعوا مجاراة الامم الراقية في هذا العصر . ورأى ذلك لا يتأتى الا بتنقية الدين مما اعتوره من الشوائب التي طرأت عليهِ بتوالي العصور وتغالب الدول

واختلاف اغراض اصحابها وائمتها كما اصاب النصرانية في القرون المتوسطة اذ تمسك الناس بالعرض وتركوا الجوهر واستغرقوا في الاوهام ونبذوا الحقائق . والسبيل الوحيد لمغالبة الاوهام والخرافات انما هو العلم الصحيح على مابلغ اليهِ في هذا العهد . وعلم صاحب الترجمة ان محور العلوم الاسلامية اليوم مصر ومركز العلم بمصر او في العالم الاسلامي كافة « الجامع الازهر » فرأى انه اذا اصلح « الازهر » فقد اصلح الاسلام . فسعى جهده في ذلك فاعترضه اناسٌ من اهل المراتب يفضلون بقاء القديم على قدمه واستنصروا العامة عليهِ وغرسوا في اذهانهم ان المفتي ذاهب بالمسلمين الى مهاوي الضلال والبدع . فلم يهمه قولهم لعلمهِ ان ذلك نسيب امثاله من قديم الزمان . على انهُ لم ينجح في اصلاح الازهر الاَّ قليلاً ولكنهُ وضع الاساس ولا بدَّ من رجوع الامة الى تاييد هذه النهضة ولو بعد حين فيكون الفضل له في تاسيسها

على ان الجانب الاعظم من عقلاء المسلمين وخاصتهم يرون رأيه في اصلاح الدين ورجاله . وربما سبقهُ كثيرون منهم الى الشعور بحاجة الاسلام الى ذلك ولا سيما المتخرجين بالعلوم العصرية من الناشئة المصرية . ولكنهم لم يجسروا على التصريح بافكارهم في غير المجتمعات الخصوصية لئلاَّ ينسبهم الناس الى المروق من الدين . فلما جاهر محمد عبده برأيه وافقوه وصاروا من مريديهِ ونصروه بالسنتهم واقلامهم . فحاجة الاسلام الى الاصلاح ليس هو اول من انتبه اليها ولكنه اول من جاهر بها . كما ان لوثير المصلح المسيحي ليس اول من انتبه لحاجة النصرانية الى الاصلاح ولكنهُ اول من جاهد في سبيلها وقد فاز بجهاده لقيام السياسة بنصرتهِ . واما مصلح الاسلام فكانت السياسة ضده وانما حمله على تلك المجاهرة حرية ضميره وجسارتهُ الادبية ومنصبه الرفيع في الافتاء

(الاسلام والمدنية) فلما صرح الشيخ محمد عبده بحاجة الاسلام الى الاصلاح انقسم المسلمون الى فئتين: فئة ترى بقاء القديم على قدمه وهم حزب المحافظين . وفئة ترى حلَّ القيود القديمة واطلاق حرية الفكر والرجوع الى الصحيح من قواعد الدين ونبذ ماخالطه من الاعتقادات الدخلية . وكان زعيم هذه الفئة يناضل عن مبادئها بلسانه وقلمه وبكل جارحة من جوارحه . وكانت مساعيهِ من هذا القبيل ترمي الى غرضين رئيسيين : الاول تنقية الدين الاسلامي من الشوائب التي طرأت عليه والثاني تقريب المسلمين من اهل التمدن الحديث ليستفيدوا من ثمار مدنيته علمياً وصناعياً وتجارياً وسياسياً . فاهل العصبية الاسلامية يرون هذا التقريب مغايراً لما يرجونه من استقلال المسلمين بالجامعة السياسية . لان مجاراة اهل التمدن الحديث باسباب مدنيتهم وتسهيل الاختلاط بهم يضعف عصبية الاسلام على زعمهم ويبعث على تشتيت عناصره فيستحيل جمعها في ظل دولة واحدة . ولكن الشيخ المفتي كان يرى ذلك الاجتماع السياسي مستحيلاً في هذه الحال فلم يشأ ان يضيع وقتهُ سدى كما اضاعه استاذه وصديقهُ جمال الدين وان يخسر فائدة تقرب المسلمين من اسباب

هذا التمدن · فسعى في ذلك بما نشره من فتاويه المتعلقة بالربا والموقوذة ولبس القبعة ونحو ذلك مما يقرب المسلمين من الامم الاخرى ويسهل اسباب التجارة

(تنقية الدين) واما تنقية الدين الاسلامي من الشوائب الطارئة عليه فاساس سعيه فيها انه اطلق لفكره الحرية في تفسير القرآن . ولم يتقيد بما قاله القدماء أو وضعوه من القواعد التي يحرم الائمة تبديل شيء منها · فرأى ان يحلّ نفسه من هذه القيود ويفسر القرآن على ما يوافق روح هذا العصر · فيجعل اقواله وآراءه فيه موافقة لقواعد العلم الصحيح المبني على المشاهدة والاختبار ولنواميس العمران على ما بلغ اليه هذا العلم الى الآن مع مطابقته لاحكام العقل واصول الدين كما فعل النصارى في تفسير الكتاب المقدّس بعد ثبوت مذاهب العلم الجديد · وهو اوعر مسلكاً في الاسلام لارتباط الدين بالسياسة فيه · والقرآن اساس الدين والدنيا عندهم فيعلقون على تفسيره اهمية كبرى لانهُ مرجع الفقه وغيره من الاحكام الشرعية والسياسية · ولذلك رأى اهل السنّة تقييده باقوال الائمة الاربعة وخالفهم الشيعة باستبقاء باب الاجتهاد مفتوحاً فلا يرون بأساً في العدول عن تفسير الى آخر بشروط يشترطونها في مفسريهم وهم يُعرفون عندهم بالائمة المجتهدين

(التفسير) وقد توالى على تفسير القرآن احوال تختلف باختلاف العصور من الاسلام الى الآن ترجع الى اربعة اعصر — الاول العصر الشفاهي : وهو ينحصر في ايام النبي واصحابه فقد كانوا عند ظهور الدعوة كلما تليت عليهم سورة او آية فهموها وادركوا معانيها بمفرداتها وتراكيبها لانها بلسانهم وعلى اساليب بلاغتهم · ولان اكثرها قيلت في احوال كانت القرائن تسهل فهمها واذا اشكل عليهم شيء منها سألوا النبي فيفسره لهم · وكان التفسير مختصراً بسيطاً لسذاجة الدولة الاسلامية يومئذٍ

ثانياً العصر التقليدي : ونريد به عصر التابعين او حواليه وكانت الدولة الاسلامية قد اخذت في النمو والارتقاء فاحتاجوا الى التوسع في التفسير · وكان اكثرهم اميين فاذا اعجزهم تفسير بعض الآيات سألوا عنها مَن اسلم من اهل الكتاب ولا سيما اليهود المقيمين في اليمن وكانوا قد اسلموا وظلوا على ما كان عندهم من التقاليد المتناقلة شفاهاً او كتابة مما لا تعلق له بالاحكام الشرعية

ثالثاً العصر الفلسفي المنطقي : ونريد به تدوين التفسير وضبطهُ بالقياس الفلسفي والحكم المنطقي بعد ان اختلط المسلمون باهل العلم القديم في الشام والعراق وفارس واطلعوا على علوم القدماء وفلسفة اليونان والهند ونقلوا ذلك الى لسانهم واستخرجوا منه علم الكلام · وكان العرب قد وضعوا العلوم اللسانية وضبطوا معاني الالفاظ واساليب التعبير · فنظروا في التفاسير السابقة نظر الناقد ومحصوها وضبطوها بالقياس العقلي بالاعتماد على قواعد المنطق بما تقتضيه الفلسفة اليونانية القديمة على نحو ما فعله لاهوتيو النصارى قبل ذلك

رابعاً العصر العلمي الذي نحن فيه وهو عصر الفلسفة الجديدة المبنية على العلم الطبيعي الثابت

بالمشاهدة والاختبار · ويمتاز عن العصر السابق باطلاق حرية الفكر من قيود التقليد القديمة التي اغلّت ألسنة اسلافنا واقلامهم واوقفت مجاري التمدن اجيالاً متطاولة · فالشيخ المفتي اراد ان ينقل التفسير الى روح هذا العصر فيفسر القرآن بما يطابق احكام العقل ويحل الاسلام من قيود التقليد · فسار في هذا الطريق شوطاً بعيداً فالقى على طلبة «الازهر» خطباً كثيرة في التفسير نشرت في مجلة «المنار» وطبع بعضها على حدة وكان لها تاثير حسن في نفوس العقلاء · · ولو مدّ الله في اجله لأتمّ هذا العمل · ولكنهُ قضى آسفاً خائفاً ولسان حاله يردد هذين البيتين وقد قيل انهما من قصيدة نظمها في اثناء مرضه وهما :

ولست أبالي ان يقال محمدٌ — أبلَّ او اكتظت عليه المآتمُ
ولكنَّ ديناً قد اردت صلاحه — احاذر ان تقضي عليه العمائمُ

على انهُ خلف جماعة من تلامذته ومريديه اكثرهم من اهل العلم وأرباب الاقلام وفيهم نخبة كتّاب المسلمين وشعرائهم في هذا العصر · واكثرهم مجاهرة بنصرته واذاعة لآرائه رصيفنا السيد رشيد رضا صاحب «المنار» الاسلامي

والشيخ محمد عبده زعيم نهضةٍ اصلاحية لاخوف منها على الدماء او الارواح واكثر نهضات الامم في سبيل اصلاحها لا تخلو من اهراق الدماء · · فهو رجل عظيم يجدر بالمسلمين ان يكوه وان يقتفوا آثاره في التوفيق بين الاسلام والمدنية الحاضرة وتنقيته مما المّ به بتوالي الازمان · وذلك ميسور لمن اطلق فكره من قيود التقليد واسترشد بما يهديه اليه العقل الصحيح بالاسناد الى العلم الصحيح · على اننا نرجو ان لاتعدم هذه النهضة مَن يخلف الامام في الانتصار لها والعمل بها والله على كل شيء قدير (جرجي زيدان)

—« ٦ »—

❋ جمال الدين الافغاني ❋

فيلسوف الاسلام واحد موسسي جريدة «العروة الوثقى» في باريس ومدير سياستها وناشر المقالات الشائقة في جرائد «مرآة الشرق» بالقاهرة و«مصر» و«المحروسة» بالاسكندرية

هو السيد محمد جمال الدين الحسيني ابن السيد صفتر ينتمي الى أسرةٍ عريقة النسب كانت تحكم قسماً من اراضي الدولة الافغانية في خطة «كنر» من اعمال كابل · وانما نزعَ السيادةَ من ايديها دوست محمد خان امير الافغان وأمر بنقل السيد صفتر وسائر آلهِ الى مدينة كابل · ويتصل نسبهُ بالسيد علي الترمذي المحدث المشهير ويرتقي الى الامام الحسين بن علي بن ابي طالب



(هذا جمالُ الدين أمسى نازلاً　　جدثاً تضمن منهُ اسىً دفينِ)
(فدرْ بهِ عمَّ البكاء على امرىء　　فقدت بهِ الدنيا جمالَ الدينِ)

وُلد السيد جمال الدين في « اسعد آباد » التابعة لخطة كنر سنة ١٢٥٤ هجرية (١٨٣٨ مسيحية)٠ وتلقى العلوم العقلية والنقلية في كابل على اشهر الاساتذة حتى استكمل دروسهُ في الثامنة عشرة من عمره٠ ثمَّ سافر الى الهند حيث أتقن العلوم الرياضية عَلَى الطريقة الاوروبية٠ ومنها ذهب في سنة ١٨٥٧ الى الحجاز لاداء فريضة الحج فوقف على كثير من عادات الامم التي مرَّ بها في سياحتهِ٠ وبعد عودتهِ الى وطنه انتظم في سلك خدمةِ الحكومة مدة احدى عشرة سنة على عهد الامير المشار اليه٠ ثمَّ لامور سياسية اضطرَّ ان يفارق بلاده فارتحل عن طريق الهند الى القطر المصري عَلَى نفقة الحكومة الانكليزية ومنهُ الى عاصمة تركيا

وفي اثناء اقامتهِ في الاستانة أحرز كرامةً عالية في عيون رجال السلطنة العثمانية لا سيما امين عالي باشا الصدر الاعظم فعرفوا له فضله٠ وبعد ستة شهور عين عضواً في مجلس المعارف فخدم وظيفته بنشاط واشار الى طرق لتوسيع نطاق العلوم خالفهُ فيها زملاؤُهُ في المجلس المذكور٠ ولما كلفهُ

الصدر الاعظم للخطابة في دار الشورى ارتجل خطبةً في الصنائع غالى فيها الى حدّ ان أدمج النبوّة في عداد الصناعات المعنوية. فشغب عليهِ طلبة العلم وشدَّدت جريدة «الوقت» عليه النكير بما ألجأ الصدرَ الى ابعاده عن تركيا. فزايلها في ٢٢ اذار سنة ١٨٧١ متوجهاً الى وادي النيل حيث عينت له الحكومة المصرية راتباً شهرياً بمساعي رياض باشا. وهناك التفَّ حوله كثير من طلبة العلم الذين قرأُوا عليهِ ونقلوا عنهُ واذاعوا بين طبقات المصريين فنون الكلام الأعلى والحكمة النظرية وعلم الهيئة الفلكية وعلمَ التصوُّف واصول الفقه الاسلامي. ولذلك دعاه تلامذتهُ بفيلسوف الشرق وفاخروا به سائرَ علماء عصره. واليك ما ورد عنهُ في كتاب «العروة الوثقى» المطبوع ببيروت:

«وكانت مدرستهُ بيتهُ من اوَّل ما ابتدأ الى آخر ما اختتم. ولم يذهب الى الازهر مدرّساً ولا يوماً واحداً. نعم كان يذهب اليهِ زائراً واغلب ما كان يزورهُ يوم الجمعة. ثمَّ وجه عنايتهُ لحلّ عقل الاوهام عن قوائم العقول. وحمل تلامذته عَلَى العمل في الكتابة وانشاء الفصول الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظرهِ وبرعوا. وتقدم فنُّ الكتابة في مصر بسعيهِ»

وقد وصفهُ سليم عنحوري في ديوان «سحر هاروت» بالعبارة الآتية: «يلبس السواد ويتزيا بزيّ العلماء. طليُّ الكلام ذرب اللسان... مليح النكتة سمح الكف طلق المحيا وفور السمت. يجتنب النساء ويعظم نفسهُ عن الشهوات. يكره الحلو ويحب المرَّ. وقلما خلت جيوبهُ من خشب الكينا والرواند يتنقل فيهما تفكهاً. يأكل الوجبة (مرَّةً كل يوم) ولا يأكل الاَّ منفرداً. يكثر من شرب الشاي والتبغ واذا تعاطى مسكراً فقليلاً من الكونياك. وليس له من التآليف المطبوعة سوى «تتمة البيان في تاريخ الافغان». يكرهُ الكتابة ويتثاقل منها. فاذا رامَ انشاء مقالةٍ القى عَلَى كاتبٍ من مثل ابرهيم اللقاني إلقاء قلما يراجعه ويصلحه. فيجيء من اوَّلِ وهلةٍ مسبوكاً مفرغ المعاني بقوالب لفظٍ لاتنقص عنها ولا تزيد»

وكان السيد جمال الدين ذا إلمام واسع في الشؤُون السياسية. الاَّ انهُ كان متطرّفاً في حرية الافكار الى درجة متناهية. فأخذ يعقد الاجتماعات السرية والعلنية ويلقي الخطبَ الرنّانة حاضاً المصريين بلهجةٍ شديدة على المطالبة بحقوقهم والتنصل من ربقة الظلم. وقد وقفَ يوماً سنة ١٨٧٩ في «ساحة محمد علي» المعروفة بالمنشية الكبرى في الاسكندرية وخاطبَ الفلاَّحَ المصريَّ على مسمع من محافظ المدينة وقوَّاد الجيش والعلماء والاعيان قائلاً: «انت ايها الفلاَّحُ المسكين تشقُّ قلبَ الارض لتستنبت منها ما تسدُّ بهِ الرمق وتقوم بأود العيال فلماذا لا تشقُّ قلب ظالمك؟ لماذا لا تشقُّ قلوب الذين يأكلون ثمرة اتعابك؟»

وكان السامعون ينظر بعضهم الى بعض مندهشين لانهم لم يسمعوا في حياتهم مثل هذا الكلام. فوشوا به الى الخديو الذي امر بتوقيفه في دار المحافظة ونفيه الى بلاده في شهر ايلول ١٨٧٩

فأُخذ غلساً وقبض عليَّ من كان في حلقته · وأُرسلَ هو وخادمهُ الامين « ابو تراب » مخفورين الى السويس · وقُبيل السفر اتاهُ السيد النقادي قنصل ايران بذلك الثغر ومعه نفر من تجار العجم وقدَّموا لهُ مقداراً من المال على سبيل الهدية او القرض الحسن فردَّهُ وقال لهم : « احفظوا المال فانتم اليه احوج · ان الليث لا يعدمُ فريسةً حيثما ذهب · » ونزل الى الباخرة ميماً البلاد الهندية واقام بمدينة « حيدر آباد الدكن »

ولما قدحت شرارة الثورة العرابية بمصر كلفتهُ الحكومة الانكليزية الى الاقامة في مدينة كلكتا حتى استتبَّ الامنُ في وادي النيل · ثم رُخص لهُ بالسفر الى حيث شاء فجاء اوروبا واقام في باريز نيفاً وثلاث سنين · وهناك انشأ مع الشيخ محمد عبده المصري جريدة « العروة الوثقى » لدعوة المسلمين الى الاتحاد سياسياً ودينياً تحت لواء الخلافة الاسلامية · فنشر منها ثمانية عشر عدداً ثم قامت الموانع دون استمرارها كما سبق الكلام عن اخبارها في الباب السابق · وكتب في جرائد باريس فصولاً تبحث في سياسة روسيا وانكلترا وتركيا ومصر فنقلت كثيراً منها صحف انكلترا · وجرت لهُ ابحاث فلسفية في « العلم والاسلام » مع رينان الكاتب الفرنسي الذي شهد لهُ بقوة البرهان وغزارة المعارف · ثم شخص الى لندن بايعاز من اللورد شرشل واللورد سالسبري ليطلعا على رأيه في « المهدي » وظهوره في السودان

وبعد رجوعه الى فرنسا استقدمه الى طهران ناصر الدين شاه الفرس على لسان البرق · فسار اليها واكرم الشاه وفادته وجعله وزيراً للحربية · فنال لدى امراء تلك البلاد وسراتها وعلمائها منزلة سامية حتى صاروا يتسابقون الى منزله للاستفادة من علمهِ · فخشي الشاه من ذلك وتغير عليهِ · فادرك السيد جمال الدين ارتياب الشاه منه فاستأذنه في السفر تبديلاً للهواء · فسافر الى روسيا واختلط بمشاهير ارباب العلم والسياسة فيها · وكتب في صحفها فصولاً طويلة تبحث في احوال الدول الفارسية والافغانية والعثمانية والروسية والانكليزية كان لها تاثير عظيم في عالم السياسة · وهنا ننقل ما رواه جرجي بك زيدان عن بقية اخبار صاحب الترجمة قال :

واتفق اذ ذاك فتح معرض باريس لسنة ١٨٨٩ فشخص جمال الدين اليها · فالتقى بالشاه في مونيخ عاصمة بافاريا عائداً من باريس فدعاه الشاه الى مرافقته · فاجاب الدعوة وسار في معيتهِ الى فارس · فلم يكد يصل طهران حتى عاد الناس الى الاجتماع بهِ والانتفاع بعلمهِ · والشاه لا يرتاب من امره كأنَّ سياحتهُ في اوربا محت كثيراً من شكوكه · فكان يقرّبهُ منه ويوسطه في قضاء كثير من مهام حكومتهِ ويستشيره في سن القوانين ونحوها · فشق ذلك على اصحاب النفوذ وخصوصاً الصدر الاعظم فأسرَّ الى الشاه ان هذه القوانين وان تكن لا تخلو من النفع فهي لا توافق حال البلاد فضلاً عما ستأول اليهِ من تحويل نفوذ الشاه الى سواه · فاثر ذلك في الشاه حتى ظهر على وجههِ



جمال الدين الافغاني وهو في مرضهِ الاخير

فاحسَّ جمال الدين بالامر فاستأْذنهُ في المسير الى بلدة « شاه عبد العظيم » على ٢٠ كيلو متراً من طهران فاذن له · فتبعهُ جمٌّ غفير من العلماء والوجهاء وكان يخطب فيهم ويستحثهم على اصلاح حكومتهم · فلم تمضِ ثمانية اشهر حتى ذاعت شهرته في اقاصي بلاد الفرس وشاع عزمه على اصلاح ايران · فخاف ناصر الدين عاقبة ذلك فانفذ الى شاه عبدالعظيم خمسمئة فارس قبضوا على جمال الدين وكان مريضاً · فحملوه من فراشه وساقوه يخفره خمسون فارساً الى حدود المملكة العثمانية · فعظم ذلك على مريديهِ في ايران فثاروا حتى خاف الشاه على حياتهِ

اما جمال الدين فمكث في البصرة ريثما عادت اليهِ صحته · فشخص الى لندرا وقد عرفوه الانكليز من قبل فتلقوه بالاكرام ودعوه الى مجتمعاتهم السياسية وانديتهم العلمية ليروه ويسمعوا حديثهُ · وكان اكثر كلامهِ معهم في بيان حالـــ الشاه وتصرفهِ في المملكة وما آلت اليهِ حالها في عهده مع حث الحكومة الانكليزية على السعي في خلعهِ · وفيما هو في ذلك ورد عليهِ كتاب من المابين الهمايوني

بواسطة رستم باشا سفير الدولة العلية في لندرا اذ ذاك ان يقدم الى الاستانة . فاعتذر لانهُ في شاغل وفتي لاصلاح بلاده . فورد عليهِ كتاب آخر وفيهِ ثناء وتحريض فاجاب الدعوة تلغرافياً عَلَى ان يتشرف بمقابلة جلالة السلطان ثم يعود . فقدم الاستانة سنة ١٨٩٢ فطابت له فيها الاقامة لما لاقاه من التفات الحضرة السلطانية واكرام العلماء ورجال السياسة . ومازال فيها معززاً مكرماً وجيهاً محترماً حتى داهمه السرطان في فكه اواخر سنة ١٨٩٦ وامتد الى عنقه . فتوفاه الله في ٩ مارس سنة ١٨٩٧ واحتفل بجنازه ودفنه في مدفن « شيخلر مزارلغي » قرب « نشان طاش »

(صفاته الشخصية) كان اسمر اللون بما يشبه اهل الحجاز ربعة ممتلىء البنية اسود العينين نافذ اللحظ جذاب النظر مع قصر فيهِ . فاذا قرأ ادنى الكتاب من عينيه ولكنهُ لم يستخدم النظارات . وكان خفيف العارضين مسترسل الشعر بجبة وسراويلات سوداء تنطبق عَلَى الكاحلين وعمامة صغيرة بيضاء على زي علماء الاستانة

(طعامه) كان قانتاً قليل الطعام لايتناوله الا مرة في النهار ويعتاض عما يفوته من ذلك بما يشربه من منقوع الشاي مراراً في اليوم . والعفة في الطعام لازمة لمن يعمل اعمالاً عقلية لان البطنة تذهب الفطنة . وكان يدخن نوعاً من السيكار الافرنجي الجيد ولشدة ولعه بالتدخين وعنايته في انتقاء السيكار لم يكن يركن الى احد من خدمه في ابتياعه فيبتاعه هو بنفسه

(مسكنهُ) كان يقيم في اواخر ايامه بقصر في « نشان طاش » بالاستانة انعم عليهِ بهِ السلطان وفيه الاثاث والرياش وعربة من الاصطبل العامر يجرها جوادان . واجرى عليهِ رزقاً مقداره خمس وسبعون ليرة عثمانية في الشهر . فكان قبل مرضه الاخير يقيم معظم النهار في منزله فاذا كان الاصيل ركب العربة لترويح النفس في متنزه « كاغد خانه » بضواحي الاستانة . وكان كثير القيام لا ينام الا الغلس الى الضحى

(مجلسه وخطابه) كان اديب المجلس كثير الاحتفاء بزائريهِ على اختلاف طبقاتهم ينهض لاستقبالهم ويخرج لوداعهم . ولا يستنكف من زيارة اصغرهم عَلَى امتناعه من زيارة اكبرهم اذا ظن في زيارته تزلفاً . وكان ذا عارضة وبلاغة لا يتكلم الا اللغة الفصحى بعبارات واضحة جلية . واذا آنس من سامعهِ التباساً بسط مراده بعبارة اوضح فاذا كان السامع عامياً تنازل الى مخاطبتهِ بلغة العامة . وكان خطيباً مصقعاً لم يقم في الشرق اخطب منه . وكان قليل المزاح رزيناً كتوماً قد يخاطب عشرات من الناس في اليوم فيبحث مع كل منهم في موضوع يهمه . فاذا خرج جليسهُ كان خروجه آخر عهده بذلك الموضوع حتى يعود هو اليهِ بشأنه

(اخلاقهُ) كان حر الضمير صادق اللهجة عفيف النفس رقيق الجانب وديعاً مع انفة وعظمة ثابت الجاش قد يُساق الى القتل فيسير اليهِ سير الشجاع الى الظفر . وكان راغباً عن حطام

الدنيا لا يدخر مالاً ولا يخاف عوزاً · وكان مقداماً جاثياً عَلَى الاقدام فلا يخرج جليسه من بين يديهِ الاَّ وقد قام في نفسه محرض على العلى منشط عَلَى السعي في سبيلها · ولكنهُ كانَ عَلَى فضله لايخلو من حدة المزاج ولعلها كانت من اكبر الاسباب لما لاقاه من عواقب الوشاية

(عقله) كان ذكياً فطناً حاد الذهن سريع الملاحظة يكاد يكشف حجب الضمائر ويهتك اسرار السرائر دقيق النظر في المسائل العقلية قوي الحجة ذا نفوذ عجيب على جلسائهِ · فلا يباحثه احد في موضوع الاشعر بانقياد الى برهانه وربما لايكون البرهان بحد ذاتهِ مقنعاً · وكان مع ذلك قوي الذاكرة حتى قيل انه تعلم اللغة الفرنساوية او بعضها وصار يقدر عَلَى الترجمة منها ويحفظ من مفرداتها شيئاً كثيراً في اقل من ثلاثة اشهر بلا استاذ الاَّ من علَّمهُ حروف هجائها يومين

(علومه) كان واسع الاطلاع في العلوم العقلية والنقلية وخصوصاً الفلسفة القديمة وفلسفة تاريخ الاسلام والتمدن الاسلامي وسائر احوال الاسلام · وكان يعرف اللغات الافغانية والفارسية والعربية والتركية والفرنساوية جيداً مع المام باللغتين الانكليزية والروسية · وكان كثير المطالعة لم يفتهُ كتاب كتب في آداب الامم وفلسفة اخلاقهم الا طالعه · واكثر مطالعاتهِ في اللغتين العربية والفارسية

(آماله واعماله) يؤخذ من مجمل احواله ان الغرض الذي كان يصوّب نحوه اعماله والمحور الذي كانت تدور عليهِ آماله توحيد كلمة الاسلام وجمع شتات المسلمين في سائر اقطار العالم في حوزة دولة واحدة اسلامية تحت ظل الخلافة العظمى · وقد بذل في هذا المسعى جهده وانقطع عن العالم من اجله فلم يتخذ زوجة ولا التمس كسباً ولكنهُ مع ذلك لم يتوفق الى ما اراده · فقضى ولم يدون من بنات افكاره الا رسالة في نفي مذهب الدهريين ورسائل متفرقة في مواضيع مختلفة قد تقدم ذكرها · ولكنهُ بث في نفوس اصدقائهِ ومريديهِ روحاً حية حركت هممهم وحددت اقلامهم فانتفع الشرق وسوف ينتفع باعمالهم

— « ٧ » —

ميخائيل عورا

منشىء جريدة « الحقوق » في باريس ومؤسس مجلة « الحضارة » وجريدة « البيان » ومحرر صحيفة « الزمان » في القاهرة ومراسل جريدتي « الاهرام » و« المحروسة » وغيرها من الصحف السيارة

(أسرته)

قليلةٌ هي العائلات السورية التي يتسلسل فيها الكتاب والمنشئون والخطاطون من قديم الزمان

بلا انقطاع · واقدم عائلةٍ استحقت هذه الكرامة — عَلَى مانعلم — أسرة « عورا » التي قضى افرادها السنين الطوال بين المحابر والاقلام او في خدمة دواوين الحكومة العثمانية والخديوية المصرية · فانها نشأت في مدينة صيدا اولاً ثم انتقلت منها الى عكا في عهد واليها احمد الجزار · ويتصل نسبها بميخائيل جدها الاعلى الذي عاش في اوائل القرن السابع عشر · غير ان اخبارها طمس عليها الزمان ولم يحفظ منها التاريخ سوى ما كتبه سليلها ابرهيم (١٧٩٦—١٨٦٣) احد احفاد الجد المشار اليهِ أو ما نقله بعض الرواة الموثوق بصدقهم

اما منشأ هذه الاسرة فقد روى البعض انهُ من اصل يوناني · وذهب غيرهم الى انهُ يتصل بالكونت عورا او « قنطورا » الذي كان حاكماً على حاصبيا سنة ١١٧٣ في عهد الصليبيين · وقد ورد ذكر هذا الرجل في كتاب « تاريخ الاعيان في جبل لبنان » صفحة ٤٤ — ٤٥ لمؤلفهِ الشيخ طنوس الشدياق اللبناني وهذا نصهُ بالحرف الواحد :

« وكانت الافرنج حينئذٍ قد استولت عَلَى وادي التيم وتوطنوا حاصبيا وحصنوها بالآلات الحربية والعساكر الوفية · فلما بلغهم نزول آل شهاب بعشايرهم في الظهر الاحمر جمع قنطورا قايدهم خمسين الف مقاتل وطلب الامداد من ذفاتر الافرنجي صاحب قلعة الشقيف وما يليها · فأمدهُ بخمسة عشر الف مقاتل وزحف بعساكره لقتال الشهابيين · فلما التقى الجيشان استلَّ الامير منقذ سيفهُ وتبعهُ قومهُ وغاروا عَلَى الافرنج فكسروهم وقتلوا منهم ثلاثة آلاف رجل · وقُتل من عشاير الشهابيين ثلاثماية فارس فدفنوهم بثيابهم وكتبوا الى نور الدين يبشرونهُ · ولما طلع النهار زحف الجيشان للقتال فصرخ احد قواد الافرنج بالعربية « ليبرز اليَّ اشجعكم » · فبرز اليهِ الامير نجم ابن الامير منقذ وهجما على بعضهما وتضاربا · فلم يقدر احدهما عَلَى الآخر فتعانقا حتى سقطا عن جواديهما عَلَى الارض · فاستل الامير نجم خنجر الافرنجي وضربهُ بهِ فقتله · فانكسرت الافرنج الى الحولانية وقتل منهم خلق كثير · وقتل من عشاير الشهابيين ستماية رجل وانهزم قنطورا بخمسماية رجل الى حاصبيا · فاسر الشهابيون ذلك اليوم خمسماية اسير من الافرنج وارسلوهم الى نور الدين فاجابهم مادحاً شجاعتهم وجهادهم · وفي اليوم العاشر قصد الشهابيون الافرنج وتدرجوا الى حاصبيا ليلاً فتملكوها بالسيف وبقي قنطورا في القلعة مع خاصتهِ الشجعان محاصراً عشرة ايام · ثم تملكها الشهابيون بالسيف وقتلوا قنطورا واصحابه وارسل الامير منقذ روسهم الى نور الدين · فسرَّ بذلك وولاهُ اميراً عَلَى تلك البلاد التي فتحها وارسل له خلعة سنية مع احد خواصهِ · ولما بلغ ذفاتر الافرنجي صاحب قلعة الشقيف ما جرى ارسل يطلب الصلح »

واقدم مَن اشتهر من آل عورا المعلم ميخائيل بن ابرهيم بن حنا بن ميخائيل فانهُ وُلد في سنة ١٧٤٦ وكان بارعاً في اللغات العربية والفارسية والتركية · فاحبهُ احمد الجزار والي عكا لفضله وادبه

واستقامة مبادئهِ وجعله بوظيفة « ديوان افنديسي » فخدمها الى نهاية اجله في ٥ شباط ١٧٧٦

وقام من بعده بكر اولادهِ حنا (١٧٦٣ — ١٨٢٨) الذي خلفهُ في منصبهِ وعمرهُ ١٦ سنة وكان ذا خط حسن وادب جمّ · فلما افتكر الجزار باعلان الحرب عَلى الامير بشير الشهابي الكبير والاستيلاء عَلى جبل لبنان كما استولى عَلى بلاد صفد و بلاد المتاولة اوعز الى المعلم حنا عورا بمرافقة سليم باشا رئيس العساكر في الحملة المذكورة · وقد رافقهم بعض القواد كسليمان باشا وعلي باشا وسليم باشا الصغير · فبدلاً من محاربة اللبنانيين اتفق سليم باشا مع قواده عَلى الرجوع الى عكا بعد خروجهم منها للفتك بالجزار تخلصاً من مظالمهِ · غير انَّ الجزّار احسّ بالمؤامرة فقابلهم بعساكر القلعة و بدَّد شملهم · وذهب المعلم حنا حينئذٍ الى مدينة صور فاقام فيها حتى استقدمهُ اليهِ الجزار واعاده الى وظيفته · ثم امر بحبسهِ في احد الايام ظلماً و بتعذيبهِ ضرباً على رجليهِ حتى تناثر اللحم من ساقيهِ · و بعد ذلك اصدر امره الى السجان بقطع أنوف بعض المحابيس و بقلع عيون البعض الآخر فكان نصيب المعلم حنا ان قطعوا انفه · فتظاهر الجزّار بالاستياء من فعل السجان وامر بقتله · واطلق سبيل المعلم حنا الذي هرب الى جبل لبنان ثم الى دمشق · فلبث حنا هناك الى سنة ١٨٠٤ وفيها عاد الى عكا مع سليمان باشا واليها الذي جعله رئيساً لديوانه · ثم توفي سنة ١٨٢٨ في عهد عبدالله باشا والي الايالة المذكورة · وقد رزقهُ الله سبعة ابناء نجباء اشتهر منهم ميخائيل وابرهيم وجبرائيل وروفائيل · فاعتنى بتربيتهم وتدريبهم على سنن الآداب فنبغوا في الكتابة وقضوا حياتهم في هذه المهنة الشريفة

فاكبرهم ميخائيل (١٧٩٤ — ١٨٦٨) وضع مواد « تاريخ سوريا » التي جمعها ابنهُ يوسف من بعده وتوسع فيها كما سيأتي الكلام · وثانيهم جبرائيل الذي وُلد في تشرين الثاني ١٨٠٤ في دمشق وخدم الحكومة المصرية في عكا عَلى عهد ابرهيم باشا · ثم انتقل الى خدمة الحكومة العثمانية في بيروت سنة ١٨٤٠ عند ما صارت هذه المدينة مركزاً لايالة صيدا الملغاة · فاحرز مكانة رفيعة وجاهاً عريضاً بآدابه وعفة نفسهِ · ومن مآثره انهُ جمع في كراس مخصوص « وقائع ابرهيم باشا المصري » وكتب اخبار الاربعة عشر والياً الذين حكموا ايالة صيدا الى سنة ١٨٦٠ ميلادية · وتوفي سنة ١٨٧١ فنقشوا عَلى ضريحه هذا التاريخ الشعري :

شهمٌ قضى من آل عورا نجبةٌ   فغدت عيون المكرماتِ تسيلُ
سبعٌ وستونٌ سنوهُ قد مضت   و بصدق خدمةِ ربهِ مشغولُ
ولذا فضائلهُ تؤرخُ قائمٌ   في خدمة الرحمن جبرائيلُ

سنة ١٨٧١

وثالث ابناء المعلم حنا ابن المعلم ميخائيل عورا كان روفائيل الذي وُلد في شهر ايلول سنة ١٨٠٦

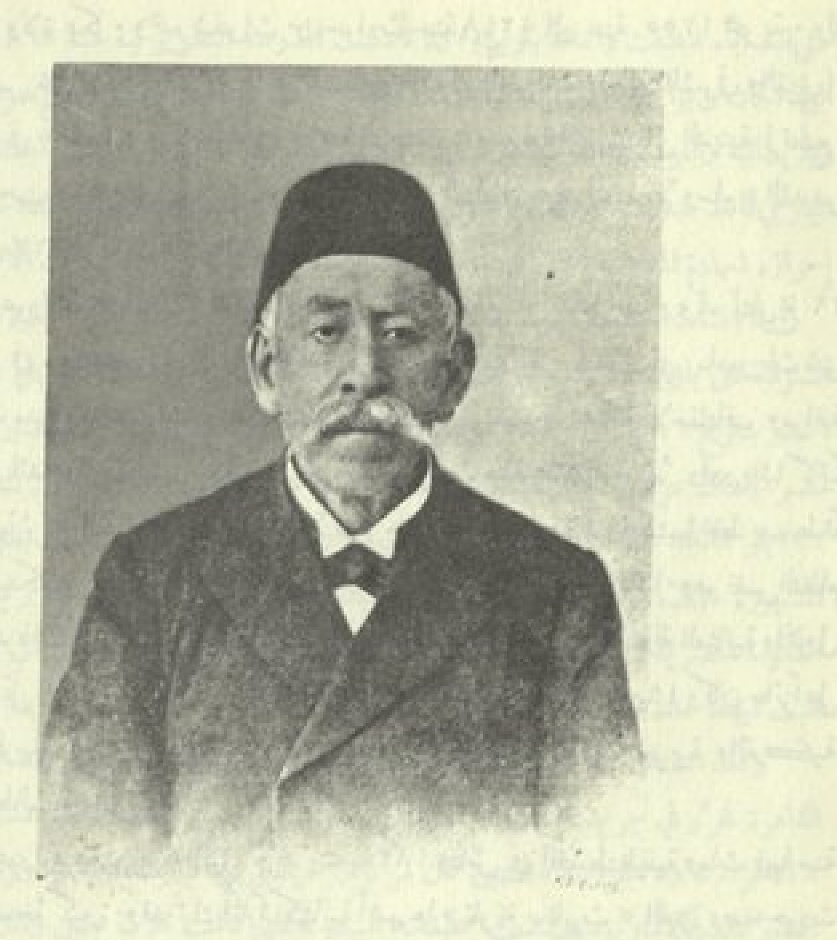
في عكا . فدخل في الخدم الاميرية حتى صار سنة ١٨٤٥ رئيساً للديوان في عهد مصطفى باشا والي ايالة صيدا . وفي عام ١٨٦٥ تعين مديراً لتحريرات بيروت فلبث في هذه الوظيفة عشر سنوات حتى استقال منها لمرض طرأ عَلَى عينيهِ . وكان منشئاً بليغاً في اللغات العربية والتركية والفارسية مع المام بالايطالية . واشتهر شهرة خاصة باجادة الخطوط عَلَى اختلاف اشكالها ونسخ كتباً عديدة من دينية وعلمية . ووضع جدولاً بديعاً لمطابقة السنين والشهور والايام القمرية عَلَى السنين والشهور والايام الشمسية . وجمع نبذاً فكاهية في كتاب خاص سماه « تحف وطرف الزمان » لم يطبع . وقال الشعر منذ صباه ومن نظمهِ نذكر هذا التخميس :

اذا ما الشوق في قلبي ألمّا   تذكرتُ الحبيبَ فزدتُ سقما
يذكرني الهوى شوقاً ولما   امرُّ على الديار ديار سلمى
أُقبلُ ذا الجدارِ وذا الجدارا
نسيمَ رسائل الاحبابِ هبي   على روحي ولحماني ولبي
خليلي مرْ بنا احياه حبي   فما حبُّ الديار شغفنَ قلبي
ولكن حبُّ مَن سكن الديارا

ولما كان قليل الحرص على صيانة منظوماتهِ فقد لعبت باكثرها يد الضياع . وانتقل الى جوار ربهِ في ٤ آب ١٨٧٩ في بيروت فدُفن في ضريح خاص ونُقشت فوقهُ هذه الابيات :

رمسٌ بهِ من بني العوراء مرتحلٌ   أجرى العيونَ لدى ترحاله اسفا
ناحت عليهِ العلى والمكرمات كما   ابكى المحابرَ والاقلامَ والصحفا
مرَّت على الخير والاحسانِ مدتهُ   حتى ثوى في جوار الله منصرفا
فقلت لما مضى ارّخ لساحتهِ   في جانب العرش روفائيلُ قد وقفا
سنة ١٨٧٩

ورابع انجال المعلم حنا ابن المعلم ميخائيل عورا بل اشهرهم كان ابرهيم الذي وُلد بتاريخ ٣١ آب ١٧٩٦ في صور بينما كان والدهُ فارّاً من وجه الجزار . فتفقهَ باللسان العربي وأحرز شيئاً من اللغات التركية والايطالية واليونانية . واتصل بسليمان باشا وعبدالله باشا من ولاة عكا تخدم في ديوانهما حتى سقطت سوريا سنة ١٨٣٠ فما بعد بيد العساكر المصرية . فأبقاه ابرهيم باشا المصري في وظيفتهِ ثم غضب عليهِ بدسيسة بعض الحساد وألقى القبض على افراد عائلته وزجهم في الحبس . فتمكن ابرهيم من الهرب بواسطة قنصل روسيا وسافر الى جزيرة قبرص . ولم يزايلها الا بعد خروج المصريين من سوريا وكان قدومهُ اليها مع الاسطول العثماني . ومن ذلك الحين عاد ابرهيم الى خدمة الحكومة العثمانية فقام بمهام وظيفته بكل اخلاص ثم تركها لمعاطاة التجارة حتى توفاه الله



حنا عورا
مراقب الجرائد سابقاً في بيروت

في ٢ نيسان ١٨٦٣ في بيروت . فنظم الشيخ ناصيف اليازجي مؤرخاً وفاته في هذين البيتين :

لاتجزعوا يابني العوراء واصطبروا   بفقد ذخرٍ لكم بالامس قد فُقدا
ن فوقهِ أحرفُ التاريخ ناطقةٌ   في طاعةِ اللهِ ابراهيم قد رقدا

سنة ١٨٦٣

وكان ابرهيم طاهر الذيل عالي الهمة قويّ الحجة صبوراً على الاشغال راغباً في العلوم لم يقع بيده كتاب الاّ نسخهُ بخطهِ حتى أربى عدد المخطوطات التي كتبها بيده على المائتين عدّاً . الاّ انّ القسم الوافر منها غرق في مينا يافا ولم يسلم سوى ما هو محفوظ عند عائلته وفي بعض خزائن الكتب . وكان لهُ ولع بتدوين اخبار ايامه وهذا ما دعاه الى تأليف « تاريخ سليمان باشا » و « تاريخ عبدالله

باشا » وهما من ولاة عكا · وجمع شذرات من حوادث سنة ١٢٤٨ الى سنة ١٢٥٥ هجرية · ولهُ رسائل وكراريس شتى مطبوعة بحث فيها عن الحسابين اليولي والغريغوري (اي الشرقي والغربي)· ولهُ ايضاً مقالة في « الذمة » وأُخرى في « صحة الاعتقاد » وغيرهما من المسائل الدينية لم تطبع· ونال في شهر رجب ١٢٦٨ هجرية « الوسام المجيدي » من السلطان عبد المجيد ثمَّ وسام « القديس سلوسترس » في ٢٧ اذار ١٨٦٠ من البابا بيوس التاسع

ومن آل عورا الذين اشتهروا بخدمة المعارف حنا بن ابرهيم ابن المعلم حنا· وُلد بتاريخ ٢٩ حزيران ١٨٣١ في عكا وقضى حياتهُ كلها في خدمة الحكومة العثمانية · فتقلب في مامور يات شتى وتولى في بيروت مديرية التحريرات ووظيفة مميز لقلم المكتوبي وعضوية محكمة الاستئناف ومراقبة المطبوعات والجرائد· ولما تشكلت حكومة لبنان بعد حوادث سنة ١٨٦٠ جعلهُ داود باشا كاتباً خاصاً لهُ· ومما يؤْثر عنهُ انهُ اوَّل من هيأ المواد لنظام جبل لبنان سنة ١٨٦١ فكتبها بخط يده طبقاً لحاجة المكان والسكان بايعاز من داود باشا الذي حوَّرهُ بالاشتراك مع فوءاد باشا· وهو نفس النظام الذي أُرسل بعد ذلك الى القسطنطينية حيث جرى التصديق عليه من الدولة العثمانية والدول الكبرى الموقعة عَلَى النظام المذكور · وكانت وفاة حنا في ٩ تشرين الاول ١٩٠٧ وكان حائزاً على الرتبة المتمايزة والوسام المجيدي· ونسخ بيده بعض كتب وكان يعرف اللغات العربية والتركية واليونانية والايطاليــة والفرنسية

ومن آل عورا يوسف بن ميخائيل وُلد سنة ١٨٢٨ وعاش في القسطنطينية ومات فيها سنة ١٩١٢ بالغاً شيخوخة كبيرة· وقد ترك آثاراً كتابية أشهرها « تاريخ بونابرت » الذي وصفه جودت باشا الوزير العثماني قائلاً انهُ شبيه بتاريخ نقولا الترك· ولهُ في مدح نابليون الثالث قصائد نفيسة ايضاً· وجمع مواد « تاريخ سوريا » التي وضعها ابوه ميخائيل وزاد عليها ورتبها فجاءت وافية بالمقصود

ومنهم بتراكي اخو يوسف بن ميخائيل وُلد في نيسان ١٨٣١ وتولى رئاسة كتاب الجمرك ثم امانة الصندوق في لواء بيروت · ولما تشكلت المحاكم العدلية تعين مدعياً عمومياً للواء حماه· ثم استقال من وظائف الحكومة وتعاطى مهنة المحاماة في دمشق حتى توفاه الله في ٧ كانون الثاني ١٨٨٠ ميلادية· وكان بتراكي من أُدباء عصره فانهُ نشر مقالات عديدة في مجلة « الجنان » وجريدة « الجنة » البستانيتين· وترجم من اللسان التركي الى العربي « قانون الاجراء » للمعاملات الجزائية وبعض شذرات في الحقوق وغير ذلك

(ترجمتهُ)

هو ميخائيل بن جرجس بن ميخائيل ابن المعلم حنا ابن المعلم ميخـائيل بن ابرهيم بن حنا بن ميخائيل عورا وامهُ حنه بنت ديمتري نحاس وُلد سنة ١٨٥٥ في عكا· وما كاد يفطم عن الرضاع

حتى فقد اباه فاعتنت والدتهُ بتربيته . ولما تأسست المدرسة البطريركية سنة ١٨٦٥ في بيروت دخل اليها فكان من بواكير تلامذتها ونوابغهم . وتلقى فيها العلوم العقلية والنقلية واحكم معرفة اللغات العربية والايطالية والفرنسية والتركية فبرع فيها كلها مع إلمامٍ بالانكليزية . وكان استاذه الشيخ ناصيف اليازجي فاخذ عنهُ اسرار اللسان العربي حتى صار يشار اليهِ بالبنان في براعة الانشاء شعراً ونثراً . وبعد إحرازه شهادة المدرسة اكبَّ في بيتهِ على المطالعة ثم درس الفقه على الشيخ يوسف الاسير فاحكم أصوله

ولما أنشأت الحكومة الفرنسية سنة ١٨٧٨ معرضها العام طمحت نفسهُ الى التجارة . فذهب بالبضائع الشرقية الى باريس ولكن تجارته لم تفلح فخسر مالاً كثيراً . وفي اثناء اقامتهِ في عاصمة الفرنسيس اصدر بتاريخ ١٦ نيسان ١٨٨٠ جريدة « الحقوق » التي عطلها بعد وقت قصير بداعي سفره الى مصر . وهناك عرفت الحكومة الخديوية فضله فجعلته مديراً لمكتب الترجمة . ثم ترك وظيفتهُ وانشأ في ٢٢ ايار ١٨٨٢ مجلة « الحضارة » التي ما كادت تبرز لعالم الوجود حتى احتجبت بظهور الفتنة العرابية المشهورة . ولما كانت خطتهُ السياسية تقبيح سياسة مصطفى رياض باشا رئيس الوزراء ألقت الحكومة المصرية القبض عليهِ . ولكنه نجا بفضل تداخل قنصل فرنسا فلجأ الى بيروت ولبنان فلبث فيهما مدة سنة

وبعد استتباب الراحة في وادي النيل وصدور العفو العام عن المتهمين بقضايا سياسية عاد الى القاهرة فحرَّر في جريدة « الزمان » لصاحبها علكسان صرَّافيان . وقضى مدةً يراسل جريدتي « الاهرام » و« المحروسة » اللتين كان مركزهما حينئذٍ في الاسكندرية . وفي ١٣ اذار ١٨٨٤ اصدر بالشركة مع يوسف شيت صحيفة « البيان » التي عاشت ثلاث سنين ونالت نصيباً وافراً من النجاح . ثم ترك مهنة الصحافة وتعاطى فن المحاماة لدى المحاكم فاكتسب ثقة جميع المتعاملين معه . وفي سنة ١٩٠٦ سافر الى اوروبا انتجاعاً للعافية فادركتهُ المنيَّة في شهر تموز في مدينة نابولي بينما كان مستعدًّا للرجوع الى مصر

وكان حادَّ الذكاء صائب الرأي حرَّ الضمير واسع الاطلاع يجيد الترجمة من اللغة العربية الى الفرنسية والتركية وبالعكس . وكان كثير الاعجاب باللغة العربية تخاض عبابها واتسع في كشف غوامضها وإظهار محاسنها . قيل انهُ ترك بعض التآليف النفيسة التي لعبت بها أيدي الضياع في اثناء هربهِ من وجه الحكومة المصرية . ومن مآثره الادبية رواية « منتهى العجب في آكلة الذهب » المطبوعة عام ١٨٨٥ ورواية « الجنون في حبّ مانون » وغيرهما . وترك خزائن غنية بالاسفار الكثيرة والمخطوطات النادرة لاسيما في العلوم الفلسفية والشرعية . وشغف بنظم الشعر منذ حداثتهِ ولكنه قلل منه في آخر حياتهِ . ومن شعره الرقيق قصيدة في رثاء اديب اسحق سنة ١٨٨٥ قال :

الصبر ليس عَلَى فراقك يحسنُ ولمثل هذا الخطب تبكي الاعينُ

يامن تحركت النفوس تأسفاً لفراقه هيهات بعدك تسكنُ
فلئن تمكن منك سلطان الردى لنفوسنا فيها الاسى متمكنُ
ياعين جودي بالبكا وتكلمي بمدامعٍ انَّ المدامع السنُ
هل ثمَّ عينٌ لم تجد بدموعها لهفاً عليك ومقلةٌ لا تحزنُ
او ثمَّ قلبٌ لم يمزقهُ الاسى او هل هنالك قوةٌ لا توهنُ
تالله ما الدنيا بدارٍ يبتغي فيها الثوا و يطيب فيها المسكنُ
كلاً ولا للدهر عهد يرتجى منهُ الوثوق وليس منهُ مأمنُ
والارضُ يورثها الالهُ عبادهُ وهمو مسيءٌ نفسهُ او محسنُ
كأس الممات عَلَى البرية شربهُ حتمٌ ومنه ليس ينجو ممكنُ
كيف النجاة من الممات وهذه جند المنيَّة بالاسنَّة تطعنُ
ام كيف يطمع في الصفاء فتى لهُ بالطين والماء المهين تكوُّنُ
والمرء مرمى الموت فهو اذا نجا منهُ النهار ففي غدٍ لا يمكنُ
لا ينفع الاسف النفوس ولا الاسى الكفُّ اولى والتصبر احسنُ

— « ٨ » —

يوسف باخوس

مؤسس جريدة «المستقل» في غلياري ومحرر صحيفة «البصير» في باريس

(أسرتهُ)

من العائلات الوجيهة في جبل لبنان أُسرة « باخوس » التي تنتمي الى اصل آثوري من بلاد بين النهرين . وقد جاء سوريا احد افرادها في القرن السابع عشر وكان عَلَى مذهب السريان اليعاقبة القائلين بطبيعة واحدة في المسيح . فانقسمت سلالتهُ فيها من بعده الى فرعين كبيرين: اولهما سكن في دمشق فتبع مذهب السريان الكاثوليك . واقام الآخر في قصبة « غزير » من جبل لبنان فانحاز الى الطائفة المارونية

وقد اشتهر من الفرع الثاني اللبناني ابو انطون يوسف الذي كان في سنة ١٨٠٥ مديراً لاشغال الامير حسن الشهابي اخي الامير بشير الثالث الكبير . ومنهم الاستاذ الفاضل نجيب بن فارس الذي عوَّلنا عَلَى ابحاثهِ في اخبار عمهِ يوسف صاحب هذه الترجمة . ومنهم سليم بك ناظر ادارة القسم المالي في محافظة القاهرة . ثم خليل بن طنوس منشئ جريدة « الروضة » حالاً . ونعوم

بن جبرائيل الذي انتخبهُ سكان قضاء كسروان نائباً عنهم في مجلس ادارة لبنان. ثم جدّدوا انتخابهُ باجماع الآراء في شهر حزيران ١٩١٣ لما تزين بهِ من الصفات التي رفعته بكل استحقاق الى هذا المنصب الشريف. ومن اشهر العائلات المرتبطة بالنسابة مع أسرة باخوس آل اصفر وثابت وتيان وخضرا ودوماني وخوّام وسواهم. وقد عُرف بنو باخوس بغيرتهم الوطنية وبكثير من الاعمال المبرورة



يوسف باخوس

(ترجمتهُ)

هو يوسف بن حبيب باخوس وُلد في بلدة «غزير» قاعدة كسروان في ٥ ايار من سنة ١٨٤٥ ولما بلغ اشدّهُ ادخلهُ والده مدرسة «ماري عبدا هرهريا» الشهيرة في ذلك الحين في عرامون بجوار غزير. فدرس فيها اللغات العربية والايطالية واللاتينية والسريانية والعلوم الفلسفية والتاريخية وبرع في جميعها لاسيما في اللغة العربية التي جعلها غاية همهِ ومرمى لسهمهِ

وكان رئيسه ومدرسوه الافاضل يعجبون بتوقد فؤاده وحدّة ذكائه وخصوصاً بغرابة حافظتهِ وسرعة خاطره. وبعد ان انهى دروسهُ في المدرسة المشار اليها درس الفقه وقوانين الدولة العثمانية على الاب العالم الخوري ارسانيوس الفاخوري. ثم عين مدرّساً للبيان في اللغة العربية في مدرسة عينطورا للاباء اللعازريين على عهد رئاسة الاب كوكيل الطيب الذكر

وفي مدة وجوده في هذه المدرسة انصبّ على درس اللغة الفرنسية بمزيد الهمة والنشاط حتى

حذقها ومهر فيها. وهناك الف كتابهُ « المدبة السنية لابناء المدرسة اللعازرية » وهو موَّلف جزيل الفائدة قد ضمنهُ جلَّ القواعد الصرفية والنحوية في اللغة العربية جرى فيهِ مأموراً على الخطة المتبوعة هناك في تعليم القواعد الافرنسية وقد نشر بالطبع مرتين

ثم ما لبث ان ترك مدرسة عينطورا وانتدبهُ رهبان دير المخلص بالقرب من صيدا لتعليم الفلسفة والآداب العربية في مدرستهم. ومن تلاميذه فيها جرمانوس معقد مطران اللاذقية واثنيموس زلحف مطران صور وغيرهما من مشاهير الرهبان. ثمَّ ابحر بعد سنتين الى الاستانة لقضاء بعض المهامّ فنال اذ ذاك حظوة في اعين رجال الدولة العظام. وامتدح بعضهم بقصائد غرَّاء نذكر منها واحدة قد نظمها في مدح صفوت باشا وزير الخارجية في ذلك الحين قال في مطلعها :

هي المراتب قد عزَّت مبانيها | والحزم والعزمُ طبعاً من مباديها
وذي المعالي فمن رام الدَّراك لها | بالفخر فالجدُّ يوُتيه معاليها
لايدرك المجدَ الاَّ فارسٌ بطلٌ | ولا يوُمُّ المعالي غيرُ واليها
لابدَّ للمجد من شهمٍ ومن نبهٍ | يُزهى بهِ المجد في عليائهِ تيها
كالفرد صفوتَ من تاهت بعزَّتهِ | مراتب المجد دانيها وقاصيها
هو الوزير الذي شاعت مآثره | في المجد لايبرح التاريخ يرويها
واقبلت شعراء العصر تنشدها | وتستهلّ القوافي من معانيها

ومنها في الختام

حمداً وشكراً لمولانا العزيز على | إنعامه حين اعطى القوسَ باريها
سلطاننا المالك الدنيا بقبضته | مولى الخلافة ملجاها وكاليها
يارب خلدْ مدى الايام شوكتهُ | واحفظ عدالتهُ ورداً لظاميها
يارب نعّم رعاياه برأفته | وغيث نعمته لا زال يحييها

ثم آب الى بيروت واشتغل في انشاء الفصول الفلسفية في كتاب « آثار الادهار » لصاحبيهِ سليم شحاده وسليم الخوري. وعين مدرِّساً للفصاحة العربية في مدرسة الحكمة المارونية لسيادة موِّسسها المطران يوسف الدبس الذي قدَّرهُ حقَّ قدره فأجلهُ ورفع منزلتهُ. وله في مدح سيادتهِ القوافي المتينة والمنظومات الرائعة. منها قصيدة في بيان « محاسن اللغة العربية » رفعها لسيادة الحبر المشار اليه قال في مطلعها :

للشعر في خطرات الفكر آمالُ | وللقصائد إعراض واقبالُ
وللعروض بحارٌ عمَّ طالبها | طوراً نداها وطوراً خاب تسآلُ
وللمعاني اذا جادت بها دررٌ | يزينها النظم لا فعلٌ وفعّالُ

بيانها السحر من اسراره انكشفت غوامض الحكم يروي سعدها الفالُ

ومنها :

نطوي وننشر من تدبيجها غرراً والطبق والجمع والتفريق إشكالُ
حلت عقود معاليها بتوريةٍ حلت بها الذوق والتشبيهُ سلسالُ
عزّت فلا وصل الاّ من مكارمها يرجى وبالفضل للآمال آجالُ
تلقي المدائح اسناداً بمسندها وتستقلّ بها في الحمد اقوالُ
عن حسنها غرر الاشعار قد قصرت وصفاً وبالقصر إحسانٌ واجمالُ
انعم بها فهي إعرابية سفرتْ واسعدْ بطلعتها فالسعد اقبالُ
تفرّدتْ بين ابكار اللغى وعلتْ قدراً وعزّت بها بالفخر اجيالُ
صحت بإعلالها الافهام واعتصمتْ حكماً وفي صحة الاحكام اعلالُ
وقد نحت نحوها الافكار وارتفعتْ بنصبها منصب التفضيل ابطالُ
تنازعتها معاني الوصف واشتغلتْ بنعت عاملها الموصوف اشغالُ

ومنها : وكم رجالٍ افاض الدهر شهرتهم براية المجد في مضمارها جالوا
هيهات هيهات ادراكٌ لشوطهم فدون ذلك اخطارٌ واهوالُ
وكل علمٍ وفنٍّ ظلّ ينشدهم بدائع الشكر تقريظاً لما نالوا
لا زال يزهو سنام كلما خطرتْ للشعر في خطرات الفكر آمالُ

وفي ٣٠ تموز سنة ١٨٧٩ دعتهُ الحكومة الايطالية بواسطة قنصلها في بيروت ليتولى تحرير جريدة عربية « المستقل » تطبع في غلياري (Cagliari) في سردينيا (Sardaigne) من اعمال ايطالية . وشأنها ان تدرأ عن المصالح العربية وتدافع عن حقوقها وابنائها . فاجاب الى هذه الدعوة بطيب الخاطر وغاية ما تمناه وقوف النفس للدفاع عن حقوق امتهِ العربية . وواقع الامر ان اعداد « المستقل » الاولى ما تخطت ولا تعدّت حدّ الافصاح عن مجد العرب الباسق السابق وعن امحاء ذلك البهاء في أخريات الايام

فغادر هذه الاصقاع مرتداً اولاً رومة العظمى حيث حظي بمقابلة البابا لاون الثالث عشر الذي رمقهُ بعين الرعاية والالتفات متمنياً له الفوز والنجاح في مهمته الجديدة . وبقي يتنقل في البلاد الايطالية من مكان الى آخر متفقداً ما فيها من جميل الآثار التي لم تقوَ عليها صروف الزمان . وفي اثناء ذلك كتب رسالته المعنونة « عشرون يوماً في رومة » اتى فيها باطلى عبارة واجمل اسلوب على ذكر ما تحويهِ المدينة الابدية من الآثار التي تركها الاقدمون . وقد طبعت منها مقالة نفيسة في وصف مشهد الالعاب القديم

وفي ٢٨ اذار من سنة ١٨٨٠ ظهر العدد الاول من «المستقل» . فاحسن الادباء استقباله وتهافتوا عَلَى الاشتراك بهذه الصحيفة التي عظم شانها وانتشارها واشتهر امر محرّرها ولعبت دوراً مهماً في عالم الصحافة والسياسة . فتشاغلت بها الجرائد الاوربية لاسيما الافرنسية وتحدثت عنها مراراً عديدة كما اثبت ذلك في مقالة نشرها في اعمدة تلك الصحيفة . وبعد ان مرّ على تحريره لمستقل" نيفاً وسنة غادر غلياري قاصداً باريس مدعوّاً من قبل الحكومة الافرنسية لتحرير جريدة عربية ايضاً تعرف « بالبصير » فوصلها في اليوم الثالث من شهر ايار لسنة ١٨٨١

وعند وصوله الى محطة السكة الحديدية احسن استقباله بعض الكتبة ومحررو الجرائد الذين اظهروا مزيد الارتياح والسرور للتعرف بعالم شرقي اشتهر امره في بلادهم « وأُعطي موهبة تنميق الالفاظ فسحر الالباب بعبارته الطنانة » كما ذكروا ذلك مراراً في بعض جرائدهم . ثم لم يلبث ان اصاب « البصير » من النجاح ما قد اصاب « المستقل » في ايطاليا . وكنا نود ان نأتي هنا على ذكر بعض عبارات من مقالات نفيسة نشرها في اعمدة تلك الجريدة انما يمنعا عن ذلك ضيق المجال

وقد عرفت اذ ذاك الحكومة التونسية ما كان لمقالات محرر البصير وكتاباته من النفع والوقع في نفوس ابنائها وذويها وما اتاه من الجدّ والجهد في سبيل احياء روح اللغة العربية في تلك الاصقاع الغربية . فمنحتهُ وسام كومندور من « نيشان الافتخار » وذلك في ١٥ تموز لسنة ١٨٨١

وبقي متولياً ادارة البصير وتحريره الى ان أُصيب بمرض عضال فاشار عليهِ الاطباء بالعود الى وطنه . فعاد اليه وقد تخوَّن جسمهُ النحول والهزال حتى لم يعد ينجح به دواء ولا يرجى له شفاء . فاستأثر بهِ الله في شرخ الشباب ونضارة العمر غير متجاوز السابعة والثلاثين من سنه . فبكى عليهِ ذوو الادب والمعارف الذين كانوا يتوسمون بهِ حسن الاستقبال ودُفن في ضريح خاص في غزير قد علّق عليه تاريخٌ نظمهُ المرحوم الخوري الشاعر ارسانيوس الفاخوري

وكان شهماً ذكياً متضلعاً في العلوم الفلسفية والتاريخية وخطيباً مصقعاً وشاعراً مجيداً له شعر اعذب من الماء الزلال واغرب من السحر الحلال . وكان سريع الخاطر طلق اللسان لطيف المعاشرة يطرب الالباب ويسكر العقول بل تعشق كلامه الطباع وتلذّ به الاسماع . يشهد له بذلك كثير من ذوي الادب والعلم في الديار الشرقية والغربية الذين كانوا يعجبون ويطربون بكلامه الدرّي . وله مع بعض محرري الجرائد في ذلك الحين ولا سيما مع احمد فارس الشدياق محرر « الجوائب » المناقشات الحسنة والمجادلات اللطيفة التي تشف عن دهاء ودراية في الامور واتساع في العلوم وطول باع في الانشاء

جدول عام

يحتوي على اسماء جميع الصحف العربية التي ظهرت في السلطنة العثمانية
وبلاد اوروبا في الحقبتين الأولى والثانية

١٧٩٩ — ١٨٩٢

— « ١ » —

صحف السلطنة العثمانية

اولاً : جرائد مدينة القسطنطينية

اسم الجريدة	اسم منشئها		تاريخ صدورها	
مرآة الاحوال	رزق الله حسون			١٨٥٥
السلطنة	اسكندر شلهوب			١٨٥٧
الجوائب	احمد فارس الشدياق		تموز	١٨٦٠
السلام	جبرائيل دلاًل	٢٣	تموز	١٨٧٩
الاعتدال	احمد قدري	٢٩	آب	١٨٨٣
الانسان	حسن حسني باشا الطوبراني	(٥	جماد الآخر ١٣٠٣)	١٨٨٦
السلام	الحاج صالح الصائغ			١٨٨٥
الحقائق	ابرهيم ادهم	٢٨	تشرين الثاني	١٨٨٨

ثانياً: مجلاّت مدينة القسطنطينية

اسم المجلة	اسم منشئها		تاريخ صدورها	
مدرسة الفنون	حميد وهبي	٢٥	كانون الاول	١٨٨٢
الانسان	حسن حسني باشا الطوبراني	٢٨	ايار	١٨٨٤
كوكب العلم	نجيب نادر صوايا	١٣	كانون الثاني	١٨٨٥
الحقائق	ابو النصر يحيى السلاوي	٨	كانون الاول	١٨٨٥
الحقوق	الياس مطر والياس رسام	١٣	تموز	١٨٩٠

ثالثاً : جرائد مدينة بيروت

حديقة الاخبار	خليل الخوري	١	كانون الثاني	١٨٥٨
نفير سوريا	بطرس البستاني			١٨٦٠
اخبار عن انتشار الانجيل	المرسلون الاميركيون	١	اذار	١٨٦٣
النشرة الشهرية	الدكتور كرنيليوس ڤانديك	١	كانون الثاني	١٨٦٦
الزهرة	يوسف الشلفون	١	»	١٨٧٠
المهماز	خليل عطيه	٢٥	شباط	»
الجنة	سليم البستاني	١١	حزيران	»
البشير	الآباء اليسوعيون	٣	ايلول	»
كوكب الصبح المنير	المرسلون الاميركيون	١	كانون الثاني	١٨٧١
النشرة الاسبوعية	»	١٠	»	»
التقدم	يوسف الشلفون	١	»	١٨٧٤
ثمرات الفنون	عبد القادر قباني	٢٠	نيسان	١٨٧٥
لسان الحال	خليل سركيس	١٨	تشرين الاول	١٨٧٧
المصباح	نقولا نقاش	١	كانون الثاني	١٨٨٠
الهدية	جمعية التعليم المسيحي الارثوذكسية	١	كانون الثاني	١٨٨٣
بيروت	محمد رشيد الدنا	٢٢	اذار	١٨٨٦
دليل بيروت	امين الخوري	١	كانون الثاني	١٨٨٨
بيروت الرسمية	علي باشا	٢٢	كانون الاول	»
الفوائد	خليل البدوي	١	اذار	١٨٨٩
الاحوال	»	١	تشرين الاول	١٨٩١

رابعاً : مجلات مدينة بيروت

مجموع فوائد	المرسلون الاميركيون	١	كانون الثاني	١٨٥١
اعمال الجمعية السورية	الجمعية السورية	٦	كانون الثاني	١٨٥٢
الشركة الشهرية	يوسف الشلفون	١	كانون الثاني	١٨٦٦
اعمال شركة مار منصور	ميخائيل فرج الله	١	حزيران	١٨٦٧
مجموعة العلوم	الجمعية العلمية السورية	١٥	كانون الثاني	١٨٦٨

المجمع الفاتيكاني	الآباء اليسوعيون	١	كانون الثاني	١٨٧٠
الجنان	بطرس البستاني	١	»	»
النحلة	القس لويس صابونجي	١١	ايار	»
النجاح	» » » ويوسف الشلفون	٩	كانون الثاني	١٨٧١
الطبيب	الدكتور جورج بوست	١	كانون الثاني	١٨٧٤
المقتطف	يعقوب صروف وفارس نمر	١	حزيران	١٨٧٦
المشكاة	خليل سركيس	١	نيسان	١٨٧٨
سلسلة الفكاهات	نخله قلفاط	١	تشرين الثاني	١٨٨٤
ديوان الفكاهة	سليم شحاده وسليم طراد	١	كانون الثاني	١٨٨٥
الصفا	علي ناصر الدين	١	كانون الثاني	١٨٨٦
الكنيسة الكاثوليكية	خليل البدوي	»	»	١٨٨٨

خامساً : صحف مدينة دمشق

سورية (جريدة)	راشد باشا	١٩	تشرين الثاني	١٨٦٥
دمشق (جريدة)	احمد عزت باشا العابد			١٨٧٨
مرآة الاخلاق (مجلة)	سليم وحنا عنحوري	١	كانون الثاني	١٨٨٦

سادساً : جرائد مدينة حلب

فرات	جودت باشا			١٨٦٧
الشهباء	عطار وكواكبي وصقال	١٠	ايار	١٨٧٧
الاعتدال	عبد الرحمن الكواكبي	٢٥	تموز	١٨٧٩

سابعاً : جرائد جبل لبنان

لبنان	داود باشا	٤	ايار	١٨٦٧
الجعبة	الشيخ نوفل الخازن			١٨٧٣
لبنان	ابرهيم الاسود	١	تشرين الاول	١٨٩١

ثامناً : جرائد سائر انحاء السلطنة العثمانية

الزوراء (بغداد)	مدحت باشا			١٨٦٨

طرابلس الغرب (طرابلس الغرب)	رسمية		١٨٧١
صنعا (اليمن)	رسمية		١٨٧٧
الموصل [1] (الموصل)	رسمية		١٨٨٥

— ٢ —

صحف اوروبا

اولاً : جرائد مدينة لندن في انكلترا

آل سام	رزق الله حسون			١٨٧٢
مرآة الاحوال	» »	١٩	تشرين الاول	١٨٧٦
الخلافة	الدكتور لويس صابونجي		كانون الثاني	١٨٨١
الغيرة	عبد الرسول الهندي	١٠	شباط	١٨٨١
الاتحاد العربي	الدكتور لويس صابونجي			١٨٨١
النحلة	» » »	٢٦	نيسان	١٨٨٤

ثانياً : مجلات لندن

رجوم وغساق	رزق الله حسون			١٨٦٨
النحلة	الدكتور لويس صابونجي	٢	نيسان	١٨٧٧
حلّ المسألتين الشرقية والغربية	رزق الله حسون			١٨٧٩

ثالثاً : جرائد باريس في فرنسا

برجيس باريس	الكونت رشيد الدحداح	٢٤	حزيران	١٨٥٨
المشتري	(مجهول)			١٨٦٧
الصدى	جبرائيل دلال			١٨٧٧
رحلة ابي نظارة زرقاء	يعقوب صنوع	٧	آب	١٨٧٨
ابو نظارة زرقاء	» »	٢١	اذار	١٨٧٩
النظارات المصرية	» »	١٦	ايلول	»

(١) حدث سهو في عدم نشر اخبار هذه الجريدة الرسمية بين صحف الحقبة الثانية فلزم التنويه

مصر القاهرة	اديب اسحق	٢٤	كانون الاول	١٨٧٩
الحقوق	ميخائيل عورا	١٦	نيسان	١٨٨٠
الاتحاد	ابرهيم المويلحي			«
الانباء	« «			«
الرجاء	« «			«
ابو صفاره	يعقوب صنوع	٤	حزيران	«
ابو زماره	« «	١٧	تموز	«
الحاوي	« «	٥	شباط	١٨٨١
ابو نظاره	« «	٨	نيسان	«
البصير	خليل غانم	٢١	«	«
كوكب المشرق	عبد الله مراش			١٨٨٣
الوطني المصري	يعقوب صنوع	٢٩	ايلول	«
العروة الوثقى	جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده	١٣	اذار	١٨٨٤
الشمس	سليم قوبطه والياهو ساسون	٢٢	شباط	١٨٨٥
الثرثارة المصرية	يعقوب صنوع			١٨٨٦

رابعاً : جرائد سائر انحاء فرنسا

عطارد (مرسيليا)	منصور كرلتي			١٨٥٨
الشهرة (انجه)	منصور جاماتي	١	آب	١٨٨٨

خامساً :جرائد ايطاليا

الخلافة (نابولي)	ابرهيم المويلحي			١٨٧٩
المستقل (غلياري)	يوسف باخوس	٢٨	اذار	١٨٨٠

سادساً : صحف الجزائر البريطانية في البحر المتوسط

مالطا (مالطا)	(مجهول)	نواحي سنة ١٨٨٩
زمان (قبرص)	درويش باشا	١٨٧٨
ديك الشرق (قبرص)	علكسان صرافيان	١٨٨٩

فهرس

الجزء الثاني من تاريخ الصحافة العربية

فهرس عام

لجميع مواد تاريخ الصحافة العربية على ترتيب الحروف الهجائية


بعونهِ تعالى
انتهى الجزء الثاني
و يليه
الجزء الثالث

TARRĀZĪ

HISTORY OF ARAB PRESS